ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب

لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب

حققه ووضع مقدمته وشواهده

محمد عبد الله عنان

المجلد الأول

الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م
الحقوق كلها محفوظة
Copyright, Cairo, 1980

القاهرة
المطبعة العربية الحديثة

كتاب الريحانة

هو كتاب « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» لذى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب المولود بمدينة لوشة بالأندلس فى رجب سنة ٧١٣ هـ (نوفمبر سنة ١٣١٣ م) والمتوفى قتيلا بمدينة فاس فى خريف سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م)[1]. وهو يعتبر ، بعد كتاب « الإحاطة » أهم كتب ابن الخطيب التاريخية والأدبية . وفيه يشرح لنا ابن الخطيب فى ديباجته سبب تسميته ، ويجمل أقسامه فى قوله : « وسميته لتنويع بساتينه المشوقة وتعدد أفانيه المعشوقة ، « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » وقسمته إلى حمدلة ديوان ، وتهنئة بإخوان ، وتعزية فى حرب للدهر عوان ، وأغراض ألوان ، وفتوح يجليها السلوان ، ومخاطبات إخوان ، ومقامات أنق من شعب بوان ، وغير ذلك من أغراض ألوان ، صنوان وغير صنوان ، ثم يفصل لنا محتوياته على النحو الآتى :

«تمهيدات من أوائل المصنفات» ، وفى هذا الباب يختار ابن الخطيب نبذاً من مقدمات كتبه ورسائله السابقة مثل « بستان الدول » و « تخليص الذهب » و « جيش التوشيح » و « الإكليل الزاهر » و « الإحاطة » و « كتاب الطب » و « روضة التعريف بالحب الشريف » و « استنزال اللطف الموجود فى أسرار الوجود » . ثم يلى ذلك أبواب التحميدات ، والفتوحات الواقعة والمرافعات التابعة ، والصدقات ، والبيعات من الأغراض السابقات ، كتب الشكر على الهدايا ، كتب التهانى ، كتب الاستظهار على العدات والاستنجاز بالمعدات ، كتب الشفاعات. ثم يلى ذلك طائفة كبيرة من الرسائل السلطانية التى كتبها ابن الخطيب عن سلاطين غرناطة ، والتى وردت عن سلاطين المغرب ، فى أغراض الحرب والسياسة ، وغيرها ، فى باب يسميه « جمهور أغراض السلطانيات ». ويلى ذلك كتب مخاطبات الرعية والجهات ، ظهاير الأمراء والولاة ، مخاطبات ابن الخطيب لأرباب المناصب والهيئات ، جمهور الإخوانيات ، ويلى ذلك كتب الدعابات والفكاهات. وهى رسائل شخصية إلى خاصة الأصدقاء ، ثم المقامات . وهنا ينقل ابن الخطيب بعض رسائله وكتبه — خطرة الطيف ، ورحلة الشتاء والصيف ، الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ، كتاب معيار الاختيار ، رسالة السياسة ، كتاب الإشارة إلى أدب الوزارة والسياسة ، مفاخرة بين مالقة وسلا ، أوصاف الناس فى

---

(١) لم نجد فى هذا التقديم ضرورة للتحدث عن حياة ابن الخطيب ، فقد استوفينا ذلك ، أولا فى كتابنا « لسان الدين بن الخطيب» حياته وتراثه الفكرى (القاهرة ١٩٦٨) ثم فى مقدمة كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة » المجلد الأول (الطبعة الثانية) (ص ٣ — ٧١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كنت قد عقدت العزم خلال عملى فى تحقيق كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة » لذى الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب ، أن أعمل عقب الفراغ من إعداده فى دراسة كتاب « الريحانة » وتحقيقه . وقد انتهيت بحمد الله من تحقيق كتاب « الإحاطة » وإعداده كاملا للنشر فى المحرم سنة ١٣٩٣ هجرية الموافق فبراير سنة ١٩٧٣ . وكان من حسن الطالع أن دعيت عقب ذلك بقليل إلى القيام بمهمة علمية بالخزانة الملكية بالمغرب ، فألفيت نفسى على مقربة من مخطوطات كتاب « الريحانة » العديدة ، التى تحتويها الخزائن المغربية الغنية بنفائس التراث الأندلسى . وكنت قد حصلت قبل ذلك على نسخة مصورة من مخطوط الريحانة المحفوظ بمكتبة دير الإسكوريال ، والذى يحمل رقم ١٨٢٠ الغزيرى و ١٨٢٥ ديرنبور ، وكان فى نظرى أهم مخطوطات « الريحانة » وقطعها العديدة الموجودة فى الخزائن المغربية والخزائن الأخرى ، المشرقية والأوروبية ، لأنه أقدم هذه المخطوطات جميعاً حيث تم نسخه فى شوال سنة ثمانية وثمانين وثمانمائة هجرية أعنى منذ أكثر من خمسمائة عام . ومن ثم فقد اخترت أن يكون هو النص الأصلى فى تحقيق الكتاب ، وقمت بمقارنة هذا النص بعدد من مخطوطات الريحانة الأخرى ، وانتهيت بعد البحث والمقارنة ، إلى أن نسخة الريحانة المحفوظة بالخزانة الملكية المغربية والتى تحمل رقم ٢١٩٥ هى أفضل نسخ الريحانة المخطوطة من حيث سلامة النص وضبطه ووضوحه ، ومن ثم فقد اتخذتها أساساً للمقارنة والتحقيق ، إلى جانب نسخة الإسكوريال الأصلية . وأعتقد أنى خرجت من هذه المقارنة بكثير من المكاسب العلمية ، ما بين تصحيحات ، وإضافات قيمة عديدة . وإلى جانب ذلك فقد رجعت فى المقارنة والتحقيق إلى قطعة « الريحانة » المخطوطة المحفوظة بمكتبة الفاتيكان الرسولية برقم Borg 252 والتى تحتوى على السفر الثالث من الريحانة ، وتقع فى ١٢٠ لوحة كبيرة .

التواريخ والصلات ، وهو عبارة عن التراجم الموجزة التى تضمنها كتابه « التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى ». ويختتم الكتاب بكتب الزواجر والعظات . وقد ذكر لنا ابن الخطيب خلال ذكر كتبه فى ترجمته بالإحاطة أن كتاب « الريحانة » يقع فى ثمانية أسفار .

وفى كثير من رسائل الريحانة، وهى تبدأ من سنة ٧٥٠ هـ — وبعضها مؤرخ بتواريخ متأخرة ، مثل سنة سبعين وواحد وسبعين وسبعمائة — ما يدل على أن مواده ورسائله قد جمعت خلال إقامة ابن الخطيب بغرناطة ، أثناء وزارته الثانية للسلطان محمد الغنى بالله (٧٦٤ — ٧٧٢ هـ) وقبل نزوحه إلى المغرب فى جمادى الآخرة سنة ٧٧٢ هـ .

ويتضمن كتاب « الريحانة » عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية الهامة ، منها ما يقع تحت باب « الفتوحات الواقعة » مثل رسائل فتح حصن قنيط ، وفتح حصن أشر ، وغزوات برغة وأطريرة وجيان وأبدة ، واستفتاح الجزيرة الخضراء . ومنها رسائل السلطان الغنى بالله إلى الشعب الغرناطى فى الحث على الجهاد . ومنها فى باب « كتب الاستظهار على العداة والاستنجاز » ، كذلك عدة وثائق تاريخية ، ومنها رسالة عن غزوة قرطبة . كما تضمنت « كتب مخاطبات الرعية والجهات » عدة وثائق دستورية وإدارية هامة تتعلق بالتعيينات فى المناصب الكبيرة ، مثل مراسيم تعيين قاضى الجماعة ، ومراسيم التعيين فى منصب خطابة الجامع الأعظم، ومنها كذلك مراسيم البيعات السلطانية، وفى مقدمتها بيعة السلطان محمد الغنى بالله ، وحتى كتب التهانى فقد تضمن بعضها رسائل تاريخية، مثل رسالة تهنئة سلطان الأندلس لسلطان المغرب أبى عنان بفتح مدينة تلمسان، ثم بعد ذلك رسالة تهنئة سلطان تلمسان باسترجاع ملكه .

هذا ومن المعروف أن ابن الخطيب كثير التكرار فى كتاباته ، وأنه يثبت بعض فصوله ورسائله فى أكثر من مؤلف من مؤلفاته . وفى « الريحانة » أمثلة كثيرة لهذا التكرار نشير إليها فيما يلى :

أولا — أنه ينقل فى « الريحانة » فى مواضع مختلفة معظم الرسائل التى بعث بها السلطان يوسف أبو الحجاج ملك غرناطة إلى معاصره السلطان أبى عنان ملك المغرب فى شئون مختلفة . وجمعها ابن الخطيب أيام إقامته بسلا فى مؤلف مستقل أسماه « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » .

ثانياً — أنه ينقل فى الريحانة « الفصل المتضمن نص الصداق المنعقد على اخت السلطان أبى الحجاج للرئيس أبى الحسن بن نصر ، وقد ورد أيضاً فى كتاب « كناسة الدكان » .

ثالثاً — أنه ينقل فى « الريحانة » نص الرسالة المرسلة إلى صاحب تونس عن مجموع الفتوحات والغزوات التى قام بها السلطان الغنى بالله . وقد وردت فى كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة » (المجلد الرابع ص ٥٦١ — ٥٨٨) .

رابعاً — أنه ينقل فيها نص الرسالة المعنونة « مناقب الحلم والكظم من مآزق الجهاد » وقد وردت أيضاً فى « الإحاطة » (ج ٢ ص ٤٨) .

خامساً — أنه ينقل فيها نص الرسالة التى عنوانها « رسالة فى مخاطبة الجمهور فى باب التحريض على الجهاد » الصادرة عن السلطان الغنى بالله . وقد وردت كذلك فى « الإحاطة » (ج ٢ ص ٥٤) .

سادساً — أنه ينقل فيها الرسائل المتعلقة بغزو حصن برغة وحصن أشر والغزوة إلى أطريرة وجيان وأبدة ، وهى الواردة أيضاً فى كتاب « الإحاطة » (ج ٢ ص ٧٩ — ٨٨) :

سابعاً — أنه ينقل فيها رسالة « السياسة » التى وردت فى كتاب « الإحاطة » ضمن ترجمته الشخصية (ج ٤ ص ٦١٤ — ٦٣٤) كما ينقل فيها بعض قصائده الكبرى الواردة فى ترجمته المشار إليها .

ثامناً — أنه ينقل كذلك فى « الريحانة » بعض مقاماته ورسائله وبعض كتبه الصغيرة حسبما تقدم ذكره ، وبعضها وارد فى كتاب « الإحاطة » وبعضها مستقل بذاته .

ولكتاب « الريحانة » مزية أدبية وإنشائية خاصة ، فهو بما يضمه من رسائل عديدة فى شئون وموضوعات سياسية وعسكرية وملوكية ، ورسائل مودة ومجاملات ومخاطبات مختلفة ، يقدم لنا نماذج عالية للمكاتبات الملوكية والأميرية والدبلوماسية ، وأساليب البروتوكول ، والأدعية ، والتحيات الملوكية ، والمراسيم الدستورية والإدارية ، فى الغرب الإسلامى فى القرن الثامن الهجرى ، مدبجة بقلم وزير من أعظم وزراء الأندلس وسياسى من أعظم سياسيها ، وكاتب من أعظم كتابها .

المخطوطات التى رجعنا إليها

ذكرنا فيما تقدم أن عمدتنا فى تدوين نص « الريحانة » هو مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ بها برقم ١٨٢٠ الغزيرى و١٨٢٥ ديرنبور . وهو يحمل عنوانه واسم مؤلفه ، على النحو الآتى فى صفحة عنوانه :

كتاب ريحانة الكتاب
ونجعة المنتاب

تأليف الشيخ الفقيه الكبير الشهير ، العلم الأوحد ، وحيد قطرنا ، وعالم مصرنا ، وفخر أندلسنا ، وسمر نادينا ومجلسنا ، الجليل المثيل الحسيب الأصيل ، ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب ، أوزع الله هذا القطر الغريب شكر مناقبه الفاخرة ، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة بمنه .

ويلى ذلك بيان بمحتويات الكتاب . وفى ذيل الصفحة صيغة شراء باسم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بحضرة مراكش فى سنة اثنين وتسعين وتسعمائة .

وورد فى الصفحة الختامية من المخطوط ما يأتى :

« انتهى هذا الكتاب المسمى بريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، على يد ناسخها لنفسه ، ثم لمن شاء من ولده من بعده ، عبد الله ، المقر بذنوبه الراجى عفو ربه ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله البقنى الأنصارى ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وثمان مائة ، والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى » .

ويقع مخطوط الإسكوريال فى مجلد كبير يتكون من ٢٨١ لوحة مزدوجة كبيرة ونصف لوحة ختامية ، وفى الصفحة ٢٧ سطراً ومكتوب بخط أندلسى مطعم بالسمة المغربية . وقد كان هذا طراز الخط الأندلسى فى أواخر أيامه ، وصاحب هذه النسخة أحمد بن عبد الله هذا حسبما يبدو من فاتحة الكتاب أندلسى ، والمرجح أنه كتبه فى مدينة غرناطة ، ومن المرجح أيضاً أنه هو أبو جعفر البقنى مختصر كتاب «الإحاطة» ويحملنا على ذلك الاعتقاد ثلاثة أمور : الأول ما ورد فى مخطوط الإحاطة إسكوريال (رقم ١٦٧٣ ديرنبور) من اختتام مماثل جاء فى آخره ذكر نسخ المخطوط كما يلى : « وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة . والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى » . والثانى هو التقارب الواضح بين تاريخى نسخ المخطوطين ، والثالث هو الشبه الكبير الموجود بين خطى المخطوطين .

والمخطوط الثانى الذى رجعنا إليه فى التحقيق والمقارنة هو مخطوط الخزانة الملكية المغربية ، وهو يحمل رقم 2195 . وهو يحتوى على جزئين كبيرين يقع أولهما فى ٢٢٣ ورقة ، ويقع الثانى فى ٢١٥ ورقة ، وفى الصفحة ٢٢ سطراً ، مكتوب بخط مغربى ، مختلف فى مواضع من الجزئين ، وليس به ما يدل على تاريخ كتابته . وقد اختتم جزؤه الثانى بما يأتى : انتهى النصف الثانى من ريحانة الكتاب لأبى عبد الله بن الخطيب السلمانى

الأندلسى ، وبه تم جميع الديوان ، والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم » . وقد سبق أن أشرنا إلى ما يمتاز به هذا المخطوط من سلامة النص وضبطه إلى حد كبير .

والمخطوط الثالث الذى رجعنا إليه فى التحقيق المقارن هو قطعة الريحانة المخطوطة المحفوظة بمكتبة الفاتيكان الرسولية بروما Bib · Apostolica Vaticana رقم Borg. 252، وهى تقع فى ١٢٠ ورقة، وفى الصفحة ١٧ سطراً ، مكتوبة بخط مغربى قديم ، وقد ورد فى صفحة عنوانها ما يأتى « السفر الثالث من ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب تأليف الشيخ أبى عبد الله محمد الخطيب » ويلى ذلك ذكر محتوياتها بخط آخر « كتب الشفاعات » ، « كتب تقرير المودات » ، « جمهور الأغراض السلطانية ». ويلى ذلك صيغة تحبيس بخط ردئ لا يكاد يقرأ نصها : « الحمد لله حبس هذا السفر المبارك عن الأمر العلى . . . . . أيده الله ونصره ، على المقصورة الجديدة الانتهاء بجامع الزيتونة . . . بتاريخ أول جمادى الآخرة . . . . » وفى يسارها توقيع أميرى ، وفى ذيلها توقيع أميرى آخر ، صيغ كل منهما فى طرة مركبة يتعذر قراءتها .

وقد لوحظ عند التحقيق المقارن ، أن نص هذه المخطوطة يمتاز بقسط كبير من السلامة والضبط ، وأنه يتفق فى كثير من مواطنه سواء فى المفارقة أو فى الإضافة أو النقص مع نص نسخة الخزانة الملكية المغربية .

وفيما عدا ذلك فإنه توجد من الريحانة ، نسخ وقطع مخطوطة عديدة فى الخزانة الملكية ، وخزانة الرباط العامة ، ومكتبة القرويين الكبرى ، ومكتبة الجزائر الوطنية ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة أوبسالة بالسويد [1] . وقد راجعنا الكثير منها ولا سيما المجموعة المغربية ، فوجدنا معظمها يتسم بالأخطاء الكثيرة فى النص ، ووجدنا بعضها يخالف البعض الآخر فى ترتيب الأبواب . ولم نجد فى النهاية ضرورة للإكثار من النسخ المقارنة ، ضناً بضياع الوقت ، وتجنباً للبلبلة فى تدوين النص المعتمد .

اهتمام الإستشراق الإسبانى بكتاب (الريحانة)

كان من الطبيعى أن يهتم المستشرقون الإسبان بتراث ابن الخطيب ، وهو من مواطنيهم ، وابن غرناطة أعز بقاع الأندلس وإسبانيا المسلمة لديهم ، ومن أعظم ساسة هذه الاندلس المجيدة ، وكتابها ومؤرخيها وشعرائها . وقد تركز هذا الاهتمام بنوع خاص

(١) وقد أوردنا أماكن هذه النسخ والقطع المخطوطة من كتاب الريحانة وأرقامها مفصلة فى كتابنا : « لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكرى » (ص ٢٥٤ - ٢٥٩) فلتراجع هناك .

حول كتابيه « الإحاطة » و «الريحانة»، وذلك لما يتضمنه كلاهما من النصوص التاريخية القيمة ،المتعلقة بالتاريخ المشترك ، ومنها الكثير من أسرار مملكة غرناطة ، التى كان ابن الخطيب وزيرها ورجلها الأول ، وموجه سياستها نحو قشتالة ، وحلقة الوصل بينها وبين ملوك المغرب من بنى مرين ، عضد غرناطة القوى وحلفائها ضد قشتالة .

وقد كان من آثار هذا الاهتمام أن قام عمدة المستشرقين الإسبان الأستاذ فرانشيسكو كوديرا فى أواخر القرن الماضى برحلة خاصة إلى تونس ليستنسخ لمكتبة أكاديمية التاريخ بمدريد نسخة من مخطوطة كتاب « الإحاطة » المحفوظة بجامع الزيتونة ، باعتبارها يومئذ هى النسخة الوحيدة الكاملة من « الإحاطة » ، وذلك بالرغم مما يعتورها من الاختصار المخل ، فى كثير من التراجم ، ومن التصحيف البالغ والأخطاء الكثيرة . ثم كان من آثار هذا الاهتمام بعد ذلك ، أن قام المستشرق الإسبانى الكبير ماريانو جسبار رميرو[1] فى أوائل القرن الحالى بترجمة عدد كبير من رسائل الريحانة إلى اللغة الإسبانية تحت عنوان : Corresspondencia diplomatica entre Granada y Fes en el Siglo XIV .

« المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس فى القرن الرابع عشر » وقد بلغت هذه الرسائل نحو خمس عشرة رسالة ، وعدة من الخطابات الملحقة بها ، ومعظمها مرسل من السلطان يوسف أبى الحجاج ملك غرناطة إلى السلطان أبى عنان فارس ملك المغرب ، فى شئون مختلفة سياسية وعسكرية ،ورسائل تهانى بالفتوح ،وشكر عن الهدايا المتبادلة ، وبعضها مرسل من ولده السلطان محمد الغنى بالله إلى السلطان أبى فارس عبد العزيز ملك المغرب ، يخبره فيها بغزواته الناجحة ضد النصارى ، ومنها رسالة فى نفس الموضوع مرسلة منه إلى الخليفة الحفصى بتونس .

ونشرت هذه الرسائل تباعاً مقرونة بترجمتها الإسبانية فى مجلة :
Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y Su Reino
« مجلة مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكتها » .

---

(١) ماريانو جسبار رميرو ، مستشرق إسبانى أصله من أراجوان ، وولد نحو سنة ١٨٧٠ ، ودرس العربية فى مدريد على العلامة الكبير فرنشيسكو كوديرا ،وبدأ عمله أستاذاً للعربية والعبرية بجامعة غرناطة ، وأصدر كتابه الشهير عن « تاريخ مرسية الإسلامية » His. de Murcia musulmana (سرقسطة سنة ١٩٠٥) . وأنشأ منذ سنة ١٩٠٩ معهداً للدراسات العربية بغرناطة باسم : «مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكتها » Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino صدرت عنه المجلة التى تحمل نفس الاسم ، وصدر منها خمسة عشرة عدداً . ونشرت بها ترجمة إسبانية لعدة من رسائل « الريحانة » كما نشرت بها ترجمة إسبانية لتاريخ . . الأندلس وإفريقية » الوارد بكتاب « نهاية الأرب » للنويرى فى مجلدين (سنة ١٩١٧ – ١٩١٩) . وتوفى الأستاذ ريميرو حوالى سنة ١٩٤٠ .

وقد افتتحت هذه الرسائل بما يعتبر أهمها ، وهى الرسائل المتعلقة بفرار الأمير أبى الفضل محمد المرينى ولد السلطان الكبير أبى الحسن ، وأخى السلطان أبى عنان . وكان السلطان أبو عنان ، حينما تولى ملك المغرب ، قد رأى ان يبعث بأخويه أبى الفضل محمد وأبى سالم إبراهيم إلى غرناطة ليقيما فيها تحت رعاية السلطان يوسف أبى الحجاج ورقابته ، اتقاء لخروجهما عليه . ثم ارتأى بعد أن استقر ملكه وتمكن ، أن يعيدهما إلى المغرب ليكونا تحت رقابته ، فأبى السلطان أبو الحجاج وخشى غائلته عليهما ، واعتذر بأنه لا يقبل أن تخفر ذمته ، وجوار المسلمين المجاهـــدين . فغضب السلطان أبو عنان لذلك ، ووجه إلى أبى الحجاج رسالة عنيفة ، ينحى فيها عليه باللائمة . فيقال إن السلطان أبا الحجاج أوعز إلى أبى الفضل ، وهو أكبر الأخوين ، أن يلحق بملك قشتالة بيدرو الثانى (دون بطره) فاستمع أبوالفضل لتحريضه ، واستقبله ملك قشتالة بمودة وترحاب ، ورأى أن يجهزه بحملة بحرية إلى المغرب لمناوأة أخيه السلطان أبى عنان ليشغله عن إمداد مملكة غرناطة وإنجادها . وأنزلت السفن القشتالية أبا الفضل فى أرض السوس مع بعض القوات . ولكنها كانت محاولة فاشلة . وبعث أبو عنان قواته إلى السوس ، فاحتلت أقطاره ، وانتهى الأمر بالقبض على أبى الفضل واقتياده إلى فاس ، واعتقاله ، ثم قتله خنقاً فى محبسه بإيعاز أخيه بعد ذلك بأيام قلائل . وانتهت بذلك مغامرته التعسة ، وكان ذلك فى سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤ م) [١] .

وبعث السلطان أبو الحجاج على أثر ذلك ثلاث رسائل متوالية مكتوبة بقلم وزيره ابن الخطيب إلى السلطان أبى عنان يعتذر فيها عما حدث ، ويبرئ نفسه مما وجه إليه من الظنون ، ويشيد بما بين القطرين — الأندلس والمغرب — من أواصر المودة الوثيقة . وقد وردت فى الريحانة اثنتان من هذه الرسائل فى باب تقرير المودات ، ووردت الثالثة فى باب جمهور الأغراض السلطانية .

ونشرت هذه الرسائل مقرونة بترجمتها الإسبانية مع مقدمة للأستاذ ريميرو فى المجلة الغرناطية المشار إليها فى المجلد الثانى منها ، الصادر فى سنة ١٩١٢ ص ١٥١ — ١٩١ ، والثالث الصادر فى سنة ١٩١٣ ، والرابع الصادر فى سنة ١٩١٤ [٢] .

---

(١) ابن خلدون فى كتاب العبر ، ج ٧ ، ص ٢٩٣ و ٢٩٤

(٢) سوف ننشر فى نهاية هذا المجلد من « الريحانة » بياناً مفصلا بالرسائل التى نشرت من « الريحانة » فى مجلة الدراسات التاريخية الغرناطية ، وأماكن نشرها فى أعداد المجلة المذكورة . كما نشير إلى كل رسالة ترجمت إلى الإسبانية فى ذيل هذه الرسالة .

* كما نشرت بقية الرسائل المشار إليها مع ترجمتها الإسبانية تباعاً فى المجلد الثانى منها الصادر فى سنة ١٩١٢ .

وبنشر كتاب الريحانة يكون ابن الخطيب قد فاز بنشر معظم تراثه الذى انتهى إلينا ، ولا سيما بنشر مؤلفاته الرئيسية . ومما يلفت النظر ، أن يكون نشر كتابى « الإحاطة فى أخبار غرناطة » ، و « ريحانة الكتاب ونجعه المنتاب » وهما أعظم مؤلفاته التاريخية ، وأضخمها حجماً ، وأقيمها نصوصاً ، قد تم فى الفترة التى تدور حول الذكرى السنوية لوفاته ، (١٩٧٣ — ١٩٧٨) وهى الذكرى التى لم تحظ مع شديد الأسف من الاحتفال والتنويه بما كان واجباً أن تحظى به ، وذلك بالرغم مما لفتنا إليه الأنظار ، ودعونا إليه بشدة من وجوب الاحتفال بها قبل وقوعها بأعوام ، وقد كانت تقع فى سنة ١٩٧٤ ، واتجهنا بدعوتنا بالأخص إلى المغرب ، وهو البلد الذى عاش فيه ابن الخطيب فترة قلقة مثيرة من حياته ، وأشاد به وبمحاسنه وبملوكه أعظم الإشادة ، فى شعره ونثره ، وكتب فيه عدة من مؤلفاته ، ثم توفى به قتيلا ، وما يزال يرقد فيه رقدته الأبدية . وقد خسر المغرب ، وخسر العلم المغربى ، بإضاعة هذه الفرصة التاريخية العظيمة ، خسارة أدبية وعلمية فادحة ، تدعو إلى أشد الأسف والأسى .

ونحن نرجو أن يجد البحث التاريخى فى هذا المجلد الأول من كتاب « الريحانة » فضلا عن مزاياه الإنشائية والمراسيمية الملوكية ، كثيراً من الرسائل التى تلقى كثيراً من الضوء على تاريخ الأندلس والمغرب فى أوائل النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ، وعلى علائق بنى نصر ملوك غرناطة ، وبنى مرين ملوك المغرب ، وبالأخص على الدور الذى كان يضطلع به بنو مرين فى إمداد مملكة غرناطة ، أو الأمة الاندلسية « الغريبة » وإنجادها فى جهودها لمدافعة مملكة قشتالة ، حيث نجد فى كثير من رسائل الريحانة الواردة من ملوك غرناطة على بلاط المغرب ، تنويهاً وتفصيلا لهذا الدور التاريخى الهام .

كما نرجو من الله العلى القدير ، العون والمهلة ، لإتمام إخراج كتاب « الريحانة » كما أمدنا بجميل عونه فى إخراج كتاب « الإحاطة » .

وإنه لمن حسن الطالع ودلائل اليمن ، أن يجرى طبع كتاب « الريحانة » فى خاتمة القرن الرابع عشر ، وعلى مقربة من مطلع القرن الخامس عشر من عهد الهجرة النبوية المباركة ، جعلها الله فاتحة سعيدة ميمونة على أمتنا العربية الكريمة ، وعالمنا الإسلامى العظيم ، حافلة ببشائر الخير والعز والرخاء .

القاهرة فى فاتح ذى الحجة سنة ١٣٩٩
الموافق ٢٢ من اكتوبر سنة ١٩٧٩

محمد عبد الله عنان

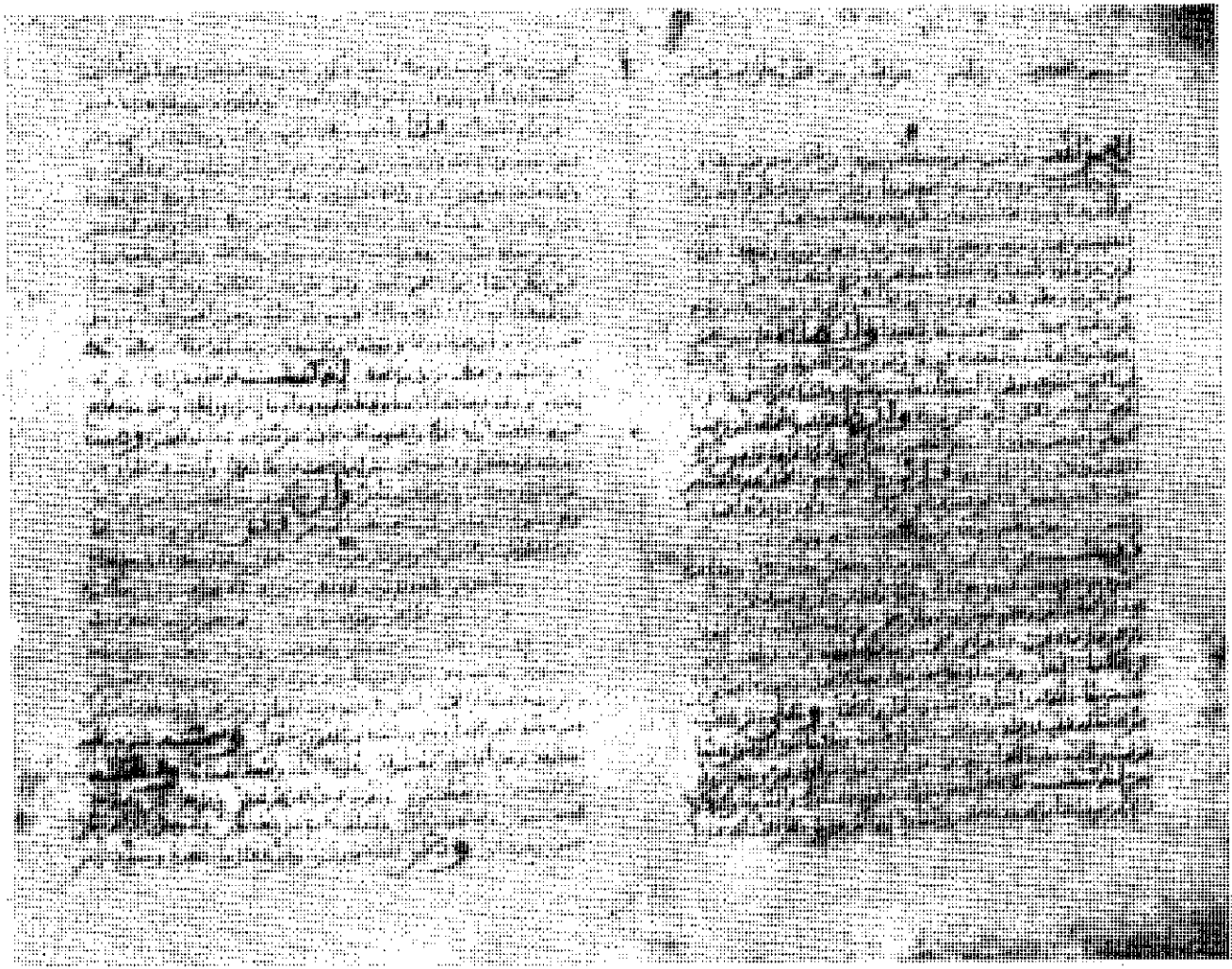

الصفحتان الأوليان من مخطوط كتاب « الريحانة » المحفوظ بمكتبة دير الإسكوريال
برقم ١٨٢٠ الغزيري و ١٨٢٥ دير نبور

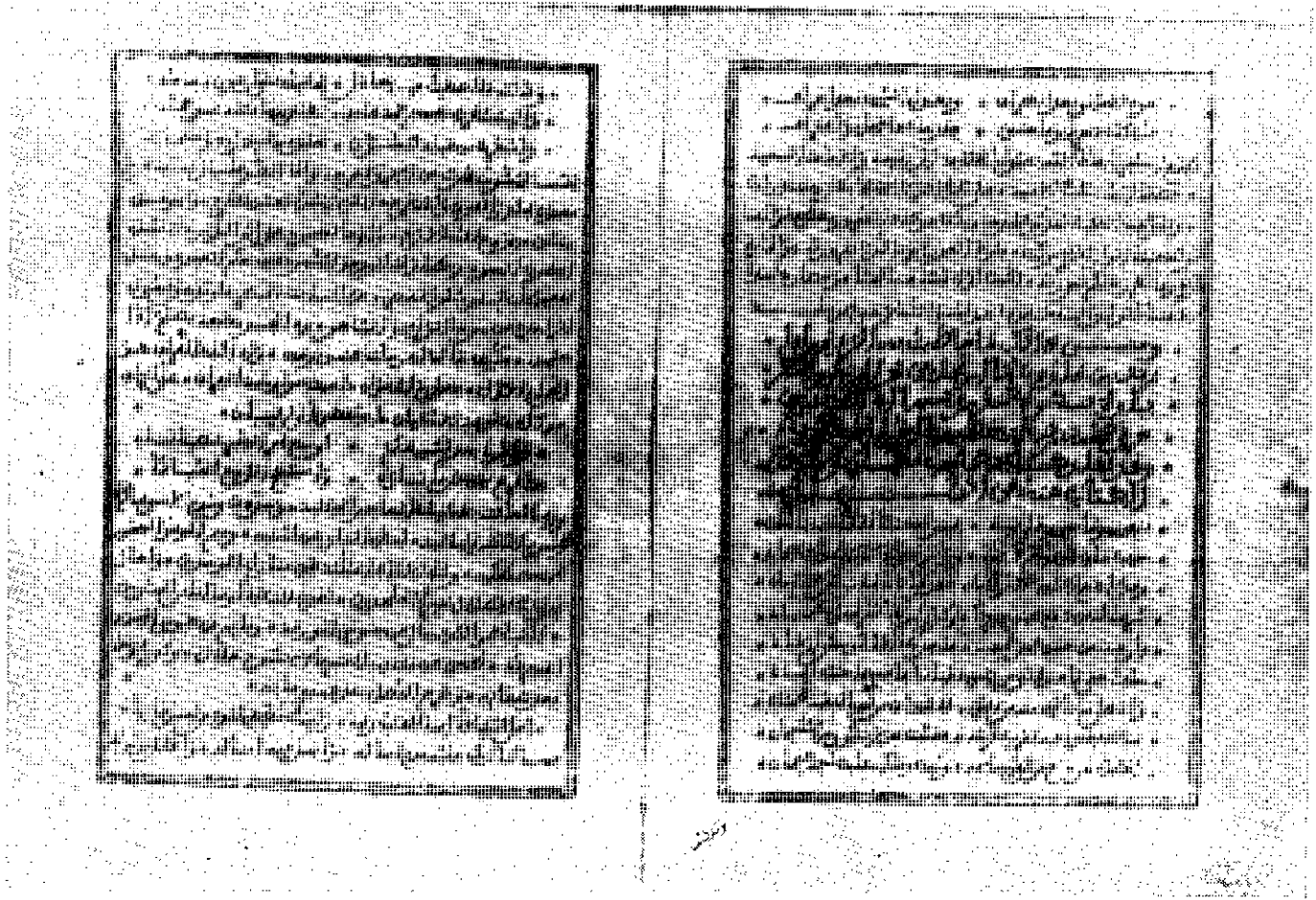

صفحتان من مخطوط كتاب الريحانة (القسم الأول) المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط برقم 2195

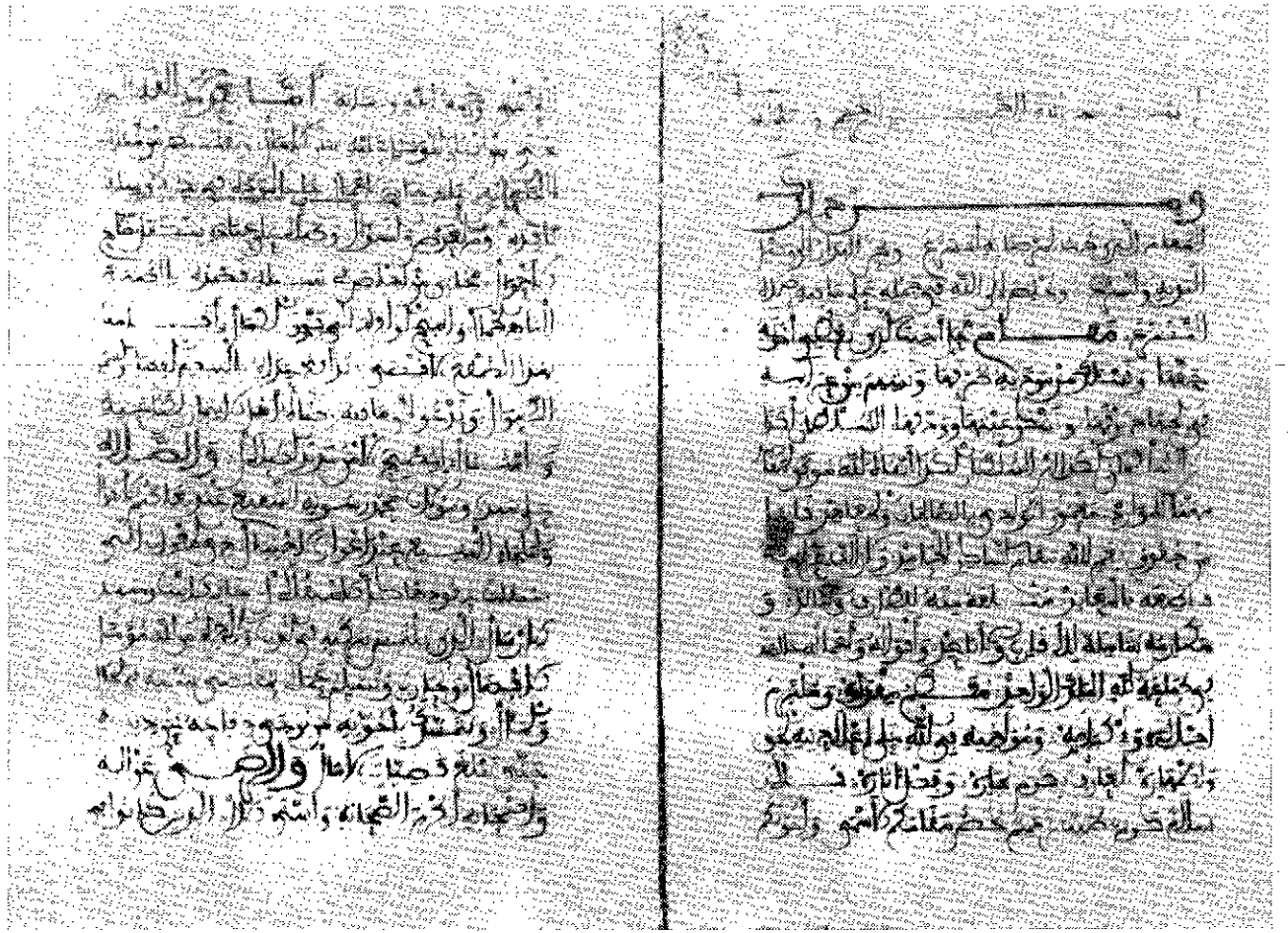

الصفحتان الأوليان من مخطوطة الريحانة المحفوظة بمكتبة الفاتيكان الرسولية برقم Borg.252

Revista del Centro de

Estudios Históricos

de Granada y su Reino

Núm. 4 AÑO 1914 Tomo IV

CORRESPONDENCIA DIPLOMÁTICA entre Granada y Fez. (Siglo XIV).

XII

Carta del sultán de Granada Mohamad V a Abuinan Fáres, sobre el estado político creado en Castilla por las discordias entre D. Pedro el Cruel y sus hermanos y sobre las treguas de paz puestas entre ambos reinos (1354-1357)

Por los documentos publicados en los artículos que preceden inmediatos a éste, se averiguaba que muerto D. Alfonso XI ante los muros de Gibraltar y descercada esta plaza por el rápido levantamiento del campo cristiano en los preciosos instantes en que los dos sultanes, Abuinan de Fez y Yúsuf de Granada se disponían a solicitar de aquél, por sus embajadores, un tratado de paz, el nuevo rey de Castilla, el popular D. Pedro I el Cruel, se avino desde luego y de buen grado al deseo de los sultanes moros, si bien exigiendo, particularmente al de Granada, algunas condiciones humillantes, como la de pagarle un tributo anual y la de acudir a auxiliarle con algunos cientos de jinetes en el caso de verse combatido en su gobierno. La paz quedó así pactada en Castilla, aceptando los sultanes moros aquellas condiciones que desde su fundación se exigieron siempre al reino de Granada, no sin gran repugnancia de su parte, obligados siempre por fuerza mayor y con el reservado propósito firme de aprovechar un estado de debilidad en Castilla, para sacudirse de ellas y lanzarse en reivindicación de las plazas que sucesivamente venían perdiendo en Andalucía.

Asesinado el sultán Yúsuf por un demente en Octubre de 1354, habiendo mantenido en sus últimos años de vida relaciones pacíficas

صفحة العنوان من المجلد الثاني عشر لمجلة الدراسات التاريخية الغرناطية الإسبانية ، وهي بداية النص الإسباني لرسالة عن أحوال قشتالة ، مرسلة من السلطان الغني بالله إلى السلطان أبي عنان

رموز المخطوطات

مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ برقم ١٨٢٠ الغزيرى ورقم ١٨٢٥ ديرنبور ، يرمز إليه بكلمة « الإسكوريال »

المخطوط رقم 2195 المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط ، يرمز إليه بكلمة « الملكية »

المخطوط رقم Borg. 252 المحفوظ بمكتبة الفاتيكان الرسولية ، يرمز إليه بكلمة « الفاتيكانه »

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى أقسم بالقلم تفضيلًا وتشريفًا ، واستخدمه من فوق الطباق السبع ، فأسمع من أسرى به إلى حضرة الجمع صريفًا ، وعلَّم الإنسان ما لم يعلم ، فأحلَّه بذلك محلًا شريفًا ، وصرَّفه فى كتابة الوحى تصريفًا ، وجعله نايب اللسان بيانًا للأمور الغايبة عن البيان وتعريفًا ، ومُقَيدًا لما يذهب بذهاب الزمان تدوينًا وتَصْنيفًا ، فلولاه لم نَدْر شرعًا ولا تكليفًا ، ولا اجْتَلينا خبرًا طريفًا[1] ، ولا استطلعنا لِعلم تـأْليفًا ، سرًّا غريبًا ، ومعنى لطيفًا ، يحار فيه الإدراك ، وإن لم يكن بليدًا كثيفًا ، ويموج بحر الاعتبار ، محيطًا بذوى الاسْتِبصار مُطيفًا . والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى كيَّف أسباب السعادة تكييفًا ، وهدى به صراطًا قويماً ، ودينًا حنيفًا ، وجعله أمينًا ، كى لا يستدعى توَّهم الاكتساب لما جاء به من النبوة والكتاب قولًا سخيفًا ، وما أوهم الالتباس بالأمر الشريف كان شريفاً. والرضى عن آله وأصحابه ، الذين كتبوا الوحى بأقلامهم ، وجوّدوا نقله عن أعلامهم ، لا يقبل تبديلًا ، ولا تحريفًا ، وكفى بذلك ، للكتابة والكتاب ، فخرًا لزيماً أليفًا ، فإنى ، وما أولى أنيتى بالمجاز عند الاختصاص بمعرفة نفسى ، والامتياز لما كبح السِّن عِنانى ، وعَمَر التشمير للرحيل[2] عن الربع الْمَحيل جَنانى ، واستقرَّ على الزهد فيما [يُجمع ويُؤلف][3] ، ويُدَوّن ويُصَنَّف شانى ، وإن عَذَل العاذل ، ورغم الشانى ، بقيت فى لفتيات البيان ، البديع الأثر والعيان ، عقايل نظرة ، وبقايا هوى لا يبرح من بعد المشيب عشاق بنى عُذره ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (ظريفاً) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الدحيل) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (يؤلف ويجمع) .

وغيرة تدعو إلى صون ما مهد له حَجْر ، والتمس فى حسن كفالته أَجر ، وتلقى فى مراودته وصل وهَجْر ، وارتقب لاجتلابه فى ليل الحبر فخر . وإن كان ذلك مما لا يحجب ، فالغيرة فيه أعجب ، وفيما فوقه أَوْجَب ، وأنِف لرياضة الأَنف ، أن يقتطعها الإغفال ، ولخزاينه أن تصدأ فوق مصاريعها الأَقفال ، ولجياده العتاق ، أن تلتبس منها بالهوادى المشرفة الأَعناق والأَعجاز والأَكفال . وعلى ذلك فألفيت عند الافتقاد عَقِب الرُّقاد ، بدايع[1] الأَدب النثر ، قد ضاعت ، وتملكتها أيدى الذُّهول عنها ، فوهبت وباعت ، بعد ما أَظمأَت وأَجاعت ، وإذًا فلم يبق إلَّا ثمرات من أَوقار عَيْر ، وشعرات من جِلْد بَعير ، إذ كنت قبل الاعتماد من الدولة النَّصْرية ، بالمشاورة والموازرة ، والمعاونة والمظاهرة ، والحرص على خدمتها ، بوظيفة الأَقلام والمثابرة ، إذ العمر جديد ، وظل النشاط مديد ، أَكل مسوداتها المجتلبة ، إلى حفظ الكَتَبة ، وأَرمى بعقودها البَذِخة ، إلى الأَنامل المنتسخة ، مشتغلًا عن الشىء بما يتلوه ، غافلًا عن منحطه بالغرض الذى يعلوه . والولد فى الغالب المختبر ، لا يقدر قدره إلَّا مع الكبر ، فلما بتُّ بهمِّه ، وتقت إلى جمعه وضمه ، وتوهمت الثراء بجمِّه ، راعنى صفور ناديه ، وقد عادته عواديه ، ونُضوب واديه ، من بعد إمداد غواديه ، وانخفاض ناديه[2] وصمات مناديه ، بعد حذق شاديه ، والتقاء حاضره وباديه . فأَدْمَيت الأَنامل ندمًا ، أَن صار وجوده عدماً ، إلَّا ورقات تشبَّثتْ بما أَسأَرته الحادثة على الدولة من سقط المتاع ، وشلو مُختلس من براثن سباع . سميته عند الاستقرار[3] بمدينة سَلا حرسها الله ، وقد اخترتها موادعًا[4] لفرق الدهر ، متمتعًا بصُبابة العمر « كُناسة الدكان بعد انتقال السكان » وأَضفت إليه من بعد ما خبأْته وجادة ، أَو ذخرته استجادة ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بضايع) ، والأولى أرجح .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شاديه) (٣) هكذا فى الإسكوريال والملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مراعاً) .

وما استلحق من بعد الأَوبة[١]، وبعد أن أظهر الدهر التوبة، ولو سلم جمُّه، لزخر يمُّه بما يلزم حمده أو ذمّه، ويتوجه إلى الإجادة أو ضدها مامّه، فالإكثار مَظنَّة السقط، وطرق السهو والغلط، من لوازم اللَّغط، إذ كنت قد تعدَّد عن الدولة النصرية إملاءى، وتردَّد فى مناضلة أضدادها ومجاملة أولى ودادها، إمْرارى وإحلاءى[٢] مما تنوءُ مفاتيح كنوزه، بالعُصْبة أُولى القوة، وتضيق منصَّات محافله عن مواقف عقايله الْمَجْلُوَّة. فرضيت منها بما حضر مضطرًّا، وقنعت بالذى تيسَّر، إذ أصبحت قانعًا معترًّا، وأثبته فى الأوراق من بعد الافتراق حَفِيًّا[برًّا][٣]، وإن لم أكُن به مُغْترًّا. وأنَّى لمثلى[٤] من بعد البياض بأزهار الرياض، وعلى مشاورة الارتياض، بارتشاف تلك الحياض. فقد كان أولى بى الإضراب عما زوَّره السَّراب، والاقتراب إلى من تُنال بقربه الأَراب، قبل أن يستأثر بعده الجوارح المعارة[٥] التراب، والإطلال على الطِّية والإشراف، وخلط الافتراق بالاعتراف، والسداد بالإسراف، فجاء موضوعه[٦] ميدان أغراض، وموقف نزاع وتراض، كم تضمن من مثير اعتبار[٧]، ومُشِير إلى أخبار، وذَم للدهر جُبار[٨]، وضراعة جبّار، وظفر صبّار، وأمر كُبّار، وآداب تستفز السامع، وتشنف دررُها المسامع. فسئل الذى حرَّك به عذبة اللسان، أن يتغمد سيئه[٩] بالإحسان، والذى بث داعيتها فى الجنان، المغرى بدلالتها خدمة البيان، أن يكن

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية.
(٢) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (إخلاءه).
(٣) الزيادة من الملكية.
(٤) وردت فى الإسكوريال (تمثلى) والتصويب من الملكية.
(٥) هكذا فى الإسكوريال. وفى الملكية (المعارات).
(٦) هكذا فى الإسكوريال. وفى الملكية (مجموعه).
(٧) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (اختيار)
(٨) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية.
(٩) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (ستينا).

على نكيرها بعادة الامتنان ، فعلى فضله تقف الآمال ، وبهدايته تستقيم الأقوال والأعمال [وهو الذى لا ينبغى إلا له الكمال][1] .

وسميته ، لتنوّع بساتينه المشُوقة ، وتعدُّد أفانينه المعشوقة «ريحانة الكتّاب ونُجْعة المُنْتَاب» . وقسّمته إلى حَمْدلة ديوان ، وتهنئة إخوان ، وتعزية فى حرب للدهر عوان ، [وأغراض ألوان] ، وفتوح يجليها السُّلوان ، ومخاطبات إخوان ، ومقامات[2] آنق من شُعَب بوان ، وغير ذلك من أغراض ألوان ، صِنوان وغير صنوان . والآن فلنأت بما وعدت ، ونحل عِقال ما اقتعدت ، وتتنوع أغراض هذا الرِّيحان المنتَشَق ، الذكية العبق ، إلى تحميد ثبت فى [صدور][3] بعض ما ينسب إلىَّ من المصنَّفات ، وما ألفى من الصَّدقات والبَيْعات ، ثم إلى كتب الفتوحات ، ثم إلى التَّهانى بالمكيّفات ، ثم إلى التعازى عن النايبات ، ثم إلى كتب الشكر على الهدايا الواردات ، ثم إلى الاستظهار على العدو ، واستنجاز العِدات ، ثم إلى كُتب الرسائل والشَّفاعات ، ثم إلى تقرير الموذّات ، ثم إلى جُمهور الأغراض السلطانيات ، ثم إلى مخاطبة الرعايا والجهات ، ثم إلى ظهاير الأُمراء والولاة ، ثم إلى ما خاطبت به عن نفسى ، أرباب المناصب الرفيعة والهيئات ، وعن غيرى من الأبناء والأذيال والحُرمات ، ثم إلى جُمهور الإخوانيات ، ثم إلى رسايل الفكاهات والدُّعابات ، ثم إلى المقامات فى الأغراض المختلفات ، ثم إلى بعض من أوصاف الناس فى الأغراض[4] والصِّلات ، ثم إلى الزَّواجر والعظات والمذكرات والموقظات .

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مقدمات) .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية عبارة (التواريخ المسجعة) .

التحميدات التى صدَّرت بها بعض التواليف المصنَّفات وهى بعض من كُل ويسير من جُل

ثبتٌ من ذلك فى صدر الكتاب [المتعدد الأَسفار][1] المسمى ببستان الدول، الذى أَذهبت الحادثة عَينه ، وشَعثت الكاينة زَيْنه : أَما بعد حمد الله ، الذى قدّر تدبير الوجود ، بمقتضى الغِنا المحض والجود ، على حسب مشيئته ومراده ، وفاضل بين ضروبه المتشابهة الأَشكال ، فى إقطاع حصص الكمال ، كل بحسب قبوله واستعداده ، فبدت مزية ناطقه على صامته ، وظهر فضل حيِّه على جماده ، وأَتم على نوع الإنسان جزيل الإحسان ، لما أَهله ببيان اللسان ، لقبول إلهامه وإمداده ، وخصه بمزيَّة الإنافة[2] ، لما نَصَب له كرسى الخلافة بين عباده ، وأَحكم سياسة وضعه عند اختراع صُنعه ، فجعل فكره وزير عقله ، ولسانه تُرجمان فؤاده ، وجبله على الافتقار إلى أَبناء جنسه ، والعجز عن تناول مؤنة نفسه ، وتحصيل مصالحه مع استبداده ، فكان مضطرًا إلى التآلف والاجتماع ، متمدناً بحسب الطباع ، لا يقوم أَمره مع انفراده ، ثم ضُمَّ نشره براع يحوط سوائمه أَن تتناطح وتتردَّى ، ويحفظ عوايده أَن تتجاوز وتتعدَّى ، ويحمله على مصالح دُنياه ومَعاده . فسبحان الحكيم العليم ، مُقدر الشىء قبل إيجاده ، الذى لا مُعقِّب لحكمه ، ولا مقدِّر لعلمه ، ولا مُفْلت عن معاده .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى فضله على الأَنبياء برِفْعة شأنه ، وعُلُوّ مكانه ، على تأَخُّر زمانه ، وقرب ميلاده ، وأَثنى على خلقه وصفاته . وأَقسم بِبَلده وحياته ، إعلامًا بشرف ذاته وكرم بلاده ، ووقف على

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإنابة) .

مَظْهره [درجات الكمال][1] ، وأبان بلسانه العربى أحوال الحرام والحلال ، وأقامه لإقامة قسطاس الحق والاعتدال ، ورفع عِماده ، صلى الله عليه وسلم ، وبارك وترحّم ، من صادع بالله ، أفاد روح الحياة ، الساطعة[2] الإفادة لكل حَيّ ، وطوى بِساط العدوان ، بسلطانه المنصور الأعوان أى طَيّ ، وقرر فى ملّته رُتَب السياسة الإلاهيّة ، فكان يعلم كل شىء ، وقابل زُخْرف الدنيا باقتصاره واقتصاده . والرضى عن آله وأصحابه ، وخلفائه ، ألْسِنَة جداله ، وسُيوف[3] جِلاده ، المستولين من الكمال الأقصى ، والشرف الذى لا يحصى ، على نهاياته[4] وآماده ، صلاة لا انْقِضاء لغاياتها ، ورضى لا نهاية لأعداده ، ما أرسل البرقُ سفُر جِياده ، وخطب الطَّير على أعواده . وهذا الكتاب انفرد بتَرْتيبٍ غريب ، لاشتماله على شجرات عَشْر ، أولها شجرة السلطان ، وآخرها شجرة الرّعايا ، واستلزام الكلام فى أصناف الموجودات . وتعدّد إلى ما يقارب ثلاثين سفرًا ، ضاعت عند الحادثة[5] ، إلّا مالا عبرة[6] به .

وثبتُّ أيضًا فى الكتاب المسمى « بتخليص[7] الذهب » .

المرفوع إلى خزانة السلطان [المقدس المجاهد][8] أبى الحجاج [ابن نصر

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السامعة) .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، ووردت فى الإسكوريال (سبوع) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نهاية) .

(٥) يشير ابن الخطيب هنا إلى الثورة التى نشبت بغرناطة فى رمضان سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) على يد الأمير إسماعيل بن يوسف أخى السلطان محمد (الغنى بالله) سلطان ابن الخطيب ، وفقد فيها محمد عرشه ، واضطر إلى الفرار ، ثم عبر إلى المغرب ، وقبض على ابن الخطيب ، وصودرت أملاكه ، ثم أطلق سراحه بشفاعة ملك المغرب السلطان أبى سالم ، وعبر مع مليكه منفياً إلى المغرب .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يؤبه) .

(٧) وردت فى الملكية (تخليص) ، وفى الإسكوريال (تلخيص) ، وهو تحريف ، وهو من كتب ابن الخطيب المفقودة . وقد أورد لنا المقرى اسمه كاملا فى أزهار الرياض (تخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الأدبيات) (ج ١ ص ١٩٠) .

(٨) هذه الزيادة من الملكية .

رحمةُ الله عليه][1]. أما بعد حمد الله ، الذى قَصَر وصف الكمال المحض على ذاته ، وجعل الأَلْسُن تتفاوت فى رُتب البيان ودرجاته ، والثناء عليه ، بما به على نفسه أثنى من أسمائِه الحسنى[2] وصفاته ، والاعتراف بالقُصُور عما لا تدركه قوى الأَذهان من كنه سلطانه العظيم الشأْن ، فكثيرًا ما كان عُجْبُ الإنسان من آفاته . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، الصَّادِع بآياته ، الْمُعْجِز ببيِّناته[3] ، الذى اصطفاه لحمل أَمانته العظمى ، وحباه بالقدر الرفيع ، والمحل الأَسمى ، والله يعلم حيث يجعل رسالاته . والرضى عن آله وأَصحابه [وأَحزابه][4] نجوم الدين وهُداته ، وأَنصار الحق وحُماته .

وثبتٌ أَيضًا فى الكتاب المسمى « بجيش التوشيح »

من تأْليفى ، وهو المرفُوع للسلطان[5] المذكور رحمة الله عليه

الحمد لله الذى انفرد بالكمال المحض ، فى مَلَإِ السموات والأَرض ، وَصْفًا ونَعْتًا ، ولم يخصّ بالفضائل الذاتية والمواهب اللدنّية ، بلدًا ولا وقتًا ، مُطلع شمس البلاغة[6] والبيان ، تتجلى من اختلاف أَغراض اللسان فى مطالع شَتَّى ، وجعل مراتب حاملى رايتها ، متباينات فى التماس غاياتها ، فواصلًا ومُنْبتًا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، الذى حاز المجد صرفًا ، والشرف نَعْتًا ، ونال من الكمال الْبَشرى ، غاية لا تحدُّ بإِلى ولا حتًّا ، وخير من ركب ومَشَى ، وصاف وشتًّا ، صلاة يجعلها اللسان هجيراه ، كيفما يتمكن له أَو يتأَتَّى ، والرضا عن آله وصحبه ، الذين اقتدوا[7] به هَدْيًا وسَمْتًا ، وسلكوا من اتباعه طريقًا ، لا ترى

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ببيانه) .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إلى خزانة السلطان) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العيان) .
(٧) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (اهتدوا) والأولى أرجح .

فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا ، ما علَّل الغمام نبتًا ، وتعاقبت الأَيام أحدًا وسَبْتًا ، وما وافق سعى بختًا ، وآثرت أُمهات القريحة نبتاً [ورتبت هذا الكتاب ترتيباً ، لا يخفى أحكامه ، وبوَّبته تَبْويبًا ، يسهل فيه مرامه ، كلما ذكرت حرفًا ، قدمت أرباب الإكثار ، وأُولى الاشتهار ، من بعد الاختيار ، والبراة من عهدة النسبة ، اتِّهامًا للأَخبار . ثم أتيت بالمجهول منها على الآثار ، حتى كَمَل على حسب الوُسْع والاقتدار ، فإن وافق الإرادة ، فشكرًا لله وحمدًا ، وإن ظهر التقصير ، فخديم استَنْفَد جهدًا . ومن الله نسئل أن يتغمد الزلل ، ويتدارك الخلل ، ويبلغ من مرضاته الأَمل ، فما خاب لديه من سأَل][1] .

وثبتٌ أيضًا من تأْليفى فى الكتاب المسمى «باللمحة البدرية فى الدولة النصرية»

الحمد لله الذى جعل الأَزْمِنة كالأَفلاك ، ودول الأَملاك ، كأَنجم الأَحلاك ، تطلعها من المشارق نَيِّرة ، وتلعب بها مستقيمة أَو مُتحيِّرة ، ثم تذهب بها غابرة أَو متغيِّرة ، السابق عَجِل ، وطبع الوجود مُرْتَجِل ، والحى من الموت وَجِل ، والدهر لا مُعْتذر ولا خجل ، بينما ترى الدَّسْت عظيم الزحام ، والموكب شديد الالتحام ، والوَزَعة تشير ، والأَبواب يَقْرَعُها البشير ، والسُّرور قد شمل الأَهل والعَشِير ، والأَطراف تلثمها الأَشراف ، والطاعة يشهرها الاعتراف ، والأَموال[2] يحُوطُها العدل ، أَو يبيحها الإسراف ، والرّايات تُعقد ، والأَعطيات تُنْقَد ، إذ رأَيت الأَبواب مهجورة ،والدُّسُوت لا مؤمَّلة ، ولا مزورة ، والحركات قد سَكَنَت ، وأَيدى الإدالة قد تمكَّنت ، فكأَن لم يَسْمر سامرٌ ، ولا نهى ناه ولا أَمر آمرٌ . ما أَشبه الليلة بالبارحة ، والغادية بالرايحة ، إنما مثل الحياة الدنيا ، كماءٍ أَنزلناه

---

(١) هذه الفقرة المحصورة بين الخاصرتين واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (والأحوال) والتصويب من الملكية .

من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيمًا تذروه الرياح[١] ، فالويل لمن يترك حسنة تنفعه ، أو ذكرًا جميلًا يرفعه ، فلقد عاش عيش البَهِيمة النَّهيمة ، وأضاع جواهر عمره الرفيعة القيمة ، فى السبل غير المستقيمة ، وبدَّد أمانته [سبحانه][٢] فى المساقط العقيمة . وطُوبى لمن عَرَف المصير ، وغافص الزمن القصير ، فى اكتساب مَحْمدة[٣] ، تبقى بعده شهابًا ، وتخليد مَنْقَبة[٤] ، [تبقى بعده][٥] ثناءً وثواباً ، فالذكر الجميل كلما تخلَّد استدعى الرحمة وطلبها ، واستدنى المغفرة واستجلبها . فلمثله فليعمل العاملون [وغايته فليأمل الآملون][٦] . والدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى أوضح[٧] حقارة الدنيا عند الله وبَيَّن ، وحدَّ البلاغ منها وعَيَّن ، وخفض الكلمة وبَيَّن ، وحَسَّن الدار الآخرة وزَيَّن ، وخفض أمر هذه الدار الغَرور وهيّن ، وقال صلوات الله عليه ، أكثروا من ذكر هادم اللذات ، كيلا تتشبث بها يد ، ولتنظر نفس ما قدَّمت لغد . والرضا عن آله ، الذين جسازوا على ظهر جسرها الممدود ومرُّوا ، ولَقُوا الله وهم لم يَغْتَرُّوا ، فكانوا إذا عاهـــدوا[٨] برُّوا ، وإذا تليت آيات الله عليهم خَرُّوا ، وكانوا عند حدود الله لا يبرحون [وبسوى مذاهبه الباقية لا يفرحون][٩] أولئك حزب الله ، ألَا إنَّ حِزْب اللهِ هُم المفلحون .

---

(١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الريح) .
(٢) زائدة فى الملكية .
(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (منفعة) والأولى أرجح .
(٤) كذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (محمدة) .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تفيده) .
(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شرح) .
(٨) وردت فى الإسكوريال (عهدوا) والتصويب من الملكية .
(٩) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

وثبتٌ فى صدر الرَّجز المشروح المسمى
« برقم الحلل فى نظم الدول »

الحمد لله الذى مُلْكه الثابت لا يَدُول وعِزُّه الدايم لا يزول ، وأَحوال ما سواه تحول ، وإليه وإن طال المدا الرجوع ، وبين يديه المثُول ، الذى جعل الدنيا جسرًا ، عليه للآخرة الوصول ، ومتاع الحياة القصيرة ابتلاءً يتعقَّبه النكير أَو القبول . فمهما طلع فى دول الأَيام شان ، أَعقبه الأُفُول ، أَو متع[1] فى أَجوايها ضحى تلاه الطفول . والصلاة على سيدنا محمد ، رسوله المصطفى ، ونِعْم الرسول ، الذى باتباعه يُبلغ من رضى الله السُّول ، ويُسوَّغ[2] المأْمول . أَنصح من بَيَّنَ قدر الدنيا ، بما كان يفعل ويقول ، وغبَّط بالآخرة التى فى مستقرها الأَبدى الخلول . والرضا عن آله وأَصحابه ، سيوف دينه ، التى بها يَصُول ، إذا فرقت النُّصول ، وهداة أُمته ، إذا تُنُودى الصحيح المنقول [والصريح المعقول][3] ، فإن الدنيا ظَهْرٌ قَلِق ، ومتاعٌ خَلِق ، وسراب مُؤتلق . هذا يعد الجميل فيصرع ، وهذا يرى الجدة ، فيتمزق ويتصَدَّع ، وهذا يؤم السراب فيُخْدع ، والمعاد الملتقى والمجمع ، ومن خَسِرالله ففِيم يطمع ، ولاأَجْلَب للاعتبار ، من استطاع الإِخبار ، ولا أَبتَّ فى عضد الاغترار ، من الاسْتِبصار ، فى وقايع الليل والنهار ، وتحول الأَحوال ، وتطور الأَطوار .

وثبتٌ فى الكتـــاب المسمى أَيضًا
« بالسِّحر والشِّعر » من تـأْليفى ما نصه :

الحمد لله الذى راش أَجنحة الأَفهام بالإِمداد والإِلهام ، فمضت إلى أَغراضها

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سمع) .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يصوغ) .
(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

مُضى السهام ، وأنشأت[١] فى آفاق[٢] العقول ، سحب الخواطر ، ما بين الْمُخلف والماطر ، والصَّيِّب والجِهام . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، خير الأَنام ، الذى جعله فى روض هذا الوجود المجود ، بسحاب الجود زهرة الكمام ، وختم ديوان الأَنبياء ، من دعوته الحنيفية السَّمحة بمِسْكة الختام . والرضا عن آله البررة الأَعلام ، أُولى النُّهَى والأَحلام ، ما قذفت بشهب الحكمة نحل الأَقلام ، وسلم تسليمًا كثيرًا . وبعد فإنى لما يسَّر الله منى للآداب جالى سِماتها ، وناشر [رِمَمِها][٣] بعد مماتها . وصاقِلُ صفحاتها ، وقد محا محاسنها الصَّدا ، بَعْد بُعْد المدَا ، وموضح طريقتها المثلَى ، وقد أَضحت طرائق قِدَدا ، والغاشى لضوء نورها ، لعلِّى أَجد على النار هدى . بذلت فيها من كل دَن ، ولم أَقتصر من [فنون غرايبها][٤] على فَن . فجعلت عقايلها تتزاحم علىَّ ، تزاحم الْحُور على ساكن جنات الحبور ، فقيدت من شَوَارِدها بالكتاب ، ما لا تقلُّه ذوات الأَقتاب ، وأَتيتُ بيوتها من الأَبواب ، فكان ما قيدته من الْغُرر ، وانتقيته من نفايس تلك الدُّرَر ، أَناشيد لو تجسَّدَت للعيون ، لكانت ياقوتًا ، أَو استُطعمت لكانت للقلوب قُوتًا . ولو ورد الأَمر فى الخبر المنقول ، بحفظ نتايج القرائح [والعقول][٥] ، لكانت على المؤمنين كتابًا مَوْقُوتًا . من كل عراقيّة المنتمى ، مترددة بين الرُّصافة ومحراب الدُّمى ، ماءُ الرافدين على أَعطافها يسيل ، وسُرَّ من رأَى ، ما انجلى عنه خدُّها الأَسيل . وشاميَّة تقلَّبت بين الجابية والبلاط أَى مُنْقَلب . وبقيّة مما ترك آل حَمدان فى حَلَب . وحجازية وَرَى لها [فى الفصاحة][٦] الزَّند ، وتضَوَّع من

---

(١) وردت فى الإسكوريال (وأنشأ) والتصويب من الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (أفق) والتصويب فى الملكية .
(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فنونها) .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

أذيالها الشِّيح والرِّنْد . ويمنيَّة تعلَّمت صنعاءُ منها وشْيَ برودها . وخُراسانيَّة غار سَحْبان ببرودها ، ومِصْرية ضرب على محاسنها الفسطاط ، وهاجرت بسببها الأَنْباط ، وسكنت مدينة الإسكندرية حيث الرِّباط . وإفريقية تفرقُ النفوس لتوقع فراقها . وتغار الشموس عند إشراقها . وغربية حطت لها العصم ، وطلعت آياتها من المغرب ، فبَهِت الخصم . وأَندَلُسِية لها الشُّفْوف ،أَولياؤها الكموت ، وشهودها الصفوف ، وخُدورُها البنود ، وظلالها السيوف ، وبيوتها الثغور ، وغروسها الجهاد المعروف ، وهو على ترتيب معلوم ، ووصف موسوم ، من المدح وما يقاربه ، والنسيب وما يناسبه ، والوصف وإن تشعبت مذاهبه ، والمُلح وفيهـــا محاسن الشيء ومعايبه ، والحِكم والزهد ، ومـــا اشتمل عليه واجبه ، فجاء تمامه نُسْك ، وختامه مِسْك ، ليكون أَجمع للفكر ، وأَسهل للذكر . وقسَّمت ما تضمنه قسمين ، سِحر وشِعر [وربما عُوجلت بالاستفهام عن هذا الإبهام ، فنقول إن الشعر ليس فى أُمة من الأُمم محصور ، ولا على صِنْف من البشر مَقْصُور ، وهو فيها يوجد الأَوايل ، ويلفى أَعم من أَن يشمله الوزن المُقَفَّى ، أَو يختص به عروض يكمل وزنه فيه ويوفَّى . فمن الشعر عندهم ، الصور الممثلة ، واللعب المخيلة ، وما تأَسس على المحاذاة ، والتَّخييل ببناء ، ككتاب كليلة ودمنة وما فى معناه . إلا أنه فى سجية العرب أَنهر ، وهم به أَشهر . ولذلك يقول بعض حكماء الفُرْس ، الشعر حِلية اللسان ، ومَدْرجة البيان ، ونظام للكلام ، مفهوم غير مَحْظُور ومشترك غير مَقْصور ، إلا أَنه فى العَرَب جوهرى ، وفى العجم صناعى . ومتى يخلى الكلام عن هذا الغرض ، وعدل عن واجبه المفترض ، وخاض فى الأُمور الشَّايعة ، والمقدمات الزاهية ، ولم يعدل عن المشهور ، فى مخاطبة الجمهور ، بعد ترك الشعر وتعداه ، وأَفضى به إلى باب الحكاية مداه ، ولكل منها فى الكتب المنطقية باب يضبطُ أُصوله ، ويبيِّن خواصه وفصوله . ثم إن العَرَب لم

تعتبر هذا التَّنصِيص ، وعممت فسمَّت الشعر كل كلام يحضره الوزن والقافية ، ويقوم الروى لجنابه مقام الخافية ، ويختص به من الأَعاريض المتعارفة فروض ، ويقوم به نظام معروف ، ووزن مفروض . وعددها حسبما نقل واشتهر ، خمسة عشر ، ويقتضى أكثر من ذلك التقسيم والتَّفْعيل ، لكن نَبا بهم عن لسانهم المقيل ، ولم يركب منجها القيل ، واضطرد على هذه الوَتِيرة الشِّعر ، فطما منه البحر الزاخر ، وتبعت الأَوايل الأَواخر ، وثبتت فى ديوانه الوقايع والكَوَاين ، والمكارم والمفاخر ، ومات الحىُّ ، وحُيِّى العَظْم النَّاخر ، فما جنح إلى التخييل منه والتشبيه ، وحل محل الاستعارة بالمحل النبيه ، لم ينم عنه عرق أَبيه ، وأَغْرَق فى باب الشِّعر أَتمَّ الإغراق ، وكان شعرًا على الإطلاق . وما قعد عن درجه ، ولم يعرج على مُنْعرجه ، فهو عندها شعر تَسْتَحسنه وتَرْتَضيه ، ويوجبه لِسانُنا ويقتضيه . وإذا تقرر هذا التقسيم ، وتضَوَّع من روض البيان النَّسيم ، وبَهَر الحق الوجه الوسيم ؛ فلنرجع إلى غرضى الذى اعتمدته ، ومطلبى الذى قصدته . ولما كان السِّحر قوة ، ظهر فى النفوس انفعالها ، واختلفت بحسب الوارد أَحوالها ، وتراءى لها فى صورة الحقيقة خيالها ، ويبتدئ فى هيئة الواجب مجالها ، وكان الشعر يملك مَقادتها ، ويغلف عادتها ، وينقل هيئتها ، ويسهل بعد الاستصعاب جيئتها ، ويحملها فى قَدِه على الشىء وحده . وإذا عضد بما يناسبه ، وتفضى إليه مذاهبه ، وقرنت به الأَلحان ، عَظْم الأَثر ، وظهرت العِبَر ، فشجّع وأَقدم ؛ وسهَّر ونوّمَ ، وأَضحك وأَبكى ، وكثير من ذلك يُحكى . وهذه قوى سحرية ، ومعانٍ بالإصابة إلى السحر حَرِيّة ، فمن الواجب أَن يسمى الصنف من الشعر ، الذى يخلب النفوس ويفزُّها ، ويستثنى الأَعطاف ويهزُّها ، باسم السِّحر الذى ظهرت عليه آثار طباعه ، وتبيَّن أَنه نوع من أَنواعه . وما قَصُر عن هذه الغاية القاصية ، والمزية الأَبيَّة ، على المدارك المتعاصية ، سمى شعراً ، تختلف أَحواله عند الاعتبار ، ويتبين شبهه من النظار .

فمنه ما يلفظ ، عند ما به يلفظ ، فلا يُروى ولا يُحفظ . ومنه ما يُعبث به ويُسخر ، ولا يُقتنى ولا يُدَّخر . ومنه ما اشتمل على لفظ فصيح ، ومعنى صحيح ، وقافية وثيقة ، ومثارة أنيقة ، واشتمل على الحِكَم والأمثال ، ومعظم الشعر على هذا المثال . ولكل قسم بيت مشهور ، وشاهد مذكور ، وإذا قلت شِعْرًا فعلى هذه المقاصد المنوِّبة ، وإذا قلت سِحْرًا ، فالتخصيص والمزية ، بمعنى الأولوية . وظهر بعد استمرار هذا الترتيب ، برهة من نظم هذين السِّمْطَين ، واختيار هذين النَّمَطين ، أن الفرق بينهما ، كثير الدقة واللطافة ، وأن الاختيار من باب القافية ، وأن التحسين والتقبيح من باب الإضافة ، إذ أشخاص المحبوبات ، تقع بينها وبين النفوس التى تكلف بها ، وتتعلق بسببها ، علاقات لا تُدرك ، ومُناسبات تعجز عنها فتُتْرك . وكثيرًا ما عشق العقل من الجمال لهذا السبب ، وأخلاق نفوس البشر مثار العجب . وتركت الاختيار ، بعد أن أشرقت مطالعه ، ووكلته لمن يقف عليه أو يطالعه ، فإننى إذ أغفلت الاختيار ، حُزتُ على الأُسّ الخيار ، فيظن الناظر فيه ، بعد تحكيم ذوقه ، واستنزال روحانية التمييز من فوقه ، أن نظرى موافق لنظره ، وأن أثرى حَذْو أثره . ورتبته على الحروف ، ليكون أنسب للترتيب ، وأليق بالمغنى العجيب[(١)] . فجاء مجموعًا[(٢)] قلما اتفق أو تَأَتَّى ، ومصنوعًا لا ترى فيه عِوَجًا ولا أمْتا ، ريحانة الأُنوف الشُّم ، وخبيئة الجيب والكم ، لم يقع غيرى على مثاله ، ولا نسج بهذا الصقع[(٣)] سواى على منواله ، وهذا حين ابتدى . والله ولىُّ المرشد ، فى هذا القصد .

---

(١) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الحاصرتين واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (موضوعاً) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الصنع) .

وثبت أيضًا فى صدر كتابى الذى يشتمل على
«تاريخ غرناطة»[١] فى إثنى عشر سفرًا، ما نصه:

[أما بعد حمد الله، الذى أحصى الخلائق عدداً، وابْتَلاهُمْ اليوم ليجزِيَهم غدًا، وجعل جيادهم تتسابق فى ميادين[٢] الآجال إلى مدًا، وباين بينهم فى الصور والأخلاق، والأعمال[٣] والأرزاق، فلا يجدون عمّا قُسم محيصًا، ولا فيما حكم مُلْتَحَدًا، ووسعهم علمه على تباين أفرادهم[٤]، وتكاثف أعدادهم، والدًا وولدًا، ونسباً وبلدًا، ووفاة ومولدًا. فمنهم النَّبِيه والخامل، والحالى والعاطل، والعالم والجاهل، ولا يظلم ربُّك أحدًا. وجعل لهم الأرض ذَلُولًا، يمشون فى مَناكِبها، ويتخذون من جبالها بيوتًا، ومن متاعها عُددًا. وخصَّ بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغتباط والاعْتِمار، وتحثُّ على السكون والاستقرار، مُتبوءًا فسيحا، وهوءًا صحيحًا، وماءً نميرًا، وإمتناعًا شهيرًا، ورزقًا رَغَدًا. فسبحان من جعل التفاضل فى المساكن والساكن، وعرّف العباد عوارف اللطف، فى الظاهر والباطن، ولم يترك شيئًا سُدًا.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد، رسوله[٥]، الذى ملأ الكون نورًا وهُدًى، وأوضح سبيل الحق، وقد كان طرايق قدَدًا، أعلى الأنام يدًا، وأشرف الخلق ذاتًا، وأكرمهم مَحْتِدًا، الذى أنجز الله به من نصر دينه [الحق][٦]

---

(١) تاريخ غرناطة يقصد به هنا كتاب «الإحاطة فى أخبار غرناطة»، وقد استعمل ابن الخطيب هذه التسمية فى مواطن كثيرة، ومنها فى صيغة الوقف التى صدرت بتحبيس نسخة كتاب «الإحاطة» التى أرسلها ابن الخطيب إلى القاهرة، وقفاً على طلاب العلم (٧٦٩ هـ). ويستعمل الغزيرى فى فهرس الإسكوريال هذه التسمية أيضاً فيما ينسبه من الشذور الكثيرة التى نقلها فى فهرسه عن «تاريخ غرناطة»، هذا وقد ورد اسم الكتاب كاملا «الإحاطة فى تاريخ غرناطة» فى الملكية.

(٢) هكذا فى الإحاطة والإسكوريال، وفى الملكية (ميدان).

(٣) هكذا فى الإحاطة والإسكوريال، وفى الملكية (أعمار).

(٤) هكذا فى الإسكوريال والملكية، وفى مقدمة الإحاطة (أفراقهم)، (القاهرة ١٩٧٣ ج ١ — ص٧٩)

(٥) واردة فى الإسكوريال والملكية وساقطة فى الإحاطة.

(٦) واردة فى الإحاطة والملكية، وساقطة فى الإسكوريال.

موعدًا ، حتى بلغت دعوته ما زوى له ، من هذا المغرب الأقصى ، فرفعت بكل هَضْبة معلمًا ، وبنت بكل قلعة مسجدًا . والرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا لسماء سنته عمدًا ، ليوث العدا ، وغيوث الندى ، [ما أقل ساعد يدا ، وعمر بكرُ خالدا[1] ؛ وما صَباح بَدا ، وأورق شَدا][2] . فإن الله عزَّ وجهه ، جعل الكتاب لشوارد العلم قيدًا ، وجَوارحَ اليراع تثير منه فى سهول الرقاع صَيْدا . ولولا ذلك لم يشعر آتٍ فى الخلق بذاهب ، ولا اتصل شاهد بغايب ، فماتت الفضايل بموت أهلها ، وأفَلَت نجومها عن أعين مُجْتليها ، فلم يُرجع إلى خبر يُنقل ، ولا دليل يعقل ، ولا سياسة تُكْتَسب ، ولا أصالة إليها يُنتسب ؛ فهدى سبحانه وألْهَم ، وعلَّم الإنسان بالقلم عِلْمَ ما لم يعلم ، حتى ألفينا المراسم بادية ، والمراشد هادية ، والأخبار منقولة ، والأسانيد موصولة ، والأُصول محررة ، والتواريخ مقررة ، والسير مذكورة ، والآثار مأْثُورَة ، والفضايل من بعد أهلها باقية خالدة ، والمآثر ناطقةٌ شاهدة ، كأن نهار الطِّرْس ، وليل المداد ، ينافسان الليل والنهار ، فى عالم الكون والفساد ، فمهما طويا شيئًا ، ولعا بنشره ، أو دفنا ذكرًا دعوا إلى نشره . ولو أن لسان الدهر نطق ، وتأمل هذه المناقضة وتحقق ، لأتى بما شاء من عتب ولوم ، وأنشد : أعلمه الرماية كل يوم .

ولما كان هذا الفن التاريخى فيه مَأْرَبُ البشر ، [وداع إلى ترك الأثر][3] ، ووسيلة إلى ضم النَّشر ، يعرفون به أنسابهم ، وفى ذلك شرعًا وطبعًا ما فيه ، ويكتسبون به عقل التجربة فى حال السكون والتَّرفيه ، ويستدلون ببعض

---

(١) وردت فى الإسكوريال (فكر خلدا) ، والتصويب من الإحاطة .

(٢) الفقرة الواردة بين الحاصرتين هى التى وردت فقط فى الملكية من مقدمة الإحاطة . ووردت فى صفحة متقدمة على مكانها فى نسخة الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة فى الريحانة وساقطة فى الإحاطة .

ما يبديه الدهر على ما يخفيه ، ويرى العاقل فى قدرة الله تعالى ، ما يشرح صدره بالإيمان ويشفيه ، ويمر على مصارع الجبابرة ، فيحسب ذلك واعظًا ويكفيه . وكتاب الله يتخلله من القَصَص ، ما يتمم الشاهد لهذا الفن ويُوفيه . قال الله سبحانه[١] : « وكلًّا نقص عليك من أنباءِ الرسل ما نثبت به فؤادك » . وقال عز وجل : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وإن كنت من قبله لمن الغافلين » .

فوضح من حقِّه سبيل مبين ، وظهر أن القول بفضله ، [يقضى به][٢] عقل ودين ، وأن بعض المصَنِّفين ممن ترك نومه لمن دونه ، وأَنْزَف ماءَ شبابه ، مودعًا إياه بَطْن كتابه ، يقصده الناس ويردونه ، اختلفت فى مثل هذا الباب أغراضهم ، فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان ، ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأَعيان ، عجزًا عن الإحاطة بمثل هذا الشأْن ، عمومًا فى أكثر الأَوقات[٣] ، وخصوصًا فى بعض البلدان . فاستهدف إلى التعميم فرسان الميدان ، وتوسَّعوا بحسب مادة الإطلاع وجَهْد الإمكان ، وجنح إلى التخصيص من أثر الأَولوية ، بحسب ما يخصه من المكان ، ويلزمه من حقوق السكان ، مُغْرمًا برعاية عهود وطنه ، وحُسْن العهد من الإيمان ، بادئًا بمن يعوله ، كما جاءَ فى الطُّرق الحِسان . فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد [تاريخًا لبلده][٤] ، هزَّ إليها علم الله ، وفاءٌ وكرم ، ودار عليها بفضل الله ، من رحمته الواسعة ، حرم ، كتاريخ كذا ، وتاريخ كذا[٥] .

---

(١) هكذا فى الريحانة ، وفى الإحاطة (تعالى) .

(٢) هكذا فى الريحانة ، وفى الإحاطة (يقتضيه) .

(٣) هكذا فى الريحانة ، وفى الإحاطة (الأقطار) .

(٤) هكذا وردت فى الريحانة ، وفى الإحاطة (لوطنه تاريخاً) .

(٥) هنا أغفل ابن الخطيب ذكر أسماء ما أورده فى مقدمة « الإحاطة » من مختلف أسماء كتب التاريخ الخاصة بمختلف البلدان مما يملأ نحو صفحتين .

فداخلتنى لقومى[١]، عَصَبيَّة، لا تقدح فى دين ولا منصب، وحميَّة لا يُذم فى مثلها متعصب، رغبة أن يسع سواهم ذكرهم، من فضل الله جناب مخصب، ورأيت أن هذه الحَضْرة[٢]، التى لا خفاء بما وقَّر الله، من أسباب إيثارها، وأراده من جَلالة مقدارها، إذ جعلها ثغر الإسلام، ومتبوَّأ العرب الأَعلام، قَبيل رسوله، عليه أفضل الصلاة، وأطيب[٣] السلام، وما خصَّها به من اعتدال الأقطار، وجَرَيان الأَنهار، وانفساح الاعتمار، والتفاف الأشجار. نزلها العرب الكرام عند دخولهم، مختطِّين ومقتطعين، وهبّوا بدعوة فضلها مُهْطعين، فعَمَروا وأولدوا، وأثبتوا المفاخر وخلَّدوا، إلى أن صارت دار مُلْك، ولَبَّة سِلْك، فَنَبُه المقدار، وإن كان نبيها، وازدادت الخُطة ترفيهًا، وجلب لسوق الملك ما نفق فيها. فكم ضمت جدرانها من رئيس، يتقى الصباح هجومه، ويتخوف الليل إطراقه ووجومه، ويفتقر الغيث لنوافله الممنوحة وسجومه، وعالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها، وتدعوه المشكلات فيأْخذ بنواصيها، وعارفٌ[٤] بالله قد وسم السجود جبينه، وأَشْعَثَ أَغْبَر لو أقسم على الله لأَبرَّ يمينه، وبليغ أذعنت لبراعة خطه وشيجة الخط، يغوص على دُرَرِ البدائع، فيلقيها من طِرْسِه الرائع على الشَّط، لم يقم بحقها ممتعض حق الامتعاض، ولا فرّق بين جواهرها ولا بين الأَعراض، هذا وسُمْر الأَقلام مُشْرعة، ومكان القول والحمد لله ذو سعة، فهى الحَسْناءُ[٥] التى عَدِمت الذَّام، وزيَّنت الليالى والأَيام. وإن قيل كَلفت بمعانيها وقَصَرتُ الهوى على مغانيها، فعاشق الحُسْن عذره مقبول [وسيف العدل دونه مفلول][٦]، ولله درُّ أَبى الطيب إذ يقول:

ضروب الناس عشاق ضروبا فأَعْذَرهم أَشَفَّهم حبيبا

---

(١) واردة فى الريحانة وساقطة فى الإحاطة. (٢) يريد بذلك مدينة غرناطة حاضرة الأندلس يومئذ.
(٣) فى الإحاطة (وأزكى). (٤) فى الإحاطة (وعالم).
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الإحاطة (الحسنى).
(٦) وردت هذه العبارة فى الإسكوريال، وأغفلت فى الإحاطة.

فلست ببدع ممن فُتن بحب وطن ، ولا بأول من شاقه منزل فألِف بالعَطَن ، فحب الوطن معجون فى طينة ساكنه ، وطَرْفه مغرى بالتماح محاسنه ؛ وقد نبه على بن العباس[١] على السبب ، وجاء فى التماس التعليل بالعجب ، حيث يقول :

وحبَّبَ أوطانَ الرجال إليهم مآربُ قضاها الشَّباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهم عهودُ الصِّبا فيها فحنُّوا لذلكا

ورميت فى هذا المعنى بسهم سديد [وألمحت بغرض][٢] إن لم يكنه ، فليس منه ببعيد :

أحبك يا مغنى الجمال بواجب وأقطع فى أوصافك الغرِّ أوقات
تقسَّم منك التُّرب قومى وجيرتى ففى الظهر أحياءٌ وفى البطن أموات

وثبت فى صدر « التَّاج المُحَلَّى فى مُساجلة القِدْح المعلَّى »

الذى رفعته لخزانة السلطان أبى الحجاج رحمه الله فى زمان الحداثة ما نصه :

أما بعد حمد الله الذى شمل بجوده أصناف وجوده ، إنعاماً وإحساناً [وأودع البشر من بين ما ذرأ ونشر خصايص كريمة ومزايا حساناً][٣] ، [وميزهم لاعتناية الموصول بالصُّور والفصول فجعل الناطق إنساناً][٤] ، وفطر العرب أرجحهم حلماً ، وأفصحهم لساناً . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، النبى العربى ، أعظم الأنبياء شانا ، وأكرمهم عند الله مكانة ، وأرفعهم مكانا ، وأقدمهم مسابقة أزليَّة لديه وإن تأخر زمانا ، الذى خاطب الأُمم بلسانه العربى فوسعهم تبيانا ، وأطلع آياته لأبصار البصاير عياناً ، ليرتاب الذين فى قلوبهم مرض ، ويزداد

---

(١) هو الشاعر الكبير على بن العباس بن جريج الشهير بابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) .
(٢) وردت هذه العبارة فى الإحاطة ، وأغفلت فى الإسكوريال .
(٣) وردت هذه الجملة فى الإسكوريال مضطربة ومتداخلة مع الجملة اللاحقة .
(٤) الفقرة التى بين الحاصرتين واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

الذين آمنوا إيمانا . فبين صلى الله عليه وسلم الحلال من الحرام بيانا ، ووضع للناس أحكامه بأفعاله أحيانا ، وبقوله أحيانا . وأعلن بفضل هذا الفن الآدمى إعلانا ، فسمع الشّعر ، ووَصَل عليه حسَّاناً ، وأصغى لِكَعْب ، وبذل له أماناً ، وخلع عليه بُرْدَه الطاهر تكريماً وامتناناً ، والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره الذين لم يزالوا بالنهار أُسُدًا ، وبالليل رُهْبانا .

وثبتُّ فى صدر كتاب « الإكليل الزاهر

فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر »

المرفوع أيضاً للسلطان المذكور رحمه الله ، ما نصه :

[الحمد لله الذى قصر على ذاته[1] وصف الجمال ، وجعل النفوس البشرية مُباينة فيما وهبها من الخلائق والخلال ، ونصلى على سيدنا ومولانا محمد ، ذى الفخر البعيد المنال ، ونرضى عمّن له من الصحابة والقرابة والآل][2] . ونقول لما صممت بتأليف كتاب « التاج » ، حشدت وجمعت ، وناديت وأسمعت ، حتى عظُم المدَد ، وكثر العدد ، ودعا ترتيبه على عدد معلوم ، ولاقتفاء نهج مرسوم ، فَفَضُل من الفضلاء جُملة ، لم يزادوا تنقصاً عن حوضه ، ولا منع رايدهم عرضاً عن روضه ، فمنهم أعلام علوم وأديان ، ومتقدمون بمعارف وأسنان ، ومنتمون إلى مجد أصيل ، وإدراك وتحصيل ، وكثير ممن فَضُل بعدالته وخيره ، وإن ضعف حظه فى الأدب ، فربما قوى فى غيره . فرأيت أن أضم منهم ما انتشر ، وأستدل على العين بالأثر ، مترفعاً عن النزول إلى مَتاهة الكلام المهزول ، ومن باء بالحصة البرة ، ولم يلم بالأدب فى الندرة ، وكان له خطر ، وفى صحيفة الفضلاء سطر ، لم أربأْ بتاليفى عن ذكره ، ولا أنِفْتُ بخطبتى من بنات فكره ، ليكون هذا الباب

---

(١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (وصفه) والأولى أرجح .

(٢) هذه الفقرة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

رحب المجال ، آخذاً بطرف من صلاة الرجال . وقد جمع شيخنا أبو البركات بن الحاج جزءًا من كلام مشايخ زمانه ، وعلماء قطره وأعيانه ، وسماه « شِعْر من لا شِعْر له » بما اقتضاه فضل بيانه ، فما أَنِف أحد منهم لشانه ، ولا اسْتَعدى بحكم الإنصاف على لسانه ؛ إذ كان الكثير منهم ، فى غير فن من الأدب من العلوم خَصْل رهانه ، وسبق ميدانه . ولو لم يكن فى هذا الكتاب إلَّا الردة الذى أخذ أعقاب هذه التربة السَّريّة ، من العادمين أولى الشيم الزكيّة . ولما قضى منه الأمد ، وكمل الغرض المعتقد ، سميته « الإكليل الزَّاهر فيمن فُصل عند نظم التاج من الجواهر » ورتَّبته طبقتين ، إحداهما ، فيمن أَطْلَعت هذه البلاد من أُولى الخَصْل والأدب المُسْتجاد ، والثانية فيمن قدم عليها إلى هذا العهد من الأعلام ، أو ألمَّ بها بعض إلمام ، من فُرْسان الأقلام ، وأَبْطَال مجال الكلام . وإن طعن الناقد فى تأخير من لزم تقديمه ، وأوجب له الحق حديثه وقديمه ، فقد يتقدم الملكَ حاجبُه ، والمخدومَ خديمه .

وثبت فى صدر كتاب الطب « عمل من طبَّ لمن حبَّ »

من تأليفى لسلطان المغرب أبى سالم بن السلطان أبى الحسن رحمهما الله :

الحمد لله الذى خلق الإنسان من نُطفة أمشاج ، وأنشأه معلول تركيب ماء ومزاج ، وجعله ذا افْتِقار فى لحظ حاله التى عين بها قوامه ، واحتياج إلى تدبير وعلاج . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، مُتيح النجاة لكل ناج ، وهادى الخلق[1] بنور الحق والليل داجٍ ، والرضا عن آله غيوث كل ندًى ، وليوث كل هياج . وبعد فإن الله عز وجل جعل الدنيا دار عَمَل واكتساب ، والآخرة دارَ جزاءٍ وحساب ، ومن المعلوم أن العمل لا يتم بكماله ، إلا بصحة الفاعل واستقلاله . واستقام هيئته الطبيعية وأحواله ، لأن الصحة لا تحفظ

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

إذا انحرفت ، ولا تردّ إذا انصرفت ، إلا بصناعة الطب ، التى لها النظر فى حفظ الجُسُوم ، والسير من تقدير الدواء لها والغذاء على المحَدَّد والمرسوم ، وتفاضل المدارك فى هذا الباب بتفاضل الفُهوم . ومما يشهد لهذه الصنعة بعلو الشان ، ورفعة المكان ، قوله عليه السلام[١] « العِلْم عِلْمان : علم الأَديان ، وعلم الأَبدان » .

وثبتٌ فى صدر كتاب « روضة التعريف بالحب الشريف »

من تأْليفى لهذا العهد

اللهم طيِّب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة ، وعلل بِجرْيال حُبِّك جوانح أَرواحنا العاشقة ، وسدِّد إلى أَهداف معرفتك نِبال نُبُلنا الرَّاشقة ، واستخدم فى تدوين حمدك شَبَا أَقلامنا الماشقة ، ودلَّ على حضرة[٢] قدسك خطرات خواطرنا الرائقة ، وأَبِنْ لنا سُبُل السعادة ، التى جعلت فيها الكمال الأَخير لهذه الأَنفس الناطقة ، وأَصرفنا عند سلوكنا عن القواطع العابِقة ، حتى نامن مخاوف جبالها الشَّاهقة ، وأَحزابها المنافقة ، وأَوهامها الطارية الطارقة ، وبرازخها القاسية الغاسقة ، فلا تسرق بَضايِعنا العَوامر السَّارية السارقة[٣] ، ولا تحجبنا عنك العوارضُ الجسيمةُ اللاحقة ، ولا الأَنوار المُغْلِطة البارقة ، ولا العقول المُفارقة . يا من له الحكمة البالغة ، والعناية السابغة . وصلِّ على عبدك ورسولك محمد[٤] ، درَّةِ عقود أَحبابك المتناسقة ، وجالب بضايع توحيدك النَّافِقة ، المؤَيَّدِ بالبراهين الساطعة ، والمعجزات الخارقة ، ما أَطلعت أَفلاكُ الأَدْوَاح زهرَ أَزهارها الرَّايقة ، وحَلَت قطار السحاب حداة رعودها التايقة ، وجمعت ريح الصَّبا ، بين قدود غصونها المتعانقة .

---

(١) فى الملكية (صلى الله عليه وسلم) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حضرات) .
(٣) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

أما بعد ، فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية ، المحروسة بحدود سيوف الله حدودها ، الصادقة بنصر الله للفِئَة القليلة على الفِئَة الكثيرة وعودها ، وصل الله عوائد صُنْعه الجميل لديها ، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، « ديوان الصبابة »[١] وهو الموضوع الذى اشتمل من أبطال العشاق على الكثير ، واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل نظيم ونثير ، وأسدى فى غَزل غزلهم وألحم ، ودلَّ على مصارع شهدائهم من وقف وترحَّم . فصدق الخَبَرُ والمَخْبر ، وطمت اللُّجة التى لا تقهر[٢] ، وتأرَّج من مسراه المِسْك والعَنْبر ، وقالت العشاق عند طلوع قمره « الله أكبر » :

مررتُ بالعشاق قد كبَّروا ... وكان بالقرب صبيٌّ كريم
فقلت ما بالهم قال لى ... أُلْقِى للحبِّ كتاب كريم

لا غرو أن قام بهذه الآفاق ، أسواقُ الأشواق ، وزاحم الزَّفرات ، فى مسالك الأطواق ، وأسال جواهر المدامع ، بين أطباق تلك الأحْقَاق[٣] ، وفتك نسيمه الضعيف العهد والميثاق بالنُّفوس الرِّقاق [جنى النَّسيم علينا ، وما تبينتُ عُذْره ، إذ صَيّر الأرض غورا ، والخلق أبناءُ عُذْره][٤] . فوقع للمحبَّة المصرية التَّسْليم ، وقالت ألسنة الأقلام معربة عن ألسنة الأقاليم :

سَلَّمتُ لمصر فى الهوى من بلد ... مهديه [هوى لذّ فى][٥] استنشاقه
من يُنْكر دعواى فقل له عنِّى ... يكفى امرأة العزيز من عُشَّاقه

---

(١) « ديوان الصبابة » هو عنوان الكتاب الذى وضعه ابن أبى حجلة ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد التلمسانى نزيل القاهرة المتوفى سنة ٧٧٦هـ ، وهو يعالج فى مقدمته أحوال العشق ، ثم يتحدث عن الحسن والجمال ، وما قيل فيه ، وعن المحبين والظرفاء ، وعن ذكر من عشق على السراع وغير ذلك. وكان لصدور هذا الكتاب صدى كبير فى دوائر الأدب بمصر وغيرها .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تعتبر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحقائق) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (هواؤه لدى) .

فعمر المحافل والمجالس ، واسْتَجْلَس الراكب ، واسْتَرْكَب الجالس ، يدعو الأُدباء إلى مأْدبته فلا تتوقف، ويلقى عَصا سِحره المصرى فتَتَلقَّف ، ما شئت من ترتيب غريب ، وتَطْريب من بنان أَريب ، يشير إلى الشعر ، فتنقاد إليه عُيونه ، ويصيح بالأَدب النثر ، فتلَبِّيه فنونُه ، ويلم بالحديث العَذْب ، فتثير الشجون شُجُونه . وأُنْهى خبره إلى العلوم الشريفة المقدسة ، ومدارك العلم الموطَّدة المؤسَّسة ، وسما به الجدُّ صعداً إلى المجلس السُّلطانى ، مقر الكمال ، ومطمح الأَبصار والآمال ، حيث رَفارف العِزِّ قد انسَدَلت ، وموازن القسط قد عدلت ، وفصول العَقْل قد اعتدلت ، ووُرْق أَوزان المحامد والمادح قد هَدَلت ، مجلس السلطان المجاهد الفاتح الماهر ، المتحلِّى فى ريعان العمر الجديد ، والملك السعيد ، بحلى القانِت الزاهد ، شمس أُفُقِ الملَّة ، وفخر الخلفاءِ الجِلَّة ، بدر هالات السّروج المجاهدة ، أَسد الأَبطال البارزة ، إلى حومة الهياج الناهدة ، مُعْشِى[1] الأَبصار المشاهدة ، مُظْهر رضى الله ، عن هذه الأُمة الغَرِيبة عن الأَنصار والأَفكار ، من وراءِ أَمواج البحر الزَّخَّار ، باختياره لها واعتنايه ،وملبسها بُرُود اليُمن والأَمان ببركة أَيامه ، ومن أَطلع الله أَنوار الجمال من أُفق جبينه ، وأَنشأَ أَمطار السماح من غمام يمينه ، وأَجرى فى الأَرض المثل السَّاير بفضله وحِلْمه وبسالته ودينه ، أَمين الله على عُهْدة الإسلام بهذا القطر ، وابن أَمينه ، وفخر الأَقطار والأَمصار ، ومَطْمَح الأَيدى ومَلْمَح الأَبصار ، وسلالة سعد بن عُبادة ، سيِّد الأَنصار ، ومن لو نطق الدين الحنيف ، لحيَّاه وبدَّاه ، أَو تمثل الكمال صورةً ، ما تعدّاه ، مولانا السلطان الكذا[2] ، جعل الله ثغر الثغر مُبْتَسِمًا ، عن شَنَبِ نصره[3] ، والفتح المبين

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مغنى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وورد فى الملكية اسم السلطان على النحو الآتى : الإمام العادل العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله بن مولانا السلطان الإمام المجاهد المقدس أبى الحجاج بن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر الأنصارى الخزرجى .

مذخُورًا لعصره ، كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره ، وسوّغه من مواهب الكمال ، ما تعجز الألسنة عن حَصْره ، ولا زالت أفنان أقلامه تتحف الأقاليم بجنى فنون فَخْره ، فخصَّته عين استحسانه [أبقاه الله][1] بلحظة لحظ وما يلقاها إلا ذو حظ .

وصَدَرت إلىّ منه الإشارة الكريمة بالإملاء فى فَنِّه ، والمنادمة على بنت دَنِّه ، وحَسِب الشَّحم [من ذى ورم] ، والله يجعلنى عند [حسن] ظنه . ومتى قُورن المُثْرِى بالمثرى ، أو وُزِن المشْرق بالمغرب ، شتان بين من تجلّى الشمس منه فوق منصتها ، وبين من يَشره أَنْفَه المغربى إلى ابتلاع قُرْصَتها . لا كنى امتثلت ، ورشت ونثلت ، ومُكرَهًا لا بطلا مثلت . وكيف يتفرغ للتأليف أو يتبرّع للوفاء بهذا التكليف ، من حمل الدنيا فى سِنِّ الكهولة على كاهله ، وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله ، واشترى السَّهر بالنوم ، واستَنْفَد سواد الليل وبياض اليوم ، فى بعث يجهز ، وفرصة تُنتهز ، وثغر للدين يُسد ، وأَزْرٍ للمُلْك يُشد ، وقصة تُرفع ، ووساطة تنفع ، وعدل يُحرَص على بذله ، وهوى يُجهد فى عَذْله ، وكريم[2] قوم يُنصف من نَذْله ، ودين تُزاح الشوائب عن سُبُله ، وسياسة تشهد للسلطان بنبله [وإصابة نبله][3] ما بين سيف وقلم ، وراحة وألم ، [وحرب وسلم][4] ونَشْر عِلْم أو عَلَم ، وجيش يُعرض ، وعطاءٍ يُفرض ، وقَرْضٍ حسن لله يُقرض ، فى وطن توفر العدوّ على حَصْره ، ودار به دور السوار على خصره ، وملك قصر الصبر والتوكل على نصره ، وعدد نسبته من العدد العظيم الطاقة ، الشديد الإضافة ، نسبة الشَّعرة من جلد الناقة . وبالله نستدفع المكروه ، وإلى الله ، نمد الأيدى ونصرف الوجوه .

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكلة وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (وكبير) والأولى أرجح .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة فى « روضة التعريف » (ص ٨٣) ، وساقطة فى الإسكوريال والملكية .

وسألت منه أيده الله القنوع بما يُيَسِّره الوقت ، مما لا يناله المقت ، والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترتيب والسِّن ، ويؤمن من اعتراض الإنس والجن .

وما كنت ممن آثر الجَدَّ على الهزل ، واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بسمة الجدل ، ولا أنِف من ذكر الهوى بعد أن خضت غماره ، واجتنيت ثماره ، وأقمت مناسكه ، ورميت جماره ، وما أُبرئ نَفْسى إن النَّفس لأَمَّارة ، فالهوى أول تَمِيمة قلدتنى الرّاية ، والتُّرب التى عرفتها فى البداية ، وأنا الذى عن عروقه نُبْت ، والذى بُعثت إلى الرُّصافة لأَرقّ فذُبْتُ ، إلى أن تبيَّن الرُّشْد من الغىّ ، وصار النشر إلى الطِّى ، وتشايخ وِلْدان الحىّ ، وتذكر الفخر لأيام الرَّى . . كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم :

جزى الله عنى زاجر الشيب خيرما ... جزى ناصحاً فازت يداى بخيره
ألفت طريق الحُبِّ حتى إذا تمنَّى (١) ... تعوَّضْتُ حب الله من حُبِّ غيره

حال السواد فحال الفؤاد ، وصدَّحَ المرعى ، فانقطعت الرُّقَّاد (٢) ، وتهانى عن أزورار خيال الزَّوراء ، والتفات عاذل الشيب عن المقلة الحوراء ، وكيف الأَمان ، وقد طلع منه النذير العريان ، يدل على الخبر بخُبْره ، وينذر بهادم اللذات على أثره .

دعتنى عيناك نحو الصَّبا ... دعاءً يُردِّد فى كل ساعة
فلولا وحقُّك عُذر المشيب ... لقلت لعينيك سمعاً وطاعة

ولو لا أن طَيْف هذا الكتاب طَرَق مَضْجعى ، وقد كاد يبدو الحاجب ويضيق (٣) من الفرض الواجب ، لجريتُ فى ميدانه ، وعقدتُ بَنانى لبنانه ، وتركت شانى ، وإن رغم الشانى لشانه ، وقلت [معتذرًا عن التوهيم فى بعض أحيانه] (٤) :

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نهى) . (٢) فى الملكية (الرواد) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يضيع) .
(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

أهلًا بطَيْفِك زائرًا أو عايدًا يُفديك عنى غايبًا أو شاهدا
يامن على طيف الخيال أحانى أتظن جفنى مثل جفنك راقدا
ما نمت لاكن الخيال يلمُّ بى فيحيله طرفى فيطرق هاجدا[1]

ومن العصمة أن لا تجد حلًّا قبل المشيب ، ومع الزمن القشيب ، وقبل أن تمخض القربة ، وتبنى الخانقة ، وتونس بالله الغُرْبة . وعلى ذلك فقد أثر ، ويا قلبى المغتر ، اللهم لا أكثر .

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برقٌ تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرِّدى ودونه صعب الذُّرَى متمنعاً أركانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماءُ ما سمحت به أجْفانُه

وجعلت الإملاء على حمل مؤازرته ، أيده الله ، علاوة ، وبعد الفراغ من ألوان ذلك الخوان حلاوة . وقلت أُخاطب مؤلف كتاب الصبابة ، بما يتغمده جانب إنصافه ويغطى على نقص ، إن وقع فيه كمال أوصافه :

يا من أدار من الصبابة بيتا قدحا ينمُّ المِسْكُ من ريَّاه
وأتى بريحان الحديث فكلما صبح النديم براحة حيّاه
أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى لكن أهيم بذكر من أحياه[2]

وعنّ لى أن أذهب هذا الحب المذهب المتأدى إلى البقاء ، الموصل إلى ذِرْوَة السعادة فى معارج الارتقاء ، الذى عاقِبَتُه[3] نعيم لا ينقضى أمده ، ولا ينفد مدده ، ولا يفصل وصله ، ولا يفارق الفرع أصله ، حبُّ الله المُبَلِّغ إلى قُربه ، المُسْتدعى لرضاه وحُبِّه ، المؤثر بالنظر إلى وجهه ، ويالها من غاية الملتى رحل المتصف به ، بعد قطع بحار الفناء على ساحل الولاية . [وكنت وقفت من الكتب المؤلفة فى

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ساجداً) .
(٢) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (غايته) .

المحبّة ، على جملة ، منها كتاب شيد له. كتاب تشهده العوام ، ويستحقه الهوام][1] ورسالة ابن واصل ، رسالة مهذارة ، تظفر من دارة إلى دارة ، فى مطاردة هرّ وفارة. وكتاب ابن الدّباغ القيروانى ، كتاب مفرقع ، ووجه المقصود منه متبرقع. وكتاب ابن خَلْصُون ، وهو أعدلها لولا بداوة تسم الخرطوم ، وتناسب الجمل المخطُوم ، فكنت بما ذكر لا أقنع ، وأقول ما لصنع الله ، يعطى ويمنع :

قلت للساخر الذى رفع الأنف واعتلا أنت لم تأمن الهوى لا تعير فتُبْتَلا

ومن المنقول ، لا تُظهر الشماتة لأخيك ، فيُعافيه الله ويَبْتَليك :

بلانى الحبُّ فيك بما بَلانى فشانى أن تفيض غروب شانى

أجل بلانى من الغرض الذى هو من القلوب سرُّ أسرارها ، ومن أفنان الأذهان بمنزلة أزهارها ، ومن الموجودات وأطوارها ، قُطْب مدَارها ، ليكون كتابى هذا المقدم على المار والمهلك ، والمتشبع بما لا يملك ، وإن لم يقع الانصاف ، فعسى أن يَشْفَع الإنصاف ، والافتراق يَدْرأُه الاعتراف. أنا عن المنكسرة قلوبهم ، ولا تجود يدٌ إلا بما تَجِد ، وعسى الذى أنطق شوقاً أن ينطق ذوقًا ، والذى حرك سِفْلًا ، أن يحرك فَوْقًا ، والذى يسره مقالا أن يكيفه حالا. وأول الغيث طلٌّ ثم ينسكب [الحرب أول ما تكون بحاجته ، والحرب أولها الكلام][2]. ونحمد الله على الكلف بهذه الطريقة ، [فما يلقيها إلا ذو حظٍّ عظيم ، وللأرض نصيب من كأس الكريم][2] :

أليس قليل نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل
إن فاتنى أن أرى الدِّيار بطَرْفى فلعلّى أرى الدِّيار بسَمْعى

وعلى ذلك ، فذهبت فى ترتيبه أغرب المذاهب ، وقرعت فى التماس الإعانة

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

باب الجواد الواهب ، وأطلعت فصوله فى ليل الحبر طلوع نجوم الغياهب ، وعرضت كتايب العزيمة عرضاً ، وأقرضت الله قرضاً ، وجعلته شجرة وأرْضاً . فالشجرة المحبَّة مناسبة وتَشْبيها ، وإشارة لما ورد فى الكتب المنزَّلة وتَنْبيها . والأرض [النفوس التى][1] تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التى تَسْتَوفيها ،والأوراق حكاياتها التى تحكيها ، وأزهارها أشعارها التى تَجْنِيها ، والوصول إلى الله ، ثمرتها التى تدَّخِرُها بفضل الله وتَقْتَنِيها ، شجرة لعَمْر الله يانعة ، وعلى الزعازع مُتَمانِعة ، ظلها ظليل ، والطرف عن مداها كَلِيل ، والفايز بجِناها قليل . رَست فى التُّخوم ، وسَمَت إلى النجوم ، وتنزَّهت عن أعراض الجُسُوم ، والرياح الحُسُوم ، وسُقيت بالعلوم ، وغُذِّيت بالفهوم ، وحملت كمائمها بالزهر المكتوم ، ووفت ثمرتها بالغرض المرُوم . فاز من استأثر بجِناها ، وتعنى من عُنِى بلفظها دون معناها ، فمن اسْتَصْبح بزَيْتها ، استضاء بسَناها ، [ما أبعدها][2] وما أدناها ، عينا ملأت الأكُفَّ بغناها ، كم بين أوراقها من قَلْبٍ مُقَلَّب ، وفى هوائها من هوى مُغلَّب ، وكم فوق أفنانها من صادح ، وكم فى التماس سَقِيطها من كادح ، وكم دونها من خَطِب فادح ، ولأربابها من هاجٍ ومادح . تنوعت أسماؤها ، ولم تتنوع أرضها ولا سماؤها ، فسميت نخلة تُهزُّ وتُجنى ، وزيتونة مباركة ، يستصبح بزيتهبا الأسْنَى ، وسِدْرة إليها ينتهى المعنى ، أصلها للوجود أصل ، وليس لها ، كالشجرة جنس ولا فصل ، وتربتها رُوح ونَفْس وعَقْل ، وشربها يعضده بديهة ونقل ، يحط الهائمون بفنائها ، ويصعد السالكون فوق بنائها ، وتخترق السَّبع الطِّباق بِبُراقها ، وتمحى ظُلم الحسِّ بنور إشراقها . فسبحان الذى جعله قطب الأفلاك ، ومتنافس الأضواءُ والأملاك ، ومُغَرِّد طيور[3] الأملاك ، وسبب انتظام

---

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (طهور) والتصويب من الملكية .

هذه الأسلاك ، لم يتحل بها طريد بعيد[١] ، ولا اتصف بصفاتها إلا سعيد ، ولا اعتلق بأوجها هاوٍ فى حضيض ، ولا تمحّض لبرهانها متخبط فى شرك نقيض ، ولا تعرض لنسيم[٢] بوارقها متّسم بسمة بغيض . الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كُنَّا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ومنه نستزيد الاستغراق[٣] فى بحارها ، والاستنشاق لنواسم أسحارها ، والاستدلال بذُرَى أفنانها عليه ، والوصول بسببها إليه ، ولىُّ ذلك سبحانه . فطاب لعمرى المَنْبَتُ والنابت ، ومما الفرع الباسق ، ورسا الأصل الثابت ، وفاءت الأفنان ، وزخرفت الجِنان ، وتعددت الأوراق والزهرات والأغصان . ولم أترك فنًّا إلا جمعت بينه وبين مناسبه ، ولا نوعاً إلّا ضممته إلى ما يليق به ، واستكثرت من الشِّعر ، لكونه من الشجرة بمنزلة النَّسيم الذى يحرك عَذَبات أفنانها ، ويؤدى إلى الأُنُوف روائح بُسْتانها ، وهو المزمار ينفخ الشوق فى يَراعته ، والعزيمة التى تنطق [مجنون الوجد][٤] من ساعته ، وسلعة ألسنة العشاق ، وترجمان ضمير الأشواق ، ومجلى صدر المعانى الرقاق ، ، ومكامن قنايص الأذواق ، به عبَّر الواجدون عن وجودهم ، وأشار المحبُّون إلى قصدهم ، وهو رسول الاسْتِلْطاف ، ومتنزل[٥] الأَلْطَاف . اشتمل على الوزن المُطْرب ، والخيال المُعْجب المُغْرب ، وكان للألحان مركبا ، ولانفعال النفوس سببا ، فلا شىء أنسبَ للحديث منه فى المحبَّة ، ولا أقرب منه للنفوس الصَّبَّة . وجلبت[٦] الكثير من الحكايات ، وهى نوافل بروض الحقائق ، ووسايد مجالس الرَّقَايق ، ومراوح النفوس من كَدِّ الأفكار ، وإحْمَاض مسارح الأخبار ، وحظُّ جارحة

---

(١) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ليتيم) .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الإغراق) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بجنون الوقت) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (منزل) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واحتلبت) .

السمع من منح الاعتبار ، وبغض الجواذب[١] لنفوس المحبين ، والبواعث لهمم السالكين . وحجتنا واضحة بقوله ، وكلا نقص عليك فى القرآن المبين ، ونقلت شَواهد من الحديث والخبر ، تجرى صحانها[٢] مجرى الزكاة من الأموال ، والخواطر من الأحوال ، ويجرى ما سواها من غير الصحيح مجرى الأمثال ، ليكون هذا الكتاب بعموم خيره ، مسرحاً للقارئ وغيره ، ويجد كلٌّ ميداناً لسيره ، ومِلْقطاً لطيره [ومحكاً لغيره][٣] فمن فاق كَلِف بأُصوله ، ومن قصَّر قنع بفصوله ، ومن وصل حَمَد الله على وصوله .

وسمَّيْته « روضة التَّعريف بالحبِّ الشريف» . ويحتوى على أرض زكيَّة ، وشجرات فلكية ، وثمرات ملكيَّة ، وعيون غير بكِيَّة . والحبُّ حياة النفوس الموات ، وعلَّة امتزاج المركبَّات ، وسبب ازدواج الحيوان والنبات . وسرُّ قوله عزَّ وجلّ ، أفمن كان ميتاً فأَحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات . ليس كالحب الذى دوَّن فيه المدوِّنون ، ولعبت بكرات أقناصه[٤] صوالج الجنون ، وقاد الهوى أهله بحبل الهون ، وساقت فيه[٥] المُنَى للمنون ، حين نظرت النفس من سفلى الجبين[٦] ، ورضيت الأثر عن العين ، وباعت الحقّ بالمين ، ولم تحصل إلا على خُفَّى حنين . وارحمتا لعشَّاق الصور ، وسُبَّاق ملاعب الهوى والهور ، لقد كَلِفوا بالزخارف الحاضة الحايلة ، والمحاسن الرَّايقة الزَّايلة ، وسلع الجبَّانة ، وبضايع الأمانة ، ونتايج[٧] الميضات ، ومنازف الحيضاتُ ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحوادث) والأولى أرجح .
(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أقياسه) .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجنين) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فضايح) .

وظروف القَذَا ، وتعَلُّلات الغذا ، ونفساء بيوت الأذى ، أزمان التمتع بهم قصيرة ، والأنكاد عليهم مغيرة ، فتراهم ما بين طَعين بعامل قد ، ومضرَّج بدم خَدْ ، وأسير ثَغْرٍ ، قد أعوز فداؤه ، وسَقيم طَرْف قد أعضل داؤه . وماشيت من ليل يُبْهر ، ونداء به يَجْهر ، وجيوب تشق ، وبصاير تُخطف أبصارها إذا لمع البَرْق ، ونواسم تحمل التحيات ، وأصايل تتلقى بخلع الأريَحيَّات ، وربما اشتد الحبل ، وأصابت النبل ، فكان الخبل ، قلوبٌ اشتغلت عن الله ، فشغلها بغيره ، وهَبْ الحُبّ الجسمانى لا تبعث عليه شهوة بهيمية ، ولا تدعو إليه قُوَّة وهميّة ، أليست الدَّاعية مرتفعة ، والباعثة منقطعة ، وصورة الحُسْن دائرة ، وأجزاؤه المتناظمة مُتَناثرة ، أليس الجزءُ العُنْصرى عايداً إلى أصْله ، أليس الجنس مفارقاً لفَصْله[1] ولله درُّ على رضى الله عنه ، وقد نظر إلى قدح الماء لما أراد أن يشرب ، وعن الاعتبار أعرب ، فقال كم فيك[2] من خراسيل ، وعين كحيل ، فأواه مكررة من ددة ، ووالهفاه معادة مُجَدَّدة ، على قلب أصبح يقلب كفيَّه ، على ما أنفق فيها ، وهى خاوية على عروشها ، ويقول يا ليتنى لم أُشرك برنى أحدا ، وحسْبُنا مرارة الفراق ذُلاً ، وفقر الفقر قُلاً ، والغفلة عن الله شَقًا محتوماً ، والكآبة على الفايت شُوما :

صدَّنى عن حلاوة التشييع ... اتَّقائى مرارة التوديع
لم يقم أُنْسُ ذا بوحشة هذا ... فرأيت الصواب ترك الجميع

وإن كانت الشهوة ، فأَخْسِسْ بها داعية ، وإلى الفضيحة ساعية ، حَسْبُك من حمار يعلو بنداءِ المحبة نِهاقُه ، ويعديه على السياق اهتياجه ، إلى السَّفاد واشتياقه . أسير خبال ، وصريع ميال ، أولى له ثم أولى ، لو تأمل محاسن

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (لأصله) مرة أخرى .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فيه) .

الجسوم ، ما أكذب رايدها المُطْرى ، وأخبث زخرفها المُغْرى ، وأقصر مدة استمتاعها ، وأكثر المساوى تحت قناعها :

على وجه ميّ مسحة من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

ما ثمّ إلا أنفاس تردد[1] وتخبث ، وعِلَلٌ تنشأ ثم تحدُث ، وزخارف حُسْن تعهد ثم تَنْكُث ، وتركيب يطلبه التحليل بدينه ، ويأخذ أثره بعد عينه ، وأُنْسٌ يفقد ، واجتماع كأن لم يُعقد ، وفراق إن لم يكن فكأن قد :

ومن سرَّه أن لا يرى ما يسوء فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

آخر :

منغَّص العيش لا يأوى إلى دَعَةٍ من كان ذا بَلد وكان ذا وَلد

والساكن النفس من لم ترض همته سُكنى مكان ولم يسكن إلى أحد

وقلت ، وقد فات سكن عزيز علىّ أيام تَغْريبى[2] بمدينة سَلا [حرسها الله][3] [عظم عليه جزعى][4] :

يا قلبكم هذا الجوى والخُفُوت ذِماءَك استبق لئلا يفوت

فقال لا حول ولا قول لى قد كان ما كان فحسبى السكوت

فارقنى الرشد وفارقته لما تَعَشَّقتُ بشىء يموت

والزمان لا يعتبر ، وحاصله خبر ، والحازم من نظر فى العواقب نظر المُراقب ، وعرف الإضاعة ، ولم يجعل الحلم بضاعة . إنما الحب الحقيقى حب يُصْعدك ويُرقّيك ، ويُخَلّدك ويُبْقيك ، ويطعمك ويسقيك ، ويخلصك إلى فئة السعادة

---

(١) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (تذكر) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التغرى) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

ممَّن يُشقيك ، ويجعل لك الكون أرضا[١] ، ومشرب الحق حوضا ، ويُجَنِّبُك زهر المنى ، ويغنيك عن أهل الفقر والغنى ، ويخضع التِّيجان لنَعْلِك . ويجعل الكون مُتَصَرَّف فعلك . ليس إلا الحبُّ ثم الوصل ، ثم القرب ، ثم الشهود [ثم البقا][٢] ، [بعد ما اضمحل الوجود][٣] ، فشفيت الآلام ، وسقط الملام ، وذهبت الأَضغَاث والأَحلام ، واختُصر الكلام ، ومُحيت الرسوم ، وعُفِيت[٤] الأَعلام ، ولمن الملك اليوم والسلام . فالحذر الحذر ، أن تُعَجِّل النفس سيرها ، ويفارق القفص طيرها ، وهى بالعَرض الفانى متشبطة[٥] ، وبثاء الثقيل مرتبطة ، وبصُحْبة الفانى مُغْتَبطة ، فالمرءُ مع من أَحب . يموت المرءُ على ما عاش عليه [ويحشُّ على ما مات عليه][٦] أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت فى جَنْب الله ، وإن كنتُ لمن السَّاخرين . أَو تقول لو أَن الله هدانى لكنت من المتَّقين ، أَو تقول حين ترى العذاب لو أَن لى كرَّةً فأَكون من المحسنين . وفى مثل ذلك قلت :

أَعُشَّاقَ غير الواحد الصّمد الباق ... جنونكم والله أَعيت على الرَّاقِ
جُنِنتم بما يفنى ويبقى مضاضةً ... تُعَذَّب بعد البَيْن مهجة مشتاق
وتربط بالأَجسام نفساً حياتُها ... مباينةُ الأَجسام بالجوهر الراق
فلا هى فازت بالذى ظَفِرت به ... ولا رأْس مالٍ كان ينفعها باق
فراقٌ وقَسْرٌ وانقطاع وظُلْمة ... قنا البعد عن نيل السعادة ياواق
كأَنى بها بعد ما كشف الغطا ... صريعة أَحزان لربقة أَشواق

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (روضا) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية كالآتى (ثم اضمحلال الوجود) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وخفيت) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (متثبطة) .
(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

تقلب كفيهـا بخيط موصل ... وثيقتُه من دون سبعة أطباق

فلا تطعموها السم فى الشَّهد ضلَّة ... فذلك سم لا يداوى [صحيح دِرْياق] (١)

بما اكْتَسَبَتْ تسعى إلى مستقرها ... فإما بوَفْرٍ مُحْسب أو بإملاق

وليس لها بعد التفرق حيلةٌ ... سوى ندم يزرى مدامع آماق

ولو كان مَرْمَى الحزن منها إلى مدى ... لحان الأَسى ما بين وَخْدٍ وأعناق

فجِدُّوا فإن الأَمر جدٌّ وشمِّروا ... بفضل ارتياض أو بإصلاح أخلاق

ولا تطلقوا فى الحسّ ثنى عنانها ... وشِيمُوا بها للحق لمحة إشراق

ودُسُّوا لها المعنى رويداً وأيقظوا ... بصيرتها من بعد نوم وإغـراق

وعاقبة الفانى اشرحوا وتلطفوا ... بأخلاقها المرضى تَلَطُّف إشفاق

ومهما أفاقت فافتحوا لاعتبارها ... مصاريعَ أبوابٍ وأقفال أغلاقِ

فإن سَكِرت واستشرفت عند سُكْرها ... لماهيّة السُّقيا ومعرفة السَّاقِ

أطيلوا على روض الجمال خطورها ... إلى أن يقوم الحبُّ فيها على ساقِ

وخَلُّوا لهيب الشَّيب يطوى بها الفلا ... إلى الوجد فى مَسْرى رموز وأذواق

فما هو إلَّا أن تحطَّ رحالهـا ... بمثوى التجلّى والشهود بإطلاق

وتفنى إذا ما شاهدت عن شهودها ... وقد فنى الفانى وقد بقى البـاق

هنالك تلقى العيش تضفو (٢) ظلاله ... وتنعم من روض (٣) الحياة برقراق

وما قسم الأَرزاق إلا عجيبة ... فلا تطرد السُّؤال يا خير روَّاق (٤)

---

(١) وردت فى الإسكوريال فى مساق النص ، وفى الملكية (بترياق) . ولكنها وردت وفق ما بين الخاصرتين مصححة فى هامش الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (تصفوا) .

(٣) هكذا فى الإسكريال ، وفى الملكية (عين) .

(٤) انتهى بانتهاء هذه القصيدة مانقله مخطوط الإسكرريال من مقدمة كتاب (المحبة) . ولكن مخطوط الملكية يورد بعد ذلك برنامج الكتاب مفصلا فى أربع صفحات . وقد رأينا أنه لامحل لإثباتها .

[وتبث في صدر كتابي المسمى « باستنزال اللطف الموجود
في أسرار الوجود » ، وهو مما جمعته هذا العهد

الحمد لله الذى خلق الإنسان مهيضاً جناحُه ، بالافتقار لما فيه صلاحُه ، كسيراً ، وقدر عمره ، وإن طال المدا ، وسالم الردى يسيرا ، وأقامه عانياً فى أيدى الأقدار ، وحُكم الليل والنهار أسيرًا . وجعل مرام الخلاص من قيود الوجود عليه إلا بلطف الموجود عليه عسيراً . وملك ناصيةَ قَضاً لا يعجد فيه مراعاً ، ولا يستطيع عنه مسيراً ، ومزاجاً محتاجاً إلى المراعاة مع السَّاعات فقيراً ، وتكليفاً يأْخذ بأَطواقه عن تراضى أشواقه فلا يملك لنفسه قَبِيلا إلَّا بإذنه ولا دَبِيرًا ، وسياسة يطيع فيها مَرْعاه راعياً ، ويتبع مأْموره منها أميرا ، ومعاشاً يضطر فيه إلى إمداد حياته وصلاح ذاته ، اضطرارًا كبيرًا ، ومعاشرة بأَبناءِ جنسه تكون السلامة لأَجله منهم ، وإدراكُ الكَفَافِ من أَيديهم حظا أَثيرا ، وابتلاه بما يلحق هذه المَلَكات ، علاوة على أَحماله المهلكات ، فلا تجد غيره وليًّا ولا نَصِيرا ، وخياله المكروه فى المحبوب ابتلاءً وتطهيرا ، والمحبوبُ فى المكروه إخفاءً لسيره المحجوب فى استعار الغيوب وتدبيرا ، فقال وعسى أَن تَكْرَهُوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خَيْرًا كثيراً . ثم أَتاح الراحة منهم لمن اصْطَنَعه ، وأَنشأَه من الحَضِيض الأَوْهَد ، ورفعه فجلل قامه تنويرا ، ومهد له التوفيق سريرا ، وجعل الفكر السَّديد بهدايته لنفسه الناطقة وزيرا ، واتصال عقله المستفاد بالعقل البرى ، من لواحق الكون والفساد كمالا أَخيرا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، الذى بعثه مُبَشِّراً ونَذِيرا ، ودليلا إلى حَضْرة الحق ، من أَقرب المآخذ على الخَلْق ، تَنْبِيهاً وتحذيرا ، وإرشاداً وتبصيرا ، وأُنيط بسعيه فى هذا الوجود الأَول ، والحلم المسلول ، عيناً ، يشرب بها عباد الله ، يُفَجِّرونها تفجيرا . والرضا عن آله وصحبه ، الذين أَوسعوا هديه بياناً وتفسيراً ، ما أَطلع الرَّوْش من روح السماء ، فى عذير الظلماءِ وجهاً منيراً ، ولمع برق الغمام فى السحب السجام ، سيفاً طريرا .

أما بعد ، فإنه جرى ببعض هذه المجالس ، التى نجعلها لكلال الأحباب جَماماً ، ولعلل المتلوِّمين عن العلل غماما ، وفى أوقات التذكير التى لا تخلق ، والمنَّة لله ، محن مع الساعات لبسكب ، وسبيل إلى الخلاص يركب ، وحكمة يُطارد شاردُها ، حتى يُلقِى المقادة ، ويمتاح مواردها حتى تملأُ مزاد السعادة ، ذكر ما يعتور الإنسان فى هذا العالم من القواطع المساجلة ، والعوايق عن آماله العاجلة والآجلة ، ويحفُّ به فى هذه الأحلام من ضروب الآلام ، ويناله من القَسْر فى هذا الأَسْر ، وما الحيلة فى تَسْلِيس قيوده الثقال ، وتَوْسعة محابسه الضيقة الاعتقال ، إلى أن تقع رحمة الافتكاك والانتقال ، وتوسعة الصَّدا بإدالة الصِّقال ، ويصح المقام من بعد المقال . فوعدت من له عناية بنفسه ، وارتقاب لمطلع شمسه ، من الأَصحاب المتعلقين بأَهداب النظر ، والمتشوقين إلى الخُبْر من بعد الخَبَر ، والحرص على قطع هذه المرحلة الحلمية بحال السلامة ، وارتفاع عتابٍ ومَلامَة ، واستشعار جنَّة المكاره ولامه ، أعلن فى ذلك مقالة ، تخفض البث ، وتعمل فى طلب الخلاص الحث ، فتخف لأجلها العلائق ، ويأْخذ بحظِّه منها المبتدى والفايق ، والله ولىُّ الهداية فى كل سبيل ، والوقاية من كل مَرْعًى وَبيل . ولما تحصل الوعد ، وقع فى الاقتصاد الإلحاح والاستنجاز الصّراح ، ولم يقع الإعفا ، ولم يسع إلا الوفا][1] .

[وتبتُّ فى صدر تأْليفى المسمى « بالوصول لحفظ الصحة فى الفصول »

الحمد لله الذى فصَّل الفصول بحركات الشمس ، وجعل الحسَّ مدينة لتلك النفس ، واستخدم له فيها حركة الحواس الخمس ، بين السمع والبصر والشم والذوق واللمس . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، شرف النوع والجنس ، بسعادة الجنّ والإنس . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين ، أمنت حقائق فضلهم

---

(١) هذا الفصل الواقع بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط كله فى الملكية .

من اللَّبس ، ما تعاضد الظن بالحَدْس ، وتعاقب اليوم مع الأمس . وبعد ، فإن الصنايع إن تشرفت بغاياتها ، وتميزت عند التعامل برا ياتها ، فعُلوم الأديان والأبدان ، صادعة فى الفضل بآياتها ، متوصلة إلى النفوس الناطقة بإفادة كمالها ، وحفظ حياتها ، ولذلك ما صرفت إليهما الأنظار والأفكار أعنَّة عناياتها . وربما كانت علوم الأبدان ، لسواها أُصولا ، ولم يرْجُ الراجى لعلم الأديان ، قبل علم الأبدان ، حصولا . فإن مقاصد الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، إنما تنال الصحيح السوى ، والمطبق القوى . وهذه الحالة حِسِّية فى الغالب عن سياسة الجسم ، بحفظ الصحة ، وإزالة السَّقَم . فوضح فضل صناعة الطِّب وتبيَّن ، وتقرَّر غِناؤها وتبيَّن . ولما كان غرضها المهم ، وغايتها التى بالفصل إليها تتم ، حفظ الصحة إذا حصلت ، وردها إلى معتادها كلما انتقلت وارتحلت ، وكانت النفس لا تقدر قدر الحاصل المصاحب ، ولا تسير من إيجاب حقه على السُّنن اللاحب ، شأنها فى الصحة والشباب ، والتمتع بالأحباب ، والغنى والأمان ، ومساعدة الزمان ، حتى إذا ذهب ، واسترجع الله منه ما وَهَب ، قدر حنين قدره ، وأعظم أمره ، وكثر عليه الأسف واللهف ، وأمل العود ، ورمى الخَلْف ، على هذا تبع السَّلَف الخلف ، إلَّا من بان لديه بالحكمة الكلَف . كانت العناية باسترجاع نعمة الصحة أشدّ والكلام فيها أمدّ ، والتَّدوين قد جاوز الحدّ ، فكثرت كَنانيش العالم ودواوينه ، وتعددت أغراضه وأفانينُه ، وألفى القول فى حفظ الصحة المستقرة وصون حماها من طرق الغرة ، تافهاً من كثير ، ولفظةً من نَثير ، ولو حكَّم الإنصاف لكان حفظ الصحة أولى بالعناية ، وأحق بالإفصاح والكِناية ، إذ لو حفظ منها العَرَض ، لقل أن يروع سِرْبَها المرض ، فظهر لى أن نعتنى بما أُغفل وأُهمل ، واعتبر وتُؤمل ، وأن أُفصِّل وأُجْمل ، وأُتمِّم وأُكمل ، وأُدون فيه كتاباً ، يعظم فى الخلق نفعه وجدواه ، ويحق الافتقار لما سواه ، وأرجو به إحسان الله ، ولكل امرئ ما نواه][1] .

---

(١) هذا الفصل الواقع بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط كله فى الملكية .

وكتبت عن السلطان أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بن نصر رحمه الله إلى التُّربة المقدسة تُربة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى من أُوليات ما صدر عنى فى هذه[1].

إذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه ... كفانى وحَسْبى أن يهبّ نسيمُه
ويقنعنى أنى بـــه متكيِّف ... فزَمْزَمُه دمعى وجسمى حَطِيمه
يعود فؤادى ذكر من سكن الفَضا ... فيُقعده فوق القضا ويُقيمه
ولم أَر يوماً[2] كالنسيم إذا سرى ... شفى سقم القلب المشوق سقيمه
نعلل بالتذكار نفساً مشوقة ... يُدير عليها كاسه ويُديمه[3]
وما شَفَّنى بالغور قدٌّ مُرَنَّم ... ولا شاقنى من وحش وجدة رِيمه
ولا سَهِرت عينى لبرق ثنيَّة ... من الثغر يبدو موهناً فأُشيمه
برانى شـوقٌ للنبىّ محمـــد ... يسوم فؤادى بحدّه[4] ما يسومه

= هذا وقد وردت التحميدات وما يليها فى المخطوط رقم D788 بخزانة الرباط الملكية كالآتى :
« بستان الدول – تلخيص الذهب – جيش التوشيح – اللمحة البدرية – رقم الحلل فى نظم الدول – السحر والشعر – عمل من طب لمن حب – التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى – الإكليل الزاهر – الإحاطة فى تاريخ غرناطة – روضة التعريف بالحب الشريف – ما كتبه عن السلطان إلى التربة المقدسة ، وأولها القصيدة « إذا فاتنى . . . » – التربة المقدسة مرة أخرى دعاك بأقصى المغربين غريب – إلى الأمير بالمدينة المشرفة – الفتوحات الواقعة – المراجعات التالية – مراجعة الخلافة التونسية – مدينة جيان – الصدقات والبيعات (ص58) ... إلخ.
وقد وردت فى المخطوط رقم ج 10 – [1] من المكتبة السابقة على النحو السابق .
ووردت فى المخطوط رقم 331 ك كما يأتى :
بستان الدول – تلخيص الذهب – جيش التوشيح – اللمحة البدرية – رقم الحلل فى نظم الدول – السحر والشعر – عمل من طب لمن حب – التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى – الإكليل الزاهر – الإحاطة – روضة التعريف – ما كتب عن السلطان إلى التربة المقدسة – التربة المقدسة مرة أخرى (دعاك بأقصى المغربين) – إلى الأمير بمكة المشرفة – الفتوحات الواقعة .

(١) ورد عنوان هذا الفصل فى الملكية كالآتى : (ومن ذلك ما صدر عنى مما كتبت به عن السلطان إلى التربة المقدسة حيث قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شيئاً) .
(٣) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نذير وديمه) .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فى برحه) .

ألا يا رسول الله ناداك ضارعٌ ... على البعد[1] محفوظ الوداد سليمه
مشوق إذا ما الليل مدَّ رواقه ... تهمّ به تحت الظلام همومه
إذا ماحديث عنك جاءت به الصَّبا ... شجاه من الشوق الحديث قديمه
أيجهر بالنَّجوى وأنت سَميعُها ... ويَشرح ما يخفى وأنت عَليمه
وتعوزه السُّقيا وأنت غِياثُه ... وتتلفه البلوى وأنت رحيمُه
بنورك نور الله قد أشرق الهدى ... فأقماره وضَّاحةٌ ونجومُه[2]
ومن فوق أطباق السما بك اقتدى ... خليلُ الذى أوطا لها[3] وكليمه
لك الخلق الأرضى الذى جلّ ذكره ... ومجدٌ فى الذكر الحكيم[4] عظيمُه
يجلُّ مدى علياك عن مدح مادح ... فهو سرّ درّ القول فيك عديمه
ولى يا رسول الله فيك وراثة ... ومجدك لا ينسى الذِّمام كريمه
وعندى إلى أنصار دينك نِسْبةٌ ... هى الفخر لايخشى انتقالا مقيمه
وكان بودّى أن أزور مبوَّأً ... بك افتخرت أطلالُه ورسومه
وقد يجهد الإنسان طرف اعتزامه ... ويعوزه من بعد ذاك مرُومه
وعذرى فى تَسْويف عزمى ظاهر ... إذا ضاق عذر العزم عمّن يلومه
عدتنى بأقصى الغرب عن تُرْبك العدا ... جلالِيّةٌ الثغر الغريب ورُومُه
أجاهد منهم فى سبيلك أُمة ... هى البحر يعيى أمرها من يرومه
فلولا اعتناءٌ منك يا ملجأ الورى ... لريعَ حِماه واستُبيح حريمُه
فلا تقطع الحبل الذى قد وصلتَه ... فمجدك موفور النوال عميمه
وأنت [لنا][5] الغيث الذى نستدرُّه ... وأنت لنا الظلُّ الذى نستديمه
ولما نَأت دارى وأعذر مطمعى ... وأقلقنى شوق يشبّ جحيمه

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النأى) .
(٢) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية كالآتى (فأنواره ملتفة وغيومه)
(٣) وردت فى الإسكوريال (كه) والتصويب فى الملكية .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العظيم) .
(٥) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

بعثت بها جَهد المُقلِّ معوِّلا على مجدك الأَعلى الذى جلّ خيمه
وكلت بها همِّى وصدق قريحتى فساعد فى هاء الروى وميمُه
فلا تنسنى يا خير من وطئ الثرى فمثلك لا يُنْسَى لديه خديمُه
عليك صلاة الله ما دَرّ شارق وما راق من وجه الصباح وسِيمُه

إلى رسول الحق ، إلى كافة الخلق ، وغمام الرحمة ، الصادق البَرْق ، والحايز فى ميدان اصطفاء الرحمن ، قَصَب السَّبق ، خاتم الأَنبياء ، وإمام ملائكة السماء ، ومن وجبت له النبوة ، وآدم بين الطين والماء ، شفيع أرباب الذنوب ، وطبيب أَدواء القلوب ، ووسيلة الخلق إلى علّام الغيوب ، نبىّ الهدى ، الذى طهر قلبه ، وغفر ذنبه ، وختم به الرسالة ربُّه ، وجرى فى النفوس مجرى الأَنفاس حبّه ، المشفع[١] يوم العرض ، المحمود فى ملأَ السموات والأَرض ، صاحب اللواء المنشور ، والمؤتمن على سِرِّ الكتاب المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور ، المؤيد بكفاية الله وعصمته ، [الموفور حظه من عنايته وحرمته][٢] ، الظِّل الخفَّاق على أُمته ، من لو حازت الشمس بعض كماله ، ما عدمت إشراقاً ، أَو كانت للآباء رحمة قلبه ، ذابت [نفوسهم][٣] إشفاقاً ، فآيته الكون ومَعْناه ، وسر الوجود ، الذى يبهر الوجود سَناه ، وصفى حضرة القدس ، الذى لا ينام قلبُه إذا نامت عيناه . البشير الذى سبقت له البشرى ، ورأَى من آيات ربه الكبرى ، ونزل فيه سبحان الذى أَسْرَى . الأَنوار من عنصر نوره مستمدة ، والآثار [تخلق و][٤] آثاره مستجدة . من طُوى بساط الوحى لفقده ، وسُدّ باب [النبوة والرسالة][٥] من بعده . وأُوتى جوامع الكلم ، فوقفت[٦] البلغاءُ حَسْرَى دون حدّه ، الذى انتقل

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الشفيع) .
(٢) هذه العبارة المحصورة بين الخاصرتين واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية كالآتى (الرسالة والنبوة) .
(٦) وردت فى الإسكوريال (فوقف) والتصويب من الملكية .

فى الغرر الكريمة نوره، وأضاءت لميلاده[١] مصانع الشام وقصوره، وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره ، وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته ، فجاء بتصديق الخبر ظهوره ، [وأخذ عهد الإيمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته][٢] المفزع الأمنع ، يوم الفزع الأكبر ، والسند المعتمد فى أهوال المحشر ،ذو المعجزات[٣] التى أثبتتها المشاهدة والحس، وأقرّ بها الجنّ والإنس، من جماد يتكلم ، وجذع لفراقه يتألم ، وقمر له ينشق ، وحجر[٤] يشهد أن ما جاء به هو الحق ، وشمس بُدعايه عن مسيرها تحبس ، وماءٌ من أصابعه يتفجر[٥] ، وغمام باستسقايه يصوب[٦] ، وركيّة بصق فى أجاجها ، فأصبح ماؤها ، وهو العذب المشروب ، المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب ، المسمى بالحاسر العاقب ، ذو المجد البعيد المراقى والمراتب ، أكرم من بُعثت إليه ، وسيلة المعترف المغترب ، [ونجحت لديه قربة البعيد المغترب][٧] سيد الرسل ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الذى فاز بطاعته المحسنون ، واستُنْقِذ بشفاعته المذنبون ، وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هُمْ يحزنون ، صلى الله عليه وسلم ، ما لَمع برق ، وهمع ودق ، وطلعت شمس ، ونسخ اليوم أمس ، من عتيق شفاعته ، وعهد طاعته ، المعتصم بسببه ، المؤمن بالله ثم به ، المُستَثنى بذكره كلما تألم ، المفتتح بالصلاة كلما تكلم ، الذى يمثل طلوعه بين أصحابه وآله ، وإن هب النسيم العاطر ، وجد فيه طيب خلاله ، وإن سمع الأذان تُذكر صوت بِلالِه ، وإن ذكر القرآن ، تردد جبريل بين معاهده وجلاله ، لائم تُرْبِه ، ومؤمل

---

(١) وردت فى الإسكوريال (لنوره) والتصويب فى الملكية .
(٢) هذه العبارة المحصورة بين الخاصرتين واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (المشاهد) والأولى أرجح .
(٤) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (وشجر) والأولى أرجح .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بنبجس) .
(٦) هنا وردت فى الملكية عبارة مكررة (ومعناه وسر الوجود . . . وأثاره مسنجده) .
(٧) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

قربه ، ورهين طاعته وحبه ، المتوسل[١] به إلى رضى الله وربّه ، يوسف بن إسماعيل ابن نصر ، كتبه إليك يا رسول الله، والدمع ماح ، وخيل الوجد ذا جماحٍ ، عن شوق يزداد ،كلما نقص الصبر ، وانكسار لا يُتاح له إلا بدنو مَزارك الجَبْر، وكيف لا يعيي مشوقك الأَمر ، وتوطى على كبده الحجر ، وقد مطلت الأَيام بالقدوم على ترتبك المقدسة اللُحد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد ، وانصرف الرفاق، والعين بإثْر ضَريحك ما اكتحلت، والركايب إليك ما ارتحلت، والعزايم قالت وما فَعَلَت ، والنواظر فى تلك المشاهد الكريمة لم تسرح ، وظهور الآمال عن ركوب[٢] العجز لم تبرح ، فيالها من معاهد ، فاز من حيّاها ، ومشاهد ما أَعطر ريّاها . بلاد نِيطت بها عليك التَّمايم ، وأَشرقت بنورك منها النُّجود[٣] والتَّهايم ، ونزل فى حجراتها عليك الملك، وانجلى بضيا فُرْقانِك فيها الحَلَك. مدارس الآيات والسُّور ، ومطالع المعجزات [السافرة الغُرر][٤] ، حيث قُضيت الفروض وخُتمت ، وافتتحت سور الوحى وخُتمت ، وأُبدئت الملة الحنيفيّة وتُممت ، ونسخت الآيات وأُحكمت . أَما والذى بعثك بالحق هادياً ، وأَطلعك للخلق نوراً بادياً[٥] ، لا يطفى غلَّتى إلَّا شِربك ، ولا يسكن لوعتى إلَّا قُربك ، فما أَسعد من أَفاض من حرم الله إلى حرمك ، وأَصبح بعد أَداءِ ، ما فرضت ، عن الله ضيف كرمك ، وعفَّر الخدَّ فى معاهدك، ومعاهد أُسرتك ، وتردّد ما بين دارى[٦] بعثتك وهجرتك. وإنى لما عاقتنى عن زيارتك العوايق ، وإن كان شغلى عنك بك ، وصدّتنى[٧] الأَعدا فيك عن وَصْل سببى يسببك ، وأَصبحت بين

---

(١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (المتوصل) والأولى أرجح .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وكور) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (الوجود) والتصويب من الملكية .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، وفى الإسكوريال (السافرة والغرر).
(٥) وردت فى الإسكوريال مرة أخرى (هادياً) والتصويب من الملكية .
(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (دار) والأولى أرجح .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وعدتنى) .

بحر تتلاطم أمواجه، وعدوٍّ تتكاثف أفواجه ، ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه ، فى طايفة من المؤمنين ، بك وطّنوا على الصبر نفوسَهم ، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم ، ورفعوا إلى مصارختك رؤوسهم ، واستعذبوا فى مرضاة الله ومرضاتك نفوسهم ، يطيرون من هَيْعة إلى أخرى ، وينفلتون[١] ، والمحاربون[٢] عن يمنى ويسرى ، ويقارعون وهم الفئة القليلة ، جموعاً كجموع قيصر وكسرى ، لا يبلغون [من عدو هو الذَّر عند][٣] انتشاره ، معشار معشاره ، قد باعوا من الله الحياة الدنيا ، لأن تكون كلمة الله هى العليا ، فياله من سرب مروع [وصريخ عنك ممنوع][٤] ودعاءٌ إليك وإلى الله مرفوع ، وصبيةٍ حُمْر الحواصل ، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل ، والصليب قد تمطّى بمدّ ذراعيه ، ورفعت الأطماع بضبعيه ، وقد حُجبت بالقِتام السما ، وتلاطمت أمواج الحديد ، والبأس الشديد فالتقى الماءُ ولم يبق إلا الدَّما ، وعلى ذلك فما ضعفت البصاير ، ولا ساءت الظنون، وما وُعد به الشُّهدا تعتقده القلوب ، حتى تكاد تشاهده العيون ، إلى أن أتلقّاك غداً إن شاءَ الله ، وقد أبلينا العذر ، وأرغمنا الكفر ، وأعملنا فى سبيل الله وسبيلك البيض والسُّمر . استنبت رُقعتى هذه إليك لتطير بجناح خافق ، [وتشعر نيّتى][٥] التى تصحبها برفيق مرافق ، فيؤدى عن عبدك ويبلِّغ ، ويعفِّر الخدّ فى تُربك ويُمرِّغ ، ويطيب بريّا معاهدك الطاهرة وبيوتك ، ويقف وقوف الخشوع والخضوع تجاه تابوتك ، ويقول بلسان التملُّق ، عند التشبُّث بأسبابك ، والتعلق منكسرة الطرف ، حذراً بمرجها من عدم الصرف ، يا غِياث الأُمة وغمام الرحمة ، ارْحَم غُرْبتى وانقطاعى ، وتغمَّد بطَوْلِك ، قِصَر باعى ، وقوِّ على هيئتك خَوَر طباعى . فكم جُزْت من لُجٍّ مَهُول ، وجُبْت من حَزُون وسهول ، وقابل بالقبول نيابتى ،

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويلفتون) .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المخاوف) والأولى أرجح .
(٣) وردت فى الإسكوريال (من عدد وهم الذر من) ، والتصويب من الملكية .
(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتسعد من نيتى) .

وعجِّل بالرضا إجابتى ، ومعلوم من كمال تلك الشِّيم ، وسخاء[١] تلك الدِّيَم ، أن لا يخيب قصدُ من حطَّ بفنائها ، ولا يظمأُ وارد أكبّ على مائها . اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى ، وآخرهم بالصُّورة ، وأعطيته لواء الحمد ، يسير آدم فمن دونه ، تحت ظلاله المنشورة ، وملَّكت أُمته ، ما زَوَى له من زوايا البسيطة المعمورة ، وجعلتنى من أُمته المجبولة على حبه ، المؤملة لقربه [المفطورة ، وشوقتنى إلى معاهده المبرورة ومشاهده المزورة][٢] ووكلت لسانى بالصلاة عليه ، وقلبى بالحنين إليه ، ورغَّبتنى فى التماس ما لديه ، فلا تقطع عنه أسبابى ولا تحرمنى ، فى حبه أجر ثوابى ، وتداركنى بشفاعته ، يوم أَخْذِ كتابى . هذه يا رسول الله وسيلة من بَعُدت داره ، وشطَّ مزاره ، ولم يُجعل بيده اختياره . فإن لم تكن [هذه][٣] للقبول أهلا ، فأنت للإغضاء [والسمح][٤] أهل ، وإن كانت ألفاظها وعِرة ، فجنابك للقاصدين سهل ، وإذا كان الحبُّ يُتوارث كما أخبرت ، والعروق تَدُسُّ ، حسبما إليه أشرت ، فلى بانتسابى إلى سعد عميد أنصارك [مزيّة][٤] ووسيلة أثيرة حفيّة ، فإن لم يكن لى عمل أرتضيه فلى نيّة ، فلا تنسنى ، ومن بهذه الجزيرة [التى افتتحت][٥] بسيف كلمتك ، على أيدى خير أُمتك ، فإنما نحن وديعة تحت بعض أقفالك ، نعوذ بوجه ربِّك من إغفالك ، ونستنشق من ريح عنايك نَفْحة ، ونرتقب من محيّا قبولك لَمْحة ، ندافع بها عدوًّا طغى وبغى ، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى . فمواقف التمحيص قد أعيت من كَتَب وأرَّخ ، والبحر قد أصمتت [بواعث لُجَجه] من استصرخ ، والطاغية فى العدوان

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسجايا) ، والأولى أرجح .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عنى) .

(٤) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (المفتتحة) .

مستبصر ، والعدوّ محلّق [والمولى مُنصر][1] . وبجاهك نستدفع مالا نطيق ، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق [فلا تفردنا ولا تهملنا وناد ربك فينا ربنا لا تحملنا ، وطوايف أُمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم][2] وربك يقول وقوله الحق : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . والصلاة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ، وصلى على جميع أحزابك وآلك بما يليق[3] بجلالك ، ويحق لكمالك، وعلى ضجيعيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك ، خليفتك فى ملّتك ، وفاروقك المستخلف بعده على ملّتك ، وصهرك ذو النُّورين ، المخصوص ببرك وتجلّتك ، وابن عمك سيفك المسلول على [حلتك][4] بدر سمايك ، ووالد أهلّتك ، [والسلام الكريم عليك وعليهم كثيراً][5] ورحمة الله تعالى وبركاته . وكتب بجزيرة[6] الأندلس ، غرناطة ، صانها الله ووقاها ، ودفع عنها ببركتك كيد عداها .

وكتبت لهذا العهد عن ولده أمير المسلمين أبى عبد الله إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضمنت ذلك ما فتح الله به عليه وساقه من الفتوحات السنيّات إليه ، وفى أوائل عام أحد وستين وسبعمائة[7]

دعاك بأقصى المغربين غريب ... وأنت على بعد المزار قريب
مُدل بأسباب الرّجا وطَرْفه ... غضيضٌ على حكم [المحيا ويهيب][8]
يكلّف قُرص البدر حمل تحيّة ... إذا ما هوى والشمس حين تغيب

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والولى مقصر) ، والأولى أرجح .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (صلاة) .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بحفرة جزيرة) .
(٧) ورد هذا الفصل فى الملكية تحت العنوان الآتى (ومن ذلك ما كتب به إلى التربتان المولوية النبوية)
(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الحياء مريب) .

لنرجع من تلك المعالم غَدْوةً ... وقد ذاع من وَرْد التحية طيب
ونستودع الريح الشَّمال شمايلا ... من الحبّ لم يَعْلم بهنّ رقيب
ويطلب فى جيب الجنوب جوابها ... إذا ما أَطلَّت والصباح مُنيب
ويستفهم الكف الخَضِيب[1] ودمعه ... غراماً بحنَّاء النجيع خضيب
ويتبع آثار المطىّ مشيّعاً ... وقد زمزم الحادى وحنّ نجيب
إذا آثر الأَحباب[2] لاحت محاربا ... يخدُّ عليها راكعاً وينيب
ويلقى رِكاب الحجِّ وهى قوافل ... طلاح وقد لبّا للنداء لبيب
فلا قول إلَّا أَنَّةٌ وتوجُّع ... ولا حول إلَّا زفرة ونحيب
غليل ولكن من قبولك منهل ... عليل ولاكن من رضاك طبيب
ألا ليت شعرى والأَمانى ضلَّة[3] ... وقد تُخطئ الآمال ثم تُصيب
أَينجد نجد بعد شطٍّ[4] مزاره ... ويكتب بعد البعد منه كثيب
وتقضى ديونى بعد ما مطل المدا ... وينفذ بيعى والمبيع معيب[5]
وهل [اقتضى دهرى][6] فيسمح طالعا ... وأَدعو بحظّى مسمعاً فيجيب
ويا ليت شعرى هل لحومى مورد ... لديك وهل لى فى رضاك نصيب
ولكنك المولى الجواد وجاره ... على أَى حال كان ليس يخيب
وكيف يضيق الذرع يوماً بقاصد ... وذاك الجَناب المُسْتجار رحيب
وما هاجنى إلَّا تألُّق بارق ... يلوح بفَوْد اللَّيل منه مَشِيب
ذكرت به ركب الحجاز وجيرة ... أَهاب بها نحو الحبيب مُهيب
فبتُّ وجَفْنى من لآلئ دمعه ... غنىٌّ وصبرى[7] للشجون سَلِيب

---

(١) فى الملكية (الخضيبة).
(٢) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (الأخفاف).
(٣) وردت فى الإسكوريال (ظلة) والتصويب من الملكية.
(٤) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (شحط).
(٥) هذا البيت وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال
(٦) وردت فى الإسكوريال. (يتقضى دينى) والتصويب من الملكية تمشياً مع نص البيت السابق.
(٧) وردت فى الإسكوريال (وسيرى) والتصويب من الملكية.

تريحنى الذكرى ويهفو بى الجوى ... كما مال غصن فى الرياض رطيب
وأحضر تعليلا لشوق بالمنى ... ويطرق وجد غالب فأغيب
منای لو أعطيت الأمانى زورة ... يُبثُّ غرام عندها ووَجِيب
فقول حبيبٌ إذ يقول تشوقاً ... عسى وطنٌ يدنو إلىّ حبيب
تعجبت من سبقى وقد جاوز[1] القضا ... وقلبى فلم يَسْكُبه[2] منه مذيب
وأعجبت أن لا يورق الرمح فى يدى ... ومن فوقه غيث الشوق سكيب
فياسرح ذلك الحىّ[3] لو أخلف الحيا ... لأغناك من صوب الدموع صبيب
وياهاجر الجوّ[4] الجَدِيب تلبّثا ... فعهدى رطب الجانبين خصيب
ويا قادح الزّند الشجاح ترفّقاً ... عليك فشوق الخارجى شبيب
أيا خاتم الرسل المكين مكانه ... حديث الغَرِيب الدار فيك غريب
فؤادى على جَمْر البُعاد فيك مقلَّب ... يماح عليه للدموع قَلِيب
فوالله ما يزداد إلّا تلهُّفاً ... لأبْصَرتَ ماءً ثار عنه لهيب
فليلته ليل السَّليم ويومه ... إذا شدّ للشوق العِصاب عَصِيب
هُداى هوى فيك اهتديت بنوره ... ومُنْتَسبى للصحب منك نسيب
وحسبى عُلًا أنى لصحبك منتم ... وللخزرجيين الكرام نسيب[5]
عَدَتْ عن مغانيك المشوقة للعدا ... عقاربُ لا يخفى لهنّ دبيب
حراص على إطفاء نور قدحته ... فمستلب من [دونها ونسيب][6]
فكم من شهيد فى رضاك مجدَّل ... يظلّله نسر وينتدب ديب

---

(١) وردت فى الإسكوريال (سابق) والتصويب من الملكية.
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (يسبكه).
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (الوحى).
(٤) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (الحد).
(٥) هذا البيت وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال.
(٦) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (دونه وسليب).

تمرّ الرياح الغفل فوق كلومهم فتَعْبَق من أنفاسهـا وتطيب
بنصرك عنك الشغل من غير منّة وهل يتساوى مَشْهَد ومنيب
فإن صحّ منك الحظّ طاوعت المنا ويبعد مَرمَى السّهم وهو مصيب
ولولاك لم تُعجم من الروم عودُها فعود الصليب الأَعجمى صليب
وقد كانت الأَحوال لولا مراغب ضمنت ووعد بالظنون[1] تريب
فما شيت من نصر عزيز وأَنعم أثاب بهنّ المؤمنين مُثيب
منابر عزٍّ أَذّن الفتح فوقها وأَفصح للعضب الطَّرير خطيب
تقود إلى هيجائها كلَّ صاهل كما ريع مكحول اللِّحاظ ربيب
ونجتاب[2] من سود اليقين مدارعاً يكيِّفها من يجتنى ويثيب
إذا اضطرت الخُطى حول غديرها يروقك منهـا لُجَّة وقضيب
فعذراً وإغضاءً ولا تنس صارخاً بعزِّك يرجو أَن يجيب مجيب
وجاهك بعد الله نرجو وإنه لحظ حلِّى بالوفاء رغيب
عليك سلام الله ما طيَّب الفضا عليك مطيل بالثناء مطيب
وما اهتزَّ قدٌّ[3] للغصون مُرنَّح وما افترّ ثغر للبروق شنيب

إلى حجَّة الله ، المؤيد ببراهين أنواره ، وفايدة الكون ونكتة أدواره وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره ، إلى المُجْتَبى ، وموجود الوجود ، لم يُغْن بمطلق الجود عديمه ، والمصطفى من ذرّية آدم ، قبل أَن يكسو العظام أَديمه ، المختوم فى القدم ، وظلمات العدم ، عند صدق القدم [تقديمه وتفضيله][4] ، إلى وديعة النور ، المنتقل فى الجباه الكريمة والغرر ، [ودرَّة الأَنبياء التى لها الفضل على

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بالظهور) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية محرفة (تنجباب) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (قطر) وهو تحريف .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تفضيله وتقديمه) .

الدُّرر][1] ، وغمام الرحمة الهامية الدرر ، إلى مختار الله المخصوص باجْتِبايه ، وحبيبه الذى له المزيَّة على أَحبَّايه ، من ذرّية أنبياء الله آبايه . إلى الذى شرح صدره وغسله ، ثم بعثه واسطة بينه وبين العِباد ، وأرسله ، وأتمّ عليه إنعامه ، الذى أجزله ، وأنزل عليه من [النور والهدى][2] ما أنزله . إلى بُشرى المسيح والذبيح ، ومُلهم التَّجر الرَّبيح ، المنصور بالرعب والريح ، المخصوص بالنسب الصريح . إلى الذى جعله فى المُحول غماماً ، وللأنبياء إماماً ، وشق صدره لتلقى روح أمره غلاماً ، وأعلم به فى التوراة والإنجيل إعلاماً ، وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاماً . إلى الشفيع الذى لا تُرد فى العصاة شفاعته ، والوجيه[3] الذى قرنت بطاعة الله طاعته ، والرؤوف الرحيم ، الذى خلصت إلى الله فى أهل الجرايم ضَراعته ، صاحب الآيات التى لا يسع ردها ، والمعجزات التى أربى على الألف عدُّها . فمن قمر يُشق ، وجِذع يَحن له وحق ، وبنان يتفجر بالماء ، فيقوم برى الظماء ، [وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره ، وغمام][4] يظلل به مقامه ومستقره[5] خطيب المقام المحمود ، إذا كان العَرْض ، وأول من تُشق عنه الأرض [ووسيلة الله التى ما أقرض القرض][6] ولا عرف النفل والفرض ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال من ذى الجلال ، الشاهدة بصدقه صحف الأنبياء وكتب الإرسال ، وآياته التى أثلجت[7] القلوب ببرد اليقين السلسال ، صلى الله عليه ، ما درّ شارق ، وأومض بارق ، وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق ، صلاة تَتأرَّج عن شذا الدهر ، وتَنْبلج عن سنا

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (من الهدى والنور).
(٣) هكذا وردت فى المخطوطين ، وقد تكون (الوحيد) .
(٤) ما ورد بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومسيره) .
(٦) ما ورد بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٧) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (انبلجت) والأولى أرجح .

الكواكب الزُّهر ، وتتردَّد بين السرِّ والجهر ، وتستغرق ساعات النهار[١] ، وأيام الشهر ، وتدوم بدوام الدّهر ، من عَبْد هداه ، ومُستقرى مواقع نداه ، ومزاحم أنصاره فى منتداه ، وبعض سهامه المفوقة إلى [نحور][٢] عداه ، مُؤمل العتق من النار بشفاعته ، ومُحرز طاعة الجبَّار بطاعته ، الآمن باتصال رَعْيه ، من إهمال الله وإضاعته ، مُتخذ الصلاة عليه وسايل نجاة ، وذخاير فى الشَّدايد أىّ مُرتجاة ، ومتاجر بضايعها غير مزجاة ، الذى مَلأَ بحبِّه جوانح صدره ، وجعل فكره هالةً لبَدْره ، وأَوْجَب قَدْرَه[٣] ، على قدر العَبْد لا على قدره ، محمد بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى ، نسيبُ سعد بن عُبادة من أصحابه ، وبوارقِ سحابه ، وسيوف نُصْرته ، وأقطاب دار هجرته ، ظلَّله الله يوم الفَزَع الأكبر ، من رضاك عنه ، بِظِلال الأمان ، كما أنار قَلْبه من هدايتك بأنوار الهدى والإيمان ، وجعله من أهل السِّياحة فى فَضاءِ حُبِّك والهَيْمان . كتبه إليك يا رسول الله ، واليراع يقتضى مقام الهيبة ، صُفرة لونه ، والمداد يكاد أن يُحول سواد جَوْنه ، ووَرَقَةُ الكتاب[٤] ، يخفق فُؤادها حرصاً على حفظ اسمك الكريم وصَوْنه ، والدمع يقطر ، فتُنْقَط به الحروف ، وتُفَصَّل الأسطر ، وتُوهم المثول بمَثْواك المقدس ، لا يمرّ بالخاطر سواه ولا يخطر ، عن قلبٍ بالبعد عنك قريح ، وجَفْن بالبكاءِ جريح ، كلما هبَّ من أرضك نسيمُ ريح ، وانكِسارٍ ليس له إلَّا جَبْرك ، واغتراب لا يُونِس فيه إلَّا قُربك ، وإن لم يُقض فقبرُك . وكيف لا يُسلم فى مثلها الأسى ، ويُوحش الصَّباحُ المسا ، ويَرْجُف جَبَل الصَّبر بعد ما رسَى ، لو لا ولعلّ وما وعسى . فقد سارت الركاب إليك ، ولم يُقض مسير ، وحوَّمت الأسراب عليك ، والجَناح كَسِير ، ووَعَدَت الأملاك فأَخْلَفَت ، وخَلَفت العزايم ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (اليوم) .
(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (حقه) .
(٤) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الفؤاد) والأول أرجح .

فلم تفِ بما حَلفت ، ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأَمثل ، إلا على التَّمثيل ، ولا من المعالم المُلتمسة التَّنوير ، إلَّا على التَّصْوير ، مَهْبط وحِي الله ، ومتنزَّل أسمايه ، ومتردَّد ملايكة سمايه ، ومَرافِق أَوليائه ، ومَلاحد خِيرَةِ [أَصحاب][1] أَنبيائه ، رزقنى الله الرِّضى بقَضايه ، والصبر على جَاحم البعد ورَمْضَايه .

من حَمْراءِ غَرناطة [حرسها الله][2] دارِ ملك الإسلام بالأَندلس ، قاصيه سُبلك ، ومَسْلحة[3] رَجْلك ، يا رسول الله وَخْيلك ، وأَنْأَى مطارح دعوتك ، ومساحب ذَيْلك ، حيث مصاف الجهاد ، فى سبيل الله وسبيلك ، قد ظلَّلها القِتام ، وشهبان الأَسنة أَطلعت منه الإِعْتام ، وأَسواق بيع النفوس من الله ، قد تعدَّدَ لها الأَيَامَى والأَيتام ، حيث الجِراحَ قد تحلَّت بعَسْجَد نجيعها النُّحور ، والشهداءُ تحُف بها الحُور ، والأُمم الغريبة ، قد قَطَعتْها عن المَدَدِ البحور ، حيث المباسِمُ المُفْتَرَّة ، تجلوها المصارع البرَّة ، فتجيبها بالعدا ثغور الأَزاهر ، وتُنْدبُها صَوادح الأَدْوَاح ، برنَّات تلك المزامر[4] ، [وتحلى السحاب أَشلاؤها المعطَّلة من طَلِّها بالجواهر][5] حيث الإسلام من عدُوِّه المكايد بمنزلة قَطْرةٍ من عارض غمام ، وحَصاةٍ من نَثير أَو سَمام ، وقد سدت الطريق ، وأُسْلم للفِراق الغَريق ، وأُغِصَّ الريق ، ويئس من الساحل الغريق . إلَّا أَن الإسلام بهذه الجهة المستمسكة بحبل الله وحَبْلك ، المهتدية بأَدلة سُبُلك ، سالمٌ والحمد لله من الانصداع ، محروسٌ بفضل الله من الابتِداع ، مقدُودٌ من جديد الملَّة ، معدوم فيه وجود الطوايف المُضِلَّة ، إلَّا ما يخص الكفر من هذه العلَّة ، والاستظهار على جَمْع

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومسحبة) والأولى أرجح .
(٤) وردت فى الإسكوريال (المزاهر) مرة أخرى والتصويب من الملكية .
(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

الكثرة من جُموعه بجَمْع القِلَّة[١] . ولهذه الأيام يا رسول الله أقام الله أودَه بَرًّا بوجهك الوجيه ، ورعياً ، وإنجازاً [بوَعْدك وسَعْياً][٢] ، وهو الذى لا يخلف وعداً ، ولا يخيب سَعْياً ، وفتح لنا فتوحاتٍ ، أَشْعَرتنا برضاه عن وطننا الغريب ، وبشَّرتنا منه تعالى بتغمُّد التقصير ورفيع التَّثْريب ، ونصَرنا وله المنَّة ، على عَبَدةِ الصَّليب ، وجعل لألفنا الرديني[٣] ، ولامنا السَّردى حُكْم التَّغليب . وإذا كانت الموالى التى طرقت الأعناق منُنها ، وقررت العوايد الحسنة سيرَها وسُنَنها . تبادر إليها نوابها[٤] الصُّرُما ، وخدامها النُّصَحا ، بالبشاير والمسرات ، التى تشاع فى العشاير ، وتجلو لديها[٥] نتايج أيديها ، وغايات مباديها ، وتتاحفها ونهاديها بمجانى جنَّاتها ، وأزاهر غَواديها ، وتُطرف محاضرها بطرف بواديها ، فبابك يا رسول الله أَوْلى بذلك وأَحَق ، ولك الحقّ الحق ، والحرُّ منا عبدُك المُسْتَرقّ . حسبما سجّله الرِّق ، وفى رضاك من كل من يلتمس رضاه المُطمع ، ومثواك المجمع . وملوك الإسلام فى الحقيقة عَبيد سيرتك[٦] المؤَمَّلة ، وخَوْل مثابتك المُحسَّنة بالحسنات المحمَّلة[٧] ، وشهبٌ تَعْشَى إلى بدورك المكمّلة ، ومحض سيوفك المقلدة فى سبيل الله المحملة ، وحرَسَةِ مهادك ، وسلاح جهادك وبُروق عِهادك . وإن مكْفُول احترامك الذى لا يُخفر ، وربِّى إنعامك الذى لا يكفر ، وملتحف جهادك الذى بمجاذيته بشفاعتك إن شاء الله ويغفر ، يطالع روضة الجنة ، المفتَّحة أبوابُها بمثواك ، ويفاتح رضوان القُدْس الذى أَحبّك وحَواك ، وينشر بضايع الصلاة عليك بين يدى الضَّريح الذى طواك ، ويعرض جنى[٨] ما غَرسْت

(١) وردت فى الإسكوريال (ولهذا) فاقتضى التصويب .
(٢) وردت مكانها فى الملكية كلمة (لو عدك) فقط .
(٣) هكذا فى المخطوطين .
(٤) وردت فى الإسكوريال (نواها) والتصويب من الملكية .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إليها) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (مدتك) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المؤملة) .
(٨) وردت فى الإسكوريال (متى) والتصويب من الملكية .

وبَذَرْت ، ومصداق ما بشَّرت به [لما بشَرت][1] وأنذرت ، وما انتهى إليك طلق جهادك ، ومصب عِمادك ، اتقرَّ عين نصحك الذى أنام العُيون السّاهرة هجوعَها[2] ، وأشبع البطون ورَواها ظمأها ، من[3] الله وجوعَها . وإن كانت الأُمور بمرأى من عين عنايتك ، وغيبها[4] مُتعرَّف بين إفصاحها وكنايتك ، ومحمَّلة يا رسول الله صلى الله عليك [وبلِّغ وسِيلتى إليك][5] ، وهو أن الله سبحانه ، لما عرَّفنى لطفه الخفى فى التمحيص المُقتَضِى عدم المحيص[6] ، ثم فى التخصيص المُغنى بعيانه عن التَّنصيص ، ووافق ببركاتك السارية رحماها فى القلوب ، ووسايل محبتك العايدة بنَيْل المطلوب ، إلى استفادة عظة واعتبار ، واغْتِنام إقبال بعد إدْبار ، ومزيد استبصار ، واستعانة بالله واستنصار[7] ، فسكن هبوبُ الكفر بعد إعصار ، وحُلَّ مُخنَّق الإسلام بعد حِصار . وجرت على سنن السُّنَّة بحسب الاستطاعة والمنَّة السيرة ، وجُبرت بجاهك القلوب الكسِيرة ، ويُسِّرت[8] المآرب العَسِيرة ، ورُفع بيد العزة الضيم ، وكُشف بنور البصيرة الغَيْم ، وظهر القليل على الكثير ، وباءَ الكفر بخطة التعثير ، واستوى[9] الدِّينُ الحنيف على المهاد الوثير . فاهْتَبَلْنا يا رسول الله غرة[10] العدو وانتهزناها ، وشِمنا صوارم [عزة العدو][11] وهَزَزْناها ، وأَرحنا علل الجيوش وجَهَّزناها ، فكانَ

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (هجومها) والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (فى) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (وعينها) والتصويب من الملكية .
(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التحيص) مرة أخرى .
(٧) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (انتصار) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسهلت) .
(٩) وردت فى الإسكوريال (واستولى) والتصويب من الملكية .
(١٠) وردت فى الإسكوريال (بخوة) والتصويب من الملكية .
(١١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال وردت محرفة (عز الله) .

ما ساعد عليه القدر ، والحظُّ المبتدر ، والوِرْد الذى حسن منه الصَّدْر ، أننا عاجلنا مدينة بُرغَة[١] ، وقد جَدَعت الأُختين ، مالَقة ورُندة ، من مداين دينك ، وخزاين[٢] ميادينك أَكواس[٣] الفراق ، وأذكرت مَثَل مَنْ بالعراق ، وسدّت طرق التَّزاور على الطُّرّاق ، وأسالت المسيل بالنجيع المراق ، فى مراصد[٤] المراد والمذاق ، ومَنَعت المراسلة مع هَدْى الحمام ، لا بل مع طيف المنام ، عند الإلمام[٥] ، فيسر الله اقتحامها ، وألحمت بيض الشَّفار ، فى رؤوس الكفار ألحامها ، وأزالت بشرُ السيوف من بين تلك الحروف أقحامها ، فانطلق المسرى ، واستَبْشَرتْ القواعد الحَسْرى ، وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصَّرعى [ومثاقب الأَسرى][٦] ، والحمد لله على فتحه الأَسْنَى ومنحه الأَسْرَى ، ولا إلَه إلَّا الله ، هو منفل قَيْصر وكِسْرى ، وفاتح مغلقاتها المنيعة قَسْراً . واستولى الإسلام منها على قرار جنَّات ، وأُمِّ بنات ، وقاعدت حصون ، وشجرة غصون ، طهرت مساجدها المغتصبة المكرمة ، وفجع فيها الفيل إلَّا فيل أَبْرَهة ، وانطلقت بذكر الله الأَلسنة المذرهة ، وفاز بسبق ميدانها جياده[٧] الفَرِهة . هذا وطاغية الروم ، على توفر جموعه ، وهول مَرْئِيه ومسموعه ، قريب جواره ، بحيث يتصل خواره [وقد عرك إليها الحين حواره][٨] ثم نازل المسلمون ، بعدها شجا الإسلام الذى أعيا النطاسى علاجه ، وكر هذا القطر الذى لا يطاول أعلامه ، ولا يصاول أعلاجه ، وركاب الغارات

---

(١) برغة وبالإسبانية Burgo ، هى بلدة حصينة قديمة تقع فى منطقة رندة .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (موانين) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أوكس) .

(٤) وردت فى الملكية وأغفلت فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الإلمام) والأولى أرجح .

(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) وردت فى الإسكوريال (الحفيد) والتصويب من الملكية .

(٨) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

التى تطوى المراحل ، إلى مكايدة المسلمين طىّ البرود ، وجُحْر الحيَّات التى لا تخلع على اختلاف الفصول ، جلود الزرود ، ومنغص الورود ، فى العذب البرود ، ومُقِضّ المضاجع ، وحلم الهاجع ، ومجهز الخطب الفاجى الفناجع ومستدرك فاتكة[١] الراجع قبل هبوب الطاير الساجع ، حِصْن أَشِر حماه الله ، دعاءً لا خبراً ، كما جعله للمتفكرين فى قدرته مُعْتَبراً ، فأَحاطوا به إحاطة القلادة بالجيد ، وأَدلُّوا عزَّته بعزَّة ذى العرش المجيد ، وحفَّت به الرايات يَسِمُها[٢] وسْمُك ، [ويلوح فى صفحاتها اسم الله واسمك][٣] ، فلا ترى إلَّا نفوساً تتزاحم على موارد الشهادات[٤] أسرابا ، وليوثاً يصدق طعانها فى الله وضرابها ، وأَرسل الله عليها رَجَزاً إسرايلياً[٥] من جَراد السهاد ، تشذ آيته عن الأَفهام ، وسدّد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام ، من بعد الإستغلاق والاسْتِبْهام ، وقد عبثت جوارح صخوره فى قنايص الهام ، وأَعيا صعبُه على الجيش اللُّهام ، فأَخذ مُسايفة النقض والنَّهب ، ورغا فوق أَهله الصقب ، ونُصبت المعارج والمراقى ، وفرغت المناكب والتراقى ، واغتنم الصادقون من الله الحظَّ الباقى ، وقال الشهيد[٦] المسابق يا فوز اسْتِباق . ودُخل البلد ، فأَلحم السَّيف ، واسْتُلب البحت والزيف ، ثم استُخْلصت القصبة ، فعلت أَعلامك فى أَبراجها المُشَيَّدة ، وظفر ناشد دينك منها بالنشيدة ، وشكر الله فى قصدها مساعى النصايح الرشيدة ، وعمل ما يرضيك يارسول الله فى سد ثَلْمها ، وهون مستلمها ، ومداواة أَلمها ، حرصاً على الاقتداء فى مثلها بأَعمالك والاهتداء[٧] بمشكاة كمالك ، ورُتب فيها الحماة ، تُشْجِى

---

(١) هكذا وردت فى الملكية . ومكانها بياض فى الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يسومها) .
(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الشهادة) .
(٥) هكذا فى المخطوطين ، وقد تكون (إسرائيلياً) .
(٦) وردت فى الإسكوريال (الشاهد) والتصويب من الملكية .
(٧) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والاقتداء) مرة أخرى ، والأولى أرجح .

العدو ، وتواصل فى [مرضاة الله و][1] مرضاتك الرَّواح والغُدُو . ثم كان الغزو إلى مدينة أُطْرِيرَة[2] ، بنت حاضرة الكفر إشبيلية ، التى أَظلَّتها بالجناح الساتر . وأَنامتها فى ضمان الأَمان للحسام البائر . وقد وتر الإسلام من هذه المومِسَة البايسة ، فوتر الواتر ، وأَحفظ منها بادى الوقاح المهاتر ، لما جرّته[3] على أَسراره من عمل الخاتل الخاتر ، [حسب المنقول المقبول لا بل المتواتر][4] ، فطوى إليها المسلمون المدا النازح ، ولم يشك المطىُّ الروادح[5] ، وصدق الجدّ جدها المازح ، وخفقت فوق أَوكارها أَجنحة الأَعلام ، وغَشِيتها أَفواج الملايكة المُسَوَّمة ، وظلَّل الغمام ، وصابت من السهام ودق الرغام ، وكاد يكفى السماء على الأَرض ارتجاج جوانحها[6] بكلمة الإسلام ، وقد صَمَّ خاطب عروس الشَّهادة ، عن الملام ، وسمح بالعزيز المصون ، فبايع الملك العلَّام ، وتكلَّم لسان الحديد الصامت ، وصمت إلَّا بذكر الله لسانُ الكلام ، ووقت الأَوتار بالأَوتار ، ووصل بالخطا ذَرْعُ الأَبيض البتَّار ، وسُلطت النار على أَربابها ، وأَذن الله فى تَبار تلك الأُمة وتَبابها ، ونزلوا على حكم السيف آلافاً ، بعد أَن أُتلفوا بالسلاح إتلافاً ، واستدُعيت المقاتلة كثافاً ، ونزلوا فى الجول أَكتافاً أَكتافاً ، وحُملت العقايل والخرايد والولدان والولايد ، إركاباً من فوق الظهور وإردافاً ، وأَقلت منها أَفلاك الحُمول بدوراً تضئ من ليالى المحاق أَسْدافاً ، وامتلأَت الأَيدى من المواهب والغنايم ، بما لا يُصَوِّرُه حلم النايم ، وتركت العوافى تتداعى إلى تلك الولايم ، وتتفتَّك[7] من مطامعها

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) أطريرة وبالإسبانية Utrera هى بلدة صغيرة تقع فى جنوب شرق إشبيلية وشرق نهر الوادى الكبير .

(٣) وردت فى الإسكوريال بعد هذه الكلمة عبارة (على حربه) ، وظاهر أنه لا محل لها فى السياق .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الروازح) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (أخواتها) والتصويب من الملكية .

(٧) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتفتر) .

فى الملايم ، وشُنَّت الغارات على حِمص[١] ، فجللت خارجها مغاراً ، وكست كبار الرّوم بها صغاراً ، وأحجرت أبطالها إحجاراً ، واستاقت من النعم ما لا يقبل الحصر اسْتِبحاراً ، ولم يكن إلا أن عدل القسم ، واستقل [بالقبول العزيز][٢] ، الرسم ، ووضح من التوفيق الوَسْم . وكانت الحركة إلى قاعدة جيّان ، قيمعة الظِّل الأبرد ، ونسيجة المنوال المفرد ، وكِناس القيد الخُرَّد ، وكرسى الإمارة ، وبحر العمارة ، ومهوى هوى الغيث المتون ، وحزب التين والزيتون ، حيث خندق الجنَّة المعروف[٣] ، تدنو لأهل النار مَجانيه[٤] ، وتُشرق بشواطى الأنهار إشراق الأزهار وزهر مبانيه ، والقلعة التى تختَّمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم ، وهمت من دون سحابها البيض سحايب الغيث السَّجُوم ، والعقيلة التى أبدى الإسلام يوم طلاقها ، وهجوم فِراقها ، سِمَة الوجوم [لذلك الهجوم فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الوادعة ، وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادعة وحيتها بالفادحة البارعة][٥] ، فغصت الرُّبا والوهاد بالتكبير والتهليل ، وتجاوبت الخيل بالصَّهيل ، وانهالت الجموع [المجاهدة فى الله] ، انهيال الكَثِيب المَهِيل ، وفهمت النفوس[٦] المجاهدة فى الله حق الجهاد[٧] ، معانى التَّيسير من ربها والتسهيل ، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل ، وأربت المحلَّات المُسْلمات على التَّأميل . ولما صبّحتها النواصى المقبلة الغُرَر ، والأعلام المُكتتبة الطُّرر ، برز حاميتها مُصْحِرين ، وللحوزة المستباحة مستنصرين[٨] ، وكاثرهم من سرعان الأبطال رجل

---

(١) حمص أى مدينة إشبيلية .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مجالية) .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٦) وردت مكانها فى الملكية (نفوس العباد) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جهاده) .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (منتصرين) .

الدَّبا ، وبنت الوهاد والربا ، فأقحموهم من وراء السور ، وأسرعت أقلام الرماح فى بسط عددهم المكْسُور ، وتُركت صرعاهُم ولائمُ للنُّسور . ثم اقتحموا رَبَضَ المدينة الأعظم ، ففرعوه ، وجدّلوا من دافع عن أسواره وصَرَعُوه ، وأكْوَاس الحتُوف جَرَّعوه . ولم يتَّصل أُولى الناس بأُخراهم ، وكمل[1] ، بمخيّم النصر العزيز سراهم ، حتى خَذَل الكفَّارَ الصبرُ ، وأسلم الجلد ، ونزل على المؤمنين النصر[2] ، فدُخل البلد ، وطاح فى السيل (الجارف][3] ، الوالدوالولد ، والتهم المُطْرف والمُتْلد ، فكان هولًا بعيد الشَّنَاعة ، وبَعْثاً كقيام الساعة ، أعجل المجانيق عن الركوع والسجود ، والسلالم عن مطاولة النُّجود ، والأيدى عن ردم الخنادق والأغوار ، والأكْبُش عن مناطحة الأسوار ، والنُّفوط عن إصْعاق الكفار[4] وعمد الحديد ، ومعاوز الباس الشديد ، عن نقب الأبراج ، ونقض الأحجار ، فهيلت[5] الكثبان ، وأبيد الشيب والشبان ، وكسرت الصلبان ، وفجع بهذا الكنايس والرهبان ، وأُهْبِطت النواقيس من مراقيها العالية ، وصروحها المتعالية وخلعت ألسنتها الكاذبة ، ونقل ما استطاعته الأيدى المتجاذبة ، وعجزت عن الأسلاب ذوات الظهور ، وجلَّل الإسلام شعارُ الغَزْو والظهور ، بما خلت عن مثله سوالف الأعوام والشهور ، وأعْرَسَت الشهداءُ من النفوس المبيعة ، [من الله][6] ، نحل الصدقات الصادقة والمهور . ومن بعد ذلك هدم السور ، ومحيت من مختطَّه المحكم السطور ، وكاد يسير ذلك الجبل ، الذى اقتعدته المدينة ، ويُدك ذلك الطُّور . ومن بعدها خرب الوجار ، وعقرت الأشجار ، وعُقر المنار ، وسلطت

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتخيموا) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الصبر) ، والتصويب من الملكية .
(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الفجار) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فمهلت) .
(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

على بنات التراب والماءِ النار. وارتحل عنها المسلمون ، وقد عمّتها[١] المصايب وأَصْمَى لبّتها السَّهمُ الصَّايب ، وظللها[٢] القشاعم العصايب ، فالذيابُ فى الليل البهيم تعمل ، والضباع من الحَدْب البعيد تَنْسل ، وقد ضاقت الجدل عن المخانق وبيع العَرَض الثمين بالدانق ، وسبكت إسورة الأَسوار ، وسُويت المضاب بالأَغوار ، واكتُسحت الأَحواز القاصية سرايا الغوار. وحجبت بالدخان مطالع الأَنوار ، وتخلفت قاعتها عبرة للمعتبرين ، وعِظةً للناظرين ، وآية للمُسْتَبصرين ، ونادى لسان الحميَّة بالثارات الإسكندرية ، فأَسمع آذان المقيمين والمسافرين ، وأَحق الله الحق بكلماته ، وقطع دابر الكافرين. ثم كانت الحركة إلى أُختها الكبرى ، وَلِدَّتها الحزينة عليها العَبْرى[٣] ، مدينة أُبَدَة[٤] ، دار[٥] العمران المستبحر ، والربض الحرى المحصر[٦] ، والمبانى الشم الأُنوف ، وعقايل المصانع الجمة الحلى والشُّنوف ، والغاب الأَنوف ، وبلد التجر ، والعسكر المجر ، وأُفق الضلال الفاجر الكذب على الله ، الكاذب الفجر ، فجدّل الله حاميته ، التى يعيى الحسبان عددها ، وشجر بحورها التى لا يرام مدها ، وحقّت عليها كلمة الإسلام[٧] ، فلا يستطاع ردُّها ، فدُخلت لأَول وهلة ، واستوعب [جمعها][٨] ، والمنة لله ، فى نَهْلة ، ولم يك للسيف من غَضب عليها ولا مُهلة. فلما تناولها العفاءُ والتخريب ، واجتاحها[٩] الفتح القريب ، وأَسند عن عواليها حديث النصر الحسن القريب ،

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نجمتها) .

(٢) وردت محرفة فى الإسكوريال (وصلابة) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الغبرى) والأولى أرجح .

(٤) أبدة وبالاسبانية Ubeda هى مدينة أندلسية قديمة تقع شرق قرطبة على مقربة من منابع نهر الوادى الكبير .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ذات) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المصحر) .

(٧) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الله) .

(٨) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واستباحها) .

وأُقْعِدت أَبراجُها من بعد القيام والانتِصاب ، وأَضرعت مَسايغها لهول المصاب ، انصرف عنها المسلمون بالفتح ، الذى عظم صيته ، والعزِّ الذى سما طرفُه ، واشرأَب ليتُه ، والقصر[1] الذى حمُد مسراه ومَبيته ، والحمد لله ناظم الأَمر ، وقد رَأَبَ شَتِيتَه ، وجابر الكسر ، وقد أَفات الجبر مفيته . ثم كان الغزو إلى أُم البلاد ، ومثوى الطارف والتلاد ، قرطبة ، وما أَدراك ما قرطبة . المدينة ، التى على عمل أَهلها فى القديم ، بهذا الإقليم ، كان العمل ، والكرسى الذى بفضله أُرعى الهَمَل ، والمِصْرُ الذى له فى خطة المعمور الناقة والجمل ، والأُفق الذى هو لشمس الخلافة العَبْشَمِيَّة الحمل ، فخيّم الإسلام بعنوتها المستباحة ، وأَجاز نهرها المعيى على السياحة ، وعمّ دَوْحَها الأَشفَّ بواراً ، وأَدار المحلات بسورها سِواراً ، وأَخذ بمخنَّقها حِصاراً ، وأَعمل النصر بشجر[2] نصلها ، اجتناءً ما شاء الله واهْتِصاراً ، وجدَّل من أَبطالها من لم يرض الحجار ، فأَعمل إلى المسلمين إحصاراً ، حتى فرع بعض جهاتها غلابا جهارا [ورفعت الأَعلام إعلاماً بعزِّ الإسلام وإظهاراً][3] ، فلولا استهلال الغوادى ، وإن أَتى الوادى ، لأَفضت إلى فتوح[4] الفتوح تلك المبادئ ، وأَمضى تفثة العاكف والبادى ، فاقتضى الرأْى ، ولذنب الزمن بفضل الله فى اغتصاب الكفر إياها متاب ، تعمل ببشراه اقْتَاد وأَقْتَاب ، ولكل أَجل كِتاب ، أَن يُراض صعبها ، حتى يعود ذَلُولا ، وتُعَفَّى معاهدها الآهلة ، فتترك طلولا ، فإذا فجع الله بمارج النار طوايفها المارجة ، وأَباد نجارجها الطايرة والدَّارجة ، خطب السيف منها أَمَّ خارجة . فعند ذلك أَطلقنا بها أَلسنة النار ، ومفارق القضاب بالهشيم قد شابت ، والغلات المُستَغلَّات ، قد دعا بها أَهل[5] الفضل فما ارتابت ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العزم) .
(٢) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (بثدى) والأولى أرجح .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية وساقط بالاسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فتح) .
(٥) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

وكأنَّ صفيحة نهرها ، لما أضرمت النار خفاقى ظهرها ذابَتْ ، وحيّةٌ فرَّت أمام الحريق وانْسَابت ، وتخلفت لغمايم الدخان عمايم ، تلوبها برءُوس الجبال ، أيدى الرياح ، وتنشرها [بعد الركود][1] ، أيدى الاجْتِياح . وأغرينا[2] ، بأقطارها الشاسعة ، وجهاتها الواسعة ، جنود الجوع ، وتوعدت بالرجوع[3] ، فسلبت أهلها لتوقع [الهجوم][4] ، منزور الهجوع ، فأعلامها خاشعة خاضعة ، وولدانها لثدى البُؤس راضعة ، والله يوفد بخبر فتحها القريب ركاب البشرى ، وينشر رحمته قِبلنا نشرا . ولهذا العهد ، يا رسول الله ، صلى الله عليك ، وبلَّغ وسيلتى إليك ، بلغ [عز][5] ، هذا القطر المرتدى بجاهك ، الذى لا يذل من ادّرعه ، ولا يضِلُّ من اهتدى بالسبيل الذى شرعه ، إلى أن لاطفنا ملك الرّوم ، بأربعة من البلاد ، كان الكفر قد اغتصبها ، ورفع التماثيل ببيوت الله ونصبها ، فانجاب عنها [بنورك][5] الحَلَك ، ودار بإدالتها إلى دعوتك الفَلَك ، وعاد إلى مكاتبها[6] القرآن ، الذى نزل به على قلبك الملك ، فوجبت مطالعة مقرك النبوى بأحوال هذه الأُمة المكفولة فى حِجْرك ، المفضلة بإدارة تجرك ، المهتدية بأنوار فجرك ، وهل هو إلا ثمرات سعيك ، ونتائج رَعْيك ، وبركة حبِّك ورضاك ، الكفيل برضا ربِّك ، وغمام رَعْدِك ، وإنجاز وَعْدك ، وشعاعٌ من نور سعدك ، وبرٌّ رعى رعيه من بعدك ، ونصر رايتك ، وأثر حمايتك ورعايتك . واسْتَنَبْتُ هذه الرسالة ، مانحة بحر النَّدى الممنوع ، ومفاتحته بإبداء الهدى بفتح الفتوح ، وقارعة المظاهر والصروح ، وباقية الرحل ، بمتنزل المليكة والروح ، لتمد إلى

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وأغربت) .
(٣) هذه الكلمة واردة فى الاسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٤) واردة فى المللكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، ووردت محرفة فى الملكية (مكانتها) .

قلبك يد استِمْناح ، ويطير إليك من الشوق الحثيث بجناح ، ثم تقف موقف الانكسار ، فإن كان تجرها آمناً من الخسار ، وتقدم بأُنس ، ويحجم بوحشة الغربة ، ويحبس لطول الغيبة ، وتقول ارحم بُعد دارى ، وضعف اقتدارى ، وانتزاح أوطانى ، وعاق أَعْطانى ، وقلة زادى ، وفراغ مزادى ، وتقبل وسيلة اعترافى وتغمد صفوة اقترافى ، وعجل بالرضا انصراف تحملى لا انصرافى ، فكم جُبْتُ من بحر زاخر ، وقفر بالركاب ساخر ، وحاشى لله أن يخيب قاصدك ، أو يتخطَّاى مُعاضِدك ، أو تطردنى مَوايدك ، أو تضيق عنى عوايدك. ثم تمدّ اليد مُقْتَبضة من يد رحمتك ، مستدعية دعاءَ مَن حضر من أُمتك ، وأَصحبتها يا رسول الله ، عرضاً من النواقيس التى كانت بهذه البلاد المفتتحة ، تعين الإقامة والأَذان ، وتسمع الأَسماع الضَّالة والآذان ، مما قبل الحركة ، وسالم المعركة ، ومكن من نقله الأَيدى المشتركة ، واستحق بالقدوم عليك ، والإسلام بين يديكَ السابقة فى الأَزل والبركة . وما سواه فكانت جِبالًا عجز عن نَقْلها الهِندام . فنسخ وجودها الإعدام . وهى يا رسول الله جنًى من جنانك ، ورُطَبٌ من أَفنانك ، وأَثر ظهر عليها من مسحة حنانك ؛ هذه هى الحُلل والانتحال ، والعايق أَن تشدّ الرحال ، ويعجل الترحال إلى أَن نلقاك فى عَرَصات القيامة شَفِيعاً ، ونحل بجاهك إن شاء الله محلا رفيعاً ، ونُقَدَّمُ فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أَجلك ، الناهلة غللهم فى سِجِلِّك ، ونبتهل إلى الله ، أَطْلَعك فى سماء الهداية سراجاً ، وأَعلى لك فى السبع الطباق مِعْراجاً ، وأَمّ الأَنبياء منك بالنبى الخاتم ، وقفّى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم ، أَلَّا يقطع عن هذه الأُمة الغريبة أَسبابك ، ولا يسدُّ فى وجوهها أَبوابك ، ويوفقها لاتِّباع هداك ويثبت أَقدامها على جهاد عداك . وكيف نعدم ترفيهاً ، أَو نخشى بسخاً وأَنت مُوفيها ، أَو يعذِّبُها الله وأَنت فيها . وصلاة الله تحيط بفنايك رحال طيبها ، وتبذر فى ناديك شقايق خطيبها ، ما أَذكر الصباح

الطلق هداك ، والغمام السّكيب نداك ، وما حنّ مشتاق للثم ضريحك . وفليت نسمات الأسحار عما أشرقت من ضريحك ، وكتب فى كذا[1] .

---

(١) إن هذه الرسالة الصادرة عن قلم ابن الخطيب والموجهة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وإلى ضريحه الشريف باسم السلطان محمد بن يوسف بن نصر (الغنى بالله) والتى قبلها الموجهة كذلك إلى الضريح النبوى باسم والده السلطان يوسف أبى الحجاج . إنما هى نماذج من رسائل عديدة ، كثر توجيهها فى هذا العصر إلى الروضة الشريفة ، وإلى النبى العربى ، صادرة عن الملوك والأمراء والكبراء بأقلام أكابر الكتاب المعاصرين ، وهى دلالة على ماكان يشع من القلق المعنوى يومئذ فى نفوس الملوك والقادة عن مصاير « الأمة الغريبة » (الأمة الأندلسية) ، المنقطعة فيما وراء البحر ، والتى يطبعها كثير من التشاؤم إزاء ازدياد قوة اسبانيا النصرانية واشتداد ضغطها على مملكة غرناطة الصغيرة ، وقد وردت هاتان الرسالتان فى كتاب « الإحاطة فى تاريخ غرناطة بالمجلد الرابع منه الأولى (ص ٥٢٦ — ٥٣٥) ، والثانية (ص ٥٣٦ — ٥٦٠) .

الصدقات والبيعات

صدر عنى فى ذلك صِداق منعقد على أُخت السلطان أبى الحجاج بن نصر للرئيس أبى الحسن على بن نصر ، ما نصه :

الحمد لله مانح أسباب الهبات ومسديها[١] ، وفاتح أبواب الآمال البعيدة المنال ومُدْنيها ، وجاعل البركات الظَّاهرة ، مَنُوطة باتباع [أوامر][٢] هذه الشريعة الطاهرة ، واجتناب نواهيها . حمداً يَصِل المِنَن بالمنن ، ويربط المواهب بالمواهب ، الذى أنشأ الإنسان ، من نفس واحدة ، وجعل العالم صفات حدوثها بعزمه شاهدة ، وجاد على الخلايق من نِعَمه وعواطف رَحْماه ، بأفضل صلات وأكرم عايدة ، وأوردهم من موارد لطفه ، كل عَذْب المشارب . هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ومنهى عباده ، إلى ما سبق فيهم ، من سوابق[٣] الإرادة ، وجاعلهم قسمين ، فمُنْية إلى الشقاء ومُنية إلى السعادة ، لا اعتراض على حكمه الفصل ، وأمره الغالب . تقدس عن لواحق[٤] الحوادث والأغيار ، وتعلَّى عن هواجس الخواطر ، وخطرات الأفكار ، ووَسِع الأكوان ، ظاهرها وباطنها ، باللُّطف الخفى ، والجود المِدْرار ، فشملت نعمته الهامية السحاب . أوجر العالم ليعبدوه ، وألزمهم أن ينزِّهوه ويمجِّدوه ، وعرّفهم وجوده الضرورى ، ولولاه ما عرفوه [ولا وجدوه][٥] . وخلفهم فى بطون أُمهاتهم ، خلقاً من بعد خلق ، فى ظلمة الغياهب . شرع لنا الإسلام سبيلا واضحاً ، وأطلع [لنا من][٦] مراشده الباهرة

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومهديها) .

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سابق) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (لاحق) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، وفى الإسكوريال (وما جحوده) والأولى أنسب للسياق .

(٦) هذه الزيادة من الملكية .

نوراً لامحاً ، وبعث إلينا نبيّه الكريم ، رسولا أميناً ، وهادياً ناصحاً، فعرّفنا برسالته ، المستحيلَ من الجَايز ، والمحظورَ من الواجِب . والحمد لله الذى تنزَّه فى عظمته ، وتوحّد فى كبريائه ، وتعالَى ملكه القديم ، وسلطانه الكريم ، فى أرضه وسمايه ، وأحاط علماً بأسباب كل أمر وأحواله ، وانبعاثه ومآله ، وابتدايه وانتهايه ، وصوّر نوع الإنسان(١) بحكمته من الطين اللَّازب . نحمده سبحانه على ما أجْزَل من إحسانه ، وخوّل من رِفْده ، ونُسبِّحه آناءَ الليل وأطراف النهار ، وأن من شيءٍ ، إلَّا يسبح بحمده ، ونعترف بأن كل عارفة ونعمة واكفة ، ومنَّة تالدة أو طارفة ، فإنما هى من عنده . ونبرأُ من المجادلة والمناصب(٢) ، ونشكره ، عَزَّ وجهه ، على ما أسبغ من الإنعام ، ونقر له بالوحدانية ، المنزهة عن الانتهاء والانْصِرام ، ونستزيد من مواهبه الفياضة ، وعَوارفه الجسام ، وآلايه المُحْسبة المآرب ، ونَسَله أن يمدَّنا بالتوفيق والعصمة ، ويصل لنا أسباب العناية والنعمة ، وينوِّر أبصارنا(٣) بنور هداه ، الذى يشفى من العَما ، ويذهب بالظلمة ، ويحملنا من رضاه على أوضح المذاهب . ونشهد أنه الله ، الذى لا إلَه إلَّا هو ، الغنىُّ عن الأنْداد ، المبرَّأ عن الاتصال والانفصال ، والصَّاحبة(٤) والأولاد(٥) ، المنفرد بالقَبْض والبَسْط ، والإعدام والإيجاد ، الملك الذى لا تَفِيض خزاينه على كثرة المُسْتَرفد والراغب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الطيب العناصر ، ونَبِيه العَميم المكارم ، العظيم المفاخر ، وأمينُه المُحْرز فضل الأوَّل والآخر ، وصَفِيُّه الطاهر المناسب ، الكريم الضَّرايب . تخيَّره من أشرف القبايل مَحْتِدًا ومُنْتَسباً ،

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإنس) .

(٢) واردة فى الملكية ومكانها بياض فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بصايرنا) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الصحابة) .

(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الأنداد) مرة أخرى والأولى أرجح .

وأتاه من كل الفضايل سبباً ، واختار له البُطُون الطاهرة ، والأَصْلاب الفاخرة ، أُمًّا فأُمًّا ، وأباً فأباً ، واختصه من شرف الأَخلاق ، وكريم المناسب ، وألبَسَه من المفاخر الرايقة الطُّرر ، والمحامد المتألقة الغُرَر ، أشرف اللِّباس ، وأتاه من كمال الخصايص ، وخصايص الكمال ، كل مضطَّرد القياس ، وجعل أُمتَّه التى كرمها[١] باتِّباعه ، والاستضاء[٢] ، بنور شعاعه ، خير أُمة أُخْرِجت للناس ، وملَّكها بعزِّ دعوته ، ما زَوَى له من المشارق والمغارب ، فشرع صلى الله عليه وسلم ، النِّكَاح ذريعة إلى النَّماء ، وحفظ الأنساب ، ومألَفَةً لمفترقات[٣] الأَهواء ، وصِلَةً لمتَباعدات الأَسباب ، ورفعا لما يهجس من الشك ، ويختلج من الارتياب ، وصوناً لبيوت الشَّرف ، عن الأَوْشَاب والشوايب. [وخطب عليه السلام ، وخطب إليه ، فى الأَحياء ، وقبل الخِطْبة للدعاء ، وجَدَع بالحلال أَنْف الغيرة والإباء][٤] ، وأمر بالتحيُّز للنُّطَف ، والارتياد لعقايل الشَّرف تكريماً للمناسب ، وتنزيهاً للمناصب ، فسعد[٥] باتباعه كل سالك الطريقة [وأوى إلى جناب الله كل آوٍ لحزبه المفلح وفريقه][٦] ، وبان المُبْتَدع من المتبَّع ، بتمييز الحق وتعريفه [ليميز الله الخبيث من الطيب][٧] ، وما الأَخابث كالأَطايب ، فصلوات الله وسلامه ، وتحيته وإكرامه تستلم شريف ترابه ، وتزاحم الوفود على بابه ، وتعرس ركايبها ، بين روضته الطاهرة ومحرابه ، وتحدو جوانبها أيدى الصَّبا والجنايب ، صلاة نجدها زلفى فى المعاد ، وقربة إلى رب العباد ، وذخراً يوم قيام الأَشهاد ، ووسيلة تنال بها

---

(١) وردت فى الإسكوريال (كرمنا) فاقتضى التصويب .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الاستبصار) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (للمفترق) والتصويب من الملكية .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٥) وردت فى الإسكوريال (فصعد) والتصويب من الملكية .

(٦) مابين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٧) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

من رضاه أسنى الرغايب ، والرضا عن آله وأصحابه ، نجوم الاقْتِدا والإتمام[١] ، وسيوف دين الإسلام ، السادة البررة ، القادة الأعلام ، أَحْلاس الخيل ، ورهبان الليل ، وأُسُد الكتايب[٢] ، ونستوهب من الله للمقام العلى المولوى السلطانى الكريم ، اليوسفى النصرى ، سعداً ضافية حلله ، وعزاً[٣] يضاعف به الدين الحنيف أمله ، وتمهيداً يتوفر لجميل صنع الله فيه جذله ، وعناية إلهيّة ، يدل حاضرها على الغايب ، ولا زال نظره الجميل يعم الأقارب والأباعد ، وعطفه وشفقته ، يعذبان للخلق الموارد ، [وخلاله الكريمة تقيد الأمداح الشوارد][٤] ، ولا زال الزمان يتحلى من حلاه ، ومآثر علاه ، بأنفس من عقود الترايب .

أما بعد هذه المقدمة ، التى كرمت اختتاماً وافتتاحاً ، ووجدت فى ميدان الرضا والسعد ، وبلوغ الأمل ، وإحراز[٥] القصد ، مَغْدًا ومَراحاً ، وأوسعت العيون قرة ، والصدور إنشراحاً ، فإن [من][٦] المعلوم الذى لايحتاج إلى دليل ، والمسلَّم الذى لا يتطرق إليه بتعليل ، ولا يُخاف على محكمه[٧] وارد مسخ ولا عارض تأويل . فقد صح[٨] منه كل سبيل ، ما خوّل الله هذه الدولة النَّصرية ، كتب الله نَصْر كِتابها ، وجعل مآثرها قلايد ،تجعلها الأيام قلايد فوق نُحورها وترايبها ، من الكمال الذى وردت به ، غير مدافعة حياطه ، والمجد الذى تفيّأت رياضَه ، والعدل الذى رفعت فوق العباد ظِلاله ، والفضل الذى استشعرت شيمته[٩]

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والالتماص) .
(٢) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (الركايب) والأولى أرجح .
(٣) وردت فى الإسكوريال مرة أخرى (وسعدا) والتصويب من الملكية .
(٤) هذه العبارة وا ردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكويال ، وفى الملكية (إعزاز) .
(٦) زائدة فى الملكية .
(٧) وردت فى الإسكوريال (تحكه) والتصويب من الملكية .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وضح) .
(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شيمه) .

وخلاله ، والجهاد الذى تلقَّت رايته بالاستحقاق، [وقامت بعرضه][1] كفاية عمن دونها من ملوك الآفاق ، وإن الله سبحانه ، نصر الدين الحنيف ، بسَلَفِها فى القديم ، ثم تداركه بخلفها فى هذا الإقليم ، فضاءت بنورهم صبح الليل البهيم ، وأَيْنَع روض[2] العزّ ، فليس[3] بالمصرح ولا بالمشيم ، وتواترها[4] صدراً عن صدر ، وهلالاً عن بَدْر، وولدا عن أب ، وراثة حق ونسب ، من كل ملك صادح[5] بالحق ، مبرز فى حلبة السبق ، مراقب[6] لله فى الخلق ، وهُمام يحيل جياد النصر ، ويطلع شمس السعادة فى العصر . كلما أفل شهابٌ ثاقب ، طلع بدراً فلاكه مُفاخر ومُناقب . صانوا حلل العليا عن ابتذالها ، وحفظوا على الأيام رونق جمالها ، وعالجوا الملَّة الحنيفية من اعتلالها ، وماذا عسى أن يبلغ القول وإن اضطرد ، أو ينتهى المدح وإن شرد ، فى أنباء صحابة الرسول وأنصاره ، وسلالة سعد بن عُبادة ، وزيره الذى لا يضاهى فى رفعة شأنه ، وعلوّ مقداره ، ووليّه الذى أعلن بإجلاله فى قومه الأنصار وإكباره ، وقال لهم لما أطلّ ، قوموا لسيدكم تسجيلا[7] لعقد فَخاره[8] ، إلى أن ألبس الله طوق هذه الخلافة النصرية ، أشرفها فى العشيرة جيداً ، وأكرمها أبا وجدودا ، وجعل زمامها فى أولى الناس بمقادتها ، وأخصهم عند إحالة القداح بسهم سعادتها ، وأطولهم باعاً فى توفير الخلال ، التى يقتضيها ، والمحامد التى يختارها ويرتضيها[9] ، مولانا السلطان

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال، ووردت محرفة فى الملكية (وفاحت بعرضه).
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (دوح) .
(٣) فى الملكية (فلا) .
(٤) فى الإسكوريال (وثوارتها) .
(٥) فى الملكية (صادع) .
(٦) وردت فى الإسكوريال (مراتب) والتصويب من الملكية .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تفضيلا) .
(٨) فى الملكية (افتخاره) .
(٩) وردت فى الإسكوريال مرة أخرى (ويقتضيها) والتصويب من الملكية .

الكبير الشهير الخطير ، العادل الفاضل ، الماجد الكامل ، الأروع الباسل ، المجاهد الحافل ، الماضى الصِّفاح ، فى ذات الله والذَّوابل ، هَضْبة الثبات ، إذا هفت من الروع الهضاب ، وسيف الله الماضى الشَّبا[١] إذا كهمت السيوف العضاب ، الذى اشتمل بالطهارة يافعاً وكهلا ، وكان مذ كان لخلافة المسلمين أهلًا ، المجاهد ، الكذا ، [السعيد الشهيد][٢] أبو الوليد ابن مولانا الهمام الأخطر ، العلم الأشهر ، عنصر المجد اللباب ، وبحر النوال الفياض العباب ، وطود الرِّياسة العالى الجناب ، وصارف عِنان الدولة إلى أبنايه ، بالعزم [الماضى الشَّبا][٣] الثاقب الشهاب ، والرأى المُصْمى بعزة الصواب ، ومستحقها بالاكتساب والانتساب ، ومخلِّدها منهم ، فى الأعقاب إن شاء الله ، وأعقاب الأعقاب ، أبى سعيد فرج بن إسماعيل ابن يوسف بن نصر ، المضاهى[٤] من نُضار الانتساب [الرفيع][٥] ، بغير الرايق ولا البهرج ، المنتهى فى ذؤابة كرام الخَزْرج ، جدّد الله عليه ملابس الرحمة ، وجزاه أفضل ما جزا به الصالحين ، من ملوك هذه الأُمة ، فللّه من سنَّة أحياها ، وسيرة عدل أطلع مُحيّاها ، وسبيل برّ أوضحها ، وأحاديث مجد عن سلفه [من صحابة رسول الله][٦] أثبتها وصحّحها ، وصيّر الله ملكه إلى قرارة رضاه واختياره ، وخلاصة حبه من بين ساير بنيه وإيثاره ، بدر أقماره ، ونَدرة نضاره ، وعنوان سعده ، وبركة داره ، الذى أعلى عماد ملكه ورفعه ، وضمّ شمل المسلمين من بعده وجَمَعه ، وبنى على أساسه ، وأثبَجَ[٧] الكمال من مقدمات

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الشفا) وهو تحريف .

(٢) هذه الزيادة من الملكية .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الاسكوريال . وفى الملكية (المباهى) .

(٥) هذه الزيادة من الملكية .

(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) وردت فى الإسكوريال (واتيح) ، والتصويب من الملكية .

قياسه . مولانا وعمدة ديننا ودنيانا ، الواحد المعدول[١] بآلاف الملوك الصيد ، درّة السلك ، وبيت القصيد ، الجامع لما تفرّق من محاسن الدهر ، كفو الخلافة ، الملئ لها بالمهر ، ذى العزم الأَمْضَى ، والسعى الأَرْضى ، والسياسة التى أَقرت العيون المرهى ، والنفوس المرضى ، الشهير الحلم والأَناة فى [معمور الأَرض شرقه وغربه][٢] الميمون النَّقِيبة ، فى سلمه وحربه ، المصنوع له فى أَعدايه ، عناية من ربِّه ، أَمير المسلمين أَبو الحجاج يوسف ، أَبقاه الله ، وأَيامه عن غُرَر السَّعد سافرة ، وأَقسامه من النصر والفضل[٣] وافرة ، وكتايبه ظاهرة ظافرة ، والحوادث عن مقامه ، شاردة نافرة . فمن له مجد كمجد هذه الدولة ، التى لها الفخر الحقيق ، والنسب الصريح العريق ، والسبب المتين الوثيق ، واقتدى بهذه الشجرة النصرية الشَّمَّاء ، التى أَصلها ثابتٌ وفرعُها فى السماء . فروعها من الأَقارب الرؤساء ، فكانوا نجوماً أَمدّتهم شمسها المنيرة ، بالثناء والسَّناء ، فلم يألُوا فى الاهتداء بهم والاقتداء فضلا منشور اللواء ، وعدلًا مديد الأَنباء ، ومجداً كريم الأَبناء ، وجهاداً قامعاً للأَعداء [يقوم منهم الأَبناءُ فى ذلك بحقوق الآباء][٤] ، ويتوارثون كابراً عن كابر ، مَذْخُورَ ذلك العلاء ، فأَصبحوا[٥] صوارم جلادها ، وولاة بلادها ، وظهراء سلطانها ، وزين أَوطانها ، حفظ الله عليهم ، من عزَّ هذه الإيالة النصرية اليوسفية ، مادَّة سعدهم ، وعُنْصر مَجْدهم ، وإنَّ من أَفضل من أَنجبته هذه البيوت الرياسيّة ، من أَبنايها ، الرييس الكذا الكذا [أَبى فلان][٦] ، وصل الله سعده ، وحرس

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المعدود) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية كالآتى (فى شرق المعمور وغربه).

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والضفر) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، ووردت محرفة فى الإسكوريال (يقوم بذلك شهير المضاء الآباء) .

(٥) هكذا فى الملكية ووردت فى الإسكوريال (فأثبتوا) .

(٦) الزيادة من الملكية .

مجده . فإنه نشأ والعفاف يظلّه ، والمجد ينهله ويعلّه ، والطهارة تضفى عليه ، سوابغ أذيالها ، والأصالة توردة عذب زلالها ، [والسعادة][(١)] تأخذ بضبعيه صعدا وتفسح له من بلوغ الآمال مداً ، لم يعلق بأثواب شبيبته ما يريبها ويشينها ، ولا تلبس بما ينافيه فضلها ودينها ، وأسندت إليه الولاية فسلك فيها سيرة[(٢)] العدل ، وتحلى بحلى النزاهة والفضل ، وإنه أعزه الله ، ترقّت إلى الغاية القصوى آماله ، وانفسح له فى التماس العز الأقعس مجاله [من الشرف العد][(٣)] ، وتشوفت نفسه إلى إحراز الوسيلة ، التى لو طمعت فيها الكواكب الزهر ، لتزحزت عن مراكزها استلطافاً ، وهشّت من آفاقها ، استنزالا واستعطافاً . وسأل الله أن يكيّف له من المقام اليوسفى ، مصاهرة [يزيّد بها فخره][(٤)] العالى أضعافاً . فوافقت دعوته من الله إجابة ، ووافقت رغبته من خليفته [اسعافاً][(٥)] وأجابه ، وما برح يستخير[(٦)] الله [سبحانه][(٧)] ونعم المستخار ، ويمدّ يد الضراعة إليه ، والله يقضى[(٨)] ما يشاء ويختار . وعرض على [المقام][(٩)] المقتدى بالرسول الذى خطب إليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، ما توجهت إليه آماله ، وتوسل بالقربى ، الذى يتوسل بها أمثاله . فلما اتصلت رغبته ، وانثالت وتمادت وتوالت ، ووَرَى بالسعادة زَنْده ، وخفق بالظفر بنده ، ورأى مولانا [أيده الله وأعز نصره وأعلاه][(١٠)] أن وصل سببه ، وزكّى حسبه ، وأوضح فى الإنعام عليه مذهبه ، وأوجب له العهد

---

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) فى الإسكوريال (سير) .
(٣) الزيادة من الملكية .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تزيد مجده) .
(٥) الزيادة من الملكية .
(٦) وردت فى الإسكوريال (يستأخر) .
(٧) الزيادة من الملكية .
(٨) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يخلق) .
(٩) الزيادة من الملكية .
(١٠) الزيادة من الملكية .

السُّنى ، والإملاك السَّنى فى أُخته ، الحرة الجليلة الطاهرة [المعظمة السعيدة][1] إبنة والده ، مولانا أمير المسلمين أبى الوليد ، وصل الله [لهما عوايد] اليُمن والسَّعد ، وعرّفها فى انتقالها أضعاف ما عرفته ، من منشإ المجد ، إيجاباً حالفته السّعود ، وأنجزت له الآمال الوعود ، وأُسس بنيانه ، على تقوى من الله ورضوانه ، الذى تؤسس عليه العقود الدينية والعهود ، فعرف الرييس الأَجل ، أَعزَّه الله ، قَدْر هذه النعمة ، التى لا تقاس بها النِّعم ، إلَّا وترفَّعت عن أَجناسها ، وخرجت عن حكم قياسها ، وتلقاها بما يجب من الشكر الذى يقابل جلايل النعم ، وتستزاد به عوارف الكرم ، وانعقد بينهما الإملاك السعيد ، فى الحرة [الجليلة][2] المخطوبة [المسماة][3] على صداق أَوجبت السُّنة ، تعيين مقدمه وتاليه[4] ، وتبيين نقده وكاليه ، وأَجرى قبوله المقام الكريم اليوسفى ، حرس الله له أَسباب معاليه ، [فجرى رفده الذى يصله ، وإحسانه الذى يواليه][5] ، مبلغه ما بين نقد حاضر ، وكالئ مستأْخر ألفا دنير[6] ، إثنان من دنانير الذهب العين ، وكذا وكذا. على هذا انعقد النكاح ، وتم بسببه وكمل . ولو كان [هذا القدر يكافى][7] ، مقداراً ، أَو يوازى منصباً ملوكياً ونِجاراً ، لم يكن لهذا المنصب فى عروض الدنيا ونقودها ، على اختلاف أَقطارها ، وتباين حدودها ، ما يكافى قَدْراً ، ويوفى مهراً . لا كنها سنة الإسلام ، واقتفاءُ مذاهب الشرع الواضحة الإعلام ، وسبيل العقود الشرعية ، فيما يخصها من الأَحكام . تزوجها بكلمة الله التى علت على جميع

---

(١) الزيادة من الملكية .
(٢) الزيادة من الملكية .
(٣) الزيادة من الملكية .
(٤) وردت فى الإسكوريال (وكاليه) والتصويب من الملكية .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية كما يأتى (فجرى ما يبذله فى الأنعام ويواليه) .
(٦) فى الملكية (دينار) .
(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (هذا الصداق يوازن) .

الكلم ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد ، رسوله المبتعث[١] إلى العرب والعجم ، الماحى بنور هداه ، أَسْدَاف الظلم ، وبما أخذه الله عزَّ وجل ، للزوجات على أزواجهن فى كتابه العزيز ، الذى أوضح لأُولى الألباب قصده ، من الإمساك بالمعروف ، وما بعده . فليعاملها بما يجب لمنصبها الكبير ، ومجدها الشهير ، من المكارمة المتكفلة باستخلاص الضمير ، وهى وصل الله لها أسباب السعادة[٢] ، تعامله بما يقتضيه حالها ، وتعرف له الدَّرجة ، التى لا ينكرها أمثالها . عقد عليها الأملاك [هذا][٣] ، السعيد ، وكيل المولى أخيها ، وهو فلان ، بما بيده ، من قبل مقامه ، من التفويض العام ، الذى من فصوله النكاح ، من يرجع إلى نظره ، أيّده الله بسبب أو مِلك أو ولاءٍ [حسبما][٤] . يعرفه شهوده ، وهى بكر فى حجر المقام المولوى ، وتحت ولاية نظره العلى ، وبعد تقديم الاستمار[٥] ، واقتضاء الإذن من مقامها الرفيع المقدار ، وتحصيل ما يجب فى [هذا الباب][٦] ، شرْعاً ، على حسب الاختيار . والله تعالى يجعل هذا العقد مُباركاً[٧] ، قد جادت البركات الحامية أرْجاه ، وأجابت السعادة نِداه ، ويُبقى عليهما من [عناية][٨] ، هذا المقام الكريم المولوى ، ما يحمدان إعادته وأبداه ، بفضل الله . شهد على الرئيس الكذا والوكيل ، بما فيه عنهما من أشهداه به ، وهما بحال كمال الإشهاد . فى الرابع والعشرين لصفر عام اثنين وخمسين وسبعماية .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المنبعث) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السعد) .
(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الملكية . وفى الإسكوريال (الانتيمار) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (هذه الحال) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسعد عقد) .
(٨) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

ومما صدر عنى فى ذلك صداق انعقد للأمير الأجل
أبى على منصور ، ابن السلطان أبى سعيد ابن السلطان
أبى يوسف بن عبد الحق ، مع بنت الشيخ الجليل
المجاهد أبى سرحان مسعود بن الشيخ أبى عثمان بن
أبى العلى رحمهما الله تعالى[1] .

الحمد لله الذى ارتضى الإسلام ديناً قويماً ، وشرح لنا منه منهاجاً واضحاً ، وسبيلاً مستقيماً[2] ، وأَسْبَغَ علينا بسابغه ، كنتم خير أمة أُخرجت للناس ، فَضْلاً عميماً ، عجزت العقول عن كُنْه ذاته ، فضلّت فى بيدائه الأوهام ، وحارت الأفكار ، فى تعدد صفاته ، فأصبحت طائِشة السّهام ، وسدَّدت الأفهام الثاقبة[3] والأذهان المراقبة ، إلى هدف ، الإحاطة بعلمه ، فكان القصور قُصارى تلك الأفهام ، فوقَفَت مواقف الانقِطاع ، عن بلوغ ذلك المرام ، لا تستطيع تأخيراً ولا تقديماً . تقدّس فى ربوبيته الواجبة عن النُّظَراء والأنْداد ، وتنزه بوحدانيته عن الصاحبة والأولاد ، وتعلّى فى كبريائه عن لواحق الكَوْن والفساد ، وأحاط علمه بالكاينات ، على تباين الأنواع ، وتنافر الأضْدَاد . لا يَعْزُب عن علمه مثقال ذرة ، فى السموات والأرض ، إنه كان عليما حكيما . وتبارك الذى أنشأ الإنسان ، وسوّاه بيده ، ونفخ روح الحياة فى جسده ، ورسم قبول النهى والأمر فى خَلَده ، وحَفِظ نوعه بعَقِبه وولده ، وأحسن خلقه فى ظلمة الأرحام تقويماً ، ثم لما أوجده ، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، وشقَّ سَمْعَه وبَصَره ، فكان سميعاً بصيراً ، وأوْدَع قلبه من هداية الحق نورا ، وألهمه طريق النظر والاستدلال ،

---

(١) ورد موضوع هذا العنوان موجزاً فى الملكية خالياً من ذكر الأمير أبى على منصور .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مقيما) والأولى أرجح .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الثانية) وهو تحريف .

فعلم ببديهة عقله ، أن له صانعاً قديماً قديراً ، يسّر له المآرب تيسيراً ، وتمّم له المصالح تتميماً ، ثم أطاف به من الشريعة حِمًى حصيناً ، وبوّأه به من عصمة النفس والمال ، حَرَماً أميناً [وأسلكه من رِفقه ولُطْفه ، سبيلًا مُبيناً][1] ، وأورده من هدايته وإرشاده ، مشرعاً معيناً ، وألزمه من وظايف التكليف ، مَفْرُوضاً ومَسْنُوناً ، ومحظُوراً ومحتُوماً . والحمد لله الذى لا تحصى ضروب نعمه المترادفة ، ولا تنفد خزاين رحمته ، مع اتصال سحايبها الواكِفَة ، ولا يتجهم[2] وجوه وجوده على [كثرة الأكف المستمدة من فيض بحورها][3] الغارقة ، ولا يعدم من لجأ إليه ، وتوكل عليه فضلا جسيماً . فبأىِّ مواهبه العميمه ، يُغرى لسان التحميد ، وفى أى باب من أبواب آلايه [الكريمة][4] يحط ركاب التمجيد ، أبِنِعمة الخلق أم بنعمة الرزق ، أم بنعمة التوحيد . لقد بهرت آلاءُ ذى العرش المجيد ، خصوصاً وعموماً ، ومن عنايته جل جلاله ، بهذا النوع الذى فضله بالعقل على كثير من خلقه ، وشرّفه لمّا عرّفه طريق[5] القيام بحقّه ، أن جعل الآخر منه كالأول ، فى سلوك سبيل الخير ، واتباع طرقه ، وجعل له بمقتضى لُطْفه ورِفْقِه ، حدوداً يقتفى آثارها ورسوماً . فسكن بما شرع له من الإحْصان ، بعضه إلى بعض ، وهيّأ له بالتناسل بقاءَ النَّوع وعُمْران الأرض ، وجعل له التعاون على وظايف الدنيا ، والإعداد إلى يوم العَرْض ، فحفظت رسوم المصالح الدينية والدنيوية ، بالمثابرة عليها والحض ، وأينعت أدْوَاح الرُّشد ، بعد أن كانت هَشِيماً . نحمده سبحانه ، حمد معترف بتقصيره ، عاجز من حقه الواجب على أداءِ كبيره ، مُلق زمام التفويض ، إلى لَطيف تَدْبيره ، مستزيدٌ من مواهب[6] هدايته وتبصيره ،

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (تنجم) والتصويب فى الملكية .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) وردت فى الملكية (طرق) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عوايد) .

مُستسق من ألطاف[١] لطفه الخفى ، وفضله الحَفِى نسيماً ، ونشكره أن ألهمنا شكره ، الذى يستدعى المزيد من النعم ، ويضمن من الآلاء[٢] ، أوْفَى الحظوظ ، وأوْفَر القِسم ، وعلى أن سدّدنا إليه ، وصرفنا فى الثناء عليه ، شَبا اللسان والقلم ، شكراً يكون بتضاعف هبات[٣] الجود والكرم[٤] زعيماً . ونشهد ألّا إلٰه إلا هو وحده لا شريك له ، شهادة يذهب نورها بالشك والالتباس ، ويتأرج منها رياض الصدق عاطر الأنفاس ، وتثنى نفحات البَسْط من مهبّات الإيناس ، وتُطلع وجه التحقيق لأبصار بصاير الناس ، وضاحاً وسيماً .ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد ، النبىّ العربىّ ، القرشىّ الهاشمىّ ، عبده ورسوله ، الذى اختاره واصطفاه ، ووفّاه [من مخصوص اعتنايه][٥] ، ما وفاه ، وأبرأ به الوجود من عِلّته[٦] المُعْضلة وشفاه ، وأثنى عليه فى محكم كتابه الحكيم وكفاه ، فخراً عظيماً ؛ انتخبه من سلالة إبراهيم وإسماعيل ، وأنزل بشارة ببعثه التوراة والإنجيل ، وأثبت بهدايته الحقّ ، ومحا برسالته الأضاليل ، وكرّم بولادته الذّبيح والخليل ، وجعله أزكى الخلايق عنصراً وأطهرهم[٧] خيماً . النور الذى تضاءلت الأنوار لطلوعه ، ونفث روح القدس فى رَوْعه ، وتفجّرت ينابيع الخيرات والبركات من ينبوعه ، واحتفل الشرف العد بين أصوله الطاهرة وفروعه ، حديثاً وقديماً . ابتعثه والشرك قد أظلّت[٨] آفاقه ، والعدوان قد قامت أمواقه ، والبغى قد أثْلَعَت أعناقه ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أنفاس) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الحظوظ) والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مواهب) .
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية كالآتى (من حظوظ اختصاصه واعتنابه) .
(٦) وردت فى الإسكوريال (علقة) والتصويب من الملكية .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وأكرمهم) .
(٨) وردت فى الإسكوريال (أظلمت) والتصويب من الملكية .

وحقَّ الله قد نكث عهده وميثاقه ، والعقايد زايفة عن الحق تثليثاً وتجسيماً ، فدعا الخلق على بصيرة ممن خصّه بختم الرسالة ،ومدّها بنور الحق [ظلمة الجهالة][1] وشمل الخلق بالبركات الهامية المُنْثالة ، وبيَّن المآخذ والمتارك تبييناً أنقذ من العِماية والجَهالة ، وأوضح المذاهب عن الله تحليلا وتحريماً ، فكان مما ندب إليه النِّكاح ، الذى أخذ بحكمتى الطبع والشرع ، وجمع بينهما [أحسن][2] ، الجمع وأمره بالاختيار للنسل والزرع ،فتطابقت دلالتا العقل والسمع ، منطوقاً ومفهوماً. ونصلى عليه عدد الحصاد والتراب ونُهدى من كريم التحيّة[3] ، ما يغرس بين تلك الرَّوْضة الطاهرة والمحراب ، ونُعَفِّر الخدود فى مواطنه الكريمة ، بالوهم قبل القدوم على لحده الرفيع الجناب ، ونهدى إليه بالنفوس التى أنقذها هَدْيه ، وخلصها سعيه على حال الاغتراب ، ونسلم تسليما ونرضى عن آله وقرابته ، وأوليائه وعصابته ، وأنصاره الكرام وصحابته ، المستوجبين من الله عز وجل ، بنصره وإجابته ، مزيَّة قوله ، ويدخلهم[4] مدخلا كريماً ، ما ركضت جياد الأَلْسُن ، فى ميادين ثنايهم ، ولجأت الآمال الضَّاحية إلى ظِلالهم وأَفْيَائهم ، واهتدت السُّراة بأَنوار سمايهم ، واقتدت الأُمة فى آداب[5] الدين والدنيا بمآثر عَلْيائهم ، انتفاعاً بها[6] وتعلما ، ونستوهب من الله سبحانه [لهذا المقام [العلى][7] ، السعيد السلطانى اليوسفى][8] سعداً تبُهْر العقول عجايبه ، وعزاً لا يُراع[9] حماه ، ولا يَذْعُر

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ظلم الضلالة) .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) فى الملكية (التحيات) .

(٤) فى الملكية (ويدخلكم) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (دأب) والتصويب فى الملكية .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (اشفاعاً) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (للمقام) .

(٨) هذه الزيادة فى الملكية .

(٩) فى الملكية (يردع) .

جانبه ، وصُنْعاً إلّهياً لا تلتبس مذاهبه ، ونصراً تجوس خلال الديار كتُبُه أو كتايِبُه ، وفخراً ينتظم منه لبّات الزمان وترايِبُه ، درًّا نظيما ، ولا زال ملكه مَثْوى العفاة[١] ومحط الآمال ، ومقامه السعيد ، فذلكة حساب الكمال ، وبابه العلى ، كعبة الجلال ، فكلما رام أمراً بعيد المنال ، كان له السعد خَدِيناً ، والدهر خديماً .

أما بعد هذا الفاتحة ، التى فتحت من النجح كل باب ، ومتّت إلى التوفيق بوسائل وأسباب ، فقد علم من مذاهب [أهل][٢] السنّة ، وتقرّر ، وتردّد ، وتكرّر ، وتخلّص بالبراهين الأشعرية وتحرّر ، أن التّحسين والتقبيح ، لا يحبّان بالعقل ولا بالطبع ، وإنما المرجع فيهما إلى حكم الشرع ، وأن العقل إذا شدّ لحكم من الأحكام عقداً ، وتناوله قبولا أو ردًّا [فحقه أن][٣] يعرض على[٤] سلطان الشرع توقيعه ، ويلقى فى يد ذلك المُسَيْطر الناقد جميعه . فما كتب بامضائه ، أُنفذ وأُعمل ، وما لم يُجزه ، طُرح وأُهمل . ولا خفاء أن النِّكاح ، مما اقتضاه الشرع والعقل ، وتعاضد فيه السمع والنقل ، وأن الرسول الذى أعطى كل شئ حقه ، وأوضح من الهدى طرقه ، ندب إليه بالفعل[٥] والقول ، وبيَّن حكم مستطيع الطول [وغير مستطيع الطول][٦] حتى كاد ندبه إليه أن يكون وجوباً ، وإلى تلك الصِّيغ منسوباً ، [فمن أُوتى رشداً ، وسلك من الاتباع قصداً اقتدى بما شرعه صلى الله عليه وسلم ، وبيّنه ، وفتَح ما فتحه ، وحسَّن ما حسَّنه ، واستمع

---

(١) فى الملكية (العفات) .

(٢) الزيادة من الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (حقبان) والتصويب من الملكية .

(٤) وردت فى الإسكوريال (عن) والتصويب من الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (بالحكم) .

(٦) الزيادة من الملكية .

القول فاتَّبع أَحْسَنه][1] ولا أَبهى[2] من حلل المجد ، إذا كانت عليها من التقوى طرر مذهبّه ، وقلايد من طاعة الله ورسوله مُنْتَخبة ، فإن تقوى أُولى الرياسة والمجد ، عزُّ الدين ، وظهور السنة فى هذه الميادين ، وهذا القرب من المعمور ، وإن نَأَى حسًّا لا معنًى ، عن مطالع ذلك النور ، مستمسك بحبل السنة والجماعة[3] لا يزال أَهلُه على الحق كما قال عليه السلام ، إلى قيام السَّاعة .[ولما جعل الله][4] بعدوتيه ، الدولتين الساهرتين[5] النصرية والمرينية ، على هدًى ، ومنح الخلق منهما ناس وندا ، فاستولتا من الكمال على مداً ، وجعلتا التعاون فى سبيل الله ديناً وسبيلا مبيَّناً ، بأَن أَتحف الدولة المرينية بالإمداد والإنجاد ، وأَتحفتها الدولة النصرية بأَجر الجهاد ، ومرضاة رب العباد ، فضفى السِّتر [والحمد لله][6] ، على البلاد ، واتصلت الأَيدى على الدفاع والجهاد[7] . ولما كانت أَحوال هاتين الإيالتين ، لم تزل على مر الأَيام ، وكبارهما ، كأَنهما حال واحدة ، وضمايرهما على الصفات متعاقدة ، تنتقل بينهما من ظل إلى ظل ، وتجنح بحسب الدواعى من محل كريم إلى محل ، كأَنما ينتقلون من يد إلى يد ، ويتردّدون بين قَلْب وكَبِد . فورد على هذه الأَبواب الجهادية ، منهم صدور ميادين ، وأَعلام فَضْل ودِين ، وآساد عَرِين ، وأَهلَّة من مطالع سماء بنى مرين ، تلقاهم[8] الرُّتَبُ بانشراح صدورها ، وتُحِلُّهم الأَملاك بين شموسها وبدورها ، وتستظهر منهم على أَعدائها بكريم[9] أَودايها ، فرَبْعُها بهم عامر وآهل ، وبيوتهم فيها يدل عليه سنان حايل[10] ، وجواد

(١) ما بين الحاصرتين ورد مرة أخرى مكرراً فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الملكية « أبّى » .
(٣) فى الملكية (الساعة) .
(٤) وردت هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (والله قد رفع) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الظاهرتين) والأولى أرجح .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ولله الحمد) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجلاد) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (تتلقاهم) .
(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بكرام) .
(١٠) فى الملكية (لامع) .

كاهل[١] . إن تحركت المراكب ، كانوا آساد سروجها ، وإن نُصبت المراتب ، كانوا نجوم بُروجها ، وإن أُحْضِرت بساتين الكتايب ، كانت عمايمهم البيض أزهار مروجها ، يلقون عصا التِّسْيار بهذا الوطن اعْتباطًا ، ويوسعون العدد استكثاراً والجهاد ارتباطًا ، ويطيرون إلى الجهاد بأَجنحة السّمر الحداد ارتياحاً ونشاطًا ، من كل هُمام غذاه الملك بدره ، وبوأه الملك فى مستقرّه . وإن من أرفع من[٢] ورد على هذه الإيالة النصرية قدراً ، واستحق من موكب جيادها قلباً ، ومن مجلس أمجادها صدراً ، من استولى من الشرف العد على أتمه ، وتوسّل إلى الملك المرينى بأَبيه وجّده وعمّه [وابن عمه][٣] ، ذلك الشيخ الأَجل [الأَعز الأَرفع الأَمجد ، الأَحفل الأَسعد الأَوحد ، الأَظهر الأَصيل المعظم][٤] ، أَبو على منصور ابن السلطان [الأَجل الأَعز الأَطول الأَفضل الأَحفل الأَسعد الأَظهر الأَمجد ، الباسل الفاضل الكامل ، المعظم المبرور المقدس][٥] ، أَبى على عمر ابن السلطان الجليل ، الأَعلى الأَمجد الأَحفل ، الأَسعد الأَوحد ، الأَرضى ، المجاهد ، الأَسمى ، الحافل الكامل ، الجواد الباذل ، علم الأَعلام ، ناصر دين الإسلام ، العادل الفاضل المؤيد المعان ، المعظم المقدس ، أَمير المسلمين [أَبى سعيد][٦] ، ابن السلطان الجليل المعظم المقدس ، أَمير المسلمين ، وناصر الدين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أَبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، من ملوك المغرب الأَقصى ، وأُولى المآثر التى لا تحصى . مجالسهم بالعلماءِ مَعْمُورة ، ومكارمهم فى الآفاق مشهورة ، ووقايعهم بالكفر مذكورة ، وموالاتهم[٧] ، لأملاك (الجهاد)[٨] ، بهذه البلاد ، فى صحف

(١) فى الملكية (صايل) .
(٢) فى الإسكوريال (ما) والتصويب من الملكية .
(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٥) ساقطة فى الإسكوريال وواردة فى الملكية .
(٦) سائر هذه الأوصاف واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٧) وردت فى الإسكوريال (وولاية) والتصويب من الملكية وهو أنسب للمعنى .
(٨) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

البرّ مَسْطُورة ، وأبوابهم بالوسايل مقصودة ، وألويتهم فى نصر الدين معقودة ، تغمد الله من سلف من ملوك هاتين الدولتين برضاه ورحمته ، وشمل من ولى وخلف بمزيد فضله ونعمته . وأنه لما قدم على هذه البلاد النصرية الآن ، وقد ازدهت بالإيالة اليوسفية أقطارها ، وأضاءت بنور العدل ديارُها ، وصَفا بها مورد اليُمن وضفى سِتر الأوان ، وأشرقت الأرض بنور الرحمن ، واعتدل بعدل سلالة الأنصار ، وأبناء صحابة النبى المختار فيها وزن الرهان ، تلقاه روح حياتها وبدر إمامها ، ومعنى معانيها ، وولى المسلمين فيها ، مولانا وعصمة ديننا ودنيانا ، السلطان الجليل ، الظاهر الطاهر ، العادل المجاهد [الفاضل][1] ، ثمال الأُمة ، [وسلالة كرام الأئمة][2] ، الداعى للوسايل والأذمة ، أمير المسلمين أبو الحجاج ، أيده الله ، تلقاه بالرَّحب والسَّهل ، وخَلَطه بالعشير والأهل ، فمهَّد له الكرامة قبل الوساد ، وتكلفت له الغاية[3] ، بتقليل النظراء وتكثير الحسَّاد ، وخبر عنه [بحضرته][4] ، أفضل ما خبر من منتقل من مشابه من العقل والدين والعمل ، على شاكلة أبناء السلاطين ، وأنه ذهب إلى تحصين دينه بالإحصان ، وجمع شمله بكَفْوٍ من أهله ، فى هذه الأوطان ، واختار فى بيوت المجد بيتاً يوافق أصالته الراسخة البنيان ، فأداه اختياره الذى شهد تَوَقُّله بالسَّداد والرجحان ، إلى البيت الرفيع ، المستولى فى ميدان جلالة الشأن على الأمد ، مُقاسمه فى بحبُوحة الحَسَب ، وملاقيه فى ذروة النَّسَب ، حيث العز مرفوعةٌ قِبابُه ، والفخر موصولة أسبابُه ، والجهاد دامية عِضابه ، جَلِيس الضراغم الضارية ، وميدان الجياد المتسابقة إلى الفضل المتبارية . ذلك بيت الشيخ [الأجل الأعز الأرفع الأسنى][5] الكذا ، أبى سَرْحان مسعود ابن الشيخ الجليل الأغر الأرفع المعظم الأسنى ،

(١) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٢) هذه العادة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) وردت فى الإسكوريال (عنايته) والتصويب من الملكية .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

ظهير الدولة الإسماعيلية ، ذى السابقة لدعوتها والأولية ، والاختصاص بتشييد أركانها والمزيَّة ، أسد الحروب ، إذا اضَّطرمت نارها وفار تيارها ، وبَدْرُ دُجاها إذا احتجبت بالنقع أقمارها ، الكريم المآثر فى الدفاع عن الدين ، حسام كبير السلاطين ، أَسَدُ العرين ، شيخ المجاهدين ، من مشايخ بنى مرين ، [المقدس ، الأرضى ، المعظم][1] ، أبى سعيد عثمان ابن الشيخ [الجليل الكبير ، الشهير الخطير ، المعظم الأوحد ، الأظهر الأطهر ، الأمجد ، المعظم المقدس الأرضى][1] ، أبى العلاء إدريس بن عبد الحق ، النسب المعروف ، والمعدن الذى تنسب إليه هذه السُّيوف ، والعنصر الذى تشمخ به هذه المعاطير الأَنفة والأُنوف. فحين ظهر بهذا البيت ، الذى هيأ له التوفيق[2] اتفاقه ، ومدّ عليه السَّعدُ رِواقه ، شدّ يد الظنين على ذُخْره ، وثابر منه على مرجح فخره ، وعرض غرضه على المقام الكريم اليوسفى ، الذى أوى إلى إيالته ، واستظل بظل جلالته ، ملتمساً بر كة إشارته ، وراجياً أثر استخارته ، فاسترجح ، أيد الله نظره ، واستحسن مأخذه فى ذلك وشكره ، ورأى أنها وشايج على مظاهرة مقامه تلتحم ، وعقود مجد فى لبَّة دولته الرفيعة ، تَنْتَظم ، وقلوب على محبته تأْتَلف ، وأَلْسُنٌ بحقه[3] الواجب تعترف ، وشآجيب مجد ببابه إن شاء الله تقف ، كافأ الله مقامه ببلوغ الأمل ، وإنجاح العمل ، حتى يودى حقه من صنايعه ، هؤلاء الحَفَدة والبَنُون ، وتجنى من غرس الخير [فى أهله ، ووضعه فى محله][4] ما تقرُّ العيون .

فخطب للشيخ [الأجل الأغر الأرفع ، الماجد المعظم][5] ، أبى الحسن على ابن الشيخ الكذا أبى سرحان مسعود ابن أبى سعيد المذكور قبل ، أُخته الحرة الماجدة الفاضلة ، مَسْعُودة ، وصل الله سعدها ، وحرس مجدها ، خِطبة قابلها

(١) مابين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الإتفاق) والتصويب من الملكية وهو أنسب للسياق .
(٣) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٥) هذا وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

السعيد بوجهه المشرق الأَسرة [وضاحكة اليمن][1] بالثغور المفترة ،وانعقد بينهما فى الخطوبة المسماة الأَملاك السعيد [الذى يسير به الأَمل البعيد][2] ، على صداق ، أَوجبت السنة تعيين حده ، وتبيين كاليه ونقده، مبلغه بين نقد عجّلته يد الإِحضار ، وكالى أَجلته مكارم الاختبار ، مشتمل على خدم وعروض من الأَثواب الرفيعة ، وحلى النَّضار ، بحسب حسبها الرفيع المقدار ، وذلك أَربعة من خلاخل الذهب قيمتها[3] أَربعماية دنير من الذهب العين ، وتاج من الذهب قيمته كذا إلى كذا[4] ، تزوجها بكلمة الله التى علت الكلمات العليا ، و على سنة سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، الذى علَّم آداب الدِّين والدُّنيا ، وبما أَخذه الله للزوجات على أَزواجهن من الدرجة الرفيعة المقررة بلسان الشريعة ، حسبما بينه الله سبحانه وحدّه ، من الإِمساك بالمعروف ، وما بعده . فليَتَجاريا فى ميدان المكارمة تَجارى [الجياد][5] ، العتاق ، ويعملا على شاكلة ما لهما من طهارة الأَحْسَاب وكرم الأَعْراق . عقد عليها هذا الأَملاك السعيد ، فلان[6] ، وهى بكر عذراءُ ، صحيحة الجسم والعقل ، محمولة من الحِلْية على أَوضح السبيل ، وبعد تقدم الاستيمار ، وتحصيل ما يجب فى هذه الحال شرعاً ، على الاختيار ، شهد عليهما بما فيه عنهما من أَشهداه، وهما بحال كمال الإِشهاد . والله عز وجل ، يجعل هذا العقد أَيْمَن عقد ، يَسَّر السَّعْدُ أَسبابه ، وفتح اليُمن أَبوابه ، وسحب التوفيق أَثوابه ، ورسم النجح كتابه . ويبقى هذا المقام اليوسفى ظلاً لمن قصد جنابه [وثمالا لمن أَمل ثوابه][7] ، ولا أَعدمه مودة صادقة ، ومدحة رائقة ، ودعوة مجابة بمنّه . وكتب فى كذا .

(١) هكذا وردت فى الملكية . ومكانها فى الإسكوريال (وضاحكا) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (زنتها) .

(٤) وردت فى الملكية بعد ذلك نحو صفحة مليئة بتعداد الحلى المنوعة والثياب الفاخرة المذهبة والحرير والصوف وغيرها ، وهو ما لم يرد فى الإسكوريال . فرأينا أن نغضى عنها .

(٥) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) ورد مكانها فى الملكية (شقيقها الشيخ أبو الحسن على وصل الله سعادته وحرس مجادته) .

(٧) وردت هذه العبارة فى الملكية وهى ساقطة فى الإسكوريال .

ومما صدر عنى أيضاً صداق منعقد على بنت سيد الشرفاء، الجلة وعلم أعلام هذه الملّة، أبى عبد الله بن عمران، لولد الشيخ الفقيه الخطيب الكبير الشهير، أبى عبد الله محمد بن مرزوق، أعزهما الله بعد أن صدر الأمر من سلطان المغرب، أمير المسلمين أبى سالم، أن يكون الصداق المذكور من إملائى على كُتّاب بابه، فأمليت فى اليوم الذى صدر لى الأمر العلى بذلك، ما نصه بعـــــد ســـطر الافتتاح[1]:

الحمد لله الذى له الحكمة البالغة، والنعمة السّابغة، والمُلْك الكبير، وبيده الخلق والأمر [والإنشاءُ][2]، والفضل، يؤتيه من يشاءُ. وهو الحى الحليم[3] المُريد[4] القدير، الواحد الأحد، الذى لا يحول بقاؤه، وإن حال الزمان، وطال الأمد الفرد، الذى استحال عليه العدد، والصاحبة والولد، فلا يدركه فى ذاته، بتعدد صفاته، التّكثير، الملك الحق الذى غنى بعز جبروته، فى عظيم ملكوته، عن الأعوان والظهراء، والصاحبة والوزراء، والأمثال والنظراء، فلا يُنجده المعين، ولا يُرشده النصيح، ولا يشاركه الوزير الحكيم، الذى فتق رَتْق الأكوان، على اختلاف الصُّور والألوان، وقد تعاقب الملوان، وأعطى كل شىءٍ خلقه، من الجماد والنبات والحيوان. فأذعن له الإبداع، وانقاد له الاختراع[5]، وأطاعه التصوير. أضلّ وهدى، وتفرّد بالوَحْدانية، فلم يتخذ

---

(١) ورد هذا العنوان موجزاً فى الملكية، وأغفل فيه اسم والد العروس وتفاصيل أخرى.
(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (العليم).
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (المدبر).
(٥) وردت فى الإسكوريال (الإختيار) والتصويب من الملكية، وهو أنسب للسياق.

صاحبةً ولا ولداً ، وأحصى مدارج الحركات ، ومدارك اللحظات ، فيعينه ما [يظن وظهر][1] وراح وغدا ، وحصر شوارد الأنفاس ، وأشخاص الأجناس ، فأحاط بكل شيءٍ علماً ، وأحصى كل شيءٍ عدداً . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . تجلّى لأبصار البصاير نور جلاله ، وفاض على السموات والأرض ، عميم جوده ، وكريم نواله ، وامتنَّ على الوجود بمنحه قبل استمناحه وسؤاله ، فهو الغنى المحض ، ومن سواه فهو[2] ، الفقير . والحمد لله الذى فضَّل نوع الإنسان ، وخصَّه بمزيد الإنعام والإحسان ، وحَباه بفضل العقل وفضل اللسان ، فأمكنه الإفصاح عن مقاصده الحسان والتعبير ، وابتداه بجزيل نعماية ، واعتمده بعميم آلايه ، وصوره من الطين اللّازب بيد إنشايه ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملايكة سمايه ، واختار منه صفوة أوليايه ، ونخبة أنبيايه ، وجعله محلا لقبوله ، وأهلا لاصطفايه ، وأعد لأجله[3] دارى جزايه . وحسبك فخاراً يشير إليه المشير . والحمد لله الذى رفع بنية السماءِ والقبَّة الشَّماءِ ، ما اتخذ لها عماداً ، وجعل الأرض فراشاً لها ومهاداً ، والجبال الراسية أوتاداً ، وأنشأ البشر ، لما ذَرَأَ ونشر ، من نفس واحدة ، بث منها أعداداً ، وضرب لهم من بعد الحياة ميعاداً ، فمنه النشأة ، وإليه المصير . وتبارك الله ربّ العالمين ، الذى نطق الحيُّ والجماد من تعظيمه[4] بلسان ، واعترف الخلق أنه الحق ، وكل من عليها فان . وثبت ببديهة الحق[5] وجوده ، من غير اعتبار مكان ، ولا بسبوق زمان ، وألقت الموجودات إلى حكم[6] قدرته يد الإذعان ، فإن من شيءٍ إلّا يسبح بحمده ، ما بين سِرٍّ وإعلان . ونعوذ بالله ، من سخطه ونستجير ، وسبحان من

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ظهر وما بطن) .
(٢) زائدة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (لاهله) وهو تحريف .
(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (توحيده) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (العقل) .
(٦) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

أنشأ النفوس البشرية وسواها ، وأدار على من اصطفى منها ، واختار كؤوس معرفته حتى روّاها ، وأرشدها بنور الإلهام فى ظلمات الأرحام[١] ، إلى الوقوف بربوع توحيده والإلمام ، وقد مال بها عن الجادة هواها ، وعظّم الأرحام إلى جعل تقواه مقترنة بتقواها ، فوضح حقها الأكيد ، وظهر قدرها الكبير .

ونحمده ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، ونثنى عليه بما على نفسه ، اثنى من صفاته العلى ، وأسمايه الحسنى [ونشكره على][٢] نعمه الباطنة والظاهرة ، ونعترف لمُلْكه الحق ، بعجز العقول الذاهلة ، والنفوس القاهرة ، فكلما بهرت الألباب مِنَّتُه الوافرة ، وآلاؤه المتوافرة ، فشأننا العجز ، وصفتنا التقصير . ونشهد أنه الله الذى لا إلّه إلا هو ، ثبت بالبديهة وجوده ، فلا يسع جهله ، ليس فى الوجود إلا فعله ، بيده الخلق ، والأمر[٣] ، وإليه يرجع الأمْرُ كله . عيَّن المقاسِم والمواهب جوده وفضله ، وأجرى الأقدار على حسبما اقتضاه واختاره حكمه وعدله . يحطُّ ويرفع ، ويُعطى ويمنع ، لا يُسَل عما يفعل ، ولا يُعْترض[٤] ، فيما يصنع ، بما اقتضته الحكمة البالغة والتدبير ، شهادة تتأرج نفحات الإخلاص من أزهارها ، وتتخلق [أكوان الأردان][٥] ، من شذا مِعْطارها ، وتُسْفر غُرر التوحيد من مطالع أسرارها ، وتضيءُ أرجاء الوجود أشعة نجومها وأقمارها ، وتستفاد كنوز[٦] اليقين من مكامن أسرارها ، ونجدها عتاداً إذا زخرفت الجنان وسعرت السعير .

ونشهد أن محمداً عبده الذى شرح صدرَه ، ورفع ذكرَه ، ورسولُه الذى

---

(١) وردت فى الإسكوريال (الأجسام) ، والتصويب من الملكية وهو أنسب للسياق .
(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٤) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (اردان الأكوان) .
(٦) وردت فى الإسكوريال (ثغور) والتصويب من الملكية .

بُلِّغ نهيه وأمره ، ونجيُّه الذى أدنى محلَّه ، وأسْنَى قَدْره ، ونوره الذى أمَّن من المحاق بَدْرَه ، ومختاره الأمين ، المكين ، البشير النذير ، أكرمُ ولدِ آدم عليه ، وأرفَعُهم منزلةً لديه ، ومُصطفاه الذى جعل الفضل طوع يديه ، ومُجْتباه الذى مدحه فى القرآن الحكيم ، بالخلق العظيم ، وأثنى عليه ، ونبيُّه الذى له الشرف الأقصى ، والفضل الشهير ، نكتة العالم ، وفايدة الأكوان ، والمتقدم بفضل [السابقة][(١)] وإن تأخر بالزمان ، وحجّة الله المؤيدة بالبرهان ، وخاتم النبيين وناسخ الأديان ، المحرز من شأن[(٢)] الكمال وكمال الشأن ، مالا يحصره العَدُّ ، ولا يأخذه التقدير . أرسله سبحانه بالحق لجميع الخلق ، بشيراً بلسان الصدق ، بشيراً ونذيراً[(٣)] وداعياً إليه بإذنه لإنس الكَوْن وجِنِّه ، وسراجاً منيراً ، ونصره بالحرب ، والمجال الصعب ، بجيوش الرعب ، يسير بين يديه شهوراً[(٤)] ، وأذهب عن أهل بيته الرجس وطهرهم تطهيراً ، واختار له من دَوْحة الفخر قَبِيلًا ، ومن عُنْصر المجد عَشِيراً ، فنعم القبيل ، ونعم العشير ، وأضفى عليه ملابس التكريم ، ووصفه بالرَّؤف الرحيم . وافترض على المؤمنين فرض الصلاة عليه والتسليم ، وجعله فَذْلكة الحساب ، وبيت القَصيد ، ويتيمة العِقد النظيم ، درجة يَيِس منها المثيل ، وعجز عنها النظير ، وأفرده بالفخر الأجلى ، والقدر الأعلى ، والكمال الأقصى ، [ونصّ عليه][(٥)] فى صحف أنبيائه نصًّا ، وأولاه من مواهب عنايته ، ولطايف ولايته ، ما لا يُعد ولا يُحصى ، وأسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقْصَى ، [ووتَّر له][(٦)] ، ظهر البُراق ، لاختراق السَّبع

---

(١) هكذا وردت فى الملكية وفى الإسكوريال (بالسابقة) .

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) زائدة فى الملكية .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وبشربه) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (تر) .

الطِّباق ، فما استصعب ولا استعصا ، فعرف فضله الملأُ الأَعلى ، والفلك الأَثير . ابتعثه الله ، والجاهِليَّة الجَهْلا تصول ،والعدوان تشام منه النصول، وحرمات الله ، تُجتثُّ منها الفروع والأُصول ، والمعروف يقطع بسببه الموصول ، والسعادة لا يتأتى عليها الحصول ، ودماءُ الضعفاءِ تُطَلُّ ، وأَيدى الأَقويا تطول ، فقَرَّ الرُّجفان ، وارتفع العدوان ، وسَهُل العَسِير ، وانْتَصَف الغريم ، ووضح النَّهج الكريم ،وثبت التَّحليل والتحريم ، وطلع الصبح وانصرم الصَّريم ، واستقر الحق فلا يبرح ولا يريم ، وأَخذ الأَحكام[1] عن الله ، التمهيد والتقرير . فكان مما سنَّه صلوات الله وسلامه عليه ،النِّكاح ،الذى ندب إليه ندباً كاد يلحق بالإيجاب ، وخطب إليه تهمُّماً بهذا الباب ، فكانت سنَّة وافقت هَوَاً ، وقصداً جمع بين الضرورية البشرية[2] ، والثواب ، وذريعة إلى صون الأَنساب وحفظ الأَحْسَاب ، وتنزيهاً للدين من شوايب الإرتياب ،وغرضاً كريماً يكلّ فى ميدانه وتعظيم شأْنه ، البيان والتعبير[3] ، ولم يزل صلوات الله عليه ، يحض عليه بإفصاحه وتبيينه ، وقوله من تزوج فقد كَمَل نصف دينه ، ويُجلى وجه النصح يروق نور[4] جبينه ، ويحضُّ ذات الدين والشرف بتعيينه ، ليرجح الأُمم فى المعاد ، ويقوم قيام الإشهاد العدد الكثير . فصلى الله عليه وسلم ، وشرُف وكرَّم وقدَّس وعظَّم ، وبارك ورحَّم ، ما أَظلم الليل البهيم ، وأَشرق الصبح المنير ، ورضى عن آله وصحابته وعترته وقرابته ، نجوم الهدى المشرقة ، وبحور الندى المغرقة ، والعصابة المومنة بالغيب المصدَّقة ، والأُسرة الملتفة فى الرعب المحدقة ، التى كانت تهدى بهديه ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (التمهيد) ، والتصويب من الملكية .
(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التفسير) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وجه) .

فيما يشير ، وتَسْرى بأنوار مراشده وتسير ، ونستوهب من الله لهذا المقام العلى المولوى [الإمامى السعيد السنى][1] ، الإبراهيمى المستعينى ، سعداً يتكفل بعزّ السلطان ، وتمهيد الأوطان ، ونصراً يعلى أعلام الإيمان ، ويرفع رواق اليُمن والإيمان [وصنعا يخلد آيات الفخر فى صفحات الأزمان][2] ، وعدلا يكُفّ أكفّ البغى والعدوان ، وتوفيقاً يقود إلى القبول من الله والرضوان ، ويمناً تلوذ به الآمال ، فيحالفها البشير . فهو الذى جدّد الرَّسم بعد ما درس ، وحاط الأُمة بسيف الله وحرس ، وجنى من ثمرات المُلْك الأصيل ، ما ازْدَرع سلفه الأَرْضَى بالعزم الأَمْضَى واغترس ، فغمَّر الله[3] ليْثَ البَغْى لمّا افترس ، واستخلص أمر الله من يد غاصبه فهو الأحقُّ به والجدير . فأشرقت الأرض بنور ربِّها ، وأفاقت النفوس من كَرْبها ، ودارت أفلاك الأمر العزيز على قُطْبها ، وألقت الفتنة أوزار حربها ، وابتهج المِنْبر والسَّرير ، ولا زال جامع شمل الدين بعد شَتاته ، وواصل سبب الحق بعد انبتاته ، وحافظ كلمة الله ، والله لا مُبدِّل لكلماته . ومُخيف الزمان العادى بعَزَماته وطارِدُ شدايده وأزماته ، يطلع بدراً فى ظلماته ، ويسطع فجراً فى مُدْلَهِمَّاته[4] ، حتى يأمن به الخايف ، ويُجبر الكسير ، ودام مستعيناً بالله فى جميع أحواله ، مستزيداً بذكره[5] من نواله ، متوكلا عليه فى حركاته وسكناته ، وأقواله وأعماله ، فالله نعم المولى ونعم النصير .

أما بعد هذه الفاتحة التى تجلَّت وجوه المسرات المستمرات ، خلال اختتامها وافتتاحها ، وتأرَّجت أزهار تحميد الله[6] وتمجيده ، من بين أدْواحها ، ووضحت فى ليل الحِبْر تباشير صباحها ، والمقدمة التى تكفلت للأعمال بنجح

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (مداهماته) .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (بشكره) .
(٦) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

آمالها ، وللآمال بفوز قِداحها ، فإن السعادة فى الاقتداء بسنن خاتم الأنبياء حاصلة ، وآيات الكتاب العزيز ، بين الحق والباطل فاصلة ، وصَنْعة[١] الله وإن أبت المناصل غير ناصِلة ، فمن وُفِّق للسعادة المعادة ، اقتدى واتبع ، وثَوَى بربْع الهُدى وربَع . والشرع قد قرر الآداب ورتَّبها ، ورفض الفواحش واجْتَنَبها ، وانتقى المراشد وانتخبها ، وله الحكم على العقل ، بسيوف النقل ، الرايقة الصَّقل مهما حسَّن أو قبَّح ، وإن وازن العقل ورجَّح ، ونأى بصنعة القياس[٢] وتبحَّح . والنِّكاح من الأغراض التى حسَّنها الشرع وزيَّنها ، وأوضح تضافر[٣] المصالح الشرعية والطبيعية فيه وبيَّنها [ونفق الفضل وحرَّم العضل][٤] وأرشد من الحيرة ، وأرغم بالحلال أَنْفَ الغيرة ، فتعاضدت الأنساب والأصهار ، وأمكن بالتآلف الاستظهار ، وبان الحق ووضح النهار ، سنة الله التى قرّ بها القرار ، وعَمَرت المنازل والدِّيار ، وتنافس فيها الأخيار ، وامتدّت إليها الأيدى والأبصار ، وحكمته التى لَطُفت منها الأسرار ، ووجب فيها الاعتبار . وكان أولى بالمثابرة على هذه المراشد ، وتتميم ما قُرر من الأغراض الشرعية والمقاصد ، والمسارعة إلى هذه المشارع الرّوية والموارد ، والمبادرة إلى اقتناء هذه المحامد ، أُولو العلم الذين يتَّقون الله حق تُقاته ، ويحرصون على النّاس مَرْضاته ، فهم أقطاب سنَّته ومفترضاته ، وورثة أنبيائه ودعاته ، وأشراف الملَّة الذين يحافظون على المناسب الرفيعة ، ويأخذون ويدعون[٥] بقِسْطاس الشريعة . فهنالك تزدان حُلَل العلم والشرف بحُلى العمل ، وتطلع شمس الآداب الدينية ، أبهى من الشمس فى الحَمَل ، وتستبشر النفوس النفيسة ، من إحراز مزايا الدين والدنيا ببلوغ الأمل . وإن هذا

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (صبغة) .

(٢) وردت فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (تظافر) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

المغرب الأقصى الذى عدمت فيه ، والحمد لله ، الفِرَق والأهواءُ ، وسطعت من [فضايل أهله][1] الأضواءُ ، ولاح من حسن اقتدايهم بإمام دار الهجرة ، رضى الله عنه ، السبيل السواءُ ، تشرف قديماً ، ببضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلها بين سِحْره ونَحْره ، وتَبْعةٍ من إحدى ريحانتى الجنَّة ، اتخذها إكليلا لمفرق فخره ، فاستوى على الأمد القصىّ ، وأصبح كرسياً لأهل الوصىّ ، واسعاً آل عباس بدايل ، ذى بأْس ونايل ، لولا أنه اغتبط لتوقد ذروة الشَّوق وفرَّعها ، وعجَّل الكرَّة وأَبْدَعها[2] ، واستخلص الجنة التى بذرها جدُّه وزرعها ، فصرف لفاس ، عَمَرها الله بالإسلام حُلَّته ، وأَوْرَث منها بالبقعة الزَّكية سراته وجلَّته ، فتبوّؤا منها بالدور . . . [3] المعشَّب الروض ،الأَرِج النور [قرارة السعد][4] ومثوى عشير سَبْط وبأْس جَعْد ، ودَست وعيد ووعد ، وفق بَرْق ورعد ، يتناقلون رتب الشرف الصريح ، كابراً عن كابر ، ويروى مسلسل بيتهم الرفيع العمد،[5] كل حريص على عوالى المعالى مثابر . فالكفُّ عن صلة ، والأُذن عن حسن ، والعين عن قرّة ، والقلب عن جابر ، حيث الأُنوف الشُّم ، والوجوه الغُرُّ ، والعزَّة القعساءُ والنَّسب الحرُّ ، والفواطم فى صَدَف الصون من لدن الكون ، كأَنهن الدّر . قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم][6] ، ونعم الآل ، والموارد الصادقة إذا كذب الآل ، ومن إذا لم يُصلَّ عليهم فى الصلاة ، حبطت منها الأعمال ، طِيَّة الركب ، ونشيدة الطالب ، وسَراة لؤى بن غالب ، وملتقى نور الله ، ما بين فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب . والأدارسة الذين سيف جَدِّهم بالمأْذنة العظمى ، والمرقب

---

(١) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (فضلة) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وأسرعها) .

(٣) هنا بياض بالإسكوريال .

(٤) هكذا وردت فى هذه العبارة فى الملكية . وفى الإسكوريال (سلالة سعد) والأولى أرجح وأكثر تمشياً مع السياق .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (النجد) .

(٦) زائدة فى الملكية .

الأسمى ، منتضى مشهور ، قد سالمته أفلاك ودُهور ، وتجافت عنه أعوام وشهور . فله إذا حذفت[١] المعالم ، وطمست للفخر المواسم ، ظهور . ولم تزل الملوك الكرام تستدعيهم إلى صدور المجالس ، وتُزين عقود المحافل بُدرَرِهم النفايس ، وتشركهم فى المآكل والمشارب[٢] والملابس ، وتجعل توفيرهم إلى استخلاص ضماير المسلمين ذريعة ، وتقديمهم دينا ، وتَجلَّتهم شريعة ، وتبرزهم فى المُحول[٣] ، إذا شكا الناس نازلهم وجهدهم ، وتستسقى بهم غيث السما ، كما استسقى عمر رضى الله عنه بجهدهم ، إلى أن تلا الدهر سورة آل عمران ، فياشدّ ما أعجز ، ووعد أن يحيى بآيَتها البيِّنة الشرف ، وآثار من [مضى من][٤] السلف ، فوفَّى وأنجز ، فتوفرت رغبات الأعلام على التعلق بعروتهم الوثقى ، وسمت منهم الهمم إلى المحل[٥] الأرقى ، وتبادر الفضلاء والأعوان[٦] ، ركضاً[٧] ، إلى المنافسة فى قُربهم وسبقاً ، ابتغاءً لما عند الله ، فما عند الله خيرٌ وأبقى ، واغتباطًا بذريّة رسوله ، الذى من ظفر بقربها أحرز الفخر حقاً . أبقى الله أعلامهم سامية ، وبركاتهم هامية ، وآمال العلماء ، ورثة جدّهم ، إلى غاية مجدهم مُتَرامية . وإن السيّد الفقيه الجليل ، الكبير الشهير الخطير ، رييس الفئة العلمية العديدة الوافرة ، وصَدْرُ كَتَبتها الغائمة الظافرة ، وجواد هذه الحَلْبة الكريمة ، وفارق هذه الذِّمة ، تاج المَفْرِق ، وفخر المغرب على المشرق ، علم الحُلة السُيرا ، وبركة الدولة الغرّا ، مهد الأقاليم برماح الأقلام ، وآسى الكلوم الرعيبة برُقَى الكلام ، وعلم الأعلام ، والمؤتمن على أسرار ملوك الإسلام ، الذى أصبحت مدينة الملك بيمن نقيبته ، وفضل

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خفيت) .
(٢) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الفحول) وهو تحريف .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (محلهم) .
(٦) فى الملكية (الأعيان) .
(٧) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

ضريبته ، مدينة السّلام ، وانجلت بنور تدبيره غياهب الظلام[١] ، وهيّأته لسعادة الخلق ، وإبانة طرق الحق ، عناية الملك العلام العالم العلا[٢] ، الأوحد ، الطاهر الظاهر ، الأسعد ، الإمام الذى يقدّمُه الملوك والأُمراءُ ، ونسيج وحده ، الذى عدمت له النظراءُ [وتقاصرت عن مدى شاوه النظراءُ][٣] مُسند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غضا أعمل فيه ركضاً ، وقطع جوًّا فجوا ، وأرضاً فأرضاً ، يرى نقله من معدنه فرضاً ، حتى لفظ من أدواح المشاهد النبوية أزهاره ، وأنفد ليله فى اقتناء الفضايل الجلائل ونهاره ، وأسمع بلفظه من فوق المراقى السامية ، مشايخه وكِبَارَه ، وقفل عن حج بيت الله وزيارة الرسول ، الذى اختاره ، قُفُول النَّسيم عن الروض بعد ما زاره وأودعه أسراره ، توجب ملوك الإسلام إيثارَه ، وتجلو عن مِنصَّات منابرها أفكاره . صَدْرَ الصدور ، وبدر البدور ، وعلم المرقب المشهور ، ومؤمَّل الخاصة والجمهور ، الفاضل الكامل ، الحافظ المحافظ ، العالم العلم[٤] ، المتقن المُصَنِّف ، أبا عبد الله محمداً ابن ولى الله ، الذى ظهرت بركاته وتقيدت بالكتاب والسنة [سكناته وحركاته][٥] ، المعمور الزمن بالأحباب والإنابة ، المخصوص الدعوة بالإجابة ، الذى واصل فى مجاورة حَرَم الله شتاءً وصيفاً ، وأخذته به أكف الاختبار ، فلم يك عند الاعتبار زيفاً ، حتى أمّ بالمسجد الكريم ، وإن كان ضيفاً ، وتقدم مصلّاه اختباراً لم يجرَّ حيفاً . وحَسْبُك بها فضيلة سَلَّت عليها عناية الله سيفاً ، واختار بذلك البقيع الكريم لَحْدَه ، منقطعاً إلى الله وحده ، فأصبحت تربته مزورة مقصودة ، وكرامته مشهورة مشهودة ، وفضايله ليست خافية ولا محجوبة ، الشيخ الفقيه الجليل الطاهر

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الإظلام) .

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) وهذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (العامل) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (سكنته وحركته) .

الظاهر[١] ، القانت العابد ، الزاهد المتصوف ، الصالح المعظم ، المقدس ، المرحوم أبو العباس أحمد ابن ولى الله ، الرفيع الدرجة لديه والرتبة ، الكريم اللحد ، الزَّكى التُرْبة . الذى تذمَّمت بجاه جواره ملوك وطنه ، واستنارت بملحده بين أجداثها ومدفنه ، ابتغاء الوسيلة إليه[٢] ، والقُربة ، الشيخ الكذا[٣] ، أبو عبد الله محمد بن مرزوق ، سلالة أولياء الله ، الذين شَهُرت أحوالهم ، وقَصُرت على مواهب السعادة آمالهم ، وأشرقت بإدامة ذكر الله خلالهم ، جيران تاج العارفين ، ومشايخ القايمين بمقام تربته والعاكفين ، وعماد العباد المتسمين بولاية الله المتصفين ، أبقاه الله للعلم والعمل، وبلوغ الأمل ، وتدبير الدولة التى لها الفخر على الدول ، وحجة فضل العصور المتأخرة عن العصور الأول ،لما كان له فى مضمار الفضل [المشرق الأنوار][٤] ، بالتقديم والتبريز والكمال الذى خلص منه الإبريز ، ونشأ فى حجره ، فرع مجده ، ونير سعده ،سلالة الكرامة والولاية ، والمؤمل لوراثة فضله وعلمه ، بعد بلوغ عمر النهاية ، وهلال سمايه الذى حكمت له بالإبدار ، والعصمة من السِّرار ، مخايلُ البداية ، وتوهم امتطاؤه كَتد المنبر ، وهو فى كتد الراية ، الفقيه الكذا[٥] ، أبو القاسم ، بلغه الله فيه [غاية الآمال][٦] وحفظ عين[٧] ، كماله من عين الكمال ، فهو عين الكمال ، نظر له النظر الذى يتكفل بحسن العواقب ، ويجمع أَشْتات المناقب ، ورشَّحه إلى أعلى المراقى والمراقب ، وولَّى فيه وجه[٨]

---

(١) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (إلى الله) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية مكانها الفقرة الآتية (الفقيه الإمام الصالح العابد القانت الخاشع الفاضل الكامل المعظم المقدس) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) وردت مكانها فى الملكية هذه العبارة (النجيب الطالب المدرك الحافظ الأسعد الأرضى) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ومكانها بالإسكوريال (الأمل) .

(٧) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٨) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

اجتهاد الملاحظ المراقب،شطر النجم[١]،المُصاقب للنجم المثاقب ، [وأمد له][٢] الوسيلة إلى الحاشر العاقب ، وذهب إلى أن يصون شبابه بإحصانه فى ريعانه ، ويلبسه ثوب العفاف ، يسحب فى ميدانه ذيل[٣] أَرْدانه ، فجالت منه فى هذا الغرض الذى يسمح فى اقتناء جوهره بالعرض، الخواطر المقدسة والأَفكار ، وقرع باستخارته باب من يخلق ما يشاءُ ويختار ، حسبما كان يفعله فى أموره المهمة[٤] ، النبى[٥] المختار ، فانبعث لخطاب ، واعتُبرت الأَعيان فى المدينة التى عظم منها الشان ، وأقرت بفضلها البلدان ، واستحضرت الأَقطاب ، وتَنخَّل الطاب ، فوقف أمله على هذا البيت ، الذى عقد عليه الخنصر ، والفخر[٦] ، الذى سمعه السامع ، وأبصره المبصر ، واختار وهو السَّديدة أفكاره ، وعنوان عقل الفتى اختياره ، البيت الذى لا يعدل الاختيار عن جنابه [شرفًا وتَجِلَّة][٧] ، وإعظاما أصبحت رسومه مستقلة ، خير بيت طلعت عليه الشمس ، وتفرعت من قواعده القواعد الخمس ، وشهد بفخره اليوم والأَمس ، وصمتت لهيبته[٨] الشفاه ، فشأنها الإشارة والهَمْس . بيت الشرف الذى تعرفه الخيام والحلل ، [لا بل النجد][٩] ، والملل ، ومعدن الفخر الذى يضرب به المثل ، ويعمل فى تعزيزه وتوقيره أمر الله الممتثل . ورمى إلى ذلك الجَبَل المنيف بهمَّته ، وأغرا أمله باختطاطه بناء هذا البناء السعيد فى ذروته وقِمَّته ، ومتّ إليه بوسايله التى لا ترد وأَذمَّته ، فخطب منهم السيد الشريف [الطاهر الظاهر الأَسعد الأَصعد الأَوحد الأَمجد

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المجد) .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ومكانها فى الملكية (وآماله) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فضل) .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المجد) .
(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إلاهية أو تجلة) .
(٨) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٩) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

الأعدل الأفضل الأكمل][1] ، المعظم ، لباب لبابهم ، وعنوان كِتابهم ، وواصل أسبابهم ، وبركة شَيْبهم وشبابهم ، ذى القدر المنيف ، والحسب الغنى عن التعريف ، الذى تذكر بالغرر الفاطمية عزته ، ويدل على نفاسة ذلك العقد الثمين درّته ، جليسُ الخلافة وأثيرُها ، وعميد العصابة العلوية وكبيرها ، أبو عبد الله محمد ابن علم الأعلام ، وكبير الشرفاء الكرام ، والمعتمد بالإجلال والإعظام ، المتميز بقدم الرسوخ ، ورسوخ الأقدام ، المتمسك من مثوى جده ، بمحط الرَّحل ومحل الإلمام ، المخصوص بميزات الملوك العظام ، المعتمد منهم بالإحظاء والإكرام ، المتبرّك به وبولده ، من أهل بلده عند اللقاء والسلام [الشريف الكبير الجليل التقى الأواب الأسعد الأرضى المقدس المرحوم][2] ، أبى عبد الله محمد بن عمران ابن عبد الواحد بن أحمد بن على بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن على بن حمُّود بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى الحوطى ، الذى جبر البيت ، وأحيا الحىّ . وخلف الميت ابن القاسم بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أبقاه الله علم أعلام ، ورُكْن استلام ، وشِهاب هُدًى يجلو كل الإظلام ، ووسيلة إلى الله فى كشف ضُرٍّ أو استنزال غمام ، على ولده الأسعد أبى القاسم ، بنت أخيه السيد الشريف ، [الأجل الظاهر الأسنى الأعدل الأزكى][3] قسيمه فى نسبه ، وما تقرر من حميد مذهبه ، فرع الشجرة الشَّمّاء [والسرحة الهاشمية][4] التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، الذى توشَّح بالطهارة والعفاف يافعاً ووليداً ، وأحرز الفخر طريفاً وتليداً [الصالح الفاضل التقى الخاشع المتبرك به المقدس المرحوم][5] أبى فلان قدّس الله تربته ، ورفع فى الملاء الأعلى ، مع سلطة أولى الفضل الذى تتلى رتبته . وهى الشريفة

(١) هذه الأوصاف كلها واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هذه الأوصاف واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جميل) .
(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

السعيدة ، الفاضلة الطاهرة ، كريمة شرفه ، وبكر حجابه ، ودرّة صدفه ، فاطمة ، جعلها الله خَيْر خلف ، من أُمهاتها اللائى طال ما اهتدى بهن الرجال ، وإن كنّ نِسا ، ونقل عنهن إلى أبنايهن ، وهم المؤمنون ، حكم الله صباحاً ومسا ، خِطبة كان السعد قايد زمامها ، واليُمن مقرر أحكامها ، والرضى والقبول ضامنى تمامها . فتلقى الشريف الطاهر ، أبو عبد الله عنها بالقبول والرضا خِطبته ، وأسعف رغبته ، ورأى أنه كما قيل فى أولهم : فحل لا يقدح أنفه ، وكفؤ يقتضى العدل والعلمية أن يمنع صرفه ، وعلم لا يجهل اسمه ، ولا يُنكر فعله ، ولا يحذف حرفه . فكان الارتياح والنشاط ، والرضا والاغتباط ، ثم الالتزام والارتباط ، وانعقد بينهما [النكاح فى الخطوية ، المباة على بركة الله البـاهرة الآيات ، وعلى صـداق مبلغه ما بين نقـد معجل وكالى مؤجل كذا وكذا ، النقـد من ذاك كذا وكذا والكالى وقـدره كذا وكذا ، وسعت المكارمة أنظاره إلى كذا وكذا من الآن][1] ، تحمّل والد الزوج ، حرس الله أسباب معاليه ، وبلغه من سعادة الزوجين ما يرتضيه ، جميع ما ذكر ، من نَقْد الصِّـداق وكاليه ، [تحمُّل حمل لا مدخـل للحمالة كحكم فيه][2] وعلى ذلك انعقد النكاح ، وتمت معانيه ، وبسببه استقلت مبانيه ، وهى متَّصفة بالأوصاف التى تبيح كمال الإشهاد وتسنِّيه . تزوجها بكلمة الله ، التى علت الكلمات وفاقتها ، وبهرت الأبصار وراقَتها ، وتقدمت الأعمال الصالحة فما حَدَّتْها الموانع ولا عاقتها ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، التى انتخبتها المراشد وانتقتها[3] [ونظمت الميامن ونسقتها][4] ، وعلى ما أخذه الله سبحانه ، للزوجات على أزواجهن ، وللأزواج على الزوجات ، من حسن العشرة ،

---

(١) هذه الفقرة وردت كلها فى الملكية . وورد مكانها فى الإسكوريال هذه العبارة فقط (والأملاك السعيد على صداق) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية . ومكانها فى الإسكوريال (للحمالة) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (ونسقتها) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

وإيجاب الدرجات، وكلاهما غنى عن الوصاة بالآداب الكريمة والخلال المُرْتضاة، حتى تتكفل المُكَارمة بقرَّة العيون، وانشراح الصدور، وتسعد الشموس بالبدور، وتزين نجوم سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، آفاق المنازل المباركة والدور، وتنتظم فى لَبَّة المجد انتظام الشذور. شهد [على السيد الفقيه الخطيب والد الزوج، وولده السيد الشريف المعظم أبى عبد الله بن عمران بما ذكر عنهم فى هذا الكتاب، وحضر إشهاد الزوج من أشهدوه به على أنفسهم وهم بحال صحة كمال الإشهاد وعلى أتم الأحوال المسوغة لهذا المراد كذا][1]، والله عز وجل يجعل هذا العقد، أسعد عقد، حَضَرت لمدعاه الجلَّة، وسرت بتأتى مثله الملة، وأنارت [بسعادته][2] البدور والأهلَّة، وثبتت من سنيه وأمانيه [وكونه مؤسساً على تقوى الله ورضوانه][3]، العقود المستقلة، ويبقيهما فى العيشة الرغد، واتصال السعد، وتحت بركة من لهما، من الأب الصالح والجد، ويضفى عليهما من العصمة[4]، درعاً حصيناً، ويجعلهما من أهل السعادة، دنيا ودينا، ويسلك بهما من التوفيق، سبيلا مبيناً. وصلاة الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله، الذى [بوأنا من السعادة][5] مكاناً مكيناً، وأجلانا[6]، وجه الفوز، يروق جَبِيناً، وسلَّم تسليماً كثيراً.

---

(١) هذه الفقرة الطويلة واردة فى الملكية ومكانها فى الإسكوريال (شهد عليهم).

(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.

(٤) وردت فى الإسكوريال (السعادة)، والتصويب من الملكية وهو أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (من الاعتصام بطاعة الله).

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (وجلالنا).

ولما توفى السلطان أبو الحجاج رحمه الله، وولِّى ولده رضى الله عنه ، الأمر من بعده ، كان مما صدر عنى البيعة المنعقدة عليه من أهل الحضرة العليّة والإيالة الكريمة النصرية نصًّا بعد الفاتحة .

الحمد لله الذى جلَّ شاناً ، وعزَّ سلطاناً ، وأقام على ربوبيته الواجبة فى كل كل شيءٍ خلقه برهاناً ، الواجب الوجود ضرورةً ، إذ كان وجودُ ما سواه إمكاناً ، الحىُّ القيُّوم حياة أبديّة ، منزهة عن الابتداء والانتهاء ، فلا تعرف وقتاً ، ولا تستدعى زماناً ، العليمُ الذى يعلم السرَّ وأَخْفَى ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، إلَا أحاط بها علما ، وأدركها عِياناً ، القدير الذى ألقت الموجودات كلها إلى عظمته ، يد الخضوع إسلاماً[1] له وإذعاناً ، المريد الذى بيده تصريف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، فإن مَنَع ، منع عدلا ، وإن مَنَح ، منح إحساناً ، شَهِد[تدوّل الملك][2] ، بزمام ملكه ، ودلَّ حدوث ما سواه على قِدَمه ، وأثنت ألْسِنة الحىّ والجماد على مواهبه وقَسَمه ، وفاض على عوالم[3] السما والأرض ، بحر جوده العميم النوال ، من قبل سؤاله[4] ، وكرمه ، فما من شئ إلَّا يسبِّح بحمده ، ويُثنى على نعمه سرًّا وإعلاماً ، فهو الله الذى لا إلَه إلا هو ، ليس فى الوجود إلَّا فعله ، ألا لَه الخلق والأمر ، وإليه يرجع الأمرُ كله ، وسع الأكوان على تباينها فضلُه ، وقدّر المواهب والمقاسم عدله ، منعاً ومنحاً[5] ،

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (استسلاما) .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (تداوم الملوك) .
(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السؤال) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سمحا) .

وزيادة ونقصاناً. والحمد لله الذى بيده الاختراع والإنشاء، [ملك الملوك][١] : يؤتى الملك من يشا، [ويعزُّ من يشا ويذلُّ من يشا][٢] ، سبق فى مكنون غيبه القضا [وخفيت عن خلقه الأسباب ، وعميت عليهم الأنباءُ][٣] وعجزت عقولهم عن أن تَسْتَكشف[٤] منها كنها ، أو تدرك منها بياناً. والحمد لله الذى رفع قبّة السماء ما اتخذ لها عماداً ، وجعل الأرض فراشاً ومهاداً ، وخلق الجبال الراسية أوتاداً ، ورتّب أوضاعها أجناساً مُتَفاضلة ، وأنواعاً مُتَباينة مُتَقابلة[٥] : فحيواناً ونباتاً وجماداً، وأقام فيها ، على ربوبيّته[٦] حكمة الإبداع والآثار[٧] ، باهرة الشعاع وإشهاراً ، وجعل الليل والنهار ، والشمس والقمر حِسْباناً ، وقدر لسياسة سياجاً لعالم الإنسان[٨] ، يضم منه ما انتشر ، ويطوى من تعديه ما نُشر ، تحمله على الآداب التى ترشده إذا ضلّ ، وتقيمه إذا عثر ، وتجبره على أن لتزم السُّنن ، ويتبع الأثر ، لطفاً منه شمل البشر وحناناً . ولما عَمَر الأرض بهذا الجنس الذى فضّله وشرفه ، ووهب له العقل الذى يفكر به فى حكمته حتى عرفه ، وبما يجب لربوبيته الواجبة وصفه ، جعلهم درجات ، بعضها فوق بعض، فقراً وغِناً ، وطاعة وعصياناً ، واختار منهم سَفَرةَ الوحى ، وحَمَلةَ الآيات ، وأرسل بهم الرسل بالدلايل[٩] والمعجزات ، وعرفهم بما كلفهم من الأعمال المفترضات، يجزى الذين أساءُوا بما عملوا ، و ليجزى الذين أَحْسَنوا بالحُسْنى ، [يوم اختبار

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مالك الملك) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى لإسكوريال ، وفى الملكية (وينزع الملك من يشا) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تدرك) .

(٥) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٦) واردت فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (دلايل) .

(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الإنس) .

(٩) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

الأعمال ، واعتبار الحسنات][1] ، ونصب العدل والمُجازات ، فى يوم العرض عليه قسطاساً وميزاناً .

نحمده ، وله الحمد فى الأُولى والآخرة ، ونثنى على مواهبه الجمة ، وآلايه الوافرة ، ونمدّ يد الضراعة ، فى موقف الرجا والطاعة ، إلى المزيد من مِنَنه الهامية الهامرة[2] ، ونسله دوام ألطافه الخافية ، وعصمته الظاهرة ، واتصال نعمه ، التى لا تزال نتعرفها ، مثنًى ووِحْدانا ، ونشهد أنه الله الذى لا إلٰه إلا هو ، وحده لا شريك له ، شهادة نجدها فى المعاد عُدَّه وافية ، ووسيلة بالأعمال الصالحة إليه راقية ، وذخيرة باقية ، ونوراً يسعى بين أيدينا ، ويكون على الرضا والقبول فينا عنواناً . ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد النبى العربى القرشى الهاشمى ، عبده ورسوله الذى اصطفاه واختاره ، ورفع بين النبيّين والمرسلين مقداره ، وطهّر قلبه ، وقدس أسراره ، وبلغه من رضاه اختياره ، وأعطاه لواء الشفاعة ، يقفو آدم ومن بعده من الأنبياء الكرام[3] آثاره ، وجعله أقرب الرسل مكانةً ، وأرفعهم مكاناً . رسول الرحمة ، ونور الظلمة ، وإمام الرُّسُل الأئمة ، الذى جمع له بين مزية السبق ، ومزية التتمة ، وجعل طاعته ، من العذاب[4] المقيم أماناً ، صاحب الشفاعة التى تُؤَمَّل ، والوسيلة التى بها إلى الله يُتَوسَّل ، والدرجة التى لم يؤتها الملك المُقَرَّب ، ولا النبى المُرْسَل ، والرتبة التى لم يعطها الله سواه . إنساناً انتخبه من أشرف العرب أُما وأباً ، وأزكى البرية طينة ، وأرفعها نسباً ، وابتعثه إلى كافة الخلق ، عجماً وعرباً ، وملأ بنور دعوته البسيطة جنوباً وشمالاً ، ومشرقاً ومغرباً ، وأنزل عليه كتابه الذى آمنت به الجنُّ لمَّا سمعته ، وقالوا[5] ، إنا سمعنا قرآناً

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية كالآتى (اعتبار الأعمال واختبار الحسنات) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (القاهرة) .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وقالت) .

عجباً ، تماماً على الذى أحسن ، وتفصيلًا لكل شيءٍ وتِبياناً ، فَصَدع صلى الله عليه وسلم بأمر من اختار ذاته الطاهرة ، واصطفاها ، وأدى أمانة الله ووفَّاها ، ورأى الخلايق على شفا المتالف فتلافاها ، وتتبع أدواء الضلال فشفَّاها ، ومحا معالم الجهل وعفَّاها ، وشاد الحق للخلق[١] بنياناً ، مؤيداً بالمعجزات ، التى حُجَجها تقبل وتسلَّم ، فمن جِذْع لفراقه يتألَّم[٢] ، وجماد بتصديق نبوَّته يتكلم ، وجيش شكا له الظمأ ، ففجر لريِّه المَعِين منه بناناً . وأى معجزة ككتاب الله ، الذى لا تنقضى عجايبه ، فهو اليمُّ ، والعلوم النافعة كلها مذانِبُه ، وأفق الحق الذى تهدى فى ظلمات البر والبحر كواكبه ، والحجة البالغة التى أصبحت بين الحق والباطل فُرْقانا ، فأشرقت الأرض بنور ربها وآياته ، وتمت كلمة الله صدقاً وعدلًا ، لا مبدل لكلماته ، وبلغ ملك أُمته ، ما زَوَى له من أقطار المعمور وجهاته ، حتى عَمَر من أكناف البسيطة ، وأرياف البحار المحيطة وِهاداً وكُثْباناً ، ونقلت كنوز كسرى بعزِّ دعوته الغالبة [وظفرت بفلح الحسام عزايمها المطالبة][٣] ، وأصبح إيوان فارس ، مجرّ رماح العرب العارية ، وقذفت جنود قيصر من دوايلها بالشهب الثاقبة ، حتى فرّ عن مَدْرته الطيَّبة آيبا بالصفقة الخايبة ، وخلصت إلى فسطاط مصر بكتايبها المتعاقبة ، فلا تسمع الآذان فى مقاماتهم إلا إقامة وأذاناً ، ولا دليل أظهر من هذا القطر الأندلسى الغَرِيب ، الذى خاضت إليه بسيوفها أثْباج البحار على بعد المراحل ، ونزوح الديار ، وتكاثف العمالات ، واختلاف الأمصار ، ومنقطع العمارة بأقصى الشمال ومحط السِّفار ، طلعت عليه كلمة الله طلوع النهار ، واسْتَوْطَنته قبايل العرب الأحرار ، وأرغمت به أُنُوف الكفار ، ضِراباً سبيل الله وطعاناً . ولما استقام الدين ، وتمَّم معالم الإيمان الرسول الأمين ، وظهر الحق المبين ، وراق من وجه الملَّة الحنيفية السمحة الجبين ، وأخذ المسالك والمآخذ الإفصاح

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فى الخلق) .
(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .
(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

والتبيين، وتقررت[١] المستندات المعتمدات سنَّة، وقرأنا أسرة الوحى بالرحلة عن هذه الدار، والانتقال إلى محل الكرامة، ودار القرار، وخُيِّر الملك، فاختار الرفيق الأعلى، موفقاً إلى أكرم الاختيار، وجد صحبه رضى الله عنهم، فى الاستخلاف بعده والإيثار، حُجَجًا مشرقة الأنوار، أطلقت بالحق يداً[٢] وأنطقت[٣] بالصدق لساناً، صلى الله عليه، وعلى آله وصحابته وأسرته الطاهرة، وعصابته وأصهاره وقرابته، الذى كانوا فى معاضدته إخواناً، وعلى إعلاء أمره الحق أعواناً، نجومُ الملة وأقمارُها، وغيوثُها الهامية وبحورُها، وسيوف الله التى لا تنبو شِفارُها، وأعلام الهدى التى لا تبلى آثارها، ودعايم الدين التى وقفت على البر والتقوى[٤] أركاناً، وحيّا الله وجوه حى الأنصار، بالنعم والنُّضرة، أُولى البأس عند الحفيظة، والعفو عند المقدرة، الراضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، ويذهبون برسول الله، فنعمت المنقبة والأثرة، الحائزون ببيعة الرضوان، فضلًا من الله ورضواناً، ووزراؤه وظهراؤه فى كل أمر، وخالصةً يوم أُحد وبَدْر، لم يزالوا صَدْراً فى كل قلب، وقلباً فى كل صدر، [يعدونه كل حمد، ويصلُّون بنفوسهم فى كل سرّ وجهر][٦] ويعملون فى إعلاء دينه. بيضاً عضابا، وسمراً لُدانًا، صلاة لا تزال سحايبها ثرَّة، وتحية دائمة مستمرة، ما لهجت الألسن بثنايهم، ووقفت المفاخر على عَلْيائهم، وتعلمت المواهب عن آلايهم، وقصرت المحامد على مُسَمّياتهم وأسمايهم، وكان حثهم على الفوز بالجنة ضماناً. ونسَلُك اللهم لهذا الأمر النَّصْر الذى سبَبُه بسببهم موصول، وهم لفروعه السامية أُصول، فيالها من نصول خلَّفتها نصول أنجزت وعد النصر، وهو ممطول، وأحيت

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.
(٢) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية.
(٣) واردة بالملكية وساقطة بالإسكوريال.
(٤) واردة فى الإسكوريال، ومكانها فى الملكية بياض.
(٥) وردت فى الإسكوريال (الحائزين) فاقتضى التصويب.
(٦) هكذا ورد ما بين الخاصرتين فى الإسكوريال. ووردت فى الملكية كالآتى: (يصلون دونه كل جهر ويعدونه بنفوسهم فى كل سر وجهر).

ربوع الإيمان وهى طُلُول ، نصراً عزيزاً ، وفتحاً مبيناً ، وتأْييداً على أعدائك وتمكيناً ، ومُلْكًا يبقى فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب وسُلْطاناً. وأعنَّا اللهم على ما أوجبت [من حسن الطاعة][1] وتأدية الحق بجهد الاستطاعة ، واعْصِمْنا بإيالته العادلة من الإضاعة ، واحملنا من مَرْضاته على سنن السنة والجماعة ، واجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى قيام الساعة ، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا .

أما بعد ما افتتح به من تحميد الله وتمجيده ، والثناء الذى تتعطر الأندية بترديده ، فإن من المشهور الذى يعضِّده الوجود ويؤيده ، والمعلوم الذى هو كالشمس ضلَّ من ينكره أو يجحده ، والذائع بكل قطر ترويه رواة الأنباء وتسنده ، ما عليه هذا الملك النَّصْرى الحميِّ الأنصارى المُنْتَمى ، الذى يصيب شاكلة الحق إذا رمى ، ويعم العباد والبلاد غيثه مهمى همى ، من أصالة الأعْراق ، وكرم الأخلاق ، والفضل الباهر الإشراق ، والجهاد الذى هو سَمَر الكواكب ، وحديث الرِّفاق ، وإن قومه الملوك الكرام ، إن فُوخِروا بنسب ، ذكروا سعد بن عُبادة ومجده ، أو كثِّروا بعدد ، غلبوا بالله وحده ، أو استنصروا فرجوا كل شدَّة ، واستظهروا من عزهم الموهوب ، وصبرهم على الخُطُوب ، بكل عدد وعُدَّة . دارُهم الثغر الأقصى ونَعِمت الدار ، وشعارهم لا غالب إلَّا الله ونعم الشِّعار ، زهَّاد إذا ذكر الدِّين ، أُسودٌ إذا حميت الميادين ، جبال إذا زحفت الصفوف ، بدور إذا أظلمت الزُّحُوف ، غيوث إذا مُنع المعروف ، أفراد إذا ذُكر الأُلوف ، إن بويعوا فالملايكة وفود ، وحملة العلم وحملة السلاح شهود ، وإن ولدوا[2] ، فالسيوف تمايم ، والسروج مهود ، وإن أَصْحَروا للعدو فالظلال بنود ، وجنود السَّبع السما[3] جلود . وإن أظلم الليل أسهروا جُفُونَهم فى حياطة المسلمين والجفون رقود . وإن هذا

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (من مفروض الطاعة) .
(٢) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (فاخروا) والأولى أرجح وأنسب للسياق .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الطباق) .

القطر الذى انتهى سبيل الفتح الأول إلى قاصيته[١]، وأجيلت قِداح الفوز بالدعوة الحنيفية على الإسلام فأخذ الإسلام بناصيته ، كان من فتحه الأول ما قد عُلم حسبما سُطر[٢] ورُسم ، وأنَّ موسى بن نصير وفتاه، حلَّ من فُرْضَة مجازه ما حلَّ موسى وفتاه ، وحل الإسلام منه دار قرار ، وخطَّة حقيقة[٣] بارتياد واختيار ، وبلد لا يُحصى خيرُه[٤] ، ولا يفضله بشئ من المزية ما عدى الحرمين غيره ، وامتدته الأيام حتى تأنَّس العدو لروعته ، وخف عليه ما كان من صَرْعته ، وقدح فأَوْرَى ، وأعضل داؤه فاسْتَشْرى ، وصارت الصغرى ، التى كانت الكبرى . فلولا أن الله دعم الدين منهم بالعمد الوثيقة حماة الحقيقة ، وأئمة الخليقة ، وسلالة مُفْتَتحى اليمامة ، ومُقْتَحمى الحديقة ، لأجهز النصل ، وأجتث من الدين الأصل . لا كنهم انتدبوا إلى إمساك الدين بها انتداباً ، ووصلوا بالإسلام أسباباً ، وتناولها منهم صَقْرُ قَبِيل الخزرج ، ذو الحسام المضرَّج ، والثناء المؤرَّج ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر ، أمير المسلمين المنتدب لإقامة سنة سيد المرسلين ، قدوة الملوك المجاهدين ، نَضَّر الله وجهه ، وتقبل جهاده ، وشكر دفاعه ، عن حوزة الإسلام وبلاده . فأقشعت الظلمة ، وتماسكت الأمة ، وكفَّ العدو وأقْصَر ، ورأى الإسلام بمن استنصر ، واستبصر فى الطاعة من استبصر ، وهبّت [بطاعته لله][٥] العزايم ، وكرّت[٦] على العدو الهزايم ، وتوارثوا ملكها ولداً عن أب ، مستندين إلى عدل وبذل[٧] وبسالة وجلالة وحَسَب ، تتضح فى أفق الجلال نجوم سيرهم هادية للسّايرين ، وتفرّق من سطوتهم فى الله أُسْد

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (ناصيته) وهو تحريف .
(٢) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خليقة) .
(٤) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (بنصر الله) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وكثرت) .
(٧) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

العرين ، إلى أن قام بالأمر وُسْطَى سلكهم ، وبركة مُلكهم ، الخليفة [الواجبة طاعته على الخلق][١] ، [الشهير الجلالة والبسالة][٢] ، فى الغرب والشرق ، أمير المسلمين بواجب الحق ، صاحب أذيال العفاف والطّهارة ، السعيد الإيالة[٣] والإمارة ، البعيد الغارة ، مَنْ ذَعِر العدوّ لبارق حُسامه ، وذَخَر الفتح السنى[٤] ، لأيامه ، صَدْرُ الملوك المجاهدين ، وكبير الخلفاء العادلين ، البعيد المدا فى حماية الدين ، السعيد ، الشهيد أبو الوليد ، ابن المولى الهمام ، الأوحد الرفيع المجّد ، الطاهر الظاهر الأعلى ، الرييس الكبير الجليل ، المقدس الأرضى ، أبى سعيد بن نصر ، فأحيا رحمه الله ، معالم الكتاب والسُّنَّة ، وجلى بنوره غياهب الدّجنَّة ، وأعزَّ الإسلام وحماه ، ورى ثغر الكفر فأصْماه ، قدّس الله روحه الطيّب ، وسقى لحده من الرحمة الغمام الصَّيِّب ، وأورث المُلْك الجهادى من ولده خير مَلِك قُبِلت منه كف ، واستدار به موكب للجهاد ملتف ، وشمخ بخدمته أنْف ، وسما إلى مشاهدته طَرْف ، وتأرّج من ذكره عَرْف ، وحدى إلى بابه حرف ، مولانا الخليفة الإمام ، الملك الهمام ، من أشرق بنور إيالته الإسلام ، وتشرفت بوجوده الليالى والأيام ، بَدْرُ الملك[٥] ، وشمسُه ، وسرُّ الزمان الذى قصر عن يومه أمسه ، الذى شُهر عدله ، وبَهر[٦] فضله ، وظهرت عليه عناية ربه ، وكان المصنوع له فى سلمه وحربه ، مولانا أمير المسلمين ، وقدوة الملوك المجاهدين ، والأئمة العادلين ، السعيد الشهيد [الطاهر الظاهر الأوحد الهمام الخليفة الإمام][٧] ، أبو الحجاج رفع الله درجته فى أوليائه ، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من أنبيائه وشهدائه .

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الواجب الطاعة بالحق) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (الهنى) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الملوك) وهو تحريف .
(٦) وردت فى الإسكوريال (وظهر) والتصويب من الملكية .
(٧) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

فوضحت المسالك وبانت ، وأشرقت المعاهد وازدانت ، وشمل الصُّنع الإلهى ، واللُّطف الخفىّ ، أقطار هذه الأُمة حيث كانت . ولما اختار الله له ما عنده ، وبلغ الأَجل[١] الذى قدره سبحانه لحياته وحدَّه ، وقبضه إليه مطمئناً ، مستغفراً من ذنبه ، فى الحالة التى أقرب ما يكون العبد فيها من ربّه ، كأنما تأهب للشهادة ، فاختار زمانها ومكانها ، وطهَّر بالصوم[٢] ، نفسه ، التى كرَّم الله شأنها ، وطيّب ريحها[٣] وريحانها ، فوقفت إزاءَ أرباب المشورى التى تصح الإمامة باتفاقها ، وتنعقد بعقد ميثاقها ، من أعلام العلم ، بقاعدة ملكه غرناطة ، حرسها الله التى غيرُها لها تبع ، وحماة الإسلام الذين فى آرائهم للدين والدنيا[٤] منتفع ، وخلَّص الثقات ، ووجوه الطبقات على مبايعة وارث[٥] ملكه ، بحقه الحايز فى ميدان الكمال ، وإحراز ما للإمامة من الشروط والخِلال ، خَصْل سبقه ، كبير ولده ، وسابق أمده[٦] ، ووارث ملكه ، ووُسْطَى سِلْكه ، وعماد فسطاطه ، [وبدر الهالة من بِساطه][٧] مولانا ، قمر العليا ، ودرَّة الخُلفا ، وفرع الشجرة الشمَّا ، التى أصلها ثابت ، وفرعها فى السماءِ ، الذى ظهرت عليه مخايل الملك ، ناشياً ووليداً ، واستشعرت الأقطار به ، وهو فى المهد أماناً وتمهيداً ، واستبشر الدين الحنيف ، فأَتلَع جيداً ، واستأْنف شباباً جديداً ، ناصر الحق ، وغياث الخلق ، الذى تميز بالسكينة والوقار ، والحياءِ المنسدل الأستار ، والبسالة المرهوبة الشِّفار ، والجود المنسكب الامطار ، والعدل المشرق الأنوار ، وجمع الله فيه شروط الملك على الاختيار ، مولانا ، وعُمْدة ديننا ودنيانا ، السلطان الفاضل ، والإمام العادل ، والهمام الباسل ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأمد) .
(٢) هذه الكلمة واردة هنا فى الملكية وأثبتت فى الإسكوريال بعد فى غير مكانها .
(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (روحها) .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .
(٦) هكذا فى الإسكوريال . ومكانها بياض فى الملكية .
(٧) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

الكريم الشمايل ، شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ، [أمير المسلمين ، وقرة عين المؤمنين ، أبو عبد الله][(١)] ، وصل الله أسباب سَعْده ، كما حلَّى أَجْياد المنابر بالدعا لمجده ، وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بالنصر العزيز ، فما النصر إلا من عنده . ورأوا أن قد ظفرت [بعروة الحق][(٢)] أيديهم ، وأمن فى ظل الله رايحُهم وغاديهم ، ودلت على حسن الخواتم مباديهم ، فبادروا وانثالوا ، وتَبَخْتَروا فى ملابس الأمن واخْتالوا ، وهبّوا إلى بيعته ، تطيرهم أجنحة السرور ، ويعلن انطلاق وجوههم بانشراح الصدور . واجتمع منهم طوايف الخاصة والجمهور ، ما بين الشريف والمشروف ، والروسا أُولى المنصب المعروف ، وحملة العلم وحملة السيوف ، والأُمنا ومن لديهم من الأُلوف ، وساير الكافة ، أُولى البدار لمثلها والخُفُوف . فعقدوا له البيعة الوثيقة الأساس ، السعيدة بفضل الله ، على الناس ، البرى عقدها من الارتياب والالتباس ، الحايزة شروط الكمال ، الماحية بنور البيان ظلم الإشكال ، الضمينة حُسْنَ العقبى ونُجْح المآل ، على ما بويع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن له من الصحابة والآل ، وعلى السمع والطاعة وملازمة السُّنة والجماعة ، فأيديهم بالسلم والحرب رد ليده ، وطاعتهم إليه خالصة فى يومه وغده ، وأهواؤهم متفقة حالى الشدة والرخاء ، وعهودهم محفوظة على تداول السرَّاء والضراء . أشهدوا عليها الله ، وكَفَى به شهيداً ، وأعطوا صفقات إيمانهم تثبيتاً للوفاء بها وتأكيداً ، وجعلوا منها فى أعناقهم ميثاقاً وثيقاً وعهداً شديداً . والله عز وجل يقول ، فمن نَكَثَ فإنما ينكث على نفسه ، ومن أَوْفَى بما عاهد عليه الله فسنُوتيه أجراً عظيماً . ومن أصدق من الله وعداً أو وعيداً . وهم قد بسطوا أيديهم يَسْتَنزلون رحمة الله بالإخلاص والإنابة ، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة . يسألون له خير ما يقضيه ، والسير على

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العروة الوثقى) .

ما يرضيه ، اللهم بابك عند تقلب الأحوال عَرَفْنا ،ومن بحر نعمك الكريمة اغْتَرَفنا ، وعفوك ستر عيوننا كلما اجْتَرحنا السيئات واقترفنا. من فضلك أَغْنَيْتَنا ، وبعينك التى لا تنام حَرَسْتنا وحميتنا ، فانصر حَيَّنا ، وارحم مَيْتنا وأَوزعنا شكر ما أوليتنا ، واجعل لنا الخير والخيرة فيما إليه هديتنا. اللهم إن قطرنا من مادة الإسلام بعيد ، وقد أحدق بنا بحر زاخر ، وعدوّ شديد. وفينا أَيِّم وضعيف ، وهَرِم ووليد ، وأنت مولانا ونحن عبيد ، اللهم من بايعناه فى هذا العقد ، فأَسعدنا بمبايعته وطاعته ، وكن له حيث لا يكون لنفسه ، بعد استنفاد جهده فى التحفظ واستطاعته ، وكُفَّ عنا كَفَّ عدوك وعدوه ، كلما هبَّت به رياح طماعته ، يامن يفرده العبد بضراعته ، ونعوذ بحفظه من إضاعته ، اللهم أَدِّ عنا حقَّه . فإنا لا نقوى على أدايه ،وتولّ عنا شكر سيرته[1] وما حمدنا من سِيرَ آبايه ، واحمله من توفيقك على سَوايِه ، اللهم إنا إليه ناظرون ، وعن أمره صادرون ، ولإنجاز وعده فى نَصْر من ينصرك منتظرون ، فأَعِنْه على ما قلدته ، وأنجز لديننا على يديه ، بما وعدته . فما فقد شيئاً من وجَدَك ، ولا خاب من قَصَدك ، ولا ضَلَّ من اعتمدك، آمين آمين ، يا رب العالمين . وكتب الملأُ المذكورن أسماءهم بخطوط أيديهم فى هذا الكتاب ، شاهدة عليهم بما التزموه ديناً ودُنْيا ، وسلكوا منه سبيلاً مُبِيناً . فى الثانى والعشرين لشوال من عام خمسة وخمسين وسبعماية .

---

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

الفتوحات الواقعة والمراجعات التابعة

[صدر عنى كتاب عن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد ابن نصر ، إلى ملك المغرب السلطان أبى عنان ابن السلطان أبى الحسن][1]

نصه بعد الفاتحة.

المقام الذى مآثره العليَّة[2] ، لا تحصى ، ومكارمه [السَّنية عمّت][3] ، الأدنى والأقصى ، وأحكام مجده ثبتت فى كتاب الفخر نصًّا ، وبدور سعده ، لا تخاف بفضل الله نقصاً ، وعزائمه فى نصر دين الإسلام ، تروض من صرف الأيام ما اسْتَعْصا ، وتقضى للدين دينه المطول مُسْتقصا ، مقام محل أخينا ، الذى نجحت آمال الإسلام فى الاستعانة بجلاله ، وصَدَقَته[4] ، مخيلته فى كرم خلاله ، وخَلَصَت فى سبيل الله زاكيات أعماله ، وابتدر إلى الإصراخ والإنجاد والجهاد فيه حق جهاده[5] ، بمواعيده الصَّادقة وعزائمه المتلاحقة وأمواله . [السلطان الكذا][6] ، أبقاه الله يَجْلُو بنور سَعْده كل خَطْب ، ويحيي بوعده ميْت الرجا فى كل قَلْب ، ويروض بيُمن نقيبته كل صعب ، ويُنْسى بمكارمه ذِكْرَ حاتم وكعب ، ويسحب أذيال عزِّه فى كل سلم وحرب ، ويضرب قِداح النصر فى مأزق كل طعن وضرب ، موفًّى ما يجب لمقامه من البر المفروض المحتوم ، وإمحاض الود الذى لا يعى الظاهر منه بالمضمر ، ولا المكنون منه بالمكتوم ،

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (العالية) .

(٣) هكذا وردت هاتان الكلمتان فى الإسكوريال . وفى الملكية (المتوالية عمرت) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (صدقت) .

(٥) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الجهاد) ، والأولى أنسب للسياق .

(٦) وردت بعد هذه العبارة فى الملكية (ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا) .

المُثْنى على فضله المشهور ، ومجده المعلوم ، فلان ، سلام كريم طيب عميم ، كما طلع وجْهُ الصباح المشرق ، وقرع أَشهب الفجر ثنيَّة المشرق ، وهبّ نسيم الصباح ، مشقق[١] الجيب ، مخلَّق المفرق ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله ، ولى المحامد على اختلاف الأَنواع منها والأَجناس ، ومُسْنى الصنايع الكافية والأَلطاف الخافية ، تجلُّ مسالكها عن[٢] القياس ، ومُطْلع بوارق الرجا على هذه الأَرجاء ، عند اعتكار ظلام الياس ، ومُنْجد كلمة التوحيد فى هذا القطر الغريب الوحيد ، بكل مُوَازر من أَوليائه ومُوَاس ، فمواهب عنايته سبحانه لأَهل هذه الأَمصار ، على مر الأَعصار ضافية اللِّباس ، ورحمته لمن بها من المسلمين كفيلة بانسكاب النَّعمى وذهاب الباس . والصلاة على سيدنا محمد رسوله ، أَكرم الرسل من شيثٍ إلى إلياس ، المبْتَعث من[٣] ، خير أُمة أُخرجت للناس ، هادى الخلق إلى سبيل الحق فى ليل الشك والالتباس ، والرضا عن آله وأَصحابه ، وأُسرته وأَحزابه ، غيوث الندى وليوث الباس ، الذين رفعوا معالم سنته من بعده على أَوثق أَساس ، وخَلِفوه فى أُمته بالنصر الماضى الصوارم ، والجود الهامى الغمايم ، والعدل القايم القسطاس ، والدعاء لمقامكم الأَسمى بعزٍّ يذل مصاعب الأَمانى من بعد مصاعب الشماس ، ونصر تهب به ريح الصَّبا بين سحايب القِتام ، وبوارق الظُّبا متأَرِّجه الأَنفاس ، وتتبارى فى ترديد وصفه وتجويد رصفه ، جِياد اليراع فى ميدان القرطاس . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لسلطانكم العلى سعداً وثيق المبانى ، ونصراً كريم الأَلفاظ والمعانى ، وصُنْعاً كفيلًا للإِسلام وأَهله ، بنيل الأَوطار وبلوغ الأَمانى ، وعزًّا تخفق ظلاله على الأَقاصى والأَدانى . من حَمْراءِ غَرْناطة حرسها الله ، ومسرّة اتصال اليد بسلطانكم الأَسعد ، للصدور

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية . (ممزق) .

(٢) فى الملكية (على) .

(٣) وردت الملكية (فى) .

شارحة ، [وفى عوالم الأرواح سارية بارحة] [١] ، ولآيات السعادة والصنايع المعادة ، قارحة فى القلوب إلى ظلالها الوارفة جانحة ، والعيون لأنوارها البادية لامِحة ، والألسُن بشكرها مادِحة ، والنفوس فى انتشاق ريّاها ، [ومعاطاة محيّاها] [٢] تصل اليوم الغادِى بالليلة البارِحَة . والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله ، وعندنا لمقامكم العلى ، وُدٌّ صَفَتْ موارده العذبة ومشارعه [٣] ، وإخلاص كأنه الصبح أشرقت مطالعه [٤] ، وثناء تأرَّج فى الأرجاءِ ذايِعة . فنحن نعتَدُّ بذلك الملك [٥] ، الكريمة فى الدين صنايعه ، وتُؤَمَّل أَصْراخه إذا راع الإسلام رايعُه ، ونلتمس منه علاج هذا القطر إذا اضطربت طبايعه . وإلى هذا وصل الله لكم عوايد النصر على أعدايه ، وجعل عزمكم كفيلًا للدين ببُرْءِ دايه وإجابة ندايه . فإننا ورد علينا كتابكم الذى موقعه عند العدو موقع الكتايب ، وخطابكم المشتمل على المواعد الصادقة ، والعزايم المتلاحقة ، والمكارم الغَرايب ، فاجْتَلينا منه سحابة جودٍ صابَتْ على الأرجاءِ ، وتألَّقت من خلالها بروق الرَّجاءِ ، ورُدْنا منه روضة تعاهدتها الغمايم . وتفتحت عن أزهارها الصفراء والبيضاء منها الكمايم ، فأهلًا به من خطاب ، تبارى [٦] فى ميدان الكمال قوله وفعله ، واشتمل بحُلَّة الفضل الذى أنتم أهلُه ، وشهدت أغراضه بما لكم من المُلْك الرفيع محلَّه ، والعز المديد ظله ، ونطق بإجابة داعى الله ورسوله مُضْمَنه كله ، أعاد فى شرح مكارمكم الحافلة ، وأبدى وأسدى من كرم الخلة ما أسدى ، وأهدى من نفايس الموالاة والأموال ، وصدق الأفعال ، والأقوال [٧] ، ما أهدى . فكلما تدبَّرنا فصوله

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى الملكية .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية (ومعاطاة كئوس حياها) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (وشارعه) ، والتصويب من الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (طلابعه) .
(٥) وردت فى الإسكوريال (المناقب) والتصويب من الملكية .
(٦) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (يبدأ) . والأولى أنسب للسياق .
(٧) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

وتأملنا معانيه التى [شرح الفخر بها][1] محصوله ، واجتلينا منه معانى ، أضاءَ سواد الحبر نورها ، وحروفاً تحمل المداد ظهورها ، انفسح لنا فى إنجاز تلك المواعد ميدان الأمل ، وراقنا تظافُر النيّة ، فى تلك المخاطبة السنية والعمل ، ولله ما تحليتم به من كرم الذات ، وكمال الصفات ، وسعادة السمات ، ومضاء العزمات ، وما هيأ الله لكم من القَبول فى القلوب ، والمحبة هى عنوان العناية من علّام الغيوب ، وما أنطق به الألسنة من الثناء على رِفْدكم الموهوب ، وفضلكم الذى اعترف الموجود به والوُجوب ، ومجدكم الذى تعاضد منه الموروث بالمكسوب ، زادكم الله من فضله المرغوب ، وسَنّى لكم من نصر دينه أقصى المطلوب . فصدعنا بذلك الكتاب فى الحفل المجموع ، وأشَدْنا بفضله المرءى والمسموع ، وبثثنا أُنس حديثه بين هذه الأقطار والربوع ، ليثوب الولى منه بالخير المشفوع ، واليُسر المعين اليَنْبوع ، وينقلب العدو بالروع المروع ، وبحكم مسموعه بتنكير المعارف ، وتكسير الجموع ، إن شاء الله .

وألقى إلينا رسولكم الشيخ [القايد أبو مهدى ابن الزرقا][2] وصل الله سعادته ، وحرس مجادته ، ما قصرتموه على المشافهة ، من ألطاف[3] البرِّ ، ومكنون الوُدِّ الكريم السر ، فأبلغ فى أحكام نقله ، بمقتضى دينه وعقله ، واستوعب ما تحمله[4] عنكم ، بما يليق بمثله ، وخرج عن مُضْمن تلك الرسالة الكريمة كله ، وبسط لنا القول إرسالُنا الآيِبُون [صحبته من بابكم الكريم أعزهم الله][5] فيما وردوا عليه ، من السهل[6] والرحب ، والمكارم الهامية السُّحُب ، وما تلقوه من

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ومكانها فى الملكية (شرحتم بها) .
(٢) هكذا ورد اسم الرسول فى الإسكوريال . وورد فى الملكية كالآتى (الشيخ الكذا أبا عبد الله الزرقا)
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (لطايف) .
(٤) فى الملكية (لقنه) .
(٥) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٦) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (الأهل) والأولى أنسب للسياق .

عزايمكم التى تقذف العدو بالرعب. فتقرر لدينا امتعاض مقامكم الكبير الجلالة، الشهير البسالة، واستنبطنا أحكام النصر من ذلك التلقين المبين[١] وتلك الرسالة. وهذه البلاد أيدكم الله، إنما استمسكت [بأسباب تلك][٢] الإبالة، واسْتَرْكَبت بركات مكارمها المنثالة، فأكُفُّ سكانها على اختلاف أزمانها إلى تلك العزايم الماضية تُشِير، وبتلك الهمم العالية، مهمى طرقها الهم[٣] تَسْتَجير، وقلوب المسلمين فيها إلى عوايد سلفكم الأرضين تجنح؛ ونفوسهم لا تزال تلوذ منهم بمن يمنع ويمنح، فإذا كيَّفَ الله لها مثلكم من لُباب ذلك العنصر الطاهر، وخلاصة الملك العالى الظاهر، [فقد جَبَر القلوب، وبلّغ المطلوب][٤]. أمتعنا الله بعصمة مجدكم وعرف الإسلام بَرَكة سعدكم، وإنجاز وعدكم. ومن الاتفاق الذى عددناه من سعادة هديتكم، وحَسَبناه من آثار نيتكم، ما كان من مشاهدة رسولكم، أعزه الله، قفول الجيش بحضرتنا من غزوة أغزيناه إياها إلى جهات عدو الشرق، أبعد فيها المغار، وسام من بها من الروم الصِّغار، وأطلق فى أوطانها السيف والنار، واستباح جملة من القرى بأحواز مدينة الكَرْس، ركبت إليها سراياه ظهر الليل، وأطلعت بمطالع فجرها قبل غرة الصباح غور الجَبَل. وباكرت أبكارها وعونها بالويل[٥]، ونالت من حماتها أعظم النيل، وأدارت على متدبريها أكْواس المنايا، واستاقت النساء والحريم سَبايا، ودوّخت أرضاً، خطْب[٦] القدوم عليها شديد، وعهدها بسيوف المسلمين بعيد؛ كل ذلك بقوة الله سبحانه وحوله، وفضله السابغ وطَوْله، وبَرَكة الاعتداد بمقامكم الأسمى، شكر الله مكارم قوله

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية. ومكانها فى الإسكوريال (بتلك).

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (المكروه).

(٤) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال وساقط فى الملكية.

(٥) وردت فى الإسكوريال (بالليل)، والتصويب من الملكية.

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال. وفى الملكية (خطر).

وفعله ، فإن العدو أهلكه الله ، يرهب صَوْلة سلطانكم العزيز الأَنصار . ويفرق من عزائمكم الماضية الشَّبا والشِّفار ، ويعلم أن اتصال اليد باليد[١] سبب الدِّمار له والثَّبار ، على بعد الدار ، ونزوح الأَقطار . فبمقامكم نتوعّده إذا تعدَّى ، ونصدُّ عزمه إذا تصَدَّى ، على مر الأَعصار . حفظ الله علينا إعانة مُلْكِم الأَسمى ، وأَجرى للإسلام عوايد دولتكم العظمى . ومن لدنّا أَوفدنا على بابكم العلى إرسالنا ، وأَعلقنا بمقامكم المرضى[٢] آمالنا ؛ أَغزينا الجيش غزوات عظُمت فى العدو بها النِّكاية ، وصحبت المسلمين من الله الوقاية ، إحداها[٣] وقف الجيش فيها بياض يومه على باب مدينة إستِجّة[٤] ، إحدى المدن الخطيرة ، والقواعد الشهيرة ، ودار الحامية ، ومثوى شوكة الطَّاغية ، وضيق عليها بالقتال ، وأَذاقها أَليم النَّكال . وبآخره لاكت النار زروعها ، وسكنت حُلَّةُ[٥] البَوار ربوعها ، وانصرف عنها المسلمون ، وقد تخلف من بها فى عداد الأَموات ، لما سَامَهم من إهلاك الغَلّات ، وانتساف الأَقوات . وأَخرى قصد بها مدينة قيجاطة[٦] ، وهى أَيضاً من قواعد الثغر وأُمّاته ، ومقر شرار رماته وركاب حماته ، فرمى غرضها ، واستباح ربَضَها ، ودوَّخت سراياه ، ما وراءها من الحصون العلايم والقلاع ، والأَقطار الزارعة[٧] الأَصقاع ، وسُلِّطت النار على ما دنا ونآمن تلك البقاع ، والعدو دمره الله شديد التحذير لأَرضه مما يلى هذه البلاد ، وفرسانه المعدة لحماية ثُغُوره

---

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (بسلطانكم) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (الماضى) وهو تحريف .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية (إدرادها) وهو تحريف .

(٤) إستجة ، وبالإسبانية Ecija بلدة أندلسية قديمة تقع جنوب غربى قرطبة على نهر شنيل فرع الوادى الكبير . وكانت أيام الدولة الإسلامية عاصمة لكورة أندلسية مستقلة .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (كلمة) .

(٦) قيجاطة وبالإسبانية Quesada بلدة أندلسية تقع جنوب بلدة أبده ، وشمال شرق جيان ، وكانت من قواعد الأندلس التى تداولها المسلمون والنصارى مرارا .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الشاسعة) .

كثيرة كثِيفة الأعداد ، فما يفارق الحضرة ، إلاَّ على توقع مضرَّتها ، واستدفاع محذور غِرَّتها . هذا ما عندنا شرحناه إليكم ، وألقيناه عليكم[١] ، [وإعانتكم التى لسبيل الله عينتموها ، واقعة من الله سبحانه بمكانه ومكان رجاله منه محل رضوان][٢] شكرنا لمقاصدكم الكريمة ، وفواضلكم العميمة ، لو استظهرنا عليه بلسان سَحْبان ، لما جلى عن غرضنا ولا أبان، وإلى الله نَكِل جزاءَكم ، ونسله أن يصل اعتناءَكم ، ويحرس سَناءَكم ، ويذيع فى الخافقين ثَناءَكم ، ورسولكم القايد [الأَجل الريس أبو مهدى][٣] أعزه الله ، يقرر لديكم ما حملناه ، ويعرض بين يديكم ما مِن الله أَمَّلناه ، وفضلكم بالإصغاء إليه كفيل ، ونظركم جميل ، والسلام .

---

(١) فى الملكية (لديكم) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية . ومكانه بالإسكوريال كلمة (فلان) .

وصدر عنى أيضًا فى مخاطبة السلطان بالمغرب أمير المسلمين أبى عنان المتقدم ذكره ، معرِّفًا عن أمير المسلمين أبى الحجاج بن نصر بفتح حصن قنيط

المقام الذى لأنباء النصر اهتزازه وارتياحه ، وفى سبيل الله عزمه وبأسه وسماحه ، ولجهاد أعدائه تحن جياده وتميل رِماحه ، ومن أفقه الأعلى تنشأ سحابُه وتهب رياحُه . مقام محلِّ أخينا ، الذى نعظمه ونجله ، ونثنى عليه بما هو أهلُه ، السلطان الكذا[1] ، أبقاه الله ، ومقدمات رِفده صادقة الإنتاج ، ودليل سعده غيرَ معارَض فى مناط الاحتجاج ، وحرم عزِّه ممنوع الحمى ، مرفوع السياج ، وعُقْبان راياته تظلل من حماته أسود الهياج . مُعظَّم مجده المعتدُّ بوده ، الداعى إلى الله فى اتصال سعده ، الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد بن [إسماعيل بن فرج][2] بن نصر ، سلام [كريم][3] عليكم سلاماً يودّه البدر وشما فى غرته ، ويكتبه الصباح الطلق [معودة][4] فى طرته . يخص مقامكم الأسمى ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد لله الذى يسَّر لنا من لُطْفه الخفى سبيلا واضحاً ومنهاجا ، وجدّد علينا ملابس الإقبال بسعادة ملككم السامى الجلال ، وقد كادت ترق انهاجا ، فاتح أبواب الأمل ، إذا سَامتها الشدايد أرْتاجا ، ومسخر ضروب الأيام ، وقد

---

(١) فى الملكية (ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا) زائدة .

(٢) ما بين الخاصرتين زائد فى الملكية .

(٣) زائدة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

أَعْيَت جِماحا ولَجاجا. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسوله، الذى أطلع منه فى أُفق المهدى، سِراجًا وهَّاجا، وأقام به عماد الحق لا يعرف اعوجاجا، وعقد عليه من جاه الشَّفاعة العامة تاجا، وأيده بنصره وبالمؤمنين، وأمدّه فى الأَرض بملايكته المُسَوَّمين أفواجا. والرضا عمن شملته [حرمة جواره، ووسعته رحمة قربه وحبه وإيثاره][1] صحابة وقرابةً وأزواجا، الذين لم يألُوا فى شد أَزْرِه، وإعلا أمره التحاما وامتزاجاً، وإلجاما فى مجاهدة عداه وإسراجا، فكانوا غيوثاً كلما باشروا احتياجا، وليوثا كلما حضروا هياجا، فانبلج بهم صباح الحق انْبِلاجا، ولم يدع هديهم فى النفوس ريبا، ولا فى الصدور اختلاجا. والدعاء لمقامكم الأَعلى أبقاه الله بحراً بأَمواج الكتايب الناصرة عَجاجاً، وغماما لغيوث المواهب الهامرة ثَجاجا، وأطلع عليه من أنباء الصُّنع الجميل على يديه، ما يهز عطفه الكريم ارتياحا وابتهاجا، ولا زالت كواكب يُمنه أسعد أَبراجا، وأَدلَّةُ سعده، أَوفى حظُوظًا فى حدودها وأوفر أدراجا، وجعل عزمه الأَمضى، وسَعْيه الأَرضى، لعلل الدِّين والدُّنيا علاجا. فإنا كتبناه إليكم، كتب الله لكم صنعا، يسحب من أَذيال المسرات المستمرات عَصَبا وديباجا، وعزًّا يطوف بمقامه وفود البشاير حجاجا. من حَمْرَاءُ غَرناطة حرسها الله، وعندنا من الثقة بالله عقود لا يتطرق إليها انفصام، ومن التوكل عليه حصن حصين إليه فى الشدايد والاعتصام. وجنابكم بعد الله، هو الملجأ الأَحْمَى والمقام، ولمدونة كتايبه القول، إذا اشتد العَدْو والخِصام، فلا نزال بيمن الاعتداد لمقامكم الأَعلى نَجْتَلى وجوه السعادة عِيانا، ونعرف ضروب الإعانة والتيسير، حالى المقام والمسير مثْنَى ووحدانا، ونجد فيها مدلول قوله سبحانه، «سنشد عضدك بأَخيك ونجعل لكما سلطانا». وإلى هذا وصل الله سَعْدكم، وسَنَّى فى أَعدايه قصدكم. وإنه تقدمت

---

(١) هكذا ورد ما بين الخاصرتين فى الملكية، وفى الإسكوريال (حرمته ووسعته رحمته).

مطالعة مقامكم بما سنَّاه الله لجيش المسلمين فى الغزوات المنصوصة عليكم من الصُّنع الكريم ، وأنهم تعاهدوا ما بينهم من ديار الكفار معاهدة الغريم ، وأذاقوا من حلُّوا بساحتهم[١] من أحزاب الضلال طعم الوبال ، بين إحراق الغلات ، وسَبْى الحريم ، كل ذلك من غير قوة ولا حول ، ولا بفعل منًّا ولا قول ، بل بقوة الله التى لا تُضِير معها قلة عدد ، وإعانته التى هى خيرُ مَدَد ، وبَرَكة نيتكم التى هى بعد الله أسنى مُعْتمد . ورأينا الآن أن نصل فيهم النكاية الماضية بالآتية ، ونقرن الغَزَاة الصايفة بالشاتية ، ولا نقصر العزم على الفصول المواتية . فأغزينا بالجيش خاصَّتنا ، الحظىِّ لدينا ، القايد أبا النعيم رضواناً أعزه الله وأسعده[٢] ، ووفقه وأرشده . فنهد لقصده ، ونهض بما نعلمه من جدِّه ، وتبعه الجيش يكافحه[٣] جيش المزن ، وقد فرَّق قباله ، وطوَّر بأعلام البروج[٤] جباله ، وصمم لوجهه أنفة من حلِّ العزم المعقود ، وثقة باشتمال المكروه على المودود . وقع التفاوض فى الوجه المقصود ، والتماس الأثر المحمود ، وروعيت فى طريق الترجيح[٥] ضمايم الوجود . فتخلص العزم على قصد الحفرة الغربية لتكون المرفقة أسوغ ونكاية العدو فيما يراه مستخلص قهره أبلغ ، ولأن الجهة التى لإيالتكم هى علينا أهم ، والفايدة فيما يختص بهم أعمّ . فنازل بعد أن تلاحقت الجيوش[٦] الغربية ، حصن قَنيط ، وهو من أشهر تلك الحصون الأطيبية ذكراً ، وأعظمها نُكراً ، وأشدها امتناعا ، وأمدها فى نكاية المسلمين باعاً . ووافق قصده[٧] ورود الميرة على سكانه ، فانحصر فيه من أوصلها من رجال العدو وفرسانه ، وحماة

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (بساحته) .
(٢) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يكافح) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (البروق) .
(٥) وردت فى الإسكوريال (التجريح) ، والتصويب من الملكية .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حشود) .
(٧) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

طغيانه . فشرعت العزايم المسلمة فى قتاله ، وسالت جداول السيوف إلى إطفاء نار ضلاله ، وفُوقت السِّهام إلى بُرْج سُوره وجَلاله ، وأخذ [أمر الله من][1] عن يمينه وشماله ، والجو مع هذه الحال مُرعد مبرق ، والنهار قد تجهّم وجهه المشرق ، وعارض الوبل قد خالط عارض النبل ، والحيلة فى افتتاحه لا تهدى لسلوك ما تعرفه من السُّبل . ثم أَذن الله فى كَفِّ أَكُف المطر ، لتيسير الأَمل ، وإحراز الوطَر ، فسَفَرت الشمس من نقابها ، وبرزت مُخدَّرتها من حجاب سحابها ، كأَنما أَعانت على تكميل المراد ، لما تطلعت لمشاهدة الطِّراد [فرشفت البلل][2] ، [ونقعت الغلل][3] ، وأَزاحت الكسل ، واستانفت الفعلة العمل ، وعاودت المقاتلة الأَمل ، وحكمت آلات النقب فى شارة سوره ، فقعدت وخرم أَساسها ، فاتكأَت على دعايم الخشب واعتمدت . ثم تليت عليها آية النهار فخشعت ، ثم سجدت ، ودخل المسلمون جِفْنه عنْوةً[4] بعد حرب أَداروا كاسَها ، وموافقةٍ راضَ النصرُ سِماتها ، واعتصم حماته بقصبته ، وقد أُحيط بهم إحاطة القلادة بالجِيد ، وراع تَثليثهم تجاوب كلمة التوحيد ، وكاتَبَتْهم صروف المنايا بمرنَّات الجنايا على المرمى البعيد . فأَذعن عميدهم عند ذلك إذعان العميد ، ولجُّوا فى طلب الأَمان إلى الرُّكن الشديد . فظهر أَن إجابة سؤالهم تسهيل على أَمثالهم ومن يجاورهم من أَشكالهم ، من العمل الأَكيد ، والرأى السَّديد . فتسلم المسلمون اليوم الثانى قَصَبته ، وأَورث الله دينه الذى حجب عُصْبته ، وتسنمت رايات النصر هَضْبَته ، وحلّت كلمة الإسلام من بعد العطل لَبّته . وهذا المِعْقَل أَيدكم الله ، إليه تنسب الحفرة

---

(١) وردت مكانها فى الإسكوريال (من التطرق) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (فشفت العلل) والأولى أرجح .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية فى هامش الصفحة وهى ساقطة فى الإسكوريال .

(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

القَنِيطية ، وفى ساحته لمرتاد الخصب منتهى الطِّية [ومناخ الطِّية][1] وما يجاوره من الحصون بسببه ، إن شاء الله يَنْتَثِر سِلْكُها ، ويتيسر مُلْكُها ، فإنما هو دَيْنٌ ، اقتُضِيت منه دُفْعة ، وحق مشترك ، استُخْلِصت بعضه[2] شُفْعة ، وباب تفتحت منه فُرجة ، وخصام وضحت منه حُجة ، وعما قريب إن شاء الله [بمعاهدتكم الكريمة][3] ، نستوفى من العدو الدُّيون ، وتُقِر باستخلاص ذلك الحق العُيون ، ويُفتح الباب ، وتتقطع بالخصم الأَلَدِّ الأَسباب . وموقع هذا الحصن من طاغية العدو ، قَصمه الله ، الموقع الذى ينغص أُنْسه ، ويوحش نَفْسه ، وقد رتَّب فيه الحماة ، واختير له الرجال والرُّماة ، بخلال ما يقع نظركم فى إضافته إلى ما يرجع لرُنْدة حرسها الله ، من الثغور ، وتعرّف نُكرته بالإضافة إلى عَلَمكم المنصور ، فهو طليعة الفتوح التى فى إيالتكم العالية تَرْتَسم ، ومبدأ[4] الحصون التى فى سِلْكِكم الرفيع بحول الله تَنْتَظم . وانصرف الجيش المبارك عنه ، حميدَ السَّعى ، سديد الرَّمْى ، واستُنْزِل منه من الأَعداء ، أُولى القوة والبأْس ، والنفوس الحميّة الأَنفاس ، جملة تُناهز المائة . لو لم يكن فى هذا الفتح إلا أَن العدو تَكِل[5] ، دفاعهم عن حَوْزته ، وكفى الله الإسلام شرهم بعزَّته ، وتخلّص من كان به من أَسرى المسلمين ، ولحقوا بأَهليهم سالمين . ولما كيّف الله هذا الصُّنع ، قابله معظَّم مقامكم بالشكر الذى يَسْتدعى المَزيد ، ويقرِّب الأَمل[6] البعيد ، وعرّف به مقامكم الأَسمى ، ليأْخذ من ذلك بالحظ الأَوفى ، والشكر الذى يقرب إلى الله زلفى ،

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) واردة فى الإسكوريال ومكانها بياض فى الملكية .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (وميدان) والأولى أرجح .

(٥) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأجل) .

فإنَّ نَسَبَ هذا الفتح إلى عمود مُلْكِكم نسب صحيح ، وشاهده فى الانتماء إلى معاليكم عربى فصيح ، فإنما هو ثمرة أمدادكم ، عرض على مقامكم [الأسمى ليأخذ من ذلك بالحظ الأوفى][1] . ولا خفاء بما هو عليه الإسلام فى هذه الأقطار الغَرِيبة من انقطاع المَدَد ، وتعذر العُدَد ، والقلَّةُ التى ليس بينها وبين عدمها نسبةٌ من نسب العدد ، فجميع ما يُسنى الله له من الفتح الأسعد ، وما تحققه أ[illegible]

وصدر عنى أيضًا فى مخاطبة المذكور عند إقلاع
ملك قشتالة عن جبل الفتح[١] ما نصه :

المقام الذى أنارت آيات سعده فى مَسْطُور الوجود ، وتبارت جيادُ مجده فى ميدان البأس والجود ، وضمنت إيالتُه لمن بهذه الأقطار الغَرِيبة تجديدَ السُّعود [وإعادة العهود][٢] ، واختلفت كتايب تأْييده لوقته المشهور فينا ويومه المَوْعود[٣] ، مقامَ محلِّ أخينا ، الذى نعظمه ونُجلُّه[٤] ، ونُوجبُ له الحق الذى هو أَهْلُه ، السلطان أَبى عنان ابن السلطان [أَبى الحسن أَبى سعيد ابن السلطان أَبى يوسف بن عبد الحق][٥] ، أَبقاه الله يتهلل للبشرى جنابُه ، ويفتح لوارِد الفتح الأَلاهى بابه ، وتعمل فى سبيل الله مكارمُه وعزايمُه ورِكابه ، ويتوفر بالجهاد فيه مَجْدُه وسَعْده ، وفخرُه[٦] وثوابُه ، [معظَّمٌ مقامه][٧] ، الأَمير عبد الله يوسف

---

(١) جبل الفتح أى جبل طارق ، وهو الاسم الذى أطلقه عليه الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على ، وذلك حينما زار الجبل فى أواخر سنة ٥٥٥ هـ (١١٦١ م) . والحادث الذى يشير إليه ابن الخطيب فى هذه الرسالة يلخص فى أن ملك قشالة ألفونسو الحادى عشر غزا سهول الجزيرة الخضراء فى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ، ثم ضرب الحصار حول جبل طارق ، طمعاً فى الاستيلاء عليه . وكانت تدافع عنه حامية مغربية قوية ، وكان الجيش الغرناطى فى نفس الوقت بقيادة السلطان يوسف أبى الحجاج يرابط فى مؤخرة النصارى ، وطال الحصار وخبت قوى النصارى . ثم فشا الوباء الوارد من المشرق فى الجيش النصرانى ، وهلك ملك قشالة فى مقدمة من هلك من جنده ، واضطر النصارى إلى رفع الحصار ، وذلك فى سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) ، وأنقذ بذلك الثغر المنيع .

(٢) هذه الزيادة من الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المشهود) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (نرفعه) .

(٥) ما بين الخاصرتين زائد فى الملكية . ومكانه فى الإسكوريال (الكذا) .

(٦) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٧) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسمعيل بن فرج بن نصر ، أيده الله ونصره وسنى له الفتح المبين ويسره . سلام كريم، مشفوع بالبشاير والتهانى ،محفوف الركايب ببلوغ الأمانى، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مطلع أنوار الصباح العجيبة متألقةُ الغُرْ ، ومنشى سحايب الألطَاف الكريمة الأوصاف هامية الدُّرر ، الكريم الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء وما أمره، إلا واحدة كلمح البصر ، حُجب مكامِن العافِين فوق الفِطَن ومدارك الفِطَر ، فما يعلم جنودُ ربك إلا هُو ، وما هى إلا ذكرى للبشر ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ذى المعجزات [الباهرة، والآيات][1] الكِبر ، الذى بجاهه الحَصين نمتنع عند استشعار الحذر ، وبنور هُداه نَسْتَضى عند التباس الوِرْد والصَّدْر ، فنحصل على الخير العاجل والمنتظر . والرضا عن آله وأصحابه الكرام الأثر ، الذين جَنوا من أفنان الصبر فى الله ثمار الظَّفَر ، وفازوا من إنجاز الوعد بأقصى الوَطَر ، وانتظموا فى سلك الملَّة الرفيعة انتظام الدُّرَر ، والدعاءُ لمقامكم الأعلى باتِّصال المسرَّات وتوالى البِشر ، والسعد الذى تجرى بأحكامه النافذة تصاريف القَدَر ، والصُّنع الذى تُجلى عجائبه فى أجمل الصور . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من حُظوة فضله وإحسانه أجزل الأقسام ، وعرّفكم عوارف نعمه الثرَّة وآلايه الجسام . من حَمْراء غَرناطة حرسها الله ، واليُسْر بفضل الله ، طاردُ الأزمات بعد ما قَعَدت ، وكاشف الشَّدايد بعد ما أرْعَدت وأبْرَقت ، ثم بما عندنا من الاعتداد بإيالتكم التى أنجزت لنا فى الله ما وَعَدت ، ومددنا إليها يد الانتصار على إعدايه فأسْعَدت ، آلاءُ الصُّنع

---

(١) هذه الزيادة من الملكية .

العجيب ، واليسر الذى أتاح ألطافه السميعُ المجيبُ ، واليُمن الذى رفع عماده التيسير الغريب ، وضَرَب رواقُه الفَرَج القريب . وإلى هذا أيدكم الله على أعدايه ، وأجزل لديكم مواهب آلايه ، وحكم للإسلام على يديكم بظهوره واعْتِلايه ، وعرَّفكم من أخبار الفتح المبين [الموقع][1] ، وأنْبايه ، كلَّ شاهد برحمته واعتِنايه . فإننا كتبناه إليكم ، فحقق لديكم البُشرى التى بمثلها تُمضى[2] الركايب . ويُخاض العُباب ، ونعرض عليكم ثمرة سَعْدكم الجديد الأثواب ، [المفتح الأبواب] علماً بما عندكم من فضل الأعْراق ، وكَرَم الأخلاق ، وأصالة الأحْسَاب ، والمعرفة بمواقع نعم الله التى لا تجرى لخلقه على حِساب ، والعناية بأُمور هذا القطر ، الذى يتعلق بأذيالُ مُلْككم السَّامى الجناب ، وقد تقرر لدى مقامكم الأسْمَى ما كانت الحال آلت إليه بهذا الطَّاغية الذى غره الإمهال والإملاء ، وأقدمه على الإسلام التمحيص المكتوب والابتِلاء ، فتملّأ تيهاً وعُجْباً ، وارتكب من قهر هذه الأُمة [المسلمة][3] مَرْكباً صعباً ، وسام كلمة الإسلام بأْسًا وحرباً ، بكتايب بَرِّه توسع الأرجاء [طعناً وضرباً][4] ، وكتايب بَحْره تأْخذ كل سفينة غَصْباً ، والمخاوف قد تجاوبت شرقاً وغرباً ، والقلوب ، قد بلغت الحناجر غمًّا وكَرْباً ، وجَبَلُ الفتح ، الذى هو باب هذه الدار وسبب الاسْتِعدا على الأعدا والانتصار ، ومسالك الدين الحنيفى إلى هذه الأقطار ، قد رماه [ببَوايقه][5] ، وصيَّر ساحته مَجَرّ عواليه ، ومَجْرى سَوابقه ، واتخذه دار مُقامه ، وجعله شُغْل يقظته ، وحِلْم منامه ، وييسَّر الله له ما يجاوره من المعاقل ، إملاءً من الله لأيامه ،

---

(١) هذه الكلمة الزائدة من الملكية .

(٢) واردة فى الملكية ومكانها بياض فى الإسكوريال .

(٣) هذه الزيادة من الملكية .

(٤) الزيادة من الملكية .

(٥) هذه الزيادة واردة بالملكية وساقطة فى الإسكوريال .

فاستقرَّ به القرار واطمأنت الدار ، وطال الحِصار ، وعجزت عن نَصْر الجبل الأَنصار ، ووجَمَت الظنون وساءت الأَفكار [وشجر][1] نظار القلوب الاضطرار إلى رحمة الله والافتقار ، فجبر الله الخواطر لمّا عظُم بها الانكسار ، ودار بإدالة الإسلام الفَلَك الدوَّار ، وتمخض عن عجايب صُنْع الله الليل والنهار ، وهبَّت نواسم الفرج عاطِرة الأَرَج عمن يخلق ما يشاءُ ويختار ، لا إله إلا هو الواحد القهار . وبينما نحن نخوض من الشفقة على ذلك المِعْقل ، العزيز على الإسلام لجة مترامية الغارب ، ونقْتَعد منه صعباً لا يَلين لراكب . ولولا التعلق بأَسبابكم فى ارتداد تلك الغَياهب ، وما خلص إلى هذه البلاد من مواهبكم الهامِية المواهب ، ومواعيدكم الصَّادِقة ، ومكارمكم الغَرايبِ ، وكتبكم التى تقوم عند العدوِّ مقام الكَتَايب ، وإمداداكم المتلاحق تلاحق الصَّبا والجَنَايب[2] ، لَمّا نَآ الكُفر بصَفْقَة الخايب ، إذ تجلى النُّور من خلال تلك الظُّلمة ، وهبت سحايب الرَّحمة والنِّعمة على هذه الأُمة ، ورمى الله العدو بجيش من جيوش قُدْرته ، أَغنى عن العديد والعُدَّة ، وأَرانا رأْى العِيان لطايف الفَرَج بعد الشدَّة ، وأَهلك الطاغية حَتْف أَنفه ، وقَطَع به عن أَمله قاطعُ حَتْفه ، وغالَتْه أَيدى المَنُون فى غَيْله ، وانتهى إلى حدود القواطع القوية ، والأَشعة المريخيَّة تصير دليله . فشَفَى الله منه داءً ، وأَخذه أَشد ما كان [اعتداداً][3] ، واعتداءً ، وحمى الجزيرة الغَرِيبة ، وقد صارت نهبة لحماته ، وأَشرقه بريقه ، وهى مُضْغَة فى لهواته ، سبحانه لا مبدِّل لكلماته .فانتَثَر سِلْكُه الذى نظَمه ، واختلَّ تدبيره الذى أَحْكَمه ، ونطقت بتَبَار محلته[4] ألسنة النار ، وعاجلت انتظامها أَيدى الانتِثار ، وركدت ريحه

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (العظام الجنايب) .

(٣) زائدة فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (محلاته) .

الزَّعْزع من بعد الإعْصار ، وأصبح من استظهر به من الأشياع والأنصار ، يخرِّبون بيوتهم بأيديهم ، وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أُولى الأبصار ، وولوا به يحثُّون التراب من فوق المفارق والتَّرايب [ويخلطون تَبْر السِّيال الصعب بذَوْب الذَّوايب][1] ، قد لبسوا المسُوح حزناً ، وأرسلوا الدموع مُزْناً ، وشقُّوا جيوبَهم أسفاً ، وأضرموا [قلوبهم][2] تلهُّفاً ، ورأوا أن حصن إسْتِبونه[3] لا يتأتَّى لهم به امتناع ، ولا يمكنهم لمن يرومه من المسلمين دفاع ، فأخلوه من سُكَّانه ، وعاد فيه الإسلام إلى مكانه ، وهو ما هو من طِيب البُقْعة ، وانفساح الرُّقعة ، ولو تمسك به العدو ، لكان ذلك الوطن بسُوءِ جواره مكدوداً ، والمسلك إلى الجبل ، عصمه الله ، مسْدُودًا ، فكان الصُّنع به طرازًا [على عاتق][4] تلك الحُلَّة الضَّافية ، ومزيداً لحسنى عارفة الله الوارِفة. فلما استجلينا غرّة هذا الفتح الهَنِى ، والمنح السَّنى ، قابلناه بشكر الله تعالى وحمده ، وضرعنا إليه فى صِلَة نِعَمه ، فلا نِعْمة إلا من عِنده ، وعلمنا أنه عنوانٌ على يُمن ملككم الأعلى ، وعلامةٌ على سَعْده ، وأثرُ نيَّته للإسلام وحسن قصده ، وفخر ذَخَره الله لأيامكم لا نهاية لحدِّه ، فإنكم صرفتم وجه عنايتكم إلى هذا القطر ، على نَاى المحل وبعده ، ولم تُشْغلكم الشَّواغل عن [إصلاح شانه][5] وإجزال رِفده . وأما البلد المحصور ، فظهر فيه من عَزْمكم الأَمْضَى ، ما صدّق الآمال والظُّنون ، وشَرَح الصدور وأقرَّ العُيون ، من حلَّة الإمداد على الخطر ، وتعدد السَّابلة البحرية على هذا الوطن ، وتعذُّر الوَطَر ، واختلاف الشَّوانى التى تسرى إليه سُرى الطَّيف ، وتُخْلص سهامها إلى غرضه ، بعد أنَّى وكيْفَ ،

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هذه الزيادة من الملكية .

(٣) إستبونه أو إشتبونة وبالإسبانية Estepona ، هى قاعدة حصينة تقع على شاطىء البحر المتوسط على مقربة من شمال شرق جبل طارق .

(٤) الزيادة من الملكية .

(٥) الزيادة من الملكية .

حتى لم تعدم فيه مِرْفقة يسوءُ فقدانها ، ولا عدة يهم شأْنها . فجزاؤكم عند الله موفور القسم ، وسَعْيكُم لديه مشكور الذمم ، كافأَ الله أعمالكم العالية الهِمَم ، وخلالكم الزَّاكية الشِّيم ، فقد سَعد الإسلام ، والحمد لله بملككم الميمون الطائِر ، وسَرَت أَنباءُ عنايتكم بهذه البلاد كالمثل السايِر ، وما هو إلا أَن يستتب اضطراب الكفار واختلافهم ، وتنازع الأَمْرِ [بين][1] أَصنافهم ، فنَغْتَنم إن شاء الله فيهم الغرَّة ، التى ترتقبها العزايم الشريفة ، والهمم المنِيفة ، وتجمع شِيمُكم العليا ، بين فخر الآخرة والدنيا ، وتحصل على الكمال الذى لا شرط فيه ولا ثُنَيَّا . فاهنئوا بهذه النعمة التى حباها الله إليكم ، والتُّحفة التى بعثها السَّعد إليكم[2] ، وإنما هى بتوفيق الله ثمرة إمدادكم ، وعُقبا جهادكم ، أَوزَعَنا الله وإياكم شُكْرَها ، وألهمنا ذكرها ، عرفناكم بما ورد من البشاير علينا ، عملا بما يجب لمقامكم من الإعلام بالمتزيدات ، والأَحوال الواردات ، ووجَّهنا إليكم بكتابنا هذا من ينوب عنا فى هذا الهنا ، ويقرر ما عندنا من الوَلاء ، وما يزيد لدينا من الأَنباء ، خالصة إنعامنا ، المتميز بالوسيلة المرعية إلى مقامنا [الحظىِّ لدينا المُقَرب إلينا][3] القايد أَبا الحسن عبادا ، وصل الله عزته ويمَّن وجهته . ومجدكم ينعم بالإصغَاءِ إليه ، فيما أَحلنا فيه من ذلك عليه . والله يَصِل سَعْدكم ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . [وكتب فى اليوم الثالث من شهر الله المحرم عام أَحد وخمسين وسبعمائة][4] .

---

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (إلى هامكم) .

(٣) هذه الزيادة من الملكية .

(٤) هكذا ورد تاريخ الرسالة فى الإسكوريال ، ومكانها فى الملكية (وكتب فى كذا) .

وصدر عنى فى أول الحركة الجهادية لهذا العهد وقد تحرك السلطان أعزه الله إلى حصن أَشِر القريب الجوار لأَرض النصارى ، بأَهل حضرته وما يجاورها من الأَماكن الغربية ، وكان إِمْلاءُ هذا الكتاب قبل إعمال الحركة بيوم ، فلم تُبدَّل منه لفظة واحدة ، إلهام من الله عز وجل وافق ما وقع فى ذلك الفتح القريب ، وقعدت نايباً عن السلطان بدار ملكه على عادتى فكتبه عنه كاتب إنشايه ، معرِّفاً بذلك صاحب المغرب [١]

المقام الذى يُحَيَّى بعزِّ الدين الحنيف وجهه ، ويُطرب[٢] بخبر الفتح على [أَهل][٣] لا إِلَه إلا الله سمعه ، ويُشرح بنصر الفِئَة القليلة على الفِئَة الكثيرة صدرُه ، مقام محل أَخينا ، الذى ينجدنا بفضل الله عزمه ، ويمدنا سعده ، ويؤخرنا وعده ، ويَحْسُنُ بإِعانتنا[٤] بالقول والعمل قصده ، السلطان الكذا ، أَبقاه الله عميماً فضله ، رفيعاً مجدُه ، ماضياً عزمه . [من معظِّم قدره وملتزم برِّه][٥] المطْنِبُ فى حمده وشكره ، [الأَمير عبد الله محمد ابن مولانا أَمير المسلمين أَبى الحجاج ابن مولانا أَمير المسلمين أَبى الوليد بن نصر][٦] . سلام كريم عليكم[٧] ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هذا التعريف المفصل وارد فى الإسكوريال ، وورد مكانه فى الملكية فقط هذا العنوان (ومن ذلك ماصدر عنى عند استفتاح حصن أشر أمنه الله) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويطرف) .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فى أعانتنا) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (معظماً قدره وملتزماً بره) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٧) هكذا وردت صيغة السلام فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية كالآتى (سلام كريم برعيم يخص مقامكم) .

أما بعد حمد الله القوى العزيز ، المُبْدى المُعِيد ، الولى النَّصير ، كافى المتوكلين ، وولى المؤمنين ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، قُدْوة المجاهدين ، وإمام الصابرين . والرضا عن آله وأصحابه ، المهتدين بهديه ، السَّالكين فى جهاد عدو الله على نَهَجه ، حتى استقام عمود المسلمين من بعده ، وبلغ التخوم القاصية نور دعوته ، فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم أجر من ساهَم وأعان ، وأنجد وقوَّى ، وشمَّر فى جهاد الكافرين عن الساعد الأقوى ، وعامل من إليه الرُّجعى ، وأخذ بالحظ الرغيب من السرور ، بما يسَّر الله وسَنَىَّ . من منزلنا السعيد على المسلمين ، بظاهر حصن أَشِرْ ، حماه الله ، ولا زايد إلا الفتح والمنح ، والظهور الذى احتفل به الصُّقع ، وجمَّ اللطف . والحمد لله الذى بيده الأمر ، مُجْزِلُ المِنن ، ومُخَوِّل الآلاءِ والنعم ، اللهم المنعم[1] الولى النصير ، سبحانه لا إلَه إلا هو . وقد كنا عرفناكم ما أنعم الله به على المسلمين ببركتكم[2] من فتح بُرْغة ، واتصال سببهم من إخوانهم ، من بعد الانبتات والانقطاع وتَبْر[3] جُرثومة الإسلام[4] من تلك الأحواز المسلمة والأصقاع ، فأصبح الشمل جميعاً ، والمنثور منظوماً ، والسبيل قصداً ، والفرقة جمعاً . وما استضيف إلى ذلك من فَتْح ، كَمَل النعمة ، وتم العارفة . ثم أننا رأينا أن الإسلام لا يقرُّ به قرار ، مع كون حصن أَشِر ركاباً لعُدوِّه ، وسُلَّماً لكيده ، ودَرْباً إلى غارات الكافرين ، وفُرْضة إلى مسارب أعداءِ الدين ، إذ لا تضبط ما بينه وبين الحدود الإسلامية الرتب ، ولا تغنى المَسْلحة ، ولا يجدى الحَذَر ، فإنه الجارح المحلِّق ، والبازى المطل ، واليد المحكمة ، والداءُ الدفين ، مقضُّ المضاجع ، وقَالى مكامن المسارح ، ومُصْمى أهداف السواحل . فأَهمَّنا شَأْنُه ، وحمانا الرقاد بثُّه ، ونغَّص علينا العيش شبحه .

---

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٤) هكذا فى الملكية . وفى الإسكوريال (المسلمين) والأولى أرجح .

واستخرنا الله فى قصده ، وسألناه الإعانة على فتحه ، وتيسير صعبه ، فخلق الله سبحانه عندنا النُّهود إليه ضَرْبة لازِب ، من غير أن نُريح الجيش ، ولا نعيد الرأى ، وأشَعْنا للحين نَفِير الجهاد ، ولم نستدع لمأدبة هذا الفتح إلَّا الأولياءُ من أهل وادى آش وسَنَدِها ، وإقليم الحضرة وما اتصل[1] بحَوْزِها ، وخيَّمنا من الغد بظاهرها ، فى عفوٍ من الإحتشاد ، ونقاوة من الرجل ، وخَفٍّ إلا مِن آلات الحرب ، حرصاً على كتمان القصد ، واستصحبنا أعجالًا تحمل جَوَالِقات[2] السِّهام وآلات الهدم ، وماعُون النَّقْب من الدبَّابات[3] والستاير الخشبية ، والنفوط والتَّرسة والدَّرق ، إلى الحَصاصِيد والسلالم ، وألقت الحضرة بأَفْلاذِها . فلم يتخلف عنها مُحْتَلم فمن فوقه . وبرزوا فى رَحْل الرُّبا ، زادهم الله نماءً وكثرة . وصبحنا ليوم الثلاثاء فجر أُولى مَظَنَّات ليلة القدر من هذا الشهر المبارك ، فصَكَّت أسماع من به طبولُ الجهاد التى قدم بها العهد ، وانتشرت حَوالَيْه رايات الصبر ، التى راق منها الجيش ، ورفَّ عليها العز ، ودارت بها المُقاتلة المسلمة ، التى لا يخامِرُها الرُّعب ، ولا يداخلها الذُّعر[4] ، وهو مصام منيع ، ومعقل شهير وبلًا مُبين . قد صَرَف إليه الكفر لمّا ملكه عَزْمه ، وأغرى به همَّه ، فسدَّ ثلمه[5] وأُصْلح خلله ، ونظر إلى عَوْراته فأَوْسَعها تحصينا ، حتى قطع الأَطماع ، وتَبَّر الآمال . وكان به عدد جم من رماة الشعرا ، ومساعير الحرب ، وأُولى الشهرة من السلاح والعُدَّة ، كلٌّ مُحْسب فى الحاجة ، ومُغْن فى الشدّة ، إلا أن الله لا تُغالب قدرته ، [ولا تُطاول

---

(١) هكذا بالإسكوريال ، وفى الملكية (أدخل) .
(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٣) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٤) واردة بالإسكوريال ، ومكانها بياض بالملكية .
(٥) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

عزته][1] ، ولا يرد عن القوم الكافرين بأْسه ؛ فتعلق به المسلمون يخوضُون غِمار الشهادة ، ويتزاحمون على مراتب المنيّة ، ويسمحون فى مبايعة الله بالنفوس الزكيَّة . فاقتُحمت المايدة المتصلة به ؛ و لجأً إلى الحصن من كان به من الحامية ؛ فخلفهم المسلمون ، وهى أُولى علامات الظُّهـــور ، ومبدإ الفتح المسطور ، وقاتلوا ذلك العُقاب المرُوم من جهاته ، وأَوسعوا أَسواره المنيعة نَقْباً ، وحفايره العميقة ردماً ، وصبروا صبر الأَبلج فكراً ، ولا يعطى مقادة التصور وهماً ، كأَنما [2] هو آثار من آثار عناية الله ، قَدِم بها للدين عَهْداً ، وأَحمد الله بها للإسلام صُنْعاً ، ورأَى الأَعداءُ من قدرة الله ، ما راع أَفئدتهم ، وأَذْهَل عقولهم ، وفشت فيهم الجراح ، وعجزت منهم الحيل ، فأَشاروا[3] إلى طلب الأَمان ، بعد أَن [بالغوا فى الأَعذار][4] ، وبلغوا أَبعد مبالغ[5] الصبر ، فقوبلوا بانبعاث القصد ، وتتميم الرغبة ، وأُنزلوا عن الأَبلق الفرد ، لا بل عن مركز النَّجم ، وعلت فوق أَبراجه رايات الإسلام ، وارتفعت بكلمة التوحيد . وأَخذ بيوت عباد الله التطهير وتناول بمثاله التثمير ، وأُنزل ناقوسه إنزال التَّهوين ، و حلت به على المسلمين عوارفُ الفتح . وللحين شرعنا فى سد ما ثُلم من أَسواره ، وهُتم[6] من شرفاته ، وبقر من بطون مسافاته ، فعَمَلنا بيدنا ، [فى سبيل الله][7] ، اقتداءً بِنَبِيِّنا صلوات الله وسلامه عليه ، نقلا للآلة ، وعملا بالمواعين . نَسَلْهُ جل وعلا ، أَن يجعل ذلك خالصًا لوجهه ، وذريعة إلى قربه ، وأَن يجعل غُباره لنا أَماناً من

---

(١) هذه العبارة واردة بالملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (فإننا) وهو تحريف .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (فأثاروا) .
(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (مباعيد) .
(٦) هكذا فى المخطوطين .
(٧) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

دخان ناره ، وأن يسهمكم فى أجره . فلو أبْصَرتم جد هذه الأُمة الغريبة ، لغلبتكم دموع الرِّقة ، واستفزَّتكم بواعث الحميّة . وفازت يد الإسلام ، من هذا المِعْقَل العزيز عليه ، بقرار القلوب ، وقرة العيون ، وشُفى منه داء عضال ، وكفى بلاءً لا يطاق. والعدو فى أثناء هذا ، حسبما نتعرفه من ألسن أسراه ، متمهد[١] بإشبيلية يُعزز[٢] قواعد ما صار إليه ، ويمهِّد جوانب ما انثال من الدُّنيا عليه ، وقد بث تلك الأُمة المتلاحقة من الشرق بين بلاده ، [وحدَّ لهم][٣] ارتقاب أمره ، والتماح إشارته . ولا شك فى أن هذ القروح ، يصل وخْزُها إلى قلبه ، ويثير نكاياتها من عزمه ، وبالله تُدرأُ فى نحره ، وبحزب الله نستعين على حِزْبه ، وبربِّنا الله نستظهر على ربه المنصوب ، وإلاهه المنحوت . وقد سَبَقناه بانتهاز الفرصة ، وعاجلناه فى سبيل الله بالغُرَّة[٤] ، وبوءنا لله بالقدرة ، ومع اليوم غد[٥] ، ومجمل الصَّنايع لطايفُه خَفِيَّة ، وجُنُوده كثيرة ، وما قلَّ من كان الله معه ، ولا ذُلَّ من كان الله ناصره ، ألا له الخَلْق والأَمْرُ ، تبارك الله رب العالمين . طيرنا لكم هذا الخبر ، لِتُسرُّوا به أنتم ومن لنظركم من المسلمين ، ونحن نتراءى فيما يكون عليه العمل من قَصد غيره ، ومصادمة سواه ، ونشرع فى اختيار من يعْمُره من الفرسان الحُماة ، وحُذَّاق الرماة ، ونستكثر به من الأقوات ، والله المستعان . وأنتم عمدتنا فى الله الذى نبشره عند اجتلاء السُّرور ، ونستصرخه ، عند اشتداد الأُمور ، وإن يسر الله فى إنجاز ما به وعدتم ، من إشاعة الحركة إلى سَبْتَة ، تعيين[٦] حصة تبتغون بها وجه الله ، وتُنْجِدُون بها الإسلام ، فأَثَرُها كبير ، وسماعها شهير ، وهى الأخبار تأخذها الزياد

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (مجتمع) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (يقرر) وهو تحريف .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (وحداهم) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (بالعزة) .
(٥) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكويال (الغد) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (لابل) .

إذا تنوقلت ، ويبعدها الإرْجاف إذا سمعت ، والكلمة واحدة، وكل معروف صَدَقة ، وظنون الإسلام فيكم جميلة . والله يحملكم على ما يرشدكم ويسعدكم. [ويوالى عزتكم ، ويحرس مجادتكم][1] ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2] .

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٢) إن حصن أشر الذى يجرى وصف غزوه وافتتاحه فى هذه الرسالة يقع على مقربة من أطريرة شرقى إشبيلية وقد تولى قيادة فتحه السلطان محمد الغنى بالله سلطان ابن الخطيب بنفسه ، واستولى عليه المسلمون فى رمضان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقاموا بتحصينه حسبما ذكر فى الرسالة .

ولما وصل السلطان أَيَّدَه الله من غَزَاة أُطريره بعد استفتاح حصن أَشِر المتقدم الذكر، صدر عنى فى التعريف بذلك لسلطان المغرب، وهو من الكلام المرسل، الذى قلما أُلوى على سجع، ولا وقف على قافية لشفوف هذا الغرض فى هذه الأَقطار[١]

المقام الذى تيمنت البلاد بولايته، وتعرفت ببركته[٢] بفَضْل الله وعِنايته وادَّخرت الاعتداد برأْيه فى سبيل الله ثم برايته، وتوعَّدت الكفر بقيام قِيامته. فطلوع شمسه[٣] من المغرب أَكبر آيتِه. مقام محل أَخينا الذى ثُغُور نصره بواسم، وأَيامه للإِسلام مواسِم، وتتوفر لها من صنع الله المقاسم، السلطان الكذا أَبو فارس ابن السلطان الكذا أَبى الحسن[٤]، معظَّمٌ سلطانه، ومُجَلٌّ شأْنه، العارف بأَصالة مجده، ورفعة مكانه، فلان.

أَما بعد حمد الله، المُلهم المُنعم، العلى الكبير، الولى النصير، محرك العزايم بباعث الإِسلام، ومكيف الصَّنايع الخفية[٥] على الأَذهان، الموفق للخير، المعين عليه، الولى الحميد، الذى لا ملجأَ منه إِلا إِليه، ناصر المؤمنين ومُظهر دينه على رغم الجاحدين وكُرْه[٦] الكافرين، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد، عبده ورسوله، مجاهد الأَنبياء، [المنصور فى الأَرض][٧] بملايكة السماء، نبىُّ المَلاحِم، ومسوِّغ الغنايم، والرضا عن آله وأَصحابه أُسود الروع، ونجوم الهُدَى وأَعلام الصَّبر، وسيوف الحق، والدعاءُ لمقامكم بتوالى العز، واتِّساق الصُّنع،

---

(١) هذه الرسالة جاءت فى الملكية متأخرة عن مكانها فى الإسكوريال، وجاءت دون عنوان.
(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال.
(٣) هكذا فى الإسكوريال، وفى الملكية (الشمس).
(٤) السلطان المقصود هنا هو السلطان عبد العزيز المرينى الذى جلس على العرش سنة ٧٦٨ هـ.
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال. وفى الملكية (الخفيات).
(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال. وفى الملكية (وكفر).
(٧) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية.

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سنىَّ الحظ ، وهنىَّ الفتح ، بعد الاعتراف لدولتكم بيُمن الطير ، ونَصَبة السعد ، ونفاق سوق الصُّنع بهذا القطر . والله متمم الفضل ، ومجدد عادة اللطف ، لا إلّه إلا هو الفتاح العليم ، وإلى هذا فإننا كنا قد عرَّفناكم بما أُضْفى عليه الرأى ، من مظاهرة ملك قشتالة على أخيه ، مجليه على مدرته ، والمستحوذ على مملكته ، تعريف يُوصل به دوام الفتنة ، واشتعال نار الإحْنَة ، وتميز المسلمين بخطة العافية ، وتبريزاً[1] فى ميدان حسن المكافأة ، وإقامة لحُسْن المجازاة ، وتمهيداً لرعى قديم الجوار ، وبراءة من التقصير فى استصراخ كريم قوم ، أو معرض حسن سعى ، فخاطبنا بلاد الفُرُنْتِيرة[2] ، نضمن لأهلها اتصال السلم ، عند صدق الفتنة ، واستدراك القلّة ، فأَهْطَع ، منهم السواد الأعظم ، وتغاضى أُمة من البلاد تقفها زعماء ، وضبطها قواميس أسلفوا ما أساء بالدليل ظنونهم ، وقطع فى عدوه آمالهم . وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ، وصدّق ما يعتاده من توهم . فأثبتوا منها فى مستنقع الموت أرجلهم ، ليوثقوا منه . . . . . [3] . . . . . الحيلة ، وكنا قبل هذه البنوَّة بسلطان ملك قشتالة المذكور ، قد عملنا مَضَضًا طوينا الجوانح على مثله ، وأغرينا الجزع ببثه فى الحادثة على ما يناهز الأَلْف من أسرى المسلمين ، المقرّنين فى الأَصْفَاد بدار الصَّنْعة من إشبيلية ، إلا ذِمار الحماة ، فلول الوقايع ، وأسارُ الحتُوف ، وحيات الأَودية الضنينة بهم يد الكفر ، من لدن سنين عدة ، إذ كان المُجَعْجَع به بين طراده ، والجهر بخُلْعانه ، وانْتِهاب قَصْره ، قد أطلقهم نكاية لقومه ، وعاقبة سوءٍ يرتادها للبلد الخاين بعهده ، فانطلقوا أظعان المَسْغَبة

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (وتبويرا) ، وهو تحريف .

(٢) بلاد الفرنتيرة La Frontera هى المنطقة التى يحتويها غربى المثلث الإسبانى جنوبى مدينة شذونة ، وقد كانت يومئذ ملاصقة لجنوبى مملكة غرناطة .

(٣) هنا بياض فى الإسكوريال ، ولكن ليس فى مكانه فى الملكية شىء والكلام متصل كما هو .

وأضر بالأَداهم ، وقد لفقوا عُلالة من مُسْتَهجن السِّلاح وذى الآلة ، يهبون[1] إلى تحصيل النجاة ، ولاتَ حين مناص ، وقد تأَذن الله سبحانه ، بكر ظهور الشهادة على ما رسب من أَوزارهم ،وختم به صحايف بُوساهم وشَظَفهم ، واعترضهم أَهل أُطريرة ، من بنيَّات هذه الأُمم الممتنعة إشبيلية ، وعلى نصف بريد من بيضتها ، وأَهلها أَشهر أَكْلُب الكفر عن ناب شَرِه ، وأَسْطَاهم بنفس مومنة ، وأَخْفَرَهم لذمَّة ، وأَسوأَهم معارضة للتمس تجر أَو نُجعة أَو مُضَايقة بسفير رسالة ، يرومهم التحرج من انصرافهم بجلال تلك الأَسلحة ، وجعلوا . . . .[2] فى إسلامها إليهم شرطًا ، وبذلوا لهم على ذلك عهداً ، فلما صفر منه أَيديهم ، تناولوهم بالإبادة ، وهم لحمٌ على وَضَم ، لم يرقُّوا لطول بَلْواهم ، ولا أَنْفَذُوا فيهم عهد مولاهم ، وتركوهم صرعى بقُرا البيوت الكافرة ، والفُرْضاة الغادرة ، وأَثْكَلُوا منهم الثغور بجماتها ، ومفرجى أَزماتها ، وأَسْبُوا المسلمين بوعى موقف الصبر ، وشهدوا مأْزق الذُّل ، يَتْلُونهم للجِباه والأَذْقَان ، وينْحَرُونهم نحر إبل القُرْبان ، كتب الله لهم ، أَوفر أَجور المُحْسِنين ، ونَفَعهم بما محصَهم به يوم الدين . فلما قامت هذه السوق ، ولمعت فى سماء الفتنة القشتالية البُرْوق ، ثار لدينا ولم يكن خافياً كامن الحميَّة لله على بعد المَرْمى ، وخطر المَسْرى ، كتبه الله لنا من مسعى ، يوم تُدان النفوس وتُجزى ، فتوفرنا على قَصْدهم مْصْمت الهام ، ونقل الأَوهام ، توفراً لم تطل به الأَيام ، ولا فسحنا لتدبير الآماد ، وكأَنَّ الله عز وجل ، أَطلع قلوب المسلمين من ذلك على خِباه ، وكشف لهم عما نَوَيناه ، فخفُّوا كثَّر الله جمعهم ، خفوفاً لم يذمر بموعد ، ونفروا عن غير مُزعج ، مُهيب فى رجل الربا كثرة ، وأُسود الشَّرى نجدة ، ويعاسِيبُ الكور سلاطةً وحميَّةً . وخرجنا نُجدُّ السير ، والنُّجح قايد ، والتوفيق مْواكب ، والسعد للفرض كافل ، والقصد

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (يهربون) .

(٢) هنا بياض فى الإسكوريال . ولكن لا مكان له بالملكية .

المبرور ضامن . واحتللنا رُنْدة مرسها الله ، واثقين بقوة الله وحوله ، متمسكين بسببه القوى فى الأمر كله ، ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُه ، ومن فوض الأمر إليه نجح قَصْدُه ، وعلا كعبه . ثم انتقلنا بالمحلات المجتمعات ضفة وادى لَكُّه ، محلة الفتح الأول ، ومحول النصر المتاح المخوَّل ، ومنها صبحنا أُولئك الكافرين فشاحت وجوههم ، وأحاط بهم سوءُ كسبهم ، وحاق بهم وبال أمرهم ، فقالوا على الربض صلينا . . . . . ولما كاثرهم أولياءُ الله ، يعلو بالكلمتين نداؤهم ، ويكاثروا أزهار البطحاء المختلفة الألوان راياتهم ، فحاش سرعان من انتثر بذلك السَّهل العريض من الأُمم الكافرة ، والنِّسم الغادرة إلى مسور الحصن ، وقد كانوا فى هذه المدد القريبة أو سعوه تحصينا ، وناصحوا عوراته رمًّا وتسديداً ، وتخلفوا المنازل مالية بالنعم والأقوات ، والأمتعة والآلات ، فخافهم المسلمون عليها انتهاباً لكثيرها واستلابا لخطيرها ، حتى لم تبق يد إلا مُلثت ، ولا نعمة إلا سُبيت ، وتحصنوا بالقصبة ، والسيوف تتخطفهم ، والرماح تنوشهم ، والسهام تبعجهم[1] ، بعد موافقات صعبة ، وحملات مرة ، ومدافعات تجاه بابها ، استوعب لفيفهم معها التحصن ، واستكملوا التصنُّع ، وهم أُلوف ، حذر الموت يحضرون ، وإلى المحيا يتسابقون ويهرعون ، وصدقوهم المسلمين الضمة ، فأجحروهم صابرين ، وتسنموا العرصة ظاهرين بعد إثخان القتل وإعمال السيف ، وبعد أن سَدْت المسالك[2] جثث القتلى ، وملأت الرحاب أشلاءُ الصرعى ، ثم عاطوا من تحصن بالقصبة ، كؤوس القتال ، وأرسلوا عليهم حَواصب النِّبال ، وتعلقوا بأسوارهم ، يقرعون الثنايا ، ويطلعون عليهم وجوه المنايا ، واستجدت آلات النقب ، وظهرت إلى ذلك المعتصم المحبور من ذمة الله ، حجارة الرجز ، وأسفوا الله فانتقم منهم ، وعتوا على عباد الله المطهَّرين ، فجعل لأوليائه وأوليائهم نصيراً

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (تنفحهم) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الهياكل) .

لهم ، فصابروا الشدة عامة ، يوم الهجوم عليهم ، وهو اليوم الذى سفكوا فيه دماء أسرى المسلمين ، وعتوا على رب العالمين ، ليلة مستهل الشهر الكريم ، مُتَقَبَّل الأعمال ، ومُتَنَزَّل القرآن . وحثهم الليل فأُضرمت النيران فيما استبحر من ديارهم المتحرقة الأوضاع ، الغاصة بالآلات ، فغشيتهم السماءُ بدخان[١] مبير ، وعذاب أليم ، وضغطهم صهاب من عذاب شديد . ولمنتصف اليوم بعده ، ألقوا بالإذعان إلى حكم المسلمين ، فأُنزلوا عامة الليل ، بعد أن علت بنور الإسلام فى أبراجهم الحصينة ، وقصبهم المبتناة لهذا العهد المشيدة ، ومن الغد عمّت رِدْفًا سباياهم الظهور والأكفال ، وتجاذبت مقاتلتهم وجلداؤهم الجزل والحبال ، وصلصلت إلى امتطاء نبهائهم الأصفاد والأكبال ، وقد أضرمت النار فى بُيوتهم ، التى تأذن الله بخرابها ، فعادت قاعاً لا يُعْمر ، ويبابا لا يُسْكن بعدها ولا يتدبّر ، قد جلّله من رفع مستنجز الإثارة ، متوا كف العمارة ، مناخ السيارة ، سخط من أهل الغربى ، لما بطرت معيشتها ، وأدال الأُمم لما ركبت بغيها . سبحانه لا مُبدِّل لكلماته ، ولا دافع لنقماته ، فأصمت [ألسن][٢] نواقيسه المصطحبة ، ومزقت أشلاء تماثيله المتبرِّجة ، وسفكت دمائُهم ، فوق دِما من قتلوه ، وجُزوا جزاءَ الضَّعف بما فعلوه . فيابردها على كبد الإسلام ، من نيران مشبوبة ، وأوثان مطروحة ، وأغلاق مفضوضة ، وفروش وثرت من زغب الطيور حشاياها ، ومهدت المترفين ولا ياها ، نفضت فخالطت الهباءَ ، وعمت الهواءَ . وكذلك أخذ ربك إذا أخَذَ القرى . وقفل الجيش يجلب نصراً لا كفاءَ له ، وصُنْعاً لا عهد بمثله ، وقد رفعت ألويته الخافقة ألوية الفخر ، وفازت سيوفه الماضية بإدراك . . . ور . . . . . [٣] وإن كانت ترايب الإسلام أقدم من هذا

---

(١) وردت فى الإسكوريال (يدخل) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذا البياض موجود فى المخطوطين .

الحق ، وقد كللت[١] محل الصيحة ، ومتنزَّل النقمة ، ومصرع الفِئة الكافرة الباغية ، أفواج من عصايب الطير ، تتداعى الجفايا ، وتتنادب للوليمة العظمى ، ولحقت عُمُد الدخان لأَعْنان السماء ، ونادت ألسنة الحميَّة فى تلك العرصات بالثارات الأَسرى ، واستباحت[٢] سيوف الله من النَّسم آلافاً عدّة ، ومن الحماة أُولى بـأْس وشدة ، أعيا حديثها النقل ، فائتمنت عليه النار ، وأعجزت طعمتها الظهر[٣] ، يوكل بها الانتساف والتَّبار ، وألصقت جدرانها بوجه الثرى ، وأهلك ما خرب من زرعها ونـأَى . والخير لا ينوب عنه كل المناب عن المرأى ، أوزع الله شكرَ النَّعمى ، وكتب للإسلام حسن العُقْبى . وظهر[٤] المسلمون من البقر على آلاف ملأَت السروج ، وغصت ببراذنها ومراقدها الحَزُون والسهول . وأما سائمة الغنم ، فعاثوا منها فيما لا يكتب ولا يحصى ولا يعد ، وباءَ المسلمون بشفاءِ الصدور وسرور القلوب ، وقرة العيون ، وقد . . . . . [٥] للأَخذ بترابهم من لا ينام عن الدمنة ، ولا يصانع فى رعى الذمّة . وجاست خيل الله من أَحواز حِمص[٦] ، أَعادها الله بإمدادكم ، ومؤمل جهادكم ، الجو الذى لم يطرق لهذا الوقت حماه ، ولا عرف اسمه فرضاً عن مسمّاه ، سوق عصية السَّوايم ، وتكتسح المسارح ، فلا تترك لَسّع هَجْمة ، ولا نافخ ضَرْمة ، وتذعر غاراته المُشْعَلة الأَسراب ، وتتخلل عمرته وسواده الشِّعاب ، ومن بها من الفرسان والأَعيان ، أُولى القُدور الرَّاسبات ، والزغب الكاسيات ، والأَتباع والأَشياع ، والرَّطانة والجِعْجاع ، قد لاذوا على وفور عددهم بالأَسوار ، وأَيقنوا بالبوار ، وطرقتهم الغارة ،

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (طالت) والأولى أرجح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واستحلت) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الدهر) .

(٤) هكذا فى المخطوطين .

(٥) هذا البياض موجود فى المخطوطين .

(٦) حمص أى مدينة إشبيلية ، وقد كانت يومئذ عاصمة قشتالة .

اتسعوا فى عقر الدار . ولولا أن الفَضْل لم يأْنُ إدراك غلاَّته ، ولم يستدرك خصايص مَطْعُوماته ومَقْضُوماته ، لاتخذها الناس مجرى السوابق ، ومجر العوالق[١] على التوالى ، ولو صلوا فى انتساف النِّعم وموالات النِّقَم ، أيامهم بالليالى . والعزم على التعقيب بفضل الله متوفر ، والعمل على العَوْد إن شاء الله متجدد ، وعند المسلمين حاطهم الله وأنجدهم ، من المبادَرَة إلى الدعوة[٢] ، والمنوب إلى الهَيْعة ، والاغتباط فى سبيل الله والرَّوحة ، ما يرجى أن يكون سبباً لظهور ما تضمنت محجوبُه أَلْواح الغيب وأَسْرَار المشيئة ، والقوَّة بالله ، والعزَّة لله ، وما النصر إلا من عند الله ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله . ومن جعل مقامكم الكريم ردْه فى سبيل الله ، وتوعد الكفر بحميَّتكم فى سبيل الله ، ومن أجله فقِدْحه إن شاء الله المعلّى ، وحظُّه بالخير أجدَرْ وأولى . حفظ الله منكم على المسلمين عنصر كلمتهم ، ومُقدر قوتهم ، ومهبِّ ريح نصرهم ، ومَفْزِع شدَّتهم ، وطِيَّة ركاب منشرايهم . ولما عدنا إلى حضرتنا بادرنا تعريفكم بهذا الصُّنع ، من قبل أن تُنفَّض غبار الغزو من العمايم واللمم ، ونريح الجياد من اللُّبود واللُّجم ، وكأَننا ننظر من حسن موقعهم من نواديكم الغاصة بالأَحراز ، الهافية لإدراك الثار ، وإجمال الآثار ، فإن لمحرّكات الحميَّة ، من بين القبايل المزية ، وإدراك التراث ترتاح إليْه الهمم الأَبيَّة ، لا سيما الهمم المرينيَّة . وذمام الإسلام ، والحمد لله ، غير واهن السبب ، ولا دارس المذهب . وأكد حبُورَنا . . . . . .[٣] لسرورنا ، ما شهد به العيان من يُمن دولتكم ، وظهور سعادتكم ، فلم يَعْدم معها والحمد لله حَضْب ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (العوالى) . والتصويب عن الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الدعوات) .

(٣) هنا بياض فى المخطوطين .

وظهور وخيرٌ مشهور ، والله عز وجل يصل لنا ولكم ما عوَّد ، ويُمْتِع بما حُوِّل ، ويُعين على ما قلَّد . وأنتم وُجهة تعريفنا بالمتزيِّدات[١] ، والمنن الوافدات ، فمتى استجلينا منه شيئاً ، جلوناه عليكم ، أو استطلعنا وافداً ، أهديناه إليكم . والله يصل بقاكم ، ويعتمد بالصنايع الباهرة علاءكم ، والسلام الكريم عليكم ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، وكتب فى كذا من رمضان المعظم من عام ثمانية وستين وسبعماية[٢] .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (بالزيدات) .

(٢) هذا التاريخ ساقط فى الملكية .

وكانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيّان إحدى دار الملك وكرسى دار الإمارة ولدّات الشهرة ، وافتتحها المسلمون عنوة فى أواخر شهر الله المحرم من عام تسعة وستين وسبعماية فصدرت مخاطبة سلطان المغرب[١] من إملائى ما نصه :

المقام الذى تُبادر أبوابه بالبشرى ، مُرْدَفة أُولاها بالأُخْرَى ، ونَسْتَظهر بعزيمته الكبرى ، متى أَعْضَل الداء واسْتَشْرى ، فهو أَولى بالحالتين والأُخْرَى ، مقام محلٍّ أخينا ، الذى أقامت دولته أسواق البشاير والتَّهانى ، وتكفلَت سعادته للإيمان بتَسَنِّى الأَمان ، وتأْتى الأَمانى ، السلطان الكذا أبو فارس ابن السلطان الكذا أبى الحسن ، ابن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان الكذا أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أبقاه الله بالصَّنايع الجميلة [مسروراً ، وبركايب البشاير العجايب][٢] مَزُوراً ، وفى الفضايل الجليلة[٣] عَلَماً منشوراً ، ولا أعدمه فَتْحاً وظهوراً ، معظَّمٌ قدره ، ومُلْتَزم بره [الداعى إلى الله باتصال سعده ، واتساق نصره][٤] ، الأَمير عبد الله محمد ابن أَمير المسلمين أبى الحجاج ابن أَمير المسلمين أبى الوليد بن نصر ، أَيَّد الله أَمره ، وأَعزَّ نصره . سلام كريم [طيب برعميم][٥] ، ينم بفتح الفتوح المؤيَّدة بالملائكة والروح عَرْفُه ، ويبدى أَنفاس ريحان [الجِنان][٦] ، فيعيى عبارة اللسان ، وموارد علم الإنسان وصفه ، يخص مقامكم الأَعلى ، ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) سلطان المغرب المشار إليه هنا هو السلطان أبو فارس عبد العزيز المرينى الذى سبق التعريف به .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجلايل) .

(٤) هذه الزيادة واردة بالملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) الزيادة من الملكية .

(٦) الزيادة من الملكية .

أما بعد حمد الله كافى من اسْتَكفاه ، وهادى من اسْتَهداه ، الذى نصر الحق وأَعلاه ، ودحض الباطل وأَرْداه ، ووعد من توكَّل عليه ، وفوض أَمره إليه ، بحُسْنى عقباه ، وأَخرج الذين كفروا من أَهل الكتاب من ديارهم لأَول الحَشْر [فاظْنَنْتُم أَن يخرجوا][1] ، وظنوا أَنَّ حصُونَهم ما نِعتَهم من الله ، فما أَوسع رحماه ، وأَسْبَغ نَعْماه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سرُّ الوجود ومَعْناه ، ومَوْجِدُ الكمال ومثناه ، ومختار الله من الخليقة ومُجْتباه ، نبى الملاحم ، الذى نُصر بالرُّعب على عِداه ، وزَوَى له الأَرض ، فرأَى مُلْك أُمته بلغ ما جمع له منها وزواه ، والرضا عن آله وأَصحابه وعِتْرته وأَحزابه المخصوصين بمزية قُرْبه ، ومَنْقِبة حبه[2] فى مماته ومحياه ، الذادة عن حماه ، النَّزعة فى الهدى إلى هَدْى مرماه ، مزعجى الكفر عن مثواه ، ووارثى الأَرض من بعده بذريعة رضى الله وتقواه ، والدعا لمقامكم ، حرس الله جوانب عُلاه ، وأَعانه وتولاَّه فيما ولاَّه ، وحفظ عليه ما أَوْلاه ، كما جعل أَوصاف الكمال حُلاه ، وعرَّفه عوارف السعد ، الرايق مُجْتَلاه ، وذَخَر له الفتح المُبِين وسَنَّاه [بتوالى العز المشرف سناه][3] ، والنصر الدانى من غصون الرماح الملد جناه ، والصُّنع الذى ينال به الدين الحنيف ما يتمناه . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم فخراً رايقا ريَّاه ، وسعداً مَشِيداً مبناه ، وأَطْلَع من غُرر الفتوح كل وافد بشر محيّاه ، ووارد مهما تلقاه ، روح الحياة بوَّأَه وحيَّاه . [من حَمْراءَ غَرناطة ، أَمَّنها الله][4] ، والدين قد ساعدته بما يرضيه دُنياه ، ونور الله الذى وعد بإتمامه وإن كَرِهه الكافر وأَباه ، قد دعا

---

(١) هذه العبارة واردة بالملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (نصحه) .

(٣) هذه الزيادة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال . ومكانه فى الملكية (من كذا) .

بوعد الصادق فلبّاه ، والإسلام بهذا القطر قد استمنح منه سبحانه ، عادة اللُّطف به والنصر فحياه ، والحمدلله مبدأً كل أمر ومنتهاه ، وآخر كل كَدْح وأُولاه ، فما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ومقامكم عُدَّة الإسلام الذى يكشف جلاه ، ونُساهمه فى المسرات التى تهز نواسِمُها منتداه ، والمبشرات التى تفوز بقِدْحها يداه . وإلى هذا أَوْزَعنا الله وإياكم شكره ، من منح أَعلت معالم الإيمان ، وأَعلنت برضى الرحمن ، وعودة الزمان ، وأَعْرَبت عن إتاحة الكرة وهبوب الريح ، وإطلاق الإدالة ، فإنا نجلو عليكم خَبَر الفتح المَخْبُوِّ لزمننا وزمنكم ، المذْخُور من الله سبحانه ، فضلا علينا وعليكم ، المعرب [عما بعده][1] إن شاء الله ، عن ديون فى الكفر تُقْتضى[2] ، ومعارج للذِّكر الجميل تُرتَضى ، وسُبُل السلف الصالح تُقتفى ، ومساعٍ فى الجهاد تقرِّب إلى الله[3] زُلْفَى ، وتعود منهْ بالجزاء الأَوْفَى ، فتح الفتوح الذى سمى اسمه الرفيع ومسماه ، أَن يحيط النَّظْم والنَّثْر بمعناه ، إلا أَن الإشارة تنزع إلى مرماه ، وشرح المُجمل الذى تقصر عنه أَلسن العبارة ، ويستدل على كُنْهه بملامح الإشارة ، هو أَننا اتصل بنا ، والحى خلوف ، وحكم السلم مألوف ، أَن مدينة جَيَّان ، بَلْغاءُ الشهرة ، وغابُ البسالة[4] ، ومَنْبِت الشوكة ، وعقاب القواعد المغتصبة للمسلمين ، ومُختط طائفة العرب الشاميين من كورة قِنّسرين ، والأُمم العديدة البنات ، المستبحرة المُنا والجَنَّات ، حيث الزياتين منها ، تمتار البلاد والعباد ، مدد الوقود والكروم ، التى استثمرتها الرُّوم ، تعبق لها الخوابى الجوب بدم العَنْقود ، والجنَّات الأَشب ، والوضع المنبت المعجب ، حُجْر الأَراقم المختالة ، فى جلود الزرود ، والليوث الباطشة فوق فُيول الخيول ، ومَصْرَخُ النواقيس الصَّايلة ، ونُصُب التماثيل الهايلة ، ولدَّة دار الخلافة قرطبة ،

---

(١) هذه الزيادة من الملكية .

(٢) فى الملكية (ترتضى) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (رب العباد) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأسود) .

بدا لأهلها فى مخالفة سلطانهم الذى جدَّدنا عهده ، وأبرمنا سَلْمه ، وأكَّدنا عقده ، وأوجبنا لتوفر البواعث نَصْرَه . فأهنبلنا للحين غرة ، وانتهزناها فرصة ، وحللنا إليها عقال الفتك ، الذى كان قد قيده الإيمان ، وسلَلْنا عليها سيف الله الذى أغمدته الموادعة[١] والآمال ، بعد أن استخرنا الله ، الولى فى الغربة ، النَّاصر فى الشدة ، الذى بيده القدرة والعزة ، والحول والقوَّة ، لا إلّه إلاّ هو خيرُ النَّاصرين ، ومظهر دينه على كُرْه الكافرين ، ونوينا أن نرفع بها هَضْم الإسكندرية[٢] ، ونقوم بفرض الكفاية عن الكافة ، فأثمرت استخارة الله لدينا ، والقوة به ، والتوكل عليه ، الإستهانة بأسوارها المَشِيدة ، وحماتها البئيسة ، وشهرتها الجامحة ، فأبرمنا الحزم الذى شحذ التوكُّلُ غَرْبه ، وسدْد الاستبصار سَهْمه ، وأضفى الصبر جَنَّته ، وسهَّلت الثقة بالله حزبه . واستدعينا أهل الجهاد [لتصير الجهاد][٣] ، ونَفَضْنا أطراف البلاد ، عن أُولى الجِلادة على الجِلاد ، وعيّنا أمداً أضاف الانْحِفاز مدته[٤] وتحيَّفت البدار فُسْحته ، وعلى ذلك فاستكثرنا من آلات القتال ، ورفعنا المجانيق على أفلاك[٥] الأعجال ، وأفضنا العطا الذى تجاوز شهور الاستحقاق إلى ما وراءها ، مما لم يستهلُّ جنينُ هِلاله ، ولا وسَمت خيلان الليالى صفحة جماله ، وأوصلنا الجيوش إلى المطوعة الغازين والمرتزقة المدوّنين ، إلى حقوقها فى الغُنْم المتقدم ، والنَّفْل المبارك المتيقن[٦] ، فتضاعفت الارتياش ، وأزيحت العلل ، وأخلصت الضمايير النَّصفة ، وأطابت القلوب المعدلة ، ولما تكاملت الجموع

---

(١) وردت فى الإسكوريال (المواعدة) والتصويب من الملكية .

(٢) يشير هنا إلى رغبة الانتقام لاعتداء الفرنج على ثغر الإسكندرية سنة ٧٦٧ هـ (١١٦٥ م) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية . وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حصته) .

(٥) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المتعين) .

وتوالت[١] الحشود ، وتعددت بظاهر حضرتنا الرايات والبُنود ، بَرَزْنا نهتدى من الرأى الذى تعودنا يُمْنَة بمصباح ، وذُبال استصباح ، لا بل بفَلْق صباح ، وخيَّمنا على بريد من الحضرة ، ترفيهاً على السيقة ، ونظراً للفذ والجملة ، مخيما جمع مقادَهُ من النسم ، لا يحصيهم إلا من كتب خطاهم فى طاعته ، وأحصى أنفاسهم المطيّبة بذكراه ، واستحفظ بُقَع الأرض شهادتهم بتوحيده . وكان إطلالنا عليه ، ثالث يوم البروز ، وهو يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر الله المُحَرَّم ، مفتتح هذا العام السعيد ، فى أحسن التعبية ، وأكمل وأحْكَم[٢] الأهبة . وامْحرت الينا حامية العدو ، ذابة عن الحوزة ، مبلية من دون العرصة ، متمرسة بسرعان المقدمات ، ورواد منازل المحلات ، فلما كاثرهم السَّواد الأعظم ، والبحر الذى لا يُزحم ، استجنُّوا بحمى الأبراج المَشِيدة[٣] ، وفُرَج الأبواب العديدة . وتلاحق أوايل الأُمم المحشودة المحشورة ، من الجموع المنصورة الموفورة ، تموج بهم عَرَفات موقف الجهاد ، [وتعرضهم ساهرة نشر البلاد][٤] ، ويتراكم منهم ، وفَّرهم الله ، رجل الجراد . وكان الغرض يستكمل محمل الطريق ، ويتدارك جمهور النفير ، ويُجرى حرباً على مقرر الترتيب ومحكم التدبير ، فَشَرِه الناس إلى العدوّ ، ووجهوا إلى حَوْمة الحرب خفوفاً . لم يَلْو فِيه المُتَقدِّم على المتأخِّر ، ولا انتظر المسرع لحاق المتلوِّم ، فانهارت منهم الْهِضاب وانهالت ، وتدافعَت الأَوْدية وسالَتْ ، وجَنَحَتْ الرايات إلى حَوْمة الرَّبَض الأعظم ومالَت ، كأنهم سحايب الخريف . حَرَّكتها الزَّعازع ، وخَربت آباط رِكابها الْبُروق الْخَواطف ، وأحاطُوا به من قبل أن توزع عليهم الآلات ، وتَبَوَّأ مقاعِد القتال [كماة الحماة وفره][٥] الرُّماة ، فَقَرَعُوا للحين سوره ، واقتحموا مَنازِله ودُورِه ،

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (توافرت) .
(٢) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المنيعة) .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هذه الزيادة من الملكية .

وَصَدَمُوا حامِيته الضخمة ، ووالوا عليها الشِّدَّة ، حتى أزعَجوهم عنها عَنْوةً ، واستلْحموا منه جملة . وشَمل الرَّبض النَّهب ، ورغا فو ق أَهْله العذاب الصَّعب ، وتعلقوا بعده بسُور البلد ، وبادرنا الهَيْعة ، وقد هَزَّت رياح النصر عَذَبات الرايات ، وسَدَّ ما بين الخافِقَيْن عُلُوٌّ كلمة الشهادات باختلاف الأَصوات ، وصَكَّت الأَسماع رعُود الطبول ، واستنجز المؤمنون الصابرون من ربِّهم مِيقات الوعْد المفعول ، فلا ترى إلاَّ هاوِياً من ذُرى شُرْفة ، تخلفه جُملة ، أَوشَهِيداً يتزاحم على مواقفه لمة ، أَو ثنية تفرع ، أَو شِعاراً يسمع . ونزل الصَّبر ، وأُنْجِزَ الوَعْد ، وقَذَف الله الرُّعب فى قلوب الكافرين ، وأَمَدَّ أَوْلِياه بالملايكَة المُسَوَّمين . ففُرِعت أَسوار المدينة ضربة ، ودُخِلَت والحمد لله عَنْوة ، وجاز فُرْسانها فى السِّكك ، يَطِيرُون من ضيقة إلى أُخرى ، والمسلمون يأْخذُون عليهم الْفُوَّهات ، ويَسُوقونهم[1] إلى المتمنعات ، وقد شَرَهت السُّيوف ، وتَخارَقَت الرِّماح ، وحَقَّ عليهم القَوْل ، وأَخذَتْهم الرَّجْفة . واختار لمة منهم ميتة الإيجاز[2] والإعذار لأَنفسهم بالْفَرار ، على الميتة بين الدِّيار ، ففتحوا بعض أَسوارِها[3] وأَلْهَبُوا الخَيْل ركضاً ، وأَجْهَدُوها خَضًّا ، وركِبَ المسلمون أَكتاف مُدبرهم ، واعترضوا وُجُوه مُقبلهم ، فَبَهرُوهم[4] بالسُّيوف ، وعاجَلوهم بالحتُوف ، واستولوا على أَقطار المدينة استيلاءً أَعْجَل المجانيق عن الركوع ، وصَواعِقَ الصَّخْر عن الْوُقُوع ، وجبل الحرب عن الإحكام ، والاعتدال عنها بالْهِنْدام . وانطلقت الأَيدى على مالا يناله ، ولا يدركه الكَسْب ، من الأَموال الدَّرَّة ، والأَمْتِعة الْثرة ، والذخاير المصونة ، وآنية الزِّينة الثقيلة ، والأَسلحة المُسْتجادة ، وعائَتْ فى الخزاين الطامية ، والأَقوات الهايلة ، ودَنان الأَدهان

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (ويسوقونهم) .

(٢) فى الملكية (الإمحار) .

(٣) فى الملكية (أبوابها) .

(٤) فى الملكية (فضربوهم) .

المدخرة ، والخمور المقدَّمة ، إبادةً ونهباً ، وإراقةً ونقلاً ، إلى مايُكاثر الْحَصَى ، واجزاءِ الْهبا ، من الحيوان المختلفة الأَجناسُ ، صَواهِلُ ضامِرة ، وسَواجِحُ بادِية ، ويعافِير فارِهَة . وغُصَّت الأَضْبان ، وَوَهَنت الأَكْتَاد ، بما فيه يُرغَب ، من الماعُون والسَّقط والخرْثِى ، وجلالِ الأَسباب[1] ، حتى القِسىِّ ، والسرج الدَّنى [وما يُشنفه الغنى][2] وأُخذَت الدُّور والقُصور ، والبِيَعُ وهياكِل العِبَادة ، والرِّباع الشَّهِيرة ، [والحاناتِ ، والدِّيرة المقصودة ، والقياسِر الميسُورة][3] أيدى الإثارة والإبادة ، فسُلِّطت النار عَلى أعاليها ، والْهَدْم على مَايَليها ، وجلَّلها الدُّخَان ، وظلَّلها الْخُسران ، ونَادَى بها لسان ، الحَميَّة ، فى مرضاة رب البريَّة ، بالثارات الإِسْكَندرية . وقيدت نواقِسها بالْحُبُل التى حركت جبالها ، وقلقلت هِضابها ، فأُبرزت خاسِئةً صاغرة ، وتُركت بعد ثَلِّ أَلسنتها داميةً فاغِرةً ، وجُنِّب من الأَسرى ، وهم الفل الذى تخطاه الأَجل المكتوب ، والقدر المحتوم ، أَو شَفَع فيه الحُسْن المرمُوق طوايفُ غُصَّت بقطارهم ، السُّبل العريضة ، وضاقت بوارِدهم المناهل المفرقة ، وهَلَك بين جدرانها من النَّسم الكافِرة ، والطوايف المجانبة للحق المنافرة ، بين بَهْم مُقَدَّم ، وشُجاع مُعلم ، وفارِس مغوار ، ومُنتجع فلاحة ، ومُعانى صناعة ، وملتمس تجر وقنية ، ومُقيم ملَّة ، ما لم تستأْصِله الهزايم الشهيرة ، والوقايع المُبِيرة . كفى الله شرهم ، ودَفَع ضُرَّهم ، سبحانه لادافع لنقمته الحانِقة بالمعتدين ، ولا رَادّ لبأْسه عن القوم المجرمين . وتخلص من أَسرى المسلمين جُملة ، طَرقهم الفَرَج الذى لا يُحتسب ، واللُّطف الذى تنجاب به الكُرَب ، ولجأَ الفَلُّ المحروب من جمهرها ، وهم مِعْشار المِعْشار من صريعها

---

(١) فى الملكية (الأسلاب) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

ومأسورها ، أزواداً تنشر[١] عليها عصى سمر الرماح ، وأسراباً تخفق فوقها أجنحة الجراح ، من بيض الصِّفاح ، إلى حِمَى القلعات المشيدة ، فنراكموا بالقنة القائمة بأعلى الندوة ، وقد جنح الأصيل ، وجاذب القرص المسيل ، فرتَّبْنَا عليهم المسالح والأحراس ، ووكلناهم إلى غيب الزِّحام ، وسوء المقام ، وبرح الظَّما ، ورجز السَّما ، وتربَّصْنَاه بالإجهاز عليهم ، انقشاع الظلماء ، وباكرناهم وطُبول العِزَّة[٢] بالله هَادِرة ، وكلمةُ الحق قايمةٌ صاعدة[٣] ، وعزايمُ الصِّدق ماضية . فعاطينا تلك القلعة الشَّما [فى السكك المزاحمة لشُهُب الأفلاك][٤] الحربَ الضَّرسَة التى لم يعهد بمثلها ، فى زمن سالف ، ودهر غابر ، بالغَ فيها الصَّبرَ أغياماً ، تتجاذبه مطولات القِصاص ، وغرايبُ الأسمار[٥] ، ويجمع فيها ألْسِنة الأخبار . فَدُخلت القصبة الأُولى ، وارتفعت فى أبراجها البنُود ، وانتُقِل من بها إلى الثانية . ولما افتقر أمرها من بعد المحاولة إلى المُطاولة ، ورأينا بعد ذلك أن لا مطمع فى استبقاء المدينة ، إذا استخلصنا القَصَبة الشَّاهقة ، وفتحنا القلعة السَّامية ، لمكان العقد ، مع ولى قاعتها ، ومستحق خربتها ، ضَنًّا بالنفوس المسلمة ، أن تفيض من دونها لَجاجاً ، أو تبيد عليها مجَّاناً ، وأن من تحصَّل بها ، أشبه شىء بالعدم ، قلَّة وذِلَّة ، وارتياباً وأشتاتاً[٦] ، وقد أثبتهم الرُّماة ، وفَشَت فيهم الجِراح . ونَبا بِهم الوطن ، واقْتَطعتهم الْمِحَن ، أجبناهم إلى مابذَلُوا فى جَماجِمهم من الْفِدَا على الإفراج عنهم ، والإقلاع عن ساحتهم . فتمَّ ذلك فى يوم الْجُمعة الخامِس من يَوْمِ المنازلة [بعد أن][٧] توثَّقنا فى شأنهم ، واقتضينا مائة من متخير

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تهش) .

(٢) فى الإسكوريال (الغرب) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأشجان) .

(٦) فى الملكية (والتياثا) .

(٧) هذه الزيادة من الملكية .

رهائنهم . هذا بعد أن جَهر المُنَادِى ، بعَقْر الأشجارِ ، وانتِسَافِ تلك الأقطار ، [فأمسى الجناب الأخضر ، لا يظل ضاحياً ولا يقل فراشاً هافياً][1] . وتناولت الأقواس جراثيم العَقار فعَقَرَتها ، وقرأت ألْسِنَة النارِ سُورة التين والزيتون فجرفتها ، وحالت أيدى البَوار ، واستوْصلت عاديات الأشجار ، وفُجع بخندق الجنَّة أهل النار ، وطاف عليها طايف من الله ، وأصبحت كالصَّريم ، وطلَعَت عليها بالصَّليم ، لكَتَاد غرة اليوم العصيب ، وتقاسمت الأيدى تخريب أسوارها ، فهشَمت أسْنان الشُّرفات ، وجَدَعت آنافَ الأبراج المُشْرفات ، فهى اليوم اليَبَاب البَلْقَع ، ووهْيُها الوَهِىُّ الذى لا يرقع . واتفق من تمام الصُّنع أن تلاحق بمحلتنا عليها وزير السلطان صاحب قشتالة ، فى كتيبة خَشنةٍ من قومه ، وعددهم من أتباعه ، مستجيراً بنا من مطالبة سلطانه ، طارحاً نفسه علينا ، فى تكفل أمانه ، فرأى من وفور محلات المسلمين ما بلَّد فكره ، وحيّر لحظه ، وشاهد من عظيم أثرهم فى البلد المُسْتباح ، الذى دمروه ، وعدد من استرقُّوه وأسروه ، ما ضاعف حسرته ، وأذْرَفَ عبرته . فكان ذلك طرازاً على الحلّة السُّيراء ، وتماماً للنعمة النَّعمى ، وأملا فى ظهور الدين ، والحمد لله تكيِّف وتأتى . وقفلنا بالمسلمين ، هنَّأهم الله بما وَهَبَهم وقد وَسَم وجُوههم الاسْتِبشار ، وحلَّ اقتالهم فى سبيل الله النقع للثَّار ، وقد فَجَعوا الكُفر بأُمٍّ من أُمَّاتِه ، وكرسى ملك[2] مستقل بذاتِه ، وتركوها أوْحَش من القفر ، وأخلى من جَوْفِ القبر ، مرصوفة السكك بالجثَث والأشلاءِ ، مظلَّلة بأعنان تبلغ أعنان السماءِ ، مرَفْرِفةٌ فوقها عصايب القَشَاعم ، متزاحمة على شِعابها ونقابها الضِّباع الصَّرامح ، والعواسل الكواسر[3] ، قد شاه مَرْآها الجميل ، وأوْحَش

(١) وردت هذه الجملة فى الملكية كالآتى (وأصبح ذلك الجنب الأخضر لا يضل ضاحيا . ولا يقل فراشاً هامياً) .

(٢) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٣) وردت هذه الجملة فى الملكية مختلفة التكوين بين تقديم وتأخير .

مَرْبَعُها الأَنيس ، قفولاً مَلأً بلاد الكُفر رعباً ، وجاسَها ذُعْراً ، وأقام للإسلام [وأهله فيها][1] وزناً ، ويالهَا من شوكة خَضَدها الله وأبادها ، وأذهب كيادها . ومن يتوكَّل على الله فهو حَسْبُه ، إن الله بالغ أمره . وعرَّجنا فى هذا الإياب العزيز[2] على مدينة بَاغة[3] الحجرة ، من بنات تلك الأُم البائسة ، وفروع تلك الشجرة المجتثة ، فصارت سحيراً للسيل ، ومُلْتَهم الوَيْل ، ومُنْتَهب الرَّجل والخيل ، وألفَيْنا قاطنها قد ولَّى هرباً ، واتخذ الليل جملاً ، وبيوتها مشحونة أثاثاً وأقواتاً ، ونعماً أشتاتاً ، فأخذها النهب ، وفَشَا فى عَيْصِها الأَشَبِّ العيث ، وتعلَّقت النار بزياتينها لمكان العلاقة ، وأغرت بها لأجل السلبط ألسِنة السَّلاطة ، فقلب الدمار أعيانها رماداً ، وألبسها الحريق للثكل حداداً .

وانصرفنا عنها ، والعمل إن شاءَ الله على التعقيب مستوفر ، والعزم إن شاءَ الله على العود إلى أُبَّدة الذاهبة مذهبها متجدد . نسأَل الله أن يتم علينا النِّعم ، ويجزل من فَضْلِه المواهب والْقِسم ، ويُلهمنا الشكر المسْتدعى للمزيد ، فهو الولى الحميد . وبادرنا تعريف مقامكم بما سَنَّاه الله ، قبل حَطِّ البنُود عن الْجِياد ، والحمايل عن الأَكتاد ، علماً بموقع هذا الصُّنع من دِينكم الأَصيل ، ومجدِكم العزيز ، ومُلْككم الكبير ، فهو دِينكم وجِواركم ، ووطنُكم الثانى ودارُكم . وقد كانت هذه المكيفات ، بشاير وَلِىّ الله السلطان المقدس وَالِدُكم ، الذى لا يتحف بأَسنى منها خطراً ، ولا يهدى أَجل منها قَدْراً . وأنتم وارث خِلاله الصالحة ، وَشِيمه البرة الطَّاهرة . ونرجو الله أن يكون هذا الفتح ، تمهيداً لمذْخُورِ نصركم ، وإرهاصاً بين يدى جِهادكم ، ولتَتَحقَّقُوا أنه لو جَمع الله جمع الإسلام على الْجِهاد ، لعاد الفتح الأَول

---

(١) هذه الزيادة من الملكية .

(٢) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٣) باغة وبالإسبانية Priego هى بلدة أندلسية قديمة حصينة تقع جنوب غربى جيان وشمال غربى غرناطة فى منتصف المسافة بينهما .

جدعاً ، وتقهقر الكُفر جَزِعاً ، وراجع حدوده هرباً . وبيده الخلق والأمر ، وما أمرنا إلاَّ بواحدة ، وما ذاك على الله بعزيز . وهو سبحانه يهيئ لكم ولنا من أمرنا رشداً ، ويوفِّقُنا لما يقربنا إلى الله زُلْفى ، بفضله ورحمته . والسلام الكريم ، البر الْعَميم ، يعتمدكم كثيراً أثيراً ، ورحمة الله وبركاته . كتب فى آخر شهر الله المحرم من عام تسعة وستين وسبعماية .

تم السفر الأول

وكانت الحركة بعدها فى أوائل شهر ربيع الأول المبارك من عام تسعة وستين وسبعمائة إلى مدينة أُبَّدة . فاحتل السلطان [بمن لنظره] (١) من جيش المسلمين بظاهرها ، فافتتحها عَنْوةً واستولى على مساكنها التدمير والتَّثْبير ، وعفت آثارها ، وهُدِّمت كنائسها وأسوارها . وقفل إلى حضرته العليّة بجنِّب نصراً لاكَفاءَ له . وصدرت عنه مخاطبة سلطان(٢) المغرب من إملائى بما نصه بعد سطر الافتتاح .

المقام الذى نعاطيه أَكْوَاس المسرات دِراكاً ، ونجعل له فى الفتوح وثوابها الممنوح اشتراكاً ، ونُتْحفُه بالأَنباءِ الشاهدة بخلوص الولاء على الولاء سكوناً أو حِراكاً ، مقام محل أَخينا ، الذى شأْنه السرور بما يفتح الله به على المسلمين والإسلام ، والابتهاج بما اجتلاه الدين الحنيف من سعادة الأَيام ، والمساهمة التى تليق بمثله من الملوك الأَعلام ، السلطان الكذا أَبى فارس ابن السلطان الكذا أَبى الحسن ابن السلطان الكذا أَبى سعيد ابن السلطان الكذا أَبى يوسف يعقوب ابن عبد الحق ، أَبقاه الله ، وبابه بالبشاير مقصود ، وسعدُه فى الأُفقِ الأَعْلى مَرْصُود ، ومُلكه بالله معصُوم مَعْضُود ، وشمله باتصال الأَمان ورضَى الرحْمَن مَنْضُود ، وظِلُّ عَدْله وفَضْله مَمْدُود ، وآثاره فى الآثار الصالحة الباقية محسُوب معدُود ، معظَّمٌ قدره العالى الاقْتِدار ، المسرور لِهلالِه السَّعيد لِصِفة الأَبرار ، واستقامة الدار ، الدَّاعى له فى حَالَى الإيراد والإصدار ، بالزُّلفى وعُقْبى الدار ، الأَمير عبد الله محمد ابن أَمير المسلمين أَبى الحجاج ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (بمنظره) ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة مكانها بياض فى الملكية .

ابن نصر . سلام كريم ، ينم فى جو الخلوص منه نسيم ، ويتجلَّى فى مظهر الود المرصوص له محيّا وسِيم ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْد الله معرِّف العوايد الجميلة ، ومعدد العوارف ، ومصرِّف الألطاف الحسنة ، ومحسن المصارف ، مجدد اليُمن المتعاقِب المترادِف ، ومؤَيد العزِّ التَّالِد بالطَّارف ، الجواد الذى أخلصت آراؤه العميمة ، ومننه الكريمة وصْفَ الواصف ، ناصر حزب الإسلام ، على معاند دعوته السامية الأعلام والمخالف ، ومظهر دينه الحق على الأديان ، إنجازاً لوعده السَّابق فى الزمن السَّالف . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، أمانُ[1] العبادِ عند اشتداد المخاوف ، والظلُّ الظليل الوارف ، وغمام الرحمة الواكِف ، المنقذُ بنورِ هُداه من المتالف ، والرِّضا عن آله الشُّم الأُنوف الغَطارِف ، سحاب العوارف ، [وبحار الغوارف][2] ، الذين نصروه فى حياته بالْبِيض المواضى ، والسُّمْر الروَاعِف ، وقاموا بسُنَّتِه قيام الواصِل العاكِف ، والمناصِح الملاطِف ، حتى دَنَت الغصون للقَاطِف ، واختالت المِلَّة من ثيابِ العِزِّ فى أبهى المطارِف ، والدُّعاء لمقام أُخوتكم ، أبقاه الله مثابة البادى والعاكِف ، بالصُّنع المساعد المساعِف . واليُمن المتزايد المتضاعِف ، والنصر الذى تشهد به ألسنة المارق من الجهادية والمواقف . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً يتكفل بإسعاد الراضى ، وتمهيد الرَّاجف ، وعدلاً تمضى فيه أوراق المطالب ، حكم أوراق المصاحف ، والسعد برّ المتاحِف ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فَضْل إلَّا فَضْلُه ، ومقامكم العلىّ بوجهة التعريف بما يتزيد من مَنْح ، أو يفتح الله جلَّ جَلاله من فَتْح ، تكل فى بحر تفسيره الأقلام ، عن فسح وإسهاب وشرح ، إذ الخلوص المجدّد ، والحق الذى لا يجحد ، والوُدُّ المُتوارث الذى عُقُوده تَشْهد ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (أمل) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

تأبى أن يقطع منه الإغفال جناباً ، أو تفقد منه منابا ، أو [تسد الشّامتة][1] منه باباً ، أو يكدر صفواً ، أو يشرب[2] لباباً . وبحسب ذلك ينهى إليكم كلّ راجعة تتبعها رادِفة ، وسالفةٌ تعقبها خالفةٌ ، إشاعةً لمنن الله بين عبادِه ، وإشادة فى الجهاد بثمر جهاده ، وعلماً بمواقع ذلك من مقامكم الذى يُعلم صدقُ وِدادِه ، وجميل اعتقادِه ، وسيره فى المقاصِد البرّة ، على سنن الكرام أجداده .

وقد كُنّا عرّفناكم فى هذا الكِتاب قبل هذا ، أننا على رِكاب جِهاد ، واستيناف احتشاد ، إلى مدينة أُبَّدَة[3] ، لنهيض منها ثانى جُنْحى الكُفْر ، ونؤمّن الجهات الشرقية بفضل الله عادِيةَ الضر[4] ، ونفجع الشرك بحبيبته ، ونصيبه من بعد يسراه بيمينه[5] ، فاستعنّا بالله القوىّ المعين ، واستنجدناه على فَتْح معقلها ، وهو خير الفاتحين ، واستدعينا كافة أهل الإسلام ، لمأْدُبة الجهاد الواضح الإشهاد ، فَهمُّوا طايعين ، وفى فوز أيديهم بإِحْدَى الْحُسْنَيَيْن طامِعين ، واستكثرنا من الآلات والأسباب[6] واستبحرنا من معارج التسورات ، وخزاين النشّاب ، ولم ندع حِيلة تبقر سوراً ، ولا تهويلًا يذعر محصوراً ، ولا آلة تحط وقاية منصوبة ، ولا نِكاية تِكظم بلدة مخروبة ، إلا استزَدْنا من أنواعها وأجْنَاسها ، وتمّمْنَا مانقص من قياسِها ، بعد أن اعتقدنا أن لاغالِبَ إلّا الله وَحْده ، وأنه الذى يُظهر دينه وينجز وَعْده ، وإلّا فما يغنى العدد ، إذا لم يكن منه الإعانة والمدَدَ ، لا إلٰه إلّا هُوَ خَالق الخَلْق وما يعملون ، ومُتمم نُوره ولو كَرِهَ الكافِرُون .

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ومكانها فى الملكية (تفقد منه) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (يثره) .

(٣) سبق التعريف بها .

(٤) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (بيمن يديه) .

(٦) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

وأَفَضْنَا العطاء فى المرتزقة ، وفتحنا الدَّواوين الملتحفة ، وحملْنا من نفق فى سبيل الله جواده ، وأَعَنَّا من قصر عن مؤُنته زاده . وخَرَجْنَا والتوكُّل على الدليل ، والمواكب الظن الجميل . ومتعود الصُّنع للظل الظَّليل ، وكلمة الله العليا العَلم الذى لايميل ، فخيمنا على أَميال من الحضرة ، مخيماً بادى الوفور ، محفوفاً بالعز المشهور ، والنصر الرايق الشعور . ثم دخلْنا بعد مراحل ضَفَّة الوادِى الكبير من أَحوازها المستباحة ، وعمالتها المخروبة السَّاحِة ، والعدو[1] بعرصة جسر عال ، مثل فوقه حِصْن حَصِين يمنع العابر ، ويصدّ الوارِد والصادِر ، فأَلْفَيْنَادُ وقد قدّ ضابط دربه ، وقيُّوم سلمه وحَربه ، فأَغنانا الله [عن فض][2] غلقه ، واقتحمناه تجرى فوقه سُيُول الحشود ، ونشر النَّمْل غير المحصور ولا الممدود ، لا بل قطايع الليوث الغُلْب والأُسود . ولما صبحنا ساحتها وأَزمعنا بعزة الله اسْتِباحتها ، نظرنا إلى مدينة هايلة ، عمارتها فى الأَرض الفضا جايِلة ، وأَدْوَاحها الأَشبة مايلة ، ومحاسنها متبرجة متخايلة ، ومَنَعتها دون من اعتصم بها إِلَّا من الله حايلة ، بنت جبَّان فى ملأَبها[3] سعة جناب ، وتَبَحرٌ فَلح وأَعناب ، بلد التجارة التى يعمل إليها سير الرفاق. من نازح الآفاق ، والمآرب الآمنة مساعيها من الإِخفاق ، والمصر الشهير العمارة ، الفسيح الإِثارة ، فإِذا ذُكرت الأُمَّات فإِليها يُشار ، وإِذا تشوَّقت المعاطن . فلها تحنُّ العشار . فقُلْنا اللَّهم سهِّل صَعْبها ، وأَسْفِل كَعْبها ، واجْعَلْها لعبادِك أَنْفَالا ، واترك معالمها إِغفالاً لرمى النصر ثقالا ، واقطع عمالتها ليدى الخراب ، واصرع آناف مبانيها السَّامية فى التراب ، وصَيِّرها عبرة لِأُولِى الأَلباب . ثم نَهدَنا فأَدرنا الجموع بالأَسوار دور السوار ، بعد أَن عممنا بكتايب الدار ظهور النجادة ، وبطون الأَغوار ، وأَرسلنا إِليها طيور المَنِيّات من أَوْكَار الْحَيَّات ، ورَجَعْنَا بذوَاتِ الأَدراج إِلى الأَبراج ، وعاطينا حرباً تبرّجت لأَبطالها

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

الحور ، وتحلَّت بشذور النجيع منها النُّحور ، وعَلَتْ بالشهادة الأَصوات ، وحامت عن موارد الكُماة ، وبيعت من الله النفوس ، ودارت للآجال الكؤوس ، حتى أَثمر النصر ثمراته المعهودة ، فافتُرعت الشرفات المفترشات ، وأَصبحت المسافات تطأَها الآفات ، ودُخلت المدينة ، والقدرة لله غلاباً ، وتقسّمتها أَيدى الإِسلام ، قَتْلًا واستلاباً ، فأَخذت جُذُل الرِّماح على كفارها بوجه الأَزقة ، واقتطعوا بين عياث الأَيدى المستهلكة والمسترقَّة ، فاسْتُبِيحتَ المقاصير والقصُور ، واقْتُحمت الدِّيرَة والدُّور ، وخُسِفَت فى مطالع بُروجها الكافرة[1] الْبُـدور ، وانْتُسِفَت الأَقوات ، وأُوقع بالكُفْر الْفَوات ، وأُخْلِيت من سُرُوج فُرْسانهم الصَّهوات ، وأُيِّمت من آبايها[2] الإِخوان والأَخوات ، وكان مسورها[3] الذى تعاصى عن الذرع والمساحة فوره ، وتعدّى حدود المدينة الرحيبة طوره ، قد استودعت أَقصيته ، تعم مسارحها التى أَخافها الخلاف[4] ، وأَمم فحوصها الفيح التى يخشى عليها الإِتلاف ، فأَلفاها المسلمون أُلوفاً لاتُحصى ، وحِمْلًا عَسرُ إِبرازه على الجبل واستعصى ، فتناولها الانتهاب والاقتسام ، وأُمهلت هضابها الْجسام ، وأُقيمت لها فى هذا الميلاد الكريم المواسم الْوِسام . وأَما الأَموال الموصلة ، والخزاين المجمَّلة المفصَّلة ، فأَعيا نقلها الظُّهور ، واستغرق الأَيام بل الشُّهور . ولجأَ الْفُلُّ من أَهلها إِلى القصبة التى تسع الجملة ، وتوهم المعْتَصِم بها الْعَطْف والمهْلَة ، واستماتُوا من وراء سورها العاصى البناء ، وأَبلوا من دون الحريم والأَبناء . وزحف إِليهم الرجال ، حتى ضاق بهم المجال ، ورشقتهم السِهام بمالا تتصوره الأَوهام ، وأَمطرت عليهم السماءُ حجارة القذف ، وشرعت إِلى أَسمائهم عوامل الحذف ، وأَسفوا على المتالف ، ورأَوا فى أَنفسهم ،

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (إخوانها) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مصدرها) ، وهو تحريف .

(٤) هذه الكلمة واردة بالملكية وساقطة بالإسكوريال .

مواقع الرماح من النحور ، والسيوف من السوالف . إلا أننا رأينا أنها قصبة مستعدة ، قد تحصل بها من الناشبة والرامحة عدة ، فلا يُتَوصل إلى افتتاحها إلا بمهج ونفوس من المسلمين عليها تسيل ، وحماة لها فى الإسلام الغِناء الجميل ، وفى سلامتها التأميل ، وأن البلد قد استوصل معموره ، وأُلْصِقت بالزِّغام دوره ، وسدّ دكُّه ، ودُكَّ سوره ، وتعدّد قتيله ومأسوره ، بحيث لا يفيق أبداً من بواره ، ولا يجبر كِسره إلا بعد انقضاء أدوار ، وأن القصبة لاتبدى فى اعتماره ولا تعيد ، وأين يقع ساكنها مما تريد . وشرعنا فى الإياب والسِّكَك بالأوقار قد ضاقت ، والأيدى قد حملت فوق ما أطاقت [والمناصل قد أنهرت وأراقت ، ونَقمة الله بعدوه قد حاقت ، ونِعَمَه قد بَهرت لدينا وراقت][1] . وتخلفنا قصورها السامية قيعانا ، وكنايسها الحافلة أثراً لاعِيانا ، وقد أخذ الله صُلبانها ، واستعجل النيران رُهبانها ، وأتى الله بيوتها من القواعد فخرت ، وزلزل مصانعها العالية ، فاستوت على وجه الصَّعيد واستقرت . فما أظن أن مدينة بلغ من معمورها ، واستأصل العَفَا من حجرات دورها ، مابلغ فى هذه البائِسَة البائِدة ، والْغَوِيَّة المكايِدَة ، غيَّر الله محاسنها [وشرد قاطنها][2] . ولما فرغت الأيدى المجاهدة من داخلها الهايل تدميراً وتخريباً ، وتهيأت هنات الله جلَّ جلاله نصراً عزيزاً ، وفتحاً قريباً ، انطلقت على ما بخارجها عقراً للأشجار ، وتعفيةً للآثار ، وتغويراً للأنهار ، وتسليط ألْسِنَة النار ، وأغْرَينا بهذا الْعِيَاث أياماً سبعة ، تُسْبِي النِّعم ، وتُبَثُّ فى جهاتها النقَم ، فتركنا مرابع[3] البيت الأوانِس أوْحَش منَ الرَّمس ، ومغانى الغانيات كأَنْ لم تُغْنَ بالأمس ، قد أذَلَّ الله بعزِّ الإسلام طغيانها ، وكفّ بكفِّ القدرة عُدْوَانها ، وشانَ بالدَّمار شأْنها . فكَمْ أجْلبت على ثغور الإسلام بخَيْلها ورَجْلها ، وكَمْ عَظُمَ الفَرَحُ فى

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقطة بالملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سود ناطلها) ، وهو تحريف .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (مواقع) .

الدين[١] لأَجلها ، ووفاه الله وله الحمد ، بمحلها . وقفلنا والأَولوية بالنَّصْر خافِقة ، وأَسواق الظهـور نافِقة ، وأَلْسِنَة الحمـد والشكر ناطِقـة ، والظُّنون فى فَضْل الصَّادق صادِقه ، والكُفْر قَدْ ذَلَّ واسْتكان ، ودخـل ثغره فى خَبَر كان ، وعزُّ الإِسلام قد ظَهر واسْتبان ، ورَسَىَ كما رسَى رَضْوَى وأَبان ، والْخيْل تُلَاعِبُ الظِّلَال مرحاً ونشاطاً ، والوجوه تتلأْلأُ اغتباطاً ، والجياد الجرد تتدافع وتمطر ، والأَسال السُّمر تتهاود وتتأَطَّر ، والجهات بِشَذَا الفَتْح تتعطَّر ، وقد أَقفرّ هذا الصَّقْع العظيم من عُمْرانه ، وأَطاع الاشتمال بالمنحسة حكم قرانه ، وأَناخ عليه الْعَفَا بجرانه . ومن الله نَسل أَن يصل الإِسلام عوايد النِّعم الْجِسام ، ويلهمنا الشكر المستدعى للمزيد من هذه الأَقسام ، وإِن كان هذا الموطن الذى يغبط من الكفار ، يدفعه الله ويكتبه ، ويعلق الثواب الجزيل ويرقبه ، فكيف لا نحمد الله على تخريب هذا المصر الشهير ، والقطر الخصيب الخطير ، بحيث تمضى الأَحقاب ، وهو عبرة للمعتبرين ، وواعظ للمبصرين المستبصرين ، وحديثـه لسان صدقٍ فى الآخرين . ومقامكم وجهة المبشرات مهما يسرها الله وكيفها ، والصنايع إِذا أَولاها جل جلاله وعرَّفها ، عليكم نجلو صُورها ، ولديكم نتلو سُورها ، عِلْماً من دينكم الذى عُلمت مساهمته ونصحه ، وأَشرق فى أُفق الفضل صبحه ، ولما لِسَلفِكم من أَثر بهذه البلاد لا يخفى ، وإِعانة حقوقها المرعيَّة لا تَخفى ، وأُجورها عند الله توفَّى . وأَنتم وارث [خلداً بهذه البلاد][٢] إِلا عن كلالة ، وولىّ ما تخلفه من مجدٍ وجلالة . وإِنا لنرجو أَن يكون لكم فى الجهاد بهذه البلاد الْقِدح المعلَّى ، والأَثر الذى يتلى ، فيُمن نقيبتكم قد أَشرف وتجلَّى ، وعلى ميادين الظهور قد استولى . والله يحقق الآمال ، وينجح الأَعمال . وأَوْجَبَ تعجيل التعريف به ،

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

وُدٌّ فى سبيل الله أطيب من العَذْب الزُّلال ، وخلوصٌ يتضاعف على مر الأيام والليال . ونحن نشرع فى إعمال الحركة إلى قُرْطُبة ، دمَّرها الله ، واثقين بذى العِزة والجلال ، مستظهرين بنيتكم الكريمة ، الكفيلة بسعادة المنال . ودعاء من لديكم من المسلمين ، بما يقضى ببلوغ وإجابة السؤال. والله يصل لكم سعداً مديد الظلال ، بامتداد البكر والآصال . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبت لصاحب تونس[١] بمجموع هذه الفتوح
عن السلطان رضى الله عنه ، وقد أهدى خيلاً عِتاقاً
وأصنافاً من الرقيق والفتيان وغير ذلك صُحبة
الرسول الفقيه أبى الحسن البنا وبتاريخ اليوم
الثالث من شهر ربيع الآخر من عام سبعين
وسبعمائة

الخلافة التى ارتفع فى عقائِد فضلها الأَصيل القواعد الخلاف ، واستقلت مبانى فخرها الشائِع وعزها الذائِع ، على ماأَسَّسه الأَسلاف ، ووجَب لحقها الجازم وفرضها اللازم الاعتراف ، ووسعت الآملين لها الجوانب الرحيبة والأَكْنَاف ، فامتزاجنا بعلائِها المنيف ، وولائِها الشريف ، كما امتزج الماءُ والسُّلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم ، وفضلها العميم ، كما تأَرَّجت الرياض الأَفواف ، لما زارها الغمام الوكَّاف ، ودعاؤنا بطول بقائِها واتصال علائِها ، يسمو به إلى قرع أَبواب السموات [العلا][٢] الاستشراف ، وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة ، وفواضلها العميمة ، لا تحصره الحدود ، ولا تدركه الأَوصاف . وإن عذر فى التقصير عن نيل ذاك المرام الكبير ، الحق والإِنصاف ، خلافة وجهة تعظيمنا إذا توجهت الوجوه ، ومن نوثره إذا أَهمنا ما نرجوه ، ونفدِّيه ونبدِّيه إذا استمنح المحبوب ، واسترفع المكروه . الخليفة [الكذا أَبو إسحق ابن الخليفة الكذا أَبى يحيى أَبى بكر ابن السلطان أَبى زكريا ابن السلطان الكذا أَبى إسحق ابن

---

(١) صاحب تونس المشار إليه هنا هو الأمير أبو إسحق المستنصر الحفصى ، تولى خلافة الدولة الحفصية منذ سنة ٧٥١ هـ ، حتى وفاته فى سنة ٧٧٠ هـ .

(٢) هذه الكلمة زائدة فى صبح الأعشى .

الخليفة المستنصر بالله أبى عبد الله بن أبى زكريا بن عبدالواحد ابن أبى حفص[(١)] أبقاه الله . ومقامه مقام إبراهيم رزقاً وأماناً ، لا يخصُّ جلب الثمرات[(٢)] إليه وقتاً ولا يعين زماناً . وكان على من يتخطف الناس من حوله مُؤيداً بالله مُعاناً ، معظَّم قدره العالى على الأقدار ، ومقابلُ داعى حقه بالابتدار ، المُثْنى على معاليه المخلَّدة الآثار ، فى أصونة النِّظام والنِّثار ، ثناءَ الروضة المعطار ، على الأمطار ، الداعى إلى الله ببقائِه[(٣)] فى عزَّةٍ مُنْسَدِلة الأستار ، وعصمة ثابتة المركز ، مستقيمة المدار ، وأن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال ، ونهايات الأعمار ، بالزُّلْفَى وعُقْبَى الدَّار . سلام كريم كما حملت نسمات الأسحار ، أحاديث الأزهار ، وروت ثغور الأقاحى والبَهار ، عن مسلسلات الأنهار [وتجلى على منصة الاشتهار ، وجه عروس النهار][(٤)] يخص خلافتكم الكريمة النِّجار ، العزيزة الجار ، ورحمة الله الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الذى أخفى حكمته البالغة عن أذهان البشَر ، فعجزت عن قياسها ، وجعل الأرواح ، كما ورد فى الخبر تحن إلى أجناسها ، مُنْجِد هذه المِلَّة ، من أوليائه الجِلَّة ، بمن يروض الآمال بعد شماسها ، وييسِّر[(٥)] الأغراض قبل التماسها ، ويعنى بتجديد المودَّات فى ذاتِه وابتغاءِ مَرْضاته ، على حين إخلاق

---

(١) هكذا ورد هذا التعريف الموجز بالأمير أبى إسحق المستنصر وآبائه فى « الريحانة » ، وفى كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة » حيث نشرت نفس الرسالة . ولكن النص الذى ورد فى صبح الأعشى الذى نقل إلينا أيضاً هذه الرسالة ، يتضمن التعريف والتنويه فى صيغة طويلة متعددة الألقاب والأوصاف للأمير أبى إسحق وآبائه (راجع صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٣٦ و ٥٣٧) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (السموات) ، والتصويب من الإحاطة (إسكوريال) وصبح الأعشى .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (بدوام بقائه) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإحاطة وصبح الأعشى ، وساقط فى الريحانة (إسكوريال) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (وينثر) ، والتصويب من الإحاطة .

لباسها ، الملكُ الحقُّ ، واصل الأسباب بحوله ، بعد انتِكاب[١] أمراسها ، ومُغنى النفوس بطَوْله بعد إفلاسها ، حمداً يدرُّ أخلاف النِّعم ، بعد إبساسِها[٢] ، وينثر رمم الآمال من أرْماسِها ، ويقدس النفوس بصفات ملائِكة السمواتبعد إيلاسِها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سراج الهداية ونبراسُها ، عند اقتناءِ الأنوار واقْتِباسها ، مُطهِّر الأرض من أوْضَارها وأدْنَاسها ، ومصطفى الله من بين ناسها ، وسيِّد الرسُل الكرام مابين شيثها وإلياسها ، والآتى مُهيمناً على آثارها فى حين فترتها ، ومن بعد [استياسها][٣] ، مرغم الضَّراغم فى أخياسها بعد افترارها وافتراسها ، ومعفِّرُ أجرام الأصنام ، ومُصْمت أجراسها . والرِّضا عن آله وأصحابه وعِتْرتِه وأحزابه ، حُماة شِرْعَته البيضاءِ وحُرَّاسُها ، وملقِّحى غِراسِها ، لُيوث الْوَغَى عند احْتِدام مراسها ، ورُهْبان الدُّجا ، تتكفَّل مناجاة السَّميع العليم ، فى وَحْشَة اللَّيْل البَهيم بإيناسِها ، وتفاوح نواسِم الأسحارِ عند الاستغفار بطيبِ أنفاسِها . والدعاءِ لخلافتِكم العلية المستنصرية ، بالصنايع التى تشعشع العزة القعساء من أكواسها ، ولا زالت العزة[٤] الإلهية كفيلة [باحتراسها وامتراسها][٥] وأنباءُ الفتوح المؤيدة بالملائكة والروح ، ريحان جُلاَّسِها ، وآيات المفاخر التى ترك الأول للآخر ، مكتتبة على الأسطار بأطراسها ، وميادين الوجود مجالاً لجيَادِ جُودِها وبأْسها ، والعزُّ والعَدْل منسوبين [لفسطاطها وقسطاسها][٦] . وصحيفة النصر العزيز تفيض كفها المؤيدة بالله ، على رياسها عند اهتياج أضدادها وسرَّة انتكاسها ، لانتِهاب البلاد وانتهابها ، وهبوب رياح رياحها ، وتمرد مرداسها . [فإنَّا كتبناه

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (انتكاث) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (إيبابها) ، والتصويب من الإحاطة .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (نصرتها واستيناسها) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (العصمة) .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (باحترامها واحتراسها) .
(٦) هذه الزيادة ساقطة فى الإسكوريال وواردة فى الإحاطة .

إليكم ، كتب الله لكم من كتايب نصره أمداداً ، تذعن أعناق الأيام لطاعة ملككم المنصور الأعلام عند إحساسها ، وأتاكم من آيات العنايات آية تضرب الصخرة الصَّماء ممن عصاها بعصاها ، فَتُبَادِر بانْبِحاسِها . من حَمْراءِ غَرناطة حرسَها الله ، وأيام الإسلام ، بعناية الملك العلاَّم ، تحتفل وُفُود الملائِكة الكِرام لولايِمها وأعْراسِها ، وطواعن الطِّعان [فى عدو الدين المعان][1] تجدد عريدها بعام عَمواسها. والحمد لله حمداً معاداً ، يقيد شوارِد النِّعم ، ويستدرُّ مواهب الْجُود والكَرم ، ويؤمن من انتكاب الجُدُود وانتكاسها ، ولىُّ الآمال ومكاسِها . وخلافتكم هى [المثابة][2] التى تزهى الوجود بمحاسن مجدها ، زَهْوَ الرِّياض بوَرْدِها وآسِها ، ونستمد أضواء الفضائِل من مقياسها ، وتُروى رُوَاة الإفادة والإبادة عن ضحاكها وعبّاسها . وإلى هذا أعلى الله معارج قَدْركم ، وقد فَعل ، وأَنْطق بحجج مجدكم[3] ، من احْتَفِى وأَنْتَعل ، فإنه وصلنا كتابكم الذى حسبناه على ضائِع الله تميمةً لا تلتَمَع بعدها عين ، وجعلناه على حُلل مواهبه ، قلادةً لا يُحتاج معها زين ، ودعوناه من [جيب الكنانة][4] آية بيضاء للكتابة ، لم يبق معها شك ولا مَيْن ، وقرأْنا منه وثيقة وُدٍّ ، هُضم فيها عن غريم الزمان دَيْن ، ورأينا منه إنشاءً ، خدم اليراع بين يديه مشَّاءً ، وسيْل عن معانيه الاختراع ،فقال إنَّا أنشأْناهُنَّ إنشاءً ، فأهلاً به من عربىٍّ أَبِىٍّ يَصِفُ السَّانح والبانَة ، ويبين فَيُحْسِن الإبانة ، أَدَّى الأَمانة . وسُئِل عن حيِّه فانتهى إلى كِنانة ، وأَفْصَح وهو لا يَنْبِس ، وتهلَّلت قَسَماته ، وليلُ جِبْره يَعْبِس ، وكأَنَّ خاتمه الْمُقْفَل على صِوانِه ، الْمُتْحف بباكِر الوَرْد فى غير أَوَانِه ، رَعُف من مِسْك عُنْوانه ، ولله من قلم دَبَّج تلك الْحُلَل ونقع بمجاج الدَّوَاة

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإحاطة ومكانها فى الإسكوريال كلمة (المهان) .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الإحاطة (فخركم) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (بجانب الكتابة) ، والتصويب من الإحاطة .

المستمدة من عَيْن الحياةِ الغُلَل ، فلقد تخارق فى الْجُود ، مقتدياً[١] بالخِلافة ، التى خلد فخرها فى الوجود ، فجادَ بسرِّ البيان ولُبابه ، وسَمَح فى سبيل الكرم [حتى بماء شبابه][٢] وجَمَح لفَرْط بشاشته وفَهامته ، بعد شهادة السَّيف بشَهَامتِه ، فَمشى من الترحيب فى الطِّرس الرحيب، على أُمِّ هامته ، وأَكْرِم به من حكيمٍ أَفْصَح بملَغْوز الإكسير ، فى اللَّفظ اليَسير ، وشرح بلسان الخَبير ، سِرَّ صناعة التدْبير ، كأنما خدم الملكة الساحرة بتلك البلاد ، قبل استنجاز الجِلاد ، فآثرته بالطَّارف من سِحْرها والتِّلاد ، أو غير بالمعلَّقة ، وتلك القديمة الْمطْلَقة ، [من قِنْية][٣] دار ، أو كَنْزٍ تحت جِدار ، أو ظَفَرٍ لمبانى الْحَنايا ، قبل أن تنقطع به عن أمانِيه المنايا ، ببديعه ، أو خَلْف جَرْجِير[٤] الروم ، قبل منازلة الْقُروم على وديعه ، أو أَسْهُمه ابن أبى سرح فى نَشَبٍ للفتح وسَرْح ، أو ختم له روحُ بن حاتم ببلوغ المَطْلب ، أو غَلَّب الحظوظ بخِدْمة آل الأَغْلب ، أو خصه زيادةُ الله بمزيدٍ ، أو شارك الشيعة فى أمر أبى يزيد ، أو سار على منهاج فى مناصحة بنى صنهاج ، وفضح بتخليد أمداحهم كل هاج ، وأعجب له ، وقد عزز منه مثنى البيان بثالث ، فجلب سحر الأسماع ، واسترقاق الطباع ، بين مثانى الإبداع ، ومثالث كيف اقتدر [على هذا المَحيد][٥] وناصَح مع التثليث مقام التوحيد ، نستغفر الله ، ولىٌّ العون على الصُّمة[٦] والصَّون ، فالقلم هو الموحد قبل الكون ، والمتَّصف من صفات السادة أُولى العبادة ، بضُمور الجسم ، وصفرة اللون ، إنما هى كرامة فاروقية ، وإشارة[٧] من حديث ساريَّة ، وبقية سفر وجهها فى الأعقاب ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (متدباً) والتصويب من الإحاطة .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإحاطة ومكانها فى الإسكوريال (بأسبابه) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (بدفينة) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (بوجيز) والتصويب من الإحاطة .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإحاطة ومكانها بياض فى الإسكوريال .
(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (الصمت) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (وإثارة) .

بعد طول الانتِقاب ، وتداول الأَحقاب ، ولسان مناب عن كريم جناب ، وإصابة السَّهم لسواه محسوبة ، وإلى الرامى الذى سدَّده منسوبة ، ولا تنكر على الغمام بارقة ، ولا على المحقِّقين[1] بمقام التوحيد كرامة خارقة ، فمن شاء الفضل من غرايب برٍّ وجد ، ومحاريب خُلُق كريم ركع الشكر فيها وسَجد . حديقة بيان استثارت نواسم الإيداع من مَهبِّها ، واستنارت غمايم الطباع من مصَبِّها ، فأَتَت أُكُلها مرّتين بإذن ربِّها ، لا بل كتيبة عزٍّ طاعنت بقنا الأَلِفات سطورَها ، فلا يرومُها النقد ولا يطورها ، ونزعت عن قِسِيِّ النُّونات خطوطها ، واصطفَّت من بياض الطِّرس ، وسواد النفس . فلق تحوطها ، فما كاسُ المدير على الغدير ، بين الخُوَرْنَق والسَّدير ، تغامر ببرد الحباب ، عقُول أُولى الأَلْبَاب ، وتغرق كسرى فى القِباب ، وتهدى وهى الشَّمْطا نشاط الشباب ، وقد أَسْرَج ابن سريح وأَلْجَم ، وأفصح للقريض بعد ما جَمْجَم ، وأعرب النَّاى الأَعْجَم ، ووقع معبداً بالقضيب ، وشَرَعت فى حساب العقد بنانُ الكفِّ الخَضِيب ، وكأَنَّ الأَنامل فوق مثالثِ العود ومثَانيه ، وعند إغراءِ الثَّقيل بثانيه ، وإجابة صدا الغناء بين مغَانيه . المراودُ تشرع فى الوَشْى ، أو العناكِب تسرع فى المَشْى ، وما المخبر بنَيْل الرَّغايب ، أو قدوم الحبيب الغايب ، لا بل إشارة البشير [بكمِّ المشير][2] على العَشير ، بأَجْلَب للسرور من زايرة الملتقى بالبرُور ، وأَدعى للحبُور من سفيره المُبْهج للسُّفور ، فلم ير مثله من كتِيبَة كِتاب تُجنِّب الجُرد [تمرح][3] فى الأَرسان . وتَتَشَوَّف مجالى ظهورها إلى عرايس الفرسان ، وتهزُّ معاطف الارتياح من صَهيلها الصَّراح بالنَّغَمات الحِسان إذا أَوْجَسَت . الصريخ بارحت[4] إثناءَ الأَعنَّة ، وكاثرت بأَسنَّة آذانها

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (المتحققين) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) الزيادة من الإحاطة .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (نازعت) .

مُشْرعَة الأَسِنَّة ، فإن ادَّعى الظليمُ إثْكالها ، فهو ظالم ، أو نازع الظَّبى هوادِيها وأَكفالها فهو هادٍ أو حَالم . وإن سئل الأَصمَعِى عن عُيوب الغُرر والأَوضاح ، قال مشيراً إلى وجوهها الصِّباح ، « جلدة بين الأَنف والعين سالم » ، من كل عَبْل الشَّوى ، مُسابق النجم إذا هوى ، سامى التَّليل ، عريضُ ما تحت الشَّليل ، ممشوقة أَعطافه بمنديل النَّسِيم البليل ، من أَحْمَر كالمُدام ، تجلى على النُّدام عقب الفِدام أَتحف لونه بالورد ، فى زمن البَرْد ، وحيَّا أُفُقَ محيَّاه بكوكب السَّعد ، وتشوَّف الواصِفون إلى عدِّ محاسِنه ، فأَعْيَتَ عن الْعَدِّ ، بحر يساجل البحر عند المدِّ ، وريح تبارى الريح عند الشَّدِّ بالذراع الأَشَدِّ ، حكم له مُدَبِّر الفلك باعتدال فَصْل القَدْ ، وميَّزه قدره المُمَيز يوم الاسْتِباق بقصب السباق ، عند اعتبار الجدِّ . ووُلد مختطُّ غرَّتِه أَشكال الجمال على الكمال ، بين البياض والحمرة ، ونقا الخدِّ ، وحفِظ رواية الْخُلُق الوجيه عن جدِّه الوجيه . ولا تنكر الرواية عن الحافظ بن الجَدِّ . وأَشقر ذهبى[1] الخلق والوجه الطَّلق ، أَن يحقَّر كأَنَّما صِيغ من العَسْجَد ، وطُرِف بالدُّر ، وأُنْعِل بالزَّبَرجد ، وَوُسم فى الحديث بسمة [اليُمن و][2] البركة ، واختصّ بفَلْج الخصام عند استنجاز[3] المعركة ، وانفرد بمُضاعَف السهام المنكَسِرة ، على الهام فى الفرائِض المُشْتركة . واتَّصل[4] فَلَكُ كَفَله ، بحركتى الإدارة ، والطَّبع من أَصناف الحركة . أَصغى إلى السما بإذن المُلهم ، وأَغرى لسان الصُّميل ، عند التباس معانى المُهْمز ، والتَّسهيل ببيان المُبْهم . وفتنت العُيون من ذهب جسمه ، ولُجين نَجْمه ، بحُبِّ الدُّنَيِّر والدِّرْهم ، فإن انقضَّ فَرَجم ، أَو ريحٌ لما هَجَم[5] ، اعترض فشفق لاح به للنَّجم نَجم ، واصفر

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (أبى) .

(٢) هذه الزيادة من الإحاطة .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (اشتجار) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (واتصف) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (تفشى) .

قيَّد الأوابد الحرة ، وأمسك المحاسن ، وأطلق الغُرَّة ، وسُيِلَ من أنت فى قُوَّاد الكتايب وأُولى الأخبار العجايب ، فقال أنا المُهلَّب بن أبى صُفْرة ،نَرْجِس هذه الألوان فى رياض الأكوان ، تَحْيا به مُحيّا الحَرْب العوان ، أغار بنخوة الصَّايل ، على مُعصْفَرات الأصايل ، فارتداها ، وعمد إلى خيوط [شُعاع][1] الشَّمس ، عند جانحة الأمْسِ ، فأَلْجَم منها حُلَّته وأَسْداها ، واسْتَعْدَت عليه تلك المحاسن فما أَعْداها ، فهو أَصيل تمسّك بذيل الليل عُرْفُه وذيلُه ، وكوكبٍ يطلعه من القِتام ليلُه ، فيحسِدُه فَرْقَدُ الأُفق وسُهيله . وأشهب سَنِى من لونه مفاضة ، [وتسربل منه][1] لامَةٌ فِضْفاضة ، قد احْتَفل زينُه لما رقم بالنِّبال لُجَيْنه ، فهو الأَشْمَطُ الذى حقه لا يُغْمَط ، والدَّارع المُسارع ، والأَعْزَل الذَّارع ، وراقى الْهِضاب الفارِع . ومكتُوب الكتيبة البارع . وأكرم به من مُرتاضٍ سَالِك، ومُجْتهدٍ على غاياتِ السَّابقين مُتَهالك ، وأَشْهَبُ يروى من الخليفة ذى الشِّيم المنيفَة عن مالك . وحُبارى كلما سابَق وبَارى ، استعار جناح الخَبارى ، فإذا أعملت الحِسْبة ، قيل مِن هذا جاءت النِّسبة ، طرد [النمر لما عظم][2] أمرُه وأَمرُه ، فنسخ وجودَه بعدَمِه ، [وابتزَّه الفَرْوة][3] ملطَّخة بدمِه . وكأَنَّ مُضاعف الْوَرْد نُثِر عليه من طبقه ، أو الفَلَك لما ذهب الحَلَك ، مزج بياض صُبحه بحمرة شَفَقه ، وقرطاسى حقه لا يُجهل ، متى ما ترقى العين فيه تَسْهُل ، إن نزع عنه جُلُّه ، فهو نجم كلُّه ، انفرد بمادة الألوان ، قبل أن [تشربها][4] الأكوان ، وتمزقها[5] أقلام الملوان . تتقدم منه الكتيبة المقفلة لواء ناصِع[6] ، أو أبيض مُماصع ،

---

(١) هذه الزيادة واردة فى الإحاطة . وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإحاطة ، ومكانها فى الإسكوريال (التميز الأعظم) .

(٣) وردت هذه العبارة فى الإسكوريال كالآتى (وافتده ابروه) ، والتصويب فى الإحاطة .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (أن تشوبها يد) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (تمزجها) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (صانع) والتصويب من الإحاطة .

لبس وقار الشَّيب فى رَيْعَان الْعُمر القَشِيب ، وأنصتت الآذان من صهيله الْمُطيل الْمُطيب ، لما ارتدى بالبياض إلى نَغَمة الخَطِيب . وإن تَعْتَب منه التأْخير الْمُقتَّب ، قلنا الواو لا تُرتَّب ، ما بين فحل وحُرة ، وبَهْرُمانَة ودُرَّة ، ويالله من ابتسام غُرَّة ، ووضُوح يمنٍ فى طُرَّة ، وبهجةٍ للعين وقُرَّة . وإن وَلِعَ الناس بامتداح القديم ، وطمَح إلى رُتبة المخْدُوم طَرَف الخديم ، وقُورِنَ المُثْرى بالعديم ، وبُخس فى سُوق الكَسَد[1] الكيل ، ودَجا الْلَّيل ، وظهر فى فَلَكِ الإنصاف الميل ، لمّا تُذُوكرت الخيل ، فَجِيءَ بالوجيه والخطَّار ، والزَّايد وذِى الْحِمار ، ودَاحس والسَّكب ، والأَبحر وزاد الرَّكب ، والجموح واليحموم ، والكُمَيت ومكتوم ، والأَعوج والحلوان ، ولاحق والغَضْبان ، وعَفْرُوز والزعفران ، والمَحْبر واللُّعاب ، والأَغرّ والغُراب ، وشُقْلة والْعُقاب ، والْفَيَّاض واليعبُوب ، والمذهَّب واليَعْسوب ، والصحون والقَطِيب ، وهيدب والصَّبيب ، وأَهْلُوب وهَدَّاج ، والحرُون والحرَّاج ، وعُلوى والجناح ، والأَحْوى ومَحاح ، والعصا والنَّعامة ، والمبَلْقا والحَمَامة ، وسِكاب والجرادة ، وخبوصاً والعَرادة . وكم بين الشَّاهد والغايب ، والفُروض والرَّغايب ، وفرق ما بين الأَثر والْعِيان ، غنىً عن البيان ، وشتَّان ما بين الصريح والمُشْتَبه ، ولله درُّ القايل «خُذْ ما تراه ، ودَعْ شيئاً سمعت به »، والناسخ يختلف به الحكم ، وشر الدواب عند التفضيل الصُّم والبُكم ، إلاَّ ما ركبه نبىٌّ ، أو كان له يوم الافتخار برهان مَرْعىّ[2] ، ومُفَضِّل ما سمع على ما رأى غبى . فلو أَنْصَفت محاسِنها التى وُصفت ، لأَقْضَمت حبَّ القلوب علفا ، وأَوردت ماءَ الشَّبيبة نُطَفاً ، وتخذت لها من عذر الخُدود المِلاح عُذْر مَوْشِيَّة ، وعللت بصفير أَلحان القِيان كلَّ عشيَّة ، وأَهلَّت[3] بالأَهلة ، وغُطيت بالرياض بَدَل الأَجِلَّة إلى

---

(١) وردت فى الإسكوريال (الحسد) . والتصويب من التعريف .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (خبى) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (انعلت) .

الرقيق ، الخليق بالحُسْن الحقيق ، تسوقه إلى مثوى الرِّعاية روقة الفتيان رعاته ، وتهدى عقيقَها من سبحه أَشْكالا ، تشهد للمخترع سبحانه ، بإحكام مخترعاته ، وقَّفت ناظر الاستحسان لا يُريم لما بهرها منظرُه الكريم ، وتحامل الظَّليم ، وتضاءل الرِّيم . وأخرص مُفوَّهُ اللسان [بملكة التبيان][1] الحفيظ العليم . وناب لسانُ الحال عن لسان المقال عند الاعتقال . فقال يخاطب المقام ، الذى أطلعت أزهارُها غمايم جُودِه ، واقتضت اختيارُها بَرَكة وجُوده . لو علمنا أيها الملك الأَصيل ، الذى كرم منه الإجمال والتَّفصيل ، أن الثناء يُوازيها ، لَكِلْنا لك بكيلك . أو الشكر يُعَادِلُها أو يُجازيها ، لتعرَّضنا بالوَشَل إلى نيل نبلك ، أو قلنا هى التى أشار إليها مُسْتصرخ سَلَفِك المستنصر بقوله : « أدرك بخيلك » ، حين شَرِق بدَمْعه الشَّرق ، وانهزم الجمع ، واستولى الفَرق ، واتسع فيه ، والحكم لله ، الخرق ، ورأى أن مقام التَّوحيد بالمظاهرة على التَّثْليث ، وحزبه الخبيث ، هو الأَولى والأَحق . والآن قد أغنى الله بتلك النيَّة ، عن اتخاذ[2] الطوال الرَّدينية ، وبالدعاء من تلك المثابة الدينية ، إلى ربِّ البنيَّة عن الأَمداد السَّنية ، والأَجواد تخوض بحر الماء إلى بَحْر المنيَّة ، وعن الجُرْد العربية فى مَقَاود اللُّيوث الأَبيَّة ، فجدَّد برسم هذه الْهَدية ، مراسِم العهود الْوِدِّية ، والذِّمم الموحِّدية ، لتكون علامة على الأَصل ، ومُكَذِّبة لدعوى الوقف والفصل ، وإشعاراً بالأُلْفَة التى لا تزال أَلِفُها بحَوْلِ الله ، أَلِفَ الوصْل ، ولامُهَا حَرَاماً على النَّصل .

وحضَر بين يدَيْنا رسُولُكم فُلاَن ، فقرَّرَ من فَضْلِكم ، ما لا ينكره من عرف عُلُوَّ مقْدارِكم ، وأَصالَة داركم ، وفَلَك أَبداركم ، وقُطْب مداركم ، واجبنا عنه بجهد ماكنا لنقنع من جِناه المُهْتصر ، بالمُقْتَضبِ المُخْتصر ، ولا لنقابل طُول طَوْله بالْقِصر ، لولا طروء الْحَصَر . وقد كان بين الأَسلاف ، رضوان الله عليهم وُدٌّ أُبرمت من أَجل الله

(١) هذه الزيادة من الإحاطة .
(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (إنجاد) .

معاقدُه ووثِّرت للخلوص الجلِّ المنصوص، مضاجعُه القارة ومراقدُه [وتعاهد بالجميل][1] توجَّع لفقده فيما سلف فاقدُه ، أبى الله إلاَّ أن يكون لكم الفضل فى تجديده ، والعطف بتوكيده . فنحن الآن لا ندرى أى مكارمكم تُذكر ، أو أى فواضلكم تُشْرح أو تُشكر . أمفاتحتكم التى هى عندنا فى الحقيقة فَتْح، أم هَدِيتكم ، وفى وصفها للأَقلام سَبْح ، ولعدوِّ الإسلام بحكمة حكمتها كَبْح . إنما نَكِل الشكر لمن يوفِّى جزاءَ الأعمال البرّة ، ولا يُبخس مثقال ذرة ، ولا أدنى من مثقال الذرّة ، ذِى الرَّحمة الثرَّة ، والألطاف المستمرة ، لا إله إلا هو .

وإنتَشَوَّفتم إلى الأحوال الراهنة ، وأسباب الكفر الواهنة ، فنحن نُطْرفكم بطَرَفها ، وهو أننا كما أعادنا الله من التمَّحيص ، إلى مثابة التخَّصيص ، من بعد المرام العويص ، كحلنا بتوفيق الله بصَر البصيرة ، ووقَفْنا على سبيله مساعى الحياة القَصِيرة ، ورأينا كما نقل إلينا ، وكُرِّر من قبلنا وعلينا ، أن الدنيا وإن غرَّ الغُرور ، وأقام على سُرَر الغفلة السُّرور ، فلم ينفع الخُطور[2] على أَجْداث الزَّمان[3] . والمرور جسريُعبر ومتاع لا يُغبط ، من حُبِى به ولا يُجبر ، إنما هو خبر فيه يُخبر ، وأن الأعمار أحلام ، وأن الناس نيام ، وربما رحل الرَّاحل عن الخان قد جلَّله بالأذى وبالدُّخان ، أو ترك بعده طيباً وثَناً يقوم بعده للآتى خطيباً . فجعلنا العدل فى الأُمور مِلاكاً ، والتفقُّد للثغور مِسْواكاً ، وضجيع المهاد ، حديث الجهاد ، وأحكامه مناطُ الاجتهاد ، وقوله « ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم » دليل الإشهاد . وبادرنا رَمَق[4] الحصون المُضاعة ، وجُنح

(١) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الحضور) والتصويب من الإحاطة .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (الاحباب) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (من) ، والتصويب من التعريف .

التقيَّة دامس ، وعوراته لا تردُّ يدَ لامِس ، وساكنها بايس ، والأَعصم فى شعباتها من العصمة آيس . فرتبنا[١] ببيض الشرفات ثناياها ، وأَفْعَمنا بالعَذْب الفُرات رکاياها ، وغشينا بالصَّفيح المضاعف أَبوابها ، واحتَسَبْنا عند موفّى الأُجور ثوابها ، وبيَّضْنا بناصِع الْكَلْس أَثوابها . فهى اليوم توهم حُسْن العِيان أَنها قطع من بِيض العِنان ، تكاد تناول قُرْص البدر بالبنان ، متكفِّلة للمؤمن من قرع الدنيا والآخرة بالأَمان ، وأَقرضنا الله قرضاً ، وأَوسعنا مدوَّنة الجيش عَرَضاً ، وفرضنا أَنصافه مع الأَهِلَّة فَرْضاً ، واستندنا من التوكل على الله الغنى الحميد إلى ظل لواء ، ونَبَذْنا إلى الطاغية عهده على سواء ، وقلنا ربنا أَنت العزيز ، وكل جبار لعزِّك ذَليل ، وحزبُك هو الكثير ، وما سواه فقليل ، أَنت الكافى ، وَوَعْدُك الوعْدُ الوافى ، فأَفِض علينا مَدارع الصَّابرين ، واكتبنا من الفائزين بحظوظ رضاك الظافرين . [وثبت اقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين][٢] .

فتحركنا أُولى الحركات ، وفاتحة مُصْحف البركات ، فى خِفٍّ من الحشود ، واقتصار على من بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود ، إلى حصن أَشِر[٣] السَّامى[٤] المطل ، وركاب العدو الضَّال المضل ، ومُهدى نفثات الصِّل ، على امتناعة وارتفاعه ، وسُمر يفاعه ، وما بذل العدو فيه من استعداده ، وتوفير أَسلحته وأَزوادِه ، وانتخاب أَنْجاده ، فصَلَيْنَا عليه بنفسنا ناره ، وزاحمنا عليه الشهداء نصابر أُواره ، ونلقى بالجوارح العزيزة سهامه [المسمومة وجلاسِده][٥] الملومة وأَحجاره ، حتى فَرَعنا بحول الله ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (فرأينا) .

(٢) مابين الخاصرتين وارد فى الإحاطة وساقط فى الإسكوريال .

(٣) كان حصن أشر ، حسبما تقدم من حصون إشبيلية الأمامية فى هذا العصر . وقد افتتحه السلطان محمد الغنى بالله سنة ٧٦٨هـ (١٣٦٧م) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (البازى) .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد فى الإحاطة وساقط فى الإسكوريال .

من لا حول ولا قوة إلاَّ به ، أبراجه المنيعة وأسواره ، وكفَفْنا عن العباد والبلاد أضراره ، بعد أن أضفنا إليه حِصْنَ السَّهلة جاره ، ورحلنا عنه بعد أن شحنَّاه رابطة وحامية ، [وأَوْسَعناه][1] أزْواداً نامية ، وعملنا بيدنا فى رمِّ ما ثَلم القتال ، وبَقَر من بطون مسابِقه الرجال ، واقتدينا بنبينا صلوات الله وسلامه عليه ، فى الخندق ، لما حمى ذلك المجال ، ووقع الارتِجاز المنقول خبرُه والارتِحال ، وما كان ليقر الإسلام مع تركه القرار ، وقد كُتب الجوار ، وتداعى الدَّعرة وتعاون الشِّرار .

وقد كنا أغزينا الجهة الغربية من المسلمين ، مدينة بُرْغة ، التى سَدَّت بين القاعدتين رندة ومالقة الطريق ، وألبست ذل الفراق ، ذلك الفريق ، ومنعتهما أن يسيغا الريق ، فلا سبيل إلى الإلمام لِطَيف المنام إلا فى الأحلام ، ولا رِسالةٌ إلَّا فى أجنحة هَدْى الحمام ، فيسّر الله فَتْحها ، وعجَّل مَنْحها ، بعد حرب انبتَّت فيها النحور ، وتزيَّنت الحور . وتبع هذه الأم بنات شهيرة ، وبقع للزرع والضرَّع خِيرة ، فشُفى الثغر من بُوسه ، وتهلل وجه الإسلام بتلك الناحية بعد عُبُوسه . ثم أعملنا الحركَة إلى مدينة أُطْريرَة[2] على بعد المدا ، وتغلغلها فى بلاد العدا ، واقتحام هول البلا وغُول الردى ، مدينة تبنتها حمص[3] فأَوْسَعَت الدار ، وأغلت الثِّوار ، وراعت الاستكثار ، وبسطت الاعتمار . رجح إلينا قصدها على البعد ، والطريق الجَعْد ، ما أسفت به المسلمين ، من استيصال طايفة من أَسْراهم ، مروا بها آمنين ، وبظاهرها المشئوم متيمنين ، قد أنهكهم الاعتقال والقيود الثِّقال ، وأَضْرَعهم الأسار ، وجلَّلهم الانكسار ، فجدَّلوهم فى

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الإحاطة .

(٢) هى بلدة أندلسية صغيرة تقع شرق الوادى الكبير وجنوب شرق إشبيلية .

(٣) حمص هو اسم يطلق أحياناً على إشبيلية .

مصرعِ واحد ، وتركوهم عبرة للرائى والْمُشاهد ، وأهدوا بوقيعتهم إلى الإسلام ثَكَل الواجد ، وثرَّة الماجد . فكبسناها كَبْساً ، وفجأناها بإلهام من لا يَضِلُّ ولا ينسى . فصَبَحتْها الخيل ، ثم تلاحق الرَّجْل ، كما جُنَّ السَّيل ، وحاق بها الْوَيْل ، فأُبيح منها الذِّمار ، وأخذها الدَّمار ، ومُحِقت من مصانعها البِيض الآهِلَة ، وخُسِفت الأقمار ، وشُفِيت[1] من دما أهلها الضلوع الْجرار ، وسُلِّطَتْ على هياكِلها النار ، واستولَى على الآلات العديدة من سَبْيها الأَسَار ، وانتهى إلى إشبيلية الثكلى المغار ، فجلَّل وُجُوه مَنْ بها من وجوه كبار النصرانية الصِّغار ، واستولت الأَيدى على ما لا يسَعَه الوصف ، ولا تقلُّه الأَوْقار . وعُدْنا والأَرض تموج سَبْياً ، لم تترك بعفرِّين شِبلاً ، ولا بوَجْرة ظَبْياً ، والعقايل حسرى ، والعيون يبهرها الصنع الأَسرى [وصبح السُّرى قد حمد من بعد بُعد المسرى ، فسبحان الذى أسرى ، ولسان الحمية ينادى فى تلك الكنائس المخربة والنوادى ، بالِثَارات الأَسرى][2] .

ولم يكن إلاَّ أن نُقلت الأَنفال ، ووُسمت ، ورُسمت بالإيضاح الأَغفال ، وتميزت الهوادى والأَكفال . وكان إلى غزو مدينة جيَّان الاحتفال ، قدنا إليها الجُرد تُلاعِب الظلال نشاطاً ، والأَبطال تقتحم الأَخطار رضى بما عندالله واغتباطاً ، والمهندة الدَّلق تسبق إلى الرقاب استلالاً واختراطاً ، والردينيّة السمر تسترط حيَّاتها النفوس استراطاً . واستكثرنا من عُدد القتال احتياطاً ، وأَرحنا العلل عمن أَراد جهاداً ، مُنجياً غباره من نار جهنم ورباطاً ، وناديناالجهاد الجهاد ياأُمة النبى الهادِ ، الجنة الجنة تحت ظلال السُّيوف الحداد ، فهزَّ [النداءُ][3] إلى الله

---

(١) وردت فى الإسكوريال (وسيبت) والتصويب من الإحاطة .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الإحاطة وساقط فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

كل عامر وغامر ، وائتمر الجم من دعوة الحق إلى أَمْرٍ آمر . وأتى الناس[١] من الفُجوج العميقة رجالاً ، وعلى كل ضَامر ، وكاثَرَت الرياض أزهار البِطاح لَوْناً وعدًّا ، وسَدَّت الحشود مسالك الطرق العريضة سدًّا ، ومُدَّ بحرها الزاخر مدًّا ، فلا يجدُ لها الناظر ولا المناظر حدًّا . وهذه المدينة هى الأُم الْوَلُود ، والجنة التى فى النَّار لسُكَّانها الْخُلود ، وكرسى الملك ، ومجنَّبتَه الْوُسطى من ذلك السِّلك ، باءَت بالمزايا العديدة ونجحت ، وعند الوِزان بغيرها من أُمَّات البلاد رجَحت ، غاب الأُسود وجحر الحيَّات السُّود ، ومنصب التماثيل الهائلة ، ومَعْلق النواقيس الصَّايلة . وأَدْنَينَا إليها المراحل ، وعيَّنا ببحار المحلاَّت المستقلات منها على السَّاحل . ولما اكتَبَسنا جوارها ، وكدنا نَلْتَمح نارها ، تحركنا ، ووشاح الأُفق المرقوم بزُهر النجوم ، قد دار دايِرُه ، والليل من خوف الصباح [على سرحه المستباح][٢] قد شابت غَدايرُه ، والنِّسر يرفرف باليُمن طايره ، والسِّماك الرمّاح يثأَر بعز الإسلام ثائِره ، والنَّعايم راعدة [فرائص][٣] الجَسَد من خوف الأَسَد ، والقوس يرسل سهم السعادة ، بِوِتر العادة ، إلى أَهداب النِّعم المعادة ، والجوزاءُ عابرة نهر المجرَّة ، والزُّهرة تغار من الشِّعرى ، العبور بالضرَّة ، وعطارد يُسْدى فى حبل الحروب على البلد المحروب ويُلْحم ، ويناظر أَشكالها الهَنْدَميَّة فيُفْحم ، والأَحمر يبهر ، والعلم [الأَبيض يفرى وينهر][٤] والمشترى يُبدى فى فضل الجهاد ويُعيد ، ويزاحم فى الحلقات على ما للسعادة من الصفات ويزيد ، وزُحل عن الطَّالع مُنْزَحل ، وفى زَلَق السقوط وحِل ، والبدرُ يطارح حِجْر المنجنيق كيف يهوى إلى النِّيق ، ، ومطلع الشمس يرقب ، وجدار الأُفق يكاد بالعيون عنها يرقب .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (النفوس) والتصويب من الإحاطة .
(٢) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هذه العبارة واردة فى الإحاطة ومكانها بياض فى الإسكوريال .

ولما فشا سِرُّ الصباح ، واهتزت أعطاف الرايات لتحيات مبشِّرات الرياح ، أَطَلْنا عليها إطلال الأُسُود على الفَرايس ، والفُحول على العَرايس ، فنظرنا منظراً يَرُوع بأْساً ومَنَعة ، ويروق وضْعاً وصَنْعةً ، تلفَّعت معاقله الشُّم للسَّحاب ببرود ، ووردت من عُذُر المزن فى برود ، وأسرعت لاقتطاف أزهار النجوم [والذراع بين النطاق][1] معاصمُ رود ، وبلد يعى المـاسح والذَّارع ، وينتظم المجانى والأَجَارع . فقُلْنَا اللَّهم نفِّلْه أيدى عبادك وبلادك[2] ، وأَرِنا فيه آية من آياتِ جهادك . فنزلنا بساحتها العريضة المتُون ، نزول الغيث الْهَتُون ، وتيَّمنا من فحصها الأَفيح ، بسورة التِّين والزيتون ، متبرية من أمان الرحمن للبلد المفتون ، وأَعْجلنا الناس بحميَّة نفُوسهم النفيسة ، وسَجِيَّة شجاعتهم البيسة ، عن أَن نُبوىَ للقتال المقاعد ، ونُدنى بأَسماع شهير النفير منهم الأَباعد . وقبل أَن يلتقى الخديم بالمخدوم ، ويركع المنجنيق ركعتى القدوم ، فدافعوا من أَصْحَر إليهم من الفرسان ، وسبق إلى حَوْمة الميدان ، حتى أَحْجَروهم فى البلد ، وسلبوهم لباس الجَلَد ، فى موقف يُذهل الوالد عن الولد ، صابت السِّهام فيه غماماً ، وطارت كأَسراب الحمام تهدى حِماماً ، وأَضحَت القنا قِصَداً بعد أَن كانت شِهاباً رَصَداً ، وماج بحر القتام بأَمواج النُّصول ، وأَخذ الأَرض الرَّجفَان لزلزال الصباح الموصول ، فلا ترى إلاَّ شَهيداً تُظَلِّل مصرعَه الْحُور ، وصريعاً تَقْذف به إلى الساحل تلك البحور [ونواشب تبأى][3] بها الوجوه الوجيهة عند الله والنُّحور . فالمُقْضِب فوده يخضب ، والأَسمر غُصْنُه يستثمر ، والْمُغْفر حِمَاه يُخْفر ، وظهور القسىّ تُفْصَم ، وعصم الْجُند[4] الكوافر تفصم ، ودرق[5] اليلب فى المُنْقَلب يسقط ،

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الإحاطة .
(٣) وردت هذه العبارة فى الإحاطة ، ومكانها فى الإسكوريال (تباهى) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (الجفون) ، والتصويب من التعريف .
(٥) هذه الكلمة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

والبُتَّر يكتب ، والسُّمر تنقط . فاقتُحم الربضُ الأَعظم لحينه ، وأَظهر الله لعيون المُبْصرين والمُسْتَبصرين عزَّة دينه ، وتبرأ[١] الشيطان من خَدِينه ، وبَهَت الكفار وخُذِلوا ، وكل مَصْرع[٢] جُدِّلوا . ثم دُخل البلد بعده غلاباً ، وجُلِّل قتلاً واستِلاباً ، فلا تسَل إلاَّ الظِّبا والأَسَل عن قيام ساعته ، وهَوْل يومها وشناعته ، وتخريب المبايت والمبانى ، وغِنى الأَيدى من خزاين تلك المغانى ، ونقل الوجود الأَول إلى الوجود الثانى ، وتخارَق السَّيف فجار بغير المعتاد ، ونَهَلت القنا الرَّدينيَّة من الدما حتى كادت تُورِق كالأَغصان المُعْترسة والأَوتاد ، وهَمَت أَفلاك القسىّ وسحَّت ، وأَرْبَت حتى بُحَّت ، ونَفِدت موادها فشحّت بما أَلحَّت ، وسَدَّت المسالك جثث القتلى فمنعت العابر ، واستأْصل الله من عدوِّه الشَّأْفَة وقطع الدَّابر ، وأَزْلَف الشَّهيد ، وأَحْسَب الصَّابر ، وسَبَقَت رسل الفتح الذى لم يُسمع بمثله فى الزمن الغابر ، تنقل البُشْرى من أَفواه المحابر إلى أَذان المنابر .

أَقمنا بها أَياماً نَعْقُر الأَشجار ، ونستأْصل بالتخريب الوَجار ، ولسان الانتقام من عَبَدة الأَصنام ينادى يا لِثارات الإسكندرية تشفِّياً من الفُجَّار ، ورعْياً لحق الجار . وقفلنا وأَجنحة الرايات برياح العنايات خافقة ، وأَوفاق التوفيق الناشية من خطوط الطريق وأَسواق العزّ بالله نافِقَة ، وحملاءُ الرفق مصاحبة ، والحمد لله مرافقة ، وقد ضاقت ذروع الجبال عن أَعناق [الصبِّ السِّيال][٣] ، ورفعت على الأَكفال رِدفاً كرايم الأَنْفال ، وقُلْقِلت من النواقيس أَجْرام الجبال ، بالهندام والاحتيال ، وهلكت بهلاك هذا الأُمّ بنات [كن يرتضعن][٤] ثُدِيَّها الحوافل ، ويَسْتَوثِرْن حِجْرها الكافل . وشمل التخريب أَسوارها ، وعجَّلت النار بوادرها .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (هذا) ، والتصويب من الإحاطة .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (مرصد) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى الإحاطة (الصهب السبال) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإحاطة ومكانها بياض بالإسكوريال .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ،وأرسلنا الأَدِلَّاء قبل المنح ، فبشرت بالمنح ، وقصدنا مدينة أُبَّدة ، وهى ثانية الجناحين ، وكُبرى الأُختين ، ومُساهمة جيان فى ذى الحين ، مدينة أَخذت عريض الفضا الأَخْرَق ، وتمشَّت فيه أَرباضُها تمشِّى الكتابة الجامحة فى المهرق ، المشتملة على المتاجر والمكاسب [والوضع المتناسب][(١)] والْفَلْح المُعِي عدُّه[(٢)] على الحاسب ، وكورة الدير[(٣)] اللاَّسِب ، المتعددة اليَعَاسِب ، فأَناخ العفا بربوعها العامرة ، ودارت عقار كؤوس عُقار الحتوف ، ببنان السُّيوف على مُتَدَيِّرها المعاقرة ، وصبحتها طلائع الفاقرة ، وأَغريت ببطون أَسوارها عُوج المعاول[(٤)] الباقرة . ودُخلت مدينتها عَنْوةَ السَّيف ، فى أَسرع من خَطْرَة الطَّيف ، ولا تَسَل عن الكَيْف ، فلم يبلغ الْعَفَا من مدينة حافلة ، وعقيلة فى حُلَلِ المحاسن رافِلة ، ما بلغ من هذه البائِسة التى سجدت لآلهة النار أَبراجُها [وتضاءل بالرغام معراجها][(٥)] ، وضفت على أَعطافها ملابس الْخِذلان ، وأَقفر من كنائِسها كِناس الغزلان .

ثم تأَهبَّنا لغزو أُم القرى الكافرة ، وخزاين المداين الوافرة ، وربَّة الشهرة السَّافرة والأَنباء المسافرة ، قُرْطُبَة ، وما أَدريك ماهِية ، ذات الأَرجاء الحالية الكاسِية ،والأَطواد الراسِخة الراسِية ،والمبانى الْمُباهية ، والزهراء المزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ، حيث هالة بدر السما قد استدارت من السور المشيد البناء داراً ، ونهر الْمَجَرَّةِ من نهرها الفَيَّاض ، المسْلُولِ حسامه من غمُد [الفياض][(٦)] قد لصق بها جاراً ، وفلك الدُّولاب المعتدل الانقلاب ، قد استقام مَداراً ، ورجَّع

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (ريعه) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (البديد) ، والتصويب من الإحاطة .
(٤) وردت فى الإسكوريال (المعاون) ، والتصويب من التعريف .
(٥) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هذه الكلمة واردة فى الإحاطة ، وساقطة فى الإسكوريال .

الحنين اشتياقاً إلى الحبيب الأول وادٌّ كاراً ، حيث الطُّود كالتاج يزدان بلُجين العذب المجَاج ، فيزرى بتاج كِسرى ودارا ، حيث قِسِيِّ الجسُورِ المديدة كأنها عُوج المطيِّ الغزيرة[١] ،تعبر النهر قطاراً ، حيث آثار العامريِّ المجاهد تَعْبَقُ من تلك المعاهد شذا مِعطاراً ،حيث كرايم السحايب تزوره عرايِس الرياض الحبايِب ، فتحمل لها من الدرِّ نِثاراً ، حيث شمول الشَّمايل[٢] تدور على الأَدواح بالغدو والرواح ، فترى الغصون سكارى وما هى بسُكارى ، حيث أَيدى الافتتاح تَفْتَضُّ من شقايق البطاح أَبكاراً ،حيث ثغور الأَقاصى البواسم ، تقلِّبها بالسِّحر زوَّارُ النواسم ، فتَخْفَق قلوب النجوم الغَيارا ، حيث المصلى العتيق قد رَحُبَ مجالا ، وطال منارا ، وأَزرى ببلاط الوليد احتقارا ، حيث الظهور المُثَارة بسلاح الفلاح تجبُّعن مثل أَسْنِمة المهارا ، والبطون كأَنها لتدميث الغمايم بطون العذارى ، والأَدْوَاح العالية تخترق أَعلامها الهادية بالجداول الحَيارا ، فما شيت من جوٍّ صقيل ، ومُعرَّسٍ للخنس ومَقيل ، ومالك للعقل وعَقيل ، وخمايلُ كم فيها للبلابل من قال وقيل ، وخفيفٌ يُجاوب بتثقيل ، وسنابل تحكى من فوق سوقها ، وقُضُبٌ بسوقها الهمزات فوق الأَلِفات ، والعصافير البديعة الصِّفات فوق القُضُب المؤْتَلِفات ، تميل لهبوب الصَّبا ، والجنوب مالية الجيوب ،وبطاح لا تعرف [بدرر الحبوب][٣] عين المحل فتطلبه بالدحل[٤] ، ولا يصرف فى خدمة بيض قِباب الأَزهار ، عند افتتاح السُّوسْن والبَهار ، غير العُبدان من سودان النَّحل وبحر الفلاحة ، الذى لا يُدرك ساحِله ، ولا يبلغ القبَّة البعيدة راحِلُه ، إلى الوادى وسُمر النوادى ، وقرار دموع الغَوادِى ، المتجاسِر على تخطِّيه عند تمطِّيه الجسر

---

(١) وردت فى الإسكوريال (العديدة) ، والتصويب من الإحاطة .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (الشمال) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) وردت فى الإسكوريال (بالوحل) ، والتصويب من الإحاطة .

العادِى ، والوطن الذى ليس من عمرو ولا زيد ، والفِرا الذى فى جَوْفِه كلُّ الصَّيد . أَقلَّ كُرْسِيه خِلافَة الإسلام ، وأَغار بالرُّصافة والْجِسْر دار السَّلام ، وما عسَى أن تطنب فى وَصْفِه أَلْسِنَـةُ الأَقلام ، أَو تعبر به عن ذلك الكمال فنون الكلام . فأَعملنا إليها السُّرى والسير ، وقدنا إليها الخيل ، قد عُقِد فى نواصيها الخير .

ولما وقفنا بظاهرها الْمُبْهت الْمُعْجب ، واصْطَفَفْنَا بخارِجها الْمُنْبِت الْمُنْجِبُ ، والقلوب تلتمس الإعانة من مُنْعِمٍ مُجْزِل ، وتستنزل الملائِكة من مُنجد مُنزل ؛ والركايب واقفة من خلفنا بمَعْزِل ، نَتَناشد فى معاهد الإسلام : قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل . برز من حاميتها المحامية ، ووقود النار الحامية ، وبقية السَّيف الوافرة على الحصاد النَّامية ، قِطَعُ الغمام الهامية ، وأَمواج البحار الطامية . واستجنَّت بظلال أَبطال المجال ، أَعداد الرجال النَّاشِبة والرَّامية ، وتصدى للنِّزَال من صَناديدها الصُّهب السِّبال أَمثال الْهِضاب الرَّاسية ، يجنها جنن السَّوابغ الكاسِية ، ونوامِيسُها الْمُفادية للصُّلبان يوم بوسها بنفوسها المواسية ، وخنازيرها التى عَدَتها عن قُبول حجج الله ورسوله سُتور الظلم الغاشية ، وصُخُور القلوب القاسِية . وكان بين الفريقين ، أَمام جسرِها الذى فرق البحر ، وحلى بلُجَينه ولآلئ زينه منها النَّحر ، حَرب لم يُنسج على منوالها ، ولا أَتَت الليالى الْحُبالى بمثل أَجنَّة أَهوالها ، من قاسها بالفجار أَفَكَ وفَجَر ، أَو مثَّلها بحفر الهباءة خَرف وهجر ، ومن شبَّهها بِدَاحِس والغَبْراءِ ، فما عرف الخَبَر ، فليُسْأَل من جرَّب وخبر ، ومن نظرها بيوم شُعُب جَبَله ، فهو ذو بَلَه ، أَو عادَلَها ببطن عاقل ، فهو غير عاقل ، أَو احتج بيوم ذى قار ، فهو إلى المعرفة ذو افْتِقار ، أَو ناضل بيوم الكديد ، فسهمه غير السَّديد ، إنما كان مقاماً غير معتاد ، ومرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مرتاد ، وزلزال جبال أَوتاد [ومُتْلف مَذْخُور][1]

(١) وردت هذه العبارة فى الإسكوريال (وملتف من حور) ، والتصويب من الإحاطة .

لسلطان الشيطان وعتاد ، أعلم فيه البطلُ الباسلُ، وتردَّد الأَبيض الباتِر ، وتأَوَّد الأَسمر العاسِل[١] ، ودوَّم الجَلْمَدُ المتكاسل ، وابتعث من حدب الحَنِيَّة إلى هدف الرَّمِيَّة الناشر الناسل ، ورويت لمرسلات السهام المراسل . ثم أَفْضَى أمر الرِّماح إلى التشاجر والارتباك ، وتشبثت الأَسِنَّة فى الدروع تشبث السِّماك فى الشِّباك، ثم اختلط المرعى بالهَمَل ، وعُزِل الرديني عن العمل ، وعادت السيوف من فوق المفارق تيجاناً ، بعد أن شَقَّت غدر السَّوابغ خلجاناً ، واتخذت جداول الدروع فصارت بحراً . وكان التعانق فلا ترى إلا نَحْراً يلازم نحراً ، عناق وَدَاع ، وموقف شمل ذى انْصِداع ، وإجابة مناد إلى فراق الأَبد وداع ، واستكشفت منال الصَّبر الأَنفس الشفافة [وهبت بريح النصر الطلائع المبشرة الهفافة][٢] ثم أَمد السَّيل ذلك العُباب ، وصقل الاسْتِبْصار الأَلباب ، واسْتَخْلص العزم صَفْوة اللُّباب ، وقال لسان الصبر[٣] ادخلوا عليهم الباب ، فأَصبحت طوايف [الكفار][٤] حصايد مناجل الشِّفار ، فمغافرهم قد رضيت حُرُماتُها بالإِخفار ، ورؤُوسهم مَحطُوطة فى غير مقام الاستغفار ، وعلَت الرَّايات من فوق تلك الأَبراج المستطرفة الأَسوار ، ورَفْرَف على المدينة جَناح الْبَوار ، لولا الانْتِهاء إلى الحدِ والمِقْدار ، والوقوف عند اختفاءِ سِرِّ الأَقدار .

ثم عَبَرْنَا نهرها ، وسدَّدْنا بأَيدى الله قَهْرها ، وضيَّقْنا حَصْرِها ، وأَدَرْنا بلآلى القباب البيض خَصْرها ، وأَقمنا بها أَياماً ،تحُوم عُقبان البنُود على فَريستها حياماً ، ونرمى الأَدواح بِبَوارها ، ونُسَلِّط النارعلى أَقطارها ، فلولا عَوايق المطر، لحصَلْنَا من فتح ذلك الوطن على الْوَطَر. فرأَينا أَن نروضها بالاجتثاث والانتساف،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (العامل) ، والتصويب من الإحاطة .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإحاطة وساقط فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى التعريف (النصر) .
(٤) واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

ونوالى على زروعها وربوعها كرَّاتِ رِياح الاعْتِساف ، حتى يتهيأ للإسلام لَوْك طُعْمتها ، ويتهيأ بفضل الله إرْثُ نعمتها . ثم كانت عن موقفها الإفاضة من بعد نحر النحور ، وقذف جِمار الدَّمار على العدو المذعور ،وتدافعت خلفنا السِّيقات المتَّسعات ، تدافع أمواج البحور . وبعد أن ألححنا على جنَّاتها المُصْحِرة ، وكرومها المُسْتَبْحرة إلحاح الغريم ، وعوضناها المنظر الكريه [من المنظر الكريم][1] ، وطاف عليها طائف من ربِّها[2] ، فأصبحت كالصَّريم ، وأغرينا خيلان النار بحمم الجحيم ، وراكنَّا فى أجواف أجوابها غمايم الدخان ، تذكر طِيبةَ البان . بيوم الغَميم ، وأرسلنا رياح الغارات ، فما تَذَر من شيءٍ أتت عليه إلاَّ جعلته كالرَّمِيم . واستقبلنا الوادى يهول مدًّا ، ويردع سيفه الصقيل خدًّا ، يَسَّرَهُ الله من بعد الإعواز ، وانطلقت على الْفُرْضة بتلك العرضة ، أيدى الانتهاز ، وسألنا من سائله أسدُ بن الفرات ، فأفْنى برجحان الجواز . فعمَّ الاكْتِساح والاسْتِباح جميع الأجواز ، فأُديل المصون ، وانتُهِبت القرى ، وهُدِّمت الحصُون ، واجتُثَّت الأُصول ، وحُطِّمت الغُصون ، ولم نرفع عنها إلى اليوم غارة تصاحبها بالبوس ، وتطلع عليها غررها الضاحكة باليوم العبوس ، فهى إلى الآن مَجْرى السوابق ، ومجرُّ العوالى على التَّوالى ، والحسرات تتجدَّد فى أطلالها البَوالى . وكأن بها قد صُرِعت ، وإلى الدعوة المحمدية قد أسرعت [بقدرة من أنزل القرآن على الجبال فخشعت من خشية الله وتصدعت][3] لعزة من أذعنت الجبابرة لعزه وخنعت . وعدنا والبنود لا يعرف الملف نشرها ، والوجوه المجاهدة لا يخالط التقطّب بشرها ، والأيدى بالعروة الوثقى معتلقة ، والألسن بشكر الله منطلقة ، والسيوف فى مضاجع [الغمود][4] قلقة ، وسرابيل الدُّروع خِلقة ، والجياد من ردِّها إلى

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى الإحاطة .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الإحاطة (ربه) .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالإحاطة وساقط فى الإسكوريال .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الإحاطة . وساقطة فى الإسكوريال .

[المرابط و][1] الأَوارى ردَّ العوارى حنقة ، وبعبرات الغيظ المكظوم مختنقة ، تنظر إلينا نَظَر العاتب ، وتعود من ميادين المراح والاختيال تحت حلل عود السلاح عَود الصِّبيان إلى المكاتب ، والطبل بلسان العزِّ هَادِر ، والعزم إلى منادى العود الحميد مُبادِر ، ووجود نوع الرماح من بعد ذلك الكفاح نادر ، والمقاسم تُرتب بين يديه من السبي النوادِر . ووارد مناهل الأُجور غير المُحَلاَّ ولا المهجور غير صادر ، ومناظر الفَضْل الآتى ، عقب أُخيِّه الشانى عن المطلوب الآتى مُصادِر ، والله على تَيْسير الصعاب ، وتَخْويل المنن الرِّغاب قادر ، لا إلَه إلا هو ، فما أَجمل لنا صُنْعه الحفى ، وأَكرم لنا لطفه الخفى . اللهم لا نحصى مَنًّا عليك ، ولا نلجأُ منك إلاَّ إليك ، ولا نلتمس خير الدنيا والآخرة إلاَّ لَدَيْك . فأَعِد علينا عَوايد نصرك يا مُبْدِى يا مُعِيد ، وأَعِنَّا من وسائل شكرك على ما ننالُ بِه المزِيد ، ياحَيُّ ياقَيُّومْ ، يافَعَّالٌ لما يُريد .

وقَارَنَتْ رسالتكم الميمونة لَدَيْنَا حِذق فتح بعيد صيتُه ، مُشْرَيبٌّ ليتُه ، وفخر من فوق النجوم العوائم مَبِيتُه ، عجبنا من تأَنِّى أَمله الشارِد ، وقلنا البركة ، فى قدم الوارد ، وهو أَن ملك الروم ، لا طفنا بجملة من الحصون كانت من مُلكة الإِسلام قد غُصِبت ، والتماثيل فى بيوت الله قد نُصِبت ، أَدالها الله بمحاولتنا الطيِّب من الخبيث ، والتَّوحيد من التثليث ، وعاد إليها الإِسلام عودة الأَب الغايب إلى البنات الحبايب ، يَسَلُ عن شُؤونها ، ويمسح الرقة عن جفُونها ، وهى للرُّوم خطَّة خَسْفٍ ، قلما ارتكبوها فيما يعلم من العهود ، ونادرة من نوادر الوجود ، وَالَى الله علينا وعليكم عَوارِف الْجُود ، وجعلنا فى محارِيب الشكر من الركَّع السُّجود .

عرفناكم بمجملات أُمور تحتها تفسير ، ويُمْن من الله وتَيْسير ، إذ استيفاء

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الإحاطة وساقطة فى الإسكوريال .

الجزئيات عَسِير ، لنسرَّكم بما منح الله دينكم ، ونتوّج بعزِّ المِلَّة الحنِيفِيَّة جَبِينكم ، ونَخْطُب بعده دعاءَكم وتأْمينكم ، فإنَّ دعاءَ المؤمن لأَخيه بظهر الْغَيْب سِلاح ماض ، وكفيل للمواهب المسئولة من الْمُنْعم الواهِب مُسْتَفاض . وأَنتم أُولى من ساهَم فى بِرٍّ ، وعامل الله بخلوص سِرٍّ . وأَين يذهبُ الفضل عن بيتكم ، وهو صِفات حَيِّكم ، وتُراث مَيْتكم ، ولكم مزية الْقِدم ، ورُسُوخ القَدم . [تساوى فى ذلك النحرير مع الفِدم][1] . والخلافة مقرها إيوانُكم ، وأَصحاب الإمام مالك رضى الله عنه مستقرها قيروانكم ، وتفجير المنابر ذِكر إمامِكم ، والتوحيد إعلام أَعلامكم ، والوقائع الشهيرة فى الكفر منسوبة إلى أَيَّامكم ، والصَّحابة الكِرامَ فتَحةُ أَوطانكم ، وسلالة الفاروق عليه السلام وَشِيجة[2] سُلْطانكم . ونحن نستكثر من بركةِ خطابكم ، وَوَصْلَة جَنَابِكم ، ولولا الأَعذار ، لواليْنَا بالمتزايدات تعريف أَبوابكم . والله عزَّ وجلَّ يتولَّى عنَّا من شُكْرِكُم المحتوم ، ما قصَّر المكتوب فيه عن المكتوم ، ويبقيكم لإقامة الرسوم ، ويحلّ محبتكم من القلوب ، محلَّ الأَرواح من الجُسُوم ، وهو سبحانه يصل سَعْدكم ، ويحرس مَجْدكم ، والسلام [الكريم الطيب الزكى المبارك البر العميم يخصكم كثيراً أَثيراً][3] ، ما أَطلع الصباح وجهاً منيراً ، بعد أَن أَرسل النسيم سفيراً ، وكان الْوَميض [الباسم][4] لأَكواس الغمام على أَزهار الكمام مديراً ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقط فى الإحاطة .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الإحاطة (وشايج) .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الإحاطة ، وساقط فى الإسكوريال .
(٤) هذه الكلمة واردة فى التعريف .

وكان مما زيد فى آخر الرسالة النبوية فصل فى استفتاح
الجزيرة الخضراء صدر عنى إملاءً على الكتاب
عند ما توجه الرسول إلى ضريح رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وفى آخر ربيع الأول المبارك
من عام أحد وسبعين وسبعمائة . وأُغفل ذلك
عن موضعه إلى أن أُلحق بهذا الموضع

واستولى أهل الثغور لهذا الحد على معاقل ، كانت مُسْتَغْلقة ففتحوها ، وشرعوا أَرْشِية الرماح إلى قلب قلوبها فمنحوها ، ولم تكد الجيوش المجاهدة تَنْفض إلاَّ عن الأَعْراف مُتراكم الغُبار ، وترخى عن أباطيلها شدَّ حزم المغار ، حتى عاودت النفوسُ شَوْقها ، واستَتْبعت ذَوْقها ، وخصت التى لا فَوْقها ، وذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية ، والمدارك المُتَعاصية ، على الأَفكار المتغاصية . فقصدنا الجزيرة الخضراء ، باب هذا الوطن ، الذى منه طُرق وادِعُه ، ومطلع الحق الذى صدع الباطل صَادِعه ، وثنيَّةُ الفتح الذى برق منها لا مِعُه ، ومثيرة الهجُوم الذى لم تكن لتعبر على غيره مطامِعه ، وفُرْضَة المجاز الذى لا تنكر ، ومَجْمَع البحرين فى بعض ما يذكر ، حيث يتقارب الشطَّان ، وتتقاطر ذوات الأَشْطان ، وتقارب الحطَّان ، وكاد أن يلتقى حلقة البِطَانِ . وقد كان الكُفر قدَر قدْر هذه الفرْضَة ، التى طُرِق منها حِماه ، ورماه الفتح الأول مَرْماه ، وعلم أن لا يتصل أيدى المسلمين من إخوانهم إلاَّ من تلقائِها ، وأنه لا يَعْدَم المكروه مع بقائِها ، فأَجْلَب عليها بخَيْله ورَجْله ، وسدَّ أُفق البحر من أساطيله ، ومراكب أباطيله بقطع ليله ، وتداعَى المسلمون بالعُدْوتين إلى استنقاضها من لهواته ، أو إمساكها من دون مهواته ، فعجز الْحَوْل ، ووقع إياها بملكة القول ، واحْتَازها قهراً ، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهراً ، وأطرق الإسلام بعدها إطراق

الوَاجم ، واسودَّت الوجوه بخبرها الهاجم ، وبَكَتْها دموع الغيث السَّاجم ، وانقطع المدد إلاَّ من رحمة من يُنَفِّس الكروب ، ويُغْرِى بالإدالة الشروق والغروب . ولما شَكَكْنا بشَبا الله نحرها ، وأَغْصَصْنا بجيوش الماء وجيوش الأرض تكاثر نجوم السَّما برَّها وبَحْرها ، ونازلناها نضيقها شديد النزال ، ونحجَّها بصدق الوعيد فى غير سبيل الاعتزال ، رأينا بَأْوًا لا يظاهر إلاَّ بالله ولا يُطال ، ومنبعه يتحامى شَبَا الأَبطال ، وخبايا روضة الغيث الهطَّال . أَما اسوارُها فهى التى أَخذت النَّجْد والغَوْر ، واستعدت بجدال البلاد عن الجلاد ، فارتكبت الدور تجوز بحراً من الاعتمار ثانياً ، وتشكِّكُ أَن يسكون لها الإنس بانياً . وأَما أَبراجها فصفوف وصنوف . تزين صفحات المسايف منها أُنوف ، وأَذان لها من دوامع الصَّخر شُقُوف . وأَما خندقها فصخر مجلوب ، وسُور مقلوب ، وصَدَقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم ، واقتران اغتصابها ببوسهم ، وأُفُول شمُوسهم ، فرشَقُوها من النِّبال بظلال تحجب الشمس ، فلا يشرق سناها ، وعرجوا فى المراقى البعيدة ، يُفْرعون مبناها ، ونَقَبوا أَنقاباً ، وحَصَبُوها عقاباً ، ودخلوا مدينة البِنْيَة[1] بنتها غلاباً ، وأَحسبوا السيوف أَسلاباً ، والأَيدى استِلاباً ، واستَوْعب القتل مقاتلتها ، السابغة الجنن ، البالغة المنن ، فأَخذهم الهول المتفاقم ، وجُدِّلوا كأَنَّهم الأَراقم ، لم تفلت منهم عين تَطْرِف ، ولا لسان تنبى من يستطلع الخبر أَو يَسْتَشْرف . ثم سَمَتْ الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى ، فداروا سواراً على سورها ، وتجاسروا على اقتحام أَودية الفَنَا من فوق جُسُورها ، ودنوا إليها بالضروب من خَيْل الحروب ، بروجاً مُشَيَّدة ، ومَجانيق توثق حبالها منها بشدة ، وخفقت بنصر الله عَذَبَات الأَعلام ، وأَهدت الملائكة مدَدَ السَّلام ، فخذل الله كفارها . . . شفارها ، وقلَّم بِيَدِ قُدْرته أَظفارها ، فالتَمسَ الأَمان للخروج ،

---

(١) مدينة البنية La Pena هى ثغر صغير يقع على البحر الأبيض المتوسط على مقربة من شرق الجزيرة الخضراء .

ونزلوا عن مراقى العروج ، إلى الأباطح والمروج ، عن سمائها ذات البروج ، فكان بروزهم إلى العراء من الأرض ، تَذْكِرةً بيوم الْعَرْض ، قد جلَّل المقاتلة الصِّغار ، وتعلق بالأُمهات الصِّغار ، وبودرت المدينة وكفارها بالتطهير ، ونطقت المآذن العالية بالأذان الشهير ، والذكر الْجَهِير ،وطردت كُفَّار التماثيل عن المسجد الكبير ، وأُنزلت عن الصُّروح أجراسُها ، يعيى الهندام مرامُها ، وألفى منبر الإسلام بها مجفُوًّا ، فأَنِسَتْ غُرْبتُه ، وأُعيد إليه قُرْبه وقُرْبته ، وتَلاَ وَاعِظُ الجمع المشهود ، قول مُنْجز الوعود ، ومُورق العود : « وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، لآية » فكاد الدَّمع يُغْرق الآماق ، والوَجْدُ يستأْصل الأَزْماق ، وارتفعت الزعقات ، وعلَت الشَّهقات . وجىء بأَسرى المسلمين يرسُفون فى الْقُيود الثقال ، ويَنْسِلون من أجداث الاعتقال ، ففُكَّت عن أسوقهم أَسْوِدة الحديد ، وعن أعناقهم ملكات البأْس الشديد ، وظُلِّلوا بجناح اللُّطف العريض المديد . وترتبت فى المقاعد الحامية ، وأَزْهَرت بذكر الله المآذن السَّامية ، فعادت المدينة لأَحْسَن أحوالها ، وسكنت من بعد أهوالها ، وعادت الحالية إلى أموالها ، ورجع إلى القطر شبابُه ، وردَّ على دار هجرة الإسلام بابُه ، واتصلت بأَهل لا إلَه إلا الله أسبابُه . فهى فى بلاد الإسلام قلادَةُ النَّحر . أَبقى الله عليها ، وعلى ما وراءها من بيوت أُمَّتِك ، وودائع الله فى ذِمَّتِك ، ظلالَ عنايتك الوافية ، وأَمْتَعنَا إلى أَن يرث الله الأَرض ومن عليها بكلمة دينك الصالحة الباقية ، وسَبَل عليها أستار عِصْمتك الواقِيةِ . وعُدنا إلى الحضرة ، والصلاة عليك يارسول الله ، شعار البُدور والقُفول ، وهجيرُ الشروق والطفول ، والجهاد الشَّاق المعتمد ، ما امتد بالأَمل الأَمد ، والمستعان الواحد الفرد الصمد .

* * *

« كمل الجزء الثانى من « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » يتلوه الجزء الثالث »

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

وصدر عنى فى مخاطبة صاحب مكة شرفها الله :

وتوجّه الرسول بها عن السلطان رضى الله عنه صُحْبة الرسالة لقَبرِ الرسول [صلى الله عليه وسلم ، معرفاً بجملة الفتوح التى فتح الله بها على المسلمين بالأَندلس لهذا العهد ، وذلك فى شهر ربيع الأَول من عام أَحد وسبعين وسبعمائة .

المقر الأَشرف ، الذى فَضَل المحال الدينية بحلُّه ، وكَرُم فى بئر زمزم ، مهبط إسماعيل صلى الله عليه وسلم ، نَهْلُه وعَلُّه ، وخصَّه بإمرة الحرم الشريف[١] الأَمين مَنْ بيده الأَمر كله ، فأَسفر عن صُبح النَّصر فضلُه ، واشتمل على خواصِّ الشرف الوضَّاح حسبُه[٢] وفضله ، وطابت فروعه لما استمد من ريحانتى الجنَّة أَصله ، مَقَرُّ السلطان الجليل ، الكبير الشهير[٣] الظاهر الطاهر ، الأَمجد الأَسعد الأَوحد الأَسمى ، الشهير البيت ، الكريم الحىّ والْمَيْت ، الموقَّر المعظم [ابن الحسين][٤] ذى الْحُسْنَيين ، وحافد سيد الثَّقلَين ، تاج المعالى ، وعزُّ الدنيا والدِّين ، أَبى الحسَن[٥] عجلان ، ابن السلطان الكبير الشهير الرفيع الخطير[٦] الجليل ، المثيل[٦] الظاهر الطاهر ، الشريف الأَصيل ، المعظم الأَرضى ، المقدس المنعم ، أَسد الدين أَبى الفضل رُميثة بن محمد بن أَبى سعيد الحسينى[٧] ، أَبقاه

---

(١) هذه الكلمة زائدة فى صبح الأعشى .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الصبح (جنسه) . والأولى أرجح .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الشريف) .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الصبح ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (أبى السبق) .
(٦) هذه الزيادة من الصبح .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الحسنى) .

الله ، وأَفيدةَ من الناس تثوب إلى فاطمى[١] مثواه ، على بُعْد الدار ، ويُتَقَرَّب فيه إلى الله بالتِثام التراب ، واستِلام الْجِدار ، وتجيب أذان نبيِّه إبراهيم بالحج إجابة البِدَار ، وهنَّاه الْمزيَّة التى خصَّه بها من بين ملوك الأَقطار ، وأُولى المراتب فى عباده والأَخطار ، كما رفع قَدْرَهُ على الأَقدار ، وسجل له بسِقاية الحج وعِمارة المسجد الحرام عقد النِّجار[٢] ، يُنهى إليه أَكرم التحيات تتأَرَّج عن شذا الروضة المعطار ، عَقِب الأَمطار ، معظمٌ ما عظَّم الله من شعائِر مثواه ، ومُلْتَمس البركة من أَبواب مُفاتحته ، ولكل امرىءٍ ما نَواه ، ومُوجب حقه الذى يليقُ بمن كان الْبَتُول ، والرضى ، الذى واخاه الرسول ، أُمَّه وأَباه ، الشَّيق إلى الوفادة عليه وإن مَطَله الدهر ولواه ، الأَمير عبد الله محمد ، ابن أَمير المسلمين أَبى الحجاج ، ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد بن نصر ، كان الله له فى غُربته عن جُرثومة الإِسلام وانفراده ، وتولَّى عونه على الجهاد فيه حقَّ جهاده .

أَمَّا بعدَ حَمْدِ الله ولىّ الحمدِ فى الدنيا والآخِرة ، ومُطْمِح النفوس العالية والهمم الفاخِرة ، مُؤيِّد العزايم المتصارخة[٣] [فى سبيله][٤] الْمُتَنَاصِرَة ، ومُعِزُّ الطائِفة المؤمنة ، ومُذِلُّ الطائِفة الكافرة ، ومُنْفِل خزائن القياصرة الغُلَّب والأَكاسِرة ، وتارك أَرضها عبرةً للآذَان الواعية والعيون الباصِرة ، والصَّلاة على سَيِّدنا ومولانا مُحمد ، عبده ورسُوله ، نبى الرحمة [الهامية الهامرة][٥] والبركات [الباطنة و][٦] الظاهرة ، المجاهد فى سبيل الله بالعزايم الماضية والظُّبا[٧] الباتِرة ، مُخْمِد[٨]

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الصبح (قاطنى) والأولى أرجح .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الفخار) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (المتعاضدة) .
(٤) هذه الزيادة من الصبح .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الصبح ، ومكانها فى الإسكوريال (الباهرة) .
(٦) هذه الزيادة من الصبح .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الصوارم) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (مصمت) .

الشَّقاشق الهادِرة، ومرغم الضلالة المكابرة ، المنصور بالرعب من جنوده[١] النَّاصرة ؛ المحروس بحراسة [الملائكة][٢] الواقية الوافرة ، الموعود ملك أُمته بما زَوَى له من أَطراف البَسيطة العامرة ، حسبما ثبت بالدلائل المتواترة ، والرضا عن آله وأَصحابه ، وعِتْرته وأَحزابه ، المجاهدة الصابرة ، أُولى القلوب المراقبة ، والأَلسنة الذاكرة ، والآداب الحريصة على الاهتداءِ بهُداه المثابرة ، الذين جاهدوا فى الله حقَّ جهاده ، يخوضون لأَن تكون كلمة الله هى العليا ، فى بحار الرَّوع الزَّاخرة ، ويقدمون بالجموع القليلة على الآلاف المتكاثرة ، حتى قرت [بظهور الإسلام][٣] العُيون الناظرة ، وجنَّت فى العدو الفاقِرة . فكانوا فى الذَّب عن أُمته كالأُسود الخادِرَة ، وفى الهداية بسَنَا مِلَّته ، كالنجوم الزاهرة . والدعا لشرفكم الأَصيل ذى المناسب الطاهرة ، والمكارم الزاهية[٤] ، ببنوَّة الزهراءِ البَتُول ، بضعة الرسُول الزاهِرة ، بالصنع الذى يَتَبَلَّج[٥] عن الغُرر المشرقة[٦] السافرة ، والعز الذى يَضْفو منه الجناح على الوفود الزائِرة ، والفضلاءِ المجاورة ، ولا زال ذكركم بالجميل هجير الركائب[٧] الواردة والصادرة ،والثَّناءُ على مكارمكم يُخْجل أَنفاس الرياض العاطرة ، عند الغمائم الماطرة . فإِنَّا كتبناه إِليكم ، كتب الله لكم عنايةً تحجب الأَسوأَ بجُنَنِها الساترة ، ورعاية تجمع الأَهواءَ المختلفة ، وتضم القلوب المنافرة . من حَمْراء غَرناطة ، حرسها الله ، دار ملك الإِسلام بجزيرة الأَندلس ، وفَّر الله جموع حاميتها المثاغرة ، ورَمَّ[٧] بيَد قدرته ما همَّ بها من أَفواه العدا الفاغِرة ، ولا زالت سحائِب الرَّحَمات السانحة إِليها الغامرة ، تظلل جموع جهادها الظافرة ، وتجود

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (جنود ربه) .
(٢) هذه الزيادة من الصبح .
(٣) هذه الزيادة من الصبح .
(٤) وردت فى الإسكوريال (الراهنة) ، والتصويب من الصبح .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (يسفر) .
(٦) هذه الكلمة زائدة فى الصبح .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (وسد) .

رِمَم شهدائِها الناخرة[١] ونِعمُ الله تحط ركائِب المزيد فى نواديها الحامدة الشاكرة ، والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلاَّ فضله ، وجانِبُكم موفٍّ حقه ، من التعظيم الذى أناف وأَرْبَى ، وقدركم يعرفه من صام وصلّى ، فضلاً عمن حجَّ مع ذلك وأَبلى[٢] ، ومستندُ وُدِّكم ، « قُلْ لاَ أَسْأَلكم عليه أَجْراً إلاَّ المودَّةَ فى الْقُرْبى » . وإلى هذا حرس الله [مجدكم و][٣] مقركم الأَشرف ، كما سحب على بيته العَتِيق ظلَّكم الأَوْرَف ، فإنَّ الجهاد والحج أَخوان يرتضعان ثدى المناسبة [ويكاد أن يتكافآن فى المحاسبة][٣] سَفَراً وزاداً [ونية واستعداداً وإتلافا لمصون المال وإنفاداً ، وخروجاً إلى الله لا يؤثر أَهلا ولا دلواً][٣] ويفترقان محلاً ، ويجتمعان جهاداً ، ويرفعان للملة مناراً سامياً وعماداً . ووطننا والحمد لله على هذا العهد ، هو المخصوص بكمال هذه المزيَّة ، والقيام بكفايتها البرية والبحرية ، السليمة من الضلال البريَّة ، وهذا نسب واشِجَةٌ عروقُه ، وذِمام صادقةٌ بروقُه ، ومَتاتٌ لا يفضله متات ولا يفوقه . ونحن نعرفكم بأَحوال هذا القطر المتمسكة[٤] فروعه بتلك الجرثومة الراسية ، الممدودة أَيديه إلى مثابتها ، المتصدقة بالدعاءِ المواسية . فاعلموا أَن الإسلام به مع الحيَّات فى سَفَط حرج وأَمْر مرج ، وطائِفة الحق قليل عددها ، منقطعٌ إلاَّ من الله مددها ، مستغرَقٌ يومُها فى الشدَّة وغدُها ، والطلائع فى قِنن الجبال تنوِّر ، والمُصْحر من بيته مغرَّر[٥] ، والصيحة مع الأَحيان مسموعة ، والأَعدا لرد ما جازه الفتح الأَول مجموعة ، والصَّبر قد لُبِست مدارعُه ، والنصر قد التمست مشارعُه ، والشهداءُ تنُوش[٦] أَشلاءَهم القَشَاعم ، وتحتفل لها

---

(١) الزيادة من الصبح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (ولى) .

(٣) هذه الزيادة من الصبح .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (المستمسكة) .

(٥) هكذا فى الصبح ، وفى الإسكوريال (مغرور) .

(٦) هكذا وردت فى الصبح ، وفى الإسكوريال (تجزر) .

منهم المطاعم ، والصِّبيان تدرَّب على السلاح ، وتُعلَّم المدافعة كما يعلم فى القرآن الأَلواح ، وآذان الخيل مُسْتَشرفة للصِّياح ، ومفارق الطَّايحين فى سبيل الله تُفْلى بأَيدى الرياح ، والمآذن تجيبها النواقيس مناقضة ، وتكافحها مُكابرة مُعارضة [وعدد المسلمين][1] لا يبلغ من عدد الكفار [عند الانتِشار][2] مِعشار المِعشار [ولا برة فى جلود العِشار][3] إلاَّ أن الله عز وجل ، حلَّ بولايتنا المُخَنَّق المشدود ، وفتح إلى اليُسْر المَهْيع المعهود[4] ، وأَضفى ظلَّ الأَمن الممدود ، وألهم ، وله الشكر على الإلهام ، وتسديد السِّهام ، والحمد لله الذى يقود مدارك الأَفهام إلى اجتهادٍ قُرن به التوفيق ، وجهادٍ فُتح به إلى التجارة[5] الْمُنْجية الطَّريق ، سبحانه من رحيم يَجْتبى إليه من يشا ، ويهدى إليه من يُنيب ، وكريمٌ يُلهم ليُثيب ، ولطيفٌ يأْمُر بالدعاءِ ليجيب ، فتحركت لهذا حركات ساعدها ، والحمد لله ، السَّعد ، وتولى أَمرها ، ونصرها من له الأَمْر من قبلها ومن بَعد . ففتحنا مدينة برُغة[6] الفاصلة كانت بين البلاد المسلمة ، والشجى المعترض فى نحر الكلمة. [وتبعتها بنات كن يرتضعن أَحلاف درتها ويتعلقن فى الحرب والسلام بارزتها][7] ثم نازلنا حِصْن أَشِر ، ركاب الغارات الكافرة ، ومستقرَّ الشوكة الوافرة ، فرفع الله إِصْرَه الثقيل ، وكان من عثرته المقيل[8] . ثم قصدنا مدينة أُطْرِيرة[9] بنت حاضرة الكفر ، وعرين الأُسُود الْغُلَّب وكناس الظِّبا القفر ، ففتحناها عَنْوة أَضْرَمت البلد ناراً ، واستَأْصَلت أَهله قَتْلاً وأَساراً ، وملأَت البلاد سبْياً تعددت

(١) هكذا فى الصبح ، وفى الإسكوريال (العدد) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الصبح .
(٣) هذه العبارة واردة فى الصبح وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (المسدود) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (النجاة) .
(٦) برغة بلدة حصينة تقع شرقى مدينة رندة ومكانها اليوم بلدة Burgo الإسبانية .
(٧) ما بين الخاصرتين وارد فى الصبح وساقط فى الإسكوريال .
(٨) بعد ذلك يختلف مساق الرسالة فى الإسكوريال عنها فى صبح الأعشى ، وإن كان موضوع النصين واحد
(٩) أطريرة Utrera هى بلدة أندلسية متوسطة تقع جنوب شرقى إشبيلية . وقد سبق التعريف بها .

آلافه ، وغُنْماً شذَّت عن العبارة أوصافه . ونازلنا مدينة جَيَّان وشهرتها فى المعمور ، تغنى عن بسط مالها من الأُمور ، ففتحها الله عَنْوة ، وجعل سبيها للاسْتِرقاق ، ومقاتِلتها للبيض الرِّقاق . وغزونا بعده مدينة أُبَّدَة ، فكانت أُسوة لها فى التَّدمير والعَفَا المُبير . ثم نازلنا مدينة قُرْطُبة ، وهى أُمُّ هذه البلاد الكافرة ، ودارُ النِّعم الوافرة ، وكدنا نستبيح حماها المنيع ، ونشتت شملها الجَميع ، لولا عايق أَمطار ، وأَجلٌ مخصوص بمقدار . ورحلنا عنها بعد انتهاك زلزل الطود ، ووعدنا بمشيئة الله العود ، ونأمل من الله إيفاد البشرى بفتحها على بلاد الإسلام ، ومتاحفة من بها بالإخبار به والإعلام . ثم فتحنا بعدها ثغوراً مُقْفلة الأَبواب ، ومعاقلَ متعلِّقة بالسحاب ، كحصن رُوط ، وحصن الْحِوار ، وحصن قَنْبِيل ، أَمَّنَ الإسلام جِوارها ، وعَمَر بِالمجاهدين أَقطارها . وخرج لنا ملك الروم فى مشارطات أَرَدْناها ، وفرصٍ لعز الإسلام ابْتَدَرناها عن حصون أَربعة ، طهَّرنا بيوت الله بها ، من دنس الأَوثان ، وعوَّضْنا النواقيس بكلمة الإيمان . والحمد لله على مواهب الامتِنان ، ومنه نسل المزيد من الإحسان . وأَقرب المدائِن بافتتاحها ، الجزيرة الخضراء ، وهى باب الإسلام ، التى منها دخل الفتح ، وعظُم عليها بكلمة الله المَنُّ والمنح ، وقدرُها الكبير أَعظم من أَن يَسْتَوفى وصفه التَّعبير . فانبسطت الآمال ، وضفت على الإسلام ملابس الْيُمْن والإقبال . وهذه المجملات تحتمل شرحاً ، تسبح فيه الأَقلام سَبْحاً ، من أَوصاف مغانم شَذَّت عن الحصر ، ومعاقِب لنزول السكينة ، وهبُوب النَّصر ، وما ظهر من جدِّ المسلمين فى افتتاح تلك المعاقل المنيعة ، ومقارعة الجموع الكثيفة ، وبركة الحزم فى كل حال موجودة ، والوسائل بأَهْلِه فى القديم والحديث لا مُخيَّبة ولا مردُودة ، فهو الأَصل والعُمد ، الذى سهل منه هذا النصل ، حتى بلغ النُّجوم القاصية ، وقاد من استعصى بالناصية . وقد ظهر لنا أَن وجّهنا إلى المدينة المقدَّسة ، صلوات الله على من بها وسلامه . نعرفه بهذه البركات الهَامية من سَما عنايَته . المعدودة خوارقها من آيَتِه . فكلها

جِناه . وما كنا لنَهْتَدى لولا أَن هدانا الله بهُداه ، وأَصْحَبْنَا شخاصاً من نواقيس الفرنج مما تأْنى حمله ، وأَمكن نقله ، وما عداه فكانت جِبالاً ، لا تقبل فى نقلها اختِبالاً ، فتناول درعها التكسير ، وشفى بذهاب رسومها الإقامة والتكبير . ومرادنا أَن تُعرض بمجتمع الوفود تذكرةً ، تَسْتَدعى الإمداد بالدعاءِ ، وتقتضى بتلك المعاهد الشريفة النَّصر على الأَعداءِ ، ثم نصحب ركاب الزيارة إلى أَبواب النبوة ومطالع الإنارة . وأَنتم تعملون فى توفية هذه الأَحوال ورِعايتها ، وإبلاغها إلى غايتها ، ما يليق بحسَبِكم الوضَّاح ومجدكم الصَّراح ، وشرفكم المتبلِّج تبلُّج الصباح ، فأَنتم خير من ركب المطَايا ، وأَندى العالمين بطون راح ، ولكم بذلك الحظ الرَّغيب ، فى هذه الأَعمال البرة ، والله سبحانه لا يضيع مثقال ذرة ، وهو يتولاكم بما يتولَّى من أَعزَّ شعائِره وعظَّمها ، ورعى وسائِلَه واحترمها ، ويصل أَسباب سَعْدكم ، وينفعكم بقصدكم . والسلام الكريم الطيب البرُّ العميم ، يخص معاهدكم الكريمة على الله عهودها الحامية ، بغمائِم الرحمات والبركات عهودها ، ورحمة الله وبركاته .

وكتبت فى مثل هذا الغرض إلى أمير المدينة المقدسة على ساكنها من الله أفضل الصلاة وأطيب السلام

يعتمد المقرُّ الأشرف الذى طاب بطيبة نَشْرُه ، وجَلَّ بإمارتها الشريفة[1] أثره ، وقدر فى الآفاق شرفه ، وشرف قَدْره ، وعظم بخدمته ضريح [سيِّد ولد][2] آدم فخره ، الأمير الشريف الكذا أبا فلان ، أبقاه الله منشرحاً بجوار روضة الجنَّة صدره ، مشرقاً بذلك الأفق الأعلى بَدْرُه ، ذائِعاً على الألسُن المادحة فى الأقطار النازحة حمدُه وشكره ، مزرياً بشَذا المِسْك الأذْفَر ذكرُه ، تحية معظِّمٍ ما عظَّم الله من دار الهجرة ، داره ومطلع أبْداره ، الملتمس بركة آثاره ، المتقرِّب إلى الله بحبه وإيثاره . فلان ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْد الله الذى فَضَّل البقع [بخصائها الكريمة][3] ومزاياها ، كما فضَّل الأزاهر بريَّاها ، وجعلها مثابة رحمة تَضْرب إليها العباد آباطَ مطاياها . مؤملة من الله غفران زلاتها ، وحطِّ خَطَاياها ، وخصَّ طيبة المدينة الأمينة بضريح سيِّد المرسلين ، فأسْعَد مماتها ومَحْياها ، ورفع عَلْياها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، مطلع وجوه السعادة يروق مُحَيَّاها ، وموضح أسرار النجاة ومبين خباياها ، الذى تدارك الخليقة بهديه ، فكشف بلاياها ، ورعى بسنَّة الله رعاياها ، وجمع بين مصالح دينها ودُنياها ، والرضا عن آله وصحبه ، وعِتْرته وحزبه ، الذين كَرُمت سجاياها ، وعظُمت ألطافها الهادية وهداياها ، وجاهدت بعده طوائف الكفار تُشَعْشِع لها فى أكْواس الشِّفار مَناياها ، وتطلع عليها فى الليل

---

(١) هذه الكلمة زائدة فى الصبح .

(٢) هاتان الكلمتان واردتان فى الصبح ، ومكانهما بياض فى الإسكوريال .

(٣) الزيادة من الصبح .

البهيم ، سنا الصباح الوسيم من غُرر سراياها ، وتسدُّ بغمام الأَسنَّة ، وعواصف رياح الأَعِنَّة ثناياها . والدعاء لمقر أصالتكم الشريفة حيَّاها الله وبيَّاها ، كما شرَّفها بولادة الوصىّ الذى قرر وصاياها ، وسلالة النبى الذى أعظم الله بها مواهب فخره وعطاياها ، بالسعادة التى تبرز أكفَّ الأقدار على مرور الأَعْصار خباياها ، والعز الذى يزاحم فرقد السما وثُريَّاها . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من مواهب الصنع الجميل أَغناها ، كما طيّب بذكركم أطراف البسيطة وزواياها ، وجعل فخر الجوار الكريم فى عَقِبكم كلمة باقية[1] لا تختلف قضاياها ما مرَّضت الرياح[2] مورَّسات غشاياها ، فجعلت من النواسم مشمومَها ، ومن الأَزهار النواسم حشاياها . من حَمْراءِ غرناطة ، حرسها الله [ونعم الله يحوك حللها الجهاد ، والسيوف الحداد ، وتلبسُها البلادُ والعبادُ ، وملوك الكفر نا كصةٌ على الأَعقاب. من بعد شدِّ الوثاق وضرب الرقاب ، خزاياها][3] وبركات الحَرَم الوجيه يستظلها الإسلام ويتفيَّاها ، وينقع الغلل برواياها ، والحمد لله كثيراً كما هو أَهله ، فلا فضل إلاَّ فضله ، ولمعاهدكم الكريمة الارتياح ، كلما وَمَضت البرُوق وخَفَقَت الرياح ، ولسنى عناياتكم الإلتماح ، إذا اشتجرت الرِّماح ، وفى تأميل المثول بها تعمل الأَفكار ، وإن هيض الجناح ، وبُهداها الاستنارة إذا جلى للمراشد الصباح ، وبالاعتمال فى مَرضاة من ضمه منها الثرى الفوَّاح ، والصَّفايح التى تراثها العوامل المجاهدة[4] والصِّفاح ، والجهاد الصَّراح ، يعظم فى الصدور الانشراح ويعزّ المَغْدا فى سبيل الله والمراح . وإلى هذا ، أجزل الله مسرَّتكم بظهور الدين ، واعتلاءِ صُبْحه المبين ، فإننا نعرفكم أننا فتح الله علينا وعلى إخوانكم المؤمنين بهذه الثغور الغريبة المانَّة إليكم على الآماد البعيدة ، بالأمم العربية ، فتوحاً حرَّرت

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (صدق) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الصبح (الرياض) .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الصبح وساقط فى الإسكوريال .
(٤) هذه الكلمة زائدة فى الصبح .

البلاد ، ونقلت الطَّارف والتِّلاد حسبما تقصه مخاطبتنا إلى نَبِيِّنا الكريم ، الذى شرفكم الله بخِدْمةِ لَحْده ، واستخلفكم على دار هجرته من بعده ، إذ لا حاجة إلى التَّكرار ، بعد ما شُرحت به الصدور من الأَخبار فى الإيراد والإصدار ، ووجَّهنا صحبتها من النواقيس التى كانت تُشيع[1] نِدا الضلال ، وتُعارض الأَذان بجلاد الجِدال ، وتبادر أَمر التِّمثال بالامتثال ، ما يكون تذكرة ، تحن به القلوب إذا رأَتْها ، وتَلتَمس الإِعانة من الله كَلما نَظَرتها ، وتتصور[2] الأَيدى المجاهدة[2] التى هصرتها ، وهذا كله لا يحصل على التمام ، إلا بمشاركة منكم تُسَوِّغه ، وإعانةٍ تؤديه وتبلِّغُه ، تشيع لكم عند تعرفها الثناءَ الدائِم التَّرداد ، والدعاء الحسن المكافأَة من ربٍّ العباد ، ويُسْهمكم فى أَجر الجهاد ، وأَنتم تعملون فى ذلك ما يناسب مثلكم من الشرفاءِ الأَمْجاد ، والله عزَّ وجلّ يواليكم بِنِعَمه الثرَّة التِّعهاد ، ويعرِّفكم عوارف الإِسعاد فى الدنيا ، ويوم قيام الإِشهاد .

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الصبح وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) الزيادة من الصبح .

التهانى بالصنايع المكيفات

صدر عنِّى جواب للسلطان الكبير الشهير أبى عنان عن كتابه الذى وجهه إلى سلطان الأندلس أمير المسلمين أبى الحجّاج بن نصر ، رحمة الله عليهما . يعرِّفه فيه بما أتاح الله له من الظهور على بنى زيّان ، واستيلائه على ملكهم بمدينة تلمسان ، وذلك فى وسط شهر ربيع الأول المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة .

المقام الذى مقدمة سعده تُسْلم ولا تَمْنَع ، وحجَّة مجده لا تُردّ ولا تُدْفع ، ونوافل فتوحه المؤيدة بالملايكة[١] وروحه ، تُوثِّر وتَشْفَع ، والصنائِع الإلهيّة فى دولته الفارسيَّة ، تثنِّى وتجمع ، ويُحمل منها ما يُقاس على ما يُسمع . مقام محل أخينا الذى تبسَّم النصر عن ثغور نُصوله ، واحتفل الفخر فى تدوين محصوله ، وشهدت مخايله الطاهرة بكرم أُصوله ، [وتألّقت خدود][٢] المجد سالمةً من النقد بين أجناسه وخواصّه وفصوله . السلطان الكذا[٣] ، أبقاه الله يُورق[٤] أعْوادَ المنابر كلما سَقَتها من أنباءِ فتوحه الغُيوث ، وتفرِّق أُسود الشَّرى ، كلما زأرت من أبطال حُماته اللُّيوث ، وتأمن فى ظل إيالته العادلة وخلافته الفاضلة ، السُّهول من الأرض والوُعوث ، ويتعاضد بالمكسوب من فخره المؤرُوث ، ويُنضى إلى استلام ركن يمينه ، ومُشاهدة نُور جَبينه الرِّكاب المحثُوث . معظَّم مُقامه ، الذى تعظيمه مُفترض ، [القايم بحق برِّه ، الذى لا يُقدَّم عليه غرض][٥] فلان ، سلام كريم [طيب بر عميم][٦] كما حَسَر وجه الفجر [فى أعْقابه][٧] عن

---

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (بملايكة الله) .

(٢) هكذا وردت فى الملكية ، ووردت فى الإسكوريال (وتألقت حدود) . والأول أرجح .

(٣) فى الملكية يزيد على ذلك (إبن السلطان الكذا بن السلطان الكذا) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تروق) والأول أرجح .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

نقابه ، وتقدَّمته طلائع نسيمه ، ، وشُهب الصبح فى أعْقابه ، يخص مقامكم [الأعلى][1] ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْد الله الفتَّاح العليم ، مُطْلع غرر المسَرَّات المستمرَّات ، أوضح من فَلْق الصباح ، وميسِّر الآمال السنيَّة وفق الأُمنية ، وحسَبِ الاقتراح ، مورِّث الأَرض كما وعد أيِمَّة الهُدى والصلاح ، المتكفل لهم بحسن العواقب وفوز القِداح. والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، نور الهُدى الوضَّاح ، ذو القدر الرفيع والجاه المنيع والمجد الصَّراح ، المؤيَّد بالرعب ، المنصور بهبُوب الرِّياح ، حتى أشرقت أنوار دعوته السَّمحة فوق الرُّبا والبِطاح ، والرضا عن آله وصحبه لُيُوثِ الْبَاس وغيوثِ السَّماح [الذين راضوا صعاب النَّصر من بعد الجِماح ، ورفعوا سماءَ قُبَّة الإسلامِ على عمد الرِّماح][2] ولم يشغلهم ليل التَّبتُّل عن يوم الكفاح ، فكانوا لأُمته أهدى من القمر الليَّاح ، وعلى أعدائِه أعدَى من الحين المُتاح . والدعاء لمقامكم[3] الأَعلى بالنصر ، الذى ترتسم آثاره فى صحف الصِّفاح ، وتُسطر أخباره فى صفحات الحِسَان الصِّحاح ، والعزِّ الذى تبدى له الحيل بسيما الخُيلا والمراح . فإنَّا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم فتوحات منظومة العقود ، معقودة النِّظام ، وآلاءً دائمة الاتصال ، متصلة الدوامَ ، وسعوداً معلومة الوضوح واضحة الأَعلام ، ونصراً يرتاح به قدُّ القناة ، وتبسم له ثَغْرُ الحُسام ، وصنايعَ تَبْهَر حلاها على لبَّات المِنن الْجِسام ، ويروق مُجْتلاها فى غُرر النِّعم الْوِسام . من حَمْراءِ غَرناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله [جل وتعالى][4] ثم ماعَوَّد من آلائِه التى تترادف وتتوالى ، إلا الخير الذى أنجزت وعوده ،

---

(١) ساقطة فى الملكية .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٣) فى الملكية (لسلطانكم) .

(٤) زائدة فى الملكية .

[والنَّصر الذى صدقت بروقُه ورعودُه][1] والصُّنع الذى تألَّقت فى أُفُق الدِّين الحنيف سُعوده ، والفتح الذى تفتَّح به زهرُه وأورق عُوده ، جعلنا الله ممن استمر فى مقام الشكر قيامُه وقعودُه [فكلما اعْتَلت قوى إدراكه جاءه الإمداد من الله يعودُه][2] ونحن من السُّرور بما يُسْنِيه الله لكم بحيث لا تلبسون حُلَّة فخر[3] إلاَّ لَبسنا مثالها ، ولا تجتلون غُرَّة فتح إلاَّ استجْلينا جمالها ، [ولا تنالون سبب نِعْمة إلاَّ حمدنا منالها][4] نشرب من ذلك فَضْل شِرْبكم ، ونَرِده عقب[5] وِرْدكم ، ونمتُّ إلى الله بمثل متات مجدكم ، فكلما امتد لدولتكم العلية ظل عزَّ ، انفسحت آمالنا وامتدَّت ، واشتدَّت للككم عُرْوَة نصر ، قويت أعضادُنا واشتدت .

وإلى هذا أيدكم الله بنصره ، وحكم للكِكُم الرفيع بأعْلا أمره ، فإنكم جئتمونا بزهرة الفتح الأول أظلال فَضْله ، وأتْحَفنا مُلْككم ببواكر نصره قريبة العهد باقتطاف نَصْله ، وعرفتمونا بما كان من الظهور الذى خَفَقَت عليكم رايته ، والنصر الذى أُنزلت عليكم آيتهُ ، والفخر الذى ذَخَرت للككم غايتُه ، وأن عدوكم لمّا ضاقت عليه المسالك [وفغرت أفواهها إليه المهالك][6] ، أقدم إقدام من استعجل الْحِمام ، ولم تمطل به الأيام ، وأَمَلَ انتهاز فرصة كانت وقايةُ الله من دونها ، واغتنام غرَّة كان مدد الحرام يغضُّ عيونها ، وأقبل والمحلات تخيم بيوتها تخييم الحساب[7] ، وتطفو قبابُها البِيض طَفْو الحباب ، فناشب حاميتها الحرب ، وأعمل الطِّعان والضرب ، وسوَّلت له الأطماع خطة انتهاءِ قلوب قد

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) فى الملكية (صنع) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٥) ساقطة فى الملكية .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التراب) .

خَلَصت ، وأبطال من بعد الإقدام ما نَكَصت ، وأقدام ثبتت فى موقف الْهَوْل واستقرَّت ، وقبائِل من مرين عاهدت الله ، فوَفَت وبرَّت . وإنكم لما عقدت الحرب حباها ، ورجمت الظنون الكاذبة فى عُقْباها ، فديتم من دونكم من الخليقة بالنفس الحريَّة بالمجد الخليقة ، واقْتَدَيْتُم بِأَنصار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى يوم الحديقة ، وأنهم رضى الله عنهم لما ارتابوا بأَوْشَابهم ، وعوَّلوا على أديانهم وأحسابهم ، وتبوَّؤا من الصبر حصوناً ، ونادى أمراؤهم أخلصوا ، فحصلت منهم كتيبةٌ كانت الحملات لا تهزُّها ، والأهوال لا تستفزُّها ، حتى علت أيديها ، وحَيْعَل بالفتح القريب مناديها ، فما كانت إلا أن طلعت شمس غرتكم يحملها من الطرف العتيق فَلَك ، وخفق منصور علمكم يتبعه مَلَك ، ويقدِّمه مَلَك ، ونهد موكبكم يُهديه من الرأى صُبح ، ويحجبه من القتام حَلَك ، وتراكمت من النقع جون السحائِب ، وماجت على الأرض بحور الكتائِب ، وضحكت النُّصول فى اليوم العَبُوس ، ودارت بين الرجال للآجال الكؤوس ، وأُخْفِرَت حُرْماتِ المغافر ، وتجلَّت وقاح الحرب بالحد السافر ، واشتبهت الطرق ، ورمدت من الأَسِنَّة العيون الزُّرق ، وأجرى الله مقامكم من النصر على عادته ، وأثبت فى درجة ذلك الاجتماع سهم سعادته ، فكذبت من مُناوِيكم العزيمة ، وصدقت عليه الهزيمة ، وأَدْبَر إدبار أَمْسِه ، ومضى وهمُّه نجاة نفسه ، وانقلب مغلوباً مغلولاً يرى البرق سيفاً مسلولا ، ويحسب الشِّعاب خيولاً ، ويظن حمرة الشفق دماً مطلولاً ، وخَلِف أنصاره حصيداً ، وديارَه طلولاً ، وأنكم ثَنَيْتُمُ الأَعِنَّة ، والنصر لواء بكل ثَنِيَّة ، وعلى كل راية عناية ربَّانية ، والوجوه باديةُ السُّفور ، والخيلُ داميةُ النُّحور ، والسُّيوف مُوَرَّدَة الْخُدُود ، والرِّماح مختصرة الْقُدُود ، ومحابر الكنائِن خاوية من أَقلامها ، وموارِد السَّوابغ خالية بعد أَزدحامها ، والْفَتْح قد فُتح لكم بابُه ، والنصر حولكم كتائِبُه ، وفى يدكم كِتابه ، فلم نكد نعطى السرور بهذا النَّبَإِ حَقَّه من الابتهاج والارتياح ، والشكر لله على فوز الْقِدَاح ، وتأَنِّى

الاقتراح ، والإشادة به فى النواح ، ونَفْرَغ من مراجعة ذلك المجد الوضَّاح[1] حتى اتصل بنا الصُّنع ، الذى عَمَر ما قبله ، وشرح مُجْمَل السعد ، وأوضح سُبُله ، من أنكم مَلَكتم مدينة تلمسان ، فاسْتَأْثَرتم بالسَّعد الْهَنِى الْمُعَجَّل[2] ، ودخلتموها فى اليوم الأغر المحَجَّل ، وحصلتم عليها من غير سلاح أُعمل ، ولاحق أُهمل ، ولا نفس رِيعت ، ولا حُرْمةٍ للدين[3] أُضيعت ، وأن بناتها من المعاقل الشُّمِّ الأُنوف ، والمصانع السَّافرة عن حواجب الْقِسىِّ ، المبتسمة عن ثغور السُّيوف ، والمعاقل التى تعد أَهِلَّة السَّما من الأَسورة وجَوْزاءها من الشُّنوف ، رأَت رأْى أُمِّها فى تعجيل الطاعة ، وحملت الأَمر على الْفَوْر بجهد الاستطاعة ، وبادرت التوبة النَّصُوح ، قبل قيام تلك الساعة ، فانتظمها سلك الأَمر السَّعيد ، واتصل القريب منها بالبعيد ، واحتجَّت مُعْتَزِلتَها ، بإنجاز الوعد وإخلاف الوعيد ، وكان لسابقها حقُّ التكلم ، وللاحقها حقُّ المُعِيد ، فأَقمنا فريضة الشكر والحمد لوقتها ، وتَلَوْنا فى بِساط الاعتبار بالنعم « وما نريهم من آية إلاَّ هى أَكبر من أُختها » وقلنا هذا هو النبأُ الذى ارتَقَبْنا طلوع البشائِر من ثنايا تِلاعه ، وأَجزنا تلقِّى الرُّكبان لرُخْصَة استطلاعه . هذا هو الصُّنع السَّنِىِّ ، والفتح الْهَنِىِّ ، والنصر الْمُثنَّى ، والعزُّ الْمُتَمَنَّى ؛ نصرٌ من الله وفتح قريب ، وتكييف لمُلْك الغرب غريب ، هذا هو الْيُمن الذى أَصاب قِبِيصَى النصر والفتح بسهم فتح تلمسان ، وما أَدريك ما تلمسان ، قاعدة المُلْك ، وواسطة السِّلك ، وقلادة النَّحر ، وحاضرة البرِّ والبحر ، أُسْنِدت إلى التل ظَهراً ، وأَفْضَحت بالفخر جَهْراً ، وأَصبحت للغَرْب باباً ، ولِرِكاب الحجِّ رِكاباً ، ولِسهام الآمال هَدَفاً ، ولدرِّ العلم صَدفا . حَسْناءُ تُسْبِى العقول ، بين التقنُّع والسُّفور ، والأَطماع والنُّفور . شمخت بأَنف الحصانة والإباية ، وتبجَّحت

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الصراح) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المجمل) .

(٣) زائدة فى الإسكوريال .

بوفور العمارة ، ودرور الجباية ، ولبست حُلَّة الجناب الخَصِيب ، وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأَوْفَى نصيب . فيالها من غادَّة ، كلما مرت عليها الأَيام ، استجدَّ شبابُها ، وأَيْنَع جنابُها ، وضَفَى من الحسن جلبابها ، حتى كأَن عين أَم يحيى سَقَتْها من عين الحياة ، فنورها الدهر باهر الآيات ، ومحاسنها رائِقة الغُرر والشياه ، تخدع باللفظ الخلوب ، وتغلب على لظى الأَشواق أفلاذ القلوب . حرَّكت الملوك الصِّيد وسكنت ، فما بذلت من قيادها ولا أَمكنت. ضاق بعبد المؤمن طوقُها ، فبعد لأْيٍ ما مزقه ، ورجع منها إلى السَّعيد سهمه[1] الذى فوَّقه . ولم تزل أَحوال مُحِبِّيها من بعد ذلك مختلفة ، وقلوبهم بهواها كَلِفة ، فمنهم من حيَّاها على البعد ، وقنع من وصلها بالوعد ، واقتصر منها على الإِلمام ، وإهداء السلام . ومنهم من جَدَّ الجدُّ وهى تسخر ، ولان لها الْقَوْلَ منه وهى تَبْأَى وتفخر ، ولم يجد متقدماً عنها ولا متأَخر ، حتى غلب اليأْس ، وخاب القياس . ومنهم من باع الكَرَى بالسُّهد ، ووجد مرارة الصبر أَحلى من الشَّهد ، وبذل لها فى المجال نِثار رؤوس الرِّجال ، وسخى عليها حتى بالأَعْمار والآجال ، ونازع الحرب إلى الغلاب والسِّجال . فالجنْبات يلوى ضُلوعَها الزَّفير ، والمجانيق يُدْمى أُنوفها السُّجود والتَّعفِير ، [فالجياد][2] تشكو من باب جهادها إلى غير راحم ، وتظمأُ فَتُسْقَى من نَجيع الملاحم ، حتى أَذعنت إذعان القهر ، ورضِيت بما بُذِل لها من المَهْر ، وجاذب رداءَها من أَردى له أَوداءَها ، وأَماط قناعها من غَلَب بالصَّبر[3] امتناعها . ثم ضرب الدهر ضرباته ، وأَقام للقدر برهانه ، فراجعها من كان يَهْواها ، وأَثبت فى الإِكراه دَعْواها ، بعد أَن حصلت لها بمقامكم علاقة

---

(١) ساقطة فى الملكية .

(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الملكية وفى الإسكوريال (بالنصر) والأولى أرجح .

كامنة بين الضلوع ، ورسى بجوانحها رسيس هوى[يجل عن الولوع][1] وتملكها به غرام ظاهر ومُسْتَكن ، ولسان حالها يتلو [قوله][2] إلاَّ من أُكره وقلبه مطمئن. ورُبَّ مغلوب سمح بالرَّغم قيادَه ، ومَلك ظاهره ولم يمّلِك فؤاده ، فلما علمت الآن من حبيبها بقرب الدار ، وأَدنى ركابه منها مُساعف المقدار ، همَّت وهامت ، وتطارحت وترامت ، وتهلَّلت من بعد الإطراق ، وضحكت من حُسن[3] اللِّقا كما بكت من أَلمَ الْفِراق ، وأَمكنت من وصالها عفواً ، وأَوْرَدت العذب من زُلالها صَفْواً ، وألقت الْيَد طَوْعاً ، وخير النِعم مالم تقع عن كدٍّ ، وأَسْنَى الْمِنح ، ما لم تجيء فى حساب ولا وعد ، فكأَنها لقطة استحقَّها سيفكم من بعد التعريف ، ونقطة استدار علها مُحيط ذلك المُلْك الشريف ، ونَكِرة أُدخلت عليها أَداة التعريف ، وقِبلة عدلت من بعد التحريف ، ولفظة رُدَّت إلى الأَصل الصحيح عند التَّصريف . وما كان البلد الذى عَدلت نَصبة ملككم السعيد بمطالعه ، واقْترت السعود على درجتى عاشره وطالعه ، ليكذِّبكم وعده ، ولا يتخلفكم سعده ، فما بَرِحَت بُروق السعادة تبدو فى خلال ما رُمْتُموه ، والتوفيق يشد أَواخى[4] العزم الذى أَبرمتموه ، والحركة التى أَزمعتم ، تَتَضام[5] عليها الأَسباب المشتركات ، [وتسنح على غروسها الزكية سحايب البركات][6] وتجد النفوس لها خِفَّة ، وحركة الفتح أَخفُّ الحركات . فالحمد لله الذى جعل القياس صادقاً [والتوفيق موافقاً ، والنَّصْرَ للنَّصل مرافقاً][6] والحمد لله الذى أَلبسكم حُلَّتها السُّيرا ، لم يوهنها[7] طول المجاذبة والمجاورة ، ولا اختلقتها أَيدى المُسارقة والمساورة ،

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) الزيادة من الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (أنس) .
(٤) هكذا وردت فى الملكية . ومكانها بياض فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تتضافر) .
(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٧) وردت فى الإسكوريال (يرمنها) ، والتصويب من الملكية .

وخوّلكم وصلها ، لم يقدح فيه ملل المجاورة ، وليهن مقامكم الذى أقال العثار ، وخلَّد الآثار ، وأخذ الثار ، ما منحه الله من الغر الصادق والبرق ، والفتح الذى وصل يد الغرب إلى الشرق ، فلقد جمع حسامكم الماضى المضرب ، من مدينتى تِلمِسان وفاس ، بين عقيلتى المغرب ، للأُولى منهما الأَصالة والمجادة ، والثانية العلاقة والودادة ، وكلاهما الْحُسْنى والزيادة . فإن فخرت هذه بنَصْبة الْمُلك . فخرت تلك بنصبة الولادة . ويابُشْرى لهذا القطر الغريب ، الذى يمد إلى عزمات جهاتكم يد الراغب ، ويرتقب ارتفاع الشَّواغل والشَّواغب ،بما اسْتَرْوحه من صرف الاستعداد إلى أَعدائِه ، والإهْطاع إلى ندائِه ، والشروع فى معالجة دائِه . وإن منى بالادِّكار من تملُّكها ، وأدار على قُطْب السياسة فَلَكها ، وجَبَ الهنا بالحق لقطر تملَّكْتُموه ، ومُلْكٍ قبضتم عِنان أَمره وأَمْسَكتموه . فقد جعل الله مقامكم كَعْبة الآمال ، وجمع فيكم ما تفرق من أَخلاق الكمال . بارك لكم فى العَطيَّة مَنْ وهبها ، وراض لكم متن المطيَّة من دالها وأَرْكبها . وإننا لما اسْتَجلَينا عن زهرة الفتوح الضَّاحكة المباسم ، والصَّنايع التى أَلبست الأَيام ، أَثواب المواسم ، رأينا غاية الشُّكر بعيدة عن إدراك البيان ، وأَن الإيجاز فيها والإسْهاب سِيَّان . فلو طالبنا بهذه الوظيفة أَبَان لما أَبَان ، أَو دعونا لها سحبان ، لكان فى ميدانها الجبَان . ولو استعنَّا بعبد الحميد لم نجده فيها حميدًا ، أَو نبهنا لها ابن العَمِيد لأَضحى عميداً ، أَو أَردنا لبيداً لانقلب بليدًا ، ولو أَقمنا لها الصَّاحب لقَعَد ، أَو كلفناها ابن هلال لرآها من أَبيه أَبْعَد . إنما هو عذر يُبَلَّغ ، وإغْضاء يُسَوَّغ ، ومن المعلوم أَن أَوِدَّاء ذلك المقام الكريم ، إن أَخذوا [من مسرته][1] بحظٍّ ، اسْتَأْثرنا بجملتها ، أَو تمسَّكوا منها بمذهب ، قمنا بملَّتها ، وإن هنُّوه بصُنْع ، قدَّمنا نحن هنا أَنفسنا به ، أَو توسَّلُوا بزمام حبٍّ ، سبقنا فى حَلْبة أَحبابه ، وإنَّ حديث

---

(١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (بمسرتها) .

نَصره ، إلى هذه البلاد الأَندلسية عايد، ومدَدُ سعادته فى أَقطار هذا القطر مُتَزايد، فكيف لا تتهلَّل وجوه أَهليها ، وتبدو الكآبة على العدوِّ الذى يليها ، وكيف لا ترتفع بالشكر أَيْدِيها ، ويقوم على هَضْبة الاسْتِبْشار مُناديها . بظهور من يكفُّ أَيدى عواديها ، ويتكفل برَىِّ صاديها ، وإن نبأَ هذا الفتح فى قلب العدو لكبير ، وعلى سمعه لأَثْقَل من رَضْوَى وثَبِير ، فممَّا لا يفتقر إلى تمهيد وتقرير ، أَن الجهاد لا يزال تجاه ذلك المقام الكريم ونُصْب عَيْنه ، وأَن الظهور على أَعداءِ دِين[1] الله دَيْنٌ لحُسامه وهو لا ينام عن اقتضاءِ دَيْنه . فما هَمُّ النفوس الكريمة ، إلاَّ اكتساب المناقب الفاخرة ، ولا بَعد تحصيل الفوز بالدنيا إلاَّ حَديثَ الآخرة [ولا وراءَ تمهيد][2] الأُمة المسلمة ، إلاَّ قِتال الأُمة الكافرة . وأَننا وجهنا كتابنا ليخطب فى هذا الهنا ، بمبلغ الجهد ووُسْع الغِنا ، واخترنا للوفادة به من ينوب عنا فى هذا الغرض ، ويقوم للوقت بواجبه المُفْتَرض ، وهم صُدُور إيالتنا ، ودُرَرُ لبَّات عُمَّالنا ، فلان وفلان ، وصل الله إعزازهم وكرامتهم . ويمَّنَ ظَعْنَهم وإقامتهم ، وأَوفدناهم على بابكم المقصود ، وشِرْعة مملكتكم المزدحمة بالوقود ، وهم يلقون إلى مقامكم فى تقرير وُدادنا ، والتَّنبيه على مقدار اعتدادنا[3] ما نعلم أَن قواعده لَدَيكم غير مُفْتَرقة ، للتقرير بما عندكم من إشراق البَصْيرة ، وثُقُوب[4] الضمير ، فتفضلوا بالقبول المعهود ، وأَوْرِدُوه من برِّكم أَعْذَب الورود، ومَهِّدوا لهم جناب الإغضاءِ فيما قَصَّرُوا فيه عن الغرض المقصود . والله تعالى يصل لكم أَسباب السعود ، ويجعل لكم عزمكم فى الجهاد صادق البرُوق والرُّعود ، ويبقى منكم على الأَنام مثابة الجود ، وفخر الوجود . والسلام عليكم .

---

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (أعدانا) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شفوف) .

وصدر عنى لما فرَّ الأمير أبو ثابت الزعيم بالفَلِّ من بنى زيَّان أثر الهزيمة التى جرت عليهم، ولحق بأَرض صاحب بِجاية فقُبض عليهم ، ووُجِّه بهم إلى السلطان الكبير الشهير أَبى عنان رحمه الله ، فأَوقع بهم ، تجاوز الله عنهم . وخاطب سلطان الأَندلس أَبا الحجاج بن نصر رحمه الله مراجعته من إملائِى بما نصه[١] :

المقام الذى انتظمت لدولته الفتوح الغُرُّ انتظام العقود ، واقتضيت بعزماءِ عزماته ديون الأَيام اقتضاءَ النُّقود ، وطلعت من ثنايا آرائِه السَّديدة[٢] ، وجوهُ السُّعود ، وتكفلت، نيته الصالحة له بنيل المقصود ، وإنجاز الموعود ، مقام محل أَخينا الذى إن نُشرت الفتوح ، أَلفيت فى أَلفاف البنود وادعة ، أَو دُعيت الآمال كانت بوجوده طائِعة[٣] سامعة [أَو استُدعيت الأَمانى انثالت فى أَيدى سعوده وإن كانت شاسعة][٤] . فرياض العزِّ به يانِعة ، وكواكب السعد بآفاقه طالعة ، وأَنفاس الثناءِ على مُلْكه الرفيع البناءِ بأَعطر من المسك الفَتِيت ذائِعة ، وحدود[٥] صوارمة قاطعة ، وبالحق المبين صادعة ، السلطان الكذا ، أَبقاه الله مُكَملة مآرب أَمره، مُعْمَلة عواملُ نصره ، مخوّلاً من الله ما يعجز اللِّسان عن حصره ، ثَبّتَه فى صحايف الصفايح آيات فخره ، ولا زالت عوامله مُصرفة فى زَيْد عداه[٦] وعَمْره، حتى تذعنَ الرقابُ الغُلَّب لقهره، وتُعرِّف الدهور بمزية

(١) هذا العنوان وارد بالإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السعيدة) .
(٣) هذه الكلمة واردة بالملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وحجج) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (علوه) .

دهره . سلام كريم كما سَفَرت الفتوح عن غُرَرها ، ورُقمت أنباءُ النَّصر على صفحات السيوف وطُرَرها ، واستبشرت الأَرض بوابل مَطَرها ، وظَفِرت النفوس بأَقصى وطَرَها ، يخص مقامكم الأَعلى [ومثابتكم الفُضْلى][1] ورحمة الله وبركاته.

أَمَّا بعد حَمْدِ الله الذى تَمَّم لكم الصنايع تتميماً ، وجَلَى لكم وجه السعادة أَغرَّ وسِيماً ، وأَثبت لكم فى صفحات الفخر ذكراً شهيراً ، ومجداً عظيماً ، وجعل حدَّ سيوفكم الماضية ، تَسْتَوعب العدا سَبْراً وتقسيماً ، فكلما طلبتم الأَيام بديونها ، لم تُمْطل كفيلاً بكم غريماً ، وكلما دعوتم الآمال ، انْثَالت على مواردكم هِيماً ، وكلما أَضمرتم أَمراً بعيداً ، أَصبح بباكم مُقِيماً . والصلاةُ على سيِّدنا ومولانا محمد رسوله ، أَزكى البريَّة عنصراً ، وأَشرفها خِيماً ، نبىُّ الرحمة الذى جلى بنور الحق لَيْلاً بهيماً ، ودعا إلى توحيد الله نفوساً حازت فى ظلمات الضلال تَثْليثاً وتَجْسِيماً ، وأَعمل الحرب العوان حتى سلكت الخلائِق من الطاعة لله ورسوله مَسْلكاً قويماً ، ووقفت عند أَوامر الله ونواهيه تحليلاً وتحريماً . والرضا عن آله الذين كانوا فى الظَّلماءِ نجوماً ، وفى اللَّأْوَاءِ غيوماً ، وفى الهياج أَجَلاً محتوماً ، ففرعوا السحاب جوداً ، والآساد إقداماً ، والبدور ضياءً ، والهضاب حُلُوماً ، صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليماً ، والدعاءُ لمقامكم الأَسمى بالعزِّ الذى لا يزال لركابه العلى لَزِيماً ، والسَّعد الذى تُغْنى عن الاختيار أَسبابه ، وتفتح قبل الطلب أَبوابه ، فلا يحتاج تعديلاً ولا تقويماً ، والصُّنع الذى يروق [أَولياءَ مقامكم][2] الرفيع خصوصاً ، وسائِر المسلمين عموماً ، ولا زال جنابكم المؤَمَّل كهفاً ، والثناء عليه رقيماً ، حتى يصبح الكفر بهبوب[3] عزائِمكم هَشِيماً ، ويستنشق الإسلام

---

(١) هذه العبارة واردة بالملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (مقام أوليائكم) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، ووردت فى الإسكوريال (بعميم) والأولى أرجح .

من إتاحة الكرَّة له على يدكم روحاً عاطراً ونسيماً. فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من مواهب عنايته أَوْفَر ما كتب ، وجعل سُعودكم تَضْمَن إعتاب الدهر كلما عَتَب ، وأقلام رماحكم تثبت فى خط خطيها النصر الداخلة على العتب ، وخطباء فتوحكم[1] تتوقَّل من منبر العز أعلى الرتب . من حَمْراء غَرناطة حرسها الله ، والاعتِداد بمقامكم العلى يزيد صيحُه[2] وضوحاً ، والأَمل فى مُلككم الفارسى ، يهزُّ منه نسيم هذه الأَنباء غضًّا مروحاً ، وخافت الرجا فى هذه الأَرجاء ، تنفخ فيه عزائمكم على جهاد الأَعداء رُوحاً ، وتتلو عليه من النصر كتاباً مشروحاً . وإلى هذا ، أَيَّد الله أَمركم الرفيع تأْييداً ، وألْهَمَه شكراً براً لا يعدم منه مزيداً ، وجعل سيفه الماضى كلما تقلده لأَبواب الفتوح إقليداً ، حتى يستأْنف به الإسلام عزًّا جديداً ، ويَتْلَعُ جيداً ، ويملأُ بلاد التثليث توحيداً ، ويذيق الكافرين بأْساً شديداً ، ويريهم الفَتْحَ القريب الْمُبين قريباً ، وإن كانوا يرونه بعيداً . فإننا ورد كتابكم المستوفى الفصول ، المحكم الفروع بالأُصول ، المشتمل على محصول الفخر ، وفخر المحصول ، الْمُسْنِد خبر النصر إلى قضاة الذهول . فيا لها من وجوه بِشر جَلَتها البلاغة فى أَحسن الشَّارات ، ومعانى فتوح أَوردها البيان بأَفصح العبارات ، وعيون نصر أَفادتها الآداب أَحلى الإشارات ، حتى كأَنَّ الأَقلام فى خدمة مقامكم السعيد ، جرت مجرى السيوف فى استصحاب التأْييد ، وإحراز المقام البعيد . وقفنا من مُضَمَّنه حسبما قرّرتم على خلوص الطاعة ، والْتِئام الجماعة ، واستقرار الحق فى أَهله بعد الخصام ، وتسويغ مشارع الشريعة لواردها من بعد الازدحام ، وانطلاق ألسنة العدل بعد الإفْحام ، وإلحاق طُرَر البلاد القَصِيَّة بأَهل العِمالة المرينيَّة ، بعد الإضراب والإقحام . وإن عدوكم أَجهز القدرُ على جريحه ، ونشأَت ريح البشائِر لخمود ريحه ، واعْتَقَبه الحسام الصلت ، فلم يفرق بين طَرْقِه

(١) وردت فى الإسكوريال (للفتوح) والتصويب من الملكية .
(٢) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (وضوحه) والأولى أرجح .

ولا صريحه . فأصبح الشوق لنور دعوتكم مُشْرقاً ، وأساغ ريقَه وكان به شَرِقاً ، واشتمل مِلاَّءَ الأمن ، وكان خائِفاً فَرِقاً ، وغدا مزاج السياسة المرينية لارتفاع ضدها مزاجاً متفقاً ، وأنشدها لسان السعد :

« فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً »

وإن هذه الوقيعة المستأْصلة كانت لمرض الخلاف المزمن بُحراناً ، وحكماً ينبع من حلول النصر بدرجة النصل قِراناً ، وفتوى رضى أَسْهَب الحسام اختيارها ، وكتَبَتْ أقلام الرماح [فى صحف][1] الأيام آثارها . فقلنا هذا أمر لنا كلُّه أو جلُّه ، ومُزْنٌ لنا طِلُّه ووَبْلُه . الآن ارتفعت عن الجهاد الشواغل والشواغب ، وآن أن يحظى بأَمله الراغب . الآن تهلَّلت الوجوه ، واستشرف الدين الحنيف كما لم نَزَل نرجوه . كأَننا بالعزائِم لأَداءِ حق الله مصروفة ، والصوارم على سبيل الجهاد موقوفة ، والهمم لأَن تكون كلمة الله هى العليا مشْغُوفة . ومن عامل الله فى نصر هذه الأَقطار المسلمة ، مع اختلاف الكلمة ، بما جمع بين الكَرَى والأَجفان ، ومد[2] القواعد بعد الرَّجَفان ، وأَمسك حملها العاصم عند فيض الطُّوفان ، كيف يكون عمله بعد ارتفاع الموانع وزوالها ، وسكون البلاد من أَهوالها ، قياس بمشيئة الله صادق ، وبُرهان بين الشك واليقين فارِق . فهذه الجزيرة الأَندلسية ، من عامل الله فى نَصْرها بنيَّة صالحة ، طَهُرَ رِبحه ، وطلع بالسعادة صُبْحُه . وقد ظهر مجمل ذلك بما يطول شرحُه . فأَنتم لما صدق فيها عزمكم ، لم تَسُلُّوا سيفاً فيما فينا عن ضريبة ، ولا أَعملتم عزماً إلاَّ بلغ غاية غريبة ، ولا سدَّدْتم سهماً إلاَّ أَصاب غرضاً بعيداً ، ولا أَردتم رأْياً إلاَّ أَثمر مراماً سعيداً ، وإننا أَخذنا من السرور بتمام نعمة الله عليكم ، واستقرار فَذْلكة الفتح لَديكم ، بأَقصى ما يأْخُذه الولى الحميم ، وهجنا من اتِّصال سعدكم بما سَناه الله الكريم ، ووجَّهنا

(١) وردت هذه العبارة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سكن) .

من يَنُوبُ عنَّا فى هنائِكم به ما يُوجبه الْوُدُّ الصميم . وهو قريبنا الكذا أَبُو فلان، وأَلقينا إليه فى هذا الغرض ، مايلقيه ويقصُّه عليكم ، وأَنتم تتفضلون بالإصغاء إلى ما يؤديه . والله يصل سعدكم . ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم .

ولما استولى رحمه الله على بجاية ، ثم ثار بعض كِبار وطَنها بقايِده وقَتَله ، فاستدرك أَهلها بعد ذلك الأَمر ، فتغلبوا عليه ، ورجعت الدعوة بها إليه ، ووصل كتابه يُعرِّف بذلك ، صدرت مراجعته عن سلطان الأَندلس أَبى الحجاج بن نصر رحمه الله من إملائى بما نَصُّه[1] :

المقام الذى أَشْرَقت بأُفقه الأَعلى فجر الفتوح ، وجرت جِيَاد سُعوده فى ميدان النصر العزيز طَلْقُ الجموح ، وجاءت دولته الفارسيَّة على إيضاح السَّعد بأَحْسَن الشروح ، وتأَوَّد الدايل ارتياحاً بعزه تأَوُّد الغصن المروح . مقام محل أَخِينا ، الذى حَديد سيفه بينه وبين مغناطيس الفتوح خاصِّيَّة عجيبة ، وعزيم سعده له فى أَعناق الليالى والأَيام وَجِيبة ، ومنادى طاعته إذا دعا ، كانت له المسالك قريبة ، والممالك مُجيبة ، [السلطان الكذا أَبى عنان][2] أَبقاه الله ، والمحامد بذكره كَلِفة ، والقلوب على طاعته مُؤْتلفة ، والسُّيوف والأَقلام بخدمته متصفة ، والأَلسنة فى الإقرار بعجزها عما يجب له مُتَّصفه . معظَّم مقامه ، الذى تعظيمه فرض لازم ، والقول بإجلاله وإكباره ، قول جازم . ومُوَقَّر ملكه الذى له التوقير محالفٌ ملازم . الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد بن فرج بن

(١) هذا الشرح كله وارد بالإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية وردت كالآتى ((السلطان الكذا ابن السلطان الكذ ابن السلطان الكذا) دون ذكر اسم أبى عنان .

نصر . سلام كريم [طيب بر عميم][1] كما زحفت للصباح شُهب المراكب ، وفجَّر الفجر نهر النهار ، فطفا فوقه حباب الكواكب ، يخص مقامكم الأعلى ، وأُخُوَّتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله الذى آلاؤه العميمة[2] ، لا يُحصر عددها ، وصنايعه الكريمة لا ينقطعُ عمَّن توكَّل عليه مَدَدُها ، وفتوحاته لأوليائه وصفوة خلفائه ، لا تُبلغ بالأفهام أَمَدُها ، الفتاح العليم ، ناصر العزايم ومؤيدها ، وموفق الآراء ومسدِّدُها الذى إذا قَرَّب مسافة أمل ، فمن ذا يُبعدها ، وإذا أعطى فمن ذا يُسوِّف عطاياه أو يردِّدُها . والصلاة [والسلام][3] على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ذى المعجزات التى هى الشمس ، ضلَّ من ينكرها أو يُجْحِدُها ، إمام الرسل الكرام وسيدها ، وأحمدها ومحمدها ، وخاتم النبيين ، الذى كمل به عددها ، وشفيع الخلائق ، يوم الفزع الأكبر ومعتمدها ، الذى ندَّخر محبَّته ونجدها ، ونلجأُ إلى ظِلال وَسِيلته ، فلا يُخْلف إن شاء الله موعدها ، ونمحص الود فى مَرْضاته ، ونصل اليد لإقامة سنته ومفترضاته ، فنتعرف الإعانة ونتعددها . والرِّضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه ، الذين هم كنوز الملة السَّمْحةِ وعُدَدُها وأنجمها ، التى لا يضلُّ من يسترشدها فينصرهم ، طالت يدها واستقام أودها ، حتى أورثهم الله ما زَوَى من الأرض ، بالعزايم القائمة على أساس اليقين عمدها ، فدان لهم أدنى الأماكن وأبعدها ، وسطا بمثالث الأمم موحِّدُها ، وتمت كلمة[4] الله صدقاً وعدلاً ، يتوارثها عن الآباء وَلَدُها ، وينافس فيها اليوم غداته[5] . والدعاءُ لمقامكم الأسنى

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (كلمات) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (غداها) .

بالنصر الذى يثبت آيات الفخر ويخلدها ، والسعد الذى يَسُوق ملابس الفتح[١] ويجددها ، ولا زالت حجج سيوفكم المالكية ، يصيب شاكلة الحق من يتقلدُها ، وأودية سياستكم المرضية ، يشفى الغليل مركَّبُها ومفردها ، [ومشارع جودكم تروى من يردها][٢] . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عنايةً يتضح مقصدها ، وسعادة تروى أحاديث الصُّنع الجميل وتسندها . من حَمْراء غَرْناطة ، حرسها الله ، ولا مزيد[٣] بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيُّع لمقامكم ، أعلى الله سلطانه ، إلاَّ الخَيْر الذى سحائبه ثَرَّة ، والصُّنع الجميل الذى مباسمه ضاحكة مفترَّة ، والأنباء التى لا تعدم معها مسرَّة ، والصنايع التى ألطافها بالإسلام برَّة ، وجانبكم عندنا عليه ، بعد الله المُعَوَّل ، والإخلاص لكم هو لَدَيْنَا المعقول الأول ، وبما [فتح][٤] الله لكم من منحه الكريمة ، هو عندنا المَنْح المهنَّأُ المخوَّل . وإلى هذا أيَّدَ الله أمركم ، وأعزَّ نصركم ، فإننا لا نزال على ثقة من عناية الله بكم فى كل وجه ، تؤمُّون إلى هَدْيه ، وتطلعون كواكب رأيكم الميمون فى سَدَفه ، لما نعلمه من سعدكم ، الذى يروض الصِّعاب إذا رامها[٥] ، وعزمكم الذى يتناول الأُمور المبرمة فيحل إبرامها ، ويسهل مرامها ، وهمتكم التى تروم الكواكب ، فتزاحم أجرامها ، ونعتقد أن الذى سدَّد من عزمكم السهام فأصابت ، ودعا السحاب الجهام فصابت ، إنما هو ثمرة نيّة خلصت لله ، لم يشب صفوها شائب ، وخبيَّة صالحة للمسلمين تساوى فيها منهم حاضر وغائِب . وكنا قد اتصل بنا أن مقامكم خَطَب مدينة بجاية فأَلقت المقاد ، وراجعت الاعتقاد ، وأن من كان لنظره أمرها لما تلى عليه أن الله يأمركم أن تؤدوا الأَمانات إلى أهلها ، أذعن للحق وانقاد ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العز) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (زايد) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يفتحه)
(٥) وردت فى الإسكوريال (رآها) والتصويب من الملكية .

ثم تخللت المراوضة أمور ، وحدث فى أثناء الوصل نفُور ، وللحق من بعد الاحتجاب سُفور ، ولله فى كل شيء قدر مقدور . فجعلنا نرتقب لتلك الحال[١] مقالاً يحمد ، وعاقبة يُسَرُّ بها ذلك المقام الأسعد ، فكلما اختلفت الأحاديث نظرنا[٢] فى رجالها وطُرقها ، ورُمْنَا الجمع بين متعارِضها ومفترقها ، واستعملنا ميزان التَّعديل والتَّجريح ، لتخليص السَّقيم من الصَّحيح . فلما ورد رسُولنا من بابكم ، وقد عنى بكشف المشكَل وتقييد المهْمَل . وَوَفَّى بحمل الْمُعَنْعَن[٣] والمسَلْسَل ، وعرفْنَا بالفتح الذى تَشْمَخُ به الأُنوف ، وتبسمُ لمسَرَّته السُّيوف ، وترتاح لعزِّه الْجِياد الْجُرد ، وتتأَوَّد لذكرِه الرِّمَاح الْمُلْد ، فتح بجاية حرسها الله ، وما بِجاية إلاَّ باب الشرق ، وذات الأَصالة بواجب الحق ، ومن لها فى مَيْدان افتخارِ البلدان قصب السَّبق ، العتيقة البناء ، السامية الميناء [الأَنيقة الرُّتبة ، الخصيبة الْبُقْعة][٤] ، دار البَسَالة على طُول المدة ، ومعقل الملوُك عند الشِّدَّة ، أَزرت على القواعد بزيرها وغمامها[٥] ، وباءت بباديتها[٦] وهِماذِها ، وصابرت الأَزمات على طول[٧] آمادها . فهى العقيلة التى أَشرقت يوم الافتخار بأَسمى سَليل ، وسَفَرت للإسلام[٨] عن كل مرأَى جميل ، وقعدت على مَنَصَّة التَّشْرِيف والتفضيل ، وضمن عليل نَسِيمها شَفَا الْعَليل ، وتختَّمت بالثريا ، وتعصَّبت بالإكليل ، وزَرَت برفيعها وبديعها على الْفُرات والنِّيل . دار الْجِياد المجنوبة ، والأَساطيل الموهُوبة ، ومرفأُ الشفق ومحطُّ الركاب ، ومُتَلَقَّى جوَّابة[٩] البيدا ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (الجلال) ، والتصويب من الملكية .
(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى المخطوطين .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية كالآتى (الأنيقة البقعة ، الخصيبة الرقعة) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وبناءها) .
(٦) فى الملكية (بيادسها) .
(٧) فى الملكية (اتصال)
(٨) فى الملكية (للأبصار) .
(٩) فى الملكية (جوابى) .

وخابِضِى الْعُباب ، تهوى إليها أجنحة الشُّرَّاع شارِعة ، وتبتدرها قوافل السُّفن مُتَسارِعة ، ما بين مُخَبِّرة عن مدينة الإسكندرية ، ومُطَرِّفة بأبناء رُومة بنى الأَصفر ، وصادرة عن السَّواحل العكِّية ، ومُحَدِّثة عن غرائِب التُّركية ، وشاكية إليكم الكَرب ناجِية من ظُلمة اقتباس الغرب . أَلْقت اليد إلى طاعتكم على شهرة إبائِها وشِماسِها ، ومَنَعة وضعِها ، وشهامة ناسِها ، لَمَّا علمت أَن مُغَالِب الحق[1] مغلوب ، ومُحارِب القدرة الإلٰهية محروب ، وحَرُوف اللجاج مَقُود مَجْنُوب ، ومكابر البرهان إلى الجهل مَنْسُوب . فصانَتْها أَصالة رأْيها فى الطاعة عن الخطل ، وتحلَّت منابرُها بذكركم من بعد الْعَطل ، وطابت بإيالتكم الفارسية نفساً ، واستشعرت سروراً وأُنْساً . وكانت قد عدمت ناصر الدين معنى ، فوجدت ناصر الدين معنًى وحسًّا ، وخَشَعت أَصوات أَهلها للرحمن من بعد الإجهار بالإباية والإعلان ، فلا تسمع إلاَّ هَمْساً ، وأَصبح مُلككم مطلا[2] على ماوراءها من الجهات ، [ناسخاً بحكم][3] الحق حجج التُّرهات ، وإن كانت قد أَبدت نفاراً وتيهاً ، وعاودت عادة تجنيها ، فالتِّيه من عادة الغادة ، والتمنُّع من شيمة الكريمة ، أَنما هو الْمَطْل ، وبعده يحصل الْوَصْل ، والوعد والإنجاز من بعد ، والبرق والرعد ، وفى أَثره الغمام الرغد ، وأَهون المكسوب رخيصُه ، ولذَّة الصَّيد أَن يُطارَد قَنِيصه ، وإذا ظهرت الآلاء فما أَخفت مَلالا ، وإن رامت دفاعاً ، فما أَضمرت خلافاً ولا امتناعاً . فقد كانت خَجِلةً من نشوزها المتقدم ، قارعة سن المُنْتَدم المتَنَدم ، معلنة بطوق[4] الكَلَف ، متبرمة من الصَّلف ، معترفة بحقوق من سلف لكم من كريم السَّلَف ، مستدركة ما فاتها من أَيامكم السَّعيدة المستقبلة ، باخِعةً بتوبتها ، والتَّائِب من الذنب كمن لا ذَنْبَ له . فلما تحققنا من هذا الخبر الذى هو عَلَم فى عواتِق[5] الإخبار ،

---

(١) فى الملكية (القدر) .
(٢) فى الملكية (مظلا) .
(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ناضحاً بحكم) .
(٤) فى الملكية (بفرط) .
(٥) وردت فى الإسكوريال (هذا) والتصويب من الملكية .

وشَنَبٌ فى ثغور الثغور ، وخَفَر ، فى خدود الأمصار ، وسجدة فى سورة الفتوحات الكِبار ، وأثرٌ حقه أن يُكتب بمداد الليل فى قِرْطاس النهار ، قلنا تحصَّل الأمل ، ولما ثَبَتَ الحديث وجب العمل . وهذا أمرٌ لنا فيه النَّاقة والْجَمل ، إذا فتح الله على من نأمل[1] نصره فعلينا فتح ، وإذا منح من نرجو إعانته فإيَّانا منح . الآن زادت الخطة المرجُوَّة سعة ، واستأنفت الملك الذى يعتد به تمهيداً ودعة ، وآن أن يحصد فى مرضات الله ما زرعه . الآن أمكن الاستعداد ، وتيسير الحج وبعده إن شاء الله تيسير الجهاد ، وأعطينا السرور به ما شاءه ، وأتبعنا الدِّلو فيه رِشاءه ، وعَمَرْنا بترديد الحمد لله ضُحى الزمان وعِشاءه . وبادرنا بتوجيه من يؤدى عنَّا حق الهناء بهذه الآلاء ، ويسلك فى توفية ما عندنا من السرور على سبيل السَّواء . فاخترنا لذلك فُلاناً ، وصل الله سلامته ، ويمّن ظَعْنَه وإقامته ، وحمَّلناه من تقرير ما لدينا من الْوُدِّ الذى صدق ابتهاجه ، وقطع المعابر امتجاجه ، وراق على أعطاف الخلوص ديباجه ، ما نرجو أن يقوم بما أمكن من حقِّه ، ويسلك فى تبليغه لا حِب طرقه . وفضلكم كفيل بالإصغاء إلى ما يلقيه ، والقبول على ما يؤديه ، والله تعالى يبقى ملككم متأوِّدة بالنصر عواليه ، مسروراً بسعادته من يواليه ، وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

[وكتب فى الثانى عشر لشهر ربيع الأول المبارك من عام أربعة وخمسين وسبعمائة][2] .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تؤمل) .

(٢) هذه الفقرة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

ولما ثار بجبل الفتح عيسى بن الحسن بن
أبي منديل ، وقُبض عليه ووُجِّه للسلطان
بالمغرب ، عرف سلطان الأندلس بذلك
فكتب فى مراجعته كتابه المذكور ما نصه[١] :

المقام الذى غَريم غرمه[٢] كفيل باسترجاع المغصوب ، وعامل سعده ضَمين بخفض الباطل المنصوب ، وجَبين مجده خليق بتاج العزّ المعصوب . مقام محل والدنا ، الذى نشتمل من فضل سروره بالملادة[٣] الضافية [ونستند منَ التشيّع إليه إلى كلاءة وافية ، ونَرِدُ من مشرب سعادته فى الموارد الصافية][٤] ، ونحظى من مقاسم ما يُسْنِيه الله له ، بالحظوة الوافرة الوافية ، ونسأَل الله له اتصال الصُّنع ودوام العافية ، حتى لا تزال تطلع علينا من ثنايا عناية الله به ، أَنوار[٥] الأَلطاف الخافية ، أَبقاه الله يروض سَعْدُه الصِّفات فيُلينُها ، ويتناول المشكلات فيبيِّنُها ، ويطلع غرَّة الصُّنع الجميل يروق جبينها ، ويجنى ثمرة النصر العزيز قد يَسَّرها حينها . مُعَظَّمٌ قدره الذى فاق الأَقدار ، واستحق الإجلال والإعظام والإكبار ، وموقر مُلْكه الذى صدق الخبر من فضله[٦] الأَخبار ، فلان [سلام كريم طيِّب برٌّ عَميم يخِصّ مقامكم الأَعلى ورحمة الله تعالى وبركاته][٧]

أَما بعد حمْدِ الله الفتَّاح العليم ، مطلع أَنوار العناية بهذا الإقليم ، فى جَنَح

---

(١) هذا العنوان والشرح كله ساقط فى الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سعده) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (بالملا) والتصويب من الملكية .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقط بالملكية ، ووردت مكانه العبارة الآتية (ونعتد من أبوته بالعدة الكافلة الكافية) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نوار) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فضايله) .
(٧) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

الخطب الْبَهيم ، ومجنى ثمرة التفويض لأوامره والتسليم ، وتلقى أحكامه بالقلب السَّليم ، عذبة المذاق ، طيبة[١] الْعَرْف ، رايقة الأديم ، ومحقُّ الحق ، ومُبطل الباطل فى الحديث من الحوادث والقديم ، الذى تدارك بالشِّفا عند الإشْفار من القطر السَّقيم ، وسكَّن بالايتلاف من بعد قدح زَنْد الخلاف ، نفس الظاعن به والمقيم ، وأخمد بيد قدرته عُصُوف الريح العقيم . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسُوله النبى الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الموصوف فى كتابه العزيز بالْخُلُق العظيم ، الهادى إلى السبيل الواضح والطريق[٢] المستقيم ، الذى باتباعه نَحْظَى بالخير العاجل ، والنَّعيم المقيم ، وبجاهه نَدْرأُ فى نحر الخطب الجسيم ، فنجتلى غرر[٣] الوجه الوسيم ، [وفى ابتغاء مَرْضاته نثابر على جمع شمل الإسلام][٤] واتِّساق مُلْكِه العظيم . والرضا عن آله وأصحابه أُولى الْهَدْى الكريم ، والمجد الصَّميم ، الذين خلفوه فى أُمته ، بالتكميل لمرضاته والتتميم ، وكانوا لها من بعده كالنجوم الهادية فى الليل الْبَهِيم ، وجاهدوا أعداءه بالْجدِّ والتَّصميم ، فامتدَّ بسيوفهم الماضية ، وسيرهم الراضية ، جِناح الأمان على الأموال والأنفس والْحَريم. والدعاء لمقامكم الأَسْنَى ، بالنصر الذى يُغْنى ببرهانه عن السَّبر والتقسيم ، والْيُمن الذى يمدُّ جِناحه الرحب على العامر والمسيم . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم دوام السعادة واتصالها ، وعَمَر بإظهار آيات العنايات بكم بُكر الأزمان وآصالها . من حمراء غَرناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله ، الذى بهرتنا ألطافه ، فأَضْرَمَت[٥] الألسنَ الخامدة ، وغمرتنا نعمه تُتْبع التالية منها الواردة ، إلاَّ انشراح الصُّدور التى كادت لولا حسن اليقين تَضيق ، واستبشار النفوس ، التى كاد

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الصراط) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الوقاية عن) .
(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فاخرست) .

يلتبس لها فى جَنح الشدايد طريق ، واجتماع الكلمة بعد أن نَعَق بها التفريق ، وخلوص الموارد ، وقد كاد يتنكر الصَّديق ، واستقامة الأَحوال على ما يجمل بمن يَرْعى حقَّ ذى الجلال ويليق ، ولأُبوَّتكم الحق الذى لا يفارقه التحقيق ، والبرُّ الذى سببُه القوى وثيق ، والتشيُّع الذى تعاضد منه التصوُّر والتصديق . وإلى هذا وصل الله سَعْدكُم ، وحَرس مَجْدكُم ، فإننا وصلنا كتابكم ، الذى شَفَى الْعِلَل ، ونَقَع الْغُلل ، ومكَّن السَّرور والْجَذَل ، تعرفون فيه بحال الْجَبَل ، وما أَفضى إليه أَمره ، واستقر عليه زَيْدُه وعَمْرُه ، وما كان من مراجعة من فيه بصائِرهم ، وإظهارهم ثمرة ما أَسَرَّته من الطاعة سرائِرهم ، وأَنهم امتعضوا للواقع ، وصرفوا الوصى للراقع ، وبادروا بدرياق الاستقالة عاد والسمُّ الناقع ، فعاد الحقّ لربه ، واستقام نفس الدعوة فى مهبِّه ، وانحطَّ سَنَام الْخِلاف بعد جبِّه ، وباء المذنب بذنبه ، وسوءِ كَسْبه . وإن كان الجوار يهدى الأَنباءِ غضَّة ، فمن لسان مخاطبتكم الجيَب ، وجزئياتها لا تبين[1] منها إلاَّ ببيانه المذهب . واعلموا يامحل والدنا أَن هذا الأَمر الذى انصدع صباح الفَرَج فى ليل شدته ، وطالت آماد الآمال بقِصرَ مُدَّته ، إنما هو[2] كان شُعْلَةً وقعت للإِسلام فى خزانة عُدَّته ، وهى طرق إلى أَساس سِدَّته ، وداهيةٌ أَصابت هذا القطر الغريب ، آخذةً بمصراع بابه ، قاطعةً لأَسبابه . تداركها الله بسَعْدكم ، ليرى كيف تُجلى بالعناية الإِلهية الغياهب ، وتتضح [بالقدرة الأَزلية][3] المذاهب ، [وليحمد الحامد ويهب الواهب][3] ، ويعتبر بمواقع تصريف القضاءِ الآتى والذَّاهب . فالحمد لله الذى لم يُشْمِت الكفار بوقوع فتنة تهدُّ من الإِسلام ركناً ، وتشمل أَهله ضغناً ، وتُغيِّر من اتصال أَيديهم لفظاً أَو معنىً . وإن عم الصُّنع بها فجهتنا المعتمدة بخصوصه ، وإن كان لغيرها

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يليق) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

من الأقطار حظٌّ أقيسة ، فلنا حظوظ نصوصه . فنحن نهنى مقامكم الأَسْنَىَ بخلوص حَسَنة سَلَفِكم المكتوبة فى صحف الْقَبُول ، ومَنْقَبَة مُلْكِكُم الرائقة الْغُرَر والْحُجول . فقد ظهرت طيِّبات كسبها لما نفى الله عنها الشَّوايب ، وحقَّق الشاهد منها للغائب ، وتخيَّرت الأَخابث والأَطايب ، وظهر أن الله قد حفظ عليكم نعمته وصانها ، وقصر على يدكم عِنانها ، وكفى شانها من شأْنها ، فإنما هى فُرْضَة بحار تُسلك ، ومسجد عبادة لا تُسْتَحق بغير التقوى ولا تُملك ، وقد ظهر من سر[1] سعادتكم ما لم يكن فى حيِّز الخفا ، فكم معضلة بادرها بالشِّفا من بعد الإسفا ، فهَجَعت العيون[2] بعد هجر الإغفا ، ووردت الآمال ، وقد تكررت الموارد[3] مراجعة بعد الكَدَر حال الصَّفاء ، ما ذاك إلاَّ لنِيَّة يعلمها من يطَّلع على الضَّمائِر ، فيعلم إخفائِها وإبْدَاها . وكما قال صلى الله عليه وسلم ، من أسرَّ سريرةً أَلبسه الله رِدَاها . فهنيًّا بهذا الصُّنع ، الذى أشرقت شمسُه ، ونَسِى بيومه أَمْسُه ، ونحن نقابل مخاطبتكم إيَّانَا به بالشكر الذى كَرُم نوعُه وجِنْسُه ، ونضرع إلى الله فى صلة بقائِكم ، الذى هو معنى الخير كله وأُسُّه ، ونَسَلْه سبحانه[4] أن يوليكم من مواهب فضله ، ما ينشرح به صدر كل مؤمن ، وتطيب نفسه ، حتى يرغم أَنْف الكفر بجهادكم ، وتعزُّهذه الأقطار بإعانتكم وإمدادكم . وإن ذهبنا إلى تقرير ما لدينا من التشيّع الْمُسَلَّم الْحُجج ، والبر الواضح المنهج ، كُنَّا كمن يروم رفع اللَّبس عن سَنَا الشمس ، ويعدل عن المشاهدة إلى الحَدْس . والله عزَّ وجلّ يَصِل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . [فى السادس والعشرين لذى حجة من عام ستة وخمسين وسبعمائة][5] .

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يمن) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجفون) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (الآمال) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٤) واردة بالملكية وساقطة بالإسكوريال .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال وساقط بالملكية .

وصدر عنى جواب لما استقل سلطان
المغرب بملك وطنه[١]

المقام الأَسْنَى الذى أحسن الله له الْعُقْبى [وأَعْقَب له][٢] الْحُسْنى ، وبلَّغه[٣] من فضله ما تمنَّى ، وجعله مثابة للناس وأَمْناً . فهو مقام إبراهيم لفظاً ومعنى ، مقام محل أَخينا الذى جَدَّد البيت الكريم ورفع أَركانه ، واستحق النصر العزيز ، فعيَّن زمانه ومكانه ، ونبهه القدر والحظُّ المبتدر ، فتملَّا أَوطاره ، وتملك أَوطانه ، واستظهر للدهر بعقوده ، طالباً إرث آبائه وجدوده ، فحاز تُراثه ، واستردَّ[٤] سلطانه . السلطان الكذا أَبقاه الله منشرحة بسُلْطانه الصُّدور ، مستمدة من نور سعادته البُدور ، مشمِّراً لتتميم مآربه ، وإيضاح مذاهبه[٥] القدر المقدور ، مقترناً بعَزَماته الظهور ، متنافسةً فى تخليد مآثره الأَيام والشُّهور ، رافعاً رواق العِصْمة عَدْله المشْهُور ، ضاحكاً فى اليوم العبوس عَلَمُه المنصور ، معظَّمٌ قَدْرُه ، ومُلتَزمٌ برُّه المسرور ، بما سَنَّاه الله له من إجلال قدره ، وإعزاز نصره ، [الأَمير عبد الله فلان][٦] . سلام كريم يخص مقامكم الأَعلى ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْد الله الفتَّاح العليم ، مُجتنى ثمرة الأَمانى القاصية ، والآمال المُتَقاصية ، من شجرة[٧] الرضا والتسليم ، ومُطْلع أَنوار الظَّفْر بالأَوطار فى [ظلمة الأَخطار][٨] لأُولى العزم من خلفائه الأَبرار والتصميم ، وذاخر[٩] منحة الفوز بما لديه من أَوليائه

---

(١) هذا التعريف وارد بالإسكوريال ، ومكانه بالملكية عبارة (ومن ذلك) .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ومكانها فى الملكية (وأحسن) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (وفضله) والتصويب من الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واستمد) والأولى أرجح .
(٥) وردت فى الإسكوريال (مآربه) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .
(٦) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شجرات) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ظلمات الأقطار) .
(٩) وردت فى الإسكوريال (وذخاير) والتصويب من الملكية .

الكرام عليه لمن أتاه بقلب سليم ، الذى جدَّد للملَّة ملابس عِزِّها رائقة التسْهيم، وجلى عنها بنور السعادة غياهب الليل البهيم ، ونفخ فيها الروح ، روح الحياة فى العظْم الرميم، المَلِك الحقُّ الذى إذا أعطى لم يفد لرد الخصم ولا مماطلة الغريم، فبيده مُلْك الْقبْض والْبَسْط ، والتأْخير والتقديم . والصَّلاة على سَيِّدنا ومولانا محمد نبيه المصطفى الكريم ، ورسُوله الرءُوف بالمؤمنين الرحيم، الذى أثنى فى كتابه العزيز على خُلُقه العظيم ، وأرسله بالآيات الْبَيِّنات والذكر الحكيم ، وأَخْبَرَ أنه وملائِكته يصلُّون عليه ، وأمر بالصَّلاة عليه والتسليم ، وبعثه إلى الناس كافَّة ، يأْخذ بالحجزات عن العذاب الأَليم ، ويدعو على بَصِيرة منه سُبحانه إلى جَنَّات النعيم ، حتى أصبحت كلمة الله تخب بها جِيَاد الأَقلام فى ميادين الأَقاليم ، وسَرَتْ فى الأَقطار تُبَيِّن لأُولى الأَسماع والأَبصار حدود التَّحليل والتحْريم، والرضا عن آله وأَصحابه المتميِّزين بأَصالة المجدِ وكرم الْخِيم ، الحائِزين قصب السَّبق فى الحديث والقديم ، الذين خلفوه فى أُمته بالتكميل لمحاسنها[1] والتتميم، ونصروه فى حياته نصراً تكفَّل بحفظ النفوس وصَوْن الحَريم. فإنَّا كتبناه إليكم، كتب الله لكم صُنْعاً تتلى أَنباؤه ما بين زمزم والْحَطِيم ، وسعداً تُغْنى قواطعه فى الأَعداءِ عن اختبارات النُّصُب واعتبارات التنجيم ، ونصراً يدونه الذابل والْحُسام ، فيقومان بوظيفتى السَّبْر والتقسيم ، وبشاير تسرى فى الآفاق مَسْرَى النَّسِيم ، وتسفر فى مطالع التعريف عن الوجه الوسِيم ، وتروى منها الْعِباد والْبِلاد ، تُحْفة القادم وزاد المسافر ، وقُوت المقيم . من حمراءِ غَرناطة حرسها الله ، ونعِمَ الله قد هَمَت منها السحاب ، وفُتوحاته الربَّانية ، قد تفتحت منها الأَبواب ، والكلمة المحمدية قد اتصلت بها الأَسباب ، ودولة الإِسلام قد عاد لها بدولتكم الشباب ، وآلاءُ الله [لما بَهَرت أَذهلت الأَلباب][2] . والظنون فيه سبحانه ، قد صدق منها الْحِساب.

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية كالآتى (قد ذهلت لما بهر منها الألباب) .

ولا زايد بفضل الله ، الذى عمَّت هِبَاته ، فهو الْجَواد الْوَهَّاب ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمدرسوله صلى الله عليه وسلم[١] ، الذى أَشرف من نور هدايته الشِّهاب[٢] إلاَّ الْعِزُّ المشيد، والسَّعد الجديد، والْيُمن العريض الْمَدِيد . [والآمال التى أشرق منها الجيد . والحمد لله حمداً يتولى منه بوسيلة الشكر المزيد][٣] وإلى هذا عرَّف الله الإسلام والمسلمين [عارِفَة][٤] سعدكم ، وهنَّاكم ما هَيَّأَه من الصُّنع الجميل لمجدكم ، فإننا [قدمنا][٥] لكم الخطاب جواباً عما أَهديتم إلينا ، وأَوفدتم بمقتضى فضلكم الْعَمِيم علينا ، من اتْحافكم ببواكر الفتح الأَسْنَى ، والصنع الوثيق المبنَى ، وأَنكم صرفتم إلى دار المُلْك ، الذى اختلفت لسعادة أَمركم[٦] أَوقاته ، ومقرِّ العز الذى حفظ أَمانته عليكم ثقاته ، وتشوّف إلى تَلْبِية مجدكم ميقاتُه ، وارتاحت إليكم عهوده ، وحنَّت إلى لقائِكم سروجه ومهوده ، وسهرت لارتقابكم عيونه ، ويُسرت لاقتضائِكم ديونه ، ونَضُرَت لمجالسكم مراتبه ، وعُرضت[٧] بين يدى جُودكم مواهبه ، وجُنبت إليكم جُرْده وسلاهبُه ، وزيِّنت ببدركم هالتُه ، وخطبت بجلالكم جلالته . وأَن الملك قد استقر ، والمنَّة لله فى قرارِه ، وربُّ الدار قد توسّط[٨] أَريكة دارِه ، والوارث الأَحقُّ قد فاز بحقِّه ، والجواد الكريم قد تميَّز فى ميدان السَّعد بخَصْل سيفه ، وأَن الطاعة قد اتَّسقت عقودُها وانتظمت ، وخَلَصت واستحكمت ، والأَلسنة قد أَعلنت ما كتمت ، وملَّة الإسلام قد رضيت وسلَّمت ، وأَن الْعِباد والبلاد قد شملها

---

(١) هذا الدعاء وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الشباب) والتصويب من الملكية .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٤) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ملككم) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وعظمت) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (توسد) .

الاستبشار ، وحصل إليها الأمل الذى كان إليه يُشار ، والقرب الذى كانت تحنُّ إليه كما تحن الْعِشار ، وظهرت آثار الاعتقاد الذى لم يزل فى العقائِد كامناً يروع الناس[1] مقام إبراهيم ، الذى مَنْ دَخله كان آمناً ، وغبطناكم بموقعها الأَسْنَى ، وعارِفَتِها الْحُسْنَى ، وقلنا الحمد لله الذى ردَّ حُلِى الملك المجيد إلى الْجِيد ، وقَلَّد حسام الْخِلافة ، عاتق البطل النَّجيد ، وزيَّن المِفْرَق الكريم بالتاج ، وفرق مقدمة العزم بالإنتاج ، ومعاذَ الله أن تجهل البلاد حقَّ والدكم ، الذى كَفَل الرعيَّة وكفاها ، وتمَّم مآرب الإسلام على الأَيام ووفَّاها ، وأعذب الموارد وأَصْفَاها ، ومَدَّ جناح العدل المنشور ، والفضل المشهور ، ووَسَم بغُرر المناقب أوجه الأَيام والشهور ، وكان للملوك الإسلام أباً ، ولتمهيد الأَقطار ، وتسنى الآمال الجهادية والأَوطار سبباً ، ولدين الله رُكْناً وثيقاً ، ولأَوليائه وَلِيًّا وصديقاً ، وعلى الثغور شَفِيقاً ، ولأَعباء الْخِلافة مُطيقاً ، وللمناقب ديواناً ، وعلى عز كلمة الله عنواناً ، وللجهاد مُديماً ، ولنعمة الله بالشكر مُسْتَديماً ، ولرسوم العلم والعمل مقيماً ، وللعَدْل والإحْسان صِراطاً مستقيماً ، ولخصوص هذه الجزيرة الأَندلسية ، التى جعلها الله ميدان أمانيه ، من رضى الله وآماله ، وأَسْلَف فيها ما أَسْلَف من أعماله ، وسمح لها بنفسِه وولَدِه وماله ، جزاه الله جزاء الْخُلفاء الصَّالحين ، والأَئِمَّة المجاهدين من أمثاله ، وأَبقَى بركته فى ولده وآله . فلو لم يَدْعُ إلى السرور بما سَنَاه الله لكم إلاَّ هذه الوسيلة ، التى تسلم لها الوسائِل ، وتقوم على فضلها البراهين والدلائِل ، لكَفت ، وبرَّت وَوَفت ، وسحّت بركتها ووَكَفَت ، فالفرْقد من النَّصل ، والفرع من الأَصل ، والحبُّ يُتوارث ، كما وَرَدَ به الحديث والخبر ، وشهد به الحسُّ وهو الشاهد المعتبر . وإنا لنرجو أن ترضوه فى لَحْدِه ، باقتفاءِ سُنَن جهادِه وجِدِّه ، وتتمموا مقاصده فى سبيل الله .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النفوس) .

من بعده . فأنتم سُلالة مجده ، ومَنْقَبة حَمْده ، ورأينا أن تلك المراجعة دون الكفاية ، وقاصرة عما يجب من المبرَّة والحفاية ، فخاطبناكم بهذا الكتاب ، نؤكد سرورنا بما ألبسكم الله من تلك الْحُلل ، ونَسَلْه لكم تمام القصدوبلوغ الأَمل ، فنحن الآن نُبدى فى سنائِكم ونُعيد ، ونُسْهِب فى القول ، وأين يقع مما نريد ، ونروم أن يفى الكتاب ، بما ينطوى عليه لكم ، وهو المرام البعيد ، وإذا كانت السرائِر يعلمها الشاهد الرقيب ، ويرتب عليها المجازاة ، فهو المجازى الْمُنيب ، فحسْبُنا أن نكل خَفِيَّها إليه ، وندنيه منها بما لا يخفى عليه ، فالله عز وجل يهنيكم بما أولاكم من منحة حافلة ، وصنيعة فى حلل الكمال زافلة ، ويسعد بها الأَقطار ، كما [مهَّد بها][1] الأَوطان ، ويسَّر الأَوطار ، ويجعلها فى العقب بعد طول المدا باقية ، ويلبسها عصمة منه واقية ، حتى لا يصرف شملها بعد الانتظام انْتِثاراً ، ولا طرف سَعْدها من بعد الإِحضار عَثاراً ، ويجعلها لنجوم عزكم مداراً ، ولدعوة[2] ملككم داراً وقراراً . وعيَّنا فى هذا الغرض والقيام بواجبه [الملتزم][3] المفترض ، من رجونا أن يَنُوب عنَّا فيه أحمد المناب ، ويمهد أَفْسَح الجناب ، ويشرح ما لا تفى به مقاصد[4] الكتاب [وهم فلان وفلان][5] ، وفَضْلكم كَفيل بالإِصغا لما يلقونه ، والقبول على ما يودونه . والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم [ويضاعف نعمه عندكم][6] ، والسلام الكريم ، البرّ العميم يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (مد منها) والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ولعزة) .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العبارة و) .

(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

وصدر عنى فى هناءِ السُّلطان الكَبير أَبى
عنان رحمه الله عندما أُتيح له النصر
على فَلِّ بنى زيَّان بمدينة تِلمْسان ، وذلك
فى عـام اثنين وخمسين وسـبعمائِة

المقام الذى أَكواسُ فُتوحه على غُبُوق الزمان وصَبُوحه تدور دِراكاً ، وكفلاءُ سعوده ، توجه آماله القَصِيَّة بغايتها لحاقاً وإدراكاً ، وأَيدى القدر فى حالتى الْوِرْدِ والصَّدْر تعلق أَعداءه إشراكاً ، وحدود صوارمه ، ، تأْبى فصُولها المميزة ، أَن تدع فى أَمْرِه اشتراكاً ، وعناية الله تصحب رِكابه وتحف جنابه ، كلما رام سكوناً أَو أَعمل حراكاً .

مقام محل أَخينا الذى أَخبار نَصْره لا تملُّ على الإِعادة ، وآثار نجومه مُسَطَّرة فى أَوراق السَّعادة ، وآية صُنْع الله له خارقةٌ حجاب العادة ، ومنَّته الخالصة لله ضامنة[1] له بلوغ الإِرادة ، أَبقاه الله يمهِّد قواعد الملك الأَصيل ، فلا يعارضها فرق[2] ، ويستخلص ديونه ، فلا يتعذر عليه منها حق[3] [ويشيم بوارق النصر العزيز فلا يخلف منها برق][4] ويقتحم الأَهوال وصَدْرُه رحبٌ ووجهه طَلْقٌ ، فكلما عرضت آية برٍّ كان له سبق ، معظَّمٌ مقامه الذى استوجب التعظيم بكل اعتبار ، ومابل ملكه بكل إجلال وإكبار ، المثنى على مكارمه التى جيادها للغايات ذات ابتدار ، وديمها فى انهمار . فلان . سلام كريم ، طيب برٌّ عميم كما حيَّا نسيم الصباحِ بطيب هبَّته ، ورفعت راية النهار على هَضْبته ، يخص مقامكم الأَعلى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (قامنة) ، والتصويب من الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (برق) وهو تحريف .
(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (برق) .
(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

أمّا بعد حَمْدِ الله الذى طَوَّقَتْنا مواهبه العميمة تطويقاً ، وأوضحَت لنا هدايته من الشكر طريقاً ، الذى جعل عزمكم للنجح رفيقاً ، ولم يعدم آراءكم السديدة توفيقاً ، وشَفَا بسيوفكم عليلَ ذلك القطر ، فأَصبح بعد الإشْفاءِ مفيقاً ، ورد إلى عصمة ملككم عقائِل تلك الأَقطار ، قد سامتها الفتنة مفارقة وتطليقاً ، فاجتلت بكم وجه السعادة طليقاً ، وأَوَتْ إلى الظل الذى جعله الله باجتماع كلمة الحق خَليقاً . والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى أَطلع نور [الْهِداية للرسَالة والْهِداية][1] فأَرْشَد ضالاً وأَنقَذ غَرِيقاً ، وسام كلمة الكفر طَمْساً ، وسبب لفرقه تمزيقاً ، الذى نعتلق من جاهه عند انبتات الأَسباب سبباً وثيقاً ، ونقصد منه يوم الفَزَع الأَكبر مَنْجاً بالفوز حقيقاً ، ونؤم منه فى الدنيا والآخرة شفيعاً وشفيقاً ، والرضا عن آله وأَصحابه الذين اختارهم له حِزْباً وفريقاً ، فصدَّقوا ما جاءَ به عن الله تصديقاً ، ونصروا دعوته حتى بلغت مراد الله منها تَغْريباً فى الأَرض وتَشْريقاً . والدعاء لمقامكم الأَسمى بالنصر الذى يستعذب منه مَبْسِم الفضل ريقاً ، والصُّنع الذى يدرءُ روض العناية الإلٰهية أَنيقاً . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم نصراً يطبق مفاصل الآمال تطبيقاً ، وسعداً يُفوِّق سهامه تفويقاً ، وعزًّا يوسع فصول التمهيد والتحليل تثبُّتاً فى الأَرض وتحقيقاً . من حَمراءِ غَرناطة ، حرسها الله ، وليس لفضل الله سبحانه إلا الارتياح إلى البشائِر المثناه ، والأُنس بلقا المأْمَلِ الْمُتهنَّاه ، والكَلَف بوجوه الفتوح[2] المُجْتلاه ، والترحيب بالأَنباءِ التى تُعلى[3] البنا نواصى الْفَلاة ، وتركب مُتون السفن تجرى فى أَعنة الرياح المرسَلات . ونحن على ما تعلمون من الْوُدِّ الذى استقرت أَركانه ، وشَهُر مكانه ، وتمحّص إلى جهة الوجوب إمكانه ، نعتدُّ[4] بملككم الذى نرفع

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الهداية والرسالة) .
(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (تلقى) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نعتمد) .

شأنه ، ونؤمل من ظهوركم على أعداء الله يوماً يرتقب زمانُه ، ونثنى عليكم ثناء الروض باكَرَهُ من الْقَطْر هتَّانُه . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإنَّا وَرَدَ علينا كتابكم ، الذى صَفَر التعريف بالظفر وأكَّده ، وعضَّد إخاءه وأيَّده ، تركت[1] ظهر الشيخ خائضاً لُجَّته ، ويصدع أحشاءهُ مُسْتَهدياً مَحجَّته . فاستجلينا غُرَّة البيان الحر ، وقلنا عادة البحر أن يقذف بالدُّر ، أى كتاب وسعه الخطاب الفصل ووشاه ، وزائِر لا يسعد الله مَمْساه . جدَّدنا العهد بسماع فصوله ، والشكر لصلته وموصوله ، وروينا حديثَ النَّصر متفقاً على اختلاف الطرق ، وقابلنا نسخة الغرب بنسخة الشرق ، وقلنا هذا أصل فى بحر ، وإلى مثله ترد النُّسخ العتيقة ، وبه تحصل الوثيقة ، وأثنينا على مَجادَتكم التى لم تقتصر فى تعريفنا على خبر واحد ، ولا وثقت فيه بأول وافد ، حذراً مما يعترض بُرد الرسائِل من غَوائِل الطُّرُق وطوق الغوائِل . فثابرت على تَحْصيل هذا الغرض حتى حصل ، وصَحِب[2] كلَّ واحد منها خبيرُ سعدكم فسَلِم وَوَصَل ، فتقرّر[3] ما سَناه الله لملككُم من إعزاز المملكة ، وتورُّط عدوكُم فى هفوة الرَّدى ومَهْواة الْهَلَكة ، والفتح الذى قام بحساب الفتوح مقام الفَذْلكة ، وأرمق قلوبكم ، كما تناولت عزَماتُكم طرده وعكسه ، وقارعت خصماءَ نفوسكم نفسه ، وجرَّت عليه جيوشكم الجرَّارة ذُيُول الهزائِم ، وأذكت عليه سعودُكم عيون الزمن النائم ، فرأوا عُقبان الخيل فى أعقابهم ، وعيون النجوم تأْخذ المراقب فى ارتقابهم ، وراموا التنكر فعُرِفوا ، واسْتَظْهر عليهم[4] سعدُكم بالعدل والعلميَّة فصرفوا ، وقد وَكَلهم الندم بعض الأَباهم ، وعوَّضهم القهر من امتطاء الأَداهم ، وأصبحت

---

(١) هكذا فى المخطوطين .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسلم) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بثغور) وهو تحريف .

(٤) وردت فى الإسكوريال (عليكم) ، والتصويب أرجح .

البلاد ، قد سكن هائِجُها ، ومقدمات العزم قد صدقت نتائِجها ، والكلمة قد اجتمعت ، وأحكام الخلاف قد ارتَفَعَتْ ، وأودية السياسة نجعت . وقد كنَّا لأوّل وُرود هذا الخبر أعطيناه حقَّه من السرور بمقدمه ، وعيّنا رسولنا الذى أوفدناه على بابكم الكريم لتقرير ذِمَمه ، وإلقاءِ ما يسع فى استيفائِه عادة مجده وكرمه . ونحن الآن نعيد هَناكم ، ونقيِّد على هذه المحافظة ثنائكم . وإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من السرور بسروركم ، والابتهاج بانتظام أُموركم ، رُمْنا تحصيل حاصل ، واجتهاد وادع واصل ، فجميع ماينالكم من عزِّ النَّصر ، وعلوِّ الأَمر ، نصيبُنا الأَوْفَر فيه ، وحظُّنا الحظ الذى لا يرجحه غيره ولا يوازيه ، وعايدته على قطرنا بما يكبت طوايف[1] أعاديه ، ويسكب بالأَمداد غيوث عواديه ، فتقدمها بالتشيّع الضافية أَثوابه ، والخلوص المفتَّحة أَبوابه . والله تعالى يعلى مقامكم الوثيقة أَسبابه ، ويؤيده حتى يمضى فى جهاد أَعداءِ الله عِضابه . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله .

وصدر عنى فى قريب من هذا الغرض

المقام الذى تبرّع سعده برد المغصوب ، وتولت يَدُ الْعِناية الإلهية عقد تاج عزِّه المَعْصُوب ، وحَكمَت عوامله فى سبيل الله بخفض الصَّليب المنصُوب ، مقام محل أَخينا الذى أَتاه الله الحكم صَبيًّا ، وأَخلص الملك فيه لله نجيًّا[2] حفيًّا ، فقال مشيراً إلى مكانه ، قبل تأَتِّى الأَمر وإمكانه ، « رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي ويَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أَبقَاه الله يرمى [بسهام عَزَمَاته][3] أَغراض

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ظواهر) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة فى الملكية ، وفى الإسكوريال (ندا) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بعزماته) .

السّداد فيصيبها ، ويشير بيده الكريمة إلى مواهب الله العميمة[١] ، فيتوفر لديه نصيبها ، ويطلب ميراث سلفه فى الأقطار بالْحُسَام الماضى والقَنا الخطَّار ، فيفوز[٢] بأَقصى الآمال والأَوطار من الانفراد بتعصيبها . معظَّمٌ قَدْرُ إخائِه ، ومرفَّعٌ جانبُ علائِه ، وموجَبٌ فرض هنائِه ، بنعم الله وآلائِه ، [ومُؤَمَّل عزمه المعتمد بمضائِه][٣] ، الداعى إلى الله بدوام نصره وصِلَة بقائِه ، حتى تربى مآثره فى سبيل الله على مآثر آبائِه ، فلان . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله الذى حفظ مؤكد[٤] العزِّ منكم على من اختاره ، وأظهر عنايته بالدين الحنيف على يدى سلطانكم المُنِيف ، فمهَّد أوطانه ، ويسَّر أَوْطاره ، فمتى شبّ ضِرام فتنة ، أَطْفَأَت جداول سيُوفكم ناره ، ومتى خَبا ثبير[٥] هداية ، رفعت أيدى ملككم مَناره ، ومتى استأْثر مُنازع من أَطْوَاق[٦] إيالتكم بلباسٍ ولو[٦] فى سبيل اختلاس ، استرجعت عزائمكم[٦] ما استعاره وصَرَمَت عارَه ، فملككم بفضل الله مُسْتَدرك[٧] ثارُه ، مُقيلٌ آثاره ، والدهر بين يديكم مستقيلٌ عَثارُه . والصلاة على سيدنا محمد رسوله ، الذى رُفع شأْنه فى الأَنبياءِ الكرام ، وعُظِّم مقداره ، وجعل فى أَشْرَف الْخَلْق قومَه ، وفى أشرف الأَرض دارَه ، وأَعطاه لواءَ الشفاعة ليجير من أَجاره ، فى اليوم الذى يسلّم فيه الولىّ وليّه والجار جاره ، فمن انتصر بجاهه فى المُلمَّات ، وعوَّل عليه فى الشدائد المدلَهِمَّات ، رضى انتصافه وحُمد انتصاره ، ومن توسَّل به ، فضلا عمَّن زاره ، أَمن برحمة الله

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجسيمة) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فيعود عليه) .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مركز) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (قبس) .
(٦) الزيادة من الملكية .
(٧) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (مدرك) .

أَوْزاره . والرضا عن آله وأصحابه ، وأُسرته وأحزابه ، الذين ورِثُوا فخاره ، واختاروا فى سبل الحق ما اختاره ، وكفُّوا[١] عن دينه أيدى الْعِدا ، وزيَّنوه بحُلى الباس والنَّدى ، فكانوا سورَه وسِوارَه ، وكاد بناؤه ينقضُّ ، وكنز الحق [تحت أساسه][٢] ينفضُّ ، فأقاموا ببيض المعالى ، والسُّمر العوالى جِداره . والدعاءُ لمقامكم السعيد بالعزِّ الذى تؤيد قدرة الله اقتداره ، والصُّنع الذى على قُطْب التوفيق مداره ، والنصر الذى يعمل فى سبيل الله سنَّته وشعاره ، والفتح الذى تسبح فى بحره الأقلام فلا يبلغ منها الإعلام [وأن جاش الكلام وجادت الأحلام][٣] مِعْشاره . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لأيامكم الجديدة السعد ، السعيدة الجدَّ ، من مواهبه الخارجة عن الجد أفضل ما كتب ، وخوَّلكم من مقاسم النصر الشاذة عن الحصر أجزل ماوهَب ، وجعل مُلْككم ليسْتَعْتِبه الدهر إذا عتب ، ويقضى من فروض طاعته ، معلناً بضراعته إذا حمله القدر على تفريقه[٤] وإضاعته ما ترتَّب ووجب . من حَمراءِ غرنَاطة ، حرسها الله ، واليدُ بعلوٍّ يدكم عالية ، والنعم بتوالى سعادتكم متوالية ، والآمال باستقامة الأحوال لأُخوَّتكم الرفيعة الجلال حالية ، والارتياح الذى [تودى بشايره][٥] لا تخلو منه غالية ، والمسرات لا تَنْفِد منها وافدة إلا تبعتها تالية . وإلى هذا وصل الله لملككم أسباب الانتظام والاتِّساق ، وأهدى انباءكم طيبة العَرْف حسنة المساق ، وأطلع بدر سعادتكم فى أسعد الآفاق ، [وأقام الدَّهر بين يدكم مهمى تاب من ذنبه أو عَتَب بعد عَتَبه ، مقام الحياد والإطراق][٦] حتى تخفق [أحشاءُ الكفر][٧] رعباً

(١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (ومنعوا) والأولى أنسب للسياق .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، وفى الإسكوريال (تحته) .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٤) هذه الكلمة زائدة بالإسكوريال .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تتهاداه الرياح) .
(٦) هكذا وردت هذه الفقرة فى الإسكوريال ، وورد مقابلها فى الملكية كالآتى (وأقام الدهر بين يديكم كلما تاب من ذنب أو استعتب بعد عتب موقف الحياء والإطراق) .
(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جوانح الأعداء) .

من لوائكم الخفّاق ، ويتفق على عقيدة طاعتكم ، فيما لكم من الأقطار والأصقاع ألْسِنَة الإجماع والإصفاق . فقد وصَل كتابكم البرُّ الوفادة ، الجمُّ الإفادة ، السافرة غمامته البيضاءُ عن بَدْر السعادة ، المُتْحف بصُنع الله الذى خرق حجاب العادة ، فاجتلينا البيان الغض[١] من حلل[٢] سطوره ، وقَرَّطْنا الآذان بشذوره ، وصدعنا[٣] فى الحفل المشهود بمنشوره . عرّفتمونا فيه بالفتح الذى فتحت لكم أبوابه ، والنصر الذى يُسِّرت لكم أسبابه ، والسَّعد الذى ضَفَا عليكم جلبابُه ، والصُّنع الذى ناشبت دولتكم المقتبلة الشباب فراق شبابه ، وشرحتم ماآل إليه حال مدينة[٤] تلمسان ، تقبّل الله تَوْبَتها ، وأسعد أَوْبَتها ، وحال من كان قد تسور جدارها ، واقتحم دارها ، ومزّق بالإكراه صِدارها ، لما دَلَفَتْ إليه اللُّيوث واستقبلته ، فاستقبلته الكتايب والبُعوث ، وأخذت عليه ، بعرب الطاعة بغتة كقيام الساعة ، السُّهول والوُعُوث ، وما أبداه لما تغشاه[٥] رداءً من التمويه باللقاء ، والعمل على الثُّبوت والبقاء ، وتظاهر به من صيد العَنْقاء ، والإخفار التى يستريب منها لسان الإلقاء ، وما نَشِبَ أن ركب الليل جملا ، وترك سائمته المُهْتَضمة[٦] هَمَلاً ، [ولم يصرف][٧] إلى غير طلب النجاة بإفلاته ، ولات حين نجاته أملا ، وإنَّ أولياء الدولة[٨] السَّعيدية استولوا على المدينة ، فاسْتَخْلصوا حقها ، وأوضحوا للطاعة[٩] طُرَقها ، وسكَّنُوا راجِفَها ، وأمَّنوا خائِفها ، ورفعوا عن

---

(١) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خلال) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وصنعنا) والأولى أنسب للسياق .
(٤) زائدة فى الملكية .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جوم عليه) .
(٦) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .
(٧) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ينو) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الدعوة) .
(٩) زائدة فى الملكية .

رعيتها المُرْزات كل تَثْريب ، ولم يأْخذوا بريًّا بمريب ، ولا بعيداً بقريب ، وقبلوا الأَعذار حِلْماً ، ووهبوا ذنوب[١] جُهَّالها وعُلمائِها وسُفهائِها وحُلمائِها لمن وَسِع كل شيءٍ رحمةً وعلماً ، سجيّة من ملك فَأَسجح ، وأَبَتْ له الْهِمَّة العَلْيا أن [تتَنَحَّى أو][٢] تتبجَّح . ورأى المزيّة بين الخُطَّتين ، فكان إلى التى هى أقرب إلى الله أَجْنَح ، فعاد الْحُلِيُّ إلى الْجِيد ، بفضل ذى العرش المجيد ، وعُوجِل الشعث بالتَّنْجيد ، وأصبحت الصَّهْوة مركب البطل النَّجيد ، ورُدَّ سيف الطاعة بيد الاجتهاد فى جدال البلاد ، من الاجتهاد إلى التقليد ، وشملت الكافية[٣] واقية كواقية الوَلِيد ، وتحلَّت المنابر بعد العطل ، والخطا المتعمّد الخَصْل ، بدعوة الإمام السَّعيد ، ورأى من اعتزل الهرج[٤] ، رجحان القول بإخلاف الوعيد ، فكأَنما كانت فَلْتة تلك الإيالة الطامعة فى الإدالة ، وارتشاف البِلالة ، سهواً فى عِبادَة ، وتَقْصيراً فى إجادة ، ولحْناً فى وِجادة ، وغلطاً فى استغفار ، وقذاً بين أَشْفار ، ودخَيلاً فى قطار ، ولحقاً بين أَسطار ، وحِلْما محت اليقظة خيال غروره ، وتمويهاً ذهب الحق بنوره ، وقلَّما أَدبر شيءٌ فأَقبل ، وهل عند رسم دِارس من مُعوَّل ، ومكابرُ الحقِّ مَوْكُوس الْقَسَم ، وضدُّ السَّعيد معروف الاسم ، وما كان الله جلّ جلاله [وتقدست صفاته وأفعاله][٥] لينثر قلادة الدِّين بعد نِظامها ، وينسخ ثابت أَحكامها بعد إحكامها . بل هو نور وعَد بإتمامه ، والوعد حق ، وقاعدة لا يدخلها فرق ، ومُلْكٌ تعلق بأَذياله غرب وشرق ، ومُزنٌ[٦] أَوْمَض فى برده للغيث برق ، فإن أَذْنَبَ الدَّهر فقد استقال ، وإن أَضحى[٧] الملك بها فقد قال ،

---

(١) زائدة فى الإسكوريال .
(٢) زائدة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الخلق) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الفتنة) .
(٥) هذه العبارة زائدة فى الملكية .
(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نور) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تنمى) .

[ووجد لسان الصارم القول فقال][1] . والحمد لله حمداً يدُرُّ من النِّعم السُّحُب الثِّقال ، ويقر أحوال السعادة المعادة[2] فلا تعرف الانتقال ، وقد كنَّا على عِلْم قطعى فى سبيل شرعى ، نرى أنَّ الذى اختاركم لحمل هذه [الأمانة وتقلد][3] القلادة من بين يشارك فى نَسَبٍ[4] أو ولادة ، وألبسكم ملابس المجادة ، وحلاكم لما تولاكم قبل أن ولاَّكم بحلى السيادة ، وجعل جبل الفتح أُفق بدركم ، وصُدْفة دُرِّكم ، وبدأ بفاتحته الجهاد ، وهى أُم ذلك الكتاب . كتاب أمركم ، لا يهمل سلطانكم ، ولا تذعن بالخلاف أوطانكم . وأن له فيكم خبيَّةً[5] نصر يُرتقب أوَانُه ، ويُنْتَجز وعدُه ، ويقتضى ضمانه ، حتى تبلغ الآمال ، وتنجح فى مَرضاة الله الأعمال . فنى النّاس ما عنده سبحانه يجب أن تُجمع الرجال وتُفرق الأموال ، وفضله تعالى لا يخيب منه السؤل ، ولا يخيب فيه السؤال . فلما وردت الأخبار بما منحكم الله من الفتوحات التى أَبْلَغَت البلاد والعباد آمالها ، ووفرت سرورها وجذلها ، وما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسك لها [وأَشْرَقَت الأَرْضُ بِنُورِهَا ، وَوُضِعَ الكتاب صدق القياس وصح الحساب واتصلت الأسباب واضطرد الباب][6] خاطبناكم تهنِّيكم بما وهبه الله ومنح ، ونرى أنَّ ما فتح الله به عليكم ، فعلينا به فتح ، فمقامكم العُدَّة التى بها نُبَاهى ونُبَاهر ، ونُضَاهى ونُظَاهر ، ونكافى ونكاثر ، ونصادم ونصادر . أبقاكم الله لآمال كريمة تقتضى ، وخلال شريفة تُرتَضى ، ومقاصد مبرورة ، تُنْسِى ماسلف للسلف ومضى . ونحن أيضاً نعدُّ إيثاركم إيَّاناً بالتعريف بهذا التكييف هديَّةً وُدِّية ، تقلُّ لها المكافأة وإن جلَّت ، وفضلا عميماً

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٣) هاتان الكلمتان واردتان فى الملكية وساقطتان فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسيلة) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حسنة) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

أشرقت أنواره وتجلَّت ، ويستدعى القيام بحق مقامكم ، وهو المرام البعيد ، ونجهد طرف اللسان فى ميدان الشكر ، وأين يقع جهده[١] مما نريد ، فإلى الله نَكِل ما ننطوى لكم عليه من وُدٍّ كريم ، وحُبٍّ صميم ، فهو بالبواطن عليم ، ولا ينفع لديه مال ولا بنون ، إلاَّ من أتى الله بقلب سليم . وهو عزَّ وجل يَصِل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم ، البر العميم يخصكم[٢] ، ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ .

---

(١) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يخص مقامكم العلى ، وأخوتكم الفضلى) .

وكان مما كتبت به لما وصلت الأخبار
بنجاة ملك المغرب السلطان المعظم أبى
الحسن من هول البحر لما هلك معه الجماعة
من أعلام ناسه بأحواز الجزاير ، وذلك
من أوليات ما كتبت فى هذه الأغراض

المقام الذى عُيون أهل الإسلام ساهرةٌ فى ارتقابه ، وقلوبهم خافقةٌ عليه خفوق أعلامه حول ركابه ، وأكفُّهم إلى الله ممدودة فى تيسير إيابه ، وأسبابهم على بُعد الدار ونُزوح الأقطار متعلِّقة بأسبابه ، مقام محل والدنا الذى تعظيمنا على مَثابته العليَّة موقوف ، وأملنا إلى الله فى عصمة ذاته الزَّكية مصروف ، وقصدنا بالتشيُّع إليه ، والاعتماد بعد الله سبحانه عليه معروف ، صاحب الجهاد المقبول ، والرِّفْد المبذُول ، أمير المسلمين[1] الكذا أبقاه الله وسعودُه تستأنفُ الأبدارُ أقمارها ، والمشيئة تجرى بأحكامه العادلة أقدارها ، والبشاير عنه صدْرُها وإليه ابتدارُها ، وحروفُ الزمان تَنْبَسط بين يديه أعذارُها ، وتعرض ذنوبها على حلمه فننثال[2] منه اعتبارها ، والملَّة المحمدية تَنْسَدل بحياته الرضيَّة أستارُها ، والفئة الغريبة[3] تتمهَّد بها أوطانُها ، وتتجدَّد أوطارُها . معظَّمٌ سُلطانه الذى يجب له التَّعظيم باستحقاقه ، ومُوقَّرٌ مُلْكُه الذى تَجلَّت أنوار الفضل المبين بآفاقه ، المرتقب من طلوعه على هذه الأقطار ، صُبحاً مُشرقَ

(١) ورد فى الملكية بعد هذه الكلمة ما يأتى (المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى الحسن بن السلطان أبى سعيد بن السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فيسئل) .

(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (المسلمة) والأولى أرجح ، وقد كان يطلق على الأمة الأندلسية فى هذا العصر الأخير من حياتها (الأمة الغريبة) تنويهاً بانقطاعها فيما وراء البحر وافتقادها لضروب العون والإنجاد .

الإسفار ، يصدع ليلَ الخطوب نورُ ائتلافه . ويَفْتَح باب الفَرَج بعد استِغْلاقه ، الأمير عبدالله فلان[١] [سلام كريم عليكم][٢] ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله الذى أذن لسُعود الإسلام ، بعِصْمة ملْكِكُم المنصور الأعلام فى انْبِلاج صباحِها ، وجدَّد بها عزائم النَّصر قبل رُكُود رِياحها ، وأعاد جِياد الآمال إلى مَراحها ، وألَّف بين قلوب المسلمين واقْتِراحها ، وجمع بين صدُورهم وبين انشِراحها ، وتدارك المِلَّة المحمّدية بتَشْيِيد ركنها ، وجَبْر جَناحها . والصلاة على سيدنا محمد رسوله الكريم ، نُورُ الهداية ومصباحُها ، ومعنى الرسالة بين اخْتِتامها وافتتاحها ، الرَّحْمةُ الهامية[٣] فوق وِهاد الأرض وبِطاحها ، مُخْرس أَلْسِنة البغى بعد إفْصاحها ،ومُطْفى نار الفتن بعد اقتداحها ، ونبيُّ الملاحِم ، والأرض تموج بكفاحها ، لم تثن عزمه الشدائِد بإنجاحها ، وصروف الأنام بجماحها ، حتى باءتْ كلمةُ الله بفوز قِداحها . والرضا عن آله وصَحابته التى ذَادت عنه بسُيُوفها [الماضية][٤] ورماحها ، وسمحت له بأموالها وأرواحها ، وباعت نفوسها من الله فى نصره ، فأَعْظِم بأَرباحِها ، والدعاءُ لمقام أبوتكم العظمى ، أعلى الله معالم هَدْيها وصلاحها ، ورسم آيات نصرها العزيز فى صحف السَّعادة وألواحها ، [بالصُّنع الذى تَتَفَتَّح أزهاره فى خَمائِل الأَلْطَاف الخفيَّة وأَدْواحها][٥] [فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لمقـامكم سعداً جديداً ريعانُه ، وعزًّا مشيَّداً بُنيانه ،

---

(١) ورد مكانها فى الملكية ما يأتى (الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر) .

(٢) ورد مكان هذه العبارة فى الملكية ما يأتى (سلام كريم ، بر عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الهادية) والأولى أرجح .

(٤) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

يقوم على [قدرة][1] جَبَّار السَّموات والأَرض برهانُه . من حمراء غَرناطة ، حرسها الله ، وليس بفضل الله ، الذى لا يُعَوَّل فى الشدائِد إلاَّ عليه . ولا تمدُّ الأَكفُّ وتُصرف الوجوه إلا إليه ، إلاَّ إرسال جياد الآمال فى ميدانها ، وسحب حلل الجذل ينُمُّ طيب أَرْدَانها ، واستقبال ما تعوَّدته الملَّة المحمدية من سعادة أَزمانها . لله الحمدُ على نِعَمِه التى اتصلت عوارفُ إحسانها ، وصَنَايعها التى راقت أَبصارَ البَصَاير لمحاتُ حسانها ، ونحن على ما يعلمه مقامُكم من التَّشَيُّع الذى رفعنا لكم به فى الناس عَلَماً شهيراً ، والتعظيم الذى استعرنا منه مِهاداً أَثيراً ، والاعتقادُ الجميل الذى اتَّخذناه إلى الله وسيلةً وعلى أَعدائِه ظهيراً ، والحبُّ الذى لا يزداد نَضَارُه على نار البعد إلاَّ تَشْميراً . نؤمل من مقامكم على بُعد الديار ، واعتراض البحار ملجأً ونصيراً ، ونذيع من ثَنائِه مِسْكاً فتِيقاً وعبيراً ، ومهما اجْتَلينا بخبر سعادته وافداً وبشيراً ، جعلنا رسالته آيةً ، واتخذنا يومها عِيداً كبيراً . وإلى هذا فقد علم الله الذى يعلم ما فى الضمائِر ، ويطَّلع على خَفِيَّات السَّرايِر ، ويرى فى خلقه[2] وهم شهداؤه فى أَرضه ، مَسْرى المثل السائِر ، ما عندنا لمقامكم الكريم من الخلُوص الذى لم يُلابس قط ريباً ، والاعتقاد الكريم مَشْهداً وغيباً . وإننا بحسب ذلك من لدن أَمْعَن ركابكم العلىُّ السلطانى فى تدويخ تلك الأَوطان ، حتى ناءت الدِّيار وشطَّت [وساءت المراحل وحطَّت][3] ، [فانقطعت فيها وخطَّت . واختلفت الأَخبار][4] ، فلم يَتَبَيْن الصحيح من الموضُوع ، والمتَّصل من المَقْطوع . واختلفت[5] القضايا المطلقة ، وأُعملت الأَفعال المعلَّقة ، وأُوحِشَت الظُّنون وساءت ، وترامت الأَفكار حيث شاءت ، ألاَّ ليستطيع شرح أَحوال هذا

---

(١) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (أرضه) والتصويب فى الملكية .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتشاءبت المراحل وتمطت) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واختلطت) .

القطر الذى استظلَّ بظلِّ جَناحكم ، وأمن فى سياج رِماحكم ، وأَخْصَبَت أَرجاؤه بغيث سماحكم ، ضاقت بها الصُّدور عن زَفَراتها ، والشؤون عن عَبَراتها ، والقلوب عن أَوْجَالها ، والنُّفوس عن اعتلالها ، لاكن الثقة بالله سبحانه ما بَرِحت تَطْلع فى ليل ذلك الخطب شهاباً ، والتوكل عليه لم يزل يفتح فى تلك[1] الشِّدة باباً ، وما كان الله لينْثُر عِقْد الدِّين بعد انتظامه ، وينسخ حكمه بعد إحكامه ، ويكِل الإسلام إلى إسلامه ، ويطفى النور الذى وعد بإتمامه ، إلى أن ترادفت الأَخبار من جهاتها ، واتفق مَنْقُولها على اختلاف رُواتها ، وشافَهْنا بها من شاهد ذلك التمحيص رَأْىَ العَيْن ، وتبيَّن الحقُّ من المَيْن ، وتعرفنا ما كان من صُنْع الله لكم فى الشدائِد بمقتضى فضله الجميل العوائِد ، وأَنَّ مقامكم قد شملته الْعِصْمة ، وحلَّت على الإسلام بوقايته النِّعمة . ثم وصل كتابكم [المستولى][2] على مطلق الرَّجا بعد اعتقاله ، منطق لسان الشكر لله بفَصِيح مقاله ، وتعرَّفنا أن ذلك القطر [سكن راجِفُ زِلْزاله][3] ، ووضع الأَوزار وطيسُ نِزاله ، ودخلت فى مذهب السُّنَّة والجماعة طوايف اعْتِزاله . وأن الأَيام قد اعترفت بذنبها ، والأَرض قد أَشْرَقَت بنور ربِّها ، والقبائِل وسِعَهم الصَّفح والنائِل ، والمعاقل خَفَّ للطاعة منها المُتثاقل ، وأنكم صرفتم النظر الجميل إلى ما يمهد الأَوطان ، ويؤيد السلطان ، ويؤمن الخائِف ، ويُؤَلِّف على مَرْضاة الله الطَّوائِف . وأن محل أخينا الظاهر الطاهر أبا على الناصر ، أسعده الله ، قدمتموه بين يَدَىْ ركابكم طائِعةَ الْيُمن والسَّعد ، ورائِد عزمكم الصَّادق الوعد ، وأنكم تَقْفُون أَثره إن شاء الله بالجيوش الجرارة ، والكتائِب المختارة ، والمناصل الماضِية الشَّبا ، والمضارب التى تُشِيب ببَيضِها مفارق الرُّبا ، وإن غُرر هذه الكتب ، تقفوها غُرَرُ الكتائِب ، وخَبرُ هذا المَرُوم ، يتلوه خبر اللَّطائِف العجائِب ، فنعم من قدمتم ، إنها لمقدمة للعدوِّ سالبة ، وأَداة تعريف أَلِفها

(١) وردت فى المخطوطين (ذلك) فاقتضى التصويب .
(٢) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

ولامُها هى الغالبة ، وحبّذا ما أطلعتم علينا من المسرَّة والبشائِر التى حيَّتها هذه الثغور بالثغور المفترَّة ، ليُهْنِى مرقبُها[١] السَّعيد مَراقب الجهاد المقبول ، ومثابة الرِّفد المبذول ، والوعد المفعول. فلقد جدَّد للإسلام ملابس الفخر والقبول ، وروَّض آمال الصِّلة من بعد الذُّبول. وأما موقع هذه البُشْرى من مُعظَّم أُبوَّتكم فلا توفيه العبارة ، ولا تودِّيه الألفاظ المستعارة ، وعُذْرنا عما كان يجب علينا من صلة الرسائِل وترديدها ، وتقرير الوسائل وتجديدها ، لا يخفى على مقامكم الذى يقبل الأعذار إذا ظهرت ، ويحمل المودة على ما عليه تقررت ، من هول البحار ، التى لا تجرى على القياس أُمورها ، ولا يُتَمكن فى كل الفصول عُبُورها ، وغدر الطريق التى كثر بالفتنة أُمورها ومأْمورها ، وما أصاب السَّواحل من الميتة[٢] التى جرى فى البلاد مقدورُها . ومقامكم يوالى الأعذار الصادقة وجْهاً جميلاً ، ويبُوءُها من قبوله ظلاًّ ظليلاً ، قد علم الله والناس ، وثبت بالحق الذى لا يخالطه الالتباس ، أننا لو وجدنا سبباً ، أو صادفنا للاتصال بكم مذهباً ، لما قعدنا أولاً عن المساهمة والدفاع فى جملة أبنائِكم ، وثانياً عن مُباشرة هَنائِكم ، حتى لا ينوب فى ذلك بعث الكتاب عن حثِّ الركاب ، ولا إعلامُ الأقلام ، عن إعمال الأقدام . والله تعالى يُسْنى لكم من نصره أكرم ما سَنَّى للصالحين من ملوك عباده ، وينشر لكم جناح الرحمة على أقطار الإسلام وبلاده ، ويصلح بإيالتكم ما فسد من الأحوال ، ويسكن بها ما عظم من الأهوال ، ويُضْفى بها رواق العِصْمة على الأديان والنفوس والأموال [وهو سبحانه وتعالى يصل سُعودكم ويحرس وُجودكم][٣] والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . كتب فى كذا .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مقدمها) .
(٢) هكذا فى المخطوطين .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

ووصل كتابُه رحمه الله تعالى للسلطان
أَبى الحجاج رحمة الله عليه يعرِّفُه أَيضاً
بالكائِنة المذكورة من أَحواز الجزائِر
فصدر عنى جواباً عن ذلك ما نصه[١] :

المقام الذى لا تُنكر حقوقه الجمَّة وصنائِعُه ، ولا يُجحد فضلُه الذى انتشرت فى الأَرض شائِعه ، فثناؤنا عليه هو الروض تأَرَّج ذائعُه ، ووُدانا فيه تصفو على كدر الزمان شرائِعه ، وأُبوته الكريمة وديعتُنا من ذمة الله ، والله لا تضيع ودائِعه ، مقام محل أَبينا[٢] الذى بِرُّه واجب مفترض ، والقيام بكبير حقه لا يُقَدَّم عليه غرض ، السلطان الكذا أَبى الحسن ابن السلطان الكذا أَبى سعيد ابن السلطان الكذا أَبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أَبقاه الله يشرح للمِّمات الزمان صدراً رحيباً ، ويستأْنف من الله صنعاً عجيباً ، ولطفاً قريباً ، ويتغمَّد بالعفو ذنوب دهره مهما أَتى مستقيلاً مُسْتَريباً ، ويُخْفِض جناح القبول والرِّضوان خفضاً لا يبقى تَبِعةً[٣] ولا بذر تَثْريباً ، معظِّمٌ حقوقه العظيمة ، وموقر أُبوَّته الكريمة ، الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم [برٌّ عميم يخص مقامكم الأَعلى ، وأُبوتكم الفضلى][٤] ورحمة الله تعالى وبركاته.

أَمَّا بعد حَمْدِ الله [الملك الحق][٥] ذى الكبرياء والعَظَمة ، مانح النِّعَم العميمة ، وفاتح الأَبواب المبْهَمة ، ومُيَسِّر الأَلطاف الخفية عند انقطاع الأَسباب المبرمة ، وجاعل العاقبة للتقوى ، كما وعد فى آياته الكريمة[٦] المحكمة . والصَّلاة على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم ، نبىُّ المَلحْمة الصائح بالآيات

(١) هذا التعريف وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية ، ومكانه (ومن ذلك) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أخينا) وهو تحريف .
(٣) وردت فى الإسكوريال (تعباً) والتصويب من الملكية .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية . ومكانها فى الإسكوريال (عليكم) .
(٥) هذه الزيادة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هذه الكلمة زائدة فى الإسكوريال .

البيِّنات المسلمة ، الذى باتباعه نختال من السعادة فى الْحُلَل الضَّافية المعلمة . والرِّضَا عن آله وأصحابه الذين وَفُّوا بعهوده الملتزمة ، وتواصَوْا بالصَّبر [فى دينه] وتواصَوْا بالرحمة . والدعاءُ لمقامكم الأَعلى ، بالنَّصْر على عَبَدة الصُّلبان[١] تشهده ملائِكة السماءِ الْمُسَوَّمة ، وتغنى كتائِبُه عن اتخاذ الْجِياد الْمُسْرِجة الْمُلْجمة. فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم حُسْن المآب[٢] ونُجْح المآل ، وأطلع عليكم أنوار البشائِر من ثنيات الآمال . من حَمْراءِ غَرناطة حرسَها الله ، وليس بفضل الله الذى بِيَدِه الأَمر كله ، وليس فى الوجود إلاَّ فعله ، ثم ببركة الاعتقاد[٣] الجميل فى مقامكم السَّامى محله . العميم فضله ، إلاَّ البشائِر التى بابها فى موطى السَّعادة ، هو الباب الجامع ، وأَحاديثها على الإعادة لا يَمَلُّها الراوى[٤] والسَّامع . وأُبوَّتكم الكريمة لا تعدل البشارة بعصمتها بشارة ، وإن جلت ، ولا ترجح صنيعتها عندها صَنِيعة ، وإن أشرقت أنوارها وتجلَّت ، نَمُدُّ الأَكُفَّ لغمامتها كلما استهلت ، ونتتبع[٥] مساقط أَنْدافها حيث حلت ، ونُداوى بأَنبائِها أدواء القلوب التى لبعدها اعتلَّت ، وكيف لا وأَرجاؤها بأَفضالكم السابق ناطقةٌ ، وألفاظ ثنائِها لمعانى كتابكم[٦] متضمنة ، وعليها متطابقة ، أبقاكم الله وأسباب التوفيق لأَحوالكم مُوافِقة ، ورقاق الصَّنائِع الإلهية لها مُرافقة ، ومتاجرها فى معاملة الله تخطبها لحُسْنِ الجزاءِ أسواق نافقة ، وإلى هذا وصل الله سعدكم ، فجملة أَمرنا فى هذه الأَحوال التى جرت ، والشدائِد التى خَلَصَتْ لها معادنُ البصائِر الإيمانيَّة وتشحَّرت ، والتَّمْحيص الذى تضمنه الكتاب الموقوف [وناءَ بدَيْته

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأصنام) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المآرب) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الاعتداد) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (الراعى) والتصويب من الملكية .
(٥) وردت فى الإسكوريال (وينبع) والتصويب من الملكية .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (كالكم) .

الزمن الممقوت][1]، وطالما أصلى الياقوت[جمر الغضا ثم انطفى الجمر والياقوت][2] أننا ما برحنا بواجب شفقة البنوة نخالف الأَسَى ، ونتدارس فى حمل هذه الأُمور باب لعلّ وعسَى ، فتارة نَسْتَفتح وجوه الصَّبر وهى جميلة ، ونتعلل بنَوَاسم الأَخبار وهى عليلة ، وتارة نفوّض الأُمور إلى من بيده مقاليد الأَلطاف العجائب ، ونمدُّكم من الدعاء بأَعظم الكتائِب . هذا والعدو الذى سالم الإسلام بسبب جهادكم ، وتقلَّصت أَطماعه بامتداد ظلال أَمدادكم ، قد فاض علينا بحره ، وتجنى على عهدنا غدرُه ، وشَره إلى اسْتِئْصَالنا نابُه وظِفْره ، ونازل[3] جبل الفتح ، الذى كان نصركم إيَّاه بفضل الله سبب نجاته ، واستعدادكم [فِيه][4] ذريعة استمساك الدِّين وثباته ، بما تجدونه مَذْخُوراً يوم يسر المؤمن[5] بحسناته ، بعد خصام جرى بيننا وبينه ، توجهت عليه فيه الحجة ، ووضحت من سبيل غَدْرد المحجَّة ، وخيَّرنا فلم نرض الدنيَّة التى عرضها ، وحَمَلنا الأُمور على أَشد[6] الوجوه التى فرضها ، ثقةً بالله الذى هو الملجأُ الأَحمى والركن الأَقوى ، وعلماً بأَن العاقبة للتقوى ، فسَدَّ الباب ، وقطع الأَسباب ، ورأى أَنه إذا فازت بفُرْضَة المجاز قِداحُه ، ولان له من الجبل بطول الحصار جماحُه ، تَستَسِفُّ بما سواه رياحه ، وتملَّكَت البلاد والعباد رماحه ، ولم يَدْرِ أَن لله كتائِبُ تخفى عن عيون الكتائب ، وتكمن فى مدارج الأَنفاس ومياه المشارب ، وأَن الجديدين الليلُ والنهارُ يبليان الجديد ، ويأْتيان بالعجائِب ، وعلى هذه الحال المهمة ، والنوائِب الملمة ، فمقامكم شَغَل بالنا ، وفى ميدان مساهمتكم مجال آمالنا نصل السؤال عن أَنبائِكم فى كل الأَحيان ، ونعاقب بعث الرسائِل على تعاقب الزمان ، وفى هذه الأَيام وفد علينا

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٣) وردت فى الإسكوريال (واستأصل) . والتصويب من الملكية .
(٤) الزيادة من الملكية .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المحسن) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسوأ) .

رسولاكم فلان وفلان ، وصل الله عزَّتهما ، [ووالى رفْعَتهما][1] ويمَّن وجهتهما ، وفادة كان اليُمن لها والحمد لله رائِداً ، وسعد الإسلام وأهله لركابهما قائِدًا ، منصرفين عن مخيم الطَّاغية ، الذى بعثتموهما إليه ، بعد أن قُوضت رحاله ، وحالت حاله ، وحمَّ هلاكُه ، وانتثَرت أسلاكه ، وأديا إلينا كتابكم ، الذى طال عهدنا باجتلاءِ غُرَره ، واقتِنا دُرَرِه ، وتُعرفت عوارف الفضل والكمال بين وِرْدِه وصَدْره ، جواباً عن بعض الكتب التى وجهنا إليكم وأوفدنا عليكم ، ظهر أنه لم يخلص غيره من جملة مكاتبات عديدة بعثناها ، وركائب مخاطبات إليكم حَثَثْناها ، عاقت الأهوال عن وصولها ، وفصلتها الحوادث قبل بثِّ فصولها ، وشرح محصولها ، عرفتم فيه أن ركابكم العالى ، استقر بمدينة الجزائِر قرارُه ، واطمأنت بها داره ، بعد الشدة التى هى إن شاء الله ختام الشدائِد ، والأزمة التى عرفكم الله فيها جميل العوائِد ، وأن القبائِل بذلك الوطن قد اعتلَقَت من طاعتكم سبباً وثيقاً ، وسلكت من الانقياد لأمركم العَلِىِّ سبيلا واضحاً وطريقاً ، ودخلت فى طاعتكم فوجاً فوجاً ، وفريقاً فريقاً ، مُسْتَبِقين[2] من تجديد العهود التى أعطوها صفقات إيمانهم ، ورهنوا فى الوفا بها ، الكريم من أخلاقهم وأديانهم ، وإن الوفود إليكم قد أقبلت ، والسعود لدعوتكم قد انجلت[3] ، وإن صَفْحَكم قد شمل من أناب ، وعفوكم قد تغمَّد من تاب ، وقبولكم قد فتح للوارد الباب ، ووصل للمنبَتِّ الأسباب ، وإنكم لم تقدموا عملاً على مخاطبة الطَّاغية بالحجة التى أمَّلتم أن تستنزله من مَهْواته ، وتستنقذ مُضْغَة الإسلام من لَهَواته ، قياماً بحق الله فى الحال التى يهم فيها للقلوب شأنها ، ولا ينفع النفوس الكريمة إلاَّ إيمانها ، فكان من التوفيق الغريب . والصنع العجيب ، أن رسُولَيْكم وردا على طاغِية الروم بقاطع أجله ، ووفدا إليه بخيبة أمله ، ونية المؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (مستقيمة) . والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (احتفلت) .

من عمله ، فما كانت كتبكم إليه إلاَّ كتيبةً ، تقدمها طلائع النصر ؛ ومقدِّمة رفع تخصيصها عن الجبل دعوى الحَصْر ، وَرُقِّى شَفَى به الزمان زمانته ، ووثيقة مكن بها الإيمان من أمانته[1] [وعلاجاً لم يفق بعده من ألم ، وسهماً من سهام الخواطر الخالصة لله أصاب ورامِيها بذى سَلَم ، فكال رسولا كم ممن طلع علينا بشيراً بهلاكه ، وانتشار أسلاكه ، وظهور حركة الإدبار فى أملاكه ، فضحكت ثُغُور هذه الثغور ، ووضحت مذاهب الأُمور ، وشُفيت علل الصدور ، واستأْنف الإسلام بِدار الكمال وكمال البُدور ، وسفر السعد عن وجهه المشرق . ووردت علينا المسرَّات المختلفات من جهتى المغرب والمشرق ، هذه تَعْلُق بحياة الحبيب الكريم ودنوّ داره ، وهذه تفصح بممات العدو وتَبَاره ، فيالهما من بشارتين اختلفتا ، فرجوعهما إلى عنصر واحد ، والتقاؤهما فى أصل كريم ، وإن تشفعت المقاصد ، إذ هما عُنوان على فضل نيَّتكم التى أنوارها قد بهرت ، وببركة سريرتكم التى بانت شواهدها وظهرت . وإذا اعتبرنا الترجيح فى هذا المحصول ، رأينا أن الفروع لا تقوى قوة الأُصول ، وأن البشارة بعِصْمَتكم ، أقوى عُلا قدراً ، وأرفع خطراً ، أوزعنا الله شكراً ، يكون لما أولى من كليهما كفاءً ، ووَهَبَنا قياماً بحقهما ووفاءً ، فإنهما نِعم أَذْهَلت العقول ، واستصغرت المستعار من الألفاظ والمنقول ، فنحن نهنئكم بهذين الصُّنعين الذين هما من آثار نيَّتكم ، وصدق طويَّتكم ، وكأَن بمواهب الله قد اتَّسَقت ، وأَفْنان الْيُمْن قد بَسَقت ، وليالى الشدائد قد أضاءها الفرج بعد ما غَسَقَت ، ودين الإسلام قد استحكم متانُه ، والكفر قد أمكن منه اضطرابه وشَتاته . ولا تسئلوا عن الأَحوال بهذا القطر ، الذى كَلُبت لهذه الأَحوال عُداته ، إنما هو جسد عاودته حياته ، وبدر راجعته من بعد السَّرا راياته . وأما ماعندنا من الدُّعا لعهدكم ، والضراعة لله فى دوام سعدكم ، فلو علمنا أنه خفى بجهدنا فى تقريره ، ووكلنا أَلْسِنة الأَقلام بشَرْحه ، وتَيسيره ، إنما هو

(١) إلى هنا انتهى نص هذه الرسالة فى مخطوط الإسكوريال . وقد نقلنا تكملتها من الملكية ابتداء مما ورد داخل الخاصرة .

صُبْحٌ وضح سفوره ، وتألّق فى الآفاق نورُه ، والله تعالى يصل لكم أسباب عنايته ، ويوزعنا شكر ما مَنَّ به من عصمة مقامكم ووقايته. وقد حضر بين يدينا رسولاكم أعزهما الله ، وألقيا إلينا ما دار بينهما وبين النصارى فى أمر السِّلم الذى أكدتم حكمها بمقتضى نظركم للإسلام وأهله ، وجرِّ مقامكم على ما يليق بفضله ، وما وعد به من صرف الجَفْن الذى ظهر عليه العدو ، من الأجْفان الواصلة من جهتكم من جملة ما تضمنه الشروط ، وتشمل عليه الربوط ، وإن الوَلَد الذى أقام النصارى بعد أُمِّه يرضى ذلك ، ويسلك مما كان والده ينقاد إليه أوضح المسالك ، فأمسكناهما عندنا يسيراً ، لزى ما تَنْبَلِجُ عنه المراوضة ، وتفضى إليه المفاوضة. أطلع الله من الأمور كلها على ما يكون فيه سعادة الإسلام والمسلمين ، وكَبْت أعدائه الكافرين . وإن تفضلتم بتعريفنا إن أمكن ببعض أحوالكم ، فهو صلة لأفضالكم ، وتمام على الذى أحسن من كمالكم . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته][1] .

---

(١) ما ورد بين الحاصرتين هو تكملة لهذه الرسالة منقول من مخطوط الملكية .

ومما صدر عنِّى فى غرض التهنئة وقد استولى السلطان أبو عثمان بن أبى زيد بن أبى زكريا ابن السلطان أبى يحيى يَغْمُراسن بن زيّان على مستوطن سلفه ومحل خلافتهم من مدينة تلمسان حرسها الله

المقام الذى نَظَم من عقود الدولة ما انْتَثَر ، وأقال به مُلْكها بعد ما عَثَر ، فأَحْيَا السُّنن الحسن من مكارم قومه ، وأحيا الأَثر ، مقام محل أخينا الذى نُسَرُّ بتجديد وُدِّه ، وإعادة عهده ، وصفِيُّنا الذى نبتهج باتِّساق أمره ، واستئناف سعده ، ونصل الثنا على أصالة مجده ، ونثق منه بالمعتمد الذى يحيى فى سبيل الله[١] [وإعانة هذه البلاد][٢] سنة قومه ، وأثر جَدِّه ، السلطان الكذا [أبى سعيد عثمان بن السلطان الكذا أبى زيد عبد الرحمن بن السلطان الكذا أبى زكريا ابن السلطان الكذا أبى يحيى يغمراس بن زيان][٣] ، وصل الله لدولته الرفيعة ، أسباب الانتظام والاتِّساق ، وأطلع لها كواكب السعادة باهرة الإشراق ، ومدَّ عليها من عنايته كل وارف الجناح خَفَّاق الرِّواق[٤] ، وهنَّاها الْمُلْك ، الذى جُدِّدت ملابسه بعد الإخلاق ، وجمعت شملُه بعد الافتراق ، وتناولته بواجب الاستحقاق . معظَّمٌ ، مقامه أتم التعظيم ، ومُمجَّد[٥] سلطانه الرفيع ومجده الصميم ، المثنى على دِينه المتين وفضله العميم ، والمسرور بما سناه الله لسعده من تجديد العهد القديم ، والود الكريم . الأَمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجهاد) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٤) وردت فى الإسكوريال (الرفاق) ، والتصويب من الملكية .
(٥) وردت فى المخطوطين (مجد) والتصويب أنسب للسياق .

نصر . سلام كريم يستمد الشمس من نورمحياه ، ويستعير الروض طيب ريَّاه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الْمُبْدى الْمُعِيد ، مُيَسِّر الأَمل البعيد ، الذى من توكَّل عليه ، ولجأ إليه ، فقد أَوى إلى [الظل الظليل][1] والركن الشديد ، ومن شكر نعمته ، تكفَّل له بالمزيد ، ومن أسلفه فى ذاته عملاً صالحاً ، جنى على الأيام ثمرة قصده الحميد ، والصلاة [والسلام][2] على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى القدر الرفيع والعز المكين ، والمجد الْمَشِيد ، الهادى إلى صراط العزيز الحميد ، والرضا عن آله وأصحابه الذين سلكوا على نَهجه الواضح وقَصْدِه السَّديد ، وتناسَقُوا فى سلك أتباعه ، تناسق الدر الفريد . والدعاء لمقامكم الأَسمى بالنصر على أعداء[3] الله والتأْييد ، والصُّنع الذى يتجلى للعُيون باسم الثغر سامى الجيد . ولا زالت صنائِعه تعتمد مصانع المكرمات بالتَّنجيد[4] ، وتتعاهد أُمها بالتَّردِيد . فإنَّا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم بليغ الأَوطار ، وإحراز الآمال [وهناكم][5] بما خولكم من الملك الرفيع الخلال[6] ، وجعلكم من الشَّاكرين لنعمه بالأَقوال والأَعمال ، من حَمراء غرناطة ، حرسها الله ، وليس يفضل الله [سبحانه][7] المرجو فى الشدايد الجميل العوايد ، ثم ببركة الاعْتِداد بمقامكم السامى الصاعد ، والأَصيل القواعد ، إلاَّ ما شرح الصدور ، وأكثر السرور ، وبسط النفوس ، وأضحك الزَّمَنَ العبوس ، من اتساق [أمور][7] ذلك الملك لديكم ، واجتماع كلمته عليكم ، وما تعرَّفنا من أَن الدولة الزَّيَّانية ، وصل الله لبدورها استئناف[8] الكمال ، وأعلى أعلامها فى

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحصن الحصين) .
(٢) زائدة فى الملكية .
(٣) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (التجديد) .
(٥) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجليل) .
(٧) زائدة فى الملكية .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسباب) .

هَضْاب الْيُمْن والإقبال ، تذكرت الوسائِل القديمة والأَذِمَّة ، وألقت إلى قومها الأَزِمَّة ، وحَنَّت إلى عهدهم على طول النَّوى ، وأنشد لسان حالها «نَقِّل فؤادك حيث شيت من الهوى» ، وأصبح شتيت شملها بأَهلها مجموعاً ، وعلم عَلْيائِها بأَيدى أَوليائِها مرفوعاً ، وملابس اعتزازها على ابتزارها جديدة ، وظلال سعودها على أَغوارها ونجودها وديدة ، وقبيلها قد أَنجح فى ائتلافه أَمل الآمل ، ومبتداها مرفوع مع وجود العامل ، والكثير من أَوطانها ، قد سلكت مسلك تِلمْسانها فى الطاعة ، وتبادرت إلى استباق فضيلة الوفاق بحسب الاستطاعة ، فعظم الاستبشار ، بأَن كان إليكم مُلْكُها ، وفى يدكم[١] اختبالها[٢] ، من غير أَن يعلق بأَسبابها ، من ليس من أَربابها ، ويطمع فى اكتسابها ، من لم يكن فى حِسابها ، وقلنا إنما هو إرثٌ وجَب ، وعاصِبٌ حَجَبْ ، ورَكْبٌ عاجَ بعد القفول[٣] ، وشمسٌ طلعت بعد الأُفول ، وجِيدٌ حُلِّى بعدما اشتكى الْعَطَل ، وغَرِيمٌ قضى بعدما مَطَل ، وطِرْف تنبه بعدما هجع ، ودُرِّى استقام سيره بعد ما رجع ، وقضية انصرف دليلها عن حدود القواطع ، وطرحت عليه [أَشعتها][٤] السعود السَّواطع ، لا بل عَبْدٌ أَبَق ، لِغَدْر سَبق ، حتى إذا رجع نهاه ، وعَذَله العقل ونهاه ، جنح بعد هجره ، إلى كَنَف من نشأَ فى حجره. وعلمنا أَن الدولة التى عَرَفنا مكانها[٥] قد دالت ، والغمامة التى شطرنا[٦] مواقعها ، قد انثالت ، والعهد القديم قد تجدَّد ، والْوُدُّ الكريم قد تأَكّد ، فجرينا فى المسرّة مِلءَ الأَعِنَّة ، وشاركنا فى شكر هذه المنَّة ، ما لإيالتكم على هذه البلاد الأَندلسية من حقوق لا تُنْكر ، وأَعمال لا تزال تُشكر ، طالما خَلَصت إليها الأَمداد ذوات الدَّسر والأَلواح ، وطلعت عليها شرعها البيض طلوع فلق الصباح ، تتسابق دُهُم جيادها

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (إيالتكم) .
(٢) هكذا فى المخطوطين .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (القبول) .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مكارمها) .
(٦) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (شكرنا) ، وهو تحريف .

فى أَعِنَّة الرياح ، مفعمات الأَعطان ، بإعانة هذه الأَوطان ، مُعربةٌ عن أَصالة الدِّين ، وعزّ السلطان ،قد سمح لها بالخزائن الثرَّة ، مَن يستقل الكثير، إذا سمح ، ويبلغ بهمته السما مهمى طَمِح ، فحقيق أَن يلبس بخبرها[١] حُلَل الْجَذَل ، وترتاح لنسيم سَعْدِها الْمُقل[٢] . فما عَدِمت والحمد لله المكان ولا السلطان ، ولا حلّ بنا ما كان على ما كان . ومن قدَّم فى سبيل الله ما قدم ذلك السَّلف [الصالح][٣] الذى دَرَج ، وأَخلص فى إمداد الإسلام وإرفاده العمل ، الذى إلى مرقى القبول عرج ، كيف لايقيل الله دولته إذا عَثَرت ، ويُنْظِم عقودها إذا أَنتثرت ، ويحيي آثارها بعدما دَرَسَت، ويجنيها من عفوه وإقالته ثمر ما غَرَسَت ،فهذا القطر الْجِهادىّ، هو ميدان الأَعمال الصالحة ، وسُوق التجارة الرابحة . والله سبحانه أَوفى مَن ضمن أَجراً ، وأَكرم من أَرْبَح تجْرًا . وإننا أَصدرنا إليكم هذا الخطاب مهنِّياً ، وعن الْوُدِّ الكريم والولاءِ الصميم مبيناً ، وفى تقرير ما بين الأَسلاف [جدد الله عليهم ملابس الرضوان] [٤] معيداً مبدياً ، وإن تأَخر منه الغرض ، وقضى لهذا العهد واجبه المفترض ، والأَعذار واضحة ، وأَدلتها راجحة ، وللضرائِر أَحكام تمضى ، والفروض الفَوَايت تقضى ، فكيف والاعتقاد الجميل مُيَسَّر ممكن ، والوقت والحمد لله متمكن . وما برحنا[٥] من مناط اجتهاد ، وترجيح استشهاد ، والأَخبار يطرب مفهومها ، والأَلفاظ لا يتخصص عمومها ،والأَحاديث يُتجول فى معارضتها[٦] [النظر][٧] ولا يلزم العمل ما لم يصح الخبر . فلما تحققنا الأَمر من فصِّه ، وتعاضد قياسه بنصِّه ، لم نُقَدِّم على المبادرة عملاً ، وبيَّنا لكم من حسن اعتقادنا ما كان مجملاً ، فليَهْنُ تلك الإيالة ما استأْنفت من شبابها وتَسَرْبلت من جديد

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (المتقبل) .
(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (منحنا) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (متعاهدها) .
(٧) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

أثوابها ، ولتَسْتَقْبل العيش خضراً ، والدهر معتذراً[١] [والسعد مسفراً][٢] والزمان من ذنبه تائباً مستغفراً . وأمَّا ما لدينا من الولاء المحكم الأسباب ، والاعْتِداد بُوداد ذلك الجناب ، فشيءٌ يضيق عنه نطاق الكتاب ويقصر فيه إطناب الإطناب ، فثقوا منا بالخلوص الذى تسابقت إلى الغاية القصوى جياده ، والصَّفا الذى تجلت بلآلئ الْوَفا أَجْيَادُه . وأوفدنا إلى مقامكم الكريم [بكتابنا هذا][٢] نائباً عنا فى غرض الهنا ، ومقرراً قواعد الحب الوثيق إلينا ، فلاناً ، وفضلكم يُصغى إليه ، ويعتبر من ذلك ما لديه . والله عز وجل [يصل إعزاز سلطانكم ، وتمهيد أوطانكم][٣] والسلام الكريم عليكم ورحمة الله .

وصدر عنى أيضاً فى مخاطبة سلطان مدينة تِلمسان الدَّايل على هذا العهد ، الأمير أبى حمُّو موسى بن الأمير أبى يعقوب يوسف بن الأمير أبى زيد عبد الرحمن بن الأمير أبى زكريا يحيى ابن السلطان أبى يحيى يغمراسن بن زيّان ، عن السلطان بالأندلس فى غرض الهنا لما دال أمرُ وطنه إليه وقد وصل كتابه يعرف بذلك[٤]

من الأمير عبد الله محمد بن مولانا[٥] أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا[٥] أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر ، أيد الله أمره ، وأعز نصره ، إلى السلطان

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مقتدراً) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هذا ما ورد من الدعاء فى الإسكوريال ، وورد مكانه فى الملكية ما يأتى (يصل سعدكم ويحرس مجدكم) .
(٤) هذا العنوان الطويل وارد فى الإسكوريال . وساقط فى الملكية ، ومكانه فقط (ومن ذلك) .
(٥) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

الكذا[1] وصل الله له أسباب العناية ، وعرَّفه سعادة الإمارة المباركة والولاية ، وحمله على سُنَن التوفيق والهداية . سلام كريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله مجدِّد العهود ، ومُنجز الوعود ، ومطلع نجوم السعود ، ومُخَوِّل الآباءِ ميراث الجدود ، ومتمم الأَمل ومكمِّل المقصود ، الذى أعادكم إلى ملككم ، والعَوْد أحمد : إعادة الفضل والجُود ، ويسَّر عليكم مرامه على طول الحَوْم على الورود . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ومصطفاه من هذا الوجود ، نبي الرحمة الهامِيةُ العهود ، وصاحب المقام المحمود ، الصَّادع بالآيات البينات الزاكية الشهود ، والمعجزات الثابتة العقود ، شفيع الخلائِق فى اليوم الموعود ، وداعيهم على بصيرة من ربه إلى دار الخلود ، فمن اعتصم بحبله أو أوى إلى طلبه ، تمسَّك بالسبب المشدود ، ولجأ إلى الظل الممدود. والرضا عن آله وأصحابه السَّادة الأُسود ، الرُّكَّع السُّجود ، الذين جمعوا فى نَصْره بين الوفَا والْعُهود ، وفرقوا بين الصَّوارم والغُمود ، ورفعوا قُبَّة مِلَّته ، مديدة الطنب سامية العمود . والدعَا لسُلْطانكم بالعز الصَّافى الورود ، والسَّعد الضافى الْبرُود . فإنَّا كتبناه إليكم،كتب الله لكم سعداً ثاقب الشِّهاب ، وعزًّا رفيع الجناب ، وتوفيقاً متين الأَسباب ، وصُنعاً يتكفل بتمام الأَغراض ، وكمال الآراب . من حَمراءِ غرنَاطة ،حرسها الله ، ونعمُ الله واكفةُ السَّحاب ، وآلاؤه مفتحة الأَبواب ، ضافِيةُ الأَثواب ، وعندنا لكم من الوُدِّ اللُّباب ، والاعتقاد الأَنيق الْجِلْباب . ذخائِر حزناها عن سلفنا بالإرث والاكتساب . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا تأَدّى إلينا كتابكم المبرور ، وخطابكم المأْثور ، فأَهْلاً به من وافد يحدوه الجَذَل والسرور ، وزائِر تنشرح به من أوليائِه الصُّدور ، عَرَّفتُمونا فيه بما كان من صُنْع الله ، الذى أوضح السبيل ، وجَبَر القَبِيل ، وأبلغ التَّأْميل ، وجلى من

(١) وردت نسبة هذا السلطان فى الملكية كالآتى (ابن الشيخ الأمير الكذا ابن الأمير الكذا أبى زكريا ابن السلطان الكذا أبى يحيى يغمراسن بن زيان) .

رضاه وفضله الوجه الجميل ، وأنَّه سبحانه أعادكم إلى سلطانكم ، وسوَّغكم القرار فى أوطانكم ، ورد عليكم ميراث جُدودكم ، وأذن فى استيناف سُعودكم ، فأصبحت قصوركم آهلة ، ودعوتكم [فى نعمةٍ][1] من الله شاملة ، ومنَّةٍ منه كاملة ، وأن ما يُجاور حضرتكم من تلمسان من الجهات ، تبادرت إلى الدخول فى الطاعة ، وحَمَلت الأمر على الفَوْر[2] بجهد الاستطاعة ، فلم تكن عهودها بالعهود الْمُضَاعة ، وانتظم العقد على وسطاه ، وتهنَّا الملك ما خَوَّله الله وأعطاه ، وامتدت فى تلك السَّاحة[3] خُطَاه ، وفرَّع ثَنِيَّة العزِّ واقتعد مَطَاه . واستوفينا ما أشار إليه من جزئيات التعريف فى ذلك التكييف ، والصُّنع اللطيف . فقابلنا ما كان من اعتقادكم إيَّانا بإهدائِه ، وإطرافكم بأَنبائِه ، بالشكر لسلطانكم الذى تأَسَّست قواعد ولائِه على سُنَن سلفه [فى موالاة سلفنا] ونهج آبائِه ، وسررنا بسعادة علائِه ، وسألنا من الله دوام نعمته واتصال آلائِه . وقلنا إرثٌ ردَّه الدهر على أهله ، وشيءٌ عاد إلى محلِّه[4] ، وجِيدٌ زُيِّن بِعِقْدِهِ ، وسَيْفٌ أُعيد إلى غِمده ، وبدرٌ عاد إلى إبْداره من بعد سَرارِه ، وساكن رجع إلى داره ، وفلَكٌ استقام على مداره . ورأينا أنها عناية من الله بكم ظاهرة ، وسعادة أنوارها باهرة ، إذ مثل هذه الضَّالة التى ملكتم زمامها ، والإمارة التى رفعتم أعلامها ، قلما استُخلِص حقُّها ، وأوضحت فى الحديث والقديم طرقها ، إلا عن حروب مُبيرة مبيدة ، ومواقف عظيمة شديدة ، ونفوس ريعت ، وحُرْمةٍ للدين أُضيعت ، فكونكم صيَّر الله لكم ذلك عفواً ، من غير عَنَا [إنما هو لطف منه][5] بكم ، واعتنا . ووقعت بينكم وبين الدولة المرينيَّة ، أعزَّها الله ، عقودٌ أحكم منها كل بنا ، وتأَسست قواعدها على وُدٍّ وصفا ، فلم تمتد إلى البرى يد اعتداء ، ولا راع الخلق بذلك الوطن وقوع داء ،

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الفوز) .
(٣) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الساعة) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أصله) .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وفى سبيل لطف) .

وذلك دليل على رِضوان من الله وقبول ، وسعد موصول ، وفروع سَوَّغت ميراث أُصُول . فنحن نهنيكم بما منَّ الله به عليكم ، وسنَّى[١] من السعادة التى ساقها إليكم ، ونَسَلْه لكم تحسين العواقب ، وإعلاءِ المراق والمراقب ، ونقرر سرورنا باستقامة أحوال المسلمين على العموم والإطلاق ، وحيث اتفق من الآفاق ، وخصوصاً فيما قرب منَّا جواره ، ودَنَت داره ، وفيمن بينه وبين سَلَفنا الودُّ الذى لا يُجهل مقداره . ولا تَخفى آثاره . والله عز وجل يسعدكم بها من رجْعَة ، ويمتعكم بها من نَجْعة ، ويحملكم فيها على البر والتقوى ، ويجعلنا وإياكم ممن اعتصم بالسبب الأقوى . وهو سبحانه ينجح الأعمال ، ويُجرى على ما يرضيه الأحوال . وهو عز وجل يصل سعدكم [ويحرس مجدكم][٢] ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وساقه) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية (ويوالى رفعتكم) .

وصدر عنِّى أيضاً وقد اتصل الخبر باستقلال
ملك المغرب السلطان المعظم أبى عنان
رحمه الله على الملك

المقام الذى له المجد الصَّراح ، والحسب الوضاح ، والأَصالة التى أخبارها فى عوالى المعالى ومعالى العوالى هى الحِسان الصِّحاح ، والبيت الذى دعائِمه العزائم والصَّوارم والرِّماح ، وطينَتُه[1] الجلالة والبسَالة والسَّماح ، وفضائِلُه العالية ، ومكارمُه المُتوالية [كما متَع الصَّباح][2] وأخبار فخره المنشُور ، ومجدِه المَشْهور ، تسرى فى جهات المَعْمُور ، كما تسرى الرِّياح . مقام محل أخينا الذى له المجد الوثِيق الأَساس ، والأَصالة التى ذِكْرُها فى الناس ذات النَّدى والباس ، والمفاخر التى يشهد بها موقف الجِلاد ، ومثابة الإرْفَاد ، وظُهور الجياد ، ولِسان القَنَا الميَّاد[3] ، وصَفْحُ القرطاس ، والمآثر التى أَغْنَى فيها أعلام الإجماع عن إعمال القِياس [السلطان الجليل ، المعظم الكبير الشهير ، الإمام العادل ، البطل الباسِل ، الحافل الفاضل الكامل ، الأَمْضَى الموقَّر المبرُور أبو عنان][4] ابن محل أَبِينا الذى نُعظِّم قَدْره ، ونُوجب برَّه ، السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا [المؤيَّد المُعان][5] صاحب الْجُود الشهير فى الأَقْطار ، والفَضْل المتألِّق الأَنوار ، والمآثر التى هى أَوْضَحُ من مُحيَّا النهار ، أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل ربِّ العالمين أبى سَعيد ، ابن السلطان الكذا ، أمير المسلمين وناصر الدين ، المجاهد فى سبيل ربِّ العالمين ، المقدَّس الأَرْضَى ، المبرُور المرحوم أبى يوسف يعقوب ابن عبد الحقِّ . أبقاه الله يَرْمى أغراض الأَعمال الصالحة ، بمكارمه الواضحة

(١) فى الملكية (وطنية) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المناد) .
(٤) هذه الأوصاف واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

فيُصِيب ، ويمدُّ يده إلى مواهب تَوْفِيق الله وتَسْديده ، فيتوفَّر له منها النَّصيب ، ويجدِّد عهود سَلَفِه التى أعمالها الكريمة عند الله لا تَخِيب . معظَّمٌ سلطانه الشَّهير الْجَلالة ، الرفيع الأَصالة ، المُثْنَى على مَناسبه التى يقْصُر عن ذكرها لسان الإطالة ، الدَّاعى إلى الله أن يَصِل له بسلوك مَرْضاته عوائِد آلائِه المُزْدادة ، ونِعَمه المُنْثَالة ، الأَمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أَبى الوليد بن فَرَج بن نصر . سلام كريم طيب برُّ عميم ، تتأَرَّج فى روض الاعْتِداد بكم فى الله نَواسِمُه ، وتفتر عن ثغر الْوِداد المحض فيه مباسِمُه . وتتفتَّح عن زَهْر الثَّنا بأَعلى معالى ذلك الملك الشهير العُلاَ كَمائمه ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله الذى لا يُضيع عَمَل عامل ،ولا يَخيب فى فضله العميم أَملُ آمل ، مُعوِّد الإسلام وأَهله من ذلك الملك الذى يتمسك على مرِّ الأَوقات[1] بحَبْله ، ويستظهر بجمُوعِه النَّاصرة على جَميع المواهب كلَّ يُسْرٍ شامل ، وحامله من فضله العظيم المَواهب عند التِباس المذاهب على سبيلٍ سابِل . ومُنْجِدُه فى الأَزمات بكلِّ كافٍ من أوليائه أُولى العزمات وكافِل ، فإن عَظُم كَلَب أعدائِه ، وغَفِل الدهر عن معالجة دائِه ، فما رَبُّك بغافل . ومهمى ساءت ظنونه ، واقتُضِيت بخصومات العدوِّ ديونه ، حرَّك له هِمَّة كل ملك فاضل[2] ، وأَيَّده الله منه بمُدافع عنه بعد مُدافع ، ومُناضل عنه إثْرَ مناضل ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد النبى الكريم ، الرؤوف بالمؤمنين الرَّحيم ، أَصْدقِ قائِل ، وأَكرمِ فاعل [وأَشرفِ البريَّة بين حافٍ وناعل][3] داعى الخلق للَّتى هى خيرٌ وأَبقى ، ومُتقدُّمهم وهم غَرْقى من بَحْر جَهْلٍ بلا ساحِل ، وقائِدهم إلى مافيه السَّعادة المخلَّدة ، والعناية المؤبَّدة ، فى عاجل وآجل ، والملجأَ المنيع الذى يأْوُون إلى ظلِّه عند كل أَمرٍ هائِل ،

---

(١) فى الملكية (الأيام) .
(٢) فى الملكية (واصل) .
(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

وخَطْبٍ غائِل . والرضا عن آله وصحبه وأُسْرَته وحِزْبه ، أَدِلَّة كلِّ هامزٍ[١] وسائرٍ ، وثِمال كلِّ عارفٍ وسائِل . السابقين فى ميدان دين الإيمان بما شاء من بأْس[٢] ونَائِل ، الذين ظاهروه[٣] فى حياته بكلِّ أَبيضَ صارِم ، وأَسْمَر ذابل ، وخَلِفوه فى دينه من بعده بإقامة كل [ميَّاد منه ومَائِل][٤] . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله للْكِكُم من توفيقه وإسعاده ، أَحظى ما وهب المتَّقين من عباده ، وحمل عزمكم الأَمضَى ، وسَعْيَكم الأَرضى ، على ما يخلِّد لكم الفخر[٥] المشهور والحمد المَسْطور بين عباده وبلاده ، وجدَّد لمقامكم المشهور عُهُود آبائِه فى نصر هذه البلاد القاصِية الثَّغُور وأَجْداده ، حتى يَعْلم عدوُّ هذا القطر أنه لم يَعْدَم ناصراً مستنصراً فى نصره وإمداده ، وسلطاناً يجاهد فى الله حقَّ جهاده ، وأن المَلِك الكريم الذى عُرِف صدقُ جِهاده ، لم يبرح عن نصابه ولا خرج عن مُعْتاده ، ولا انتقل عن أَمْجاده . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، وليس يفضل[٦] الله جلَّ جلاله ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد الرفيع قدره ، الكريم آله ، ثم بما عندنا من [الاعْتِداد بنصر][٧] سلطانكم الذى انفسح فى طاعة الله مجاله ، وتسنَّت بها إن شاء الله آماله ، إلاَّ ما يُرجى من سُفُور وجه الصُّنع الذى يَبْهَر جماله ، ويروق اقْتِباله ، وعندنا من العِلْم بحقوق ذلك المجد الرفيع بما لا مزيد على محصوله ، ومن الثَّناءِ على مالُه من الأَصالة الشهيرة الجلالة ، مالا تَفى العبارة ببعض فصوله [ومن الاعْتِداد بأَسنَّته الماضية فى سبيل الله ونُصوله][٨] ما يتكفَّل للإسلام

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (سابر) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (با) فقط وبعدها بياض والتصويب من الملكية .
(٣) وردت فى الإسكوريال (ظاهروا) .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (مناد منه وقايل) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (العزم) .
(٦) وردت فى الإسكوريال (ببرقه) والتصويب فى الملكية .
(٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال وفى الملكية (الإعتقاد بمقام) .
(٨) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

بإعلاءِ فروعه ، وثَبات أُصوله . وإلى هذا أَنجح الله تعالى فى مَرْضاته أَعمالكم ، وبلَّغكم من فضله آمالكم ، فإنه وَرَدَ علينا كتابكُم الكريم ، فاسْتَجْلينا منه حُلَّة بيان رَشَقت[1] البراعة أَعطافها ، ورَوْضَة إحسان أَتَتْ أُكلها ، وأَدنَتْ قطافُها ، ناطقاً بلسان الفضل الذى مَجْدُكم مَعْدِن نُضاره[2] ومطلع أَنواره ، جارياً فى ميدان البرِّ إلى أَقصى مِضْماره ، عرفتمونا فيه بما سَنَاه الله لملككم من تيسير الأُمور ، وانشراح الصُّدور ، وأَن من بتلك العُدْوة حرسها الله من المسلمين ، أَجمعوا على مُبايعتكم وأَصْفَقوا ، وبادروا إلى الدخول فى طاعتكم واسْتَبْقوا ، وانتظموا فى فى عقودها[3] واتَّسَقُوا ، يطير بهم الارتياح إلى التمسك بعُراها ، والتيمُّن بالْتِماح بُشْراها ، وما كان من استقرار ملككم العلىِّ فى قَرار مجده ، ومَطْلع أَنوار سعده ، ومثابة أَبيه وجدّه ، وأَنكم لما مَلَكْتُم أَسجَحْتُم ، وأَقْدَركم الله فعَفَوْتُم وصفحتم ، وأَنْ دعوتكم استقام طريقُها وعزَّ فريقُها ، وخفقت بالسعد أَعلامها ، وأَصابت الأَغراض البعيدة سهامُها ، على سبيل من التَّيسير قريب ، وحدٍّ من السعادة غَرِيب ، جعلتم فيه الرضا والقبول ، شكراً لله على النِّعمة التى أَلْبَسَكم حُلَلَها ، وقلَّدكم حُلاها ، والمثابة التى أَهَّلكم لعلاها ، فسررنا بما كان من ثبات ذلك المُلْكِ فى نصابه ، واستقرار الحق فى أَربابه ، وقُلنا اللَّيثُ أَحقُّ بغابه ، والسَّيف أَولى بقرابه . وهل هو إلاَّ تاج عُقِد على مِفْرَقِه ، وبَدْرٌ طلع من مَشْرقه ، ووارِث قام بحق سلفه ، وكوكب حلَّ بَيْتَ شرفه . فالحمد لك على أَن أَصبح بكم [عمادُ الملكِ الأَصيل][4] مرفوعاً ، وشَمْلُ القَبيل الجليل مرفوعاً . وكيف لا نُسرُّ باشتمال ذلك الملك الكريم عليكم ، وأَن جعل الله أَزمَّته فى يديكم ، ولم يَظْفر به من يَرُوم فساداً ، ويَسُوم أَسواق الفضائِل كِساداً ، أَو يسدُّ بين المسلمين

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (وسعته) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (رضاها) وما ورد فى الملكية أرجح .
(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (سلك) .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عماد ذلك البيت الأصيل) .

وإخوانهم باباً ، ويقطع أسباباً. ويوقد للفتنة شهاباً . فما عَدِمنا بفضل الله عَارِفة الجدِّ المساعد ، ولا بَرِحنا بين النَّحر والساعد ، نتقَلَّب فى مَرْضاة الأَب [الأَرضى][1] والأَخ الماجد ، ونلتمس من الله أَثناء ذلك جَمِيل العوائِد . أَبقى الله تلك الإِيالة اليَعْقُوبيَّة ، فى أَعقابها على استمرار الدهور وأَعقابها[2] بمنِّه[3] . وعرفتمونا أَنكم بمقتضى ما لكم فى سبيل الله من العَزْم الذى مضارِبُه إن شاء الله لا تَفِل ، وعُراه الوثيقة لا تَنْفَصم ولا تُحَل ، أَمْدَدْتم[4] ثَغْر الجبل بالمال ، وفسحتم للإِسلام فيه مَجال الآمال ، وأَقْرَضْتُم الله تعالى فى إمداده وسَداده كرائم الأَعمال . وحبَّذا العمل الصالح الذى إليه ابتدرتم ، ونعم محل الصنيعة ما تَخَيَّرتم بابهذا القطر الغريب ، ومهَبُّ أَنفاس النَّصر العزيز والفَتْح القريب ، ومطلع نور الله تعالى أَنْجاد هذه البلاد وأَغوارِها ، وفاتحة الكتاب من سُور ذات أَسوارها . فإِن جعل الله الجبال أَوتاداً ، تُمْسِك من الأَرض فراشاً للْخَلْق ومِهاداً ، فجبلُ الفتح بخصوص وتَدِ هذه الأَرض الذى لولاه ما قرَّ رِجفانها ، ولا نامت[5] فى كَنَفِ الأَمن أَجْفانها ، وجبلها الذى لم يزل يعصمها من الماءِ إذا فاض للشَّدائِد طوفانُها ، ولسَلَفِكم بافتتاحه واسترجاعه واسْتِخلاصه قَلْباً للكفر بين أَضلاعه ، المَكْرَمة التى يكلُّ عن وصْفِها لسان قسٍّ إِياد ، والمَنْقَبة التى لا يجاريها إِلاَّ فاتحه الأَول طارق ابن زِياد ، أَبى الله إِلاَّ أَن يمنح[6] فيه ملككم [الرفيع][7] عن عدة المجد[8] ، ويصون منه الطراز المُذْهب الذى رقَمه الله على حلَّة السَّعد[9] . وما كان مقامكم

---

(١) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (أحقابها) .
(٣) زائدة فى الملكية .
(٤) وردت فى الإسكوريال (اسددتم) والتصويب من الملكية .
(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (أقامت) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (يمسح) .
(٧) زائدة فى الملكية .
(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (مجده) .
(٩) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (سعده) .

ليتُرُكَ ذلك الفخر المذكور لكم بين الرُّكْن والمَقام عُرْضةً للانتقام . ولا ليَصْرف عنه وجه الاهتمام ، مع الاقْتِدار بالملوك الأَعِزَّة والائتِمام ، ووجود أَنفَةِ الملك وحميَّة الإسلام . فما هى إلا مَكْرَمة جدَّدت لتلك المكارم عهداً ، وأنجزت لنصر الله[1] وعداً ، وشرحت للدين صَدْراً ، وأثبتت فى الصَّالحات الباقيات ذِكْراً . وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله ، هو خيراً وأعظمُ أَجْراً . وقد كنا أَصدرنا إلى مقامكم الرفيع كتاباً ، وأَعْمَلنا فى شأْن الجبل وما إلى ذلك خِطاباً ، بما يهزُّ الشِّيم الزكيَّة ، ويحرِّك الهمم الملكية ، فحصل قبل وصوله إليكم الأَمل ، وسَبَق القولُ والحمد لله العمل ، وحرَّك شِيمَكم الكريمة باعثُ ذاتها ، ونبَّهها عليه كمالُ صفاتها . ومن كان سلالةُ ذلك المُلْك الكريم النَّسب ، الأَصيل الحسب ، أَغناه مَطْبُوع فضله عن المُكْتسب . ورُنْدة حرسها الله تعالى وما إليها ، ترتقب جميل ذلك النَّظر ، وتلتمس عارِفَة المَلِك الكريم السِّير ، حتى يشمل جميعها رِماق فضله ، ويسوِّى بينها مأْلُوف عدله ، ويغتنم فيها ثناءَ الإسلام وأَهله . وعرَّفتمونى[2] بما قرره لديكم الولىّ فى الله [الشيخ الأَجل المرفَّع الأَرضى المجاهد الأَفضل الأَمْضَى][3] أبو مهدى عيسى بن الحسن ، شكر الله مذاهبه ، وحرس شاهد وُدِّه وغائبه ، من اعتدادنا بذلك الملك الرفيع العُلا ، واستظهارنا بعزماته على الأَعداء . والمذكور ، وصل الله أَسباب وده ، وشكر حُسْن عهده ، وإن أَطنب فى ذلك بمقتضى مجده ، لا يبلغ[4] فيما عندنا من ذلك بعض جدِّه ، فغايته بعيدةُ المدا ، وما خَفِى منه أَعظمُ مما بدا . وقد كان المذكور قبل حركتكم من تِلِمسان ، كتب إلينا مُعْلماً بما تنطوى عليه نيَّتكم الصالحة لهذه البلاد المسلمة ، وتضمره[5]

---

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (الاسلام) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (وعرفتمونا) .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال . وساقط فى الملكية .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (مظهره)

فيها من العزم على نصر الدين وإعلاء الكلمة ، وقرر ما يعلمه فيها من مقاصد جلالكم ، وضَمَن لها من الفضل [ما يضمن][1] عن أمثالكم . فشكرنا له نيَّة الولى الصريح ، ووثقنا من خَبره الحَسَن الصَّحيح ، وسألنا الله لنا ولكم الخيرة فيما يقضيه ، والحمل على ما يرتضيه ، وأن يجدد للإسلام بكم عهود اعْتِلائِه ، ويصل لكم بتوفيقه سوابغ آلائِه . وعرفتمونا أيضاً أنكم خاطبتم طاغِيةَ الروم فى تثبيت العهد الذى قد ربطه ، والوفاء بما فى الصلح على بلاد المسلمين اشترطه ، لينسحب رِواق الأمن على هذه الأقطار بيُمن إقبالكم ، ويكون استصحاب العافية بها فاتحة أعمالكم ، ومثلكم من يحرص على اكتساب المكارم الفاخرة ، وتطمح همَّتهُ ، أبقاه الله ، إلى الجمع بين الدنيا والآخرة . شكر الله عن الإسلام مكارِمكم التى تُعنى بتَشْيِيد مبانيه وتيسير أمانيه . وطلبتم أن نطلعكم على ماتزيَّد لدينا بهذه الأقطار من أخبار الكفار ، بمقتضى جلالكم الرفيع المقدار . ونحن نُلقى إلى مقامكم ، أن هذا الطَّاغية ، لا أنجح الله سعيه ، ولا سدَّد رأيه ، لما وصل إليه سلطانُ ابن عثمان ، وخرج له عن مُضْمَره ، وألقى إليه ما يجد بركة أثره ، لم يلبث إلاَّ يسيراً حتى ظهرت ثمرة الفساد ، وذاعت فى أرض العدو حركة الاحْتِشاد ، وكتب يُعرِّفُ[2] أن جبل الفتح ، خرج عن شروطه ، فى صُلْحه ، بما كان من حصول صاحبه فى إيالتكم ، وقيامه بدعوة جلا لتكم . فراجعناه نعرفه أن أمير المسلمين بالْعُدوة لم يبرح عن محلّه ، ولا تقلَّص مديدُ ظلِّه ، ولا خرج عن عوايده ، ولا انتقل عن الْوَلَد ووالده . ونحن عقدنا معه الصلح على تلك البلاد فى جملة ما عليه عقدنا ، وأكدنا عليه من المواثيق ما أكَّدنا . ثم تعرَّفنا أنه يقصد الجزيرة لمباشرة أمورها ، وكتب إلينا بعض ناسه ، أنه إنما يقصد رُندة أو جَبَل الفَتْح ، فلم نُقدم عملاً على توجيه مَدِد الرُّماة والفرسان ، صحبة من اخترنا لهذا الشأن

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (يقرر) .

من القواد الأعيان ، وأمرناهم بالمقام به حتى تَنْبَلج الأخبار ، ويظهر ما يبرزه الليل والنهار . ونرجو أن يكون دفاع الله من دوننا مدداً ، وأن يهيء لنا من أمرنا رَشَداً . هذا ما عندنا شرحناه إليكم ، وألقيناه لديكم ، وأنتم تعملون فى الإنجاد ، ومعاملة الله فى نصر هذه البلاد ، بما يخلِّد لكم الذِّكر المَسْطُور الأوراق ، ويتكفل لكم بالنعيم الخالد ، والسعد الباق . والله تعالى يصل بمَرْضاته سعودكم ، ويبلِّغكم بها مقصودكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله .

وصدر عنِّى أيضاً وقد بلغ إعمال حركته
لتمهيد وطن سِجلماسة عندما تصير الأمر إليه ،
وحلوله بمدينة مراكُشْ بعد أن قامت تلك
البلاد بدعوته ، وعقدت البيعة له ، وفى عام
أحد وخمسين وسبعماية ما نصه[1] :

المقام الذى لسانُ سِنانه[2] فى حَوْمة الرَّدع وميدانه بليغٌ فصيح ، وخَبَر بأسه ونداه فى مَسْند الفخر البعيد مداه غريب صحيح ، ونَسَبُ جهاده المرتقب الحين فى ذُوابة النصر العزيز والفتح المبين أصيل صريح . مقام محل أخينا ، الذى آية سعده ثابتة محكمة ، وحُلَّةُ مجده ضافية مُعْلِمة ،وحجة فخره محرَّرة مسلمة ، وخواطر يقينه مسدَّدة مُلْهمة ، وأبواب الحوادث عن مقامه الرفيع مُبْهمة ، ومناسك جوده من وهاد الأرض ونجُوده محجوجة ميممة . السلطان الكذا أبى عنان ابن محل والدنا[3] الذى نعظِّمه ونجله ، ونوجب له الحق الذى هو أهله ، السلطان الكذا أبى الحسن ، ابن السلطان الكذا [صاحب المكارم الشهيرة ، والمدابر التى هى أوضح من شمس الظهيرة ، أمير المسلمين][4] أبى سعيد ابن السلطان الكذا [المؤيد المعان الأمضى صاحب الجهاد المبرور والسعى المشكور والأجر الموفور أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين][4] أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أبقاه الله ، يُسَلِّم له الأسدُ الْوِرْد فى وثبات الإقدام ، [ويعترف له العَلَمُ الفَرْد بثبات الأقدام][5] ويقر له الصباح الطَّلق بإشْراقِ الْقِسام ، والغمام الجود بالآلاءِ الجسام [ولازال سعده حاسم الحد حديد الحسام ، وأنباءُ مجده المأثور

(١) لم يرد هذا العنوان المفصل فى الملكية ، واكتفى فيه بعبارة « ومن ذلك »
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شأنه) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (أبينا) .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٥) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

تسرى فيها لآيتى المعمور مسرى الحياة فى الأجسام][1] معظم سلطانه الذى تعظيمه فى الوجود محتوم[2] الوجُوب ، وصنايعه فى جُيُوب الآفاق ألزم للأطواق من الجيوب ، وحسنات ملكه السعيد ماحِيَةٌ للذنوب ، ولطايف صفحه المبذول يُسْكن طَيْر الأمل فى أوكار القلوب ، وأسرار نصره المذْخُور مكتَتَبة السطور فى أوراق الغُيوب [الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر][3] سلام كريم طيِّبٌ برٌّ عميم ، كما سفر القمر الليّاح عن جبينه [وروى النسيم اللدن أحاديث الطيب عن دارنيه ، وتلقى عرابة المشرق بيمينه][3] ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد حَمْدِ الله الذى أضفى على معاطف ملككم الأصيل ، حُلَل الصُّنع الجميل ، ففاق جماله ، وراق لباسه ، ويسَّر لعزمه[4] المنصور مقدمات الظهور ، فأنتج قياسه ، وسَلَّ من أمركم المقصود [حساباً][5] فالجود حدُّه ، والصفح غِمده ، والمجد رياسه ، ومكَّن له فى أرضه [ليقرضه تعالى من الجهاد فيه حقَّ قَرْضه][6] ، فعلت فروعه ، ورَسَتْ أساسه ، وصحت له حدود المجد سالمة من النَّقد بما مَنَعَته فصوله ، وجمعته أجناسه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، عنصر نور الهدى الذى أضاء الظُّلَمَ مِقْباسه ، وينبوع مواد الرحمة الواكف على الأمة مَجاسه ، وسيلتنا إلى الله فى اليوم العصيب ، والفوز قد أعيا التماسه ، وملجأُنا عند الفزع الأكبر إذا غلب الرَّجا ياسَه . والرضا عن آله وصحبه وناسه الكرام وحزبه ، فياحبَّذا صَحْبُه الكرام وناسه وحزبه ، الذى قام به الحق

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (محترم) والأولى أرجح .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (لعزكم) .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

قسطاسه ، ما وفَّ للروض آسه ، ودلت على السحر أنفاسُه . [والدعاءُ لمقامكم الأَسمى بنصر يرتاح لهبوب ريحه ميَّاد القَنا المياد وميَّاسه][1] وصنع جميل يتوفر مجراه وطيب مسراه جَذَل الإسلام وإيناسه ، وفتح تتفتح عن أَزهار العناية الإلَهية أَطْراسه ؛ ويعنى براوية [فخره][2] من طِرْسِه الأَنيق ، وخيرة ضُحَّاكه وعُبَّاسه . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً يروق اقتباله ، وصنعاً تصيب شاكلة الرَّشاد والتوفيق والسَّداد نِباله ، ونصراً يتوفر جَذَل الإسلام به ويَنْعُم باله . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله جل جلاله ، ثم بما عندنا من التشَيُّع لمقامكم الأَسمى الذى تسنَّت من فضل الله آماله ، إلا الخير المتصل دوامه ، الدائم اتصاله ، واليُسْر الذى انفسح لجياد الأَمل مجاله ، والحمد لله حمداً يتكفل بالمزيد رويَّته وارتجاله . ومقامكم هو عُدَّة الإسلام وأَهله ، والمقام الذى يأْوى إلى ظلِّه ، ويُعَوَّل بعد الله على فضل عادته وإعادة فضله ، حكم الله للكم [وقد فعل][3] بأَعلا محلِّه ، وأَصْحبَه الإعانة[4] والتوفيق فى ظَعْنِه وحِلِّه . وإلى هذا أَيَّد الله أَمركم ، وأَعلى فى الملوك المجاهدين قدركم ، فإننا بحسب ما نطوى لكم [عليه الضمائر][5] من وِداد أَضفى من نُطَف الغمام ، وأَصْوَن من دُرَرِ الأَزهار فى أَصداف الكمام ، واعتقاد نجدد حلله ، على بلا الأَيام ، نرى أَن الأَيَّام الماضية ، إذا اجتازت إغفالاً من خبرٍ سار عندكم نفيده . ووجه مسرَّة بكم نُبديه أَو نُعيده ، فإنها حصص من الدهر ، لم يقع بها الانتفاع ، وضِياع من الزمان استولى عليها الضَّياع . فبودنا لولا الموانع ، أَن تكون المخاطبة لا تَغِب ، والمكاتبة مطردة كما نُحب . ومن لدن تعريفكم إيَّاناً بما كان من صُنْع الله لكم فى وجهتكم إلى سِجِلْماسة .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .
(٢) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (العناية) .
(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

التى كانت لما كتبه الله من ظهو رمقامكم عنواناً ، ولما أجمله من خطاب سعادتكم بياناً ، وأنكم شرعتم فى فصل البلاد المرّاكُشية التى مناصلها ماضية ، وأغراضها [لديون الآمال][1] مُتَقَاضية ، لم تزل النفوس ، تهوى إليكم تشوُّقاً للأنبا واستطلاعاً ، والحواس التماساً لأخباركم السايرة قد صارت كلها أسماعاً . فما سلكتم من وُجهتكم طريقاً إلا اتخذنا القلق رفيقاً ، والتمسنا خبراً يكون بالركون إليه خَلِيقاً ، واعتلقنا من الدعاء لكم بما فيه الخير والخيرة سبَباً وثيقاً ؛ والأخبار مع ذلك أسانيدها مُقلة ، [وطرقها مُخْتَلة][2] فمنها المهمل والمقطوع ، والضعيف والموضوع ، لا يجد الترجيح بين متعارضها مَسْلكاً ، ولا يُقْتَبس من جملتها نور صدق يجلو من الالتباس حَلَكاً . فأقمنا نرتقب حديثاً يحصل به العلم ، وينبنى على أصله الحُكم ، إلى أن تحقق الآن لدينا ماسَناه الله لكم من الاستيلاء على تلك الأوطان [ودخولكم لمستقر أمرها الرفيع الأمر والشّان][3] وأن الله [تعالى][4] أجرى لكم عادة الظفر لمّا شَبَّت نار الحرب ، وعقد لكم صفقة الظهور فى سوق الطَّعن والضَّرب ، فجنيتم ثمرة العزم عذباً جِناها ، واجتليتم وجوه السعد يَبْهَر سناها ، وأن ركابكم استقر [أمره][4] بمدينة مَرّاكُش دار الملك القديم ، والبقعة الطيبة الأديم ، والقطر الذى جمع من المرافق ما تفرق فى الأقاليم ،حيث الخَيْلُ والخَيْرُ ، والخُطَّة الفسيحة ،يعيا عن بلوغ مداها الطير ،والجباية الدَّارة الأخلاف ، والربوع المتوفرة الآلاف ، والمدينة التى رغمت الروم بسعادة نصبتها وشقيت [ولقيت من جزاء نسبتها][5] نسبتها على الأيام ما لقيت ،

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى الملكية (لرسل الإرسال) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ومكانها فى الملكية (ودخولها فى طاعة أمركم العلى السلطان) .

(٤) زائدة فى الملكية .

(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

ولا تزال تُرهب منها تلك القوة ما بقيت ، وأن سلككم قد اتَّسق نظامه ، وملككم قد تيسر من الظهور مرامه ، فبادرنا بهنايكم مبادرة الخلوص الذى لا يشوبه الريب ، والتشيع الذى يتساوى منه المحضر والغيب ، وقياماً بحق أخوتكم التى سبق أفضالها ، وكَرُمت فى سبيل الله أعمالها ، وعلما بأن نيَّتكم فى الجهاد ، ستَشْرُق بهذه البلاد [غرر][1] محاسنُها المجلوة ، ويبرز سر طباعها ، إلى عالم الفِعْل من عالم القُوَّة . فمن مدينة مراكش [حرسها الله][2] هبت رياح النصر فيما سلف من الدول ، وفيها تحركت لنصر الدين هِمَم الملوك الأول ، وطاروا إلى إغاثة هذه البلاد ببيض الصِّفاح وسُمْر الأَسَل ، حتى قَصُّوا جناح الشرك ، وأوقعوا وقيعتى الزَّلاقة والأرك ،[3] ولعلَّ الثالثة إن شاء الله ، تُنسب إلى سعادة تلك المدينة التى حللتم ، وهذه الأُمنية تكون ثمرة الحركة التى أعملتم . ولا تسلوا عما عندنا لكم من الحبِّ الذى خَلَص لبابُه ، وتوفرت والحمد لله أسبابه ؛ فقد تقرر فى مدونة الصدق بابه ، وتألَّق شهابه . فلما أخذ التحقيق مأْخذه من هذا الخبر ، واقتضت منه الحكم أدوات النظر ، لبيَّنا من حق الهَنا الواجب النِّدا ، وبادرنا قبل فوات الوقت الأداء ، علمنا بأن مقامكم لا يُحجب وجه رضاه عن عُذر ، ولا يلقى من يرد عليه إلاَّ بترحيب وبِر ، وبذلك جمع الله القلوب على وُدِّه ، وصنع الصنايع لمجده ، وأطلع على الآفاق أنوار سعده . والله سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ .

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .

(٣) موقعة الزلاقة هى الموقعة التى نشبت بين الجيوش المرابطية والأندلسية المتحدة بقيادة يوسف بن تاشفين عاهل المرابطين « والجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة وذلك فى سهل الزلاقة على مقربة من بطليوس ، وأصيب فيها النصارى بهزيمة ساحقة وذلك فى رجب سنة ٤٧٩ هـ (اكتوبر سنة ١٠٨٦ م) وكان من نتائجها أن أنقذت الأندلس من خطر الفناء على يد اسبانيا النصرانية ، ولكنها انتهت باستيلاء المرابطين على الأندلس .

وموقعة الأرك هى الموقعة التى اضطرمت بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور والجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشالة فى تل الأرك على مقربة من نهر وادى يانة ، ومدينة ثيوداد ريال ، وهزم فيها النصارى هزيمة فادحة ، وذلك فى شعبان سنة ٥٩١ هـ (يوليه سنة ١١٩٤ م) ، وهى التى أسبغت على الخليفة الموحدى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، لقبه المنصور .

وكتبت أيضاً عن السلطان أبي الحجاج ابن نصر للأمير علىّ الناصر بن أمير المسلمين السلطان أبي الحسن فى غرض التهنية[١]

الإمارة التى لم تزل المكارم الراضية ، والعزائم الماضية ، والجلالة الراقية ، والأعمال الصالحة الباقية . إمارة محل أخينا الذى نعظم مجده السامى الجلال ، ونثنى على شِيمِه الطاهرة الخلال ، ونعتد بوُدِّه الكريم الأقوال والأعمال ، ونُسَرُّ بما يُسْنيه الله لعزِّه الفسيح المجال ، من عوائِد اليُمن والإقبال ، الأمير [الأجل الأعز الأسنى الأمجد الأسمى الأرفع الأسعد الأصعد][٢] أبى على الناصر ابن محل أبينا الذى نعظِّمه ونجلُّه ، ونوجب له الحق الذى هو أهله ، السلطان [الجليل الأعز ، الرفيع الأسنى الأسمى ، الصدر الأرقى ، الكبير الشهير المجاهد الأمضى ، المعظم الموقر المبرور المقدس ، المرحوم الأرضى أبى الحسن ، ابن السلطان [الجليل الأغر المرفع الأسمى الظاهر الطاهر الخطير الماجد الأسنى ، الإمام العادل الفاضل الكامل المبرور المقدس أبى سعيد ، ابن السلطان الجليل المعظم الخطير الحافل الفاضل الكامل الموقر المبرور المرحوم أبى يوسف يعقوب ابن عبد الحق][٣] ، أبقاه الله والسعود إليه مبتَدِرة مُسْتَبِقة ، والمسرات لديه منتظمة متَّسقَة ، وغرر أيامه واضحة مشرقة ، والأهواء على محبته متفقة . معظم إمارته الرفيعة الجانب ، القائم من إجلالها ونشر خلالها بالحق الواجب ، المُثَنى على مالها من السير الفاضلة

---

(١) لم يرد هذا العنوان فى الملكية ، ورد به فقط (ومن ذلك) .

(٢) ما بين الخاصرتين ورد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٣) ما بين الخاصرتين ورد فى الإسكوريال ومكانه فى الملكية (ابن السلطان الكذا المؤيد المعان المظفر صاحب الجود الشهير فى الأقطار ، والفضل المتألق الأنوار ، والمآثر التى هى أبهى من محيا النهار . أمير المسلمين وناصر الدين وقامع الكفر ، المجاهد فى سبيل رب العالمين) .

المذاهب ، والأَصَالة الرفيعة المنَاسب ، والبسالة الماضية المضارب ، والمكارم التى تشهد بها مواقف الجِلاد[١] ، وظهور الجياد ، وصحائِف الكتب ، وصَفائِح الجِلاد ، الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد بن نصر . سلام كريم بَرٌّ عميم ، تتأَرج الأَرجاءُ من طيبِ نفحته ،ويُشْرِق نُور الود[٢] الأَصيل عن[٣] صَفْحته ، يخصُّ أُخوتكم الفاضلة ، وإمارتكم الحافلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته . أَما بعد حمد الله الذى شرح بالتوكُّل عليه صدوراً ، وجعل الوُدَّ[٤] فى ذاته كنْزاً مَذْخُوراً . والأَعمال التى تقرب إليه نوراً ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى بعثه بالحق هادياً ، وبالرُّعب منصوراً . ورفع لدعوته الغالية[٥] ، لواءً من عنايته منْشُوراً . واختاره لإِقامة دين الحق ، والأَرض قد مُلئت إِفْكاً وزُوراً ، حتى بلغ مُلْك أُمته . وتبلَّغ[٦] ما كان من الأَرض معموراً ، والرضا عن آله وأَحزابه [وقرابته وأَصحابه][٧] ، الذين اتَّسقوا فى قلائِد ملَّته الرفيعة شُذُوراً ، وطلعوا فى سمائِها بدوراً ، وبذلوا نفوسهم النفيسة فى نَصْره وإِعلاءِ أَمْرِهِ ، فكانت شفاعته لهم جزاءً وكان سعيهم مشكوراً ، والدعاءُ لإِمارتكم العالية بالسَّعد الذى يصاحب منها ركابها مدداً موفوراً ، والتوفيق[٨] الذى يُوسِع عملها نُجْحاً وأَهلها سروراً . فإِنَّا كتبناه إِليكم كتب الله لكم سعداً متجدد الأَحكام ، وصُنْعاً مشرق الأَنوار[٩] وافر الأَقسام ، وعرَّفكم ما عودكم من عوارف

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ومكانها بالملكية (الجهاد) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الورد) وفى الملكية (الود) وهو أنسب للسياق .
(٣) فى الملكية (وعلى) .
(٤) فى الملكية (المودة) .
(٥) فى الملكية (العالية) ونص الإسكوريال أرجح .
(٦) هذه الكلمة زائدة الإسكوريال .
(٧) هذه العبارة زائدة فى الإسكوريال .
(٨) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (التوسيع) وهو تحريف .
(٩) فى الملكية (القسام) .

الإنعام ، وعوائِد النصر الواضح الأعلام ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى أوضح برهانه ، ثم بما عندنا من التشيُّع ، فى مقام[١] محل أبينا ، والدكم السلطان الجليل ، أسعد الله سلطانه ، ومهد أوطانه ، إلا ما يُرجى من عوائد الله الجميلة أو مِننه الجزِيلة ،وألطافه[٢] الكافية الكفيلة . وعندنا من التعظيم لتلك الإمارة الرفيعة ، ما هو أشهر من الشهير ، وأعظم من أن يُحتاج إلى تفسير [فلا تزال][٣] تعتد بجانب إخوتها بالغِنا[٤] الكبير ، والذُّخر الخطير ، ونُثنى على مكارمها بالقلم واللِّسان والضمير . وإلى هذا أيَّد الله إمارتكم وسَنى إرادتكم ، وأسعد إدارتكم ، فقد علم الغايب والشاهد ، والصَّادر والوارد ، ما عندنا لكم من الحب الذى صَفَتْ منه الموارد ، والولاء الذى تضوعت بطيبه المعاهد . وأننا تعرَّفنا ما كان من قدومكم السعيد على أحواز ألمرِيَّة[٥] من تلك الأقطار ، وطلوعكم عليها بالعزم الماضى والجيش الجرار . وأن محل والدنا ، وصل الله له علو المقدار ، قدَّم منكم بين يديه مقدِّمة اليُمن والاستبشار ، ورائِد السعادة المشرقة الأنوار ، بخلال ما يتلاحق بها ركابُه العالى [قدره][٦] على الأقدار وأن مخايل النجح لإمارتكم الرفيعة ، قد ظهرت ، وأدلة الصنع الجميل قد بَهَرت ومن بتلك الجهة[٧] من القبائل المختلفة فى الطاعة قد ابتدرت ، وبإمارتها[٨]

---

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (مكارمكم) ، وهو تحريف .
(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (واللطايف) .
(٣) هذه العبارة زائدة فى الملكية .
(٤) فى الملكية (بالاعتداد) .
(٥) وردت فى الإسكوريال (المدينة) والتصويب من الملكية .
(٦) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .
(٧) فى الملكية (الجهات) .
(٨) فى الملكية (وبأوامرها) .

الإمارية قد ايتَمرت ، وإنكم قد أخذتم فى تسكين الأَوطان وتمهيدها ، واستئناف العزائم وتجديدها ، وإطفاء نار الفِتن وإخمادها ، وإعلاء أَركان تلك الإيالة ورفع عمادها . فكتبنا إليكم هذا الكتاب نهنئكم بما سَنَّاه الله لمجدكم الرفيع من حسن الصُّنع ، ونقرر ما عندنا من الوُدِّ الكريم ، والحبِّ الصميم ، ونستفهم من أَحوالكم[١] لنكون من علمها على السُّنن القويم ، وحتى لا تزال الأَسباب متصلة ، والمودة جديدة مُقْتَبلة . ولولا العوائق المانعة ، والشُّقَّة البعيدة ، والأَمواج المترامية [المتدافقة][٢] لم تقف المخاطبة ، ولوصلنا المراسلة والمكاتبة . ومجدكم يقبل الأَعذار الصحيحة بمقتضى كماله ، ومعهود أَفضاله[٣] . والله تعالى يصلح لكم الأَحوال ، ويسكِّن الأَهوال ، ويبلغكم من فضله الآمال . [ولكم الفضل فى التعريف بما لديكم من أَحوال محل أَبينا)[٤] وصل الله عوايد النصر لسلطانه ، وتكفل بأَعلا أَمره ورفعة شأْنه[٥] ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولما ملك السلطان أَبو سالم المغرب
قلت أُخاطبه عن سلطان الأَندلس مهنئاً

المقام الذى عالج زمانه الزمن فَشَفا ، وضمن له غريم القدر باوغ الوطر فَوَفا ، وانسدل بإيالته على الأُمة لباس الوقاية والعصمة فَضَفا ، واستظهر للدهر بعقوده طالباً إرث آبائه وجدوده ، فكتب عليه[٦] استقل بالواجب واكْتَفا .

(١) فى الملكية (أحوال إخوتكم) .
(٢) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .
(٣) فى الملكية (فضله) .
(٤) ورد مكان العبارة التى بين الحاصرتين فى الملكية ما يأتى: (وغرضنا أن تعرفونا بما لديكم من المتزيدات ، والصنايع المتجددات وبما عندكم من أحوال محل أبينا) .
(٥) ورد فى الملكية بعد هذه الكلمة ما يأتى : (وقد كتبنا إليكم صحبة هذا كتاباً غرضنا من اخوتكم الطاهرة أن يصل إلى حضرته العلية تحت عنايتكم ووصايتكم ، والرعاية التى تليق بذاتكم) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عليها) .

مقام محل أخينا الذى ثَغْرُ الدهر لما استحقَّه من عزة الأمر بَرُود شَنِيب ، وقبة الفخر قد أحكم منها على مجده الغر وفضله الغمر تَطْنِيب ، ومركب العزة القعساء لخدمته فى الإصباح والمسا[1] جَنِيب ، ولسان الثنا على حلمه ودينه يتاوه على الإشهاد من مرينه ، إنّ إبراهيم كليم أواه منيب . [السلطان الكذا أبى سالم ابن السلطان الكذا أبى الحسن][2] أبقاه الله تُضرب [بصدق عزمه][3] الأمثال ، كما ارتفع لحجته دعوته الإشكال ، فمهما طمحت نفسه إلى غرض بعيد قَرُب منه المنال ، وطأطأت أعناقها الآمال ، وأهْطَعت الغاية التى لا تُنال. [معظم مقامه السرور بسعادة أيَّامه ، وما يتصل به من فضل الله وإنعامه فلان . سلام كريم بر عميم يخص مقامكم ورحمة الله تعالى وبركاته][4].

أمَّا بعد حمد الله مدبِّر الوجود ، الذى بيده مقاليده ، الملك الحق الذى ثبت ببديهة العقل توحيدُه ، جبار [السموات والأرض][5] فالأمر أمره والعَبِيدُ عبيدُه ، جاعل الشكر مفتاح المزيد من نِعَمه ،فهو كما وعد يحب الشاكر ويُزيده . فمن استعان به فى المُلمَّة[6] أعانه ونصره ، وأنجده تأْييده ، ومن توكل عليه فى المهمات ساعده ما يريده ، ومن تذلل لعظمته ، اشْرأبَّ بالْعِزّ جِيدُة . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى الشرف العالى مشيده ، والحمد المتوالى [فى الذكر الحكيم][7] ترديده ، والفخر الذى لايطال سمكه ، ولا يخلق جديده [صاحب

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإمساء) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال. وورد مكانها فى الملكية ما يأتى : (السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد بن السلطان الكذا أبى يوسف ابن عبد الحق) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال، وفى الملكية (بعزم حقه) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية . وورد مكانه فى الإسكوريال هذه العبارة فقط (معظم قدركم فلان سلام عليكم) .

(٥) هكذا ورت فى الملكية، ومكانها فى الإسكوريال (السماء) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الملمات) .

(٧) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

الأُمة][1] الذى امتاز بطاعته شقى الخلق وسعيده ، فأصبح الباطل وسيف الحق يبده ، وغدا عقد الإيمان ، وهو وثيق السبب شديده . والرضا عن آله وصحبه الذين نصروه فى حياته بالعزائم الصادقة ، ويوم الروع لا يتأنَّى وليده ، وخلفوه فى أُمته بالاهتداء الذى بان فضله ، وظهر تَسديده[2] ، وكانوا فى سماء مِلَّته كالنجوم المشرقة لمن يبتغى الخير ويَسْتَزيده[3] . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً يطوى المراحل [بريده][4] [فيُشْبِه الغيثُ برودَ البلد الماحل بريدُه][5] ونصراً يقصر على تمهيد الأَرجاء على الجهاد الذى هو مطمح الأَمل ،والرجا عدَّتُه وعديدُه ، حتى يزيد عطف المثقف إنشاؤُه ، وخدُّ المورِّد[6] توريده ، ويقوم خطِيب الحسام [مكبراً بالفتوحات الجِسام][7] فيقال هذا اليوم عيدُه ، وهنا كم الملك الذى ذخر لنظم مآثركم طويله ومديده . فإذا تُذُوكرت الأَفلاك ، ونظُمت من الفخر الأَسلاك ، فسَيْفُكم سفَّاحُه ، ورأيكم رَشِيده . من حَمراء غَرْناطة ، حرسها الله ، وساجع شكر الله على الأَفواه ، قد طاب بدَوْحة الصُّنْع الجميل تَغْرِيده ، والمسئول فى صلة عوايده وفضله ، من يبدأُ الخلق ويُعيده . وإلى هذا هنَّاكم الله ما خوَّلكم ، وبلَّغكم من فضله أَملكم ، فإننا من لدن انبعث عزمكم على طلب حقِّكم ، وقد تأَذن الله فى استخلاصه ، ومطاردة أَملكم الذى أَجلى الرَّكْضُ الحثيث عن اقْتِناصه ، ونبهكم القدر والحظ المبتدر ، والسعد الذى راقت منه الغُرر ، فسَهُل الصَّعب عليكم وهان الخطر ، وانقاد الوطن وتأَتَّى الوطر ، وبرز إلى الوجود ما تضمنه اللوح المُسْتَطر ، لسرٍّ من القبول حباه ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (معاد فى الأنام) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (تريده) والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويستميده) .
(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (المهند) .
(٧) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

وحتَّمه لكم وأوجبه ، ومكان فى الإرث أسقط به مَنْ دونكم وحَجَبه ، لم نزل نسل الله [لكم][1] حسن العُقْبى ونُجح المنال ، ونتَشوَّف[2] إلى ما نريد من قِبَلكم من الأحوال ، ونتلقّى ما يرد من أنبائِكم المعربة عن سمو القَدَر ، والسعادة المشرقة البدر بانشراح الصَّدر ، إذ لم توسع الأحوال المتعارفة عندنا زيادة على هذا القدر ، إلى أن طلع علينا كتابكم الأَسْنَى مُتْحفاً بثمرة السعد[3] طيبة المجنى ، قد تأسس منه على الوفاء وكرم العهد المبنّى ، وتطابق منه فى مقاصد الفضل والكمال ، اللفظ والمعنى ، وأطلعتمونا طِلْع الأنباء ، التى لم يزل التشوُّف يحوم حول حِماها ، والشَّفقة تتزاحم على مُنْتَماها ، وتسرع الأفكار إلى فكِّ مُعمَّاها ، وأنكم ما زلتم ترفلون فى لطائفِ رفق الله برًّا وبحراً ، وتتوسدون من صنائِعه وعنايته سحراً ونحراً ، إلى أن نقلكم من صدر[4] الفالك إلى سرير المُلْك ، مرتجًى ثمرة الحياة الطيبة من شجرة الفَلَك ، وسيق على أزهار الأنوار كمائِم الظُّلَمَ الحَلَك ، فتأرَّجت نواسم القبول من مهبِّها[5] ، وأشرقت الأرض بنُور ربِّها ، وتذكرت[6] الرعايا صنائِع والدكم المقدس فدَعَتْها ، وانصَتَت لدعوة الحق فرعَتْها ، وأقام الله بدار الملك ، وهو الأصل والرِّياش الذى منه يمسك النَّصل ، من حِمى الحوزة[7] ، وأحيا العراسة[8] وأجزل[9] فى حفظها عليكم الجزالة والصرامة ، بما يستوجب بها هو وعقبه منكم الحظوة والكرامة ، فلم يجد عدوُّه الحيل ، ولا نفع الحَصْر ، حتى نزل بمصارحتكم إياه النَّصر ، وسَعُد

---

(١) زائدة فى الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (ونتشرف) والتصويب فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العز) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سرير) .
(٥) وردت فى الإسكوريال ، (حبها) والتصويب من الملكية .
(٦) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (وتذاكر) . .
(٧) وردت فى الإسكوريال (العورة) والتصويب فى الملكية .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العراقة) .
(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويذل) .

بدعوتكم العَصْر [وارتاح إلى محياكم القصر][(١)] ووردت عليكم الوقود تجر ذيول الأمل ، وتَسْتَشْعر النشاط من بعد الكسل ، وتراجع الوفا المعهود ، وتذكر الحقوق السالفة والعهود ، وأنكم حثَثْتُم السير إلى الحَضْرة التى فارقتكم مطالعها هلالاً ، فقدمتم اليوم عليها بَدْراً ، وارتاحت إلى لقائِكم على مر الأيام ، وقد جعل الله لكل شيءٍ قَدَراً ، وأن وزيرَكم شكر الله وفاه ، وجعل معروف اعتقادكم الجميل كفاه ، وجه آلات الملك الذى يُستظهر بها الأمر العزيز ، ليكون بها على المدينة التَّبْريز ، وقررتم ما سلكتم بيُمن أَظْفَر الله به أمركم ، وشفا بالقدرة عليه صدركم ، من عفو عن دَمٍ ، وإيجادٍ بَعْد عدمٍ [ورعيٍ بعد رمم ، وإيثار عادة فَضْل موروث وكرم][(٢)] فاستوفينا ما قررتم من مقاصد نظمت البلاغة شذُورها وجَلَت ظُلَمُ الحِبرْ نجومَها القاتمة وبدورها ، ، وحضر بين يدينا رسولكم فلان ، فزاد الخبر إيضاحاً ، وأفاد بشرح الجزئيات التى غايتها[(٣)] الصدور انشراحاً ، فقابلنا نعم الله عليكم بشكره وحمده ، وسألنا لنا ولكم مزيد فضله ، فكل نعمة من عنده ، وقلنا ذُخْرٌ ثمين انتظم بعِقده ، وحسام ماض عاد إلى غِمْده ، وفرع كريم ، استقل بمنبت أبيه وجَدِّه ، وما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسك لها ، وما يُمْسك فلا مُرْسل له من بعده ، ثم ثنينا [العنان][(٤)] إلى شكر مجدكم الذى لا ينكر حقه ، ولا تلتبس فى الأصالة طرقَهُ ، فالجواد لا يُنكر سبقه ، والغيث يدل عليه برقه ، وتيقنا بما قررتم من استشعار العفَّة عمن[(٥)] قصدكم من طوائف الناس ، على اختلاف الأجناس ، وخفضتم جناح الإيناس ، وسلامة الصدور [وذهاب الباس ، وسررنا والله العليم بخفايا الصدور][(٦)] وموارد الأنفاس ،

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٣) وردت فى الإسكوريال (عاينها) والتصويب من الملكية .
(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (على من) والأولى (أرجح) .
(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

سروراً ننازعكم منه فضل اللِّباس ، وفضلة ذلك الكاس ، فإن اتصال الحقوق إلى أهليها ، وكون رتب الآباء ، تستقر فى لاحقٍ بها من بنيها ، مما جُبِلت النفوس على استحسانه وإيثاره ، ويجده كل قلب وفق اختياره . فكيف إذا تعاضد ذلك وُدٌّ متوارث عن السلف ، محفوظ[1] بدره عن الكَلَف . فنحن نهنيكم والهنا شامل ، ونؤمل لكم المزيد ، والله لا يخيب لديه آمل ، ونسله أن يسعدَكم بما صار لكم ، ويجعل فى طاعته عملكم [ويشكركم فيمن شكر آلاءه ونعمه ، وذكر فضله وكرمه][2] وهو تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (محوط) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

ووصلت الأخبار بما جرت به الحادثة من دخول عَدُوٍّ قبرس مدينة الإسكندرية ، ثم رجع المسلمون إليها، وتدارك السلطان بمصر أمرها، ورام أخذ الثأر من العدو، وأنشأ الأساطيل؛ صدرت مخاطبة السلطان بالأندلس رضى الله عنه من إملائى ما نصه ، وتوجه الرسل بذلك إلى بابه

الأبواب الشريفة التى تَعْنُو لعِزَّة قدرها الأبواب ، ويُعْتَزَى[1] إلى نسب عدلها الحكمة والصواب ، وتناديها الأقطار البعيدة مفتخرة بولائها ، واصلة السبب بعَلائِها ، فيصدر بما يشفى الْجَوَى منها الجواب . فإذا حَسُن مناب عن أئمة الهدى ، وسبَّاق المدى ، كان منها عن عمومة النبوة النوَّاب[2] ، وإذا أضفت على العَفاة بغيرها أثواب الصلاة ، ضَفَتْ منها على الكعبة المقدَّسة الأثواب ، أبوابُ السلطان الكبير الجليل الشهير ، الظاهر الطاهر ، الأوحد الأسعد ، الأصعد الأمجد الأعلى ، العادل ،العامل العالم الفاضل الكامل[3] ، [سلطانُ العدل، وحيدُ الفضل][4] ، جمال الإسلام ، عَلَم الأعلام ، فخر هذه[5] الأيام ، ملك الْبَرَّين والْبَحْرين ، مؤمِّل الأمصار [والأقطار][6] ، عاصب تاج الفخار ، هازم الفرنج والتُّرك والتَّطَار ، الملك المنصور ، أبو الفُتُوح شعبان ، ابن الأمير الرفيع المجادة ، الكريم البنوة والولادة ، الطاهر الظاهر ، الكبير الشهير ، المعظم الممجد الأسمى[7] ، الموقر

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى صبح الأعشى (وتعتزى) . وفى الملكية (تعتزى) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال والصبح . وفى الملكية (الكتاب) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال والملكية . وفى الصبح (الكافل) .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت مكانها فى الملكية والصبح (سلطان الإسلام والمسلمين رافع ظلال العدل على العالمين) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الصحيح والملكية (الليالى).
(٦) هذه الكلمة زائدة فى الملكية والصبح .
(٧) زائدة فى الصبح والملكية .

الأَعلى ، فخر الملَّة ، سيف الأُمة ، تاج الإمارة ، عز الإسلام ، جمال الأَنام ، قمر الميادين ، أَسَدُ أَجَمَة الدِّين ، سهام الطغاة والمعتدين ، المقدس ، المظفر ، الأَمير أَبى حسن ، ابن السلطان الكبير الشهير ، ملك الإسلام وأَبو السلاطين[١] ، سيف خلافة الله فى العالمين ، ولىُّ المؤْمنين ، وظهير[٢] الدِّين ، سلطان الحجِّ والجهاد ، وكاسى الحَرَم الأَمين ، قامع المعتدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ناصر السُّنَّة ، محيى الملَّة ، ملك الْبَرَّين والبحرين ، مقيم رسوم الْحَرَمين الشريفَيْن ، العامل العالم ، العامل الطاهر ، الظاهر الأَسعد ، الأَصعد الأَوحد ، الأَعلى المنصور ، المؤَيد المعان ، المُرفَّع المعظَّم ، المُبَجَّل المؤمَّل ، المجاهد المرابط الغازى ، أَبو عبد الله محمد ، بن قَلاوون الصَّالحى ، أَبقاه الله ، وفَلْقُ الإصباح[٣] يشهد بكماله ، وخِدْمَةُ الحرمَيْن الشريفَيْن ، طرازٌ مُذْهَب على حُلَّة أَعماله ، ومُسَوَّرات الإسلام آمنة على طول الأَيام من إهماله ، ولا زال رُكْناً للدين الحنيف ، تتزاحم على مستلمه الشريف شفاهُ آماله . [سلام كريم بَرٌّ عميم ، كما اسْتَوْدعت الرياض أَسْرارها صَدْر النَّسيم ، وأَرسلت مطالع الفجر أَنهارها من بحر الصباح الوسيم ، يسرى من الطيب والحمد المستطيل ، المطيَّب فى الصِّوان الكريم ، ويقف مواقف[٤] الأَدب والفهامة ، بما استحفظ من الإمانة ، إلى مجال[٥] الإمامة ، وقوف الحفيظ العَليم ، يعتمد مشارع تلك الأَبواب الشارعة إلى الفضل العميم ، المقابلة للذمام وسائِل الإسلام بالصدر المشروح ، والبرِّ الممنوح ، والقلب[٦] السليم . من معظِّم سلطانه ، ومجلِّ شانه ، المفتخر بالانتظام فى سلك خُلَصائه ، أَمير المسلمين

---

(١) هكذا فى الإسكوريال والصبح . وفى الملكية (والمسلمين) .
(٢) هكذا فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (ظاهر) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (الصباح) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (موقف) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (محل) .
(٦) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (الصدر) .

بالأَندلس ، عبد الله ، الْغَنِى[١] بالله ، محمد بن يوسف [بن اسماعيل بن فرج][٢] ابن نصر ، بلَّغه الله من رضاه أقصى سُؤْله ، وأعانه على جهاد عدو الله وعدو رسوله .

أمَّا بعد حمد الله الذى جعل قلادة الإسلام على الدوام ، آمنة من الانْخِرام والانتِشار ، مفصَّلة النظام بحرز المآثر العظام والآثار ، مُعرَّفٌ أهلُها فى حُزُن البسيطة وسَهْلها ، عوارف الصُّنع المثار ، وإقالة العثار ، القويّ العزيز ، الذى لا يُغالب قدره بالاحتشاد والاستكثار ، ولا يُبَدَّل غيبه المحجوب ، بعد ما عين حكمه للوجوب فى خزائِن الاستبشار ، حتى تظهر خبيئة عنايته بأَوْلِيائه ، المعترفين بآلائه بادية للأَبصار ، فيما قَرُبَ وبَعُد من الأَعصار ، ورحمته عند الاستغاثة به والانتصار ، فى مختلف الأَقطار والأَمصار ، الولىُّ الذى [لا تكدِّر هبات][٣] فضله شروط الاعتصام ، ولا يشين خَطْبَ حمده ضرائِر الاقتصاد والاختصار . والصلاة على سيِّدنا ومولانا محمد رسُوله ، نُخْبَة الأَكوان [وسرِّ الدهور والأَزمان وفائدة][٤] الأَدوار ، نور الله المتميز باخْتِصاصه ، واسْتِصْفائه[٥] واسْتِخلاصه ، قبل خلق الظُّلمة والأَنوار ، ورحمته الوارفة الشاملة الهاميةُ ، الهاملةُ على الْهِضاب والْوِهاد ، والنِّجاد والأَغوار ، أقرب[٦] عوالم الشهادة والخلق إلى حضرة الحق ، على تعدُّد الرتب وتفاضل الأَطوار . منقذ الناس من الْبَوار ، ومُبَوِّئهم من جوار الله خير الْجِوار ، نبى الرحمة والجهاد ، والْغِوار ، المنصور على الأَحزاب ، عندما استداروا بمثوى نُبُوَّته على الأُطُم والأَسْوار دور السِّوار ، الواعد عن ربه بظهور

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والصبح (الغالب) .

(٢) هذه الزيادة واردة فى الملكية والصبح .

(٣) وردت فى الإسكوريال فقط (لا تكـ ....) وبعدها بياض والإستكمال من الملكية والصبح .

(٤) ما بين الحاصرتين واردة فى الملكية والصبح وساقط فى الإسكوريال .

(٥) وردت فى الإسكوريال والملكية (واستضافته) والتصويب من الصبح .

(٦) هكذا فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (أمره) وهو تحريف .

دينه الحق على الأديان ، فمهما أوقدوا ناراً [١] تكفّل الله بإطفاء النار وإخماد الأُوار . والرضا عن آله وأصحابه حُماة الذِّمار ، ومُقْتَحمى الْغِمار[٢] ، وباذلى كرام الأموال من دونه ونفائس الأعمار ، القائمين فى سَمَا مِلّته للاهتداء بسننهم والاقتدا بسُنَنِهم ، مقام النجوم الهادية والأقمار ، ما صقلت مدارس النسيم سيوف الأنهار ، وخجل الورد من تبسُّم الْبَهار ، وغازلت عيون [زهر المجرة عيون] [٣] الأزهار ، وطرد أَدْهَمُ الليل أَشْهَبَ النهار ، والدعاء لتلك الأبواب المتعددة الحجّاب [المعودة] [٤] باجتلاء[٥] غرر الفتوح ، والمطالع المشيدة المصانع ، على العزِّ الممنُوح ، والأواوين المؤيدة بالدواوين ، بالملائكة والروح ، بإعلاء المظاهر والصُّروح ، وأناره الله بأَهلَّة تلك السروج ، ساحات تلك السروج ، ولا زالت أقلام بشائرها تأتى على سورة الفتح بأكمل الشروح . فإنَّا كتبناه لمثابتكم السلطانية ذات العز الأَحْمَى ، والمُلْك الأَشْرف الأسمى ، والصِّيت البعيد المرمى ، كتب الله لها من عنايته — وقد فعل — أوفر مقاسم النَّعمى ، وجعل غيث نوالها الأَهْمَى ، وحظ جلالها من الله الحظ الأَنْمى ، ودامت كواكب سعودها تمزق جلابيب الظلماء ، وأخبار بأسها وجودها ، وسعادة وجودها ، [تهديها على البعد][٦] ركائب الدَّأماء ، وترفرف برياح ارتياحها أَجْنِحة بنات الماء . من منزلنا الْمَحْبور بسعادة سلطانكم المنصور ، وخِزْى عدوّه المدْحُور ، بحمراء غَرناطة ، دارِ ملك الجهاد بجزيرة الأندلس ، والى الله عنها الدفاع ، وأنار بمشْكاة نوره ، الذى وعد بإتمامه ، الأعلام منها والأيفاع ، ووصل لها بشَرَف مخاطبتكم الارْتِفاع والانْتِفاع ، حتى تشفع بتهانيكم الأَوْتار ، ونور الإشْفَاع ، وآلاء الله لدينا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والملكية . وفى الصبح (نار الحرب) .
(٢) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (الغار) ، وهو تحريف .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والصبح وساقط فى الإسكوريال .
(٤) واردة فى الملكية والصبح وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (باختلاف) وهو تحريف .
(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية والصبح . وساقطة فى الإسكوريال .

[بنعمة دين الاسلام علينا][1] قد أَخْجَلَت اللسان الشَّكور ، وإن استَنْفَدت[2] الرَّواح والْبُكور ، والثقة بالله فى هذا الثغر الغريب قد كثَّرت العدد المَنْزُور ، والحق الصالح قد كافح الزُّور ، والتوطين على الشهادة قد شرح الصُّدور ، واقتطع فى الجنة المنازل والدور ، والمعرفة بمقام تلك الأَبواب الشريفة ، عقائد لا تُبَدَّل ، وأدواح علائِها حمائِم الحمد بها تَتَهدَّل ، ومحافل[3] ثنائِها تَتَراكم فى سمائِها الأُلوَّة والمَنْدل . والحال ما علمتم بحر زاخرُ الأَمواج ، وعدُوٌّ وافر الأَفْواج ، وجِيَادٌ ضَمَرتها مصابَرةُ الهياج ، وداءٌ على الأَيام متوقع الاهْتِياج[4] ، وعدد إلى [الإمداد والإصراخ][5] عظيم الاحْتياج . فالنفوس إلى الله تَجْهَر وتسلِّم ، والصِّبيان فى المكاتب تُدَرَّب على مواقف الشهادة وتُعَلَّم ، والأَلْسِنة بغير شِعار الإسلام[6] لا تَنْبِس غالباً ولا تتكلم ، إلاَّ أَن عادة الْخَبِير اللطيف ، تَخْفِيض الذُّعر الْمُطِيف ، ونَصْر النَّزْر الضعيف على عدد التَّضْعيف ، والحال تُزجى[7] بين الحرب والسلم ، والمكالمة ، والكَلْم ، وتأْميل الْجَبْر ، وارتقاب عاقبة الصَّبر ، على حُماة الدَّبر . وإلى هذا فإننا اتصل بنا ما رامت المروم من الْمَكِيدة التى كان دفاع الله من دونها سدًّا ، والملائِكة الكرام جُندًا ، والعصمة سُوراً ، والروح الأَمين مَدَداً منصوراً ، وأَنها استَنْفَدت الْوُسع فى احتشادها حتى ضاقت اللُّجج عن أَعوادها ، وبلغت المجهود فى استنْفارها ، حتى غُصَّ كافر البحر بكفَّارها ، يصيح بهم التَّأْليب[8] ، ويذْمِرُهم[9] الصليب ، وسوَّل لهم الشيطان كِيَادة ثغر الإسكندرية شجَى صدورهم ،

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية والصبح . وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الملكية والإسكوريال (استبعدت . استبعد) والتصويب من الصبح .
(٣) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (حايم) .
(٤) هكذا وردت فى الملكية والصبح وفى الإسكوريال (الهياج) .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (الإصراخ والإنجاد)
(٦) هكذا فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (الألسنة) مرة أخرى .
(٧) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (ترجا) .
(٨) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (التأليف) وهو تحريف .
(٩) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (ويوثق بهم) .

ومَرْمى آمال[١] غدُورهم ، ومحوَّمُ قديمهم ، ومتعلَّل غريمهم ، ليَهْتموا ثغور[٢] الإسلام بصدمتها ، ويقودوا جناب السَّواحل فى رمَّتها ، ويرفعوا عن دينهم المعرَّة ، ويتلقَّفُوا فى القدس كرُة الكرَّة ، ويفصلوا ما امتد من ظلال الإسلام ، ويُشِيموا سيوف التغلُّب على الشام ، ويحولوا بين المسلمين ، وبين محطِّ أوزارهم ، وحجِّهم ومَزارِهم ، وبيت ربِّهم ، الذى يقصدونه من كل فج عميق ، ويركبون إليه نهج كل طريق ، وقبر نبيِّهم الذى يطفئون بزيارته من الشوق كل حَريق ، ويُكْحِلون الجفون بمشاهدة آثاره عن بكاءٍ وشَهِيق ، وشوق بذلك الحَبِيب خَلِيق ، ويقطعوا حبل المسلمين بحيث[٣] لا يتأتَّى بلوغ فريق ، ولا غرض تَشْريق ، والله من ورائهم مُحيط ، وبدمائهم مُشِيط ، وبعباده بصير ، ولدينه الحق ولىٌّ ونصير « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » . فما هو إلاَّ أن طما[٤] جرادُهم ، وخَلَص إليها مرادهم ، وفاض عليها بحرُهم ، وعظم [من المحلوك][٥] أمرهم ، حتى اشترك الشِّرك بعض أسوارها ، ونال النهب[٦] بمُسْتَطرف ديارها ، وظنت أنها الوهْيَة التى لا تُرفع ، والمصيبة التى غُلَّتها لا تُنْقَع ، واشتمل الباس ، وذعر الناس ، وأرى الشدَّة من يتدارك بالفرج ، وأعاد إلى السَّعة من الحَرَج ، وأنشأ ريح النصر عاطرة الأَرَج ، ونصر حِزْب الإسلام ، من لا غالب لمن ينصره ، وحصر العدوّ بخَصْره [من كان العدو يحصره][٧] وظهر الحق على الباطل ، والحالى بزينة الله على العاطل ، فخرج العدو [الخاسر عما حازه][٨] والسيوف تُرْهِقُه حيث تلفيه ، والسهام تُثْبته

(١) هكذا وردت فى الصبح . وفى الإسكوريال (أعمال) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (ثغر) .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية والصبح (حتى) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال والملكية . وفى الصبح (حما) .
(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية والصبح . وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (الدهر) .
(٧) هذه العبارة واردة فى الملكية والصبح . وساقطة فى الإسكوريال .
(٨) هذه الزيادة واردة فى الملكية والصبح . وساقطة فى الإسكوريال .

وتَنْفيه ، وغرماءُ كرَّة الإسلام تقتضى منه دينها وتَسْتَوفيه ، والخزى قد جلَّل سُباله الصُّهب ، وحِنَّاءُ الدما قد خضَّبَت مشيخته الشُّهب ، والغَلَب قد أخضع رقابه الغُلَّب ، فكم من غريق أردته دروعه [لما حشى بالروع روعه][1] وطعين نُظمت بالسَّمْهرى ضُلُوعه ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وأحقَّ الله الحقَّ بكلماته ، وقطع دابر الكافرين ، و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » . فأى رحمة منشورة ضَفَتْ على الإسلام ظلالها ، وخُطة نِعمة اتَّسَع نطاقُها ورحُبَ مجالُها ، ومَجْلى صَنِيعة راق عيون المؤمنين جمالُها ، واهتزَّت بها الأرض وربَتْ ، وبشكر الله جل جلاله أَعْرَبتْ ، واسْتَبْشَرتْ [النفوس][2] وذهب البؤْس ، وضُفى بمنَّة الله اللبُوس ، وظهرت عناية الله بمقامكم ، وإقالة عَثْرة الإسلام فى أيّامكم ، فما كان سبحانه ليُضِيع لكم خِدْمة ... الْحَرَمين ، وأنها الوسيلةُ الكبرى ، والذَّريعة إلى سعادة الدنيا والأُخرى ، وهى عُهْدة الله التى يصونها من كل اهْتِضام ، وقلادتُه التى ما يتركها بغير نظام . وكان من لطائف هذا الفتح الذى أَجْزَل البشرى ، وأوسع أعلام الإسلام نَشْرا ، ورودُه بعد أن شُفِيت العلَّة ، ونُصرت الملَّة ، وبعد أن جَفَا الدهر وتجافا وعادَا ، ثم صَافا ، وهَجَر ووَافى ، وأَمْرَض ثم عافَا ، فلو وَرَد مقدِّمُه ثم تاليه ، ونَقْدُه متأَخَّر عن كاليه ، أو كانت أواخره بعيداً ما بينها وبين أَوَالِيه ، لأَوْجَسَتْ الظنون وساءت ، وبلغت الْهُموم من النفوس ما شاءت ، فإن الإسلام كالجَسد يَتَداعى كلُّه لتألُّم بعضه ، ويتساهم إخوانه فى بَسْطه وقَبْضه ، وسماؤُه مرتبطة بأَرْضِه ، ونَفْلُه متعلِّق بفَرْضِه ، فالحمد لله الذى خَفَّف الأثقال ، وزَار وأقال ، وسوَّغ فى الشكر المقال ، وجَمَع بين القلوب وإنالة المطلوب . وإن وجَدَ العدوُّ طَعْم الإسلام مرًّا لمّا ذاقه ، وعودَه صُلباً فما أطاقه ، ورفع عن

(١) واردة فى الملكية والصبح . وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الملكية والصبح ، وفى الإسكوريال (حرمة) .

طريق بيت الله ما عاقه ، وقاد إليكم فى بيوتكم فضل الجهاد وسَاقَه ، وردَّ المَكْرَ السَّيِّءَ على العدوِّ وأَحَاقه . فما كانت هذه المكيدة ، إلاَّ داهيةً للكفر طارقةً ، ونكبة لعَضْب التثليث غارِقة ، ومعجزةً من آثار النبيِّ الشَّريف لهذا الدين المُنِيف خارِقةً ، استأْصلت العدوَّ والمال ، وقطعت للعدوِّ الآمال ، وأَوْهَنَت اليمين والشِّمال. فبادرنا عند تَعرُّف الخبر المُخْتال من أَثواب المسرَّة فى أَبْهى الْحِبَر ، المُهْدى أَعظم الْعِبر ، إلى تَهنْئتكم ، تَطِير بها أَجْنحةُ الارتياح ، مباريةً للرِّياح ، وتستفزُّنا دواعى الأَفراح ، بحسب الوُدِّ الصَّراح ، وكيف [لا يُسَر اليسار بيمينه][1] ، والوجه بجبِينه ، والْمُسْلم بدِينه . وخاطبناكم مهنِّئين ، ولولا العوائق التى لا تَبْرح ، والموانع التى وضحت حتى لا تُشْرح ، ومكابَدَةُ هذا العدو الذى يأْسُو الدهر به ويَجْرح ، لم نَجْتَز بإعلام القلم من إعمال القَدَم ، حتى نتشرف بالْوُرود على تلك المَثَابة الشَّريفة ، ونَمْتَاز بزيارة الأَبواب المُنيفة ، فَيُقْضى الفَرض تحت رعيها ، وبَرَكة سعيها ، لاكن المرءَ جَنِيب أَمله ، ونيَّةُ المؤْمن أَبْلغ من عَمَلَه . فهنيئاً بما منحكُم[2] الله من ظَفَرٍ شهدت برضى الله مراسِمُه ، وافترَّت عن ثُغور العناية الربَّانية مباسمه ، وتوفرت لديكم مواهبه ومقاسِمه ، وبهنِّى البيت المقدس ، مكان فضل الله ومنِّه ، وسلامة مِجنِّه ، والإسلام عصمةُ ثَغْره المؤُشَّر ، وطهارة كتابه المُنَشَّر ، وجمال عنوانه ، وقِفْلُ صِنْوانه ، وباب إيوانه ، بمرفإ الفُسْطاط ، ومركزُ لواءِ الرِّباط ، ومحل رِحال الاغْتِباط ، ومُتَخير الإسكندرية عن البناء والاختطاط . ومما زادنا بُجْحاً[3] بهذا الفتح وسروراً زايداً بهذا المَنْح ، ما تحقَّقنا أَنه يثير من شفقة المسلمين لهذا القطر الذى لا يزال يَطْرُقه ما طَرق الإسكندرية على مرِّ الأَيام ، ويُجلب عليه برًّا وبحراً عَبدةُ الأَصنام ، بحيث البرُّ موصول ، والكفر بكثرة العَدَد يَصُول ، ونيران الْجوار مُتَرامية للعِيان ، والفراسخُ القليلة

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية والصبح . ووردت فى الإسكوريال كالآتى (الأيسر بيمينه) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال والملكية . وفى الصبح (خولكم) .
(٣) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (نهجا) .

متوسِّطة بين مختلف النِّحل والأديان ، والعدد لا يُنْسب ، والصريخ إلاَّ من عند الله لا يُحْسب ، فتُنْجِدُنا بالدعاء أَلْسِنة فُضَلائِه ، وتُسهمنا خواطر صالِحيه وأوليائه ، والله لا يقطع عن الجميع عوائِد آلائِه ، ويُعَرِّفنا بركة خاتم أنبيائِه ، وينصُرنا فى أَرْضِه بملائِكة سمائِه . وقد كان اتصل بنا فى هذه الأيام الفارطة الذخر الذى مَلأَ الْيَدَ استكثاراً ، والْجَلَد استعداداً واستظهاراً ، والْهِمَمِ فخاراً ، وأضاءَ القطر أنوارا ، جوابُكم الكريم ، يشيم من نَفَحاته شَذَى الأَخضر[1] والجليل ، ويلتمس من خلال حافاته بَرَكات الخليل ، ويقرِّب الوجوه به آثارُ المعاهد ، ويَلْتَمح من ثنايا بَوَارقه بوارق الفوائد[2] ، فأَكْرم به من وَافِد مَخْطُوب ، وزائِر مَرْقُوب ، صَدَعنا به فى حَفْل الجهاد انتحاءً وافتخاراً ، ثم صُنَّاه فى كرائِم الخَزَائِن اقتناءً للخلف وادخاراً ، وجعلنا قراه [شكر العباد رَوْضاً معطاراً][3] ، وثناً يبقى فى الخافقين مُطارًا ، ودعاءً يُعْلى الله به لمقامكم السَّنِى فى أوليائه مقداراً ، ويجَهِّز به لِمُلْككُم كما فعل أنصاراً ، ويُثيبُكم بالجنة التى لا يرضى السُّعداء بغيرها قراراً . والله عز وجل يجعل لأَفْلاك الهَنا على مخاطبة مقامكم الرفيع [العلا][4] مداراً ، ويقيم الشكر ألزم الوظائِف بحقكم ابتداراً ، والثناء أولى ما تحلَّى به مجدُكم شعاراً ، ويُبقيكم للإسلام رُكْناً شديداً وظلا مَديداً ، وسماء مدراراً ، ما استأْنفت البدورُ إبداراً ، وعاقب الليل نهاراً . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية والصبح (الأذخر) .
(٢) هكذا وردت فى الملكية والصبح . وفى الإسكوريال (المعاهد) .
(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية والصبح (شكراً معطارا) .
(٤) واردة فى الملكية والصبح وساقطة فى الإسكوريال .

وصدر عنى أيضاً لما استولى السلطان أبو زيان
ابن الأمير أبى عبد الرحمن ابن السلطان
أبى الحسن على مدينة مراكش ، وقد كان
اقترن بوظيفِها عامر بن محمد الهِنْتاتى ،
ما نصه :

المقام الذى سَعْدُه مُتاح ، وعطفه بالصنع الجميل مُرْتاح[١] وجبينه بالبشر مُلْتاح ، وإقليد سيفه للمُقْفلات فَتّاح ، ولأزهار أعلامه فى بطاح الجلاد والبطاح بالنصر افتِتاح . مقامُ محل أخينا الطالع صُبْعُ سَعْده بسعادة العصر ، المثمر نَصْلُه بِجنَى النَّصر ، البريّة من الإحاطة بصنع الله له أداة الحصر . السلطان الكذا [ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا][٢] أبقاه الله وأعلام مَجْده عالية ولبّات أحواله بالسَّعد حالِيَة ، وألطاف الله لَدَيْه متوالية ، وأنوار توفيقه لِلْخُطوب جالية ، وأعين العصمة له كالِية ، وعزائِمه تَشْقَى بها الأُمم المُناصبة ، وتُشْفى الأُمم الموالية . معظَّمُ مجده المسرور بظهور سَعْدِه ، المؤَمَّل[٣] من الله على يديه إنجاز وعده [الأمير عبدالله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر ، أيده الله ونصره][٤] [يسلم عليكم سلاماً لائِقاً بمثابَتكم السَّامية][٥] وفضائِلكم الهامِية النَّامية ، بل المُنْسَحبة الهامية ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (الموجل) .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال وساقط فى الملكية . ومكانها (فلان) .
(٥) هكذا وردت هذه التحية فى الإسكوريال . وفى الملكية (سلام كريم يخص مثابتكم السامية) .

أمَّا بعد حَمْدِ الله العلىّ الكبير ، الولىِّ النَّصير ، مُخَول الفتوح[١] ، ومعوِّد المُنوح ، وميسِّر العسير ، الذى وعد المتقين بحسن الْعُقْبى فى الكتاب المنير ، وقَرَن النُّجح بحسن التَّدبير . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد، البشير النذير ، المرتَقِى بمقامه الأثير ، فوق الفَلَك الأثير ، بدر الرُّسل[٢] المنير ، وكهفِ الأُمة المجير ، وسبب نجاتنا من سوءِ المصير ، الذى بجاهه نقرع أبواب [التيسير ونجتلى وجوه][٣] التباشير ، وفى مَرْضاته نعمل شَبا اللَّدن الطويل ، وظبا العَضْب الطَّرير . والرضا عَمَّن له من الصَّحب والآل والعَشِير ، مُلْبسى كسرى أثواب المَهيض الكَسِير ، [ومنزلى قيصر عن ذروة السَّرير][٤] وورثةِ الحق وقادة الجماهير ، وكواكبِ الهداية المستنير . فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعادةً مصاحبة فى المقام والمَسِير ، وعنايةً مقارنة لإشارة النَّصيح[٥] المشير ، ولا زال سعدكم يغلب أعيان الأقطار الشَّاردة، والْعِمالات المُعاندة فعل الإكسير ، ويرد حظوظها إلى محطِّ ملككم المستدير . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، ولازائِد بفضل الله اللطيف الخبير ، إلاَّ التمتع من الْهُدْنة المكيَّفة ببركتكم فى المحل الوَثِير ، والاعتراف لله[٦] بالخَيْر الكثير ، والسُّرور للإسلام على يدكم ، بجمع الشَّتيت ونَظْم النَّثير ، والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلَّا فضله ، وعندنا اعتدادٌ كريم لا يزال يُرهب فى سبيل الله حدُّه ، ونَرْتقب فى الظهور على أعداءِ الله وعدَه ، ونصابر الظمأَ حتى نَرِد وِرْدَه ، ونُشْفى عليل النفوس عنده ، والله

---

(١) واردة بالإسكوريال . ومكانها بياض فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية، (الرسائل) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٥) وردت فى الإسكوريال (الصبح) ، والتصويب من الملكية .

(٦) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

يبلِّغ فى الإسلام قصده ، ويكيِّف نصره وعَضُده ، ويثير من جعل معه آلهة متعددة بمن عَبَده وحده ، وإلى هذا وصل الله سعدكم [وحرس مجدكم][1] . فإننا لما وصلنا كتابكم الكريم سافراً عن مُحيَّا الفتح الذى راق جمالاً وفاق كمالاً ، وأنشأ للاسلام آمالا ، [ورَحُب مجالاً][2] ودعا بالأمانى فجاءت عجالا [3] فتح مراكش لما فاءَ الله طاعتها ، كما رفع بعد إيالتكم إضاعتها ، وأسعد فَيْئَتها ، كما أسرع بعد إيالتكم لإجابة دَاعيكم جيئَتَها ، وإنه للفتح الأغر المجحل ، والسَّعد الْهَنِئ المعجَّل ، دارُ المُلْك القديم ، والنصر الوسيم [والعز الجسيم][4] وطيَّة الحادى ومُرتاد المَسِيم ، حيث الجباية النامية ، والشفاعات[5] السَّامية ، والسُّحب الهامية ، وسيوف الجهاد الدَّامية ، وإثباج الكتائِب المترامية ، ومُنبعث القوة المطاقة ، ومنشأُ عزم الأَرَك والزَّلاَّقة ، والحضرة التى إليها يُنسب بالمشرق والمغرب . هنَّاكم الله مُلكة نواصيها ، واستيعاب قاصيها ، وخَوَّلكم من فضله ويُمنه ، غايةً لا يدركها القول ، ولا يحصيها . كتبنا نهنئكم هناءَ من له فى المِنْحة النَّصيب الأَوْفر ، والحظ الأَكبر ، ونسل الله لكم ، توالى الصُّنع الذى أنواره تَبْهر ، ونقرر [ما لدينا من الحبِّ][6] الذى عضَّد خَبرُه الْمَخْبر ، وأصحبنا نودى خطابكم الكريم ، الذى لا يجهل الفضل ببعثه ، ولا يُنكر على حال التَّشوُّف الذى صروحه تَظْهر ، والارتقاب الذى يسنيه الله لكم من فضل طلائِعه تنتظر ، وهو فلان . ثم رأينا أن لا بُدَّ من مُشَافهة تصحب المراجعة ، تَتْميماً لوظائِف البر ، وإقامةً لرسوم الود الكريم العلن والسرَ ، وإن كانت سَعة

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، ومكانها فى الإسكوريال (ودعا بالإيمان فجاء عجالا).

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) وردت فى الإسكوريال (الشعبات) ، والتصويب من الملكية .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ما عندنا من الود) .

الاجتهاد ، مقصرة عن ثمرة الْوِداد ، ومدارك اليراع والمداد ، عاجزة عن بلوغ هذه الآماد ، وإنما يشفع فيه شافعُ القبول المعتاد ، ومسامحة المجد الرَّفيع العماد ، واخترنا لذلك من الفضلا الحسبا ، أُولى الصلاح والزكا ، القائِدين الحاجين فلاناً وفلاناً ، [وصل الله عزَّتهما ، وكتب سلامتهما][1] وأملنا تعجيل قبولهما ، وقد شاهدا ما يسرُّ السامع ، ويُحسب المطامع من كمال هبةٍ ، وتمام آمال عن السَّعد المُقْتَبل معرفة ، وكمال مقاصدكم ، ضافية أثوابُه ، متعوِّذة بتغَمُّد التقصير أثوابه ، والله يصل لكم عزًّا عالية هضابه ، مُطْنِبة فوق النجوم قبابه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال، وساقط فى الملكية .

ولما وصل كتاب سلطان المغرب على هذا العهد
أمير المسلمين أبى فارس عبد العزيز ، ابن
السلطان أبى الحسن ، يعرف باستيلائه على
الخلافة بالمغرب ، صدر عنى فى ذلك

المقام الذى خُصَّت عبوديته للإسلام العزيز بالإضافة ، علامةً على انسدال الأمان وارتفاع المخافة ، واختاره الملك السعيد ، وقد أَيْنَع القمر الجديدُ ، لرفع الخلاف بنصب الخلافة ، وشمخ منه القَبِيل المَرينى ، بمآزر الإباية والإنافة ، وأورثته الفراسة الْعُمَرية حقَّ أبيه بالنسب الصريح[1] لا بالقافة ، مقام محل أخينا الذى استبشرنا بوَصْل سبَبِه وسبب وصله ، واغتبطنا منه بالفرع الكريم القريب من أَصْله ، وتفرَّسنا فراسة المؤْمن ، أن نصر الإسلام فى نَصْله ، واستظهرنا منه بسيف الجهاد الذى اشتمل حدُّه[2] على فصله ، ورجونا أن يجنى الإسلام بهذه البلاد[3] ثمرات فضله وخَصْله ، السلطان الكذا [ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن محل والدنا الذى نعظمه ونجله ونوجب له الحق الذى هو أَهله ، ابن السلطان الكذا ابن السلطان][4] أبقاه الله ، وعنايته تقية من المكاره وتحميه ، وتُرْقِيه إلى مراقى سلفه الكريم وتُسْميه ، وحمائِم[5] البركة تُزْكى فرعَه الباسق وتُنْميه ، ولا زال سهمُ سعادته يصيب شاكلة الرمى إذا يَرْميه ، وشديد عزمه يَسِمُه التوفيق ويُسْميه[6] ، معظم منصبه المسرور به ، العارف بأَصالة حسبه [الداعى إلى الله

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية (مده) .
(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وغمائم) .
(٦) هذه الكلمة واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

بتتميم أمله من فضله][1] وتكميل أربه ، [الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد ابن نصر][2] سلام كريم طيب بَرٌّ عميم ، كما سفر وجه الصباح الوسيم ، وأهدى الروض شذاه مع رسول النَّسيم ، يخص سلطانكم الأعلى [وأُخُوَّتكم الفضلى][3] ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حَمْدِ الله ملكِ الملوك ومَوْلاها ، ومقدر آجالها وأعمالها وأوصافها وحُلاها ، ليبلوها قيماً ولاَّها ، يؤْتى الملك من يشاءُ ، وينزع مِمَّن يشاءُ ، بطائِفة ابْتَلاها ، وطائِفةٍ تولاَّها ، جاعل منصب الخلافة أسمى مطامح الانسان من بعد النبوة الرفيعة الشَّان وأعلاها ، وأحقها بوجوه التجلَّة وأولاها ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، مُطْلع أنوار الهدى التى جلَّاها ، وسرِّ عنايته فى أخرى النشآت وأولاها ، النبى الكريم الذى فاز من قِداح الاختصاص والاصطفاء بمُعَلاَّها . والرضا عن آله وصحبه ، وعِتْرته وحزبه ، الذين خلفوه فى أُمته ، بالسُّنَن التى تركها لهدايتهم وخلاَّها ، فسدُّوا مسدَّه بضرورة الخلافة ، حتى كُفيت[4] الملة التى جلاَّها ، وضَفَتْ على من استرعاه الله مَلاها ، فانتظمت الدولة[5] معمور الأَرض وفَلاها ، وجاس التوحيد مفارق الْهِضاب الشمُّ وفَلاها ، والدعا لمقام أُخوتكم حرس الله جوانب علاها ، وصل لديها [أسباب الفضل الذى أولاها][6] وأولاها بالسعادة التى يروق مجتلاها ، والصنايع التى لا تنقضى ، إلاَّ ردفها أكبر منها وتلاها ، فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم نعمةً لحظها[7] القدر والخطُّ

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال . ومكانها فى الملكية كلمة (فلان) .
(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الدعوة) .
(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسباب الآلاء وأولاها) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خصها) .

المبتدر وأملاها ، وعزة تفترع ثنايا الشهرة ابنُ جلاها . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله بعين عنايته وكلأها ، وعرَّفها عوارف لُطْفه التى ما ودَّعها معها ولا قلاها ، ولا زائِد بفضل الله الأَنعم تفيَّاها[١] الإسلام ببركتكم ، وتملَّاها ، وهدنةٌ تقلد الوقت الذى لا يشوبه المقت شذورها وتملَّاها . وإلى هذا وصل الله لكم سعداً يناسب عمركم فى الجدَّة ، ويتكفل لكم بانفساح المدَّة ، وجعل ملككم السعيد كملك سلفكم الكريم ، ملجأً الإسلام فى الشدَّة ، وملاذ الأَنام فى الازمات ، يمدُّون إليه الأكُفَّ المستمدة شادَّة أعداد جيوشه المنصورة وكتائِبه الموفورة عن العدة ، حتى يُمضى سيوفه فى رقاب الكفرة بالله كمضاءِ سيوف خلفاءِ رسول الله [صلى الله عليه وسلم][٢] فى أصل الردِّة ، وتنفذ لفتوحه المنتشرة[٣] فى الآفاق صفحاتُ الطُّروس ، وينابيع الأَمِدَّة . فإننا اتَّصل بنا وأهلاً به من بريد بُشرى ، ووافِد نِعْمة كبرى [لا يصغر إليه][٤] مسراه من مَسْرى ، فما أفضل وأَسْرَى ، وأَعْرَفَ بمواقع السرور لدينا وأَدْرَى ، كتابكم الذى عظم قدراً ، وطلع فى مراقب البشايِر بَدْراً ، وأقرَّ للدين الحنيف عيناً ، وشرح صَدْراً ، متحفاً بالنبإِ الذى جدَّد ملابس الآمال ضافية الأَذيال ، وأطلع وجوه الجمال والإجمال فى آفاق الكمال ، وحلَّى[٥] سور القضايا العاطِلة من بعد الإهمال ، بأُسْوِرَة نُجْح الأَحوال[٦] ، واشتمل على أشتات البركات كل الاشتمال ، بما كان من تصيُّر مُلْكِ أبيكم إلى يدَيْكم المستحقَّة لنصابه ، الْهَنأَة

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تهنأها) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (المبشرة) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأعمال) .

برد اغتصابه ، وشِفا أَوْصَابه ، وأنكم حللتم ذِرْوَته المنيفة[١] المنيعة ، ونزعتم هَضْبته[٢] السَّامية الرفيعة ، ونفيَّأْتم أَفياءه الخصيبة الْمَرِيعة ، وتقلَّدْتم بيعته المُتبجِّحة فى ترجيح ميزان الشَّريعة ، فدارت[٣] هالةُ القبيل الجليل منكم على حالى[٤] ظُلْمة وكَرْبه كشُعْبى غمه ، وبُشْرى فضلٍ من الله ونعمة ، ومظنَّة وفَلْق أُمَّة ، وقائِدِ الزمن الحُرون بزمِّه ، وقعدتم محلَّ والدكم ، كبيرِ الملوك الكِبار ، ونُدرة مَعْدِن الحسَب النُّضار ، وولى الشهرة الجامحة فى الأَقطار والأَمصار ، ومخلِّد الآثار ، ومحتقر الأَهوال فى سبيل الله وراكب الأَخطار ، الذى راعت الكفرَ عزائِمه الماضية القَنا والشِّفار ، وأَساطيله الواطِية صخر خدُود البحار ، وصبرُه واحتسابُه تأَسِّياً بالنبى المختار ، فى مواهب التمحيص والاخْتِبار ، وهمتُه المغراة بطلب الثَّار ، واستقالة العَثار . فلو أَمْهَله الدهر ، لشَفَى أَهْلَ الجنَّة من أَهل النار ، ولجاسَتْ جيادُه خلال البيوت المشركة بالله والدِّيار ، فى إعمال تلك الآفاق والأَقطار ، وقَسَمت[٥] أَهل الصَّليب بين حطِّ الحتوف ، وطَعْمِ السُّيوف ورِقِّ الأَسار ، وركَّز راية الإسلام برُوية الصِّفر ، وشفاف قَلْب الكفر ، تخفق عَذَباتها بوَيْح العزة بالله والاقتدار . وعسى أَن يكون دَيْن هذا الأَمل لولده مَذْخُوراً ، ولوليه مجموعاً موفوراً ، فخزائِنه سبحانه لا تُحصى وفوراً ، وحُجُب غيبه كم تضمنَّت صُنْعاً مستوراً ، ونصراً تتلألأُ صفحاته سروراً[٦] ، وعزًّا عاد من بعد الطَّى منشوراً ، وبعد الافتراق محشوداً محشوراً . فَسُرِرنا يعلم الله لكم بهذا الصُّنع الكريم ، والمَنْح الجسيم ، سرور مَن يعرف الحق لأَهله ، ويَقَرُّ عَيْناً[٧] باستقرار

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ربوته) .
(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (فدالت) والأولى أرجح .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (ومسحت) والأولى أرجح .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سفوراً) .
(٧) وردت فى الإسكوريال (الأمر) والتصويب من الملكية .

الأَمْر فى محلِّه ، ويَنُوب فى رَعْى الذِّمام عن سَلَفِه من قبله ، ويذهب من الْوُدُّ الكريم والخلوص القديم ، على أوضح سُبُله ، ويرتاد للإسلام فى الأَدلَّات التى يسبِّبُها الاختيار اجتماع شَمْله ، ويقرِّب الآمال بين من اتفق رأْى أُولى العقد والحلِّ على فَضْله ، فالإسلام حيث تعيَّنت إيالته الشريفة ، ومُلْكَته المُنيفة ، نسبٌ يجمع ، وذِمام يَشْفع ، ووسيلة لا تُدفع . ومتاب يَنْفع ، ولِوَا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى المَجْمع ، والجوار إذ كان خُلْواً من موجبات الشكر والبواعث على مُقارضات البرِّ ، قد وردَ فيه من الأَحاديث الْغُرِّ ، والوصايا المنتظمة انتظام الدُّر . فكيف إذا كرمت[1] المساعى ، وتوفرت على المساهمة الدَّواعى . فكتبنا نهنى الملك منكم بعروسِ مُحَلاَّه ، والقبيل بابن سلطانه الكبير ومَوْلاه ، والدِّين بإعمال الاختيار فيمن تولاه ، وقلنا رضىٌّ ووِرْثٌ من آل يعقوب ، ونيرٌ رضىٌّ أَسرع فى غيم هذه الفترة الثُّقوب [ومنهل سعد][2] ينتظر بفضل الله وعد نصره المرقوب . الآن عَدلَ[3] الزمان ، وانْسدَل الأَمان ، ووفا الضمَّان ، هذه نشيدة النصح[4] التى أَضلها فيما سلف ، ومجدد العهود[5] التى يُشبه الأَصل ويُحيى السلف ، ومركز الوفاق الذى يرجع إليه من اختلف . وإن أَبطأَت البادرة بهذا العمل الواجب ، فربَّ متأَخر حقُّه التقدم ، ومُتَلوِّم مخصوصٍ بالتكريم ، والزَّارع يراقب الفصل ، والخطيب يطبق الفصل ، والمراجعة فرع عن الخطاب ، والفرع[6] لا يتقدَّم الأَصل ، وفى كل حال فإنها فيما يسركم السرور الوثيق البِنا ، والاستبشار

---

(١) وردت فى الإسكوريال (لزمت) . والتصويب من الملكية .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومؤمل جهاد) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (عدم) ، والتصويب من الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النجح) .
(٥) فى الملكية (العهد) .
(٦) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

المرفوع على أعلام الاعْتِنا ، فإذا جللكم المحبوب أصدرنا مخاطبة الهنا ، وإذا لحِقَتْكم الوقاية ، قابلنا نعمة الله بالشكر والثنا ، فشقوا بوُدِّنا على توالى الأنا ؛ هناكم الله بما جلبه[1] الحظُّ من ملك مُقْتبل الشباب ، وعزٍّ مُفَتِّح الأبواب ، وجعله لكم ذريعة إلى الفخر والأجر والثواب ، وألبسكم ملابس السَّلامة الضافية الأثواب ، وسلك بكم مسلك الاستقامة العائِدة بالزُّلفى وحسن المآب ، وقد وجهنا من ينوب عنا فى تقرير هذا الهنا أحسن المناب ، ويوفى ما يرضاه من برِّ ذلك الجناب ، ويستدرك [باللسان ما أغفله عبارة الكتاب ، وهو قاضى الجماعة وخطيب حمرايننا العلية ، الفقيه القاضى الخطيب الفاضل الحسيب الخطى الخاصة ، أبو الحسن ابن الحسن وصل الله][2] له أسباب الكرامة وعرَّفه عوارف اليُمن والسلامة ، وصحبه بعنايته فى الرَّحيل والإقامة ، ولكم الفضل فى القبول عند القُفول عليكم [والاعتبار لما يلقيه بين يديكم][3] والإصغا لما أمرنا به من شَرْح ضرورة ، وعُذْرٍ يبدى[4] وجه الحق فى أحسن صورة ، وخاوص حظوظه غير مَنْزُورة ، ومقاصد جدُّ مشكورة . ونسل العزيز سبحانه ، أن يصل عزة عبده ، ويُنْجز له فى النصر صادق وَعْده ، ويتكفل له ولمن كفل أمره بِبُاوغ أماله فى نصر الإسلام وعضده . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

ورَجَعَت حضرة مراكش إلى طاعته فصدر عنى فى غرض هَنائِه :

المقام الذى ذَخَر له الفتح الهنى ، وجَنَى المنْح السَّنى ، وتهدَّلت فوقه الآمال يتساقط منها[5] الصُّنع الْجَنِى ، ويسَّر له المآرب[6] القاصية الجوادُ الغنى ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (جبله) ، والتصويب من الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وورد مقابلها فى الملكية ما يأتى (واعتبار ما لديه ، وهو موجه الكرامة والعناية إليه) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يسر) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (منه) ، والتصويب من الملكية .

(٦) وردت فى الإسكوريال (الآمال) ، والتصويب من الملكية .

وأعرب بحكم عوامله المَبْنى ، فإذا أشارت السُّعود بجملها فهو المُعْنى ، وإذا أهابت النفوس بأمانيها كُفلت به الأمانى ، مقام محل أخينا السعيد النَّصَبة ، الرفيع الهَضْبة ، مالك الظواهر بالرَّهبة ، والقلوب بالمحبَّة ، ذى الثنا الطيب الهبَّة ، والرأى الحميد المغبَّة . السلطان الكذا [أبى فارس عبد العزيز ابن محل والدنا الذى نعظمه ونجله ، ونوجب له الحق الذى هو أهله ، السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان الكذا أبى يوسف بن عبد الحق][1] أبقاه الله فاتح ما استُغْلق ، ومجدِّدَ ما أخلق ، يقيد شوارد الآمال ، كلما أرسل أعنَّة الغارات[2] وأطْلقَ ، ويستنزل النَّازى[3] ولو تمسك بالعَنان وتعلق ، فضلاً عن أن يعدَّ لامتناعه الأبلق ، أو يركب ظهر السهم إذا أحْلق ، مجلَّ شأْنه الجليل إذا ذكر الشان ، وموجب حقه إذا تعيَّنت من فروضه الأركان المصرورة ، بما يُسْنيه الله له من فتح يبتسم له الزمان ، ويَنْسدل على البلاد المؤمنة الأمان ، الداعى إلى الله ببقائِه فى عزةٍ يسر بها الإيمان ، وسعادةٍ تنتظم عقودها كما انتظم الْجُمان . أمير المسلمين الغنى بالله[4] عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر . سلام كريم . كما حَسَر[5] البدرُ لِثام السَّحاب عن محيَّاه ، وأهدى النسيم الذى عند الهبوب[6] طيِّبَ ريَّاه ، يخص مقام أخوتكم السَّامية علياه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الواهِب المانحِ ، النَّاصِر الفاتِح ، مُيَسِّر المَناجح ،ومكيف الخواتم الحسنة والْفَواتح ، جاعِل التوكل عليه وتفويض الأمور إليه مُدنياً

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الثناء) .
(٣) من نزا واتزى أى ثار وثوثب .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حدر) والتصويب أرجح .
(٦) وردت فى الإسكوريال (الحسوف) ، والتصويب من الملكية .

للنَّازح ، وقائِداً إلى المسلك الواضح ، ومُجازى النيَّات الخالصة لوجهه بالصنائِع الرائِقة الملامح ، والمواهب الرَّواجح ، ممن عامله بالتَّجر الرابح . والصلاة على سيِّدنا ومولانا محمد رسُوله ، مطلع صُبح الْهُدى اللَّايح ، وظل الله الظليل على الغادى والرايَّح ، نبيُّ الرحمة الهامية ، فوق الْحُزُن والبَطَايح . وشفيع الأُمة يوم خوف الفضايح ، الرسول الرؤُوف الرحيم الكريم النَّصايح ، الجمُّ اللطايف الصَّرايح ، الذى باتباعه نظفر بالسَّعى الناجح ، وندرأُ فى نحر العدو المكافح ، والرضا عن آله وأَصحابه حُمَاة المسالح ، أُولى الرَّعى للمصالح ، الذين نصروه فى حياته ببِيض الصَّفايح ، وخلفوه بنقل الصَّحايح ، فكانوا أَحقَّ بقلائِد المدايح ، وأَوْلَى بالثناء الْعَطِر النوافح ، والدعاء لمقامكم الأَعلى بالنصر الذى تركب أَنباؤُه ظهور الرياح اللوافح ، والصُّنع الذى يضيءُ بنور الاستبصار ، فى عناية الواحد القهار احْناءِ[1] الجوانح . فإِنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً يسهِّل الصِّعاب ويدنيها ، وعزًّا يشيد معالم الفخر ويبنيها ، ونصراً يظهر أَفنان الفتوح ويجنيها ، حتى تُسَرَّ بمأْمون نصركم الدنيا وبَنِيها ، وتتصل الملة الحنيفية بأَمانيها . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، والآمال متيسّرة ، والصنائِع لمجمل الرجا فى الله مُفَسَّرة ، والأَنباء مُبَشِّرة ، والثغور ضاحكة مستبشرة ، وقضايا السعادة مُنْتَثرة ، والإِسلام تبدو مخايل اجتماع شمله ، وسكون الثايرة بين أَهله ، والجهاد فى سبيل الله قد وَضَح بعد انسداد سُبله ، والحمد لله حمداً ، نستزيد به من فضله ، والله المستعان على الأَمر كله . وقد وصلنا كتابكم الكريم الذى وفد فأَفاد ، وجاد غمامُه وأَجاد ، [وبشَّر البلاد والعباد ، والنفوس التى أَخلصت لله الجهاد][2] . وخاضوا فى سبيله الخطوب الشداد بما كان من الفتح الذى رفع الله بغرّه العماد ، وفسح فى

---

(١) وردت فى الإسكوريال (أحياه) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وورد مقابلها فى الملكية ما يلى (وبشر العباد والبلاد الذين أخلصوا له الجهاد) .

السرور به الآماد ، وكفى النضال والْجلاد ، فتح مراكش ، الذى هيأَتْه السعادة ، وأخلصته المنحة المعادة ، ويَسَّرَته المشيئة السابغة ، ويمن[١] الإرادة ، على ماقررتم من التيسير ، ويمن المسير ، واجتلا وجوه التَّباشير ، وخدمة الجبال المتعاصية ، وطاعة النجوم القاصية ، وإلقاء المُنْتَزِين بالناصية . فالأَفواج تدخل فى دين الله ، بالجنوح إلى الجماعة[٢] والشَّهقات[٣] الشَّم تهرع بالطاعة ، والمنابر تنطلق بالأَوامر المطاعة ، وأَن من كان بها بادَر النجاة بجمع قليل ، وحدٍّ فليل ، وأَنكم أَتبعتم أَثره بمن تثقون بغنائِه ، وتجنون ثمر إدنائِه[٤] ، حتى تستأْصلون مُعْضِل دائِه . فقابلنا ما يَسّر الله لكم من الفتح الجسيم ، والصُّنع الوسيم ، بما يجب من ابتهاج واستبشار والسرور المشرق الأَنوار ، وسأَلنا الله عُلُوَّ المقدار ، وتَمْهيد الأَقطار ، وساهمنا كم فى المنحة الكريمة الآثار ، والموهبة التى هى علمٌ فى المواهب الكِبار ، وقلنا عاد فَلَكُ الجهاد إلى المدار ، وسحّ[٥] هلال الملك المرينى بالإِبْدار ، وارتفع عن الإِسلام ما طرق صفوه من الأَكدار ، وارتفعت بارتفاع الموانع مقررة الأَعذار ، وسأَلنا الله أَن يتم على الإِسلام النعمة ، بجمع كلمتهم التى فرقها الشيطان ، وذهاب فتقتهم[٦] التى رجعت بها الأَوطار ، وجَلَتْ الْقِطان ، وطالما ضاقت الصدور بما شغل الأُمة عن مُهمِّها الأَكيد ، ونهجها السَّديد ، ونصر دينها مع الاعتراف بكلمة التوحيد ، وعُصِى الكفر قد انشقت ، وكلمة العذاب قد حَقَّت ، والفتن فيهم ما رَعَتْ ولا أَبْقَت . فلو اجتمع عزُّ الإِسلام لعادت الفتوح الأُول ، وبلغ من ردِّ ما غصب الكفر الأَمل ، لاكن هذه الفِداءات[٧] المباركة تدل على ماوراءها

---

(١) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الطاعة) ، والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والشعفات) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (وولاية) ، والتصويب من الملكية .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ومتع) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فشتهم) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (البلاد) والأولى أرجح .

من فائِت يُسْتدرك ، وحظوظ لله لا تترك، وعزائِم لجهاد عدوِّ الدين[١] تُصرف، وعوائِد تُعاد كما يعرف . ولما أعطينا الهنا حَقَّه ، وإن كان جهداً لا يعنى بالمكتوم مكتوبه ، ولا يوفى إلاَّ من بعد الترخُّص وجوبه ، فاسْتِيفاء[٢] ما تجنيه[٣] البواطن من الْوُد ، وتضمره من حسن القصد ، بحر عظيم المَدِّ ، إنما يعلمه الله الذى يطَّلع على الخفى من قلب الصديق الحفى [عل ماله فى قلب صديقه من الود الوفير][٤] صَرَفْنا أعنَّة الثنا لما كان من مبادرتكم إليها بهذه الطُّرفة الواردة، والمِنحة الوافدة، فمثل هذه العناية شاهدٌ بالخلوص مقبول، ودليل على أتم وجُوه الصحة محمول، فالله عز وجل يشكر عَنَّا وُدَّكم المستولى على ميدان الكمال ، الْمُتْحف من نصركم ببلوغ الآمال . ولم نقنع فى غرض الهنا، والشكر والثنا على هذا المقصد البر، بجواب ينوب عن لسان ، ويجتهد فى توفيه ما جلبّم من وجوه البر وإلإحسان[٥] حتى عيّنا من يتولى ذلك بما يجب من تقريرٍ، وشرحوتفسيرٍ. وهو فلان ، ومجدكم، يصل عوائِد القبول ، ويبلغ من الإصغاءِ لذلك أمضى المأمول ، على عوائِد الفضل المبذول . والله عز وجل ، يعرِّفكم عوارف اليُمن والقبول ، والعزِّ الموصول ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ ، عرف الله بركته .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الله) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (فاسسنا) ، والتصويب من الملكية .
(٣) وردت فى الإسكوريال (تجيبه) ، والتصويب من الملكية .
(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (حسان) .

ومن التهانى فى الإبلال من المرض ما صدر عنى مهنئاً أمير المسلمين أبا عنان رحمة الله عليه

المقام الذى شِفاؤه للإسلام شِفَا ، وبرؤه نعمة عميمة ما بموقعها خَفَا ، وشِيمُه فضل وعدل ووفا . فللقلوب به ابْتِهاج ، وللصدور انْشِراح ، وللعيون إغْفا ، مقام محل أخينا الذى نُقْدِر قدره ، ونسل الله أن يحفظ من بادرة السِّرار بدْرَه ، ونرتقب تأْييده على العدو ونصره ، ونروم الإحاطة بما بَلَوْنا من أجناس فضله ، فلا نطيق حَصْره . السلطان الكذا [أبى ، عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد بن السلطان الكذا أبى يوسف بن عبد الحق][1] أبقاه الله مفدَّاة ذاته الطاهرة بالنفوس ، محوطةُ البدور والشموس ، مُبْعداً عن جلاها لباسُ البوس ، متهللا باتصال عافيتها وجهُ الزمان الْعَبُوس ، محمولاً مَهْرِق السرور برامتها فوق الرؤوس ، معظم مقامكم[2] الأسمى ، ومحل أُخوتكم[3] العظمى [الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر ، أيد الله أمره][4] سلام عليكم[5] ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْد الله ، كاشف ظُلْمة[6] الغما بنور صباح النَّعماء[7] ومُذْهب وُحشة اللَّأْواء بأُنس رحمته المنشورة اللواء ، الحكيم الذى لا يفتقر فى إزالة

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مقامها) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وأخوتها) .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سلام كريم طيب بر عميم ، يخص مقامكم الأعلى ومثابتكم الفضل) .
(٦) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (طل) فقط .
(٧) وردت فى الإسكوريال (الظلماء) ، والتصويب من الملكية .

الأدواء ، إلى واسطة الدواء، ولا يفر[١] مع اسمه الكريم فى الأسماء شِئٌ لا فى الأرض ولا فى السماء، متدارك نفوس المسلمين بما وهبهم من الشفاء بعد الإشفاء، فالموارد بعد الكدر ظاهرة الصَّفا ، وأنوار الاستبشار ظاهرة بعد الاختِفاء. والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله خيرة الرسل وخاتم[٢] الأنبياء ، الذى بجاهه نسحب ملابس الاعتناء ، ونَرِد موارد الآلاء ، ونستظهر على الأعداء ، ونستَشْفِى عند إلمام الداء ، ونتوسل إلى الله فى الإعادة من الأمور والإبداء ، ونرفع النِّدا مهما رَاعَنا رايع ، فنتعرف منه إجابة الدُّعاء[٣] . والرضا عمن له من الصحابة والقرابة والخلفاء ، الموفِين بعهده حق الوفاء ، الأشدَّاء على الكفار ، الرحماء الذين خلفوه فى أمته على إيضاح الحق ، وحياطة الخلق ، وقَمْع الأعداء ، ورفع منار أوامره المتبعة على أوثق البناء ، فكانوا من بعده كالنُّجوم فى الظلماء . والدعاء لمقامكم الأعلى بالنصر الكريم الأنباء ، والصُّنع الوسيم الرواء ، والتأييد المتكفل بتمهيد الأرجاء . ولا زال نصله[٤] شهير المضا فى كف الفضا ، وسعده مشرق الضيا فى أفق العلياء ، وعزه ضافى الرِّدا وشاهد عناية الله به مُعْمَل الأداء، ومنار علمه قبلة الأُولى الاقْتِدا . فإنَّا كتبناه كتب الله لكم دوام العافِية المديدة[٥] الأفياء ، وعرَّفكم عوارف السعادة مع اتصال الأناء. من حمراء غَرنَاطة حرسها الله وليس بفضل الله إلاَّ مسرات براحتكم نعاطى راحها ، ونذيع أفراحها ، ونسيغ قَراحها ، ونحفل فى مسارح حمد الله وشكره مَغْداها ومَراحها . وقد وصلنا كتابكم الذى أهدى أَسْنَى التحف وأعلاها ، وأَسْدَى أجمل المنح وأولاها ، وأزال الغَما وجلاها ، وأطلع أنوار البشر يروق مُجْتلاها ، وجمع بين الفواضل العميمة

---

(١) وردت فى الإسكوريال (يضر) ، والتصويب من الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سيد) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النداء) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (نصره) ، والتصويب من الملكية .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المؤيدة) .

يعضد أولاها أخراها ، عرَّفتم فيه بما قد ألمّ بذاتكم الطاهرة من الألم ، الذى قد ألمت له القلوب ، وثوت فى النفوس المسلمة الكروب ، ثم ما تدارك من الإبلال والاستِقْلال ، ببرء ذلك الجلال ، واستيلاء جيوش الراحة [على عدو ذلك الاعتلال][1] فلولا أن خَبَر المرض بلغنا مقروناً بخبر الراحة ، وأمن تلك الساحة ، لعظمت الأدجال وضاق المجال [واشهب الصبر الكرب العجال][2] لاكن الشرفة الظَّلمة[3] كانت مردفة بالصباح ، والشُّبهة مقترنة بالحق الصراح ، والمسرات موصولة بالأتراح[4] . فحمدنا الله على راحتكم التى هى راحة البلاد والعباد ، وفى ضمنها النِّعم الواكفة العهاد ، فاستقامة الفُسطاط ، استقامة العِماد ، وبصلاح الأرواح ، صلاح الأجساد . والحمد لله الذى أقال وفكَّ العقال ، وكفا الكُربَ الثقال ، ووفّى الأجر ، وهو لا يظلم مِثْقال ، وجدَّد لسيفه الماضى الصِّقال ، وجمع لكم بين الأُجور الوافية ، من الصبر على الألم ، والشكر على العافِية . وعلمنا فى إعلامكم أيانا بهذه النعمة ، فكأننا من إيثار أُخوتكم ، فزادت المسرَّة أضعافاً ، وثبتت قواعدها ثبوتاً لا يحتمل خلافاً ، ووجب الشكر اعتقاداً واعترافاً ، فلا تسلوا عما عندنا من الابْتِهاج والاستِبْشار ، والسرور المشرق الأنوار ، وكيف لا تُسَرُّ بنعمة الله قبلكم هذه الجهات التى ما عدمت منكم ، ولا من سلفكم عناية ، ولا فقدت حَالَىِ الشِّدة والرخاء رعاية ، فكلما أفلت آية ، طلعت آية ، وكلما تعرّفت رأياً ، استقبلت راية ، والله تعالى ، يحفظ[5] من عزائمكم العُدَّة التى بها نتَّقى عدو العدو ، ونخطب أملها المرجو ، ونعمر بتأميلها[6] الروَّاح والغَدْو. ونحن نهنئكم ، وإن كنا أحق بالهنا ، ونبدى من التشيُّع ما يليق بكريم الإخا ،

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية . ومكانه فى الإسكوريال (وأمن تلك الأعمال) .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٣) هذه الكلمة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية وبالارتياح .
(٥) وردت فى الإسكوريال (بحفظها) والتصويب من الملكية .
(٦) هكذا فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

ونجهد فى إجزال الشكر وإجمال الثنا . والله عز وجل يطلعنا من مقامكم على كل بهج من الأنباء ، ويحرس مالكم من أصيل العلاء ، ويدافع عن ذاتكم الكريمة ، بمعهود اللطف ، وموصول الاعتناء . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

وصدر عنى أيضاً فى غرض الهنا

بشفاء من مرض لسلطان المغرب

المقام الذى شُفى المجدُ والكرمُ بشفائِه ، وعاد جَفْن الملة بأَنبا عصمته المستقيلة إلى إغْفَائِه ، ويلقى السرور ضيف البشارة المختالة من خبر راحته فى أجمل الشَّارة باحتِفائِه واعتِفائِه ، وثبت للدين الحنيف ما فرج به من التعريف دليل السعد المنيف ، وقد تطرَّق القياس الجلى[1] إلى انتفائِه ، فعاد مورد اليمن إلى صَفائِه ، وتبرَّأَ الدهر من ذنبه [وعاد إلى وفائِه][2] . مقام محل أخينا الذى أسباب هذه البلاد الغريبة[3] بأَسبابه معقودة ، وآمال الإسلام بوجوده موجودة ، وأبواب المخاوف بتأميل بابه العلى مسدُودة [وأيدى من بها من الأُمم على مجدها الراعى الذمم مشدودة][4] فأَقطارها بقطر الإعلام بعافيته مَجُودة ، وأكف ناسِها على اختلاف أجناسها بالشكر ممدودة ، أبقَاه الله يتلقى زيارة الله بالكنَفَ الرَّحْب والعقد السَّليم ، ويعجل بريد الضراعة والاستقالة ، مهما أحَسَّ بتغيير الحالة ، طارقاً باب السَّميع العليم ، ونقْتَنى من الأَجر الموفور ، والثَّواب المذْخُور ، بضائِع إنما يخص الله بها [من عباده][5] خزائِن الأَوَّاد الحليم ، وجعل العصمة مصاحبةً لِذاته الطَّاهرة ، [فى الأَحوال الباطنة والظاهرة][6] يطالع منها زاد المُسافر ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الخلف) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتبرع بوفائه) .

(٣) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

وتُحفة القادم [وزاد المقيم][1] وشُكْر ما يصله بعناية تعريفه من سبَبِ الولى الحميم [من الولى الحميم][2] معظَّم قدره الذى تعظيمه مُفترض ، ومقيم برُّه الذى لا يقدم على تتميمه غَرض ، الذى أقصى مذاهب المساهمة لمَجْده مهما ألَمَّ بجوهر مقامه الأبوى عَرَض ، أو شاب مَوْرِد صحته مرض ، فلان ومنه : وإلى هذا حَرَس الله ذاتكم الطاهرة من طُرق النوائِب ، وصان مواردَكم المؤملة من شبوب الشَّوائِب ، وكنَفَكم بجناح عصمته فى الشَّاهد والغائِب . فإننا فى هذه الأيام ، طَرَقَ بعض سواحلنا شانِى مَشْنُو الخبر ، وحثَّ جناح الشِّراع منه مارج[3] مكروه العين والأثر ، جَمْجَم بكلام مُلَفَّق ، ونَبإٍ غير محقَّق ، عللَّنا النفوس بتمحيله وتكذيبه ، [ولم نعن][4] بتقرير هُدْهُده فضلاً عن تَعْذِيبه ، وغمضنا عنده الأجفان ، طمعاً فى أن يكون حلماً ، وتغافلنا عن استفسار كلام يجر كَلِما ، فلم تَقَرَّ الجوارح[5] على هذه الصَّدمة المتعرِّفة ، ولا سكن اضطراب النفس فى مثل هذه الأُمور المصَرَّفة ، فزَنْدُ القَلق فى مثلها أَوْرَى ، واضطراب البال بمثلها أَحْرَى ، والشفيق كما قيل بسوءِ الظن مُغْرى . فعجَّلنا إلى جبل الفتح ، من يجلب[6] منه نفساً بنفس من بثٍّ ، وعيَّناً له المراحل تحت الحثِّ ، فلم يكن يهبُّ نسيمه ، ويقضى إلى المطاوب سيره وتقسيمه ، حتى طَلَع علينا من كتابكم صُبح جَلَى الظُّلمة المعتركة ، وعُلِم عَرْف النكرة ، وحُكِم حزم[7] الظنون المذهلة المسكرة ، عرفتمونا فيه بالألَم الذى ألَمَّ ، واتصال العافية التى خصَّ صُنْعها وعم ، وشرحتم ما أوجب

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة فى المخطوطين .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بارع) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، ومكانها فى الإسكوريال (والغز) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجوانح) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (يخلف) ، والتصويب من الملكية .

(٧) هكذا وردت فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

الأُلْقِية التى صدَّقت الآمال بتكذيبها ، وسهَّلت العبارة بحذف وحْشِيها وغرِيبِها ، وقررتم استقرار العافية فى مِهادها ، ورجوع الحال الصحيحة إلى مُعتادها ، واستبشار قُبَّة الإسلام باستقامة عِمادها ، وذهاب جِياد السُّرور فى أقطار المعمور إلى غاياتها وآمادها . فقَدَّمنا أولاً شكرَ الله الذى تَعزَّى لسان الفرج بتقديمه ، ونظرنا إلى وجه الإسلام ، وقد عادت نظرةُ أديمه ، وبهرتنا فواضل مقامكم الذى اتَّصل فضل حديثه بقَدِيمه . فلقد كان كتاب مقامكم إلينا أَمْرٌ من توقُّع الشفا لديكم ، وأُنْسٌ من عوايد الصُّنع الذى ورد عليكم ، فنحن نُسهب فى الثناء ونُطيل ، ونتحكم على الأيام ونستطيل [ونطرح بظهور الحق ما دلسته الأباطيل][1] ونهنئكم بمراجعة عَقِيلة الصحة التى لا يَنْبُو بها من بعد إن شاء الله بَيْت ، ولا يتطرَّق إليها [كَيْتٌ ولا كيت][2] ولا يعمل بسببها بعلٌّ[3] ولا لَيْتَ ، فلتهن راحتكم مجالس العلم وخَلَوَات العمل ، لا بل الإسلام بما حمل ، فإنما عصمتكم على الدين الحَنِيف وأهله رواق ، وظلٌّ خفاق ، ومكارمكم فى أسواقها للدين والدنيا نِفاق ، فإذا تألَّمتم كان بالدين الحنيف[4] وأهله إشفاق ، وإذا عوفيتم ، كان للأَمْنِ اتِّساق ، وللسَّعد إشراق . ثم أَتْبَعتم رَحْل المرَّة بالحقيبة ، وجهاد الشيطان الناعق بالتعقيبة [جارياً على فضل من فضل الضريبة ويمن النقيبة][5] فسرَّحتم ما عندكم من العزم الذى جعلتم هذه الحركات المباركات[6] مقدِّمات قياسه ، وأنواعاً لأجناسه ، وأنكم تباشرون إعداد المنشآت وتستظهرون على قطع مسافة البحر لجيادها الكرام الشِّيات ، وعملكم على ما فيه رضى الله ، قضيةٌ لا تحتمل النقيض ،

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٣) وردت فى الإسكوريال (ليت) ، والتصويب من الملكية .
(٤) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) زائدة فى الإسكوريال .

وتصريح لا يقبل التعريض . إنما هو جَدٌّ خلص لله قصده ، وعَزْمٌ أُرهف فى سبيل الله حدُّه ، وكريم يقفو ما سنَّه أبوه وجَدُّه ، فاستكثِروا من الخير الذى أنتم بسبيله ، واستعدوا[1] على البحر القاطع بيننا وبينكم بتوفُّر عَدد أساطيله ، فقبل الرّمى تُراش السِّهام ، وقبل اللقاء يُكْتب الجيش اللِّهام ، وعقل التجربة قد بيَّن ما أُشكل ، وفى معرض الاستعداد قيِّدها وتوكَّل ، ومن قِبَلكم تلتمس العَوارف ، ونقتبس المعارف ، ونتوَسَّد[2] الظِّل الوارِف ، وبنظركم السَّديد تُحمد[3] الموارد والمصارف [بفضل الله][4] . ومما أطرف به كتابكم الذى أَطْعَم وسقَا ، وأَوْرَدَ المسرَّات نسقا ، وجلا من [الظلم المتظاهر][5] غسَقاً ، خبر ماآل إليه حال مدينة إطرابلس التى أوقعت بالقلوب وقيعتُها الشنيعة ، وفَرعَت بمُلْكة الكفر هَضْبتها المنيعة ، وما ذخر الله فيها لمُلْكِكم من حسن الصَّنيعة ، وأنكم لبيَّتم على البعد نداءها ، وشفيتم داءها ، وعاجلتم من يد الكفار فداءها ، وذلك عنوان قبول الله على مقامكم وإقباله ، ومَنْقَبة حَباها الله لجلاله ، فمن طمح إلى ما طمحتم إليه نظر لمنَاله ، ومن شَراها بالثمن الخطير ، والله ما جار على ماله ، فياله من فخر جَلَّ قدره عن الثمن ، وذكر تخلل بَغْداد العراق وصَنْعا اليمن ، وصفقة رابحة إن لم يعقدها مثلكم ، وإلاَّ فمن لمثل ذلك تَطْمَح الْهمم ، وفى مثله تَتَنافس الأُمم ، والله يذخر المال ، وعليه تحوم الآمال ، لُدَّة الإسكندرية ، وأُمٌّ من أُمهات المدن البحرية ، أراد الله أن يبقى التوحيد بها بسببكم ، وأن يجعلها بالملك الصريح من مُكْتَسبكم ، .. فاهنوا بهذه الصنائِع التى يلبسكم الله أطواقها ، ويفتح بسعدكم أَغْلاقَها[6] ، ما ذلك إلا لنيَّة اطَّلع عليها من ضميركم ، فسدَّد إلى [الغرض

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (واستطيلوا) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويتوسل) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (تحمل) ، والتصويب من الملكية .

(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، ومكانها فى الإسكوريال (الحوادث) .

(٦) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

الكريم][1] سهام تدبيركم ، وهو سبحانه يزيدكم من مواهبه ، ويحملكم من البرِّ على أوضح مذاهبه . وأننا لما اسْتَجلينا من كتابكم غُرَّة السعادة المُشْرقة ،وشكرنا منكم موقع الغَمَامة المُغْرقة [أمرنا برِفد][2] المنشور ، فصدع به فى الحَفْل المشهود [وبلغنا من الإشادة به أقصى الشهود][3] ورحَّبنا بوافده المَرْدُود[4] ، وأرغمنا أُنُوفَ أعداءِ الله وأعدائِنا بلوائِه المعقود ، حتى يبدو للقريب والبعيد تشيُّعُنا لمقامكم المحمود ، واستظلالُنا بظلكم الممدود، ونحن نجمع فى مراجعتنا بين الشكر والثنا ، ومضاعفة الهنا . ونسل الله تعالى أنْ يطيل[5] بقاءكم فى الملك الوثيق البناء ، ويعرفكم من لديه عوارف الاعتناء [وهو سبحانه يديم سعدكم ويحرس مجدكم][6] . والسلام .

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أغراض التوثيق) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية . ومكانها فى الإسكوريال (أمر برقة) وهو تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المعدود) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يصل) .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

كتب التعازى فى الحوادث والنائبات

وصدر عنى فى مخاطبة السلطان أبى عنان فى غرض العزا والهناء :

المقام الذى صبرُه فى النَّوائب جميل . وشكره على المواهب بالمزيد كفيل ، وفضله لا يلتبس منه سبيل [وحُكْمُ فخره لا يتطرقه تعليل][1] ، ومحكم مجده لا يتناوله تأويل ، مقام محل أخينا الذى استولى على غايات الكمال مجدُه ، ورفع راية العناية الإلهية سعدُه ، واشتهر فى مقام الصبر صبرُه ، وفى مقام الشكر ، شكره وحمده ، [وطوق الأعناق بذله ورفده][2] وشف[3] نور قلبه بإلهام من ربِّه ، فأخلص ضميرَه لمن يوَدُّه ، السلطان الكذا [أبى عنان][4] ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا[5] . أبقاه الله مشكور المساعى والخلال ، جليل الخطر خَطير الجلال[6] ، كامل الذَّات ذاتى الكمال ، جارياً على مَهيع السُّنَّة فى جميع الأحوال ، معظَّم سلطانه الذى تعظيمه فرض محتوم ، وموقَّر ملكُه الذى له فى الملك حق معلوم ، المثنى على مكارمه التى تَطَابق منها منقول ومفهوم ، ومَسَاهمُه فيما ساء وسرَّ حكمها فى صحائف الصدق مرسوم . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب بَرّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (وشب) ، والتصويب من الملكية .

(٤) واردة بالملكية ، وساقطة بالإسكوريال .

(٥) وردت بالملكية نسبة السلطان ابن عفان كالآتى (ابن السلطان الكذا أبى الحسن بن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان الكذا أبى يوسف بن عبد الحق) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (البال) ، والتصويب من الملكية .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الذى بيده الأمر كله ، وليس فى الوجود إلّا فعلُه ، والتسليم لأحكامه ، والشكر على إنعامه ، أولى ما اكتسب به رضاه واستزيد به فَضْله . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله [المصطفى الكريم][1] ، الذى ختم به رسله ، ونبيِّه العظيم قدره ، الكريم محلُّه ، ملجأ الأُمة يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه ، والرضا عن آله وأهله وأصحابه ، فياحبَّذا أصحابُه الكرام وأصلُه ، الذين كانوا فى آفاق دينه الحنيف شُهباً أضاءت بهم سُبُله ، والدعاء لمقامكم الأسنى أبقاه الله معروفاً صبره وشكره وعدله ،مجموعاً فى مواقف الفراق شَمْلُه ، بالنصر الذى يمضى فى مواقف السعد نَصْلُه ، والعز الذى تُميز فئته الغالبة فضله . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بقاً يتصل باتصال الزمان حَبْلُه ، وعزًّا جَوْزاءُ نطاق[2] السما نِطاقه ، وبدرُها تاجه ، وثُريَّاها تَعِلُّه[3] ... من حمراء غَرناطة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من الاعْتِداد بمقامكم ، أعلى الله سلطانه ، ومهد باتصال السَّعد والعافية أوطانه ، إلّا الاستبشار التى أشرقت فى سما الغيم كواكبُه ، ووَضَحت بعد الالتباس مذاهبُه ، وأنتم عُدَّة الإسلام إذا ارتاح جانبه ، وردءُه الذى يَحْذَرُه من يحاربه . أبقاكم[4] الله يُزين بحمدكم كتُبَه ، وبنصركم كتائِبَه ، وتُستعذب بوجودكم موارده [ومشاربه][5] . وعندنا من التشيُّع لجلالكم الأسمى ، جمل لا تُوفِيها العبارة وإن انفسح مداها ، ولا تُدْركها البلاغة وإن طال مداها ، نغتبط بعصمة ذاتكم التى لو خُيِّر الإسلام [فى المواهب][6] ما تعدَّاها ، ونستنصر بعزمكم كلما غَلَبت على هذه الثغور

---

(١) هذه الزيادة من الملكية .
(٢) زائدة فى الإسكوريال .
(٣) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٤) وردت فى الإسكوريال (أبقاه) ، والتصويب من الملكية .
(٥) زائدة فى الملكية .
(٦) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

الغَريبة عِداها ، وإلى هذا أيدكم الله بنصر من عنده ، ووصل للكلكم أسباب سعده ، فإنَّا وصلنا كتابكم المرفع ، عرفتمونا فيه بما كان من استبشار الله بمَحلِّ والدنا السلطان الباهر العالى ، التى اعترفت بعظيم قدره أَلْسِنة الأَيام والليالى ، والدكم تغمد الله لَحْده من الرحمة بغمام ، وحَشَره فى زمرة من يخاطب عند باب الجنة ادخلوها بسلام ، فلو لم يكن له من المآثر التى يستحق بها الحمد ، ويسترقُّ المجد ، إلاَّ أن كنتم سُلالته ، وورثتم بالحق جلالته ، لكان فخراً لا ينازع فى حقه ، ولا يضايق فى طرقه ، فإنَّا لله تسليماً لحكمه الْحَتْمْ ، وتفويضاً إلى أمره الجزم ، سبيل مبين ، وقصد يدعو إلى الصبر فيه عقلٌ ودِين . من ذا الذى سالم الأَيام فسلم من غَوَائِلها ، وتمتع بطالعها ، جعلنا الله ممن عَمِل عملاً باقياً ، وأَسلف سعياً صاعداً [إلى محل القبول] [1] راقياً . ونحن مهما اعتبرنا هذا الحادث على انفراده ، ولم ننظر إلى أَضْدَاده ، بلغ منا الوجد إلى غاية مراده . وإذا نظرنا إلى أَصحاب الدهر ، بعد تصعُّب قياده ، ولما أنعم الله به من ارتفاع سُمْك الدين واستقامة عماده ، وإن الميدان سُلِّم إلى جواده ، والغيل إلى أُسَد آساده ، والإسلام ظفر بمراده ، بما كان من خلوص الأَمر إليكم ، وحصول أَزمّته فى يديكم ، انقلبت الحسرة حَبْرة ، والكآبة نعماً ونضرة ، وعاد الغمُّ مسرَّة . وقلنا هذه نعمة بأَى لسان تُشكر ، وبشارة مثلها يُردد ويذكر . الآن صدقت الآمال فى حافظ الدين وناصره ، والكفيل برعى أَواصره . لقد آن للخيل أن يظهر عليها المراح ، ولصدور المراكب أن يشملها الانشراح ، وللسيوف أن تضحك منها المباسم ، ولأَقلام الرِّماح ، أن تحيا بها للجياد المراسم . وقد كنا عند استجلاء هذا الخبر قمنا فى طرفى المساهمة بالحق الواجب ، وسرنا من البر على السُّنَن اللاحب ، وعيّنا من يفد على مقامكم العلى الجانب . وأَبرمنا الأَمر فى ذلك إبرام الحب الصافى المشارب ، وذهبنا من عزائِكم وهنائِكم فى أَوضح المذاهب . فلما ورد الآن كتابكم أَعدنا ما أَصدرنا

---

(١) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

ابتداءً، وأكّدْنا هذا القصد قياماً بحقكم ووفاءً، ولم نألُ لمجدكم العلى فى التعريف به حمداً وشكراً وثناءً . فنحن نَعْرفكم وجلالكم فى الخطوب أَثْبَتُ قدماً ، وأَعْلى فى الفضل عَلَماً ، من أن يَهْدى إلى قصد سنى أو يدلُّ على عمل هنى[١] ، ونهنئكم بالسعد الذى إنما [فى الفضل علماً][٢] هو فى الحقيقة علينا عائد ، ولعز الله [دينه][٣] فى أقطارنا شاهد ، هنانا الله وإياكم ما خوّلكم من هدنة الأوطان ، وخلوص السلطان ، فلقد استقرت مقاليده منكم بيد الولى الكافل القائل[٤] الفاعل الذى أغمد [بالصِّفاح الصَّفح][٥] ، واستحق أشْتات الحمد والمدح ، وشَرَحت دولته الفارسية إيضاح الكلام حق الشرح . ولو ذهبنا إلى تقرير ما لدينا من خلوص وَضحَ وضوح الصبح ، وثناً كما الروض فى المرءى أو النفح ، لما وفَّ للسان ببعضه[٦] ، ولا قامت البراعة عنا بفرضه ، فنكل علمه إلى العالم بخفيات سمائه وأرضه ، وهو سبحانه يشكر عنا مقامكم ، الذى نتعرف مع الأيام مزيد أفضاله ، ونستقبل وجوه إكماله بما يليق بحسَبه ومجده وكماله[٧] ، ونسَلُه أن يسبغ عليكم ملابس إقْباله ، ويعرِّفكم عوارف السَّعد فى بُكر الزمان وآصَاله . وأشَرتم علينا أن نعجل صرف من استقر بالمريَّة من خدام جنابكم وارث بابكم ، ليردوا على الأمان المَبْذُول ، والوَعْد الفعُول ، والعفو المسدول ، وقد كنا عملنا بمقتضى ذلك لأول إشارة . والله يصل سعادتكم ويحرس مجادتكم . والسلام عليكم كثيراً أثيراً ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (دينى) ، والأولى أرجح .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٣) زائدة فى الإسكوريال .
(٤) زائدة فى الملكية .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية . وفى الإسكوريال (الصياح بالصفح) ، وهو تحريف .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ببعض بعضه) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وجلاله) .

وأَصْحَبْت فى معنى العزاء والهنا إليه فى
غرض الرسالة ، كتاباً نصه بعد سطر
افتتاحه :

المقام الذى رَسَخت منه فى مقام الصبر والشكر قدم ، فلا يغره وجود ، ولا يذعره[١] عدم ، وصَدَقت منه فى طلب المجد عَزْمةٌ لم يختاجها وَهَن ولا ندم ، حتى تصرفت بحكم معاليه ، أيام دهره ولياليه ، هذه[٢] ولدان ، وهذه خدم. مقام محل أخينا ، الذى إن جاشَتْ النوائِب وسِعها صدره ، أو عظمت المواهب ، ترفّع عنها قدره ، أو أظلمت الكروب ، جلاها بدرُه ، أو تألبت الخطوب ، هزمها صبره ، أو أظلت سحائب[٣] النعم ، استدرها حمده وشكره ، أو عرضت عقود [الحمد][٤] فى سوق المجد أغلاها فخره ، أو راقت جُلل الصنائع ، طرَّزها ذكره ، أو طبعت سيوف الباس ، أغمدها صَفْحُه وسلَّها قهره . السلطان الكذا أبى عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد ابن السلطان الكذا أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق . أبقاه الله ضاحك السَّعد ، كلما بَكَتْ عين ، مجموع الشمل كلما[٥] أزف بَيْن ، وارى الزند ، إذا اقتضى العز دين ، محمى الذِّمار بانفساح الأعمار ، كلما أغار[٦] على الأحياء حين ، ولا زال يفيد منه شكر الله [نعماً][٧] ، ما فى وعدها لَىٌّ ولا فى قولها مَين ، ويلبس منه حُللاً ، تقواه فى عواتقها زَيْن ، مساهمة فى كل خطب غم ، أو فضل من الله سبحانه عمٌّ ،

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يعدمه) .
(٢) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (هولا) ، وهو تحريف .
(٣) واردة فى الإسكوريال ، (الشحات) ، والتصويب من الملكية .
(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مهمى) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أعاد) .
(٧) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

ومقاسمه فى كل ما ألمَّ ، ومهنّيه بالملك الذى خلص وتم ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الذى جعل الصبر فى النوائِب حصناً منيعاً، والشكر يستدعى المزيد من النعم سريعاً ، فمتى أعضلت للصبر دعوة ، كان لها الأَجرُ سميعاً ، ومتى رُفعت من الشكر رُقعة ، كان [المزيد][1] عليها توقيعاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى بوَّأنا من السعادة جَناباً مَريعاً ، وبَيّن لنا حدود أوامره [ونواهيه][2] فطوبى لمن كان مطيعاً ، وعلمنا مكارم الأَخلاق ، صبراً فى النوائِب ، وشكراً على المواهب [تفضيلاً][3] وتنويعاً ، وكان لنا فى الدنيا هادياً ، ونجده فى الآخرة شفيعاً . والرضا عن آله وصحبه ، الذين كانوا على العُداة [قيظاً][4] وعلى العُفاة [ربيعاً][5] ، فحلُّوا من الاقتداء بهم ، فيما ساءَ وسرَّ ، وأَحْلَى وأَمرَّ ، مقاماً رفيعاً [وخفض][6] عليهم مضاضَةَ فقده ، مثابرتُهم على ضم شمل المسلمين من بعده ، اقتداءً بقوله سبحانه ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً » . والدعاء لمقامكم الأَسمى بالنصر الذى تشكر منه الجياد ، والبيض الحداد صنيعاً ، وتشرح منه أَلْسُن الأَقلام تهذيباً وتفريعاً . والصَّبر الذى يقود زرافات[7] الأَجر قطيعاً فقطيعاً ، والشكر الذى يفجر من المزيد ينبوعاً. فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم من حظوة الخير أَوفرها عُدداً ، وأَقطعكم من خطط السعد أَبعدها أَمداً[8] وأَتبعكم من كتايب العز أَطولها يداً ، وألهمكم من

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) وردت فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .
(٥) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٦) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٧) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (رزايات) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مدداً) .

الصبر لما تقدمونه فى اليوم فتجدونه غداً . من حَمراءِ غرناطة حرسها الله ، وعندنا من الاعتداد بالله فيكم أسباب وثيقة ، وأنساب صدق فى بحبوحة الخلوص عريقة ، ومن الثناءِ عليكم ، حدائِقُ روض لا تحاكيها حديقة ، ومن المساهمة لكم فى شتى الأحوال ، مقاصد لا تلتبس منها طريقة ، ومن السرور بما سناه الله لكم نعمٌ بشكر الله عزَّ وجل خليقة . وإلى هذا أيدكم الله بنصره ، وحكم لمقامكم بشدِّ أزره وإعلاءِ أمره ، فإننا وَرَدَ علينا الخبر الذى قبض وبسط ، وجار وقسط ، وبخس ووفَّى ، وأمرض وشفا ، وأضحى وظلل ، وتجهَّم وتهلَّل ، وأمرَّ وأحْلَى ، وأوْحَشَ وأسْلَى ، وأساءَ ثم أحسن ، وبشَّر بعد ما أحْزن ، خبر وفاة والدكم ، محل والدنا ، السلطان الكبير القدر ، الرفيع الخطر ، الذى لو لم يكن من مناقبه ، إلاَّ أن كان لكم أباً ، وفى أن أنعم الله على الملَّة الحنيفيّة سبباً ، لكفاه شرفاً لا تجد الأشراف بعده مذهباً ، قدَّس الله طاهر تُربه ، وكريم لَحْده ، كما أحيا بكم معالم مجده ، فياله من سَهم رمى أغراض القلوب فأثبتها ، وطرق مجتمعات الآمال فشتَّتها[1] ، ونعى إلى المجد إنسان عينه وعين أنسانه ، وإلى الملك هيولى أركانه ، وإلى الدين تَرْجمة ديوانه ، وإلى الفضل عميد إيوانه . حادث نبَّه العيون من سنة غرورها ، وذكَّر النفوس بمهم أمورها ، وأشرق المحاجر بماءِ دُموعها ، وأضرم الجوانح بنور وُلوعها ، وبيّن أن شَراب الآمال سَراب ، وكل الذى فوق التراب تراب . فمن تأمل الدنيا وطباعها ، والأيام وأفراعها[2] ، والحوادث وقِراعها[3] ، بدا له الحقُّ من المَيْن ، واستغنى عن الأثر بالعَيْن ، فشأنها ألاَّ تفترَّ عن سهم تُسدِّده إلى غرض ، وصحَّة يعقبها مرض ، وجوهر

---

(١) وردت فى الإسكوريال (فشبّها) والتصويب من الملكية .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وإسراعها) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مراعها) .

ترميه بعَرَض . وداءُ الموت قديم ، وفريُه لا يبقى عليه أديم ، وكاسُه يشربُها مُوسِر وعَدِيم ، دبَّت إلى كِسْرى الفرس عقاربه ، ولم تمنعه أساورته ولا مرازفه ، وقصرُ قيصر عن مشاربه ، وابتز سيف ابن ذى يزن من غِمدانه ، ولم ترعه مضاربه ، وأرى تُبَّعاً فلم يكن فى اتباعه من يحاربه . وكم فى الإسلام من ملوك أُولى فخر ما بين بنى العباس وآل صخر ، فأين مروان ودُوَّاره[1] وأبو الأملاك وبَهاره ، والوليد وأبناؤه ، وسليمان وآلاؤه ، وعُمَر وثناؤه ، ويزيدُ وظباؤه ، وهشام وآباؤه ، والجَعْدى وآراؤه ، واين السفاح وحُسامه ، والمنصور واعتزامه ، والمهدى وإعظامه ، والهادى وإقدامه ، والرشيد وأيامه ، والأمين ونُدَّامه ، والمأمون وكلامُه ، والمعتصم وأسْراجُه وألجَامُه ، وغيرهم ممن طلع بالغرب شمساً ، وأصبح فى مَرْضاة الله وأمسى عمر رَمْساً ، وفارق إلْفاً وجِنْساً . لم تدافع عنهم الجنود المجندة ، ولا الصفاح المهنَّدة ، ولا الدروع المحكمة ، ولا الثياب المُعْلمة ، ولا الجياد الْجُرْد المسوَّمة ، ولا الرماح المثقَّفة المقوَّمة . كل ندم على ما قدَّم ، وجدَّ إلى ما أعدَّ ، جعلنا الله ممن يَسَّر لنفسه زاداً ، وقدَّم بين يديه رِباطاً شافعاً لديه وجِهاداً ، ووثَّر لنفسه بمناصحة الله والمسلمين فى أعلى عِلِيِّين مهاداً ، وطوق[2] للمسلمين فضلاً وعدلاً وأمداداً . غير أن هذه الفاجيءَ الذى فجع ، ومنع القلوب أن تقر والعيون أن تنجع ، غمرته[3] البُشْرى ، وغلبته المسرَّةُ الكبرى ، وعوَّضته من بقائِكم الآية المحكمة[4] الأُخرى ، فاضمحل من بعد الرسوخ ، وصار دليله فى حكم المنسوخ ، بما كان من استخلاصكم الملك الذى أنتم أهله ، واختياركم المجد الذى أشرق بكم محلَّه ، وكيف لسهم أخطأ ذاتكم الشريفة أن يقال فيه

---

(١) وردت فى الإسكوريال (ودهاوه) والتصويب من الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (وطرق) والتصويب من الملكية .
(٣) وردت فى الإسكوريال (غلبته) والتصويب من الملكية .
(٤) هذه الكلمة زائدة فى الملكية .

أَصْمَى أَو أَجْهَز ، أَو لأَمل بعد بقائِكم تعذَّر أَو أَعذر . إنما الآمال ببقائِكم المملا [١] محوطة ، وسعادة دين الإسلام بحياتكم المتصلة مشروطة ، وفيكم [لدين الله] [٢] الخَلَفُ من كل ذاهب ، ما بين عابر فى سلفكم وناصر وواهب ، فلقد أَضاءت المراقى والمراقب ، واطَّردت المفاخر والمناقب ، وحَسُنت بفضل الله العواقب ، وظهر أَن لله تعالى فيكم سرٌّ يدركه الملاحظ المراقب ، إذ هيَّأَكم لملك الإسلام تهيئةً لم يتعقبها قطع ، وأيدكم بالعزم الذى لم يَضِق لكم بمصابرته ذَرْع ، فكأَنكم كنتم على بصيرة من أمركم وَوَعْد ، وفى خفارة عصمةٍ واقية وسعد ، حتى حُزتم عقيلة الملك ، وقد رُفعت عليها تيجان الصفاح البيض ، يغشى العيون منها لَأْلاءُ الوَميض ، وأَوقدت حولها مشاعل الأُسُل ، وأُديرت أَكواس الحتوف أَحْلَى فى لهوات الشَّم الأُنُوف من العسل . وضُربت عليها للقَتَام قباب ، وسُدل عليها للعزة القعساء حجاب ، فوفَّيتم مهرها ، وتولَّيتم أَمرها ، فسلَّمت الخطاب ، واستقامت للسعد الأَقطاب ، واستَتَبَّ العهد [٣] لمّا فُهم الخطاب ، وقام بالأَمر من اختاره الله لحمله ، ولم يخرج الملك [٤] عن محلِّه ، ولا انتقل عن أَهله ، فأَى تَرَح يبقى بعد هذا الفرح ، وأَى كسل [٥] ينشأُ بعد هذا المَرَح . إن أَفَل البدْرُ فقد تبلَّج الفجر ، وإن غاض النيلُ ، فقد فاض البحرُ ، وإن مال فَلَكُ المُلْك فقد عاد إلى مداره ، وإن أَذنب الدهر ، فقد أَحْسَن ما شاءَ فى اعتذاره . إنما كان هذا الخطب وهَناً أَعقبه ضوء النهار ، وسطعت بعده أَشعة البَهار [٦] ، وصِمصامةٌ أَغمدت ، وسُلَّ من بعدها ذو الفقار . ولا خفاء عند ذى قلب صاف وفكر شفاف ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المحلا) .
(٢) هذه العبارة زائدة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العمل) .
(٤) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) وردت فى الإسكوريال (تسل) ، والتصويب من الملكية .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الأنوار) .

أن هذا السعد[١] الذى ألبس الله مُلْككم أطْواقه ، ومدَّ عليكم رِواقه ، إنما هو ثمرة نية لله أخلصتموها [ونذور بإعانة هذه الجزيرة الغريبة خصصتموها][٢] ، وعقيدة جهاد فيما بينكم وبين الله أحكمتموها ، وأسباب نصر على طاعته وطاعة رسوله أبرمتموها ، فتهلل عارضها الصَّيب ، ورفعت إلى حيث يُرفع العمل الصالح والكَلِم الطَّيب ، فهى لجِياد حسناتكم وحسنات سلفكم ميدان ، وجيدٌ على الأيام بِحَلْيكم مزدان ، ووسيلة بينكم وبين رب العباد . وإن كان للملوك الشرق فخر بإقامة الحج ، فلكم بها فخر إقامة الجِهاد ، وبحسب استزادتكم من النظر الجميل لما تستزيدون من جميل نظره ، وتستقبلون عوايد النصر فى حاضر الزمان ومُنْتَظره ، وأمل الإسلام قد تعلق بكم[٣] ، بالمَلِك الجواد الكف . الحمىّ الأنف ، الحليم العَفِّ ، الواحد المعدول بالألف ، إلى نَهَد الصَّف إلى الصَّف ، وما قد سلفكم من غَرْس جهاد ، فلكم بفضل الله جِناه ، وما خلَّدوه فى مسطورها من لفظ ، فلكم إن شاء الله معناه ، وقد سبقت من فضائِلكم المتواتِرة ، ما حقَّ الثناءُ أن يكون عليه وقفاً مؤبَّداً ، والدعاءُ أن يُوجَب إليه مدداً فمدداً . فإنكم بادرتم باب هذا القطر[٤] قبل سدِّه ، ودعمتم حَبْلها العاصِم قبل دكِّه وهدِّه ، وساجلتم بحرَه ببحرٍ من جودكم ، لا يتعاقب الجَزْر مع مَدِّه ، وتداركتم أمره بالعزم الذى لا يتقلص بمُمْتَدِّه ، ولم تشغلكم الشواغل مع تَغاور بروقها ، ولا الحرب مع نِفاق سوقها ، وتَشْمِيرها عن سُوقها ، حتى قمتم لملة الإسلام فى هذه الجزيرة بحقوقها ، ورمى الله الطَّاغية لما قصد منها بيت القصيد ، وحتَّم باسطاً ذراعيه بالوصيد ، بكتيبة من كتائب سعدكم ضَمَنت للمناصل أن لا تتعقَّب ، ولِغربان الأساطيل أن لا تَنْعَب ، وللجياد أن تجُمَّ إلى ما بعد ، وللكتائِب أن

---

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية وساقط بالإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (منكم) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (هذه البلاد) .

تريح إلى أن يُنْجز بعد فراغكم الوَعْد ، فمن لها الآن بكم ، وقد أَلقى الملك إلى مقامكم العلى عصا سَيْره ، وجرى بيُمنه سانح طَيْره ، وخلص إليه خلوصاً لم يُعوَّل فيه على غيره [زادكم الله من مواهب فضله العميم وخيره][1] . وأَننا لما قررنا هذا الخبر عن حقه ، ورصدنا طالعه فى أُفقه ، قابلنا الواقع بالتسليم ، والمنحة الرادفة بالشكر العظيم ، وأَنسنا فى غمام الهدنة رىِّ هذا الإقليم ، وقلنا استقرَّ الحق ، ووَضحَت الطرق ، وهَدَى الرايد وصدق البَرْق ، وتقررت القاعدة وارتفع الفَرْق ، واستبشر بإِبْلال الغرب أَخوه الشَّرق ، وتأَتَّت آمال أُولى الجهاد [إلى اقتحام][2] إلى شطِّ المجاز وأُولى الحجِّ إلى مراقبة رَكْب الحجاز ، وآن للدُّنيا أَن تلبس الْحُلا العجيبة بعد الابتزاز . فالحمد لله الذى زين بكم أُفق الملك ، وكيّف بسعدكم نظم ذلك السلك ، وهنأَ الله بإِيالتكم العباد والبلاد [والحج والجهاد][3] والمُطْهَمة الجياد ، وصدق الظنون فى مقامكم الذى حاز فى المكارم الآماد . وبادرنا أَيدكم الله من برِّكم إلى غرضين ، وشرعنا علم الله ، ومن لدينا أَن نباشر بنفسنا هذين القصدين ، إلاَّ أَننا عاقنا عن ذلك ما عقده العدوُّ الذى بلينا بجواره ، ومصابرة تيَّاره فى هذا الشهر من الميعاد الذى استدعى إليه الخلائِق من كل فج عميق ، واستقدم إلى يومه المشهود وجوه كل فريق ، حتى غُصَّ بهم عَرْضُ كل طريق ، ولا يومن أَن يتفق رأَيهم على كيد يُحذر داؤه ، ويُخشى اعتداده ، وإلا فهذا الغرض قد كنا لا نرى فيه بإِجراءِ الاستنابة ، ولا نحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة . فليصل الفضل جلالكم ، ويقبل العذر كمالُكم ، وإذا كان الاستِخْلاف مما تحمله العبادة ، ولا ينكره عند الضرار العرف والعادة ، فأَحرى الأُخوة ، والودادة ، والفضل والمجادة . فتجهَّزنا جهدنا ، واصطفينا لباب

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال وساقط فى الملكية .

(٢) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

(٣) زائدة فى الملكية .

اللّباب فيما عندنا ، فعيناً للنيابة عنا فى تقرير الحب ، والمساهمة الصافية الشرب فلاناً وفلاناً .

وصدر عنى فى هذا الغرض أيضاً

المقامُ الذى مساهمة جلاله واجب مفترض ، ومقاسمتُه فيما ساءَ وسر لا يُقدَّم عليه غرض ، ومذاهب تسليمه لله وتعويضه ، ليس فيها مأْخذ مُعْترض ، وصحة يقينه المستفادة عن اعتدال أركان دينه لا يشوبها مرض ، ولا يحل بجوهرها عَرَض . مقام محل أخينا الذى نساهمه فيما ساءَ وسرَّ ، ونقاسمه فيما أَحْلَى وأمرَّ . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله تتحامى الغِير[1] حِماه المنيع ، وتشمل العصمة شمله الجَميع ، وتعتذر له صروف الأيام مهما أساءَت الصَّنيع ، وتستقبل دينها الكبير لديه وحادثها الشنيع ، معظّم مقامه ، ومُلْتَزم إجلاله وإعظامه ، الأَمير [عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر][2] سلام كريم [طيب برعميم يخص مقامكم العالى][3] ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْد الله الذى لا يُعترض حكمه تنزيهاً لعزِّه المحض وتعظيماً ، ولا يُسئل عما يفعل انقياداً لأَمره الحَتْم وتسليماً ، مقدر حصص الأَعمار والآجال ، محصورة المدى محدودة المجال ، لا تستطيع تأْخيراً ولا تقديماً ، ومُصرِّف صروف الأيام بحكمة مُسْتَبقة إلى سابقة مشيئته وعلمه ، إنه كان عليماً حكيماً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى نتأَسى فى الحوادث بهديه اقتداءً وتعليماً ، ونهون لمصاب فقده كل[4] خطب ألَمَّ بنا من بعده ، وإن كان عظيما ، ونجعل حبه وسيلة جليلة ، يوم لا يَسَلُ حميمٌ حميماً ، والرضا عن آله وأصحابه ،

---

(١) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية ومكانه بالإسكوريال (فلان) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٤) وردت فى الإسكوريال (خل) والتصويب من الملكية .

الذين سلكوا من اتِّباعه سبيلاً قويماً ، وجَلَوا بنور هداه ليلاً بهيماً ، فأحرزوا بالتماس مَرْضاته من الله فضلاً عظيماً[١] ، ووجدوا مِصْداق وعده ، ونُدْخِلكم مدخلاً كريماً . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من مواهب الصابرين المحتسبين حظًّا جسيماً ، وجعلكم ممن عَمَر برضاه ، والتسليم لما قضاه ، قلباً سليماً . من حَمراء غَرناطة حرسها الله ، وعندنا من المساهمة لمقامكم الأسمى ، والأَرْماض والمشاركة ، فى حالتى الانبساط والانقباض ، والمُقاسَمة فيما يرد عليه من شَتَّى[٢] الأغراض ، أوفى ما به من عاطى فى الله كل[٣] وداد ، أو تَعاطى جَميل اعتقاد ، أو أجالَ قِداح إخْلاص ، أو اختال بامتياز فى الحبِّ واخْتِصاص ، نرى العمل بذلك وجوباً ، ونعتقده فَرْضاً مكتوباً ، وفى الأعمال الزَّاكية مَحْسُوباً . وإلى هذا حمى الله مُلْككم من طَرْق المكروه وهجومه ، وأنار سما مجدكم بكواكب السعد ونجُومه ، وأجزل حظكم من الرضا بمكتوب قَدَره ومَحْتُومه . فإننا اتَّصل بنا ما أشرق الأنفاس بصَعْدايها ، وأَشْجَى النفوس بدايِها ، وغمر الشؤون بمائِها ، وعَمَر القاوب بغمايِها ، من استيثار الله عز وجلَّ بتلك الجهة السُّلطانية [ذات البركات][٤] الطاهرة والمكارم الهامرة ، التى ثبَتَتْ فى أوراق الآفاق آىَ مفاخرها المَتْلُوَّة ، وأوجب لها الملك حقوق الأُبوَّة ، أعلى الله درجتها فى عِلِيِّين ، وأسعدها بجوار كرايم المختار من أُمَّهات المؤمنين . فيا له من فاجع[٥] لم ينفع فيه إلّا الاسْتِرجاع ، وخَطْبٍ تساوى عند الجبان والشُّجاع ، وطارقٍ لم يُغن فيه الدفاع ، وهاجم لم تأنف له القبائل والأَتْباع ، والعشائِر والأَشْياع ، أهاب الملك بأعلى ذخائِره المحسوبة ، وأسنى حسَناته المكتوبة ، وأعظم عُدَده المصونة المحجوبة ، على حين سحَّت سُحُب الآمال

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عميما) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سنا) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (كامن) ، والتصويب من الملكية .
(٤) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فادح) .

وجادت ، وانتظمت عقود الشَّمل أَو كادت . فإنا إلى الله تَسْليماً لحكمه ، وانقياداً لما سبق على من خلق فى علمه ؛ هى عادة الأَيام تَعْثُر فى مرحها ، وتشرب كأس فَرَحها . لاكن الحوادث إذا تخطَّت مقامكم الذى هو المقلَّة الباهرة والعمدة الناصرة ، والعُدَّة الفاخرة ، والقطب الذى تدور عليه الدنيا والآخرة . فهى قد أَقصرت وإن أَفْصَدت ، وأَصحَّت وإن أَرْعَدت ، وأَخْلَفت ما أَوعدت ، وإن تعدَّت أَو عَدَت . وتلك الجهة الكريمة وإن أَعجل القدر الحتم جَنابها ، وحثَّ إلى خير علم ما عند الله ركابها ، قبل أَن يشاهد ما يرتقب لمقامكم من إنجاز الوعد ، وتضاعُف مواهب السعد ، فسترد على مجدها المجُود بسحاب الرحمة ، المقصود بركائِب الفضل من الله والنعمة[1] ويَنْثال فيه من حسناتكم الجِهادية ، وبركات الدَّعوة التى ترفُّ عليكم من هذه الأُمة المحمدية [مدد لا تعب][2] زائِره ووافده ، ونور تسطع بتلك التربة الزكية شواهده ، حتى يتَّصل لها بكم فى الدارين أَسباب السرور ، وتَقَرُّ عيناً تَفِد[3] على ضريحها المبرور من البَركة الهامية والنُّور . فمن ترك بينه وبين الله مثلكم ، فقد تخلَّف العمل الذى لا ينقطع مدده ، والفخر الذى لا يَبْلغ أَمده . ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أَنه قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، فذكَر ولداً صالحاً يدعو له ، وصدقَةً جارية ، وعملاً يُنتفع به ، وقد اجتمع لها الثلاثة والحمد لله فى نَظْم متَّسق ، وتألَّف لها منه كلٌّ مفترق لما أَعده الله لقدمها من أَسباب الكرامة ، وعُلُو الدرجة فى دار المقامة . واعلمو أَيدكم الله ، أَن هذا الخطب الذى طرق ذلك الجناب الأَرْفَع ، والجلال الذى تجلى المجد والطهارة تلفَّع ، لو كان مما يُقبل فيه الفِدا ، أَو يعمل بسببه الندا ، لكانت النفوس من خُلْصان مقامه الرفيع وأَوليائه

---

(١) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة بالملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .

بعض فدائِه ، والمبادرة تسبق أَول ندائِه ، ولا كنه أَمر تُذْعن له المراكب المُخْتالة والرماح المُنْثالة ، والجنود المجنَّدة ، والصِّفاح المهندة ، وحُكْمٌ لا يُعترض فضله ، ولا يُدفع نصله ، ولا يُتأَول مسنده. ومقامكم الأَعلَى ، يتلقى أَمر الله بالتسليم والرضا ، ويرضى بحكمه جل جلاله فيما قَضَى ، ويعلم أَن الدنيا ليْسَت بدار القرَار ، وأَن ما عند الله خير للأَبرار ، والصبر أَعلى الذَّخائِر ، وأَسنى المفاخر . وقال الله تعالى ، لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، فقد سهَّل مضضُ فقده كل خَطْبٍ من بعده ، وسلَّى كلَّ واجد عن وجْدِه ، وعن مثابتكم توخذ السِّير الفاضلة وتُلتمس ، ومن آثاركم وآثار سلفكم تقتضى المراشد وتُقْتَبس[1] ، وأَننا لما اتصل بنا هذا الخَبر ، وجَّهنا إليكم من ينوب عنا فى سُنَّة العزا ، من المساهمة بأَوفى الأَجزا [ولولا حكم الضروة لم نقنع برخصة هذا الإجراءِ][2] لاكن الأُمور مثلكم من يتأَملها ، والأَعذار فضلكم يقبلها ، والذى عينا لذلك هو [قريبنا الريس الأَجل الأَعز الأَود الأَخلص الأَصفى ، أَبو جعفر ابن الرئيس الجليل الماجد الرفيع المجاهد الأَشهر الأَخطر الأَحفل الأَكمل الموقر المرحوم أَبى الحسن بن نصر ، وصل الله عزته ، ووالى سعادته ورفعته][3] ومجدكم ينعم بالإصغاءِ إليه فيما أَحَلْنا فيه من ذلك عليه . والله سبحانه يقى مجدكم من طَرْق الحوادث ، ويحرس حِماه من هجوم الخطوب الكوارث ، ويجعله الوارث ، ويحفظ من شرب الغير تلك المَوارد ، ويضاعف نعمه عندكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (وتلتمس) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية . ومكانها فى الإسكوريال (الريس فلان) .

كتب الشفاعات

المقامُ الذى ظلالُ فضله مَحْدُودة ، وينابيع جُوده مَوْرُودة ، وأبواب مَثَابته مقصودة ، [وحركات إقباله مَرْصودة][1] وكتائِبُ نصره مؤيدة معضُودة ، وجواهر فخره على تَرائِب الزمان ونَحْره متسوِّقة مَنْضُودة . مقام محل أخينا ، الذى نصل الثنا على معاليه ، ونَقْتَنص نتيجة النصر من مقدَّم وعده وتاليه . [ونورد مُنفصل حَمْده ونواليه][2] ، على استمرار الدهر وتواليه ، ونتوعَّد العدو الكافر[2] به وبمن يُواليه ، وننذره بحلول الأَثر العلوية عند شيم بوارق عواليه . السلطان الكذا [ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا][3] أبو عنان ، أبقاه الله مقصودَ الْجَناب ، واصلاً لمنبتِّ الأَسباب ، تُحيي أَسنَّةُ كتائِبه رسوم السُّنَّة والكتاب ، وتتكفل عزائِمه للإسلام وأهله ، بنيل الطِّلاب وبلوغ الآراب ، ولا زال سعدُه مُقْتَبل الشَّباب ، مَفَتَّح الأَبواب ، وصُنْع الله له أَنيق الأَثواب ، ومراقبته لله تعالى كفيلة بالزُّلفى وحُسْن المآب . معظَّم مثابته العالية ، ومَجادته السامية ، المعتدُّ بعزائمه الماضية ، المثنى على مكارمه الوافية ، وفواضله الكافية ، الداعى لمُلْكِه باتصال العزِّ وتولى العافية . الأَمير عبد الله يوسف بن أَمير المسلمين أَبى الوليد اسماعيل بن نصر ، سلام كريم بَرّ عميم [يخص مقامكم الأَعلى ومثابتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته][4] .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله ولىِّ الحمد وأهله ، والثناء عليه بمتواتر[5] جوده ومُتَرادف فضله ، الذى نمحض الود الخالص من أجله ، ونصل اليد على دفاع من حاد عن

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية والفاتيكانا .
(٢) زائدة فى الملكية والفاتيكانا .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانا ، وساقط فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بمواهب) .

سُبله ، ونُخلص الضمائر لإعلاء دينه الحق وجَمعْ شمله . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد خير أنبيائه وخاتم رسله ، الذى يُعَوَّل على جاهه فى الأَمر كله ، ونَأْوى فى الدنيا والآخرة إلى ظله ، ونجعل المودة فى ابتغاء مَرْضاته وسيلة إلى [كريم[1]] محله. والرضا عن آله وأَصحابه ،وأَنصاره وأَحزابه ، وأَهله المقتدين [بقوله وفعله][2] المهتدين بهَدْيه ، فى ظَعْنه وحِلِّه ، وعَقْده وحَلِّه ، المستمسكين بمتين حَبْله ، والدعاءُ لمقامكم الأَعلى بنصر يمضى فى الأَعدا شباً نصله ، وصُنْع يتكفل للإسلام ببسُوق فرعه ، وثبات أَصله . فإِنا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعداً ، تطلع فى أُفق الإسلام كواكِبُه ، ونصراً تسطر فى صُحف الأَيام عجائِبه ، وصُنْعاً إلاهيّاً ، يعرف بالحاضر منه غائِبه ، واعتناءً تتيسَّر به آمال الدين الحنيف ومطالبه . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من التشيّع لمقامكم عقائِدُ بواطنها بالظواهر مقصودة ، وأَوقاتها بما يرضى الله عز وجل مشهودة ، وآمالنا بالاعتداد بكم ظلالها مَمْدودة ، وجهاتنا بتأَميل مقامكم ، أَبواب المخاوف عنها مَسْدُودة . أَبقاكم الله بَقًا يشرح صدر الإسلام ، وتتهال له وجوه الأَيام ، وحكم للككم على أَعدائِه بثبات الأَقدام ، ونصر الأَعلام . وإلى هذا فإِننا ، بعد أَن نقدم الواجب الأَولى المهم ، الذى لا نوثر[3] على تقديمه قولاً ، من السؤال عن أَحوال ذاتكم السنية ، هو تقرير التشيُّع إلى تلكم المثابة[4] السلطانية ، وبث ما عندنا من خلوص الضمير وإمحاض النيِّة ، نعرفكم ، عرفكم الله أَسباب السعادة الأَبدية ، ونصر بعزماتكم طائِفة الأُمة المحمدية ، ونفع المسلمين بما لنا فيكم من المقاصد الودية .

إن الشيخ الفقيه الخطيب الحاج أَبا عبد الله بن مرزوق ، وصَلَ الله عزته ،

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (المقتدين به فى قوله الكريم وفعله)

(٢) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) واردة بالإسكوريال ، ومكانها بياض بالملكية .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (الآثار) .

ويسّر وُجهته ، لما ورد علينا ، واستقر لدينا ، وهو جملة من جُمَل الفضل ، والمستولى على أمد الخَصْل ، وفارس المنابر يروض صعابها ويُفرِع هِضابها ، قمنا جهد إمكاننا بحقه ، وعرفنا له مزية سبقه ، واقتدينا بكم وبسلفكم فى تَرْفيع قدره ، والمثابرة على بره ، وسوغنا لمستفيد العلم مورد إفادته ، وشددنا عليه يد الاغتباط فى إبدائِه وإعادته ، إذ هذا القطر المنقطع ، يتوفر فيه الاغتباط بحملة السيوف وحملة العلوم ، هؤلاءِ لإقامة الجهاد المحتوم ، وهؤلاءِ لإقامة ما للدين من الرسوم . ومع ذلك فلم يقرَّ له بتفريق شمله قَرار ، ولا فارقة إليهم حنين ولا ادِّكار ، [والأَوطان هى الأَركان][1] والأَولاد ثمرة الفؤاد ، وأَفلاذ الأَكباد . ولما صدر فيما تقدم من التماس وصولهم ما لم يهيئه المقدار ، ولا صحبه الاختيار ، عزم الآن ، والله يسنى توفيقه ، ويسهل طريقه ، على قصد بابكم الكفيل بالأَمل[2] ، الضَّمين بنجاح العمل ، ليجدِّد العهد بتعظيم مثابته ، ويبث ما يعانيه [بسبب تشتيت][3] شمله من كآبته ، ويباشر الرغبة بنفسه ، واثقاً بتلبية المقام الكريم وإجابته ، ولم يزل منه هذا العزم مُعْمل الرِّكاب ، مفتَّح الباب ، لاسيما مع ما تقدَّم فى شأْنه من مخاطبة ذلك الجناب ، وكنَّا نَكِل الأَمر إلى اختياره عند ورود الخطاب ، فيعتذر بما قرر من الأُمور الخاصة والأَسباب. والآن أَفصح[4] بتغلُّب شَوْقه ووَجْده ، وارتفاع أَعذاره ، واستقامة قصده[5] ، وشرع فى اللحاق ببابكم الأَعلَى بغاية جدِّه ، وطلب منا أَن نخاطبكم فِى شأْنه ، ونستمطر له من مقامكم سحائِب إحسانه ، ونرغب منكم فى تيسير أَمله ورغبته ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الأوكار) والعبارة كلها ساقطة فى الفاتيكانه .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الآمال) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الفاتيكانه ، وورد مكانها فى الإسكوريال (بشت) ، وفى الملكية (بتشتيت) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية ، والفاتيكانه (أعرب) .

(٥) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (صدره) والأولى أرجح .

وإسعاف غرضه ، ونيل طلبته ، ومقامكم غنيّ عن التنبيه على من اشتهر بالخلوص له ولسلفه ، والدعاء الصالح فى دياجى الليل وسَدَفه ، والثناء الكريم ، الذى يخجل الزهر حين مُقْتَطفه ، فبادرنا إلى إسعاف سؤاله ، وتيسير مأموله ، وتسهيل سبيله ، وترجيح دليله ، إذ هذه الجهات الودية ، لا يختلف كما ذكرنا حكمها ، ولا يعفو فى المودة رسمها . وعرَّفنا مقامكم بذلك ، ليكون منه على علم مقرر ، وأصْل محرر ، ونحن على ما يعلمه مقامكم ، من التعظيم ، الذى أسبابه مبرمة ، والتشيُّع الذى آياته ثابتة محكمة ، والود الذى [مطرزة][1] حلَلُه مُعلمة ، لا يمر يوم إلاَّ ولَدَيْنَا من مقامكم العلى سؤال ، وفى تسنى أمله يحول الله آمال . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم ، البر العميم ، يخص مقامكم الأعلى ، وأُخوّتكم الْفُضْلَى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(٦) هذه الكلمة زائدة فى الفاتيكانا ، وساقطة فى الإسكوريال والملكية .

وأصدرت أيضاً

عن السلطان أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد ابن نصر مخاطبة السلطان أبى عنان ابن السلطان أبى الحسن ابن السلطان أبى سعيد فى شأن والى مَرْبَلَّة لذلك العهد الشيخ المكرم المبرور أبى زكريا البرقاجى وقد تقاعد بأحواز جبل الفتح عندما انفصل عن ولاية مربلَّة [١]

المقامُ الذى له القدر الرفيع ، والعز المنيع[٢] ؛ والمكارم التى حسن منها الصَّنيع . مقام محل أخينا الذى نعظم جانبه ونتمم من الإجلال واجبه ، ونشكر فى سبيل الجهاد مذاهبه . السلطان أبى عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن [وعزمه إلى الغايات البعيدة متراميا][٣] أبقى الله سعده صاعداً سامياً ، وجوده هاملا[٤] هامياً ، وفضله يعمُّ قاصياً من الأقطار ودانياً . ولا زال الدين الحنيف اركن شديد من معاضدته[٥] ثاوياً ، مهما خاف ضدًّا أو شكى مُناوياً ، والوجود لأخبار جوده وبأسه راوياً ، محل سلطانه الجارى فى التشيُّع لأُخُوَّته الكبرى ملء عَنانِه ، الداعى إلى الله فى صلة سَعْدِه ، وإعلاءِ شأنه ، ونصره ، على أحزاب الكفر وشيع طُغْيانه . الأمير عبد الله يوسف [ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر][٦] سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) مربلة ثغر أندلسى صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوبى غربى مالقة وشمال شرقى جبل طارق ، وكان لها شأن بين ثغور مملكة غرناطة لحصانة موقعها وغنى مواردها .

(٢) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (الرفيع) مرة أخرى وهو تحريف .

(٣) هذه العبارة واردة فى الفاتيكانه وساقطة فى الإسكوريال والملكية .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (آوياً) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (معارضته) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

أَمَّا بعد حَمْد الله أَهلِ الحمد والثنا ، الذى نتعاون فى ذاتِه ، وابتغاءِ مَرْضاتِه ، على جهاد الأَعداءِ ، ونلتمس بذلك الفوز لديه يوم الجزاءِ . والصَّلاة على سَيِّدنا ومولانا مُحمد رسوله سَيِّد الرسل وخاتم الأَنبياء [الداعى إلى السبيل السواء][1] الهادى[2] إلى الحجة الواضحة البيضاءِ ، نبى الرحمة الذى نلجأُ فى جاهِه إلى الرفيع من اللواء ، ونستدرُّ ببركتِه أَخلاق النعماء . من رب السماء . والرضا عن آله وصحبه البَرَرَة الأَتقياء ، أُولى المفاخر الباقية على تعاقب الآناءِ ، المهتَدى بهم من بعده كما هَدَى نجمُ الظَّلماءِ . فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من فضله بلوغ الأَمل[3] الرجاءِ ، وسَنَى بنصركم حياطة الأَرجاءِ ، من حَمراءِ غَرْناطة ، حرسها الله والاعتداد بكم فى الله وثيق البناءِ ، والتشيُّع فيكم متصل [الأَسانيد صحيح][4] الأَنباءِ ، والثناءِ على معاليكم السامية العلاءِ [متوالى الإقبال متصل الولاءِ][5] . وإلى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ، فإن مؤَديه إلى مقامكم الكريم ، [ومثابتكم التى لها فى الفضل مزية التَّقْديم][6] ، خديمكم الشيخ الأَجل[7] المكرم أَبا زكريا البرقاجى[8] الوالى بمَرْبلَّة ، وصل الله كرامته ، وسنِّى سلامته ، يقرر لديكم ما ثبت عندنا من حسن أَنحائه ومشكور بلائه ، وما بذله فى هذه الأَيام الفارطة بمربلَّة وجهاتها من تَسْديد الأُمور ، وتمشية أَحوال ما يرجع إليها من الثغور ، بالجد المبرور ، والقصد المشكور ، وأَنه لم

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والفاتيكانا ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الداعى) .

(٣) زائدة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الفاتيكانه ، ومكانها فى الإسكوريال والملكية كالآتى (متصل الولاء) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٧) زائدة فى الملكية والفاتيكانه .

(٨) الإسمان واردان فى الإسكوريال والملكية ، وساقطان فى الفاتيكانه .

يزل يباشرها بنفسه ويتفقَّدها ، ويمشى واجباتها ويسدِّدها ، ويحاول ما أمكن من مجابيها ، ويبذل الأعمال المشكورة فيها ، وأنه لما عزم فيما سلف على اللِّحاق ببابكم ، والتوجه إلى كريم جَنابكم ، أشرنا عليه بالمقام ، لما علمنا من غِنائِه ، وتحققنا من اكتفائِه ، ولكون مربلَّة حرسها الله ، كان قد توفى قائدها رحمه الله ، فرأينا أن إقامة الوالى المذكور فيها ، لتسديد نواحيها ، وقبض مالا يعرفه غيره من مَجابيها ، من الأسباب[١] التى تعود بمرضاة أهلها ، ونكاية أعاديها ، ولما نعلم من أن هذا القصد يقع برضى من مَثابتكم ، حرس الله أكْنَافَ[٢] معاليها . فأقام الذكور جارياً مما عهد منه على سُنَن ، وباذلاً من الخدمة كل قصد حَسَن ، ولما وقع العزم الآن على إشْخاصه إلى مقامكم الكريم[٣] واستقدامه ، قررنا عندكم عُذْرَه فى مقامه [لتكونوا على علم من اجتهاده فى خدمتكم وجدِّه وما بذله من حميد سَعْيه وحسن قصده][٤] [وجنابكم لا تضيع عنده وسيلة ولا تاتبس منها لديه مخيلة][٥] وبادرنا إلى تعريف مقامكم بذلك وإعلامه ، لتكونوا على يقين ، وسبيل مُبين . ونظركم فى ذلك أعْلَى ، وبكل جميل أولى . والله يصل سعادتكم ، ويوالى رفعتكم . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعْلَى ، ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا .

وكتبتُ أيضاً عنه فى غرض الشَّفاعة بما نصّه :

المقامُ الذى مقاصده كلها صالحة ، ومكارمه واضحة ، ومساعيه إن شاء الله فى نصر الإسلام ناجحة . مقامُ محل أخينا الذى نجلُّ مقامه ، ونصل بره وإعظامه ، وندعو الله عز وجل ، أن ييسر فى الظهور على العدو الكفور مرامه . السلطان الكذا

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية والفاتيكانه (الأبواب) .
(٢) زائدة فى الإسكوريال .
(٣) زائدة فى الملكية .
(٤) مابين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .
(٥) ما بين الخاصرتين واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى الملكية والإسكوريال .

أبى عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد بن عبد الحق أبقاه الله عالى المجد ، مؤمَّل النصر ظاهر السعد ، كفيلاً عزمه السلطانى للإسلام وأهله بإنجاز الوعد ، معظَّم إخائِه الكريم ، ومُوَقَّر مجده الصميم ، المعتَدُّ بسلطانه الرفيع ووُدِّه السليم ، الملتزم لما يجب لمقامه العلىِّ من الإجلال والتعظيم ، المتم لشكر فضائِله الجزيلة ، ومقاصده الجميلة أكمل التَّتميم ، الجارى فى توفية واجبه ، وإجلال جانبه على المنهج القويم . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسمعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب بَرّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى[1] الأسعد ، ويعتمد محلكم الأرفع الأمجد ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الواجب حمده ، المتوالى إنعامه ورِفده ، الذى جعل التواصل فى ذاته سبباً لا ينفصم عقده . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الرفيع قدْرُه الكريم مجده ، رسول الرحمة الذى أشرق بدعوته غور المعمور ونَجْده ، الداعى إلى الدين القويم ، والصِّراط المستقيم ، لا يضل قصده . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين أنجز بنصرهم وعده ، ورفعت بهم أركان ملَّته ، بعدما ضُمَّ عليه ضريحُه الطاهر ولحدُه ، والدعاء لمقام أخوتكم العالية بالسعد الذى لا يبلغ حدَّه ، والنصر الذى يمضى فى الأعداء حدَّه ، والتأييد الإلاهى الذى لا يتقلص مُمْتَدُّه . فإنَّا كتبناه لمقامكم الأسمى ، كتب الله لكم[2] من السعادة أوفرها حظاً ، ولا أعدمه رعاية منه ولحظاً . من حَمراءِ غرناطة حرسها الله ، ولا متعرَّف بفضل الله الذى عوَّده ، ولطفه الخفى ، الذى لا تبلغ الأفكار أمده ، وصنعه الجميل لمن فى هذه الأقطار الغريبة المفردة ، ثم ببركة الاعتداد بمقامكم نصره الله وأيده ، وأعلى على العدو الطَّاغى يده ، إلّا ما يُرجى من انْبِلاج صباح النصر ، والألطاف التى تجلُّ عن الحصر ، والصَّنايع التى تحمد

---

(١) زائدة فى الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الفاتيكانه وساقط فى الإسكوريال والملكية ونسبته واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكانه .

فيها بحول الله وقوته عاقبة الصبر ، وجانبكم العدَّة التى يعول عليها الإسلام فى جميع الأَمر ، وتُلتمس الإعانة من تلقائِه على مر الدهر ، وثناؤنا على معاليكم الحافلة طيب النَّشر ، كريم الْخُبْر والْخَبَر ، ووُدُّنا لكم خالص السِّر والجهر[١] وموجبه إليكم ، هو أنه تأْدى إلينا كتابكم المبرور فى قضية الشيخ أَبى الربيع سُليمن ابن الشيخ أَبى سعيدعثمان بن أَبى العلى أَعزه الله . تذكرون أَن من هنا لكم من قومه بسطوا يد الرغبة إلى مقامكم فى أَن يجتمع شملهم بالمذكور ، وتكمل لهم بمقامه معهم فى تلك الخدمة السعيدة أَسباب السرور ، فأَسْعَفْتُم قصدهم فيما رغبوه ، وآثرتم إسعافهم فيما مِن مَقامكم الأَعلى طلبوه ، وعرضتم علينا تكميل هذا الغرض المطلوب والقصد المرغوب ، وإشارة مقامكم الأَعلى عندنا مقبولة ، وأَغراضه الفاضلة على كاهل البرِّ محمولة ، ومثابرتنا على توفية أَغراضكم ، جهتكم[٢] الكريمة موصولة [وقد أَذنا إلى أَبى الربيع المذكور فى التوجه إليكم][٣] والقدوم عليكم مثابرةً على تحصيل ما قصدتم ، ووقوفاً عندما حدَّدتم ، وعلماً أَن من جَنَح إلى إيالتكم المنصورة ، وانتقل إلى خدمة [بابكم التى آثاره مبرورة][٤] فكأَنَّه ما برح عن مكانه ، ولا انتقل عن شأنه ، إذ الأَحوال كلها واحدة ، والعزايم فى كلتا الجهتين على جهاد العدو مُساعدة . ولو طلب منا المذكور اللحاق ببابكم ، والانضواء إلى جنابكم قبل وصول كتابكم المرفع وخطابكم ، لم يجد طلبه عندنا صدًّا ، ولا عرفت رغبته ردًّا ، فكيف بعد أَن اقتضت مخاطبتكم خلاص القضية ، وتوجهت فيها إشارة أُخُوَّتِكم المرضية ، وما نحن إلاَّ على أَتم ما يجب لمقامكم من [تَتْميم المقاصد][٥] وتكميلها ، وإجلال الجوانب وتعجيلها[٦] [وصلة ،

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (بلدتكم) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .
(٤) هكذا وردتهذه العبارة فىالإسكوريالوالملكية ، وورد مكانها فى الفاتيكانه (أخوتكم المبرورة) .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (تكميل المقاصد وتتميمها) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (وتعظيمها) .

حديث الود يقيمها][1] والله تعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم [ويحفظ دركم ويضاعف نعمه عندكم][2] والسلام الكريم عليكم كثيراً ورحمة الله وبركاته . [وكتب فى آخر رجب الفرد المبارك من عام خمسين وسبعماية ، عرَّف الله خيره][3] .

وكتبت عنه فى قريب من هذا الغرض ما نصه :

المقام الذى تُحطُّ الرحال ببابه ، وتترامى الآمال إلى جنابه ، ويتمسّك الإسلام على بعد الديار واعتراض البحار بأسبابه ؛ مقام محل أخينا ، الذى آمال الإسلام ، بمظاهرة مُلْكه الرفيع معْقُودة ، وبابه برغبات أهله مقصودة ، وسبب اعتداده بعزائمه الماضية ، ومكارمه الراضية قوية مشدُودَة . السلطان الكذا أبى عنان ابن السلطان الكذا أبى الحسن[4] أبقاه الله ، ومثابتُه حَرَمٌ تهوى إليه أفئدة الناس ، ومفاخرُه ميدان ، تتراهن فيه جياد الجود والباس ، ونصوص سعادته ، تغنى عن القياس القياس ، معظم مقامُه الذى تعظيمه هو الغرض الأكيد ، المُثْنَى على مكارمه التى لها الصِّيت البعيد ، المعتد بوُدِّه الذى هو السبب الوثيق بفضل الله والرُّكن الشديد ، والذُّخر الذى لا يَبيد . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسمعيل ابن فرج بن نصر . سلام كريم عليكم[5] ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله مُلْهم المراشد ، ومُنْجح المقاصد ، المؤمَّل فى الشدائد ، الكريم العوائِد ، الذى بالتوكل عليه تُفتح أبواب الفوائِد ، ونَدْرَأُ فى نحر العدو المكائِد .

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية والفاتيكانه .

(٤) الإسمان ساقطان فى الفاتيكانه.

(٥) وردت هذه التحية فى الملكية والفاتيكانه كالآتى: (سلام كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الأعلى ، ومثابتكم الفضلى) .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله الذى شرع من شريعة الإسلام أعذب الشرائع ، وأصْفَى الموارد ، وهدى الناس [سبيل السّوا][1] وقد بان جور الجائِر ، وحيد الحائِد، وحملهم على نهج الهدى، كما حَملت السَّوايم عصى الرَّائِد، حتى تعوضوا النعيم الخالد من المتاع البائِد . والرضا عن آله وصحبه الكرام الأماجد ، المقتدين بهديه الصالح، السالكين على سننه المقاصد[2]، والدعاء لمقام أُخوتكم السامى المراقى والمصاعد ، بالسعد الكريم الغائِب والشاهد ، والنصر الذى يقضى[3] بكبت العدو المعاند . فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعداً باهراً ، وعزًّا ظاهراً ، وصُنعاً[4] سافراً ، وحظًّا من عناية الله وافراً . من حَمراء غرناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه إلاَّ ما يؤَمل من فضله[5] المرجو فى كبت هذا العدو ، ونرتقب من عوائِد صنعه الجميل فيه مع الرواح والغُدُو ، وجانبكم بعد الله هو الصُّنع[6] المؤَمل ، والملجأُ الذى عليه المُعوَّل . وموجبه إليكم وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، هو أن الواصلين بكتابنا هذا إليكم ، والواردين بخطابنا عليكم ، وهو وفد مَنْ برُنْدة عَصَمها الله ووقاها ، ودفع عنها وعن سائِر مدن الإسلام شر عداها ، من قوادها وولاتها وأجنادها [وحماتها وأشياخها ووزرائِها وطلبتها وفضلائِها وفقهائِها ، وكافة دَهْمائِها][7] وصل الله صلاح أحوالهم ، وإنجاح أعمالهم . يريد أن يقرر لدى مقامكم أعلاه الله وأيده ، وأظهر أمره وأسعده أنهم لم يمنعهم من الوفادة على مثابتكم العالية الساطان ، المتَّصفة بالعدل والإحسان،

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (إلى سواء السبيل) .

(٢) وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه (القاصد) ، والتصويب من الملكية .

(٣) ورد مكانها فى الفاتيكانه (يمضى الحكم) .

(٤) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانه .

(٥) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية والفاتيكانه (لطفه) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الوزر) .

(٧) ورد فى الفاتيكانه مكان هذه العبارة الطويلة ما يأتى فقط (وكافتها وأشياخها ودهمائها) .

فيما انصرم من الزمان ، إلاَّ ما عليه حال هذه الأقطار من تكالب الكفار ، وتعذُّر الأوطار . ولا خفاءَ بحال البحر ، وتلاعب الأُسطول الكافر بين أثباجه ، وترامى غِربانه فى هَضْبات أمواجه ، وأخذها لجميع ثناياه وفِجاجه ، وما زلنا نعدهم بأنا نوفد على جنابكم الرَّحْب إرسالنا ، ونعلق بمقامكم الرفيع آمالنا ، فنشملهم بهذا الغرض ، ونقيمهم فى صفٍّ[1] هذا الواجب المفترض ، ونجعل هذا القصد للجميع شاملا ، والجَفْن للطائِفين حاملا ، ورغباتهم فى تعجيل القدوم عليكم ، والبدار إليكم ، يقيم القلق فيها ويقعد ، والآمال الصادقة تقربهم من المثول بين يديكم ، وأحوال الدهر تُبْعد . فلما تهيأ سفر من عيناه للرسالة ، والقدوم على تلك الإيالة ، الرفيعة الجلالة ، أوعزنا لهم أن يلبثوا[2] بمالقة حرسها الله ، بخلال ما يتصل بذلك النفر استدعاؤنا إياهم للسفر ، فاتفق أن كان ببحرها من حربيّات[3] العدو ، من يجتاز بتلك الأجواز ، ويمنع الجواز ، اغتنم ناسنا غفلته عن مراقبتهم وانحرافه عن مُصَاقَبتهم ، ورأوها فرصة تُنتهز ، وغنيمة تحرز ، فركبوا البحر على عجل ، وبادروا للسفر من غير تربص ولا كسل ، ونرجو أن يكونوا قد حصلوا على القصد ، واتصلوا بتلك الإيالة الكريمة المجد ، الباهرة السعد ، ووصل هذا الوفد المبارك المذكور ، بما فى استطاعتهم من بدارهم وإسراعهم [معلنين بطاعتهم][4] فحلَّوا مالقة حرسها الله ، على أثر سفر الإرسال وإقلاعهم . [وتعرفنا الخبر فبادرنا إلى تكميل أغراضهم المبرورة وإعانتهم[5]]على ما توجهوا إليه من المساعى المشكورة ، وأمرنا بتعمير جَفْنٍ ثان يكون فيه سفرهم إلى بابكم المقصود ، وظلكم الممدود ، والمثول بين أمثالهم من كرام الوفود . وخاطبنا مقامكم الذى

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه وفى الملكية (نوصف) .

(٢) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (ليتأتوا) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (أجفان) .

(٤) زائدة فى الفاتيكانه .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

يقبل الأعذار إذا ظهرت ووضحت وجوهها وبَهرَت ، تبين لكم أمرهم ، ونبسط عُذرهم . وإنما هو ، أبقاكم الله مسعى[١] لا يُشان بإخفاق ، وفرض وقتُ أدائه متَّسع باق ، وملك مَدَّ من الصفح خير رواق ، وأورد من موارد الجود كل رِقْراق. وهم يَرِدون على مثابتكم العليا ، الجامعة بين مكارم الدين والدنيا [سفراءَ عن مَنْ دونهم][٢] [فاشرحوا صدور مَنْ وراءهم من المسلمين بقبولكم ، وأقروا عيونهم ، وحققوا آمالهم ، وصدقوا ظنونهم][٣] فمقامكم رحب لمن حَطَّ بفنائِه ، وأعلق[٤] به كف رجائِه . عرفناكم بهذا لتكونوا منه على علم ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم البر العميم يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته .

وكتبت عن السطان لهذا العهد

أمير المسلمين أبى عبد الله ابن السلطان

أبى الحجاج بن نصر ، وقد وصل لأول دولته

الفقيه الأستاذ قاضى حضرة المغرب أبو عبد الله

المقرَّى رسولاً عن السلطان أبى عنان وعزم على

الإقامة بالأندلس خارجاً عن عُهدة الرسالة

المقام الذى يحسب الشَّفاعة ويرعى الوسيلة ، وينجز العُدَّة ، ويتمم الفضيلة ، [ويعرف العوارف الجزيلة][٥] ، ويبغى حَمْدُه المادح العريضة الطويلة ، مقام محل والدنا[٦] الذى كرم مجده [ووضح سعده][٧] وصح فى الله عقده ، وخلص

(١) واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكانه.

(٢) هذه العبارة واردة بالملكية والفاتيكانه ، وساقطة بالإسكوريال .

(٣) فيما بين الحاصرتين فى الفاتيكانه تقديم وتأخير .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (اعتلق) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وورد مكانها فى الملكية والفاتيكانه (ويضفى مجده المتن الجزيلة) .

(٦) فى الإسكوريال (أخينا) .

(٧) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانه .

فى الأعمال الصالحة قصدُه ، وأعجز الألسنة حَمدُه السلطان الكذا ، أبقاه الله لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها[وأخلاق جميلة][1] تجيب دعوة طبعه الكريم مهما دعاها ، معظَّم سلطانه الكبير ، وممجد مقامه الشهير ، المتشيع لأُبوته الرفيعة ، قولاً باللسان واعتقاداً بالضمير ، المعتمد منه بعد الله على الملجإ الأَحْمَى والولىِّ النصير ، الأَمير فلان . سلام كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الأَعلى ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله الذى جعل [الخلق الحميدة][2] دليلاً على عنايته بمن حلا بمحلاَّها ، وميز بها النفوس التى اختصها بكرامته وتولاها ، حمدًا يكون كفُواً للنعم التى أَولاها ، وأَعادها وأَولاها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المترقى من درجات الاختصاص أَرفعها وأَعلاها ، الممتاز من أَنوار الهداية بأَوضحها وأَجلاها ، مطلع آيات[3] السعادة يروق مُجْتَلاها ، والرضا عن آله وأَصحابه ، الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها . وعسَّل[4] فى الأَفواه ذكرهم ، فما أَعذب أَوصافهم على الألسن وأَحلاها ، والدعاء لمقام أُبوتكم حرس الله علاها ، بالسعادة التى يقول أَنا طلاَّع الثنايا ابنُ جَلاها ، والصنائع التى تخترق المفاوز[5] بركائبها المبشرات فتُفلى فلاها . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عزة مشيَّدة البنا ، وحشد على أَعلام صنائعكم الكِرام جيوش الثَّنا ، وخلَّدكم من قلائد مكارم الأَخلاق ما يشهد لذاتكم منه بسابغة الاعتنا . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، والوُدُّ باهرُ السَّنا ، مجدِّد الأَنا ، والتشيُّع رَحْبُ الدَّسْت[6] والفنا . وإلى هذا

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الحمد) ، والتصويب أرجح .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أنوار) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (عمل) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانا .
(٥) وردت فى الفاتيكانه (المفارق) وهو تحريف .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الدسيعة) .

[وصل الله سعدكم وحرس مجدكم][1] فإنا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأْن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح ، أَبى عبد الله بن المقَّرى ، خار الله لنا وله ، وبلغ الجميع من فضله العميم[2] أَمله ، جواباً عما صدر عن مثابتكم فيه من الإشارة الممتثلة ، والمآرب المُعْمَلة ، والقضايا غير المهملة ، نصادركم [فى ذلك] بالشَّفاعة التى مثلُها بأَبوابكم لا ترُد ، وظماها عن مناهل قبولكم لا يحلا ولا يرد[3] حسبما سنَّه الأَب الكريم والجدُّ ، والقَبِيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم[4] والحدَّ ، ولم تصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أَحواله صدق المخيلة ، وتبلُّجُ صبح الزَّهادة والفضيلة ، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأَدنى البخيلة ، وظهر تخلِّيه عن هذه الدار ، واختلاطه باللَّفيف والغِمار ، وإقباله على ما يعنى مثله من صلة الأَوْراد ومداومة الاستِغْفار . وكنا لما تعرفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذى شهره ، والقصد الذى أَبرزه للعيان وأَظهره ، أَمرنا أَن يُعتنى بأَحواله ويُعان على فراغ باله ، [ويجرى عليه سبب][5] من ديوان الأَعْشار الشَّرعية[6] وصريح ماله ، وقلنا ما أَتاك من غير مسئلة مستند صحيح لاستدلاله ، ففرّ من مالقة على ما تعرَّفنا لهذا السبب ، وقعد بحضرتنا مستور المُنْتَمى والمُنْتَسب ، وسكن بالمدرسة بعض الأَماكن المعدة لسكنى المتَّسِمين[7] بالخير ، والمحترفين ببضاعة الطلب ، بحيث لم يُتعرَّف وروده ووصوله إلاَّ ممن لا يُوبه بتعريفه ، ولم تتحقق زوائده وأُصوله لقلة تعريفه . ثم تلاحق إرسالكم الجِلَّة ، فوجبت حينئذ الشفاعة ، وعرضت على سوق الفضل والحلم ، من الاستلطاف والاستعطاف البضاعة ، وقررنا بما تحققنا من أَمره ،

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) زائدة فى الملكية والفاتيكانه .
(٣) فى الملكية والفاتيكانا (تصد) .
(٤) فى الملكية (الوصف) .
(٥) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) وردت فى الإسكوريال (الصنيعة) ، والتصويب من الملكية .
(٧) وردت فى الفاتيكانه (المنتمين) .

وانقباضه عن زَيْد الخلق وعَمْره ، واستقباله الوجهة التى من ولىَّ وجهة شِطْرها ، فقد أثر أثيراً ، ومن اتباعها بمتاع الدنيا ، فقد نال [فضلا كبيراً][1] وخيراً كثيراً ، وسألنا منكم أن تُبيحوا له هذا الغرض الذى رماه بعزمه ، وقصر عليه أقصى همه ، فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه ، ويحصل منه طالب الآخرة على حظِّه الباقى وقَسَمه ، ويتوسل الزَّاهد بزُهده ، والعالم بعِلْمه ، ويُعَوِّل البرى على فضله ، ويثق المذنب بحلمه . فوصل الجواب الكريم بمُجدَّد الأَمان ، وهو أَربٌ من آراب وفائدة من جراب ، ووجه من وجوه إعراب ، فرأينا أن المطل يُعَدُّ جفا ، والإعادة ليس بثُقْلها خفا ، ومجدكم بما ضمَّنا عنه وَفا . وبادرنا إلى العزم عليه فى ارتحاله ، وأن يكون الانتقال من صفة حاله ، وأن يقتضى ثمرة المقصد ، ويبلغ طيَّةَ الإسعاف على السبيل الأَقصد ، إذ كان لمثله ممن بجناب الله تعلق [من مثلكم][2] حاصلا . والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالبُ كيميا السَّعادة بإعانتكم واصلا . ولما مدت اليد فى تسويغ حالة هديكم عليها أبداً يحرِّض ، وعملكم يصرِّح بمزيَّتها فلا يَعْرض . فكمِّلوا أبقاكم الله ، ما لا يسعنا فيه مساحة الكتاب ، وألحقوا بالأَصل حديث هذه الإباحة فهو أصح حديث فى الباب ، ووفوا غرضه من مجدكم [وجميل عهدكم][3] وخلوا بينه وبين مراده من تَرْك الأَسباب ، [وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب][4] والتَّشْمير ليوم العرض ومَوْقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجَناب ، الذى تعلق به ، أعلق الله يديكم به من جناب . ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكمَّلة الآراب . وقد بعثنا من ينوب عنا فى مشافهتكم

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى الفاتيكانه .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

فيها أحمد المناب ، ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغِلاب ، وهما فلان وفلان . ولولا الأعذار لكان فى هذا الغرض إعمال الرِّكاب ، يسبق إعلام الكتاب ، وأنتم تولون هذا الفضل من مكارمكم ، ما يوفر الثناء الجميل [ويربى على التأميل][1] ويكتب على الوُدِّ الصريح العقد وثيقة التسجيل ، [وإنالة الرِّفْد الجزيل][2] . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . [كتب فى الحادى والعشرين من جمادى الآخرة من عام خمسة وخمسين وسبعمائة][3] .

وكتبت فى شأن الذكور

وإلى هذا [وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، وضاعف نعمته عندكم][4] فإننا وقفنا على كتابكم الكريم فى شأن الشيخ [الفقيه المقَّرى][5] ، الصالح الفاضل الكامل ، أبى عبد الله بن المقَّرى ، وفقنا الله وإياه لما يزلف لديه ، وهدانا لما يقرب إليه ، وما بلغكم من تقاعده بمالقة ، وما أشرتم به فى أمره ، فاستوفينا جميع ما كَرَرتم ، واستوعبنا ما أجملتم فى ذلك وفسَّرتم ، واعلموا يا محلَّ والدنا ، أمتعنا الله ببقائكم ، الذى فى ضمنه اتصال السعادة المعادة وتعرُّف النعم المعتادة ، أننا لما انصرف عن بابنا هو ومن رافقه[6] ، عن انشراح الصدور ، وتكييف الجذل على ما تفضلتم به والسرور ، تعرفنا أنه تقاعد بمالقة ، عن صَحْبه ، وأظهر الاشتغال بما يخلِّصه عند ربه ، وصرف الوجه إلى التخلى ، مشفقاً من ذنبه ، واحتج بأن قصده ليس له سبب ، ولا تعيَّن له فى الدنيا أرب ، وأنه عرض

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكانه .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية والفاتيكانه .

(٥) هاتان الكلمتان ساقطتان فى الفاتيكانه .

(٦) وردت فى المخطوطات الثلاثة (وافقه) ، والتصويب أرجح .

عليكم أن تسمحوا له فيما ذهب إليه وتقرّوه عليه ،ليعجل البدار ويمهّد تحت إيالتكم القرار . فلما بلغنا هذا الخبر ، لم يخلق الله عندنا به مبالات تعتبر ، ولا أعددناه فيما يذكر ، فكيف فيما يذكر ، وقطعنا أن الأمر فيه هَيْن ، وأن ذلك الغرض لا تلتفت إليه عَيْن ، فإن بابكم غنى عن طبقات أُولى الكمال ، ملىء بتوسيع الآمال ، موفور الرجال ، معمور بالفقهاء العارفين بأحكام الحرام والحلال ، والصلحاء أُولى المقامات والأحوال ، والأُدباء فرسان الرَّويَّة والارتجال ، ولا ينفد[1] بفقدان الحصاة أعداد الرمال ، ولا يستكثر بالقطرة جيش العارض المُنْثال ، مع ما عُلم من إعانتكم على مثل هذه الأعمال ، واستمساككم بإسعاف من صرف وجهه إلى ذى الجلال . ولو علمنا أن شيئاً يهجس فى الخواطر من أمر مقامه ، لقابلناه بعلاج سِقامه . ثم لم يَنْشِب أن تلاحق بحضرتنا ، بارزاً فى طور التقلُّل والتخفيف ، خالطاً نفسه باللفيف ، مذ صار نكرة بعد العلميَّة والتعريف، وسكن بعض مواضع المدرسة ، منقبضاً عن الناس ، لا يظهر إلاَّ لصلاة يشهد جماعتها ، ودعوة للعبادة يجبُّ اضاعتها . ثم تلاحق إرسالكم الجلة الذين تحن لمثلهم التَّجلَّة ، فحضروا لدينا ، وأدّوا المخاطبة [الكريمة][2] لما ذكر إلينا ، وتكلمنا معهم فى القضية ، وتنخَّلنا فى الوجوه المرضية ، فلم نجد وجهاً أخلص فى هذا الغرض ، ولا علاجاً يتكفَّل ببُرْء المرض ، من أن كلفناهم الإقامة التى نتبرَّك بجوارها ، ونعمل على إيثارها ، بخلال ما نخاطب مقامكم بهذا الكتاب ، الذى بضمنه شفاعة يضمن حياؤكم إحْسانها ، ويرعى انتماها إلى الخلاص[3] وانتسابها ، ويفيد ما قد أعلمت الحظوة أثوابها ، ونقصدكم ومثلكم من يُقصد فى المهمة فأنتم المثل الذائع فى عموم الحلم ، وعلو الهمة ، بأن تصدروا له مكتوباً مُكمَّل الفصول ، مُقرَّر

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (ينقص) .

(٢) زائدة فى الفاتيكانه .

(٣) فى الفاتيكانه (الخلوص) .

الأُصول ، يُذْهِب الوجل ، ويرفع الخَجل ، ويسوغ من مأْربه لديكم الأَمل ، ويُخْلص النية ويرتِّب العمل ، حتى يظهر مالنا عند أُبوتكم من تكميل المقاصد ، جرياً على ما بذلتم من جميل العوائِد . وإذا تحصل ذلك كان بحول[1] الله إيابه . وأَناخَتْ بعقدة وعدكم الوفى ركابُه ، وتحصل لمجدكم[2] عزه ومجده وثوابه. وأَنتم ممن يَرْعى أُمور المجد حق الرعاية ، ويجرى فى معاملة الله على ما أَسس من فضل البداية ، ويحقق الظنون فيما لديه من المدافعة عن حوزة الإسلام والحماية . هذا ما عندنا عجلنا به الإعلام ، وأَعملنا فيه الأَقلام ، بعد أَن أَجهدنا الاختيار وتنخَّلنا الكلام. وجوابكم بالخير كفيل ، ونظركم لنا ولجميع المسلمين جميل ، والله يحرس مجدكم ، ويصل سعدكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب الاستظهار على العداه والاستنجاز للغداه

كتبتُ عن السلطان أَبى الحجاج رحمه الله فى شأْن جَبَل الفتح ، ومدينة رُندة وما شاع من عمل الطَّاغية على الحركة إليها ما نصه :

المقام الذى له المجد الشهير المآثر ، الكبير المفاخر ، والأَصالة المتواترة عن الملوك الأَكابر ، والحسب الذى تشهد به صدور الملاحم ، وظهور الجياد ، وبطون الدفاتر . مقام محل أَخينا . الذى نُكبر مقامه[3] الرفيع الشان ، ونوجب له الحق بما اقتضاه حسبه الراسخ البنيان ، المتناسق تناسق قلائِد الجُمان ، بالملوك الأَعيان . السلطان الكذا أَبى عنان [ابن محل أَبينا الذى نعظمه ونجلُّه ، ونوجب له الحق الذى هو أَهلُه ، السلطان الكذا صاحب الجهاد المقبول ، والرِّفد المبذول ، أَمير المسلمين ، وناصر الدين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين أَبى الحسن ، ابن السلطان

(١) فى الملكية والفاتيكانه (بفضل) .
(٢) فى الملكية والفاتيكانه (لمقامكم) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مجده) .

المؤيد المعان، صاحب الجود الشهير فى الأقطار ، والبطل المتألق الأنوار ، والمآثر التى هى أشهر من محيا النهار ، أمير المسلمين ، وناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، أبى سعيد، ابن السلطان الكبير المؤيد المعان، صاحب الجود المبرور، والعزم المأثور ، والدين المشهور ، أمير المسلمين ، وناصر الدين، وقامع الكافرين، أبى يوسف بن عبد الحق][1] وصل الله له من توفيقه وتسديده كل متين الأسباب سابغ الأثواب ، متكفل بالزلفى وحسن المآب ، معظم مجده الشهير ، وحسبه الكبير ، وأصالته التى يغنى مجملها عن التفسير ، العارف بما يجب لبيته الخطير، من الترفيع والتكبير ، الأمير عبد الله يوسف ابن مولانا [أمير المسلمين][2] أبى الوليد [اسماعيل بن فرج][2] بن نصر . سلام كريم بر عميم ، يخص مقامكم الأرفع ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ذى العظمة والجلال ، والإحسان والإفضال، الذى لا يقصد إلا وجهه بالمقاصد الزاكية والأعمال ، ولا يؤمل إلا فضله فى جميع الأحوال . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله[3] خاتم الأنبياء وخيرة الإرسال، الملجأ المنيع عند اشتداد الأزمات والأهوال . . والرضا عمن له من القرابة والصحابة والآل ، بدور ملته التى لا يفارقها صفات الكمال، وأعلامها الذين سرت بهم مكارمهم مسرى الأمثال . والدعاء لمقام أخوتكم الأصيل الجلال ، سلالة الملك الطاهر الخلال ،والمجد الفسيح المجال ، بالتوفيق، الذى يظفر من الله بالآمال ، ويحصل به من مرضاته على الفخر البعيد[4] المنال . فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم من الأعمال الصالحة أوفرها وأوفاها ، وحملكم من رضوانه على أقوم المسالك

---

(١) ما بين الحاصرتين كله وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) الزيادة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

وأهداها . من حَمراءِ غرنَاطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من المعرفة بمجدكم الذى أقلَّ الملك بنيانه ورفع شأنه ، إلّا ما يرجى من عوائِد الله الجميلة وصَنَائِعه الكفيلة ، وسُنَنِه الجزيلة ، وجانب أُخُوَّتكم موفى حقه من التعظيم الذى يجب لمجده العالى وحسَبه الصَّميم ، وأصالته المعضود حديثُها بالقَديم ، المتناسق فخرها [1] تناسق العِقْد النظيم . وإلى هذا أنجح الله فى مَرْضاته أعمالكم ، وعرّفكم من عوارف رضوانه ، ما يتكفل بنيل الحسنى لكم . فموجبه إليكم أن هذه الجزيرة الأندلسية ، من لدن أذن الله فى افتتاحها بسيوف هذه الأُمة الكريمة ورماحها ، وأطلع فى آفاقها القِصيَّة لهذه الأُمة المحمدية ، نور صباحها ، حتى تبوَّأها الإسلام داراً ، وحمد فيها استقراراً ، وملأ هضابها ووهادها أنواراً [2] ، وأوسع فيها من دعا مع الله آلهاً آخر هواناً وصغاراً ، لم تزل أيدى من بها المسلمين ، بإخوانهم من أهل تلك العُدْوة حرسها الله معقودة ، وأكفهم إلى التماس إعانتهم مَمْدودة وآمالهم إلى مصارختهم مصروفة ، وعلى إمدادهم موقوفة . فهى تَسْتَرْوح من تلقائِهم نسيم الفرج عند الشدائِد ، وتلتمس منهم جميل العوائد وملوك الإسلام بتلك العدوة ، قدَّس الله أسرارهم ، وضاعف أنوارهم ، تنافس فى نصرها هممهم ، وتطمح إلى إحراز الفخر بإعانتها شيمهم ، ويتراهن فى ميدانها بأسهم وكرمهم ، حتى دونوا فيها المفاخر الباقية ، والأعمال الراقية ، والصنائِع الشهيرة ، والوقائِع الكبيرة ، يتوارث ذلك الآتى عن الذَّاهبِ ، ويقوم منها الحاضر بحق الغائب ، غضباً للدين الحنيف ، وحميَّة للمُلْك الأصيل والحَسَب المُنِيف ، وغَيْرةً على الحريم ، وأنفةً للخُلُق الكريم ، وامتعاضاً لكلمة التوحيد وشفقةً للقطر الغريب الوحيد ، بين البحار الزاخرة ، والأُمم الكافرة والمرام البعيد . ولما صيّر الله مُلْك العُدوة إلى سَلَفِكم الأرضى ، وجدَّد الله عليهم ملابس

---

(١) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (أنهاراً) ، والتصويب من الملكية .

رضوانه وقبوله ، وجزاهم بما أسلفوه من مَرْضاته ومَرْضاة رسوله ، أنسوا بعزائمهم الراضية [ذكر الملوك الماضية][1] وعَمَروا بمكارمهم العالية مفاخر الأُمم الخالية ، وصار إلى نظرهم جملة من بلادها مثل الجَبَل ورُندة ومرْبَلَّة وما إلى ذلك ، حرسها الله ، ليكون محط رحال المدد ، ومستقر ما يجيزونه من الفرسان والعُدد . فقر[2] جنابها ، وقويت أسبابها ، وأعدَّوا لغزوهم ركاباً ، ولجهادهم الأَرضى باباً ، وعاملوا الله فيها على الصَّفقة الرابحة والأَعمال الباقية الصالحة ، فكان من عزم السلطان المجاهد الأَرضى ، جدكم الأَعلى ، ما هو معلوم ، وفى صحف الفخر مرسوم ، من اقتحامه لجج البحار الطامية ، وثَبَج الأَمواج المترامية ، وجهاد الأُمم الباغية ، وفل الجيوش الطَّاغية ، حتى عزَّ الإسلام بمضا حُسامه ، وسعدت الملةَ المحمدية بسعادة أَيامه . ثم سلك ولده جدكم[3] السلطان المعظم أَبو سعيد رحمه الله سبيله ، واتَّبع دليله ، فجهز إلى نصرها جيوشه المنصورة وأَساطيله ، وسرب إليها ماله الجم وقبيلُه ، حتى علم أَعداؤها أَن لها ناصراً عزيز الأَنصار ، وملجأً منيع الجوار. ثم تلاه والدكم محل أَبينا السلطان المعظم أَبو الحسن ، فجاهد عدو الله فيها حق جهاده ، وشهد البر والبحر بصدق جِلاده ، وسمح فيها بنفسه النفيسة وأَمواله العظيمة وأَولاده ، وعامل الله على الصفقة الرابحة التى يجدها فى مَعاده ، ولم يُضِل التمحيص فيها عزمه الأَمضى ، ولا كفَّ جهاده الارضى ، فاستولى على غايات الفخر وآماده ، بما هو معلوم بين عباد الله وبلاده ، وبينما نحن ننتظر من مقامكم الذى هو سلالة ذلك المجد الصراح ولُباب ذلك الحَسَب الوضَّاح ، وفرع ذلك الفضل المتأَلق تألق الصباح ، ما عوّد أَسلافكم من الإصراخ والإسجاح ، والأَعمال الكريمة الاختتام والافتتاح ، وأَن تسلكوا مسلكهم فى نصرها وإمدادها وحماية بلادها ،

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فعز) والأولى أرجح .

(٣) وردت فى الإسكوريال (جد) ، والتصويب من الملكية .

وتثابروا على تخليد الفخر وإحراز مَرْضاة الله التى هى أَنْفَع الذُّخر ، حتى ينشرح بكم صدر الإسلام ، وتربى أيامكم فيها على غيرها من الأيام ، فمثلكم من يجرى على أعراقه الكريمة جرى الجياد العِتاق ، وينافس فى الأعمال التى تتكفل بالثناء الخالد والعز[1] الباق ، إذ تعرفنا أن ملك قَشْتالة ، قد طمع فى تلك البلاد المذكورة وكَلُبَ عليها ، وحشد قومه إليها ، وأعلق بها أطماعه ، وحرّك لها أَشْياعه[2] وأتباعه وإن آماله[3] بها حائمة ، والحركة إليها فى أرضه قائمة ، فإن من بها من الحُماة وذوى المرتبات قد اختلت أحوالهم ، بسبب ما تأخر من واجباتهم ، وتعذر فى هذه المدة الطويلة من مرتّباتهم ، فتبدّد الكثير من عددهم ، وضاع ما توفر على الأيام من أسلحتهم ، وعُدَدِهم ، واشتد الإشفاق على تلك البلاد المسلمة أن يعاجلها هذا العدد بانتهاز فرصة ، ويجرِّع العباد والبلاد بالله أفظع غُصَّة ، ويهتبل[4] الغِرَّة فى بعض معاقلها المنيعة ، ومصانعها التى اعتمدتها أسلافكم بحسن الصنيعة ، ويطغى نور الله فى آفاقها ، ويستبيح حِماها ، واستمساكها بذلك المُلْك واعتلاقها . فخاطبناكم بهذا الكتاب ، نشرح لكم أحوالها ، ونطالب من نظركم لها من يُمَهِّد خلالها ، وييسر آمالها ، وإن ظهر لكم أن تبادروا بشىء من المال ، الذى غناؤه فيها فى الوقت كبير ، وقايل ما يرد فى تلك الجهة كثير ، تسبقون به حركة العدو إليها ، وتقدِّمونه مدداً بين يديها ، فذلك ما لا ينكر على حَسَبِكم الرفيع الأصالة ، الشهير[5] الجَلالة ، فلم تُدَّخر الاموال لأهم من هذا الغرض ، ولا وضعت فى أَوْلَى من هذا الواجب المفترض . وإذا تعرّف العدو أن غايتكم بها موصولة ، ومكارمكم فيها مبذولة ، كذُبَت مساعِيه ، وخاب بحول

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الفخر) .

(٢) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٣) فى الملكية (بآفاقها) .

(٤) هكذا وردت فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الكريم) .

الله أمله الذى يرتجيه . وهذه البلاد الأندلسية عصمها الله ووقاها ، وحفظ بها كلمة الإسلام وأبقاها ، هى عُدَّةٌ لأسلافكم الكرام إلى معادهم ، ومتجر حسناتهم وركاب جِهادهم ، وصحيفة أعمالهم الزكية ، ومنصَّة آثارهم الملوكية ، لم يزل بعزائمهم استعدادها ، ومن مكارمهم استمدادها ، وأنتم صميم ذلك المجد الذى تعودت إعانته ونصره ، وعرفت من عوارفه ، مالا يطاق حصره ، وأولى من يحقق ظنونها ، ويشرح صدورها ، ويقر عيونها . وقد وجَّهنا إلى جبل الفتح مدداً من الرُّماة ، وشرعنا فى اتباعهم بجملة من الرجال الرامحة الحماة ، يقيمون لنظر من به بخلال ما تَنْبَلج الاخبار . ويظهر ما يبرزه الليل والنهار ، وعرضنا عليكم هذا القصد ، الذى ما زال سلفكم رضى الله عنه ، عليه يثابرون ، وبمزيته على الملوك يفتخرون ، ومرضاة الله سبحانه ، بمبادرته يبتدرون ، وأنتم تعملون فى ذلك إن شاء الله ما يليق ، بمجدكم الأصيل ، وحسبكم الأثيل ، حملكم الله على ما يكون لكم فيه الذكر الحميد ، والقصد السديد ، والعناية الإلهية التى لا تَبيد . وهو سبحانه [يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم][1] ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى الثالث عشر لمحرم من عام خمسين وسبعمائة .

وكتبتُ عن أمير المسلمين أبى الحجاج
رحمه الله فى الغرض المذكور

المقامُ الذى يستظهر الإسلام بعَزَماته فى شدائده الطَّارقة وأزماته ، ويعول على هِمَمه العالية فى مهماته ، ويستنجز فى النصر على عُداته سوابق عداته ، ويرتقب غرر الصنائع الحميدة من مطالع آرابه السعيدة ورایاته ، مقام محل أخينا الذى سبب اعتِدادِنا به فى الله قوىٌّ وثيق ، وثناؤنا بالمفاخر الموقوفة على ملكه الرفيع طليق ، واعتمادنا على مظاهرته ونصره لا يلتبس منه طريق ، ولا يختلف فيه

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وورد مكانها فى الملكية ما يأتى (يسعدكم بطاعة سعادة أوليايه ، ويصل لكم بها عوايد أعشابه) .

فريق ، ووُدَادنا فى جنابه الأَسمى أَصيل عريق . السلطان الكذا ، أَبى عنان [ابن محل أَبينا الذى نعظمه ونجله ، ونوجب له الحق الذى هو أَهله ، السلطان الْمُؤيد الْمُعان ، صاحب المكارم الشهيرة والمآثر التى هى أَوضح من شمس الظهيرة ، أَمير المسلمين أَبى سعيد ابن السلطان الجليل الأَمضى ، صاحب الجهاد المبرور والعزم المأْثور والدين المنشور ، أَمير المسلمين ، وناصر الدين ، وقامع الكافرين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، المقدس الأَرضى أَبى يوسف ابن عبد الحق][1] . أَبقاه الله ، وآثاره فى نصر الدين باقية صالحة ، وغُرر مفاخره مشرقة واضحة ، وآمال أَهل الإِسلام فى عزائمه الماضية ، ومكارمه الراضية صادقة ناجحة ، وكتايبُه فى سبيل الله غاديةٌ رائحةٌ ، وكتبه بإِنجاز المواعد ، والمثابرة على كَبْتِ أَعاديه مراجعة أَو مفاتحة ، وأَقلام رماحه وصحائِف صِفاحه ، لآيات النصر العزيز شارحة ، وأَعداءِ الله لحربه مذعنة ، أَو إِلى سلمه جانحة . معظَّم مقامه الرفيع عماده ، الشهير بأْسه ، وكرمه وجهاده ، المثنى على ملكه ، الذى به انتصار الإِسلام على مر[2] الأَيام واعتداده . الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد إِسمعيل بن فرج بن نصر . سلام تتخلل بطيب نفحاته هبوب النسيم ، وتقتبس من سنا لمحاته أَنوار الصباح الوَسِيم ، وتتضوَّع من شذا أَنفاسه[3] معاهد ذلك الملك الكريم ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حمد الله الذى شرع من التواصل فى ذاته ، والتعاون على ابتغاءِ مَرْضاته ، طريقاً واضحاً وسبيلاً ، وجعل التوكل عليه بخير ما لديه كفيلاً ، ووعد بنصر[4] من ينصره ، ومن أَصدق من الله قِيلاً ، وذَخَر لهذا القطر الغريب

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (صرف) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (نفحاته) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .

(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

عند اضطراب أرجائِه ، وانقطاع رجائه ، من أنصاره الكرام وأوليائه ، كافياً وكفيلاً ، يوسع آماله العصيَّة ، تَتْميماً وتَكْميلاً ، ومآربه العصيَّة تيسيراً وتسهيلاً ، ويقيم على لطف الله بمن فيه من المسلمين المنقطعين دليلاً . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله المبْتَعَث رحمة للعباد والبلاد وظلاً ظليلاً ، المخصوص من الله سبحانه بمزية قوله ، إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ، الذى أيده بنصره وبالمؤمنين ، وجعل فى أرضه من ملائكة سمائِه المُسَوَّمين قبيلاً ، وفضَّله على الأنبياء والمرسلين تفضيلاً ، وعقـــد عليه من جاه الشفاعة العامة ، تاجاً وإكليلاً . والرضا عن آله وأصحابه ، وقرابته وأحزابه ، الذين أوضحوا طريق الحق وقد صار رسماً محيلاً ، ورفعوا معالم سُنَّته من بعده ، فلن تجد لسُنَّة الله تبديلاً ، والدعاء لمقام أخوتكم العظمى ، أطلع الله عليها من السعادة وجهاً جميلاً ، ورسم آيات نصرها فى أوراق فخرها ، لا تقبل نسخاً ولا تأْويلاً ، وشفا الإسلام بعزائمها مهمى أصبح عليلاً ، بالسعد الذى يستأْنف به الدين الحنيف تأْميلاً ، والملك المنيف عزًّا جديداً ، وفخرًا جليلاً ، والنصر الذى ترِنُّ به الجياد صهيلاً . فإنا كتبناه إلى مقامكم ، أرهف الله فى نصر الإسلام عزائمه ، وأعلى بتأْميل ملكه المنصور الأعلام[1] معالمَه ، وتدارك بإنجاده وإمداده أركانه قبل أن تهى ودعائمه . من حمراء غرناطة حرسها الله ، والثقة[2] بالله لا تحجب ظلمات الشدائد أنوارها ، والاعْتِداد بصنع الله سبحانه على يد مقامكم ، أسعد الله سلطانه ، يحفظ على النفوس استِبْشَارها ، ويمهد للقلوب قرارَها[3] ، ويكفُّ ظنونها الموحشة وأفكارها . وأما مثابتكم الكريمة فوِزْرُ الإسلام ، كلما أخذت الحرب أوزارها ، وملجأ هذه الأُمة مهمى استصرخت أنصارها ، والرد الذى يطلب تارها ،

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والنعمة) ، والأولى أرجح .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مواردها) .

ويُقيل عَثَارها ، وعندنا لأُخوتكم الكريمة[١] تعظيم نعترف على الأيام بوجوبه ولزومه ، ووُدٌّ لا يعبر اللسان عن مضمره ، ولا يفى المكتوب بمكنونه[٢] ، وتشيعٌ ثبتت فصول الخلوص والصفا فى حدوده الجامعة ورسومه . وإلى هذا وصل الله لكم سعداً جديداً ، وعزًّا [مبيداً ، وسعياً فى مَرْضات الله حميداً فإننا قدمنا مخاطبة مقامكم المؤمل][٣] فى شأْن هذه البلاد ، التى عظمت فيها غربة الإسلام وانقطاعه ، وتوجهت إلى استئصال رمقها آمال الكفر وأطماعه ، وتمطَّى عليها الصليب ، فامتدَّ ذراعه ، وتقدم باعه ، وفى الله كفايته ، وبالله دفاعه . وكتبنا نقص عليكم من آثار سلفكم فى هذه البلاد أحسن القصص ، ونستَدِرُّ لها من سحائِب تلك العوائد المستغاثة فى الشدائِد ، ما فيه إن شاءَ الله شِفا الغصص ، ونهز إليها أعطاف تلك الهمم الشريفة ، ونمدُّ عليها ما تقلَّص من أهداب إيالتها المُنِيفة ، ونعرض ما أُعْضَل من أدوائها على نظر الآسى الطبيب ، ونستنصر على عدوها الباغى بالولى الحبيب ، ونأْتى فى التماس إغاثتها[٤] البيوت من أبوابها ، ونطاب الصرخة والإعانة من أربابها ، وننتدب إلى صفقة الفخر من هو أولى بها ، فلم تخفق والحمد لله مساعى القلوب الخافقة ، ولا كَسَدت بضائع الحميَّة الإلآهية[٥] فى أسواقها النَّافقة ، وأفاقت الأَوْجَال بمكارمكم الفائِقة ، وتعلقت الآمال بأَذيال مواعيدكم الصادقة ، وتجلَّت بثنايا الجبل عَصَمه الله ، غُرَر صنائِعكم الباسمة الباسقة ، وظهرت به طلائِع فضائلكم المتوالية المتناسقة .

ولما رأى الطَّاغية ، قَصَمهُ الله ، أن دولة الإسلام قد استأْنفت شبابها[٦] ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الرفيعة) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بمكتوبه) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (أعانتها) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإسلامية) .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (شباباً) .

وأن الله فتح لنصر هذه الجزيرة باباً ، وهيَّأ لبقاءِ كلمة التوحيد فى قطرها الوحيد أسباباً ، رام معاجلة الحكم قبل إحكامه ، وشره إلى إطفاءِ نور الله الذى وعد بإتمامه ، واهْتَبَل الْغُرَّة[١] التى حام عليها طمعه ، ورضى منقصة الغدر فى جانب ما يحذره من الاتصال بكم ويتوقعه . وأوقع فى بلاد السلم نار الحرب ، ولم يثن عزمه ضَرْو[٢] والطاعون عن إقامة [سوق][٣] الطعن والضرب ، وكذَّب بالساعة التى تطلع[٤] عليه شمسها من الغرب ، ورمى هذه البلاد الساحلية بشُؤْبُوب[٥] شره ، وصيَّرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره ، وسدَّ فُرْضَته بأساطيله ، وراع الإسلام برعيله ، واستقبل بلاده التى لا قبل لها بقبيله ، ودهم الجهة التى بادرت إلى الاعتصام بحمى ملككم ، والانتظام فى سلككم ، والبلاد التى أمنت تحت ظل دولتكم ، وامتنع ذمارها بعز صولتكم ، على حين شحَّت بسبب الفترة موارد أرفادها ، وتعذرت[٦] مرافقُ حماتها وأنجادها ، وخيم الاضطرار والافتقار بين هضابها ووهادها ، ونقص هذا الأمر الذى أصاب الأرض من إعدادها وصرف إليها أهلكه عباب سيله ، [وأجلب عليها][٧] برَجْله وخَيْله ، وسحب على أرجائها فضول ذيله ، وحجب الضِّيا عن آفاقها المشرقة بظلام ليله . فكم حمىً مصون بها قد استباحه ، ورَبْعٍ مَريع قد اجتاحه ، وحريم مُحَرَّم قد أباحه ، ومن وكل باقتضائِه ظباه ورماحه ، وشمَلٍ جميع أدار عليه شمول الفراق وحث أقداحه ، ومصلىً نصب فيه تماثيله المضلة وأشباحه ، وعُقابِ حِصْن هاض جناحه

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ضروب) .

(٣) واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (بسر سوب) .

(٦) وردت فى الإسكوريال (وتقررت) ، والتصويب من الملكية .

(٧) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

وأطفا مصباحه ، جهلاً منه أماته الله واغتراراً ، وعُتُوًّا فى الأرض واسْتِكْباراً ، وظنًّا أن حَبْل الإسلام قَد دُهى بانْبِتَاتَه[1] ، وشَمْلَه قد رمى بشَتاته ، وحقَّ الدين[2] قد أغفل رعى متاتِه ، وأن ذلك الْمُلْك لا يُنجد هذا القطر فى الشدائد بعَزمَاته ، ولا عليه ما اعتاده من تفريج كربه ورفع أزماته . وما كان ذلك المقام لينسى البعيد من بلاده بالقريب ، ويستقبل بالأمل المتعاهد منها عن الغريب ، وصِراخُه يتصل بها على بعد المدا ، ومنابرُها تستجير بها من صرف الرَّدَا ، وبهتان العدا ، يأبى الله ذلك ، والحمية الدينية ، والمملكة المَرينية ، والجنود المجندة ، والصفائح المهندة ، والجياد الصَّاهلة ، والمعاهد الآهلة ، والمراكب الهائلة ، والرِّماح المُتَمايلة ، والاساطيل السَّابحة ، والمتاجر الرَّابحة ، والأموال التى لمثل هذا الغرض تُدَّخر وتقتنى ، والمعالى التى على مثل هذه الدعائم يجب أن تُبْتنى ، والهمم التى لا ترضى بنعيم أهل[3] الدنيا ، ما لم تكن كلمة الله هى العليا . ولم يعلم أنَّ الإسلام[4] لو طرقته داهية الكفر ببعض أقطاره النازحة وآفاقه ، أو كَلُب عليها الصليب بأقصى شامه أو عرافه ، لهزَّه إلى استصراخ البلاد المغربية القصد الاول ، وكان له على نصره من بها المسلمين المُعَوَّل ، لما عرفوا به من الحميَّة ، والنفوس الأبيَّة ، والهمم التى لا ترضى بالدنيَّة ، فكيف بهذا القطر ، الذى جناح ملككم عليه ممدود ، وتاج فخركم بالجهاد به معقود ، وغزوكم على أعدائِه مقصور ، وبابكم بآماله مقصود ، لم يستروح نسيم الفرج على توالى الحجج إلا من مهبَّات نصركم العاطرة ، ولا سام بارقة السُّقيا إلاَّ من خلل سحائبكم الماطرة ، ولا اختال إلا فى حلل صنائعكم الفاخرة ، ولا تقلَّد إلاَّ دُرَرَ مكارمكم النافقة ، فى متاجر الدنيا

---

(١) وردت فى الإسكوريال (ببتاته) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإسلام) .

(٣) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الاسم) وهو تحريف .

والآخرة . والملك والحمد لله لم يبرح عن محله ، ولا انتقل عن أهله ، ولا تقلَّص مديد ظله . إنما هى نصبة سعيدة لم تختلف أحكامها على إعادة تعديلها ، ونسبة كريمة لم تتغير مع تَبْديلها ، وأُسُودٌ لم تزُل عن غيلها ، وجيادٌ تجرى على أعراق قبيلها . ولما رأينا أن هذا الطاغية أهلكه الله قد جمح فى ميدان المطامع[1] هولا ، وأظهر ما من الغدر نواه ، وحلَّت المطامع عُروة عِقْده ، وخاصمناه إلى حكم الوفا فلم يرجع فى اللَّدد عن قصده ، وطلب منا أن نقيم على ما يخص البلاد التى لنظرنا من عموم عهده ، ويتفرغ هو إلى ما سوى ذلك باقصى جهده ، وكِلْنا أمورنا إلى الله وهو السميع البصير ، ولجأْنا إلى التوكل عليه سبحانه ، نعم المولى ونعم النصير ، ووثقنا بمصارخة ملككم الذى له الصيت البعيد ، والذكر الشهير ، وأمرنا بإطلاق الغارات على جميع ما يلينا من بلاده ، وجعلنا يد الإسلام واحدة ، على دفاعه وجلاده ، حتى تُمْضى الفروض المتعينة ، ويحيى من حيى عن بينة ، ونرجو الله أن يخيب صفقة هذا الناكث الغادر ، ويرد عليه أسوأ الدوايز . وخاطبنا مقامكم ، الذى هو بعد الله العُدَّةُ العظمى ، والملجأُ الأحمى ، نشرح له أحوال هذه البلاد المتمسكة بأسبابكم المنسوبة إلى جنابكم ، لتحاولوا علاج دائها ، ودفاع أعدائها ، ونطلب من مُلْككم ، الذى حاز فى المعالى الأمد ، أن يعجل إليها الحامية والمَدَد ، والمال الذى يعدل فى جبرها العدد ، والقوة التى تضعف عدوها ، والرِّفد الذى تبلغ به مرجوَّها ، ويمتعض لحرمتها ، ويرعى ما سلف من أذِمَّتها ، ويتداركها بالعزائم التى تمهد راجِفَها ، وتومِّن خائفها ، والمكارم التى تجبر قلوبها ، والصَّوارم التى ترد منصوبها ، فما أَمَّلَتْ إلاَّ حمى ذلك الملك ، ولا اعتمدت إلاَّ خلاله ، ولا عرفت فى القديم والحديث ، إلاَّ جيوشَه وأموالَه ، حتى تعود لأحسن أحوالها ، وتستأْنف الحياة رمم آمالها ، وتسفر عن وجه جمالها ، وترفل

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

فى حلل اقتبالها ، فهى حَسَنَةُ سلفكم الأَرْضَى ، وركاب جهادكم الأَمْضَى ، والميدان الذى لا تزال الهمم الملكية تسابق إلى غايته ، والأَيدى العالية تمتد[١] إلى تلقى رايته ، والوسيلة منهم إلى الله التى يستزيدون بنصرها من مواهب نصره وعنايته . وأَنتم سُلالة ذلك المجد وبدرُ أُفقه الباهر السعد ، وأَولى من يعامل الله فيها ، بنصر الحق وإنجاز الوعد ، فحققوا أَمل الإسلام فى علاكم ، واستبقوا فى ميدان النصر ما تدل عليه حلاكم ، كتب الله فى إعانتنا المآثر التى تتلى [وجدد لكم به المفاخر التى لا تبلى][٢] ، وسلك بكم من مَرْضاته الطريقة المثلى ، وجعل سعيكم الأَرضى ، وملككم الأَعلى . وأَننا أَوفدنا على بابكم لتقرير هذه الأَحوال ، واستصراخ ملككم السامى الجلال ، من يشرح لكم جزئيات الأُمور ، ويحرك عزمكم لإنجاد هذه الثغور ، ويمثل لكم الحال فى صورتها ، ويبين لديكم قدر ضرورتها ، وهم الشيخان الفقيهان ، الأُستاذان القاضيان ، قاضى جماعتنا[٣] وخطيب حضرتنا [أَبو فلان ، وأَبو فلان ، والقائد أَبو فلان][٤] ولمقامكم الفضل فى الإصغاء لما يلقونه إليكم ، ويقصونه عليكم ، يكون ذلك من جملة ما نعتدّه من مكارمكم الحافلة ، وشيمكم الطاهرة الفاضلة ، والله عز وجل يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته [وفى اليوم العاشر لشهر ربيع الآخر من عام خمسين وسبعمائة][٥] .

---

(١) واردة بالإسكوريال ، وساقطة بالملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية ، وساقط بالإسكوريال .

(٣) فى الإسكوريال (حضرتنا) ، والتصويب من الملكية .

(٤) أغفل الإسكوريال أسماء هؤلاء الرسل . وقد أوردتها الملكية فيما يأتى (الشريف الأفضل الأرضى أبوالقاسم الحسنى ، والخطيب الأفضل العارف الفاضل أبو البركات بن الحاج . وخديمنا القايد الأجل أبوعبد الله ابن مرزوق ، وصل الله عزتهم ووالى رفعتهم) .

(٥) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

وكتبت أيضاً فى هذا الغرض

المقام الذى يجب لمرضاته التَّسرُّع ، ويحقُّ البِدار إلى وصل اليد به والتسرُّع ، [ويدعوا إلى الاستمساكِ بوُدِّه التديُّن والتشرُّع][1] ويُخْلِص إلى الله فى حمله على ما فيه رضاه التضرُّع . مقام محل أخينا الذى نعطى أُخوَّته حقها ، ونسلك من مودته طُرُقها ، ونُشِيم من عزائِمه فى الجهاد بَرْقَها ، ونشكر غَيْثَها ووَدْقها ، السلطان الكذا ، أبقاه الله موفَّ المقاصد ، مهنأً الموارد ، معمور التوادى بالصَّالحات والمعاهد ، قائماً من حقوق نعم الله عليه مقام الشاكر الحامد ، ولا زالت عزائمه قاطعة بالمُعاند ، مُتْلَعةً منه للطَّارف والتَّالد ، ومكارمه شاملة للأَقارب والأَباعد ، وأقواله وأعماله خالصة فى طاعة الله الملك الواحد ، معظِّم مقداره ، ومُلْتَزم إجلاله وإكباره ، ومواخِيه فى الله على إعلاء دينه الحق وإظهاره ، العارف بكرم تِجاره وفضل آثاره . فلان ، سلام كريم طيب بَرّ عميم يخص مقامكم الأَسمى وأُخوتكم العظمى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الذى تُجنى من أفنان[2] التوكل عليه ثمار الآمال ، ونَقْتَنص من مطالب اللَّجا إليه نتائج نجاح[3] الأَعمال ، جاعل المودة فى ذاته وسيلة نافعة[4] يوم العرض والسؤال ، وظلاً على عباده يتكفل بصلاح الأَحوال ، مجازى من أخلص فى وسيلة قصده بالصُّنع الباهر الجلال[5] ، والْمِنحَ الوافرة [عن اليمين والشمال][6] . أقامنا بهذا الصُّقع الأَقصى ندافع عداه بالبيض القِصار والسُّمر الطُّوال ، وندعوا إلى ما فيه رضاه أهل الائتمار لطاعته والامتثال ، ليصبح الأَمن

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية والفاتيكانه .
(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (أبناء) .
(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) فى الفاتيكانه (نافذة) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الجمال) .
(٦) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (التى فوق الكمال) .

مديد الظلال ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الشفيع عند تعاظم الأهوال ، والملجأ المنيع عند إعواز الاحتيال ، ذى المعجزات التى استقلت عقودها كل الاستقلال ، خاتم الأنبياء وسيد الإرسال ، الذى نلتمس ببركته فى الدنيا والآخرة من الله مؤمَّل الأفضال ، ونحارب ونسالم عملاً بمقتضى سنته فى الحال والمآل ، ونتمسك بأُخوة من يرجى دفاعه عن دينه حتى نبلغ قصيَّات الامال . والرضا عن آله وأصحابه ، أكرم الصحابة وأسنَى الآل ، الذى كانوا فى قلادة ملَّته مثل اللآل ، وفى الاهتداء لأُمته مثل النجوم فى الليال . والدعاء لمقام أُخوتكم الفارسية بتوالى اليمن والإقبال [ولا زالت][1] مقاصدها خالصة فى رضى الله ذى الجلال ، وعزائمها يحفُّها التوفيق عن اليمين وعن الشمال . فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم من السعادة أوفرها نصيباً . وسلك بكم من السداد والإسعاد مأْخذاً قريباً ، وجلى لكم من وجه العناية وجهاً عجيباً ، [وبوَّأكم من منازل القبول جَناباً رحيباً][2] . من حَمراء غَرناطة حرسها الله ، ونحن نمحص لكم الْوُدَّ فى شاهد الأمر وغائبه ، ونثنى عليكم [ثناء][3] يبين قصد مذاهبه . وإلى هذا وصل الله سعادتكم ، وحرس مجادتكم [ووالى النعم عندكم][4] . فإننا تعرَّفنا فى هذه الأيام من خدامكم الوافدين علينا بهديتكم ، ما عندكم من استدعاء الأساطيل المنصورة من محل إنشائها ، والاستكثار من عدد حركاتها واقتنائها ، وإن فرض العزائم شرط فى أدائِها ، وأولياء الملة قد تَدامرت على أعدائها ، وحكماؤها قد شمرت لإزالة دائها ، فسألنا الله إتاحة الخيرة ، وتكييف الصنايع المتيسرة[5] ، وبادرنا إلى سَبْر[6] ما عندكم من التشوُّف إلى ما لنا من الأساطيل الجهادية والمقاصد

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط بالملكية .
(٣) واردة بالملكية والفاتيكانه ، وساقطة بالإسكوريال .
(٤) واردة بالملكية والفاتيكانه ، وساقطة بالإسكوريال .
(٥) فى الملكية والفاتيكانه (الميسرة) .
(٦) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (تسير) . والأولى أرجح .

الوداية ، فإن توفر لكم فى الاستعانة بها أرب ، أو بان فى الاحتياج إليها مذهب ، نشرع[١] فى إصلاحها وتيسيرها[٢] ، وتنظر فى إبرام أمورها ، لتكون مرهفة الحد ، آخذة أهبتها قبل القصد ، ونعلمكم مع ذلك أن رسولنا إليكم فى الأيام الماضية ، والأشهر المتقاضية فلاناً ، لما وصل من لدنكم ، أوصل فى الطعام المعتاد من سلفكم ، قدسهم الله ، إلى هذه الجزيرة وعدا . وأنهى إلينا اجتهاداً فى أمره وجدّاً ، وأنكم من جددتم من حسنات بيتكم عهداً ، فأوْرَيْنا فى الشكر زَنْداً ، وأوضحنا فى الثناء قصداً ، وقد كانت عادة والدكم ، أزلفه الله إليه ، وجدّد ملابس الرحمة والرِّضوان عليه ، أن يَصْدُرَ عنه مكتوب بمقدار ذلك الإمداد ، وتعيين مواضعه من ساحل البلاد ، ونحن نؤمل أن تسلكوا ذلك العمل[٣] فى سبيل الجهاد ، وتتخلّدوا من الأعمال الصالحة ، ما يجده من يؤمل حسن المعاد ، أذكرناكم بذلك على سبيل الْوُداد ، وكرم الاعتقاد ، ووجّهنا من يقرر لديكم ما عندنا من جميل الولاء فى أخوتكم الرفيعة العلاء ، ويتكلم بين يديكم فى هذه الأشياء ، ويجرى من تبين الخلوص على [السبيل السواء][٤] وهو القائد الأجل المكرم أبو فلان ، [وصل الله كرامته ، وكتب سلامته][٥] . [ومكارمكم توسع بقدومه الصدور انشراحاً ، وتبلغ من إسداء ما توجّه بسببيله اقتراحاً . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويضاعف نعمه عندكم ، والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى وأخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته ، وكتب فى كذا][٦] .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (تشرح) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتفسيرها) وهو تحريف .

(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانه .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (سبيل الولاء) .

(٥) هكذا ورد ما بين الخاصرتين بالإسكوريال ، ونظيره فى الملكية والفاتيكانه . (وصل الله عرته ووالى رفعته) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد كله فى الإسكوريال . ومكانه فى الملكية والفاتيكانه فقط (ومقامكم يتفضل بالإصغاء إليه والقبول من ذلك على ما لديه والسلام) .

ومن الاستظهار أيضاً على العداة والاستنجاز
للعداة ما كتبت به
وقد هلك الوزير المستولى على ملك المغرب ،
واستقل السلطان أبو فارس عبد العزيز على
ملك أبيه . نبَّهت فى ذلك على جَبَل الفتح
عندما تشذَّبت حاميتُه وانقطع من الغرب مدده

المقام الذى يصرخ وينجد ، ويتهمَّمُ فى الفضل وينجد ، ويسعف ويسعد ، ويبرق فى سبيل الله ويرعد ، فيأْخذ الكفر من عزماته الماضية المقيم المقعد ، حتى ينجز من نصر الله الموعد ، مقام محل أخينا الذى حسن الظن بمجده جميل ، وحدَّ الكفر بسعده قليل[1] ، وللإسلام فيه رجا وتأْميل ، ليس للقلوب عنه مميل ، السلطان الكذا أبقاه الله وعزمه الماضى لصولة الكفر قامعاً ، وتدبيره الناجح لشمل الإسلام جامعاً ، وملكه الموفق لنداء الله مطيعاً سامعاً ، معظم مقداره ، وملتزم إجلاله وإكباره ، المعتَدُّ فى الله بكرم شِيمته وطيب نِجاره ، المستظهر على عدو الله بإسراعه إلى تدمير أشياعه الكافرة وبداره ، فلان . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله مُجيب دعوة السائِل ، ومتقبل الوسائِل ، [ومنيل النائِل][2] ، ومتيح النعم الجلائِل ، مربح من عامله فى هذا الوجود الزائِف الزائِل ، والبرُه القلائِل بالمتاع الدائِم الطائِل ، والنعيم غير الحائِل ، ومقيم أود الإسلام المائِل ، بأُولى المكارم من أوليائه والفضائِل ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله المنقذ من الغوائِل ، المنجى من الروع الهائِل ، والصادع بدعوة الحق الصايل

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (كليل) .
(٢) زائدة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانه .

بين العشائِر والفصائِل، الذى خُتِم به وبرسالته ديوانُ الرسل والرسائل ، وجعله فى الأَواخر شرف الأَوائِل . والصلاة عليه زكاة قول القائل . والرضا عن آله وصحبه وعترته وحزبه ، تيجان الأَحياء والقبائِل ، المتميزين بكرم السجايا وطيب الشَّمايل ، والدعا لمقام أَخوتكم فى البُكَر والأَصايل ، بالسعد الصادق المخايل ، والصنع الذى تتبرج مواهبه تبرُّحَ العقايل ، والنصر الذى تهز له الصِّعاد الملد عطف المترانح المتخايل . فإِنا كتبناه كتب الله لكم عزّاً يانع الخمايل ، ونصراً يتكفل للكتايب المدونة فى الجهاد ومَرْضاتِ رب العباد ، بسرد المسايل، وإِقناع السَّايل . من حَمراءِ غرناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه إِلاَّ استبصار فى التوكُّل على من بيده مِلْكُ الأُمور ، وتسبب مشروع تتعلق به بإِذن الله أَحكام القدر المقدور ، ورجًا فيما وَعَدَ به من الظُّهور ، ، يتصاعد[1] على توالى الأَيام ، وترادف الشهور . والحمد لله كثيراً كما هو أَهله ، فلا فضل إِلا فَضْله ، ومكانكم[2] المعروف محله ، الكفيل بالإِرواءِ نَهْلُه وعلُّه . وإِلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، [ووالى النعم عندكم][3] فإِننا فى هذه الأَيام، أَهمَّنا من أَمر الإِسلام ، ما زبن الشراب ، ونغص الطعام ، وذاد المنام ، لما تحققنا من عمل الكفر على مكايدته ، وسعى الضلال ، والله الواقى فى استئصال بغيته ، وعقد النوادى للاستشارة فى شأْنه ، وشروح الحيل فى هدِّ أَركانه ، ومن يومل من المسلمين لرفع الرِّدا وكشف البلْوى ، وبث الشَّكوى ، وأَهله ، حاطهم الله وتولاهم، وتمم عوابد لطفه الذى أَولاهم ، فهو مولاهم ، فى غفلة ساهون ، وعن المغبَّة فيه ذاهلون، قد شغلتهم دنياهم عن دينهم، وعاجلُهم عن آجِلهم ، وطول الأَمل عن نافع العمل ، إِلاَّ مَنْ نوَّر الله قلبه ، بنور الإِيمان ، وتَمَلْمَل بمناصحة الله والإِسلام

---

(١) هكذا فى الإِسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (يتضاعف) .

(٢) هكذا فى الإِسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (ومقامكم) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإِسكوريال .

تَمَلْمُل السليم ، واستدل بالشاهد على الغايب ، وصرف الفكر إلى معاطب الأُمم السوالب . فلما رأينا أن الدولة المرينية التى هى على مرّ الأيام شَجى العدا ، ومتوعَّد كل من يكيد الهدى ، وقبّة الإسلام التى إليها يتميز ، وكهفه الذى إليه يلجأُ ، قد أذن الله فى صلاح أُمورها ، ولَمّ شعثها ، وإقامة صفاها ، بأن خرج عنها هنات العدو ، وأراحها من مس الضُّر ، ورد قوسها إلى يد باريها ، وصيّر حقها إلى وارثها ، وأقام لرعى مصالحها ، من يحسن الظن بحسبه ودينه ، ويرجى الخير من ثمرات نصحه ، ومن لم يُعلم إلاّ الخير من سعيه ، والسداد من سيرته ، ومن لا يَسْتَريبُ المسلمون فى صحة عَقْده ، واستقامة قصده . أردنا أن نخرج لكم عن العُهدة فى هذا الدين الحنيف ، الذى رسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله بالعافية ، وتشبثت به أنفاس[1] من صار إلى الله من السَّلف ، تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة . وفى هذا القطر الذى بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعاً وشرعاً ، وجار يلزم[2] حقه ديناً ودنيا ، وحميَّةً وفضلاً . وعلى الحالتين فعليكم بعد الله المعول ، وفيكم المؤمل ، فارعونا أسماعكم المباركة ، نقص عليكم ما فيه رضى الله ، والمنجاة من نكيره ، والفخر والأجر وحفظ النعم ، والخلف فى الذرية بهذا وعدت الكتب المنزلة ، والرسل المرسلة . وهو أن هذا القطر ، الذى تعددت فيه المحارب والمنابر ، والراكع والساجد ، والذاكر والعابد ، والعالم واللفيف ، والأرملة والضعيف ، قد انقطع عنه إرفاد الإسلام ، وفتحت الأيدى به منذ أعوام ، وسلم إلى عبدة الأصنام ، وقوبلت ضرايره بالأعذار ، والمواعيد المستغرقة للأعمار ، وإن عرضت شواغل وفتن وشواغب وإحن ، فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته [ولا يذهب المعروف بكليته][3] ، ولابد من شكوى إلى ذى

---

(١) هكذا فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (الفناء) ، والأولى أرجح .

(٢) واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

مروءة ، يواسيك أو يسليك أو يتفجع . ولو كانت الأشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب ، لم يَفْتَح السلطان المقدس والدكم جبل الفتح ، وهو منازل أخاه بسجلماسة ، ولا أمدَّه ولده السلطان أبو عنان وهو بمراكش ، وبالأمس بعثنا إلى الجبل وشمانة فى جملة ما أهمنا مبلغ جهد ، وسداداً من عوز ، وقد فضلت عن ضرارنا أموال فرضت لسبيل[1] الله على عباده ، وطعام سمحنا به على الاحتياج إليه فى سبيل جهاده ، فلم يُسهم المتغلب[2] منها بجانب الله بحبَّه ، ولا أقطعه منها ذرَّة ، مستخفًّا به جل وتعالى . ، متهاوناً بنكيره الذى هو أحق أن يُخشى . فضاعت الثغور ، واختلت الأمور ، وتشذَّبت الحامية ، وتبدَّدَ العدد ، وخَلَتْ المخازن ، وهلكت بها الجرذان ، وعظمت فيها حسرة الإسلام أضعاف ما عظمت حَيْرتُه ، أيام كانت تكفلها همم الملوك الكرام ، والخلفا العظام ، والوزراء والنصحا والأشياخ الأمجاد ، قدَّس الله أرواحهم ، وضاعف أنوارهم ، ولا كالحسرة فى الجيل ، باب الأندلس ، وركاب الجهاد ، وحسنة بنى مرين ، ومأثرة آل يعقوب ، وكرامة الله السلطان المقدس ، والد الملوك ، وكبير الخلفاء المجاهدين ، والدكم ، الذى نرد على قبره منه مع الساعات والأنفاس ، ، وفود الرحمة ، وهدايا الزلفة ، وريحان الجنة . فلولا أنكم على علم من أحواله ، لشرحنا المجمل ، وشكَّلْنا المهمل . إنما هو اليوم شَبَحٌ ماثل ، وطَلَلٌ بايد[3] ، لولا أن الله شغل العدو عنه بفتنة قومه[4] ، لم يصرف وجهه إلاَّ إليه ، ولا جوّم طيره إلاَّ عليه ، ولكان بصدد أن يتخذه الصليب داراً ، وأن يقَرَّ به عيناً ، والعدوة ، فضلاً عن الأندلس ، قد أوسعها شرًّا ، وأرهق ما يجاورها عُسْراً . نسل الله بنور وجهه ، أن لا يسود الوجوه بالفجع فيه ، ولا يسمع عويل المسلمين لثكَله ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (من أجل) .
(٢) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فايل) .
(٤) زائدة فى الإسكوريال .

وما دونه قصد ، وإن أنعش بالتعليل عليله ، ورفع بالجهد[١] خلقه ، لحم على وضم إلاَّ أن يصل الله وقايته ، ويوالى دفاعه وعصمته . لا إله إلا هو الولى النصير ، وما زلنا نشكو إلى غير المصمت ، ونمد اليد إلى المدبر عن الله المعرض ، ونخطب له زكاة الأموال المبانى الضخمة ، والخزاين الثرَّة ، والأهراء[٢] الطَّامية ، والحظَّ التافه من المفترض برسمه ، وقلوب المسلمين بالنزول عنه من أجله . فتمضى الأيام لا تزيد الضرار فيها إلاَّ ضيقاً ، ولا الأحوال إلاَّ شدة ، ولا الثغر إلا ضِعَة[٣] ، ولا نعلم أنَّ نظراً وقع له ، ولا فكراً أعمل فيه ، إلاَّ ما كان من تسخير رعيّته الضعيفة ، وبلالة محياه السَّخيفة فى بنا قصرٍ بمُنْت ميور[٤] من جباله ، شاده مَرْمراً وجلَّله كلساً ، فللطير فيه ذراه وكور . جلب إليه الزليخ ، واختلفت فيه الأوضاع فى رأس [نيق لأمل نزوه][٥] وسوءِ فكره ، فلما تم أقطع الهجران ، فهو اليوم مُتمتَّع البوم وحظ الخراب ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، حتى جاء أمر الله ، خالى الصحيفة من البرِّ ، صفر اليد من العمل الصالح ، نعوذ بالله من نكيره ، ونسله الإلهام والسداد [والتوفيق والرشاد][٦] ، ولقد بذلنا جهدنا قولاً وفعلاً ، وموعظة ونصحاً ، واستدعينا لتلك الجهة صدقات المسلمين ، محمولة على أكتاف العِباد الضُّعفا الذين كانت صدقات فاتِحه رضوان الله عليه ترفدهم ، ونَوافِلُه تتعهدهم ، مما حرك ذلك الجوار حلوباً ، ولا استدعى مطلوباً ، ولا رِفْداً مجلوباً ، فإلى متى تمضى[٧] رِكاب الصَّبر ، وقد بلغ الغاية ، واستَنْفَد البلالة ، بعد أن أعاد الله العهد ، وجبر المال ، وأصلح السعى ، وأجرى ينابيع الخير ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (بالجهاد) .
(٢) واردة فى الإسكوريال (الأهواء) ، والتصويب من الملكية .
(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٤) واردة بالملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٥) ما بين الحاصرتين وارد بالملكية والفاتيكانه ، ومكانه بياض بالإسكوريال .
(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (تمضى) .

وانشقَّ رياح الإقالة . وجملة ما نريد أن نقرره ، فهو البابُ الجامع ، والقصد الشامل ، والدَّاعى والباعث ، أن صاحب قشتالة ، لما عاد إلى ملكه ، ورجع إلى قُطره ، جرت بيننا وبينه المراسلة ، التى أسفرت بعدم رضاه عن كَدْحِنا لنصره ، ومظاهرتنا إياه على أمره ، وإن كنا قد بلغنا جهداً ، وأنفدنا وسعاً ، وأجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها ، وأغراض صعبة لم نكملها ، ونحن نحقق أنه إما أن تهيج حَفَيظَته ، وتثور إحْنَتُه ، فيكشف وجه المطالبة ، مستكثراً بالأُمة التى داس بها أهل قشتالة ، فراجع أمره غِلاباً ، وحقه ابْتِزازًا واستلاباً ، أو يصرفها ويهادن المسلمين ، بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه القريبة ، إلاَّ عقد معها صلحاً ، وأخذ عليها بإعانتها إياه عهداً . ثم تفرغ إلى شفا غليله وبلوغ جهده ، ولا شك أنها تجيبه ، صرْفاً لبأْسِه[1] عن نحُورها ، ومقارضة[2] لما وقَعَ بأَطريرة من ضيق صدورها ، ومن سَفٍّ جمهورها . وكل من له دين فهو يحرص على التقرُّب إلى مَنْ دانه به ، وكلَّفه وظائف تكليفه ، رجاً لوعده ، وخوفاً من وعيده . وبالله ندفع ما لا نُطيق، من جموع تداعت من الجزور ، ووراء البحور، والبر المتصل الذى لا تقطعه الرفاق ، ولا تحصى ذرعه الحُذَّاق . وقد أصبحنا بدار غربه ، ومحل رَوْعه ، ومُفْتَرس ضَوِّه[3] ، ومظنَّة فِتَنِه ، والإسلام عددْ قليل ، ومنتجعه فى هذه البقعة حديث ، وعهده بالإرْفاد . والإمْداد من المسلمين بعيد [ربنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأْنا][4] . ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قَبْلِنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعفُ عنَّا ، واغفر لنا ، وارحمنا أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (لبوسه) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ومعارضه) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (نبوة) .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

وإذا تداعت أُمم الكفر، نعرة[1] لدينها المكذوب ، وحمية لصَليبها المنصوب ، فمن يُستدعى لنصر الله ، وحماية أمانة نبيِّه إلا أهلُ ذلك الوطن ، حيث المآذن بذكر الله تملأُ الآفاق ، وكلمة الإسلام قد عمت الرُّبا والوِهاد . إنما الإسلام غريق قد تشبث بأَهْدابكم ، يناشدكم الله فى بقيَّة الرَّ مَق ، وقبل الرَّمى تُراش السهام ، وهذا أوان الْبُنا والإغْنَا ، واختيار الحماة ، وإعداد الأَقوات ، قبل أن يضيق المجال ، وتمنعُ الموانع . وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم ، مقرراً للضرورة ، مُنْهياً للرَّغبة ، مذكِّراً بما يقرّب عند الله ، وموكِّداً لذمام الإسلام ، جالباً على من وراءهم بحول الله من المسلمين ، البشرى التى تشرح الصدور ، وتُسْنى الآمال ، وتستدعى الدعا والثنا . فالمؤمن كثير بأَخيه ، ويد الله مع الجماعة ، والمسلمون يَدٌ على من سواهم ، والمؤْمن للمؤْمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، والتعاون على البر والتقوى مشروع ، وفى الذكر الحكيم مذكور ، وحق الجار مشهور ، وما كان يوحى به جبريل فى الصحيح مكتوب، وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر، فنرجو أن يروع الكفر من العزِّ بالله ، وشد الحيازيم فى سبيل الله ، ونفير النعرة [فى سبيل الله][2] ، والشروع فى حماية الثغور وعُمْرانها ، وإزاحة عِلَلها ، وجَلْبِ الأَقوات إليها ، وإنشاءِ الأَساطيلَ وجَبْر ما تلف من عُدَّة البحر، أُمور تدل على ما وراءَها ، وتخبر بمشيئة الله عما بعدها . وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى .

ومن خطب علىٍّ رضى الله عنه . أَمَّا بعد فإن الجهاد باب من أَبواب الجنة ، فمن تركه رهبة ، ألبسه الله سِيما الخسف ، ووسَمه بالصِّغار ، وما بعد الدنيا إلاَّ الآخرة ، وما بعد الآخرة إلا إحدى دارى البقاء . أَفى الله شك . ومن يوق شح نفسه فأُولئك هم المفلحون . والاعتنا بالجبل عنوان هذا الكتاب ، ومقدمة هذا

(١) واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الفاتيكانه .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (لدين) .

الباب ، والغفلة عنه منذ أعوام ، قد صيَّرته لا يقنع باليسير ، وقد أَبْرَمْته المواعد ، وغيَّر رسومه الانتظار ، [ونفقته على قدره][1] . ومن المنقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس . والإسراف فى الخير أَرجح فى هذا المحل من عكسه . وكان بعض الأَجواد يقول وقد أقتر ، اللهم هب لى الكثير ، فإن حالى لا يقوم على القليل . وعسى أَن يكون النظر له له بنسبة الغفلة عنه ، والامتعاض له مكافياً للإِزْراء به ، وخلوُّ البحر يُغتم لإِمداده وإِرفاده قبل أَن يثُوب نظر الكفر إلى قطع المدَد وسدِّ البحر . ومن ضيَّع الحزم نَدِم ، ولا عذر لمن عَلِم . والله عز وجل ، يطلع من قبلكم ما فيه شفا الصدور ، وجبر القلوب ، وشعب الصدوع . وما نقص مال من صدقة ، وطعام الواحد كافى الاثنين ، والدين دينكم ، والبلاد بلادكم ، ومحل رِباطكم وجِهادكم ، وسوقُ حَسَناتكم ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . وقد قلدنا العهدة الحفيظ عليها المصروف العناية بفضل الله إليها . والله المستعان ، وعليه التُّكلان . والسلام الكريم عليكم . ورحمة الله وبركاته .

وصدر عنى فيما يقرب من هذا الغرض
وفيه إشارة إلى ترك الحركة إلى مراكش ،
والعمل على إنجاز وعد التغلب على دولة
الملوك بالمغرب ، وقد تأَذَّن الله عز وجل
بعكس ما قصد منه ، ودافع بقدرته عن
هذا الوطن دون إعانته

المقام الذى يؤْثر حظَّ الله إذا اختلفت الحظُوظُ وتعددت المقاصد ، ويشرع إلى الأَدْنَى منه إذا تفاضلت المشارع ، وتَمايزَت الموارد ، ويستأْنف[2] عادة حلمه وفضله الشَّارد ، ويسع وارف ظلِّه الصَّادر والوَارِد ، والغايبِ والشَّاهد ، ويُعيد

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانه .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (وتشمل) والأولى أرجح .

من نصر الله للإسلام العوايد [ويسد الذرايع ويدر الفوائد][1]، مقام محل أخينا الذى سبب اعْتِدادنا به فى الله قوى وثيق ، وثناؤنَا بالمفاخر الموقوفة على مُلْكه الرفيع طَليق ، واعتمادنا على مظاهرته ونصره لا يلتبس منه طريق ، ولا يختلف فيه فريق ، ووادنا فى جنابه الأَسمى أَصيلٌ عريق . السلطان الكذا أَبى عنان ، أَبقاه الله ؛ وآثاره فى نصر الدين باقِيةٌ صالحة ، وغرس مفاخره مشرقةٌ واضحة ، وآمال أَهل الإسلام فى عزائمه الماضية ؛ ومكارمه الرَّاضية ، صادقة ناجحة ، وكتائِبه فى سبيل الله غادِية رايِحة ، وكتبه بإنجاز المواعد والمثابرة على [كبت أَعاديه مراجعة أَو مفاتحه ، وأَقلام رماحه وصَحايف صِفاحه لآيات إلى][2] الذى حسنت فى الدين[3] ، سيره ، وتعاضد فى الفضل خُبْرُه وخَبره ، ودلَّت شواهد مداركه للحقوق ، وتغمده العقوق على أَن الله لا مهمله ولا يذره . فسِلْكُ مجده متَّسقة دُرَرَه ، ووجه ملكه [شادخة غرره ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أَبقاه الله رفيعا علاوة هامية لديه منن الله وآلاؤه] شارقة[4] بكواكب السعد سماؤه ، محروسة بعزِّ النصر أَرجاؤه ، مكملا من فضل الله فى نصر الإسلام وكَبْت عبدة الأَصنام أَمله ورجاؤه ، معظَّم قدره الذى يحق له التعظيم ، وموقَّر سلطانه الذى له الحسَبُ الأَصيل والمجد الصميم ، الداعى إلى الله باتصال سعادته ، حتى ينتصف من عدو الإسلام الغريم ، ويُتاح على يد سلطانه الفتح الجسيم . فلان . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ الله الذى لا يضيع أَجر من أَحسن عملاً ، ولا يخيب لمن أَخلص إليه الرغبة أَملاً ، وموفى من تركه له حقه أَجره المكتوب مُتمماً مُكملاً ، وجاعل

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الفاتيكانه ، وساقط فى الملكية والإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين كله وارد بالإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٣) فى الملكية والفاتيكانه (الملك) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (مزداته) .

الجنة لمن اتقاه حق تُقاته نُزُلاً[١] ، ملك الملوك الذى جلَّ وعلا ، وجبار [القلوب][٢] الجبابرة ، الذى لا يجدون عن قَدَرِه محيصاً ، ولا من دونه موئلاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى أُنزل عليه الكتابُ مفصَّلاً ، وأوضح طريق الرشد ، وكان مُقْفلا ، [وفتح باب السعادة ولولاه لكان مُغْفَلاً][٣] . والرضا عن آله وأصحابه ، وعِتْرته وأحزابه الذين ساهموه فيما أَمرَّ وحَلَا ، وخلفوه من بعده بالسِّير التى راقت مُجْتَلا ، ورفعوا عماد دينه ، فاستقام لايعرف ميلاً ، وكانوا فى العفو والحلم مثلاً . والدعاء لمقامكم الاسمىٰ[٤] بالنصر الذى يلفى نصه صريحاً لا متأوّلاً ، والصُّنع الذى يُبْهر حالاً ومستقبلاً ، والعز الذى يرسو جَبَلاً ، والسعد الذى لا يبلغ أَمداً ولا أَجلاً . فإنَّا كتبناه إليكم ، أَصحب الله ركابكم حليف التوفيق حِلاً ومُرْتحلاً ، وعرَّفكم عوارف اليُمن الذى يثير جذلاً ، ويدعو وافد الفتح المبين ، ويردُّه متعجِّلا . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيُّع لمقامكم ، حَرَس الله سلطانه ، ومهد أوطانه ، إلا الخير الذى نَسَل الله بعده تحسين العُقْبى ، وتوالى عادة الرحمى . والحمد لله على التى هى أَزْكَى ، وسَدْلِ جناح الخير[٥] الأَضفى ، وصلة اللَّطائِف التى هى أَكفلُ وأَكْفَى ، وأَبرُّ وأَوْفَى . ومقامكم عندنا هو العُدَّة التى بها نصول ونُرْهب ، والعمدة التى نطيل فى ذكرها ونُسْهب ، وقد أَوفدنا عليكم كل مازاد لدينا ، أَو فتح الله به علينا . ونحن مهما شُدَّ الْمُخنَّق ، بكم نستنصر ، أَو تراخى فنى وُدِّكم نستبصر ، أَو فتح الله بأَبوابكم نهنِّى ونبشر ، وقررنا عندكم أَن العدو فى هذه الأَيام توقَّف عن بلاد المسلمين ، فلم يصل منه إلينا سُرِّيَّه ، ولا بطشت

---

(١) وردت فى الإسكوريال (بدلا) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .
(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال والفاتيكانه .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .
(٤) واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الستر) .

له يد جريَّة ، ولا افترعت من تلقايه ثَنِيَّة ، ولا ندرى المكيدة تدبر أو آراً تنقص بحول الله وتُقهر[١] ، أو لشاغل فى الباطن لا يَظْهر . وبعد ذلك ورد على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يندبون فيها إلى جنوحنا للسلم فى سبيل النصح لأيَاد سلفت مِنَّا لهم قَدَروها ، ووسائِل ذكروها ، فلم يخف[٢] عنا أنه أمر دُبِّر بليل ، وخبيئة تحت ذيل ، فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الأمر ، فوجهنا إليه على عادتنا مع سلفه ، [من يهنِّيه على ما صار إليه][٣] ويعتبر ما لديه وينظر إلى باطن[٤] أمره ، ويبحث عن زَيْد قومه وعَمْره ، فتأتى ذلك ، وجرَّ مفاوضة فى الصلح ، أعدنا لأجلها الرِّسالة ، واستشعرنا البَسالة ، ووازنَّا الأحوال واعتبرنا[٥] ، واعتززنا فى الشُّروط ما قَدَرنا ، ونحن نرتقب ما يخلق الله من مهادنة تحصَّل بها الأقوات المهيأة للانتِساف ويسكن [ما ساء البلاد المسلمة][٦] من هذه الأرجاف ، ويفرغ الوقت لمطاردة الآمال العِجاف ، أو حرب يبلغ الاستبصار فيها غايته ، حتى يظهر الله فى نصر الفِئَة القليلة آيته . ولم نجعل بسبب الاعتزاز فيما أردناه ، وشموخ الأنف فيما أصدرناه ، إلاَّ ما أشعنا من عزمكم على نصرة الإسلام ، وارتقاب خفوق الأعلام ، والخفوف إلى دعوة الرسول عليه السلام ، وأنَّ الأرض حَمِيَّة الله قد اهتزَّت ، والنَّعرة قد غلبت النفوس واستفزَّت ، واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب[٧] المواعد ، وشمَّرت عن السَّواعد ، وأن الخيل قد أطْلَقت إلى الجهاد فى سبيل الله الأعنَّة ، والثنايا سدَّتها بروق الأسِنَّة ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية ((وتشبر) .

(٢) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٤) فى الملكية والفاتيكانه (بواطن) .

(٥) فى الملكية والفاتيكانه (واختبرنا) .

(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) وردت فى الإسكوريال (صرف) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون ، والأموال قد سمح بها المسلمون . وهذه الأمور هى التى تمشت بقريبها أو بعيدها أحوال الإسلام ، والآمال[١] المعدة لتوجيه الأيام . ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من خَوْر العزائم المؤمنة بعد كورها ، وتسويف مواعيد النُّصرة بعد استشعار فورها[٢] ، وأن الحركة معملة إلى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها ، وإليكم وإن ترامى الطَّوْل ترجع أحكامها ، والقطر الذى لا يفوتكم مع الغفلة ولا يعجزكم مع الصولة ، ولا يطلبكم إن تركتموه ، ولا يمنعكم إن طرقتموه وعركتموه . فسُقِط فى الأيدى الممدودة . وأَخْلَفت المواعد المحدودة ، وخُسئت الأبصار المرتَقِبة ، ورجعت المكاتل[٣] الآشِبة ، وساءت الظنون ، وذَرَفت العيون ، وأكذب الفضلاء الخَبَر ، وأنفو أن يُعتبر ، وقالوا هذا لا يمكن ، حيث الدين الحنيف ، والْمُلْك المنيف ، والعلما الذين أخذ الله ميثاقهم ، وحمَّل النصيحة أعناقهم . هذا هو المفترض الذى لا يبعد ، والقائم الذى يقعد ، يأباه الله والإسلام ، تأباه العلماءُ الأعلام ، تأباه المآذن والمنابر ، تأباه الهمم الأكابر . فبادرنا نستطلع طَلَعْ هذا النبإ الذى إن كان باطلا فهو الظنُّ والله المَنُّ ، وإن كان خلافه لرأى رجح ، [وتنفَّق الملك وتبجَّح][٤] فنحن نوفد كل من يقدم إلى الله بهذا القطر فى شفاعة ، ويمد إليه كفَّ ضراعة ، ومن يوسم بصلاح وعبادة ويقصد فى الدين ببث إفادة ، يتطارحون عليكم فى نقض ما أُبرم ، ونسخ ما أُحكم ، فإنكم تَجْنُون به على من استَنْصركم عكس ما قصد ، وتُحلِّون عليه ما عقد . وهب العُذْر يُقبل فى عدم الإعانة ، وضرورة الاستهانة والاستكانة ، أىّ عُذْر يُقبل فى الاطِّراح ، والإعراض الصَّراح ، كأنَّ الدين غير واحد ، كأن هذا القطر لكلمة

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (والأمانى) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (صورها) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٣) وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال والفاتيكانه (المعاقل) .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى الفاتيكانه .

الإسلام جاحد ، كأَن ذمام الإسلام غيرُ جامع ، كأَن الله غير راءٍ ولا سامع ، فنحن نَسَلْكم الله الذى تسأَلون به والأَرحام ، ونأْنف لكم من هذا الإحجام ، ونتطارح عليكم فى أَن تتركوا الله حظكم فى أَهل تلك الجهة ، حتى يحكم الله بيننا وبين العدو الذى يتكالب علينا بإِدْباركم بعدما تضاءل لاستنفاركم ولإنصافكم[1] [ولا نكافكم][2] غير اقتراب داركم ، وما سامكم المسلمون به شططاً ، ولا حملوكم إِلَّا قصداً وسطاً ، وما ذهبتم إليه لا يفوت ولا يبعد، وقد تجاورت البيوت ، إنما الفائت ما وراءَكم من حديث تأْنف من سماعه أَودَّاؤُكم، ودين يشمت به أَعداؤكم . فاسعفوا بالشَّفاعة لمن بتلك الجهة المرَّاكُشِية قصدنا ، وحاشى إحسانكم أَن يرضى فِيه ردَّنا ، وأَنتم بعد بالخيار فيما يجريه الله على أَيديكم من قدره ، أَو يلهمكم إليه من نصره ، وجوابكم مرتقب بما يليق بكم ، ويجمل بحسبكم ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم بمنه. والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وفى كذا .

---

(١) ساقطة فى الفاتيكانه .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

كتب الشكر على الهدايا الواردات

راجعتُ السلطانَ الكبير أَبا عنان رحمه الله عن
هدية بعث بها إلى الأَندلس ، تشتمل على خيول
ومُهَنَّدات مُحَلاَّة ، ومهامِيز مُحكمة ، ودنانير
من الذهب العين ، بقولى بعد الفاتحة :

المقام الذى شأْنه هِمَّات تُبث[1] ، وعَزَمات تُحث ، وهممٌ يبثُّ الإسلام إليها همومه فيذهب البثُّ ، مقام محل أَخينا ، الذى قضايا مجده مُنْتَشِرة فى الجهات ، فَرْدية بحسب الوصف والذات ، عُرْفية فى الأَزمات ، مشروطة فى مذاهب[2] العَزَمات . يُزهى بوجودها الزمن الحاضر ، وباستقبالها الزمن الآت ، ويُطَرِّزُ بها فخر الدين رواق[3] الآيات البينات . السلطان الجليل الرفيع ، الأَسْنَى الأَمجد الأَسعد الأَوحد الأَسمى الأَغرّ ، الكبير المجاهد الأَمضَى أَبى عنان ابن السلطان الجليل الكذا أَبى الحسن ، أَبقاه الله ، وحيدَ العلماء على تعدُّد فضله واشتراكه ، فَذْلكة حِساب أُولى الأَحْساب ، من خلائِف الإسلام وأَملاكه ، ولا زال بدرَ هدًى صهوة الطرف من أَفلاكه ، وبحر نداً ، يُنسب جيد الوجود إلى عنصره العميم الجود درر أَسلاكه . فمتى حاول قصداً جَنَح منه النَّجح إلى ملاكه ، ومهما كاد ضِدًّا كانت النجوم الشوابك من شباكه ، حتى يرمى سعده عن قوس الأُفق ، ويظفر بسماكه. معظّم مقامه ، الذى هو بالتعظيم مخصوص ، [وموجَبٌ حَمده الذى محكمه فى كتاب البر منصوص][4] ، وموقَّر ملكه الذى

(١) وردت فى الإسكوريال (تحث) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مواقف) .

(٣) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

ثناؤه على أساس[١] الأصالة مرصوص . الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى جعل الشكر مفترضاً ، وألَّف بين [قلوب المؤمنين][٢] بعواطف فضله المرهوب ، فلم يبق فيها مرضاً ، وخَلَص جواهر الاعتقاد من شبه الانتقاد فلم يترك عِوَضاً ، وسدَّد الأعمال الودية والأقوال الاعتقادية إلى مرامى التوفيق فأصابت سهامُها غرضاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى سلَّ من الحق حُساما مُنتَضاً ، وندب إلى التماس الخلال التى تُحمد ، والأخلاق التى تُرتَضى ، وبيَّن من المآخذ والمتارك[٣] ما كان مُسَلَّماً أو مفترضاً . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين اقتضوا من آدابه الكريمة أَسْنَى مُقْتَضى ، وباعوا نفوسهم النفيسة من الله فى نصر دينه ، ففازوا بدار الخُلدْ عِوَضاً ، والعزم[٤] الذى يحرض النفوس على جهاد عدوِّ الدين حتى يعود حَرِضاً . فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم من العز أفْسحَه جناباً[٥] ، ومن السعد أسْبَغه أثواباً ، وملأ صحائف صِفاحكم الماضية فخراً وثواباً ، وجعل الصُّنع الإلآهى لندا دعوتكم جواباً ، وأسعد الإسلام بأيالتكم التى استأنفت شباباً . ووصلت بأسباب التمهيد أسباباً . من حَمراء غَرناطة حرسها الله ، وللتشيُّع فى سلطانكم العلى سبيل لا يَلْتَبس ، والاعتقاد فى رفيع جلالكم نورٌ يَقْتَبس منه المقتبس . وإلى هذا أيَّد الله أمركم ، ورَفَع قدركم ، فقد تقرر جبلَّة مطبوعة ، وسنَّة متبوعة ، أن المهاداة تغرس المحبة وتثبِّتها ، [وتُصَرِّح الأضغان وتوزعها][٦] ، وتسِلُّ السخائِم وتُنزعِها ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (ثنا) ، والتصويب من الملكية .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الملكية ، وفى الإسكوريال (القلوب) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المسالك) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العز) .
(٥) فى الملكية (مجالا) .
(٦) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الادعان وترعها) ، وهو تحريف .

فكيف إذا وردت على ضمائِر أَصْفَى [فى ذات الله][1] من نُطَف الغمام ، وأصدق من ذُرَر الأَزهار فى أصداف الكمام ، وقلوب متعاقدة على مرضاة الله والإسلام ، فيالها من مودَّات تزكُو حِينئذ ثمارُها ، واعتقادات تسطع أَنوارها . وإننا ورد علينا كتابكم الكريم على حال اشتياق لوارِد ، وظمإ إلى موارد ، حائِزاً فى ميدان البلاغة مزيَّة التقديم [واصلاً سبب البر الحديث والقديم][2] إلى أَلفاظ مصقولة الأَديم ، ومعان حلَّت من البيان محلَّ الكأْس من كفِّ النَّديم ، مُصْحَباً بالهدية الجهادية والمقاصد الوُدادية ، والمواعد السَّنية ، والعزائم المتكفلة بنَيْل الأُمْنِيَّة . فوقفنا من ذلك كله على أَنواع بر فى أَصنافها مختارة ، وضروب فضل[3] تختال من الاحتفا فى أَكمل شارة ، وتشير إلى ما وراءها من العزم الجهادى أَكرم إشارة ، من كل طَرْفٍ ذكىِّ الجَنان ، طموح فى العَنان ، مسرج بالهلال ، ملتحف بالْعِنان منقاد[4] ، لوحى الطرف وإشارة البنان ، مُمْتَرٍ فى كلام النقع بذيال السِّنان ، كأَنما زاحم النجم بتليله فألجم بثُرَياه ، وقلد بإكليله ، وكأَنَّ الصباح غمر وجهه بمسيله ، والنسيم الَّلدن مَسَح عطفه بمِنديله ، ونهر المجَرَّة أَبقى البلل فى تحجيله ، فلو رآه القسُّ لمثَّله فى ظَهْر إنجيله ، متبخترٌ فى مشيه ، مختالٌ فى عَصَبه ووَشِيْه ، يُلاعِب ظلُّه نشاطاً وترفيهاً ، ويُطْرِف عن مُقْلة مُلئت تيهاً ، وأَودَع سحر هاروت فيها وكل صارم صقيل الحدِّ ، كامل الفصل فى الخدِّ تميمةٌ [من تمائم المجد][5] ما شيتِ من ماءٍ فى الجَلَد مسكوب ، وحزام فى الغِمد منشوب ورُومى إلى الهند منسوب ، كَلِف بالعلا ، وازدان بأَبْهَى الْحَلَا ، وهام بيض الظَّلاَ ، حتى بان نحوله بالهوى ورقَّ جُثمانه ، وتضاءل بين الأَجفان إنسانه ، من اللاءى عودتهما الإيالة الفارسية

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (بر) مرة أخرى .

(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

خَوْض الغمار ، وجنَّدتها من مَخِيطها للحج بين مقامها والاعتمار ، وعلمتها بنِثار[1] الجماجم رَمى الجمار ، وكل محكمة المقدار مُحلَّلات ببحث النُّظار ، منظومة الخرز نظم الْفِقار ، أبدعتها أرباب الحروف فى أشكال المحاريب[2] وأبرزتها فى المرأى الأنيق والشكل الغريب ، تُهْمزُ بها حروف الجياد عند سكونها ، وتُثار عقبان الصفوف من ركوبها . فيالها من هدية ، أزرى فيها العِيان بالسمع ، وثَنِيَّة قامت عندنا مقام الجمع ، وذكرتنا بازدواجها الحكمة فى ازدواج الجوارح كالعَيْن والسَّمع ، وعرَّفتنا بتَثْنِية أشكالها ، وانفراد الكتاب المُعْرِب عن جلالها ، بَرَكة الوَتْر والشَّفع ، فأغرينا لسان الشكر بخلال مُهديها ، وأقبلنا وجوه الوُدِّ وفادة موديها ، وقُلنا لا ينكر العذب من منْبَعه ، ولا النور من مطلعه ، ولا الفضل إذا صدر من موضعه . وهذه البلاد أيدكم الله ، أسماع أعدائها مُصيخة إلى مثل هذه الأنباء ، وقلوبها من اتصال اليد بذلك العلا ، محمَّلة بأثقال الأعباء ، فإذا عَرَفت اعتِناءكم بأمرها ، وعملكم على نَصْرها ، واهتمامكم بشأنها ، ومواعدكم المتكفلة باتِّصال أمانها[3] ، قُصِّر شأْن عدوانها ، وتضاءل نار طُغْيانها ، ووازنت الأحوال بميزانها . ونحن إن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من التشيُّع الذى آياتُه محكمة ، ومقدماتُه مسلمة ، فلا يعترض منها رسم ، ولا ينازع فيها والحمد لله خصم . لم يتسع نطاق النطق لأداء معلومها ، ولا وفَّى المكتوب ببعض مكتومها ، فحسبنا أن نكل ذلك إلى من يعلم ما خفى من السَّرائر ، ويَبْلُو مخبآت الضمائِر . وعرَّفتمونا بعزمكم على الحركة الشرقية التى قد حَتَم زَنْدُها فأَوْرَى ، وأثرتم طرفها فانبرى ، وأنكم تمهدون إلى الجهاد فى سبيل الله سبيلا ، وترفعون الشواغب جملة وتفصِيلا ، ولكون نيتكم الصادقة تقصد هذا المرمى ، وتخطب هذا الغرض الأسمى ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بنجار) .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (آمالها) .

خصَّكم الله بالأَثرة الأَثيرة ، ونصركم فى المواطن الكثيرة ، فإنكم إنما تعاماون من لا يضيع عمل عامل ، ولا يخيب لديه أَملُ آمل . والله تعالى يقدم الخِيرة[1] بين يديكم ، ويتمم نعْمَتَه عليكم ، ويجزل عوارف المواهب لديكم بمنه وفضله . واعلموا ، وصل الله لكم سعادة متصلة الأَسباب ، ووقاية سابِغَة الأَذيال ضافية الأَثواب ، أنه حضر بين أَيدينا خديمكم الشيخ الأَجل الأَعز المرفع أَبو فلان ، كتب الله سلامته ، ووالى كرامته ، فأَلقينا إليه من شكر مقامكم الكريم ، مالزِم ووجب ، وجَلَوْنا منه بعض ما تستَّر بالعجز عن إدراكه واحتجب ، فلمجدكم أَبقاه الله الفضل فى الإِصغاء لما يلقيه ، والقبول على ما مِن ذلك يودِّيه ، والله سبحانه يصل لكم عوارف آلائِه ، ويحملكم من مرضاته على ما يضاعف لديكم مواهب نَعْمايه ، ويحقق الظنون فيكم من الدفاع عن دينه ، وجهاد أَعدائِه ، والقيام بسنن الجلَّة من خلفائِه ، وهو جل وعلا يحفظكم فى كل الأَحوال ، ويسدل عليكم عصمته الوارفة[2] الظلال . والسلام الكريم يخص مقامكم الأَعلى ، وأُخوتكم الفضلَى ، ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ ، عرفنا الله خيره .

ومن ذلك ما كتبت به للسلطان أَبى عنان المذكور رحمه الله ، وقد وجّه[3] إلى بابه سلطان الأَندلس أَمير المسلمين أَبو الحجاج ابن نصر رحمة الله عليه ، هدية تشتمل على فره من البغال وغير ذلك . وهذا الكتاب فقره على حروف المعجم

المقام الذى طيَّب الأَفواه ثناؤُه ، وطرَّزت صحف الحمد أَنباؤه ، وزُيِّنت

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الخيرات) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الوافرة) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (توجه) فاقتضى التصويب .

بكواكب المفاخر والمناقب التى ترك الأول للآخر منها سماؤه ، وعلى أساس الملك الأصيل والمجد الأثيل بناؤه ، واشتهر اهتمامه بالمكارم واعتناؤه ، وتعددت مكارمه العميمة وآلاؤه . مقام محل أخينا الذى برُّه محتوم الوجوب ، وحبُّه مرسوم فى أسرار القلوب ، وسعده كفيل للإسلام بنيل المطلوب ، ومآثره تشهد بها صفوف المحاريب ومضارب الحروب . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يمهد قواعد الملك الرفيع ويثبِّتُها ، ويتقبل الأعمال الودية بقبول حسن ، ويُنْبِتُها ، ولا زال معصوماً بوقاية الله من كل حادث ، معصوباً منه حقُّ الدين بأقرب وارث ، معزز أمنه من السماء بثالث ، معظَّم مقامه الجارى من التعظيم له على منهاج الصَّادع بحجة التشيع فيه يوم تبارى الحجاج ، المستند من تأميله إلى مقدَّمات مجد صادقة الإنتاج ، المبتهج بما يسنيه الله من أسباب سعادته كل الابتهاج ، فلان.

أمَّا بعد حَمْدِ الله الذى أطلع فى أفق الإسلام من أنوار إيالتكم المنصورة الأعلام صباحاً ، وملأ بها العيون قرة والصدور انشراحاً ، فجياد الأمل تزهى نشاطاً ومَراحاً ، وأعطاف المكارم تبدى اهتزازاً ، وارتياحاً ، والإسلام يستأنف عزًّا صراحاً ، ويحمد مَغْداً فى ظل الأمان ومراحاً . والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله الذى طلع فى سماء الهدا بدراً لَيَّاحاً ونوراً وَضَّاحاً ، وكانت رسالته المؤيدة بالحق لأبواب السعادة الأبديةِ مِفتاحاً . فبذكره تُقرع أبوابِ الرغبات تيمُّناً واستِنْجاحاً ، وبجاهه نتوسل استنزالاً لرحمة الله واستمناحاً ، وفى مَرْضاته نصل الوداد سداداً لأُمته وصلاحاً . والرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا غيوثاً كلما سُئِلُوا سَماحاً ، وليوثاً كلما شهدوا كفاحاً ، الباذلين فى نصره أموالاً وأرواحاً ، المُعْمِلين فى مظاهرة أمره عزائِم راضية ، ومناصِل ماضية ورماحاً ، حتى أدّوا إلينا سنَّته حساناً[1] أحاديثها وصحَاحاً . والدعاءُ لمقامكم الأسْنَى بالنصر الذى يُورى[2]

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حسناً).

(٢) وردت فى الإسكوريال (يروى) ، وفى الملكية (يرى) فاقتضى التصويب .

زندُه فى العدوِّ اقتِداحاً ، والعز الذى يضفى على الدين الحنيف جَناحاً ، والصُّنع الذى يعم البسيطة وهاداً وهضاباً وبطاحاً ، ولا زال رأيه مؤيدًا[١] ، وعلَمه منصوراً ، وسيفه سفَّاحاً . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عزًّا باذخاً ، وسعداً سامياً شامخاً ، ومُلْكاً راسياً راسخاً . من حَمراءِ غَرْناطة ، حرسها الله ، وصنع الله بادٍ ، ولطفه جلّ وعلا مُتَماد ، والتشيع فى مقامكم [العلى][٢] لا يحتاج[٣] مُسْتَسلمه إلى استشهاد، ولا يفتقر جاهله إلى إعادة ولا تَرْداد . وجنابكم بعد الله ،هو المعتمد إذا اضطر إلى إعانة وجهاد أو التماس إرفاد . وإلى هذا عرَّفكم الله عوارف السعادة جُملاً وافْذاذاً ، كما جعلكم فى مُهمَّات الدين ملاذاً ؛ ومن وقع الخطوب عياذاً . فقد علم وتقرر ، وتأكد وتحرر، ووضح وضوح الصباح[٤] لمن أبصر، ما عندنا من الوُدِّ الذى تألَّق نوره ، وثبت فى صحف الخلوص مسطوره ، وخلصت من الشوائب بحوره ، وتحلَّت بجواهر الصَّفا نحوره ؛ فهو على الأيام ، يخلُصُ خلوص الإبريز ، وتصْفُو حلله[٥] مونقةَ التطَّريز ، وتتحصن مُضْمراته من معاقل الاعتقاد الجميل بالمحل[٦] الحريز ، وتنتصب حقوقه الجمة للعِيان مع الأحيان على التمييز . وكيف لا تحلُّ كرام صنائعكم من متبوَّأ الشكر بالمحل المغبوط ، وتتلازم موجبات الثَّناء على مُلْكِكم الرفيع البنا ، تلازم المشروطات[٧] مع المشروط ، وتختال مكارمكم من الإشادة بمواليها ، والإذاعة[٨] لمقدمها وتاليها ، فى البرُود المذهبة والمرُوط ، وقد شمل هذه البلاد منكم الرعى واللَّحظ ، وكرم

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مزيداً) وهو تحريف .
(٢) زائدة فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يخرج) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النهار) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (حلاه) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بالمجد) .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المشروط) .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والإعادة) .

منكم فى إمدادِها وإنجادها المعنى واللفظ ، وتوفر لها من اعتنايكم الكَفَلُ والحِفْظ. وأننا بحسب هذا الاعتماد والاستمساك ، والود المستقيم الأفلاك ، والولا الذى يصرع نورُه دياجى الأَحْلاك ، نود أن لا يمر جزءٌ من الزمان إلاَّ عن رسالة تُعمل ، أو مخاطبة تُتحمل ، أو مكاتبة تُحشر فيها حروف الهجا كهذه فلا تَعْمل ، أو وجه تعريف يُستقبل ، أو استطلاع لما يسنيه لله من مزيد عناية تُرجى لكم وتُؤَمَّل . وإن كنَّا لا نسوف الإمكان بهذا الغرض الحرىِّ بالتقديم ، ولا نغفل صلة الحديث بالقديم ، ولا نَبْرَح عن التكميل له والتَّتْميم[١] ، قد جعلنا ذلك شأناً ، واستشعرناه سرًّا وإعلاناً ، وشغلنا به لساناً وجَناناً ، فودنا على الاستكثار حريص ، وله مع العموم[٢] تَنْصيص ، ومن بعد العموم تَخْصِيص . وغرضنا لو نستَنْفِد الأوقات فى فروض برٍّ تُقْضَى ، واغتنام ملاطفة تُرْضَى ، واستحثاث مراسلة تنفذ وتمضى . ولأَجل ذلك رأينا أن أوفدنا على بابكم من يجدد عهدنا بأَنباءِ ذلك المقام السَّعيد المطالع[٣] ، الرفيع المصاعد والمصانع[٤] وينهى إلينا عنه إن شاء الله قُرَّة العيون وسرور المسامع ، وشافهنا بما يَتأَكَّد قبله من نعمة الله سابغة ، ومنَّة منه سابقة ، ومَوْهِبة بالغة ، فيشاركه فى الشكر على فضل الله المترادف ، ويسرُّه البادى والعاكف ، ونسئله صلة ما عَوَّد من اللطائِف ، ونرى أن ما ينشأُ بتلك السَّما من غَيْث ، ففضله عائِد على هذه الآفاق ، وأن ما يرومه من تَمْهِيد الأَقطار ، وتأْمين الرفاق ، ذريعةٌ إلى الجهاد فيها ، وتخليد الذكر الباق . هيَّأَ الله من حُلل الْعِزِّ ما يستأْنف لباسَه ، ومن مصانع الصُّنع ما يمهد أساسه ويُسْنى به قومه الكرام وناسه[٥] ، وأَبقاه لفخرٍ فاشٍ ، وحمد يشى حلته واشٍ ، وفضل لا يختلف

---

(١) وردت فى الإسكوريال (التحتيم) ، والتصويب من الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (المفهوم) .
(٣) زائدة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (المطالع) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتأييده) .

عليه راكب ولا ماشٍ . فبعثنا فى هذا الغرض مولى نعمتنا غالباً ، وصل الله له ، بالوجهة إلى بابكم ، أسباب الوجاهة ، وحفظ عليه لباس الحظوة والنباهة ، وألقينا إليه فى هذا المعنى ما يجدى إلى غايته[1] القصوى ، وجلالكم الذى مآثره تُردى ، ومكارمه تردها الْهِمم فتروى ، يعلم أننا جعلنا بين يدى حركتكم السعيدة بالاً ، فيوليه قبولاً واقبالاً ، وينعم بالإصغاء إليه على عادته التى راقت جمالا ، وفاقت كمالاً ، فسح الله له فى السعادة مجالا ، وجعل له النصر مآلا . والسلام العاطر رياه الرائق مُحَيَّاه ، المعتمد بالرحمة والبركة أَسْحَاره وعشاياه ، يخص مقامه الذى كرمت خصائِصه ومزاياه ، وطابت شمائِله الزكية وسجاياه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وفى مدرجة طَيّ هذا الكتاب

يامحلَّ أخينا ، وصل الله بقاءكم ، ووالى فى سماء السعد ارتقاءكم ، حملنا الود[2] الذى ملك الإدلال[3] مقادته ، وكفل الخلُوص إبداءهُ وإعادتُه ، أن وجهنا إلى بابكم العلى ، وصل الله إسعاده ، وفسح فى العز آماده ، أن يتفضل بقبوله من الفاكهة المعتادة ، اعتماداً على إغضا تلك المجادة . ولما تعرَّفنا حركتكم التى تستقبلان بها إن شاء الله وجوه السعادة ، وجهنا معها ما أمكن من الدواب البَغْليَّة ، مما أن عسى يسعد بخدمة مثابتكم العلية ، على سبيل السمح وسنة الهدية . ولو وقع فى الهدايا الاعتبار ، ولُوحظت الأقدار . لم يوجد فى الوجود ما يتعين لذلك المقام الكريم هدية ، فيسلك فى مكافأة فَضْله سبيلاً سويَّة ، وإن قصرت الأعمال فما قصرت النية . والسلام .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عنايته) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإدلال) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الود) .

ومن ذلك جواب على هدية
بعث بها سلطان المغرب أمير المسلمين[١] أبو عنان
رحمة الله عليه ولم يصل كتاب مع الهدية

المقام الذى يهبُ الْجِيَاد عِراباً ، ويرسلها أَسْراباً ، ويصل الأَمداد أَسباباً ، ويقدح العزم شهاباً[٢] . مقام محل أَخِينا الذى نؤمل منه ظَهِيراً مدافعاً ، ونصيراً لأَعلام الملة رافعاً ، ونَسْتَوكف من غمام عزماته السامية القتام رياً نافعاً[٣] السلطان الكذا ، أَبقاه الله ، وهباته[٤] جزيلة ، ومقاصده فى الإسلام جميلة ، ومظاهرته بكل أَمل كفيلة . معظَّم قدره الكبير ، المثنى على فَضْله الشهير ، ومجده الأَثير ، الأَمير عبد الله فلان . سلام كريم يجعله البدر تاجاً[٥] فوق جبينه، ويحمل منه الفخر الصادق لواً بيمينه ، يخص مقامكم الأَعلى ورحمة الله وبركاته.

أَمَّا بعد حَمْدِ الله فاتح أَبواب السَّعادة لمن تمسَّك بسبب طاعته ، وموضح أَسباب نُجح[٥] الإدارة ونيل الإرادة لمن أَفرده بمقام رغبته وضراعته ، جاعل التواصل فى ذاته علاجاً يكفل بصلاح الأَحوال من حينه وساعته . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ضامِن حسن المآل ، وعُقْبى الظَّفَر بالآمال ، لمن تعلق بسنته وجماعته ، وعقد بجاهه المكين أَكف طاعته[٦] ، صاحب الْحَوْض المَوْرُود ، واللِّواء المعقود ، الْمُجِير[٧] بوسيلته ، المنقذ بشفاعته . والرضا عن آله وأَصحابه ، وأَحبابه وأَحزابه ، الذين أَنِفُوا لدينه الحق من إهماله وإضاعته

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أمير المؤمنين) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أسباباً) .
(٣) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) فى الملكية (وهبته) .
(٥) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٦) وردت فى الإسكوريال (طاعته) ، والتصويب من الملكية .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النجيب) .

وكَلِفُوا بإظهاره وإعلائِه ، وإشهاره وإذاعته . والدعاءِ لمقام أُخوتكم السلطانية ، وصل الله ترفيع شأْنه ، وحرس جوانب سلطانه ، ووالى الدفاع عن أَوْطَانه ، بالسَّعد الذى يخدمه خطى الكتائِب بسِنانه ، وخط الكتب ببراعته ، والصنع الذى يقوم الوجود لأَنبائِه ، المبشَّرة بحق إشاعته ، [ويعمل فيها][1] البيان جهد استطاعته . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً ، تسطر فى نصر الإسلام جملُه ، ونصراً يدنو به [للدين الحنيف أَملُه ، وعزّاً يبدو به][2] سروره وجَذَله . من حمراءِ غَرناطة حرسها الله ، وحبكم[3] فى ذات الله لاحِبة[4] سُبله ، وأُخوتكم يمحضها التشيع ضافية حُلَلُه . وإلى هذا وصل الله لكم سَوابغ الآلاءِ ، وحرس ما لأُخوتكم الفارِسيَّة من الْعُلاَ ، فمن المعلوم عامة وشرعاً ، والذائِع الذى ليس له نُكْراً ولا بِدْعاً ، أَن الهدية ، وإن كان غيثها رذَاذاً ، وحسناتها أَفذاذاً ، يستخلص ضمائِر المودات ، وتُزكى نقود الأَذمَّة المعتقدات . فكيف إذا كانت جياداً عتاقاً ، وجُرْداً تستبق الصريخ استباقاً ، ومَذاكى ملأَ الشُّموس منها أَحداقاً ، وأَتْلَع الْعُجبُ لها أَعناقاً . وأَنفاً وردت علينا هديتكم التى غنيت بدالَّة[5] الحُسْن عن خطاب يلتمس لها أُذناً ، وكتاب يزيدها حُسْناً من كل جواد يَرِدُ من ماءِ الشبيبة رىَّ جواد ، [ويقضم حبَّ][6] كل فؤاد ، تودّ الأَهِلَّة أَن تكون لها سروجاً ، وخضراءُ[7] السَّما أَن تصيرَ لسرحها مروجاً ، وترتاح إلى الجهاد فى سبيل الله أَعطافُها ، وتجنح إلى الاخْتِضاب بمهج أُسُود الغاب أَطرافُها ، وتكلف بالاتصال بسورة الأَنفال أَعرافُها ، فيالها من كِتيبَة ، أَغنت عن الكِتاب ،

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويحمل منها) .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٣) فى الملكية (وودكم) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (لايحة) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بذات) .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويقبض حجب) .
(٧) وردت فى الإسكوريال (وخضر) ، والتصويب من الملكية .

وطليعة أُنْسٍ من الإعْتاب بعد الْعِتاب ، كأَن خُضُرها غُمِسن فى ماءِ الشَّباب ، وشُهُبها تحلَّين فى بيضِ الدِّما بساطع الجِلْباب ، وحمُرُها استَرْفقن صُنعْ الأَنامل المُطْرَقَة بالعنَّاب ، فبرز إلى مُشاهدتها النظَّار ، وسارت بوفادتها الأَخبار ، وسُرَّ المسلمون لها ، وسيِءَ الكفار . وكيف لا تُنظم بها للبُشْرى عُقود ، وتُحسب أَكُفُّ الأَنامل بيُسْر منقود[1] ، وقد أَخبر الصَّادق عليه السلام ، ان الخَيْرِ فى نواصِها معقود . ولما مَثُلت لدينا تلك الجياد ، والروض الذى صدق فيه الارتياد[2] رأَى[3] أَن يهتَزَّ فى أَدواحه ، الأُسُل المَيَّاد ، وعيّنا لها فى الحين المواقع التى عيَّنها الاجتهاد ، ورضِيها الجهاد ، وارتضاها الارتباط فى سبيل الله والاستعداد . قابلنا الهديَّة بالثناءِ والاستحسان ، وقلنا لا يُنْكر الوابل على الغمام الهتَّان ، والفضل على مثابة من مثابات العدل[4] والإحسان . وقد كان ذاع الخبر الذى ترون فوق أَعطاف الإسلام منه الحبر ، بما صَرفَ الله إليه عزمَكم من تجديد ما دَرَس ، وإحياءِ ما أَلقح سَلفُكم واغْتَرس من الأَساطيل السابحة ، والتِّجارة الرابحة ، والأَعمال الباقية الصالحة ، وإن الإنشا قد استدعى إليه الخلق والعزم ، تتبلَّج منه الصباح الطلق ، وشِيم منه البرق ، وذهب الفرق ، فلا تسلوا عن موقع هذه الأَنبا ، من صديق يعدها فضلاً من الله ومَنًّا ، وعدو يسيءُ به ظنًّا ، فلكل منها شِرب معلوم . وحظٌّ مقسوم ، جعله الله قصداً بحجِّه محتوم ، وغرضه بمناصحة الله والمسلمين مرسوم . وحضر بين يدينا مُؤدِّى الهدية السَّنية خديمكم فلان ، وألقى من مقاصدكم الجميلة ، وأَعراقكم الأَصيلة ، ومواعيدكم الكفيلة ، ما أَغْرَينا به لِسَانَ الشكر بأَقسامه ، وأَقبلنا مرآة الْبِرِّ مشرق قسامه ، وحمَّلناه من

---

(١) وردت فى الإسكوريال (معقود) .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) فى الملكية (وراق) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (الفضل) ، والتصويب من الملكية .

تقرير مثله ، مايفى إن شاء الله بإتمامه ، وإن تشوفتم إلى أخبار النَّصْرى[١] ؛ فلم يزد بعد ما تقدم به إعلامكم إلاَّ أن طاغِيتَهم رأى أن يعاجل من أُخوته مَنْ له ببلاد المسلمين اتصال ، وفى الاستنصار بهم خِصال . وليكون منه لما سوى ذلك ممن يستدرك أمره بعد الوقت إغفال ، فطوى المراحل ونازل أخاه المبشر[٢] ، صاحب قنطرة السيف بمدينة شُقُورة[٣] ، وأقام عليه ثمانية أيام بين قتال لم يُجْدِ[٤] مع مَنعَة المدينة معنى ومرام صلح أبى الله أن يتسنَّى ، واتصل به غياث من خلف وراء ظهره فى أرضه[٥] وهلك بعضُه والحمد لله ببعضِه ، فارتحل عن منزله الذى نزله ، ورجع أدراجه ، ولم يبلغ أمله . هذا ما عندنا فى شأنه ، وما يتزيد نعرفكم به لمكانه ، ونحن على ما يجب لأُخوتكم من التعظيم والإجلال ، والثناء بما لكم من الشِّيم الكريمة والْخِلال . وهو سبحانه يبلغ الجميع من مَرْضاته غاية الآمال . فهو ولى الإجابة ، وملجأ السؤال . والسلام الكريم عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

وأهدى أيضاً جمالاً مختارة بعث بها إلى الأندلس ، فصدرت عن ذلك مراجعة من إملاءى بما نصه

المقام الذى من هباته الإبل الهادِرَة ، والبُدُن المسارعة ، إلى داعى [الله المبادرة][٦] قمنا فيه المناقب الفاخرة ، ومكارمه فى ضمنها الدنيا والآخرة .

---

(١) يقصد بها هنا ملك قشتالة النصرانى أو المملكة النصرانية .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحشير) .

(٣) هى بلدة أندلسية من بلاد الشرق الإسبانى تقع على مقربة من مدينة البسيط . وبالإسبانية : Segura de Sierra

(٤) وردت فى الإسكوريال (يوجد) ، والتصويب من الملكية .

(٥) وردت فى الإسكوريال (ظهره) ، والتصويب من الملكية .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

مقام محل أخينا الذى إن وَهَب احتْفَل ، وإن اعْتَمد فى الله كفى وكفل . فجلاله فى حُلل المكارم قد رَفل ، وشهاب سعده من بعد الشرون ما أَفَل . السلطان الكذا، ابن السلطان الكذا . أبقاه الله ، ومبراته فروض مؤدَّاة ، وسيوفه [هِنْدِيَّة ، وعطاياه][1] هُنَيْدات ، ولا زال ينجز منه بالنصر على أعداء الله عُدات ، ويصرخ دينه منه ، جنود مُجنَّدات . معظَّم قدره ، وملْتَزَم برُّه ، المطنب فى حمده وشكره فلان . سلام كريم بَرٌّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله ، مُطَرِّز صحائف الأعمال بالوسائل البرّة ، ومُرَوِّض رياض الآمال بسحائب النعم الثَرَّة ، الذى وضع عدله فى الدنيا والآخرة قسطاً من الجزا ، فلا يضيع مثقال ذرَّة ، [ولا أقل من مثقال ذرَّة][2] معود هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السِّيرة ، من يتعاهدها بالإرْفاد والإمْداد فى القديم والحديث ، المرة بعد المرة ، ويعاملها برَعْى المصلحة ودرءِ المضرّة ، فثغورها تبتسم عن الثغور المفتَرَّة ، وتحيل عليها ريح الأنبا السارة[2] راح المسَرّة . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، مُؤَمل الأنفس العائذة ، وملجأ الأكُفِّ المضَّطَرة ، الذى بالتواصل فى ذاته تستجلى سعادة الحال والمال رائقة الغرَّة ، ونقتبل وجوه العناية الإلهية متألقة الأسِرَّة . والرضا عن آله وأصحابه أُولى السجايا الكريمة ، والفضائل العميمة ، والنفوس الحرَّة ، والدعاءُ لمقامكم الأسْمَى بالسعادة الدائمة المستمرة ، والنصر الذى يمضى نصله فى عدو الله أيدى القدرة ، ولا زال عزُّ ملككم يوالى سبيل الجهاد والرِّباط والحجِّ والعُمرة ، ويوضح خطيه فى خط الدفاع عن الدين أشكال النصرة ، ويقتضى لغريم الإسلام دين ما وعد الله من الكرَّه . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من حظوظ السعد أوفرها ، وأقطعكم من جوانب الصنع أينعها وأنضرها ، وتولى صنائِعكم الجميلة ، بشكرها . من حَمراءِ غَرناطة

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

حرسها الله ، والثناءُ عليكم يَسْتَغْرق أوقات الزمان آصالَها وبُكَرَها ، وفضائِلكم هى الشمس ضلَّ من أنكرها . وإلى هذا وصل الله علاءَكم ، ونشر بالنَّصر على أعداءِ الله لواءَكم ، فإننا نعرِّف جناب أُخُوَّتِكم السلطانِية ، بعد تقرير الشكر ، وتمهيد قواعد البر ، بورود الهدية الغريبة ، السَّافرة عن يُمن النقيبة ، وفَضْل الضريبة ، هدية الجِمال ، اللاَّبسة أثواب الْجمَال ، والْقِلاص التى أصبحت بحمل أزواد أهل الجهاد ذات اختصاص . فلقد طلع منها على هذه البلاد المباركة ، ركب له فى العناية والأَصالة مجال ، رحَّب من كل نجيب ، ماثل فى الْمَرْأَى العجيب ، وكرماً إلى الأَنساب [1] العربية ذات انتما كأَنها أهلة حَلَك ، أو قسىٌّ من دارَةِ الفلك ، سفاين برٍّ ، وخَزائِن قانع ومُعْتَر ، وكيف لا يسنح لها باليُمن طَيْر ، ويكون لها فى مجال السعادة سَيْر ، والله عزّ وجل يقول لكم فيها خير ، أذكرت أهل هذه البلاد أيام الحجِّ والثَّجِّ ، وصيّرت طريق الجهاد كطريق الحج . ترهق [2] فتجيبها الصواهل ، وتعرض عن الما ، فتشتاق إليها المناهل . ووصل مؤديها فلان ، وهو الخبير بجزئياتها ، والحافظ لمعانى آياتها ، ومن أُنْسَ بجوارها طبعه ، وطَرب بحِدايها سمعه ، واتسع لمعرفة أحوالها ذَرْعُه . وكان أمله يقدم بها على حضرتنا إبلاغاً فى المبرَّة ، وتضمُّنا للمسرة ، إلا أننا رأينا أن نعفيها من السفر ترفيهاً ، ونرفع عنها من توعُّر الطريق ، ما يتوقع أن يؤثر فيها ، ونتركها بفَحْص مالقة حرسها الله ، فى مَسْرح يخصبها عُشبه [3] ، ويرويها شُرْبه ، إلى أن نشاهدها بالعيان ، ونعطى حروفها من الخطابة عليها ما يقتضيه علم البيان . ونحن نقابل مقاصدكم الفاضلة بالثناء والاستحسان ، ونشكر ما لأُخوتكم الفاضلة من المزايا البرة والسجايا الْحِسان . والله تعالى يصل لكم سعداً وثيق البيان ، ويعلى بمظاهرتكم

---

(١) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ترغو) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ريمه) .

إيانا شعار الأيمان . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس الطاهر مجدكم ، ويضاعف نعمه عندكم بمنه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ عرفنا الله خيره وبركته .

ومن ذلك ما كتبت به عن السلطان أبى الحجاج
رحمة الله عليه جواباً عن هدية بعثها السلطان
أبو عنـــان
مشتملة على خيل وعدة من المهندات والذهب
العين

المقام الذى من سجاياه الشيم الغلا ، ومن عطاياه الجُرْد العتاق تختال فى الْحُلا ، وتحاسن عقبان الجو وغزلان الفَلا . والأحوال[1] التى جلا ، روض الجود من أزهار صَفرْائِها للوجود أبهى مُجْتَلا . مقام محل أخينا الذى قسم زمانه بين رِفد مقسوم ، ووعد بالصِّدق موسوم ، وفضل فى صحف المجد مرسوم . السلطان الكذا أبى عنان [ابن السلطان أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق][2] أبقاه الله عالى الهمم ، متوالى الجواد والكرم ، مُجْمَعٌ يمينه من سيفها المرهوب ، وسببها الموهوب ، بين الرَّى والضَّرم ، وتأمُّن النفوس فى ظلِّ عدله الممدود ، وفضله المقصود أمن حمامِ المحرم ، ولا زال ثناؤه فى الخافقين كنصر خافق العلم ، وأخبار عزه المأثور ، ومجده المشهور هجير اللسان والقَلَم . [وأنوار سعده ماحيةٌ للظُّلم][3] وعزمات سيوفه ترتقب فى الفضا أَمَدَ السَّلم قبض السَّلم . معظم أخوته الرفيعة ، المثنى على ماله من كرم الصَّنيعة ، المستند من التشيع إليه ، [والاعتداد به][4] إلى المعاقل المنيعة . [الأمير عبد الله

(١) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الأموال) .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الاعتماد عليه) .

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر][1] سلام كريم ، طيب عميم ، يخص مقامكم الأسمى ، ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الذى جعَل الشكر على المكارم وقفا ، ونهج منه بازايها سبيلا لا يلتبس ولا يخْفَى ، وعقد بينه وبين المزيد سبباً وحِلفا ، وجعل المودة فى ذاته مما يقرب إليه زُلْفَى ، مربح تجارة من قصد وجهه بعمله ، ومبلغه من القبول أقصى أمله ، حتى يرى الشيء ضِعفا ، والواحد ألفا ، وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيِّرة ، بمن يوسعها فضلاً وعطفا ، ويدنى ثمار الآمال يتمتع بها اجتناً وقَطْفاً . والصَّلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى العربى الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذى قدَّ من الرحمة على الأُمة سَجَفاً ، وملأَ قلوبها تعطفاً وتقارباً ولطفاً ، القايل من أيقن بالخلف ، جاد بالعطية ، ووعد من عامل الله برِبح المقاصد السَّنيَّة ، وَعْداً لا يجد خِلْفاً . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين كانوا من بعده للإسلام كَهفْاً ، وعلى أهله فى الهواجر ظلاًّ ملتفاً ، غيوث الندا كلما ساموا سماحاً ، وليوث العدا كلما شهدوا زحفاً . والدعاءُ لقام أُخوتكم الأَسْمَى ، بالنصر الذى يكُفُّ من عُدوان الكُفر كَفًّا ، والعِزّ الذى يغض[2] من الشرك ناظراً ويرغم أنفاً ، والمجد الذى لا يغادر كتابه فى المفاخر التى ترك الأُول منها للأُخر حرفاً ، والعزم الذى يفيد جوارح الإسلام قوة لا تعرف بعدها ضعفاً . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سَعْداً خافقاً علمه . وعِزًّا[3] يتبارى فى ميدان الاستقلال بحسب وظائِف الأَعمال سيفه وقلمه ، وفخراً[4] تجلى به عن أُفق

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، ومكانه فى الملكية (فلان) .

(٢) فى الإسكوريال (يقصر) ، والتصويب من الملكية ، وهو أنسب للسياق .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وفخراً) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (وعزاً) ، والتصويب من الملكية .

الدين الحنيف ظُلْمه ، ويشفى بعلاجه الناجع[1] أَلَمه ، وشكراً عن هذه البلاد جودُكم الذى وكَفَتْ دِيمَه ، وأَبقى عليها وجُودكم الذى راقت شيمه . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله تعالى ، والتشيع فيكم لا يعرف النسخ محكمه ، ولا يقبل الالتماس معلمه . وإلى هذا شكر الله عن الإسلام صنائِع مقامكم ، وعرَّفكم عوارف العز فى غرر أَيامكم . فإِننا وصلنا كتابكم الكريم الوفادة ، العظيم الإِفادة ، مصحباً بالهدية التى صحبها الكمال ، وصدقت فى احتِفائِها واحتفالها الآمال ، واشتملت على نكايتى العدو ، وهما الخَيْلُ والمال ، فكأَنه كان لواءَ نصر خفق أَمامَ كتيبة ، ونسيم زهر عَبَق عن روضة عجيبة . ويالها من هدية اتخذ الناس يومها عيداً ، وموسماً سعيداً ، وعزماً رآه العدو قريباً ، وكان يحسبه بعيداً ، نتيجة الْهِمّة التى تقف الْهِمَمَ دون مداها ، وتستقرى الغيوث مساقط نداها ، والشيم التى ترى العَوَاذل فى الوجود من عداها . فلو خُيِّر المجد لما بَعُد مداها . وقفنا من مضمَّنه على لجّة جود ، للِّسان فيها سبح طويل ، ومحجّة فضل للأَقلام فيها نصر من كل طرف وسم بالصباح منه جبين ، ناشئ فى الحلية وهو فى خصام الحرب مبين ، من أَشهبٍ للشُّهب فارح ، ولإِحراز الغايات مُسَارع ، حاسرٌ فى شكل دَارع ، كأَنما خلعت عليه الْبُزَاة البِيض[2] صدورَها ، وقلدته الكواكب شذورَها ، وأَشقر عَسْجَدى اللِّباس ، شُعلة من شعل الباس ، كأَن أُذُنه ورقة الآس ، وغرَّتُه الحبابة الطافية فى الكاس . وأَحمر وردِىُّ الأَديم ، حايز فى حلبة الحسن مزية التقديم ، كأَنما صنع من العَنْدَم ، أَو صبغ بالرحيق المغدَّم ، يحسد الأَسد الورد فى لونه ، ويدَّعى الريح أَنها مادة كونه . وكُمَيْت ما فى خلقه من أَمْت ، كأَنه قطعة من الغسق خالطت دهمتها حمرة الشفق . وقرطاسى كأَنه دُرَّة سمع استحسان الغرر فجاءَ وكله غرة ، كأَنه أُفُق الفجر ، وسرجه هِلالُه ، وخالص الدر

---

(١) وردت فى الإسكوريال (القاضى) ، والتصويب من الملكية .

(٢) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

وصَدَفُه جَلاله . وأدهم زنجى البزَّة ، مرتد برداءِ البَأْو والعزة ، كأَن العيون النُّجل نَفَضَتْ عِلها سوادها ، والغصون[١] المُلْد علمته انثناءها وانقيادها . وكل صامت ناطق متصف بزينة[٢] مَعْشُوق ولون عَاشِق مَرِينى الْمُنْتَمى والضرب ، عُدَّة فى السلم والحرب ، قامت قيامة العدوِّ لطلوع شَمْسِه من الغَرب ، أَشبه شمس العالم فى استدارة قُرْصه ، وانتقال شخصه ، واعتدال طبعه ، وعموم نفعه ، تعشو[٣] غيون الأَمانى إلى ضوءِ نارِه ، وتدور فراش المطامع حول أَنواره ، وتحوم[٤] نُحل الآمال على نَوَّاره . وكل صَقيل الْفِرَنْد ، منسوب إلى الهند ، يَخْطُب من الكلام بمقتضبه ، ويضحك فى الروع عند غضبه ، ومن الآلات كل ماثلة فى الْمَرْآى الجميل[٥] [بعض مغمزها إلى السمعيل][٦] فمن للسان الشكران[٧] أَن يوفى حقًّا أَو يهتدى فى هذه البيداءِ طرقاً . إنما نَكِلُ الشكر لمن سَمَحتم بذلك المدد فى سبيله ، وأَملتم فيه موهبة قبوله . فما هى فى التحقيق إلا كتائِب للعدو جهَّز ثمُرها ، ومواعد نصر أَنجز نمُوها ، ومناقب أَسلاف جدَّدتموها وأَحْرَزْتموها . وحضر لدينا رسولكم فلان فأَلقى من القول الذى صدَّقه الفعل ، واللفظ[٨] الذى شرحه المجد والفضل ، وما أَوثق أَسباب الآمال ووصلها ، وأَحرزها وحصلها ، وقرر اعتقاد الْوُدِّ الجميل وأَصَّلها . وقد رأَيتم بالاستقرار الصريح ، والنظر الصحيح ، ما أَثمر اعتناؤكم بهذا القطر المتمسِّك بأَسبابكم ، المعتمد على جنابكم ، من صِلَة نَصْركم ، وإعزاز أَمركم ، واتِّساق سعدكم ، وإسعاف قصدكم ، فاشكروا الله الذى

---

(١) وردت فى الإسكوريال (الغصن) ، والتصويب من الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (برقة) ، والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تعشق) وهو تحريف .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتحول) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العجيب) .
(٦) هذه العبارة واردة فى الملكية ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٧) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (والفضل) .

أجرى الخير على يديكم ، وألهمكم ما يحفظ نعمه الجزيلة لديكم ، ويضفى ستر عصمته عليكم . وكتبنا إليكم هذا الكتاب ، فلو أن حُمْرة مثله معتادة حسبما اقتضاه عرف وعادة ، لقلنا خَجِل من تقصيره ، فَعَلَتْه حُمرة الخَجل لما ضاق عن مراده ذرع المروىِّ والمرتجل ، لاكن على إغضا ذلك المقام المعتمد ، فهو الذى يُعدُّ منه فى الفضل الأَمد[١] . والله يصل سعدكم [ويحرس مجدكم][٢] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبت أيضاً

المقام الذى بَرَّ وَوَفَى ، وكَفَل وكَفَى ، وخَلَص على كدر الزمان وصَفَا ، وشفَا الأَمر على شفَا ، وأَوجب ما أوجبه المجد ونَفَا ، وسجَّل عقد الرعى والوفَا الحميد السعى ، فاستقل رسمه واكتنى ، وسكنت صولة عِزِّه ريح الكفر وقد كان هَفَا ، وقامت على قصده الجميل الأَدلة [التى تسعد)[٣] بها الملة مما بدا عما خَفَا . مقام محلِّ أَبينا الذى إلى ظلِّ فضله الاستناد ، وبحجَّة نصره يرتفع العِناد ، وعلى مجده الاعتماد ، وتشيُّعنا إلى أُبوته يشهد به الحىّ والجماد ، أَبقاه الله يخلف أَولياءَه فى أَبنائِه[٤] أَحسن الخلف ، ويتحلى[٥] من حسن العهد بأَكرم ما يؤثر عمن شُهر من السَّلف ، ويتحمل فى سبيل الله ثقيل[٦] المون وباهِظ الْكُلَف ، وحرس بَدْر عُلاه من السِّرار والكلف . معظم مقامه ، وملتزم إجلاله وإعظامه ، فلان . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أبنائهم) .
(٥) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (ويتملق) ، وهو تحريف .
(٦) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

أمَّا بعد حَمْدِ الله الذى لا تُحصى آلاؤه ، ولا تعد صنايعه ، ولا تفتقر إلى المثل المحـــدودة[١] والرســـوم المتلوة بدايعه ، قيُّوم السموات والأَرض ، فلا يناويه ضد ، ولا ينازعه ، الذى يعلم السرَّ وأَخْفَى ، فما من ضمير إلاَّ وهو مجتليه[٢] ولاندا[٣] إلاَّ وهو سامعه ، فمن توكل عليه ، وأَسند الأَمر إليه . أُحْسِبت بالخير العاجل والآجل مطامعه ، ومن توكل على فضله ، علت مراتبُه ، وأَخْصَبَت مرابعُه . والشكر لنعمه[٤] الباطنه والظاهرة ، والمزيد منها مقترن بالشكر متتابعُه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، نورُ الكون الذى بَهَر ساطِعُه ، وبرهان النبوة الذى فصح المعاندين قاطعه ، الذى أَنارت بمصباح آياته البينات ، مراقب الهدى ومطالعه ، وغمام الرحمة الذى أَغاث العباد والبلاد هامِعُه . فإن تُوقع الخطب فجاهه دافعه ، أَو عَظُم الذنب ، فهو فى القيامة[٥] شافعُه ، وأَنموذج الكمال الذى اشتملت على المكارم أَخلاقه وطبايعه ، وعنوان أَمر الله ، يبايع الله من يبايعُه ، ويشايع الحقَّ المبين من يشايعُه . والرضا عن آله وأَصحابه الذين أَقيمت بهم من بعده شعائِره وشرايعُه ، ، وحُفظت رسوم دينه فروعِيَتْ مصالحه ، وسُدَّت ذرايعه ، فضَفَتْ بالبر والتقوى مدارعه ، وأَثمرت استقامة الأَحوال ونجاح الأَعمال مزارعه ، وشَقِى بهم عاصِيه وسَعُد[٦] طايِعُه ، وتأَرَّج عن رياض الحق نسيم ثنايهم الجميل فنمَّ ذايعه ، والدعاءِ لمقام أُبوتكم بالصنع الإِلاهى ، الذى يشهد بالعناية الأَزلية رايقه ورايعه ، والنصر الذى يتجلى [فى منصات المنابر فتكاته بالكفر ووقائعه . والسعد الذى يتجلى][٧] تجلى الصباح الطلق ، فلا

---

(١) وردت فى الإسكوريال (المدودة) ، وفى الملكية (المحدوة) ، والتصويب أنسب للسياق .
(٢) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (داء) ، وهو تحريف .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (على نعمته) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يوم) ، وهو تحريف .
(٦) وردت فى الإسكوريال (ويسعد) ، والتصويب من الملكية .
(٧) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

يخفى عن أعين الخلق ناصعه ، والعز الذى لا تُناجزه الكتايبُ المشتركة ولا تدافعه ، ولا زالت الأقدار[١] الإلآهية توافقه وتطاوعه . فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من فضله أَسْنَى ما أثبت الخلفا الكفلا وكتبه ، وأوجب لكم من جزا الأئمة الأوفيا خير ما أَوْجَبَه ، وكافأ ملككم الذى تقلد مذهب أهل الحق وارتكبه ، وجدَّدَ عادة الفضل ، ووصل سببه ، بما يكافى به من أخلص إليه النية فيما وهبه ، وعضَّد الرَّعْى الذى وَرِثه ، بالرَّعى الذى كسَبَه ، وولى وجهه شطر ما عند الله وقَصَر عليه طلبه . من حَمراء غرنَاطة ، حرسها الله ، ونِعَمُ الله علينا ، ببركة أُبوتكم منسحبةٌ ظلالُها ، وآلاؤه متوال نوالها ، نتعرف وجوه السعادة يروق جمالُها ، ونترجّى بنيتكم سبل المصالح ، الذى يحمد مآلها ، ونستزيد من جميل نظركم ما تطاوع به للنفوس آمالها ، وعندنا من الثناء على معاليكم[٢] أعلام[٣] عقدت فى قِنَن الأقلام ، فخَفَقَت وظهرت ، وبضايع طيب خلقت بها هبوب الرياح فذاعت فى الآفاق واشْتَهرت ، ومن الوُدِّ الأصيل أُصُولٌ تقررت ، وحججٌ تخلصت من شوب الشُّبُهات وتحرَّرَت ، ومقاصد طافت بذكر ذلك المقام الأبوى واعْتَمرت ، وضمایر أَثْمَرت من صاغِيته[٤] المنقادة لداعى الكرم والحرية ما أَثْمَرتْ . وإلى هذا وصل الله لنا بقايكم ، فإننا نؤمِّل إغضاءكم حتى عن قُصور الأَلْسِنة من الثناء على أُبوتكم الْمُحْسِبة الْمُحْسِنة ، فإن المدارك إذا بعدت غاياتها[٥] ، عُذِر طلابُها ، والكمالات إذا نالت من آياتها ، رحم خطابها . ومن للعبارة أن تدرك شأْو فضل تجاوز العادة بخرق حجَابها ، ويرفع عن طور الأُمور المألوفة فتخطى حسابها . ونعرفكم بوصول كتابكم الكريم جواباً عما

---

(١) وردت فى الإسكوريال (الأقطار) ، والتصويب من الملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (معاليه) ، والتصويب من الملكية .
(٣) واردة بالإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال والملكية .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عناياتها) ، والأولى أرجح .

خاطبنا به أبوتكم مع رسولنا إليكم كاتب سرنا [ووزير أمرنا][1] الكذا الكذا [أبا عبد الله بن الخطيب][2] وصل الله عزّته[3] ، [ووالى رفعته][4] ، متضمناً من الهداية التى تنقاد النفوس بزمامها وتجبرُها على الرضا بالمقادير وأحكامها ، والحظوظ وأقسامها ، والآجال وبلوغ أيَّامها ، معزِّياً عن فقيدنا العزيز فقدُه ، مخمداً من الحزن الذى اشتعل وقْدُه [داعياً إلى الصبر الذى ضمن كالى الأجر نقده][5] ، واستقل بين يدى ذاكم الخُلُق الجميل عَقْدُه ، مقرراً فى المساهمة بما يليق بمثلكم ممن يحمله عليها الدِّين الوثيق ، والحَسَبُ العريق ، والوفا الذى صَحَّ[6] منه الطريق ، مهنياً بما سَناه الله بنيتكم من وراثة المُلْك الذى تـأْميلكم مدار أمره ، وقبتُكم فطنة نصره ، وموالاتكم أنفَسُ ذُخْره . فاجْتَنَينا من ضروب هذه الفضال[7] الحسِّية والمعنوية ضَرْباً مشُوراً ، واجتلينا من طِرْس ذلك الخطاب ، لواءَ النَّصر منْشُوراً ، وصَدَعْنا به فى الحفل اعتزازاً به وظهوراً . وقَدحْنا منه فى ظلام الخَطْبِ نوراً ، وشرحنا به للمسلمين صُدوراً ، وأطلعنا من أنبائِه ، شموساً وبدوراً ، وأضحكنا بمسرَّته من هذه الثغور القاصية ثغوراً ، ووقف رسولنا بين تقرير بصور[8] لمجدكم وتمهيدٍ ، وتفسيرٍ لسُور فضلكم وتَجْويد ، وتقسيمٍ[9] لضروب محاسنكم وتعديدٍ ، حتى ظننا النجوم

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية مكانها (فلان) .

(٣) فى الملكية (سعادته) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وورد مكانها فى الملكية ما يأتى (وحفظ ولاءه المتوارث ووراثته) .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وضح) .

(٧) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٨) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وتقصير) ، وهو تحريف .

تنْظمُ عقوداً وشذوراً ، والرياح تحمل مِسْكاً منثوراً ، ورِقاق الهند تَحْدُوا[١] قطاراً مسطوراً ، [ورَوْضَة الحسن تُحيي بالنفوس اللَّطيفة دوحاً ممطوراً][٢] واستصحب من المال الذى يقيم الأَوَدْ ، ويوضِّح[٣] المُسْتنَد، والهدنة التى حازت من ميدان الفضل الأَمد [وأوصل من المواعِد][٤] تتحمل الْمُوَن العَويصة ، واجتناء الآمال الحَرِيصة ، ما نقلته الدَّواب [من] الأَسباب[٥] ، ووضحت من الثقة بإنجازه الغُرَر والشِّيات ، وما لا ينكر على تلك الشِّيم ، ولا يستغرب فى مواقع تلك الدِّيمَ ، فالعمايم شأْنها أن تَهْمى هباتُها ، والشمس عادتُها أن تَعُمَّ إفادتُها . فقلنا الحمد لله الذى شرَّفنا بهذه الأُبوة ، وذَخَر لنا زمانَها ، وعطف علينا هذه السَّرحة الكريمة ، نستظلُّ ظِلالها ، ونتتجع أَفْنَانها ، وشرح لنا هذه المَثَابَة التى رُفع شأْنها ، ولم نَكد نُشَابه شط هذا البحر الذى عبره ، ونستوفى شرح ما خبره إلاَّ وتَلاحقت مراكب الطُّعمة ، وبواكر ما يعم المسلمين من النِّعمة ، فأَنتج المُتَقَدِّم والتالى ، مطلوبَ القَبُول ، وأَفصح لسان الحال ولسان المقال بالنَّسَب[٦] الموصولَ، وزادت [والحمد لله][٧] فنون الفروع والأُصول ، وصحَّ عن ابن الخطيب حمل ذلك المحصول ، وإنَّا وإن عجزنا عن المجازاة ، وتبيَّنت الحقائِق من المجازاة ، لنُشمِّر فى التَّشييع ، والحب [عن ساعد][٨] لا يُطاول بحول الله ولا يَظْهر ، ويجول فى الثناء على جواد هو الأَسْبَق الأَشْهَر ، ونعلم فى مجال الشكر بسيمة لا تُلتَبس ولا تُنكر ، ونلتزم من الأُبوة التى أَوجبها الله

---

(١) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ويصلح) .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، ومكانه بياض بالإسكوريال .
(٥) وردت فى الإسكوريال (الأسات) ، وفى الملكية (الأثبات) ، والتصويب أنسب للسياق .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السبب) .
(٧) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٨) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

سبيلا ، تُحمد للأبناء وتُشكر ، حتى يعلمَ الله أننا [أبلينا عُذْراً][1] وقضينا نَذْراً ، ورعينا حقاً ، وسلكنا من البر طرقاً . وقد كنَّا على حياة مولانا الوالد ، نحمل أحاديث مجدكم بالإجازة العامَّة ، ونعمل حُكْمَ التواتر بشروطه التامة ، فالآن صحت لنا المناولة والسماع ، وصَدَقت فى الإفادة الأطماع ، ووقع على القضية الإجماع . وكتبنا إليكم هذا الكتاب لنُودى فروض الشكر الذى وجَب ، ونثنى بالفضل الذى اجتلينا منه العَجَب. وما عسى أن يبلغ الثنا وإن اتسع نطاقه ، وجاشت آفاقه ، وكان إلى داعى [الإجادة اشتياقه][2] فى تلك الشِّيم التى راهَنَتْ العلما فبذَّتها ، وتخطت مراقى الرتب فاطَّرحتها ، إلى ما فوقها ونَبَذَتها ، والهمّة التى سمت نحو الحظوظ الباقية وطمحت ، واحتقرت فى الله ما به سَمَحت ، وهامت بأذواره التى التُمحت لتهنها السعادة الكبرى ، والعناية التى تجمع لها بين عزِّ الدنيا والأُخرى . وهذه الجزيرة الأندلسية لكم ولسَلَفِكم محراب مناجاة ، وسوق بضايع غير مُزْجاة ، وميدان جهاد ، وخلوة ذكر واجتهاد ، فلا تعدم منكم ممتعضا لحرمتها ، راعياً لأَذمَّتِها ، مُصْرخاً عند الشدائِد لأُمَّتها ، ولو سُئِلت عـلى كثرة من عَرَفت لأقرت بفضلكم واعترَفت ، فأنكم شَفَيْتُم منها داءً ، وسبقتموها بالجيل ابتداءً ، ولم تشغلكم الشواغل عن تداركها ، حتى فرَّج سعدُكم شدائِدَها ، وكان إمدادكم طبيبُها ، وإنجادكم عائِدها ، فكيف بعد تمهيد ملككم الأمل . وإذا كرُم الماضى ، فأولى أن يكرُم المستقبل . نسل الله أن[3] يمتعكم وإيانا ببقائِكم مادَّة سعودها ، وحياة وجودها[4] ، ويبقى بمناصحة

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الإجابة استباقه) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (عن) . والتصويب من الملكية .

(٤) وردت فى الإسكوريال (سعودها) مرة أخرى . والتصويب من الملكية .

الله فيها ذكرَكم ، ويعلى بجهاد عدوه قدركم . وهو سبحانه يَصِل بركم ، ويوزع شكركم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا .

وكتبت هذا أيضاً فى هذا الغرض جواباً
لصاحب البلاد القِبلية عن خَيْلٍ عِتاق
بعث بها إلى الأَندلس رحمة الله عليه

من الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد بن نصر [أَيده الله بنصره وأَمده بمعونته ويسره][1] إلى محل أَخينا الذى ودادُنا له فى ذات الله وثيق البُنْيان ، وخلوصُنا له كبير[2] الأَثر والعِيان ، وتشيُّعنا لجانبه فسيح الميدان ، وثناؤُنا على مكارمه ومكارم سلفه ، تركض فى مجاله الرَّحْب جياد البيان . [السلطان الكذا أَبى عثمان ابن الأَمير أَبى زيد بن الأَمير أَبى زكريا ابن السلطان أَبى يحيى يغمرا سن بن زيَّان][3] أَبقاه الله ، وقواعد ملكه به راسخةٌ راسيةٌ ، ومعالم فضله ساميةٌ عالية ، وعناية الله له كالية ، وفواضله لديه متواترة متوالية ، حتى ينسى بمآثره الراضية ، مَنَاقب أَسْلافه الماضية ، ويُخَلد له فى سبيل الجهاد المفاخر الباقية ، والأَعمال الصَّاعدة إلى محل القبول الراقية . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعد حَمْد الله ولى الحمد وأَهله ، والثناء عليه [بما أَولاه][4] من مواهب فَضْله ، والاستِعانة به سبحانه على الأَمر كلِّه ، والضراعة إليه فى صلة تيسيره وحَمْله . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد الكريم المصطفى ، خيرة أَنبيائه وخاتَم

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (كريم) .
(٣) هذا التعريف وارد فى الإسكوريال ، ومكانه فى الملكية (السلطان) الكذا بن السلطان الأمضى الشهير الجلالة المضروب به المثل فى المضاء والبسالة المبرور الموقر ابن يحيى يغمراسن بن زيان) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (بالولاء) ، والتصويب من الملكية .

رسله ، المفضل بعلو مكانه ورِفْعة محلِّه ، ملجأ الخلق يوم لا ظل غيرَ وارف[١] ظلِّه ، الذى هدانا إلى سلوك الحق ، واتباع سبله ، وأمدَّنا بالمؤاخاة فى ذاته ابتغاءَ مَرْضاته ومن أجله ، والرضا عن آله وصحابته وقرابته وأهله ، المثابرين على اتباع سُنته فى قوله وفعله . والدعاءِ لمقام أَخُوَّتِكم الْفُضْلَى بتأْييده ، ونَصْره فى سبيل الله ومَضَاءِ نَصْله ، واستيلائِه من ميدان السَّعد على قَصَب خَصْله . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعدًا[٢] باسماً باسقاً ، وعزًّا[٣] متناسباً مُتَناسقاً ، وصُنْعاً جميلاً رائقاً ، وتوفيقاً من لدنه موافقاً . من حَمراءِ غَرناطة ، حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله جل جلاله ، ثم بما عندنا من جميل الاعتقاد فى مقامكم الرَّفيع ، الذى تسنَّت من فضل الله آماله ، وسَعُد حالُه ومآلُه ، إلاَّ النِّعم الواكِفة ، والصَّنايع المترادفة ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل إلاَّ فضْلُه . وعندنا لأُخوتكم الكريمة تشيُّع واضحةٌ مذاهبه ، ووُدادٍ كريم شَاهده وغَايبه ، وإخلاص أشرقت فى سما الصَّفا كواكبُه ، ولِمَ لا ووُدادكم ، قد أحكم السَّلف المبارك [رضى الله عنه][٤] معاقدَه ، وأوضح فى مرضاة الله مواردَه ، وأقام على التعاون فى سبيل الله سبحانه قواعده ، فهو بتأَكُّد وعلى مر الأَيام يتجدَّد . وإلى هذا وصَل الله سَعْدَكم ، وحرس مجدكم ، فلو استطعنا ، لاتمر ساعة إلاَّ عن مكاتبة ، بيننا وبينكم تتردّد ، وذمامٌ كريم يتأَكَّد ، اغتباطاً بولائِكم ، وارتباطاً إلى مصافاة علائِكم ، وفى هذه الأَيام وصلنا كتابكم صحبة الخيل الذى تفضَّلتم بإهدائِها ، وسلكتم بها سُبُلَ الملوك مع أَوْدائِها ، فكَرُم عندنا موقع وُدِّكم ، ووصلنا الثنا على أَصالة مجدكم ، وقلنا فضلٌ صدر عن محلِّه ، وبرٌّ جاء من أَهْلِه ، وإمدادٌ أتى

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نصراً) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وسعداً) .

(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

من عنصر الإمْداد ، وإعانة وصلت من مكان الإعانة والإرْفاد ، والمعاضدَة فى سبيل الجهاد ، وماجِدٌ سلك سبيل سَلَفِه الأمجاد ، فوجب علينا أن نبعث إليكم هذا الكتاب ، نشكر به ما كان من أفضالكم ، ونشير بالثنا على كَمالكم وباهِر خِلالكم ، ونستطلع ما يسرُّ إن شاء الله من متزيِّدات أحوالكم ، عملا على شاكلة الوُدِّ الكريم ، والاعتقاد السليم ، والرعى لما سلف بين قومنا وقومكم ، من الذِّمام القديم . ولم يتزيد عندنا ما نُطالع به مقامكم الرفيع لما نعلمه من تشَوُّفِكم لأحوال المسلمين بهذا القطر ، دافع الله عن أهله ، وحملهم على أنهج طرق السداد وأقوم سُبُله . إلا أننا عَقَدْنا فى هذه الأيام الفارطة السلم مع سلطان قشتالة وأحكمناها ، وجدّدنا شروطها ورسمناها ، وتم المراد من ذلك بنيتكم التى منها يُلتمس ، ومن بركتها يُقْتبس ، والناس والحمد لله قد شملهم التمهيد ، وتشاور فى الأمر منهم القريب والبعيد . والله سبحانه المستعان فى جميع الأحوال ، والمرجو لصلة النَّوال. هذا ما تزيَّد عندنا طالعنا به مقامكم ، وبادرنا به أعلامكم ، فعرِّفونا بما يتزيَّد لديكم ، ويتجدد من فضل الله عليكم ، لنُسر بوارده ، ونتأنَّس بوافده ، [والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم][1] . والسلام الكريم عليكم كثيراً أثيراً ورحمة الله وبركاته ، وكتب فى كذا من التاريخ عرَّف الله خَيرْه .

وكتبتُ أيضاً جواباً عن هدية بعث بها المذكور

المقام الذى تجدَّدت بسعادته[2] دولة أسلافه ، واتفق بها قولها[3] بعد اختلافه ، وعاد العِقْد إلى انتظامه ، والشَّمل إلى ائتلافه ، مقام ولينا فى الله ، الذى هيأ الله له من جميل صنعه أسبابا ، وفتح به من مُبْهَم السعد أبوابا ،

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (سعادة) ، والتصويب من الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (قوله) ، والتصويب من الملكية .

وأطلع منه فى سما قومه شهابا . وصَفِيِّنا الذى نسهب القول فى شكر جلاله ووصف خلاله إسهابا . السلطان الكذا أبى سعيد عثمان ابن الأمير أبى زيد ابن الأمير أبى زكريا ابن السلطان أبى يحيى يغمراسن بن زيّان ، أبقاه الله للدولة الزيّانية ، يزين بالأعمال الصالحة أجيادها ، ويملك بالعدل والإحسان قيادها ، ويجرى فى ميدان النَّدى ، والبأْس ، ووضع العرف بين الله والناس جيادها . سلام كريم ، كما زحفت[1] للصباح شُهب المواكب ، وتفحت على نهر المجرَّة أزهار الكواكب ، ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله جامع الشَّمل بعد انصداعه وشَتاته ، وواصل الحبل بعد انقطاعه ، وانْبِتاته ، سبحانه لا مبدل لكلماته[2] ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الصَّادع بآياته[3] المؤيد ببيِّناته ، الذى اصطفاه لحمل الأمانة الكبرى[4] ، وحياه بالقدر الرفيع والمحل الأسنى ، والله يعلم حيث يجعل رسالاته . والرضا عن آله وأنصاره وحزبه وحُماته ، المتواصلين فى ذات الله وذاته ، القائمين بنصر دينه وقهر عداته . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً ثابت الأركان ، وعزًّا سامى[5] المكان ، ومجداً وثيق البنيان ، وصُنْعاً كريم الأثر والعيان . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، والثقة بالله سبحانه أسبابها[6] وثيقة ، وأنسابها عتيقة ، والتوكُّل عليه لا تلتبس من مذاهبه[7] طَرِيقة ، ولا تختلط منه بالمجاز حقيقة . وعندنا فى الاعْتِداد بكم فى الله عقودٌ مُبْرمة ، وآىٌ فى كتاب

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (رجفت) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (لكلمته) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (بأمانته) ، والتصويب من الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العظمى) .
(٥) هكذا فى الملكية ، ووردت فى الإسكوريال (نامى) والأولى أرجح .
(٦) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٧) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مسالكه) .

الإخلاص مُحْكمة . ولدينا من السرور بما سناه الله لكم من أسباب الظهور الذى حُللَه مُعْلمة ، وحُجَجه البالغة مُسْلمة ، ما لا تفى العبارة ببعض حقوقه الملتزمة . وإلى هذا أيد الله سلطانكم ، [وسَنَى أَوْطَاركم ، ومهَّد أقطاركم][1] ، فإننا ورد على بابنا فلان وصل الله كرامته ، وسنَّى سلامته صادراً عن جهتكم الرفيعة الجناب[2] ، السامية المراتب ، طلق اللسان بالثنا بما خصَّكم الله به من فضل الشمائِل ، وكرم المذاهب ، محدثاً عن بحر مكارمكم بالعجائب ، فحضر بين يدينا . ملقياً ما شاهده من ازديان المشاهد بتلك الإيالة ، واستبشار المعاهد بعود ذلك الملك الرفيع الجلالة ، الشهير الأَصالة ، ووصل صحبته ما حمّلتم جفنه من الطعام إغاثة لهذه البلاد الأَندلسية ، والأَمداد التى افتتحتم به ديوان أعمالكم السَّنية ، وأعربتم عمّا لكم فى سبيل الله من إخلاص[3] النية . وأخبر أَن ذلك إنما هو رشَّةٌ من غمام وطليعة من جيش لُهام ، ورفدٌ من عُدد ، وبعضٌ من مدد ، وإن عزائِمكم فى الإعانة والإمداد على أَولها ، ومكارمكم تُنْسى الماضى بمستقبلها ، فأَثنينا على قَصْدكم الذى لله أَخلصتموه ، وهذا العمل البرّ [الذى][4] خصَّصْتُموه ، وقلنا لا يُنكر الفضل على أَهله ، وهذا برٌّ صدر عن محلِّه ، فليست إعانة هذه البلاد الجهادية ببدع من مكارم جنابكم الرفيع ، والإشارة فيما أَسدى على الأَيام من حسن الصَّنيع . فقد علم الشاهد والغائِب ، ولو سكتوا ، أَثنت عليك الحقائِب ، ما تقدم لسَلَفكم [فى هذه البلاد][5] من الإرفاق والإرفاد ، والأَخذ بالحظ الموفور من المدافعة والجهاد ، وأَنتم أَولى من جدَّد عهود قومه ، وكان غَداه فى الفخر أَكبرُ من يومه . وقد ظهر لله فى جبر [تلك][6] الإيالة

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .
(٢) هكذا فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الجانب) ، والأولى أرجح .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خالص) .
(٤) اختصاهن . الكلمة لاستقامة السياق .
(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٦) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

الربّانية نتيجة تلك المقدمات ؛ وعرفت بركة ما أسلفته من المكرمات، وسنى الله سبحانه بين يدى وصول ما به تفضلتم ، وفى سبيله بذلتم ، أن فتح جيشنا حصناً من الحصون المجاورة لغربى مالقة ، يعرف بحصن قنيط ، من الحصون الشهيرة المعروفة ، والبقع المذكورة بالْخَصْب الموصوفة ، دفع الله مضرَّته عن الإسلام وأهله ، ويسّره[1] بمعهود فضله . فجعلنا فى ذلك الطعام الذى وجهتم ، طُعْمة حماته ، ونفقاتِ رجاله ورُمَاتِه ، اختياراً له فى أرضى المرافق من سبيل الخير وجهاته . وأما نحن فإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من الثَنا على مُلْككم الأصيل البنا ، والاعتماد على مقامكم الرَّفيع العماد ، والاستناد إلى ولائِكم الثابت الإسناد ، لم نَبْلُغ بعض المراد ، ولا وَفَّى اللسان بما فى الفؤاد . فمن الله نسل أن يجعله فى ذاته ، ووسيلة[2] إلى مَرْضاته ، ومرادنا من فضلكم العميم ، وودكم السليم أن تحسبوا هذه الجهة كجهتكم فيما يعنُّ من الأغراض ، ليعمل [فى تتميمها][3] [يحسب الود الصافى الحِياض][4] . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام .

وكتبت فى غرض الشكر
على الهدية للسلطان أبى فارس ابن السلطان
أبى الحسن وفى أول عام سبعين وسبعمائة

المقام الذى جدَّد العهد ، وخلف وليه العهد واستأنف السَّعد ، وتأذَّن الله فى كتابه أن ينجز له الوعد . مقام محل أخينا ، الجارى فى الفضل جَرْى الجواد على أعراقه ، المتميز بحميد شِيمه وكريم أخلاقه ، مُطْلع ذَرى السعد من

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وبشره) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وذريعة) .
(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (فيه) .
(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بمقتضى الود العذب الموارد) .

آفاقه ، ومُلبس الإسلام ما تعوَّد من أطواقه ، وناظم عقد الشَّتيت على أحسن اتِّساقه . السلطان الكذا ، أبى فارس عبد العزيز ابن محل والدنا الذى نعظمه ونجله ، ونوجب له الحق الذى هو أهله السلطان الكذا أبى الحسن ابن السلطان الكذا أبى سعيد بن السلطان الكذا ابى يوسف بن عبد الحق][1] أبقاه الله رفيعاً شأنُه سعيداً زمانُه ، واضحاً فى المكرمات برهانه ، سابقاً إلى الغايات أولى الغُرَرَ من قومه ، والشتات[2] ، إذا احتفل ميدانه ، معظَّم قدره العالى فى الأقدار ، المسرور لهلاله ، السعيد بجلالة الأبدار ، واستقامة المدار ، الداعى له بمساعدة الأقدار وعُقْبى الدار . الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد ابن نصر . سلام كريم طيبٌ برٌّ عميم ، كما أهدت الرياض شَذَا ريَّاها ، وجلت الشمس مُحيَّاها ، يخص مقامكم الأعلى ، [ودولتكم الفضلى][3] ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ الله [الولى الحميد][4] ، الْمُبْدِى المعيد ، مُعِيد[5] القلادة إلى الْجِيد المجيد[6] ، ومعرِّف عوارف التجديد [لمعالم السَّعد الجديد][7] والْجِدِّ السعيد ، ومظهر العناية بالإسلام ، واضحة الأعلام للقريب والبعيد ، رابط عوايد النصر والتأْييد بمبادى التَّوفيق والتَّسْديد ، وناظم الْخِلال السَّمِيَّة[8] نظم

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) هكذا وردت فى الملكية . وفى الإسكوريال (والنشيات) .
(٣) هذه العبارة زائدة فى الملكية .
(٤) زائدة فى الإسكوريال .
(٥) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٦) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٧) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .
(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (السنية) .

الغريد لأُولى المَزِيد ، التى اقتضتها إرادة الْمُرِيد . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الظلّ المديد ، والملجأ المنيع فى الْخَطْب الشديد ، جالى ظلم الكفر والإلحاد بنور التَّوحيد ، وهادى من سبَقَتْ له سابقةُ الفوز إلى صِراط العزيز الحميد ، الذى نتعاون فى إعلاءِ كلمته بالْمُنَاصحة البالغة والقصد السَّديد ، ونصل المودَّة فى ذاته ، كفيلةً من مَرْضاته ومَرضاة ربِّه بالمزيد ، ونجاهد العدو جهاداً ، يوسع السيوف اجتهاداً من بعد التَّقليد ، ويملأُ الأَكفَّ بالأَنفال ، من بعد فضِّ الأَقفال ، مستوعبة للطَّارف منها والتَّليد . والرضا عن آله وأَصحابه وأَوليائه وأَحزابه ، السَّادة القَادة الصِّيد ، فذلكة الحساب وبيت القصيد ، العايِثة سُيوفُهم الباتِرة وغراماتهم المتواترة فى أَعدا ملَّته ، عِياث النار فى يَبَس الْحَصِيد ، الذين ظاهروه فى حياته بالعزايم الصادقة على بأْس الحديد ، وخلفوه فى أُمته ، بحفظ ما أُنزل عليه من الوعد الصَّادق والوعيد ، فكانوا فى سماءِ مِلَّته نجوماً هادية [للسمت الرشيد وأَعلاماً مائلة][1] تهدى السَّارى فى عُراض البِيد ، والدعاءِ لمقامكم الأَعلى ، ومثابتكم الفضلى بالْعِزِّ الْمَشِيد ، والنصر الذى يرغم أَنف الجبَّار العنيد ، والصُّنع الذى لا يُمل حديثه على التَّرديد ، ولا زال سيفكم[2] الماضى يقوم فى أَبواب المآرب الصعاب مقام الإِقْلِيد ، وأَنباءُ فخركم تهديها إلى نازح البلاد ركابُ الرِّياح ، فضلا عن راكب البريد . فإِننا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً مصاحباً للتأْييد ، وتوفيقاً يصيب شاكلة الرَّمى بالسَّهم السديد . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، ونعم الله مُحْسَبة[3] أَمل المستفيد ، وآلاؤه مجيبة داعى الْمُسْتزيد ، ومجدكم[4] الخليق بالتمجيد ، ووُدُّكم المخصوص

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (سلفكم) ، والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مسحبة) .
(٤) وردت فى الإسكوريال (وبجد) ، والتصويب من الملكية .

بتبعية العطف والتوكيد . والحمد لله كما هو أهله [فلا فَضْل إلاَّ فَضْله][1] ، فهو مستحق التَّحميد . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، [وضاعف مواهب عنايته عندكم][2] فإننا ورد علينا كتابكم الكريم الفصول ، المتعاضَد الفروع بالأُصول ، المستولى من ميادين الفضل على أبعد آمادها ، المجرى شِيَمَ المجد على مُعْتادها ، الرافل من أثواب البلاغَة والبراعَة فى حلل ، المتكفل للإسلام بأُرْدَى غُلل ، وتجديد أمل ، أطال وأصاب ، وزين بالخط الخطاب ، ودنت معاطفه لما استكملت الأَوْطَاب ، نُجَّة بيان تَقْذِف بالدُّر ، وأُفقٌ لزَهر المعانى الْغُرِّ ، مصحباً بأَشْتات الهديَّات حسًّا ومعنى ، أما الحسُّ فالصَّواهل الضامرة[3] والآلات الفاخرة ، والمهنَّدات الباقرة ، والذخائِر البَاهِرة ، والعروض المخزونة المصونة ، واليلب المنيعة الحصينة ، واللُّطف المجتناة ، والطُّرف التى تباهى بعيونها الهبات ، والطِّيب يَنْتَشق له المهبَّات ، وأما المَعْنَوى ، وهو أعلقها بالنفس ، وأعودهما بالمزيد من الأُنس ، وإن كان الكل نفيساً ، وبُرْهان مجده لا يحتمل تَلْبِيساً . فالتعريف بما أنتم عليه من استقامة التدبير ، وإسعاف المقادير واضطراد التمهيد ، واستشعار العناية من الله والمزيد ، واستئناف الصُّنع الجديد ، واستقبال الزَّمن السعيد ، وما كيَّفه القَدَرُ والحظُّ المبتدر ، والْيُمْن الذى راقت منه الغُرر ، من تنوع الأَحوال بمراكش وجهاتها ، وعزمكم على انتهاز الفرصة واهْتِبالها ، وعدم مُطاولتها وإهمالها ، وأنكم أنهدتم وزيركم مرتاداً لركاب النَّصر ، مصحباً أَداة الْحَصْر ، مغتنماً هبوب الريح وسعادة العَصْر ، فابتدر الخطُّ بين يدى تلك العزائِم الماضية [والسُّعود المتَقَاضية][4] والشِّيم الراضية ، والله

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الظافرة) .

(٤) هذه العبارة زائدة فى الإسكوريال .

عز وجل يجعل التوفيق مُوَاكب رِكابكم ، [والسَّعد ملازمٌ مصراع بابكم][1] ويتم علينا وعليكم النعم ، ويجزل من مواهبه القسم ، ويطلعنا من أنبائكم على ما يُبْهج النفوس ، ويشرح الصدور ، ويمهد الجهات ، ويصلح الأُمور ، ويُطيب الألسنة ، ويُضْحك الثغور . وثناونا على نوعى هذه الهدية ، ثناءُ الرَّوض على الغمام الواكِف ، والعارض المترادف ، فقد جدَّد الله عهد الزمن السالف ، والظِّل الوارف . فالله يشكر مجدكم الذى احتفى واحتفل ، واختال فى حلل الفضل ورَفَل ، وأطلع نير العناية بهذه البلاد بعد ما أَفَل ، وكفى بدولتكم السعيدة وكَفَل ، فلا تسلوا عما للإسلام فيكم من أمل مذخور ، ورجاءٍ موفور ، ونية لخِشْيتها الصالحة ظهور ، ولنورها سفور . [فقد شاع ما تحليتم به من الشيم الباهرة ، والمكارم الباطنة والظاهرة ، وأنكم وارث السَّلف الذى شكر الله سعيه ، وأوجب الله ذكره ورعية][2] عفَّةً مُنْسَدلة الأَطْناب ، واستظهاراً بكل حسن المناب ، واتِّصافاً بطهارة الجَناب ، ومشاورة [لذوى الألباب ، وغبطة بمودة الأهداف والأَحباب ، وتقرباً إلى الله باكتتاب ما أَنزل من سور الكتاب ، ومحافظة على الأَركان ، ومباشرة][3] للرُّسُوم مع الأَحيان ، واستكفاءً لذوى الأَديان . وإذا علم الله منكم الاتِّصاف بهذه الصفات المرضية ، والشِّيم الطاهرة الزكية ، والأَعمال الصادرة عن خلُوص النيَّة ، تكفل الله لكم فى الدنيا والآخرة بالأُمْنِية ، وأَنبت دولتكم النبات الحسن وأَجزل لكم المنن ، وأَضفى عليكم من وقايته الْجُنن . زادكم الله من فضله ، وحَمَلكم على ما فيه السَّعد المجدَّد ، والفخر المخلَّد ، بعيد الأَمر كله ، [ولا قَطَع عنَّا وعنكم عادة لُطْفه ، الذى نأْوى إلى ظله][4] . وماذا عسى أَن نثنى على فضلكم

---

(١) ورد فى الملكية مكان هذه العبارة ما يأتى (اليمن مصاحب ظعنكم وإيابكم) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وورد مكانها فى الملكية ما يأتى : (هناه الله دولة مقتبلة الشباب ، واهلة كريمة الانتساب) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

الطالع من أُفق الجلالة أو نقرر من وُدِّكم التوارث لا عن كَلالة ، وقدرُكم عندنا أَجل ، وذكركُم بالجميل يملا فلا نَمل . وقد حضر بين يدينا رسولُكم الكريم المُناب فيما قرره من الْوُدِّ الوثيق[١] ، وأدى من البر[٢] الجدير بالشكر الخليق ، وأحكم من معاقد العهد[٣] الوثيق ، وأوضح فى الفضل منه الطريق ، الشيخ الفقيه المرفع الحسيب السَّنِى الحظى ، المتعدد الأَذمة أَبو يحيى بن أَبى مدين والحاج المكرم المبرور أَبو محمد بن عبد الواحد ، وصل الله لهم ولأَمثالهم عادةَ إنعامكم ، وأَعانهم على خدمة مقامكم ، وقرَّرا ما يُسرّ سماعه على التكرار والإعادة ، وإن كان غنيًّا عن الإشادة ، ومليًّا فلا يُتَشوف إلى الزيادة ، فالقلوب تَبْنى بعضها بعضاً بما تجنُّ ، والنفوس تجنح إلى أَشكالها وتحنُّ ، وتلقى من الجواب عن ذلك جهد عبارة ، لا تجلى عن كُنْه المفهوم[٤] ، ولا تُوفى مع الإطالة بالغرض المروم . والله عز وجل يجعله فى ذاته ودًّا وثيقاً ، وينهج به إلى ما يرضاه طريقاً ، ويريه المسلمين تصوُّراً وتصديقاً ، حتى تجتمع الأَيدى المسلمة على جهاد الكافرين ، وتلوح آيات النصر واضحة المُبْصرين . وهو سبحانه يصل لكم عوايد النَّصر والتَّمكين ، ويعرِّفكم عوارف النصر العزيز والفتح المبين ، ويطلع من أَنبائِكم على كلِّ واضِح الغُرَّة ، مشرق الجبين . والسلام الكريم البرُّ العميم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ ، عرفنا الله بركته بمنه .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (العتيق) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الود) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (البر) ، والتصويب من الملكية .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المكتوم) .

كتب تقرير المودات

صدر عنِّى مخاطبة السلطان أبى الحسن بن
السلطان أبى سعيد ابن السلطان أبى يوسف
ابن عبد الحق ما نصه :

المقام الذى أخبارُ سَعْده توسِّع الصدور انشراحاً ،وتَطْلَع فى ليل الشدائِد صباحاً، وتورِد ظمأ الأمل من موارِد السرور والجَذَل عَذْباً قَراحاً . مقامُ محل والدنا الذى مناهل وُدِّنا فيه على كدر الزمان صَافية ، [وحلل تشيعنا لمقامه الاسْمَى أذيالها ضافية] [١] ، وحظوظ برِّه لدينا ناميةٌ وافية ، وابتهالُنا إلى الله فى اتصال سعده وتَيْسِير [٢] قصده كافية . السلطان الكذا ، [ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا] [٣] ، أبقاه الله يَصْحَبه من عنايته [٤] ، سبحانه ، ألطافٌ خافية ، وصنايعٌ يكنِفُها يسرٌ وعافية ، حتى تداوى [٥] عللُ الأيام منه سياسة شافِية ، معظَّم مقداره الذى يحق له التعظيم ، المُعْتَرف بفضله العميم ، المحافَظُ على وده الأَصيل وعهده الكريم ، محافظة [الولد الرضى] [٦] والصَّفى المخاص والوَلِى الحميم . الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد [اسماعيل بن فرح] [٧] بن نصر . سلام كريم [طيب بر عميم يخص مقامكم الاسمى وأبوتكم الفضلى] [٧] عليكم ورحمة الله .

أما بَعْدَ حَمْدِ الله الذى من توكل عليه ، فقد اسْتَمْسك بالْعُرْوة الْوُثْقى ، ومن اعتمد عليه ، فقد ظفر بما هو خيرٌ وأبقى . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد

---

(١) هذه الجملة واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكانه .
(٢) وردت فى الإسكوريال (بتيسير) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .
(٣) هذه الزيادة واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال والملكية .
(٤) وردت فى الإسكوريال (غايته) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .
(٥) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانه .
(٧) هذه الزيادة واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال والملكية .

رسوله ، منقذِ الناس ، وهم فى لُجَّة الجهل غرقَى ، الذى لم تَرُعْه الشدائِد ، وقد تبارت كتايبُها سبقاً ، حتى ملأت [جهتى] المعمور غرباً وشرقاً . والرضا عن آله وصحبه الذين وفوا بعهده ، وسلكوا من اتباعه من بعده مذاهب واضحة وطرقاً ، حتى وجدوا ما وعد ربُّهم حقًّا . والدعا لمُلْككم[1] الأعلى ومقامكم الأرقى[2] ، بالصُّنع الذى ينطق ألسنة الأقلام من بعد الجماح نُطْقاً ، ويوسع صدر الإسلام التئاماً ورَتْقاً ، ويتكفل للإسلام بالعاقبة الحسنى ، الذى لا يضِلُّ بعدها ولا يَشْقَى . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عناية منه واضحة الغُرر ، وسعادة يساعدها تصريف القَدَر .من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، وأبوتكم مُعْتَمدة بالبرِّ الكريم الأثر ، والخلوص المنزَّه عن الكدر [وعندنا من التشيُّع لمقامكم ما لا تحمله الايام إذا حالت ، ولا تميل دعائمه كلما مادَت أو مالَت][3] ، رعياً لفضائِلكم التى سَبَقَت وتَوالت ، وقياماً بحق أبوتكم التى صابَتْ بركتها وانْثالت. وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا ورد علينا كتابُكم المبرور ، وخطابكم المأثور ، يطلع بارجائنا من صُنع الله لكم أنوارَ البِشر ، ويُنشى سحايب الآلاءِ هاميةَ الدُّرر ، عرفتمونا فيه بما خوَّل الله سلطانكم من إعْزاز الجانب ، وإعْذاب المشَارب ، وانجلاءِ الغَياهب ، والتِئام الجيوش واجتماع الكتَائِب ، وأن الدهر وقف بين يدى مقامكم موقف التَّائِب ، والسعد قد أبدى لكم وجوه العجائِب ، وأن قبائِل تلك البلاد دخلت فى دين الله باتباع دعوتكم المرضيَّة أفواجاً ، وسلكت من التَّقوى والبرِّ منهاجاً . وراجعت البصائِر الصادقة ، وآثرت النِّعم البالغة السابقة ، وشمَّرت أشياخُها إلى المُناصحة تَشْمير الأحرار ، وتبادروا إلى المدافعة[4]

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الأتقى) .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٤) وردت فى الإسكوريال (المبادرة) ، والتصويب من الملكية .

عن حِمَى ساطانكم أكرم الابتدار ، وبذلوا العزائم التى حَكَمت لكم بالإعلاء والإظهار ، والعزِّ الذى جَنَوا أفنانه من أغصان الذَّوابل وأوراق الشِّفار . وأن مقامكم لمن يلحق بركابه العلىِّ من وفود العرب على قدم الانتظار . وقد كنا تعرفنا من كتابكم الوارد قبله بما سَنَاه الله لمقامكم العلى من اتِّساق سعده وانتظامه ، واستِئناف عزِّه وإبلال أيامه ، واشتمال شَمْله على الأَميرين المكرمين [الأَسعدين الأَمجدين الأَظهرين] [1] أخوينا أسعدهما الله . ثم عظُم الابتهاج بمُضْمَن كتابكم هذا الذى قاد إلينا السرور بزِمامه . واعلموا أن مقامَكم الأَسمى طوَّق البلاد وأهلها فَواضل لا تفارق أَجْيَادها ، وأَوْسَعها أَيادى ملكَت قِيادها ، وأَوجبت بِرَّها وشكرها وانقيادها . فمن وَفَّى ببعضها ، وأقام بأَداءِ فرضها ، فإنما سلك سوا المحجَّة ، وسلم لصدق الحجَّة ، وأوى من البر إلى بَرٍّ يقِيه غائلة اللُّجة . ونحن نقرر لديكم [2] ما لدينا من المسرَّة ، بعِصْمة مقامكم الرفيع ، ونشكر الله على ما أسداه لكم [3] من حسن الصَّنيع ، ونهنئكم بتيسير العز المنيع ، والشَّمل الجَميع ، ونرتقب للإسلام ببركة نيتكم الصالحة ، إطلالَ النَّصر السريع ، وتمهيدَ الجناب المَريع . وقد أعلمنا مقامكم بما كان من أثرِ نيتكم الصالحة للإسلام ، وخواطركم الصافية السهام فى أخذ الله تعالى طاغية قَشْتالة أشد ما كان طُغْياناً ، وأنه سبحانه أرانا فيه عجائب قُدْرَته عياناً ، له الحمد على نعمه التى لا نطيق لها حسباناً ، والآية المتواترة مثنى ووحداناً ، وهو سبحانه الكفيل بأَن يصل للجميع عوارفَ فضله ، ويسلك بنا من إعانته وإسعاده أوضح سُبُله . ووقفنا على ما أشرتم إليه فى الاجْفَان الغَزَوية الثلاثة ، وما تعرفتم عن خبرها ، وخاطبكم به خدامكم [أعزهم الله فى شان] سفرها . والذى عندنا فى ذلك هو أن الخواطر ما بَرِحت بما يُرضى مقامكم الكريم معمورة ،

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (عندكم) .

(٣) زائدة فى الفاتيكانه .

والآمال فى ميدان بركم ممدُودَة ، وعليه مقصورة ، إلاَّ أن العوائِق عديدة ، والأحوال أزماتها شديدة ، والأيام فى لُبِّها بالأمانى مُبْدِية مُعِيدة ، وفيما سلف كانت [الأساطيل المدمِّرة][1] تسد المسالك ، وتقطع ما يراد من ذلك ، ولما كفى الله تعالى شره ، ودافع ضرَّه ، تعرفنا الآن أن أجفان سَبْتَة عَمَر منها إلى مرسى الجزائِر سبع قِطعات ما بين صغير وكبير تحققنا خبر انصرافها إلى جهاتكم عصمها الله من خبير . وهذه أيدكم الله موانع لا تخفى أعذارُها ، ولا يُجهل مقدارها ، والقلوب بعد لما تَقْتضِيه المودة الكريمة جانِحة ، والآمال فى ميدان ذلك غاديةٌ ورائِحةٌ ، وعندنا منه ما أن ذهبنا إلى تَقْريره ، ضَاق ذرعُ البَراعة عن شرح يسيره ، فضلاً عن كثيره ، لاكن العلم بأَصيله وشهيره ، يُغنى عن بَسْطِه وتفسيره . وقد حضر بين يدينا مُودى كتابكم إلينا خديمكم الانصح المبرور فلان[2] ، وصل الله حِفْظه ، وأجزل من مواهب السلامة حظَّه ، وألقينا إليه من جزئيات الأحوال ما يلقيه إلى مقامكم السَّامى الجَلال ، وما يتزيَّد عندكم من الأنباء فتعريفنا به صلةٌ لعوايدُ الافضال منكم والإجمال . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم يخص مقامكم ، ورحمة الله وبركاته . [وكُتب فى كذا من التاريخ عرف الله بركته][3] .

ومن هذا الغرض ما صدر عنى

المقام الذى أقمار سعده فى انتظام واتِّساق ، وجياد عزِّه [أُسٌّ للغاية][4] القُصْوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله عليه مديدة

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وورد مكانها بالملكية والفاتيكانه ما يأتى (كانت أساطيل الطاغية التى أراح الله منه) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (أبو عبد الله الجزيرى) .

(٣) ما ورد بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الفاتيكانا ، وساقط فى الإسكوريال والملكية .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (إلى الغاية) .

الرِّواق ، وأياديه الجمة فى الأعناق ألزم من الأطواق ، وأحاديث مجده سَمَر النَّوادى وحديث الرفاق . مقام محل أبينا الذى شأْن قلوبنا الاهتمام بشأْنه ، وأعظمُ مطلوبنا من الله سعادة سلطانه ، السلطان أبى الحسن ابن السلطان أبى سعيد ابن عبد الحق ، أبقاه الله والصنايع الآلهية تحطُّ ببابه ، والألطاف الخفية تغرس فى جنابه ، والنَّصر العزيز يحف بركابه ، وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه ، والقلوب الشجيّة لا تفارقه مسرورة بإيابه . معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل المشهورة المعلومة ، والمكارم المَسْطورة المرسومة ، والمفاخر المَنْسُوقة المَنْظُومة ، الداعى إلى الله فى وقاية ذاته المَعْصُومة ، وحفظها على هذه الأُمة المرحومة . الأَمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد [اسماعيل ابن فرج][1] بن نصر . سلام كريم [طيب بر عميم ، كما سطعت فى غِيهب الشدة أنوار الفرج ، وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الأَرج ، يخص مقامكم الأَعلى][2] ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله جانى الظُّلم بعد اعْتِكارها ، ومُقيل الأَيام بعد عَثَارها ، ومزَيِّن سما الملوك بشموسها المنجبة[3] وأقمارها ، ومريح القلوب من وُحشة أَفْكارها ، ومنشى سحاب الرحمة على هذه الأُمة بعد افتقارها وشدة اضطرارها ، ومتداركها باللُّطف الكفيل بتمهيد أوطانها ، وتيسير أوطارها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، صفوةُ النبوة ومختارُها ، ولباب مَجْدها الباذِخ ونجَارُها ، نبىُّ الملاحم وخائِض تيَّارها ، ومذهبُ رسومَ الفتن[4] ، ومطفئُ

---

(١) زائدة فى الفاتيكانه .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (المحتجبة) .
(٤) هكذا وردت فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

نارَها ، الذى لم ترعه الشدائِد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمةُ الله ما شاءت من سُطوع أنوارها[١] ووضُوح آثارها . والرِّضا عن آله وأصحابه ، الذين تمسكوا بعهده على إحلاءِ الحوادث وأمْرارِها ، وباعوا نفوسهم فى إعلاءِ دعوته الحنيفية وإظهارها. والدعاءِ لمقامكم الأَعلى باتصال السعادة واستمرارها ، وانسِحاب العناية الإلآهية وانسِدال أستارها ، حتى تقف الأَيام بباكم موقف اعْتِذارها ، وتعرض على مَثَابَتكم ذنوبها ، راغبة فى اغْتِفارها . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم أوفى ما كُتِب لصالحى الملوك من مواهب إسعاده ، وعرَّفكم عوارف الآلاءِ فى إصدار أَمركم الرفيعِ وإيرادِه ، وأَجرى الفَلَكَ الدوار بحكم مُراده ، وجعل العاقبة للحسنى كما وعد فى محكم كتابه الكريم [الميسر][٢] للصالحين من عباده . من حمراءِ غَرنَاطة حرسها الله ، وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائِد الاعتماد ، وإلى كَنَفِ فضله الاستناد ، ثم ببركة نبيِّه[٣] الذى وضُح بهدايته الرشاد ، إلا الصنائِع التى تشام بوارق اللطف من خلالها ، وتخبر سِيماها بطلوع السُّعود واستقبالها ، وتدلُّ مخايل يُمْنها على حسن مآلها . لله الحمد على نعمه التى نَرْغب فى كمالها ، ونستدرُّ عذب زُلالها ، وعندنا من الاستبشار بانِّساق أَمركم وانتظامه ، والسرور بسعادة أَيَّامه ، والدعا إلى الله فى إظهاره وإتمامه ، ما لا تفى العبارة بإمكانه ، ولا يتعاطى اللِّسان حصر أَحكامه . وإلى هذا أَيَّد الله أَمركم وأَعلاه ، وخَار لسلطانكم الرضا وتولاَّه ، فقد علم الحاضر والغائب ، وخَلَص الخلوص الذى لا تغيره الشَّوائِب ، ما عندنا من الحب الذى صفت منه المشارب ، والتشيع الذى وضحت منه المذاهب . وإننا من لدن اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الأُمور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة ، وجلبت على العباد والبلاد الوقاية

---

(١) واردة بالإسكوريال وساقطة بالملكية .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال . وفى الفاتيكانه (المبين) .

(٣) فى الملكية (نبينا) .

والنعمة ، لا يستقرُّ بقاوبنا القرار ، ولا تتأَتى بأَوطاننا الأَوطار تشوفاً لما تنتجه لكم الأَقدار ، ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار . ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يَشْتَدُّ على الأَوقات ويقوى : علماً بأَن العاقبة للتقوى ؛ وفى هذه الأَيام عميت الأَنبا ، وتكالبت فى البر والبحر الأَعدا ، واختلفت الفصول والأَهْوا ، وعاقت الوُرَّادَ الأَنوا ، وعلى ذلك فلم ينقطع من فضل الله الرجا . ولو كنا نجد للاتصال بكم سبباً أَو نلقى لإعانتكم مذهباً ، لما شغلنا البُعد[1] الذى بيننا اعترض ، ولا العدو الذى بساحَتِنا خيّم[2] فى هذه الأَيام ورَبَضْ ؛ وكان خديمكم الذى رفع من الوفاءِ راية خافقة ، واقتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقة ، الشيخ [الأَجل الأَعز المرفع][3] أَبو محمد بن أَجانا ، سنَّى الله مَأْمولَه ، وبلغه من سعادة أَمركم سوله ، قد ورد على بابنا ، وتخير اللحاق بجانبنا ، ليتيسر له من جهتنا عليكم القدوم ، ويتأَتّى له بإعانتنا الغرض المَرُوم ؛ فبينما نحن ننظر فى تتميم غرضه ، وإعانته على الوفا الذى قام بمفترضه ، إذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الأَجفان التى استعنتم بها على الحركة ، والعزمة المقترنة بالبركة ، حطت إحداها بمرسى المنكب ، والأُخرى بمرسى أَلمرية ، فى كنَفِ العناية الالآهية ، تلقينا فيها من الواصلين بها الأَنباءِ المحققة بعد التباسها ، والأَخبار التى يغنى نصها عن قياسِها ، وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر ، وحركتكم المقرونة بالْيُمن والظَّفَر ، وأَنكم استخرتم الله فى اللحاق بالأَوطان التى يؤَمِّنُ قدومكم خائِفَها ، ويولِّف طرائِقها ، ويُسكن رَاجفها ؛ ويصلح أَحوالها ، ويخفض أَهوالها ، وأَنكم سبقتم حركتها بعشرة أَيام ، مستظهرين بالعزم المبرور ، والسَّعد الموفور ،

---

(١) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جثم) وفى الفاتيكانه (ربض) .

(٣) وردت فى الفاتيكانه (الأجل الأوفى الأود الأخلص الأصفى) .

واليمن الرائِق[١] الثغور ، والأُسطول المنصور ، فلا تسلوا عن انْبِعاث الآمال بعد سُكونها ، ونهوض طيور الرجا من وُكُورها ، واستبشار الأُمة المحمدية منكم بقرَّة أَعْيُنها ، ومحقق ظنونها ، وارتياح البلاد إلى دعوتكم التى أَلْبَسْتَها ملابس العدل والإحسان ، وقلَّدتها قلائِد السِّير الحسان ، وما منها إلاَّ من باح بما يخفيه من وجده ، وجهر [بشكر الله وحمده][٢] ، وابتهل إليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده ، واسْتَأْنَس نورُ سعده ، وكم مطل الانتظار بديوان آمالها ، والمطاولة من اعتلالها . وأَما نحن فلا تسلوا عمن استشعر دنو حبِيبِه بعد طول مغيبه ، إنما هو صَدْرٌ راجعه فؤاده ، وطرف عاد إليه رُقاده ، وفكر ساعده مراده ، فلما بلغنا هذا الخبر ، بادرنا إلى إنجاز ما بذلنا لخدمكم المذكور من الوَعْد ، واغتنمنا ميقات هذا السعد ، ليصَل سبَبَه بأَسْبابكم ، ويسرع لحاقَة بجنابكم ، فعنده خِدمٌ نرجو أَن ييسر الله أَسبابها ، ويفتح بنيَّتكم الصالحة أَبوابها . وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشيع الكريم الوداد [ونصل على بعد المزار ونزوح الأَقطار سبب الاعتداد ما يغنى عن القلم والمداد][٣] . وقد أَلقينا إليه من ذلك ما يلقيه إلى مقامكم الرفيع العماد ، وكتَبْنَا إلى من بالسواحل من ولاتنا ، نحدّ لهم ما يكون عليه عملهم فى برِّ من يرد عليهم من جهة أُبوتكم الكريمة ، ذات الحقوق العظيمة ، والأيادى الحادثة والقديمة ، وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد ، وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ، ويعلم الله أَننا لو لم تَعُق العوائِق الكثيرة ، والموانع الكبيرة ، والأعداءُ الذين دهيت بهم فى الوقت هذه

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الزايد) .

(٢) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (بحمد الله وشكره) ، والأولى أنسب للسياق .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

الجزيرة ، ما قدمنا عملاً على اللحاق بكم ، والاتصال بسببكم ، حتى نوفى لأبوتكم الكريمة حقها ، ونوضح من المبرَّة طرقها . لاكن الأعذار واضحة وضوح المثل السائِر ، ونيتنا لكم يعلمها علاَّمُ السَّرائر ، وإلى الله نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقاً ، ويجعل السعد مصاحباً لكم ورفيقاً ، ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقاً ، ويتم سرورنا[1] عن قريب بتعرف أنبائكم السارة ، وسعُودِكم الدارَّة ، فذلك مِنْه سبحانه غاية آمالنا ، وفيه إعمال ضراعتنا وسؤالنا . هذا ما عندنا بادرنا إعلامكم به أسرع البِدار . والله يوفد عليكم أكرم الأخْبار بسعادة ملككم السامى المقدار ، وييسر ما له من الأوطار . [ويصل سعدكم ، ويحرس مجدكم][2] والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك قولى أيضاً

المقام الذى لا تفُلُّ الشدائِد غَرْب عزمه ، ولا تستخف الحوادث[3] هَضْبة حلمه ، فنفسه الكريمة مُسَلِّمة لأمر الله السابق فى علمه ، ونيَّتُه الصالحة تستنجز منه سبحانه وَعْدَ نصره ، واثقةً بحكمه ، وسعد ملكه قد استقام على رَسْمه ، والدهر قد تاب لديه من ظلمه . مقامُ محلِّ والدِنا الذى تَشَيَّعنا إليه مشدود الأواخى ، وأوامر أبوته محمولة لدينا على الفَوْر لا على التراخى . السلطان الكذا أبقاه الله ماضية[4] إلى الأغراض البعيدة سهامُه ، مسطور فى صحف الأيام صبرُه وحلمُه وجودُه وإقدامُه ، مذخوراً بجهاد الكفار حُسامه ، خاضعة لديه بالتوبة النصوح ليالى الدهر وأيامه ، حتى تَخْفَقَ بنصر الإسلام ألويته وأعلامه ، معظَّمٌ مقامه الذى يجب إعظامه ، المثنى على فضله الذى راق قِسامه ، وتوفرت

---

(١) وردت فى الإسكوريال (بسرورها) ، والتصويب من الملكية .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .
(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (المودات) ، والأولى أنسب للسياق .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (خالصة) ، والأولى أرجح .

أقسامه . الأمير عبد الله [يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج ابن نصر][1] سلام كريم ، طيب بر عميم يخصكم[2] ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بَعْدَ حَمْدِ الله ولىِّ المحامد على اختلاف أجناسها ، وموضِّح المذاهب بعد التباسها ، ومُلَيِّن صروف الأيام بعد شِماسها ، ذو الألطاف الخفية عن الأفكار وقياسها . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أكرم الرسل ما بين شِيشها وإلْياسِها ، شهابُ الهداية ونبراسُها ، الذى باتِّباعه نختال فى حلل السعادة ، ونستَمْتِع بلباسها ، والرضا عن آله وصحبه ، عِتْرةِ الحق ، المقتدى فى الخلق بنداها وبأْسها ، الذين لم يألُوا فى اتباع مرضاته والتماسها ، فهم الأنوار التى هُديت الأُمة باقْتِباسها ، والتمسك بأَمراسها ، والدعاء لمقام أبوَّتكم العظمى ، التى يبنى المجد الصراح على أساسها ، بالنصر الذى ترسم آياته فى أوراق السعادة وأطرَاسها ، والعزة التى تَقْصُر أيدى الليالى عن اختلاسها ، ولا زالت عزماته تفرِّق الآساد من افتراسها ، ونيته الصالحة تَجْتَنى ثمار الأمانى من زاكى غراسها ؛ فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم مجداً عالياً ، وصُنْعاً متوالياً ، وعزًّا حافظاً كالياً[3] . من حَمراءِ غَرناطة حرسها الله ، ونعم الله سبحانه بما تعرفناه من خبر ملككم أعلى الله سلطانه ، ومهد أوطانه ، لا يغب انسِكابُها ، ولا يشح سحابُها ، وعنايته تنسدل عليه أَطْنَابُها . وعندنا من التشيُّع إلى جنابكم الرفيع قدرُه ، الواجب برُّه ، مالا تتعاطى العبارة شرح مُجْمله ، ولا ينال اللسان من إيضاحه بعضَ أمله . فحسبنا نيَّةٌ يعلمها علام السرائِر ، ونية المؤمن خير من عمله . وكيف لا يكون ثناؤنا على معاليكم الباهرة مقصوراً ، ومسكُه فى جيوب

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الفاتيكانة ، ومكانه فى الإسكوريال والملكية (فلان) .

(٢) فى الملكية والفاتيكان (يخص مقامكم الأعلى) .

(٣) هكذا فى المخطوطات الثلاثة .

الآفاق منشوراً ، وقد أسلفتم فى هذه الأقطار الغريبة ما يسطع نوراً ، ورفع للفخر لواءً منشوراً ، عرّفكم الله عزًّا وظهوراً ، وجعل[١] رأيكم مأموناً وعَلَمكم منصوراً . وإلى هذا أدام الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإنّنا فى جميع هذه الأُمور التى تعاقبت فيها ألوانُ الزمان وصروفُه ، وتنكّر فيها معروفه ، نطوى الصدور على المضَض الأَليم ، ونرزُّ الجيوب من مساعيكم على ما يعلمه السميع العليم ، ونمدكم من الدعاء بمدد عظيم ، ونجعل شغل بالنا بما أهمكم هَجيرَ اليوم الشامس ، وسمير الليل البَهيم . ولو استطعنا لأطلعنا عليكم ثمرة الاعتقاد السليم ، والعهد الكريم ، وما غفلنا عن حثّ الكتاب على بعد الشُّقة ، ونزوح الركاب ، وعادية العدو وغائلة العُباب ، والاستنشاق لنسيم يهب من ذلك الجناب ، فتارة نتعلل بعليل الأَخبار ، ونشِم فى ليل الخطب بارقة الاستبشار ، وتارة نطوى القلوب على أَحرِّ من الجمر ، ونفوض الأُمور إلى من بيده ملاك الخلق والأَمر ، وأَملنا قوى فيما عودكم الله من اليُسر [بعد العسر][٢] ، ووعد من ينصر دينه من مواعد النصر ، إلى أَن وصلنا كتابكم الذى هو عندنا الوافد الكريم الوِفادة ، العظيم الإفادة على يدى التاجر النصرانى فلان[٣] أكرمه الله بتقواه . فجددنا العهد بمخاطبتكم التى فيها لأَمراض القلوب شِفَا ، ولسهر الجفون غفا ، عرفتمونا فيه بما سَناه الله لكم من الفضل الكبير ، وأَنه سبحانه يفتح لكم الأَبواب التى أَبهمت ، ويحل بسعدكم العرى[٤] التى أَحكمت ، ويصل لكم الأَسباب التى فصمت ، وأن جيشكم المنصور ، افتتح المدينة[٥] عنوة وقهراً واستولى على

---

(١) وردت فى الإسكوريال (وجعلكم) ، والتصويب من الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) وردت مكانها فى الملكية (مرتليس سفر) ، وفى الفاتيكانة (مرتلين سفر) .

(٤) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانة (لمريه) .

[من كان بها] من الفُرْسان والرِّجال قسراً ، وإن تلك الجهات التى تخالفكم قد اضطربت [وعن هَيْبة] مقامكم أعربت ، وأنكم على قدم الحركة التى جعلتم فيها التوكل على الله دليلاً [والاستعانة به ولياً][1] وقبيلاً ، وكان بكم ، وقد سلك الله بكم من الظهور واليُمن البادى السُّفور سبيلا ؛ فارتحنا لهذا النبأ ، الذى شفا منا غليلاً ، وسجب على آمالنا الضاحية ظلاًّ ظليلاً ، فجميع ما ينالكم من عناية الله وتأْييده سهمنا فيه المعَلَّى والرقيب ، ولنا فيه الحظ الوافر والنصيب ، فأَعمالكم فى هذه الأَقطار الغريبة لا تخيب ، ولا يضيعها الشاهد الرقيب . وخاطبناكم فى كتابنا هذا نشكر فى التعريف فضلمجدكم ، ونحمد الله على ما كيّفه من سعدكم ، ونسله أن يبلغكم من عنايته تمام قصدكم ، ونقرر لديكم ما عندنا من التشيُّع الذى موارده على كدر الزمان صافية ، وسجيته على تقلبات الأَحوال ثابتة وافية ، ومعرفتكم بما تقرر لدينا من ذلك عن تقريره بحمد الله كافية . وإن ذهب مقامكم حرس الله أكناف جلاله ، إلى ما يخص هذا القطر من أحواله ، فإن سلطان قشتالة أصابه مرض ، أفضى به إلى زَمانَةٍ مقعدة [ووقعت بينه وبين الزعماء الغزمانيين وحشة مبرقة مرعدة ، أشعلوها ببلادهم ، وكشفوا وجه عنادهم ، وسلطان برجلونة يرليان آخر نواحيه . يستدعى قومه إلى المفاوضة [فى وحشة وقعت بينه وبين أخيه][2] وأهل هذه البلاد المنقطعة ، قد أَنِسوا بوُحْشَة عدوهم ، وشاموا بارقة الأَمنَ فى رواحهم وغدوهم ، ويرجى أن يكمل الله سرورهم ، ويشرح صدورهم ، بما يتصل بهم من وفور نعم الله لديكم ، وتوالى غمائم السعادة عليكم . وجهة الغرب ليس عندنا فيها زيادة على ما وصفتم ، وما حدث ببعض جباله من الحال التى تعرفتم ، وما أشرتم به فى قضية من بأْلمرية حرسها الله من خدامكم ، فلم يمنعهم من اللحاق بمقامكم إلاَّ ما يُحذر من غائلة

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

البحر ، الذى عدوُّه فى الوقت موفور ، واقتحامه مخوف محذور ، والله تعالى يمنُّ بجمع كلمة الإسلام ، ويعرف أهله ما عوَّدهم من نعمه الثَّرّة وآلائه الجِسام . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته . وكتب فى كذا من التاريخ .

وكتبت فى ذلك

المقام الذى أغراضه مُوَفَّاة الحقوق ، ومخائل برِّه صادقةُ البروق ، وقواعد وُدِّه[١] لا تعارض بالفروق ، وأنباءُ مجده تُتْلى مع الغروب والشروق . مقام محل أخينا الذى نيَّتنا فى وده أبلغ من الأعمال ، وإن كانت والحمد لله بالغة ، [وشموس جميل اعتقادنا فيه لا تزال لايحة بازغة][٢] فلا نزال نلتمس من موالاته الكريمة حُلَّة سَابغة [ونتعرف منها نعماً سابغة][٣] السلطان الكذا [أبى الحسن][٤] أبقاه الله معروف الحق ، حائِزاً فى ميدان السعادة قصب السبق ، مغيث الغيث صادق البرق ، معروف الحلم والفضل فى الغرب والشرق . معظم قدره ، وملتزم إعظامه وبره ، المثابر على مواصلة حمده وشكره ، الأمير [عبدالله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر][٥] سلام كريم [طيب برُّعميم][٦] يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله ميَسِّر المآرب ، ومبين المذاهب ، ونشكره على آلائه الهامية السَّحايب ، حمداً وشكراً ، يتكفلان بمزيد المواهب . والصلاة على سيدنا ومولانا

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

(٤) زائدة فى الملكية والفاتيكان .

(٥) هذا التعريف وارد فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانه فى الإسكوريال (فلان) .

(٦) هذه العبارة واردة فى الفاتيكانة ، وساقطة فى المخطوطين .

محمد رسوله الهادى إلى السَّبيل الواضح، والنَهجَ اللاَّحِبْ، الذى بجاهه نعتصم عند النَّوائب ، وببركته نَستفتح أبواب المطالب، والرضا عن آله وأصحابه الكرام الخلال والضرايب ، الذين خلفوه فى أُمته [بالسِّير الجميلة والمناقب][1] ودافعوا أعداءه بالسُّمر المواضى والبيض القَواضِب ، وكانوا من بعده كالنجوم الثواقب ، والدعاء لمقامكم الأسمى باعْزَازِ الجانب ، ولا زال حالا من هضاب المجد[2] بأَعلى المراقى والمراتب ، متكفلاً سعده بعواقب الحسنى ، وحُسْن العواقب.

فإنَّا كتبناه إليكم[3] . . . . . من حَمْراءِ غَرْناطة حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه إلا الخير الواكف الدرر ، واليسر المشرق الغرر . والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلاَّ فضله . وعندنا لكم وُدٌّ مشرق قسامه ، وخلوص وافرة أقسامه ، وتشيع تشهد به ليالى الدهر وأيّامه ، وإلى هذا [أيد الله أمركم][4] ، [وأعزَّ بتأْييده نصركم][5] فإننا وقفنا على كتابكم الكريم الوِفادة ، السَّافر عن السعادة ، الذى وجهتموه مع خديمكم فلان[6] وصل الله عزته ، وتعرفنا بما التمسه من كان بألمرية حرسها الله ، من عفوكم الممنوح ، وما أظهروه من الطاعة إلى علىّ ساطانكم والجنوح ، وما ارتاحوا إليه من الوفادة [على بابكم المفتوح][7] وأنكم بذلتم لهم فى ذلك ما سألوه ، وأَنَلْتمُوهم ما رغبوه[8] ، وهى سجية بَذَرْتم فى أرض السياسة زَرْعها ، فأَينع نباتُه وأثمر ،

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (بالسير الجليلة المناقب) .

(٢) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) لم يزد بعدها فى المخطوطين ، ولا فى الفاتيكان العبارة المعتادة .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الفاتيكان (أيدكم الله ونصركم) .

(٥) واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الفاتيكانة .

(٦) ورد اسم هذا الخديم فى الملكية والفاتيكانة كالآتى (خديمكم الشيخ الأجل الرفيع الأحظى المبرور أبى سرحان سعد بن يوسف بن فتح الله) .

(٧) هذه الزيادة واردة فى الملكية والفاتيكانة .

(٨) فى الفاتيكانة (أملوه) .

وعاملتم فيها الله فزكى فيها المَتْجر ، وخاطبتموهم[١] بمعهود الشفقة التى تجبر الأحوال ، وتجمع الشمل بالأوطان وتخلِّف الأموال . شكر الله ذلك الجلال ، وكافأ ذلك الكمال . وأشرتم علينا أن نعينكم[٢] على هذا الغرض ، ونيسّر لكم أسباب القيام بهذا الواجب المفترض ، ولم يصل كتابكم هذا بما يعلمه من أوصله من خدامكم ، وأولياء مقامكم ، إلاَّ ونحن قد عملنا فيه العمل الذى يرضيكم ، وتممنا الأرب بما يحقُّ لمعاليكم ، وألقينا إلى الشيخ الأجل أبى ثابت الهِنْتانى ، أعزه الله ، فى هذا المعنى بالمشافهة ما يغبطه بالقدوم عليكم ، والتزام ما لديكم ، وأصْحَبناه منا مخاطبةً فى شأنه إليكم . فانصرف عنَّا قَرِير العين ، منشرح الصدر ، واثقاً بقبول مقامكم الرفيع القدر ، وعيَّنا من أسطولنا من يتولى الخدمة فى هذا الأمر . فلما ورد علينا كتابكم الآن ألفى حاجة قد قُضِيت ، ومثابةً كريمة قد أُرْضِيت ، وحقوقاً واجبة قد وُفِّيت ، وموارد وُداد قد أُعْذِبت وأُصفيت ، والخواطر إذا طابت كفيلة إن شاء الله ببلوغ الآمال ، والنيَّات أبلغ من الأعمال . ولو ذهبنا إلى تقرير مالدينا فيكم من الحبِّ الواضح الشواهد ، والاعتقاد الكريم الموارد ، والتشيُّع الرَّاسخ القواعد ، لضاق الكتاب عن تقرير ما لدينا ، ولم يقم بعُشْر مايخفيه من حبِّكم ما أبدينا ، وإلى الله نكل العلم بذلك ، ونسأله أن يسلك بنا من الإعانة على مافيه رضاه أوْضَح لمسالك [وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم][٣] والسلام ،

وصدر عنِّى أيضاً

وكلما تقدم فى هذه الترجمة من

أوّليَّات ما كتبت به

المقام الذى عقود سعده مُتناسقة ، ووعود دهره بإعزاز نصره صادقة ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (وخاطبتموه) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نعينهم ، لهم) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

وجياد مكارمه سَابقة متلاحقة ، وعناية الله بُنُودها[١] عليه خافقة . مقام محل أخينا الذى من أنصاره القدرُ والقضاءُ ، ومن خلاله السَّماحة والرَّجاحة والمَضَاءُ ، ومن سجاياه[٢] الصَّفح والمَنْح والإغْضَاء . السلطان الكذا أبقاه الله ، تُسَطَّر فى ديوان المجد أخبارُه ، وتروى على الأيام مآثره[٣] وآثاره . ويقضى فى أعدائه وأوليائه اختياره ، وتُمهد أوطانه ، وتُيسر مآربه[٤] وأوطارُه . معظَّم مجده الذى تعظيمه حكم لا يبدّل ، وإجلاله فرضٌ لا يَضيع ولا يُهمل ، المثنى على مكارمه التى غمر منها الفارض المُسْبل ، وكَرُم الآخرُ منها والأولُ . الأمير عبدالله ، فلان بن فلان[٥] . سلام عليكم [يخص مقامكم الأسنى ، ومثابتكم التى تأسس من أصالتها المبنى ، وتطابق منها اللفظ والمعنى][٦] ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بَعدْ حَمْد الله واصلِ أسباب المنن[٧] ومُواليها ، ومُسْدى الآلاء الرِّغاب ، إلى من هو أحق بها من أهلِيها ، وجَامع كلمات[٨] الإسلام ، ليرفع قواعدَه ويُعليها ، ومجازى من أخلص النية لعباده بالعناية التى تروق عيون مُجْتَليها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، ذى الرسالة التى بَهَرت معاليها ، والآيات التى لا يَمَلُّ تاليها ، على تعاقب العصور وتواليها ، حافظِ الأُمة بما عقد من سياج العصمة وكَاليها ، ونبىُّ الرحمة الذى لا يزال فى حال الحياة[٩] والممات

---

(١) وردت فى الإسكوريال (بقودها) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

(٢) فى الفاتيكانة (سجيته) .

(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٤) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانة .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر) .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

(٧) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانة ، وفى الملكية (التوفيق) ، والأولى أرجح .

(٨) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (كلمة) .

(٩) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

يوليها . والرضا عن آله وأُسْرته وصحابته وعِتْرته الذين ذادت عنه بصفاحها الماضية وعواليها ، وكانت لأُمته من بعده ، كالنُّجوم الزَّاهرة إذا أَربَدَت لياليها . والدعاء لمقامكم الأَعلى[1] باتصال الصنايع الإلٰهية ، التى لا يزال لسان الساوان[2] يمليها ، وتوالى السعادة التى تُبْلى الزمان ولا يُبْليها ، فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً جديداً ، وجدًّا سعيداً ، ولا أَعْدَمكم فضلاً منه ومَزيداً ، وعرَّفكم عوارف اليُمن كلما رمَيْتُم غرضاً بعيداً . من حمراء غَرناطة حرسها الله ، ولدينا من جميل الاعتقاد فى أَصالتكم الرفيعة العماد ، مالا يزال موصول السبب ، واضح المذهب ، متحلياً من الصِّدق والوفاء بالعُلا المُذْهَب . وكيف لا يكون التشيع[3] إلى مقام تلك الأُخوة الكريمة الذى به يُتجمل ، ورواقنا الذى به نتظلَّل ، وعُدَّتُنا التى بها نقول ونفعل ، وقد تواترت من فضائلكم قِبَلنا ما يُعجز الشكر والحمد ، ويستحق الخلوص والود ، أَبقى الله مقامكم[4] عُدَّة للآمال ، متكفلاً للدين بباوغ الآمال ، جليل العلى ، عالى الجلال ، منيل المواهب موهوب النوال ، متعرِّفاً عوارف النجح فى جميع الأَحوال . وإلى هذا أَيد الله أَمركم ، وأَعز نصركم ، فإن كتابكم الأَكرم ، طلع علينا منه شِهاب وقَّاد ، وتأَرَّج منه لدينا نسيم عطرء خلوصٌ واعتقاد ، إجْتَلَينا منه أَنباءَ ذلك المقام الذى عَضُد[5] الله له مصاحبٌ ، وسبيل سعده لاحبٌ ، تعرفون باتصال المواهب ، ووضوح المذاهب ، واضطراد التوفيق العذب المشارب ، واتساق العناية المتكفلة ببلوغ المآرب . فسررنا بما كان من انتظام النصر لكم واضطراد[6] السعد فى

---

(١) فى الملكية والفاتيكانة (الأسنى) .

(٢) هكذا فى المخطوطات الثلاثة .

(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (صنع) .

(٦) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

مجاله ، واستخلاص الأمر واستكماله ، وسعادة ذلك الملك ونجاح أعماله ، وسألنا الله أن يزيدكم من مواهب أفضاله ، ويعرفكم من عوارف الخير ما يروى الإسلام بزُلاَله ، ويستند إلى أروقته الوارفة[١] وظلاله . فأنتم ملجأ المسلمين[٢] إذا رَمَاهم[٣] العدو بأهواله ، وناصرهم الذى [يسمع دعاءهم][٤] فيَسْمَح فى الله بنفسه النفيسة[٥] وما له . فكتبنا هذا إلى مقامكم نقرر من ودكم ما ثبت وتقرر ، وتردّد وتكرر ، وتخلّص بالحسنى والمشاهدة وتحرر . وقد علم الله والناس أن وُدادنا فيكم أصفى مورداً ، وأوضح مقصداً ، وأبعد فى مَرْضات الله أمداً ، من أن يحصره تقدير[٦] ، أو يشرُحه تَفْسير ،فثقوا بما يسرّ مما يتعاقب لديكم من السعد الجديد ، والعمر العريض المديد ، ونهنِّئكم بالصنع السامى المجيد ، ونضرع لكم إلى الله فى اتصال المزيد ، ونعلم أن ما يترادف لديكم من مواهب الله كفيلٌ لمن بهذه الجزيرة الغريبة بالنصر والتَّأْيِيد[٧] ، والله يصل سعدكم ، [ويحرس مجدكم][٨] والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبت أيضاً فى غرض تقرير المودة

المقام الذى جيادُ سعده[٩] إلى الغاية القُصْوى ذات اسْتِباق ، وأكواسُ فتوحه المؤيدة بفضل[١٠] الله وروحه ، تحثها أيدى اصطباح واغْتِبَاقٍ ، وعقُود حَمْده[١١]

---

(١) واردة فى الفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال والملكية .
(٢) وردت فى الإسكوريال (الإسلام) ، والتصويب من الملكية .
(٣) وردت فى الإسكوريال (رماه) ، والتصويب من الملكية .
(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكانة .
(٥) زائدة فى الملكية والفاتيكانة .
(٦) وردت فى الإسكوريال (تقصير) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .
(٧) وردت فى الإسكوريال (البأس) ، والتصويب أنسب للسياق .
(٨) وردت فى الملكية والفاتيكان ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٩) فى الفاتيكانة (سعوده) .
(١٠) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بملائكة) .
(١١) هكذا فى الملكية والفاتيكان وفى الإسكوريال (سعده) .

ذات انتظام فى لبّات الليالى واتّساق ، وآثار مجده كواكبُ آفاق ، وأحكام وُدّه مذاهب إجماع وإصفاق ، فله من عناية الله وَاق ، ومن عصمته أىُّ رواق ، والقلوب على طاعته ذات اتفاق ، وجداول سيوفه قد آلت ألاَّ تُبقى على الأرض شُعْبَة[١] نفاق . مقام محل أخينا الذى قضايا سعده وجوديَّة منتشرة ، ورياح سعده[٢] مبشِّرة ، ووجوه الدين بما ينتجه الله لملكه المكين [من النصر العزيز والفتح المبين][٣] مستبشرة ، وقُدرة عَزْمه وصفات كماله على توقُّد[٤] جلاله متكثرة ، ونهار نصره آياتُه مُبْصِرة ، وأقلام اللوح المحفوظ عند قَسَم الحدود والحظوظ مطيلة لا مختصرة ، وموارد العيش الهنى لموارد ملكه السَّنى بادرة خَضِرة . السلطان الكذا أبقاه الله ناصر الكلمة العليا يُمَهِّد منها الإيالة ، ويؤسس لها الجلالة ، ويستدِرُّ من صنع الله الزيادة والإنالة ، معظَّم مقامه التعظيم الذى لا يبرح ، وناشر كماله الذى طيور حمده فى روضات مجده الدهر تَسْرح ، وجياد [ثَنَايه فى ميدان علائِه][٥] تَسْرَح ، وأقلام إطابة ذكره فى صحف فخره تطنب[٦] وتشرح ، فلان ، سلام كريم طيب بَرٌّ عَمِيم ، كما تأرج غيث السماء زهرُه ، وفاض المصبح على دوحة الليل نهرُه ، يخص مقامكم الأعلى ومثابتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته .

أما بَعْد حَمْدِ الله الذى جعل الفتوح لمُلْكِكُم ديَماً تصوب وتَنْثَال ، والصنائع عجائب تضربها الأمثال ، وروّى نصركم[٧] فى ولائم النَّصر العزيز ، والصُّنع الوحىِّ الوفير[٨] ، ما أطعمنى وسقانى بعد أن عظم الاحتفاءُ والاحتفال ، وسمَّاكم

---

(١) وردت فى الإسكوريال (شعلة) ، والتصويب من الملكية .
(٢) فى الملكية والفاتيكان (نصره) .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .
(٤) وردت فى الإسكوريال (توحيد) والتصويب أرجح .
(٥) هكذا فى الملكية والفاتيكان ، ووردت فى الإسكوريال (علاية فى ميدان ثناية) . والأولى أرجح .
(٦) فى الفاتيكانة (تسهب) .
(٧) وردت فى الإسكوريال (نصر لكم) ، وهو تحريف .
(٨) فى الفاتيكانة (الوجيز) .

فارسَ هذا الملك لما ذكركم لنظم مُنْتَثر السلك ، فصدقت السِّمة ونجح الفَال . فمهما رمتم غرضاً أصابته شاكلة النِّبال ، ومهما أثرتم عزماً رَجَفَت الجبال ، ومهما أردتم رأياً نجحت بعده الأعمال ، ومهما خطبتم عناية الله تسنَّت منها الآمال ، ومهما رمتم وجهة ، صَحِب ركابَكم الْيُمنُ والإقبال . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ونبيه الذى خُتم به النبيُّون والإرسال ، الملجأ الذى له الأَفْيَاءُ الوارفة الظلال ، والمورد الذى هو العذب الزُّلال ، نور الله الذى لا يفارقه التمام حسب وعده والكمال ، وآيتُه التى لا يلحقها الدُّثُور ولا الاضمحلال ، الهادى إلى الحق وقد ارتبك الظلام واشْتَبك الضلال ، صاحب المقام المحمود إذا اشتد الظمأ وعظمت الأهوال ، والشفاعة المذخورة إذا شهدت الجوارح وحقق الحساب ودقق السؤال[1] . والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وأتباعه والصحابة والآل ، سيوف جلاده[2] إذا اشتد النِّزال ، وألْسِنة جداله إذا انْحمى[3] فى الدِّين الحجاج وتُعُوطى الجدال ، والنجوم الزاهرة من بعده فى سما دينه التى سمت منها الخلال . فبهم عرف الحرام والحلال ، ووضحت المقاصد وزال الإشكال . والدعاءُ لمقامكم الأعلى بالصُّنع[4] الذى رحب منه المجال ، والنَّصر الذى زان[5] منه الجمال ، والعزُّ الذى لا يرومه المقال ، والسَّعد الذى تساعده المطالع والمواضع والاجتماع والاستقبال ، ولا زال ملككم يمضى منه فى أعداء دين[6] الله النصال ، وتخدِمُه البُكر والآصال ، ويتجدّد بينه وبين عناية الله الاتصال . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم فتوحاً منظومة ، ومنوحاً بالمزيد موسومة ،

---

(١) فى الفاتيكان (الحساب) .

(٢) وردت فى الفاتيكان (جياده) ، وهو تحريف .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (عمل) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (النصر) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

(٥) فى الملكية والفاتيكانة (راق) .

(٦) زائدة فى الفاتيكانة .

وصنايع فى صحف الأيام مَرْسُومة ، وعناية إلهية منطوقة دلالتها ومفهومة. من حَمراء غَرناطة حرسها الله ، ونِعَم الله واكِفَة ، ومواهبه مُتَرادفة ، ومذاهب التشيُّع على رسوم الاعتقاد الجميل[1] عاكِفة ، وركايب الاستمداد بركن مقامكم الرفيع العماد طائفة . وإلى هذا أَيَّدَ الله أمركم ، وأَعزَّ نصركم ، كما شرح لشكر أَنْعُمه صَدْركم ، وأعلى بإضمار ما يرتضيه أمركم . فإننا ورد علينا كتابُكم الكريم الوفادة ، الذى رقمته أَطراف اليراع ، وإنهاء الصناع ، وجادته سحائِب الإبداع ، فجاء رَوْضة ذات إيناع ، وما على الصبح غطاءٌ ، ولا على الشمس قِناع . تعرِّفون اتِّساق الطاعة ، وخطبة البلاد الإفريقية لإمْرَتكم المطاعة ، وما كان من دخول أَشياخ القبائل الذين سمَّيتم فى دينها أَفواجاً ، وأَن دواء السياسة الفارسيَّة أَوسع أَدوائها علاجاً ، وملأً القلوب منها بعد الهم ابتهاجاً ، وأَنكم أَعدتُم حاجبكم إلى سدِّ مدينة بجاية بعد القدوم عليكم بمن خَلَصت نيته من أَعيانها ، وما اعتمدتم به تلك المثابة من إحسانها ، وما ضمن وليكم الشيخ أَبو يعقوب من إصلاح شأْنها ، وتَمْهِيد أَوطانها ، وإطفاء نار عدوانها .

ومنه : وإن تشوَّقتم إلى ما تزيَّد فى هذه البلاد من الأَخبار بما يقتضيه فضلكم الباهر الأَنوار ، فاعلموا أَن صاحب قَشْتالة توجّه فى هذه الأَيام إلى بلاد [خوان منوال][2] التى هلك صاحبها ، والتبست مذاهبها لينظر فى مصرف أَمرها ، الذى رجعت إليه ، وأَحكامها الذى توقفت عليه ، بعد أَن صالح القُنْد أَخاه ، الذى كان له حرباً ، وعليه أَلْباً ، ووجّه إلينا رسوله ، يعرفنا بعزمه إلى منازلة حصن بُلى المخالف لطاعته ، الخارج عن حكم جماعته ، وطلب منا مدداً كثيراً من الرماة والرجال ، وإعانة على القتال . فراجعناه بأَننا إنما نقف فى المدد عندما

---

(١) زائدة فى الملكية والفاتيكانة .

(٢) فى الفاتيكانة (جوان متول) .

وقع به الشرط ، وتضمَّنه العقد والربط ، من تعيين ثلاثمائة من الفرسان ، يكونون فى جملة أتباعه ، يستظهر بهم على من يخالفه من أشياعه بطول ثلاثة أشهر من العام الذى يتوجه فيه إليهم احتياجه ، ويصح فى تعيينه بسبب الصلح احتياجه. ويوم كتبنا هذا كان رسولنا إليه متوجهاً فى هذه الأُمور . والله يُطلع على مايكون فيه للإسلام سبب[1] الظهور . عرفناكم بذلك عملا على برِّكم المأْثور. ومايتزيَّد فمقامكم يطالع به صلة السبب البر بسببه . والسلام الكريم يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى تترامى إلى اتصال سعادته منا الآمالُ ، وتتوارد [على التماس][2] مَرْضاته النيات منا والأَعمال ، ويتعمد إغضاؤه ما تدعو إليه المودة ويوجبه الإدلال ، ويتعرف منه على مر الأَيام الفضل والكمال . مقام محل أخينا الذى له القَدْر السَّامى ، والرِّفد الهامى ، والسَّعد المصيب المرامى ، والنصل الدامى ، والرأْى الإلهامى ، والمآثر التى يتدارسها العراق والشامى ، السلطان الكذا ، أبقاه الله متصلة بالسعد أَسبابه ، مقصوداً بجانب الثناء جنابه ، غاصًّا بوفود التعظيم بابه ، تُفَرق لسطوته أَعداءَ الله ، وترتاح لنصرته أَحبابه ، معملا فيما يرضيه حزمه وعزمه وركابه ، مؤنسة فى حومة الحرب كتيبتُه وفى حالة السلم كتابُه ، معظم قدره الرفيع العالى ، المعتمد بملكه الشهير المعالى ، والمثنى على فضله المتوالى . الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد إسمعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم طيب برٌّ عميم ، يخص مقامكم الأَعلى ومثابتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) زائدة فى الفاتيكانة .

(٢) هذه العبارة واردة فى الفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال والملكية .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله الذى شملنا فضله ، ونهج لنا من التَّحاب منهجاً تفضى إلى السعادة سبله . فالدين متَّصل حَبْله ، مجتمعٌ شَمْلُه ، والأَمن مديدٌ ظلُّه ، والْيُمْن رحيبٌ محلُّه ، والإسلام مُتحقق عِزَّه ، والكفر متوقع ذلُّه . سبحانه وتعالى عليه نتوكل ، وبيده الأَمر كلُّه . والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد النبى الكريم ، الذى به ختم[1] رسله ، والذى بفناء جاهه ناقى رحْلَ الرجاء ونَحْله ، وبحبه نستدر خلف السعادة فيدُرَّ رسْله . والرضا عن آله وأَصحابه ، وأَحزابه وأَشياعه الذين عزَّبهم نصره ، ومضى فى الأَعداء نصله [حتى سما فرع دينه وثبت أَصله][2] ورسم بالعز جنسه وفصله . والدعاء لمقامكم الأَعلى بالنصر الذى لا ينفصل سببه ، ولا ينفصم وصله ، والسَّعد الذى تصيب أَغراض الآمال نبله ، كما خصكم بالفضل الذى لا يسع جهله ، وذَخَركم لنصر الدين يؤمل دفاعكم ناشئُه وكهله . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من العزِّ أَوْفَاه قسماً ، ومن الصُّنع الجميل أَوضحه رَسْماً ، ومن السَّعد [المساعد أَثبته][3] رسماً ، وأَكرمه اسماً ومسمًّا ، ولا زالت بعزكم حوزة الحق تُحمى ، وشاكلة النصر تُرمى . فإننا لو تنخَّلنا آمالنا ، واعتبرنا بمعيار الاختيار أَعمالنا ، لوجدنا صلة وُدِّكم لبابها ، وحسبناها جسوماً وقوى التشيع لكم ألبابُها ، وبودنا لذلك أَن تكون المخاطبات تتعدّد بتعدّد أَجزاء الزمان وتنتظم على الساعات انتظام الجُمان . فلا نزال نثابر على ذلك بجهد الإمكان ، ونعذِر العزم مهما احتج بنزوح المكان ، وإننا الآن وجهنا من يجدد العهد بهذا الغرض ، ويقوم منه بالواجب المفترض ، ويصحب ما حمل الإدلال عليه من قايل ، سوغه الفضل الكثير ، ويسير بحل بغناء المجد الكبير ، من مطايا تشرفت بخدمته ، وغير ذلك من معتاد يتوسل إلى قبوله بما سبق من أَذمَّتِه ، وهو

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية والفاتيكانة ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

فلان . وألقينا إليه من تقرير الوُدِّ ما يرجى أن يضطلع به ، وإن كان تحصيل حاصل ، وتوصيل واصل ، ولما نعلمه من تشوّف مقامكم الأعلى للأخبار ، بمقتضى عنايتكم المشرقة الأنوار ، نعرفكم أنّ الرسول الذى كنا وجهناه إلى صاحب قشتالة فى هذه الأيام متطلعاً على أحواله ، وما توجهت إليه وجوه أعماله ، والكلام فى حقوق المسلمين قبل أرضه ، وبأيدى رجاله ، وصل مجالا فى الشكايات على من عيَّنه هو من ظهراء محاله ، مستوعباً جميع أنبائه فى مقامه وارتحاله . فأخبر أن أمور الصُّلح جارية على مجاريها ، وأن أحواله لا زيادة فيها ، وأنه متفرغ لاسترجاع ما كان لوزيره الفار عنه من البلاد ، وماله من الطَّارف والتِّلاد ، يعرض على معاقله ، لإقامة الحجة نفسه ، ويواصل بيومه فى الجدِ فيهم أَمْسَه . والوزير المذكور قد لجأ إلى كنَفَ غيره ، واستشعر الحذر فجدّ فى سيره ، وإن هذا الشاغل فى الوقت هو همُّه الذى نُصب عينيه ، وجدُّه مصروف إلى اقتضاء دينه ، وأن الأُمور ببركة الاعتداد بكم ملحوظة ، والعهود محفوظة ، والله يصل إشْغَالهم ، ويمكن فى الفتنة إيغالهم ، ويعلى بعز نصركم كلمة الإسلام ، ويجعل لكم الطائلة على أعداء الدين وعبدةِ الأصنام . بادرنا لكم بالإعلام بمقتضى الود الثابت الإحكام . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى لا يُغْفل من برِّه واجب مُفترض ، ولا يقدّم على التشَيُّع فيه غرض ، مقام محل أخينا الذى له الْقَدْر السامى والرِّفد الهامى ، والعز السعيد المرام البعيد المرَامى . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله كريم الخِلال ، رفيع الجَلال ، مُبلَّغاً من فضله أقصى الآمال ، معظَّم قدره ، وماتزم بره ، القائِم

بواجب حمده وشكره ، العارف بأصالة حَسَبه ، وكرم نَجْره . فلان . سلام كريم ، طيب بَرٌّ عَمِيم ، يخص مقامكم الأَعْلَى ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله على آلائِه الوافية ، ومُنَنِه الكافية ، وألطافه الظاهرة والخافية ، والصَّلاة على سيدنا محمد ذى المعجزات البادية والآيات الهادية . والرضا عن آله وأصحابه أُولى المكارم الباقية ، والأعمال الصالحة الراقية . والدعاء لمقامكم الأَسمى بالعناية الصَّافية ، [واتصال النعم الضَّافية][1] ، ودوام البشر والعافية . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من الخيرات أَوْفَرَها نصيباً ، وأثبت لكم فى ثغرة السَّداد سهماً مصيباً ، وخول[2] ملككم الأَعلى[3] فى أَعداءِ الله صنعاً عجيباً ، وهيأَ لكم من لدنه نصراً عزيزاً وفتحاً قريباً . من حَمراءِ غَرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من التعظيم لجلالكم مالا يزال متصل الدمام[4] ، على توالى الأَيام ، ومن التشيُّع لمقامكم آيات ثابتات الأَحْكَام . ودلائل واضحات الأَعْلام . وإلى هذا أَيد الله أمركم ، وأعز نصركم ، فإننا بمقتضى الود الذى رسخت قواعده ووضحت شواهده ، وتساوى غائبه وشاهده ، لا نزال نسل عن أحوال مقامكم الرفيعة مصاعده[5] ، ونلتمس ما نستفتح به ودكم الذى اتضحت فى الفضل مقاصده . وكنا تعرَّفنا فيما سلف من الأَيام أَن لمُلْككم اهتماماً بجوارح الصيد من الطير ، عملا على شاكلة الملوك الكبار ، فى تنويه الملك الرفيع المقدار ، والاستِزادة من آلائِه والاستِكثار ، وجعل المباح موضوعاً لملاذِّه حسبما يحقِّقَه الاعتبار . فصرفنا وجه النظر إلى ما يوفد من ذلك عليكم على بابكم ، ويتحف

---

(١) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والفاتيكانة ، وساقطة فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وتولى) ، والتصويب (من الملكية والفاتيكانة) أنسب للسياق .

(٣) فى الملكية والفاتيكانة (الأسمى) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (الدوام) .

(٥) هكذا فى الملكية والفاتيكانة ، وفى الإسكوريال (مقاصده) .

به على جنابكم ، ووجهنا إلى ما نأى من البلاد الرومية فى هذا الغرض المروم ، وكلفنا ذلك من يقوم بخدمتنا فيه بالمَحْدُود والرسوم ، واختيرت لنا منه جملة كافية ، وعدة بهذا القصد وافية من الحرَّافين والبُزاة وغير ذلك . ولما اقتحمه جالبُها من هول البحار ، وما عارضها من اختلاف الطعام وغوائل الأسفار ، هلك معظمها قبل وصولها وبعده ، ولم يخلص منها إلَّا من استشعر قوة زائدة وشدة ، وتأخرت منيته لكى يحظى بخدمتكم المدة ، وهى ما يصل على يدى بازيارنا[1] الخديم فلان . ومجدكم يلقى ذلك بالقبول الذى يليق بفضله ، والإغضاء الذى لا ينكر على محله ، فيعلم الله ما عندنا من البر الموصول لذلك الجلال ، والثناء على ماله من كريم الخلال ، والعمل على ما يوافق أغراضه فى كل الأحوال ، ولنا تشوُّف إلى أحوال مقامكم الذى فى تسنٍّى عا فيته منتهى الآمال ، فإن تفضل بإطلاعنا على ما يسر من ذلك بمقتضى الإفضال ، فذلك مما نعده من غرر الأعمال ، ونحسبه من عيون ما له من الإجمال . والله تعالى يصل لكم أسباب السعادة الضافية الأذيال ، والعافية الكفيلة[2] بتمهيد الخلال . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى برُّه بعين الملاحظة[3] ملْحُوظ ، وحقه فى صحف الواجبات المتأكدات محفُوظ ، واعظامه تتوفر منه لدينا أقسام وحظوظ . مقام محل أخينا الذى مجده ثابت الأركان ، وعِزّه وثيق البنيان ، وصنع الله يغنى عن الأثر بالعيان ، ومكارمه على أحاديثها السلوان ، وعزائمه يشهد بها موقف الروع ، وصدر الميدان ، ومقاصده الجميلة كفيلةٌ للإسلام وأهله باليُمْن والأَمَان ، السلطان

---

(١) هو المتولى شئون البزاة .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الكافية) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال وفى الملكية والفاتيكانة (المشابرة) .

الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله مرفعاً جانبه ، كريمة أنحاؤه ومذاهبُه ، عميمة مواهبه ، معموراً برضى الله تعالى شاهده وغائبه ، مصحبة بتأييد الله كتائبُه ، معظَّم مقامه ، ومُلتَزَم إعْظَامه ، المثنى على مجده ، فى تتابع الدهر ، وتوالى أيامه ، المعتد فى جهاد الأعداء بعلىِّ مقامه ، فلان .

أما بعد حَمْدِ الله الغنى الحميد ، المتكفِّل لمن اعتمد عليه بالحسنى من فضله والمزيد ، الذى نَسَله أن يسلك بنا سبيل التوفيق والتسديد [ويمدنا على أعدائِه الكافِرين بالإعانة[1] والتأْييد][2] . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى العز العريض المديد ، والشرف الغضِّ الجديد ، مظهر كلمة التوحِيد ، الذى لجاهه نلجأُ فى الأَمْرِ الشَّديد ، ونَسْتَظْهر بالعُدَّة الواقية والعَدِيد ، ونرتقب الصُّنع الجميل ، وضَّاح الجبين ، مشرف الجيد . والرضا عن آله وأصحابه المستولين على الفخر البعيد ، والعز المَشِيد ، الذين لا تمل أحاديثهم على الإعادة والترديد ، والدعاء لسلطانكم الأعلى بالسَّعد الجديد والجد السعيد ، والنصر الذى يجلو خدود الصِّفاح رائِقة التَّوْريد ، ويصرف قضاة الصوارم إلى الاجتهاد من بعد التقليد . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من أقسام السعادة أوفرها نصيباً ، وسدَّد منكم إلى هدف الحق والتماس الصدق سهماً مصيباً ، وأوضح لكم فى ابتغاء مَرْضاته سبيلا رحيباً ، كما نصركم نصراً عزيزاً ، وفتح لكم فتحاً قريباً . من حَمراء غَرناطة ، حرسها الله ، والْوُدُّ فى مقامكم الأعلى على أوّله ، والتشيّع ينسى ماضيه بمستقبله ، والخلوص يعضد نيته بعمله . وإلى هذا أيَّد الله أمركم ، وأعزَّ نصركم ، فإننا لما نثابر عليه من تعرف أنبائِكم الكريمة على الأحيان ، ونرومه من تقرير الْوُدِّ الصادق الإسرار والإعلان ، رأينا أن وجهنا إلى بابكم

---

(١) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكانه .

الكريم [١] بكتابنا صحبة إرسالكم الواصلين إلينا الوافدين علينا من يجدد العهد ، بتقرير ما نبديه من الود ونعيده ، ونلتمسه من جميل اعتقادكم ، ونَسْتَزيده ، ونشرح ما لدينا من التشيُّع الصحيحة أسانيده ، وهو القائد أبو فلان وهو ممن له ببساطنا مكانة ، وله فى طرف الرسالة دربة بها وأمانة . أصحبناه إرسالكم ، وصل الله كرامتهم ويمَّنَ ظِعانتهم وإقامَتهم ، فألقينا إليه فى جميع الجزئيات التى وردوا فيها ما يلقيه ، وحملناه ما يعيده لمقامكم ويبديه مما رجونا حسن منابه فيه . والمراد من مقامكم ، أسماه الله وأعلاه ، وأعانه على ما تولَّاه ، أن يتفضل بالإصغاء لما لديه ، والقبول عليه ، ومحلكم مؤثر للنصفة ، مثابر على الإنصاف ، من إيثار الحق بأحسن الصفة . والله تعالى يزيد ملككم بَسْطة وتأييداً ، ويطلع عليكم وجه العناية سعيداً ، ولا يعدمكم من فضله مزيداً ، ويؤْتِكم من فضله توفيقاً وتسديداً ، حتى يعود ركن الإسلام بكم شديداً ، وظل الأمان على الإيمان مديداً بمنه .

ومن ذلك

المقامُ الذى يُبدى الفضل ويُعيده ، ويحقَّ الحقَّ ويشيده ، ويزيح الباطل ويُبيده ، ويسبغ الطول ويفيده [٢] ، فلا يَشْرَئِبُّ للترَّهات جيدُه ، [ولا يخلق من وُدِّه الأصيل جديدُه] [٣] ولا ينفق عنده من القول والعمل إلَّا ما ظهر صِدْقه ، وبان تَسْديده . مقامُ محل أخينا ، الذى برهان وُدِّه لا يعارض بالشُّبُهات ، وأصيل اعتقاده لا يُسْتنزَل بالتُّرَّهات ، وشمسُ فضله باهرةُ الآيات ، وجيادُ مجده مُسْتولية على الغايات . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الرفيع) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (ويعيده) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

الكذا ، أبقاه الله يُعطى الأُمور بعقله الرَّصين حقوقها ، ويحرس[١] أرجاءَ المودة فى الله ، أن تَعْتاد الأَلاقِى الكاذبة طروقها ، ويُنحى على غِراس السِّعايات بِتَتبع[٢] عروقها . معظَّمٌ ، مقامه الحقيق بالتعظيم ، مَنْصِباً وسيماً ، وموقَّر مُلكه توقيراً دائِماً مُلْتَزِماً ، المُثْنى على فضله ثناءً مُتمِّماً ، الداعى إلى الله ، فى صلة بقائه يرفع للإسلام عَلَماً ، ويعْمُر من ربع المجد مَعْلَماً . الأَمير عبد الله فلان . سلام كريم طيب برٌّ عميم ، يخص مقامكم الأَعلى ، وأُخوَّتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله ، مُظْهر الحق ومُعْليه ، يحكم آياته ، وينْسَخُ ما يلقى الشَّيطان[٣] ويمليه ، حتى يروق وجه[٣] اليقين لمجْتَليه ، ويفوز بحُسْن الْعُقْبَى حزْبُه ومُتولِّيه ، والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ونَبِيِّه ، الذى جُمِعَ الفضل فيه ، وأَنقذ الخَلْق من مهاوى التَّلف بتلافِيه ، فثَبَت ما كان الضلال يَنْفيه ، وقُصَّت[٤] قَوادِم الباطل وخَوَافيه . والرضا عن آله وأَصحابه وقرابته وذَوِيه ، الذين كانوا نجومَ ناديه ، وبروقَ غَواديه ، [وسيوفَه على أَعاديه][٥] ، والدعا لمقامكم الأَسمى حرس الله أَكْناف معاليه ، وعرَّفه مُقَدَّم الفتح وتاليه ، وأَبقاه لفخرٍ يَبْنيه ، وأَمل للدين يُسْنيه بالنصر الذى كرمت ألفاظه ومعانيه ، والصُّنع[٦] الذى عَذُبت مَجانيه[٧] ، والصنع الذى يجمع للإسلام شتَّى أَمانيه . فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم سعداً راياتُه منشورة ، وصُنْعاً كتائِب عناية[٨] الله

---

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (ويحرص) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (فيتتبع) .
(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) فى الفاتيكانه (وخصت) ، وهو تحريف .
(٥) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقطة فى الملكية .
(٦) فى الفاتيكانه (والسعد) .
(٧) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٨) زائدة فى الفاتيكانه .

لديه محشودة محشورة ، ومجداً آياته مؤرخة مسطورة ، وقضاياه شائِعة ، ووصاياه ذائِعةٌ مَشهورة . من حَمْراءِ غَرْناطة حرسها الله ، والتشيُّع فيكم قوى بسببه جدير أن يتسَنَّى به للإسلام مطلبه ، ويتحصل للدين الحنيف أربه . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، ووالى تأْييدكم وعضدكم ، فإننا وَرَد علينا كتابكم الكريم الأَنباءِ ، الباهر السَّناءِ ، السَّافر عن محيَّا المودة والولاءِ ، تعرِّفون بما انتهى إليه حال من عاندكم من التَّضييق على جِهاته ، وأَخذكم عليه طريق مَنْجاته ، وأَنكم أَقمتم تلقاءه الحصص ، وجرعتموه الغَصَص ، وإن الحاين الذى دلا دلاه بالغرور ، وقَدَح زِناد هذه الشرور ، ورام شقَّ عصا الأُمة بعد سكون هذه الأُمور وإشراق النور ، يعقوب بن أَبى عيَّاد ، أَوْرَطه الله فى حال مكيدته التى نَصَبها ، وأَشرقه بإِكْلَته التى اغتَصبَها ، وأَمكن منه يَدَ قدرتكم التى عوَّدها التَّمكين ، وعرَّفها العز المكين ، بما جَحد من عفوكم الذى أَلبستموه ، وحِلْمكم الذى أوليتموه ، فأَطفأْتم بجدول السَّيف نَارَ شرِّه ، وحَسَمْتم بعلاج اليد سبب ضُرِّه ، وأَنفذتم فيه حكم الله سبحانه ، بمقتضى أَمره ، وأَنه لما استُفْهم عن شأْنه ، وأَسباب خِذْلانه ، ختم عار فعله بعار لسانه ، ورغم أَن هذه الفَعْلة التى ارتكبها ، والدُّرة التى جلبها ، إنما كانت بإِشارة من جِهتنا اعتمدها ، ورمى أَمَدَها ، وأَن مقامكم الذى أَقامه الله قِسْطاس من حق ، وعقلكم الذى لا يلتبس لديه باطل بحق ، أَنحى على هذه الدَّعوة الخبيثة بالتكذيب ، ولم يعدُّها من الممكن القريب ، وأَضرب عن قول العدو فى الحبيب ، فاستوفينا ما فسَّرتم ، وحصلنا ما قررتم ، فقابلنا نعم الله عليكم بحمده وشكره ، وسأَلنا لكم مزيد رِفْده . ومعلوم أَن مقامكم محفوف من الله بعناية [ملابسها لا تخلق مكنوف برعاية][1] أَنوارها تتأَلق ، وأَنه سبحانه ، قد اختاركم ، وهو أَعلم باختياره ، وقلَّدكم الأَمانة ، ولا يُفْتات عليه فى مقداره ، والعجب ممن خَفِيت عن بصيرته هذه الدَّلائِل والشَّواهد ، أَو غابت عنه هذه

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

القواعد ، زادكم الله من فضله ، وحكم للككم باعتناء محلِّه . ونحن نصل شكركم على التعريف ، ثم على رَفْض [ما ألقاه][1] ذلك الخبيث من الكلام السخيف ، بين يدى الرعب المخيف ، والحين المُطِيف ، ومقامُكم آصَلُ عقلاً ، وأشهر فضلاً من أن يُصْغى إلى كلام يقوم البرهان على بطلانه ، ويشهد الحسُّ بخسَار قائِله[2] وخِذْلانه ، فالدعاوى إذا وقعت من بَرِى الجانب ، واضح المذاهب ، لا تُقبل عن غير دليل يعضِّدُها ، أو شهادة تُؤيدها ، فكيف إذا صدرت عن ناكثٍ غادرٍ ، مسارع إلى شقِّ عصا الأُمة مُبادر ، مَسْلُوب العدالة ، يستنجد خدع النفس الختَّاله ، ويشاهد فى السيف مجرى حَوْبائِه المُسالة . ونحن نكل الأمر إلى علمكم بسيرتنا ، وسيرة سلفنا فى اجتناب هذه الشُّبهات[3] ، والإعراض[4] عن شيم بوارق الترَّهات ، والتحفظ عن مداخلة ، الفتن ، مهما وقعت بتلك الجهات ، ولا دليل أرجحُ ولا برهان أوضحُ مما شاهده كثير من خدَّامكم الذين بين يديكم ، حسبما تقرر لديكم ، من أن والدكم محلَّ أبينا ، السلطان ، الواجب علينا حقه ، الواضحة فى البر والتشبع لدينا طرفه ، لما طلب منا الإعانة ، لما كان بِسَبيله ، وصرف إلى الأنجاد فى الأجفان وغيرها ، وجه تأميله ، قابلنا طلبه بالإعذار ، وأمسكنا عن الرَّكض فى ذلك المضمار ، حذراً أن تكون بيننا ، وبين تلك الجهات تُرَه[5] تتعقب عن الهدنة ، أو مداخلة فى شيءٍ من أسباب الفتنة . هذا وحقوقُه تحجُّنا بالسنة فصيحة ، وتجادلنا بأدلَّة صريحة . ولكنا اخترنا الوقف مذهباً ، ولم تُترك للحجَّة علينا سبباً . والحال فى جهتكم عندنا الان أعظم ، والسبيل بحمد الله أقوم ، فإنكم رُدْتم فى البر وأَرْبَيْتم ، وأعدتُم فى الفضل

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (أقاويل) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .
(٣) وردت فى الإسكوريال (الشهادة) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .
(٤) وردت فى الإسكوريال (والأرض) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .
(٥) وردت فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

وأبديتُم ، وما حمل أخوكم على ارتكاب الخطإ الذى قل ما نجا راكبه ، واقتحام البحر المحيط ، الذى لا تَبين مذاهبه ، ولا تُهدى السارين كواكبه [وتقبيل يد العدو الكافر][1] وهو العمل[2] الذى لا تُمحى مَثالبه ، إلاَّ لما يَئِس من مداخلتنا فى أمره الذى أبرمه ، وأعانته[3] على ما يمَّمه ، وبعد أن سُدَّت عليه المسالك القريبة من مَرْمى أمله ، ولم يجد فينا طمعاً لقبول قوله ولا عمله ، فانفرد بغائِلَةِ ضميره ، ولم يُطْلع غير طائِفته على تدبيره ، فالذى عملتم من رفض هذا القول هو اللاَّئِق بدينكم ، وصِدْق يقينكم ، فمثلكم لا يرتاب فى أحبَّائِه وأوليائه ، ولا تلتبس لديه مذاهب التشيُّع لعلائِه ، وتعريفكم عندنا مقابل شكر مقامكم الرفيع وثنائِه ، على اتصال الدهر ، وتوالى آنائِه . والله تعالى يعرِّفكم عَوارف آلائه ، ويُجزيكم عن الإسلام خير جزائِه ، وينصر عزمكم على أضْدَاد دين الله وأعدائِه . و السلام الكريم ، المبارك العميم ، يخصكم ، ورحمة الله وبركاته.

ومن ذلك

المقامُ الذى شهد الليلُ والنهار بأصالة سعادته ، وجرى الفَلَك الدوَّار بحكم إرادته ، وتعود الظَّفر بمن يناوئه ، فاضطرد والحمد لله ، جريان عادته ، فوليُّه متحقق لإفادته ، وعدوه مرتقب لإبادته ، وحُلَل الصنائع الإلٰهيَّة تضفى على أعطاف مجادته . مقامُ محل أخينا ، الذى سَهْمُ سعده صائِب ، وأمل من كاده خاسر خائب ، وسِر الفلك الدوَّار فى مرضاته دائب ، وصنائع الله له تصحبها الأَلطاف العجائِب ، فسيَّان مشاهد منه فى عصمة الله وغائِب . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله مسدَّد السَّهم ، ماضى العزم ، تجلُّ

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، ومكانه بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانة ، وفى الملكية (العدد) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (وأعانتكم) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانة .

سعوده عن تصور الوهم ، ولا زال مَرْهُوب الحد ، ممتَثَل الرسم ، موفور الحظ من نعمة الله[١] عند تعود القسم ، فايزاً بفلج الخصام عند لدُد الخصم ، معظَّمٌ قَدْرُه ، وملتَزَم برُّه ، المبتهج بما يُسْنيه الله له من إعزاز نصره ، وإظهار أمره ، فلان ، سلام كريم ، طيب برٌّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى[٢] السعيد ، ومثابتكم التى حازت فى الفخر الأمد البعيد [وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد][٣] ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حمد الله الذى فسح للككم الرفيع فى العزّ مداً ، وعرَّفه عوارف آلائه ، وعوائد النصر على أعدائِه ، يوماً وغداً ، وحرس سما علائِه ، بِشُهُبٍ من قدره وقضايه[٤] ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رَصَداً ، وجعل نجح أعماله ، وحُسْن مآله ، قياساً مضطَّرداً ، فرب مزيد ضرَّه ، ضُرٌّ نفسه ، وهادٍ إليه الجيش أهدى ، وما أسدى[٥] . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، نبيه ورسوله ، الذى ملأ الكون نوراً وهدًى ، وأحيا مراسم الحق ، وقد صارت طرائق قِدَداً ، أعلى الأنام يداً ، وأشرفهم مَحْتِدا ، الذى بجاهه ، نلبس أثواب السعادة جُدَداً ، ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطع أبداً . والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا لسماءِ سنَّته عُمُداً ، فأوضحوا من سبيل اتباعه مقصداً ، وتقبلوا شيمه الطاهرة ، عَدْلاً وفضلاً وبأساً وندا ، فكانوا فى النهار أُسُداً ، وبالليل ركعاً سُجَّداً ، سيو فاً على من اعتدى ، ونجوماً لمن اهتدى ، حتى علت فُروع ملته صُعُداً ، وأصبح بناؤها مديداً مخلَّداً . والدعاءِ لمقامكم الأسمى بالنصر الذى يتصل سَرْمَداً ، والصُّنع الذى يتوالى مَثْنًى وموحَّداً ، كما جمع للككم ما تفرق من الألقاب ، على توالى

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) زائدة فى الفاتيكانة .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى « الاستقصا » ، وساقط فى المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانة والاستقصا ، وفى الإسكوريال (فضله) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة والاستقصا (هدى) .

الأَحقاب ، فجعل سيفكم سفَّاحاً ، وعَلَمكم منصوراً ، ورأْيكم رشيداً ، وعزمكم مؤيداً .

فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم صُنْعاً ، يشرح للإسلام خَلَداً ، ونصراً يقيم للدين الحنيف أُوَداً ، وعزًّا يملأُ أفئدة الكفر كمداً ، وجعلكم ممن هيأَ لأَمره رَشَداً ، ويسَّر لكم العاقبة الْحُسْنَى ، كما وعد فى كتابه ، والله أَصدق موعداً . من حَمْراءِ غَرْناطة ، حرسها الله . ولا زايد بفضل الله سبحانه ، إلا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية ، واعتقاد جميل صنع الله لكم فى البداية والنهاية ، والعِلْمُ بأَن مُلْكَكم ، تحدَّى من الظهور على أَعدائِه بآية ، وأَجرى جياد السَّعد فى ميدان لا يُحدُّ بغاية ، وخَرَق حجاب المعتاد بما لم يظهر إلَّا لأَصحاب الكرامة والولاية . ونحن على ما علمتم من السُّرور بما يهزُّ للملككم المنصور عطفاً ، ويسدل عليه من العصمة سَجَفاً ، تقاسمه الارتياح لواقع نعم الله يصفاً ويَضفاً ، وبفقد بين أَنباءِ مسرَّته ، وبين الشكر لله حِلْفاً ، ونعد التشيُّع مما يقرب إلى الله زُلْفى ، ونؤمل من أَمداده ، ونرتقب من جهاده وقتاً يُكْفَل به الدين ويَكْفَا ، وتروى هلل النفوس وتشفى . وإلى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضَّدكم ، فإننا من لَدُن صدر عن أَخيكم أَبى الفضل ، ما صدر من الانقياد ، لخِدع الآمال ، والاغترار بموارد الآل ، وفال رأْيُه فى اقتحام الأَحوال ، وتورَّط فى هفوة ، صار فيها حيرة أَهل الكلام فى الأَحوال ، وناصب من أَمركم السعيد ، جَبَلاً قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ، ومن ذا يزاحم الأَطواد ويزحزح الجبال ، وأَخلف الظَّن منا فى وفائِه ، وأَضمر عملاً استأْثر عنَّا بإخفائِه ، واستظهر[1] من عدو الدين بمعين قلّ ما ورى لمن استنصر به زَنْد ، ولا حقق لمن تولاه بالنصر بند ، وأَن الطاغية أَعانه وأَنجده ، ورأَى أَنه سَهْمٌ على المسلمين سدَّده ، وعَضْبٌ للفتنة

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه والاستقصا (واستعان) .

جرده ، فسخر له الفلك ، وأمل أن يستخدم بسببه ذلك الملك ، فأورده الهلك ، والظلم الحلك . وعلمنا أن طَرْف سعادته كاب ، ومَنْجاة آماله غير ذات انسكاب وقدم غرة لم يستقر من السداد فى غرز ركاب ، وأن نجاح أعمال النفوس ، مرتبط بنيَّاتها ، وغايات الأُمور تظهر فى بداياتها ، وعوائد الله فيمن نازع قدرته لا تجهل ، ومن غالب أمر[1] الله خاب منه المعوَّل . فبينا نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة ، وخمود تلك الشعلة الموقودة . وصلنا كتابكم يشرح الصدر بشرح الأخبار ، ويهدى طرف المسرات على أكفِّ الاسْتِبْشار ، ويُعْرب بلسان حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح وضوح النهار ، والتحقق لخاوصنا الذى يعلمه عالم الأسرار ، فأعاد فى الإفادة وأبْدا ، وأسدى من الفضائِل الجلائِل ما أسْدى . فعلمنا منه مآل من رام أن يقدح زَنْد الشَّتات [من بعد][2] الالتِئام ، ويثير عجاج المنازعة من بعد ركود القَتام . هيهات تلك قلادة الله التى ما كان يتركها بغير نظام ، ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حِبالة لا يفلتها قَنِيص ، وسدَّدتم له من السعد سهماً ما له عنه من محيص ، بما كان من إرسال جوارح الأُسطول السعيد فى مطاره ، حائِلاً بينه وبين أوطاره ، فما كان إلا التسمية[3] والإرسال ، ثم الإمساك والقتال ، ثم الاقتيات والاستعمال ، فيا له من زجر ، استنطق لسان الوجود فجدَّله ، واستنصر بالبحر فخذله ، وصارع القدر فجدَّله لما جد له ، وأن خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ، ومنتسب إلى نصبة غير سعيدة ، وشَانِى عمرته من الكفار خُدَّام الماء ، وأولياء النار ، فحكمت فيهم أطراف العوالى ، وصدور الشفار ، وتحصَّل منهم من تخطاه الحِمام ، فى قبضة الإسار . فعجبنا من تيسير هذا المرام ، وإخماد الله لهذا الضِّرام ، وقلنا

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانة والاستقصا ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) واردة فى الملكية والفاتيكانة والاستقصا ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانه والاستقصا ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

تَكْيِيف لا يحصل فى الأوهام ، وتَسْدِيد لا تستطيع إصابته السِّهام ، كلما قدح الخلاف زَنْداً ، أطفأ سعدكم شُعْلته ، أو ظهر الشَّتات ألما ، أبرأ بمن طائِركم غُلَّته . ما ذلك إلاَّ لنيّة صدقت معاملتها فى جنب الله وصحَّت ، واسترسلت بركتها وسحَّت ، وجهاد نذرتموه ، إذا فرغت شواغلكم وتمَّت ، واهتمامكم[1] بالإسلام يكفيه الخطوب التى همَّت . فنحن نهنيكم بمَنح الله ومِنَنه ، ونسله أن يلبسكم من اعتنائِه أوفى جُننه ، فآمالنا أن تطَّرد آمالكم ، وتنجح فى مرضات الله أعمالكم ، فمقامكم هوالعُمْدة التى نقاتل[2] العدو بسلاحها ، وتتبلج ظلمات كفره بأنوار صباحها ، وتنام العيون الساهرة تحت ظلال صِفاحها . فكيف لا نهنِّيكم بصُنْع على جهاتنا يعود ، وبآفاقنا تطلع منه السعود ، فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت ، وديمه بسابحة الود قد وَكَفت . والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ، ولا يعدمكم غاية وسعادة ، وهو سبحانه يعلى مقامكم ، ويهنى الإسلام أيامكم . والسلام الكريم يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى يُغنى عن كل مفقود بوجوده ، ويهزُّ به إلى جميل العوائِد أعطاف بأْسه وجوده ، ونستضِيءُ عند إظلام الخطوب بنور سعوده ، ونَرِثُ من الاعتماد عليه أسنى ذخر يرثه الولد عن آبائِه وجدوده ، مقامُ محل أبينا الذى رعىُ الأذمة شانه ، وصلة الرّعى ، سجية انفرد بها سلطانه ، ومواعد النصر ينجزها زمانه ، والقول والفعل فى ذات الله ، تكفَّلت بها يده الكريمة ولسانه ، وتطابق فيها إسراره وإعلانه . السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله محروساً من غِيَرِ الأيام جنابه ، موصولة بالوقاية الإلٰهِيَّةُ أسبابه ، مسدولاً على

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة والاستقصا (واهتمام) .

(٢) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (ندافع) .

ذاته الكريمة سترُ الله وحجابُه ، مصروفاً عنه من صرف القدر ما يعجز عن رده بوّابه ، ولا زال ملجأً تنفق لديه الوسائل التى يدخرها لأولاده أولياؤه وأحبابه ، وتُسطَّر فى صحف الفخر نوابه ، ويشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه ، ويتكفل بنصر الإسلام ، وجَبْر القلوب ، عند طوارق الأيام كتائبُه أو كُتَّابه ، معظمٌ ما عظم من كبير حقه السائِر من إجلاله وشكر خلاله على لاحِب طرفه ، المستضىءُ فى ظلمة الخطب بنور أُفقه . الأمير عبدالله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر ، سلام كريم ، طيب برٌّ عميم يخص مقامكم الأعْلَى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله ، الذى لا راد لأمره ، ولا مُعارِض لفعله ، مصرف الأمر بحكمته وقدرته وعدله ، الملك الحق ، الذى بيده مَلاك الأمر كله ، مقدر الآجال والأعمار ، فلا يتأخر شىءٌ عن ميقاته ، ولا يبرح عن محلِّه ، جاعل الدُّنيا مناخ قلقة ، لا يغتبط العاقل بمائِه ، ولا ظِلِّه ، وسبيل رحله ، فما أكتب ظَعْنِه من حِلِّه ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد [صفوته من خلقه][1] ، وخيرة أنبيائه ، وخاتم رسله ، الذى نعتصم بسببه الأقوى ، ونتمسك بحبله ، ونُمديد الافْتِقار إلى فضله ، ونجاهد فى سبيله ، من كذَّب به ، أو حاد عن سبله ، ونصل[2] اليد ابتغاءِ مَرْضاته ومن أجله ، والرضا عن أصحابه وأحزابه وأنصاره وأهله ، المستولين من ميدان الكمال على خَصْله ، والدعاءِ لمقامكم الأعلى بعز نصره ، ومضاءِ نصله . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم وقاية ، لا تطرق الخطوب حماها ، وعصمة ترجع عنها سهام النوائِب كلما فوّقها الدهر ورماها ، وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها .

---

(١) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (صفوة خلقه) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ونمد) .

من حمراء غَرْناطة حرسها الله ، ونعم الله تتوافر لدينا دفعاً ونفعاً ، وألطافه نتعرفها وَتْراً وشَفْعاً ، ومقامكم الأَبوى ، هو المستند الأَوْفَى ، والمورد الذى ترده آمال الإسلام ، وتهدى إليه أفئدتهم ، فتجد ما تهوى ، ومثابتكم العدة[1] التى تأَسَّسَت مبانيها على البرِّ والتقوى . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وأبقى مجدكم ، فإننا لما نعلم من مساهمة مجدكم ، التى يقتضيها كرم الطباع ، وطباع الكرم ، وتدعو إليها ذِمَم الرَّعى ، ورعى الذمم ، نعرفكم بعد الدعاء للمكم بدفاع الله عن حَوْباته ، وإمتاع الله المسلمين ببقائه ، بما كان من وفاة مولانا الوالد ، نفعه الله بالشهادة التى أُلبست حُلَّتها ، والسعادة التى فى أعماله الزكية كتبها . والدرجة العالية التى ختمها له وأوجبها ، وبما تصيَّر إلينا من أمره ، وضمَّ بنا من نشره ، وسدل على من خلفه من سِتْره ، وإنها لِعبرة[2] لمن ألقى السمع ، وموعظة تهز الجمع ، وترسل الدَّمع ، وحادثة أجمل الله فيها الدفع ، وشَرْحُ مجملها ، وإن أَخْرَس اللسان هَوْلُها ، وأسلم العبارة قوّتها وحولها ، أنه رضى الله عنه لما برز الإقامة سنة هذا العيد[3] مستشعراً شعار كلمة التوحيد ، مظهراً سِمَة الخضوع للمولى ، الذى تخضع[4] بين يديه رقاب العَبِيد ، آمناً بين قومه وأهله ، مُتَسَربلاً فى حلل نعم الله وفضله ، قرير العين بإكمال عِزِّه ، وإجتماع شمله ، قد احترس بأَقصى استطاعته ، واستظهر بخلصان طاعته ، والأَجل المكتوب قد حضر ، والإرادة الالٰهية قد أَنجزت[5] القضاء والقدر ، وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته ، أتاه أمر الله لميقاته على حين الشَّباب غَضٌّ جِلْبابه ، والسلاح زاخرٌ عُبابه ، والدين بهذا القطر ، قد أَينع بالأَمن جنابه ، وأمر من يقول للشيء كن فيكون ، قد بلغ

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانة ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) وردت فى الإسكوريال (لموعظة) ، والتصويب من الملكية .
(٣) وردت فى الملكية (العهد) ، وهو تحريف .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (تضرع) .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أنفذت) ، والفاتيكانة (أبدت) .

كتابه ، ولم يرعه ، وقد اطمأنت بذكر الله القلوب ، وخَلَصت الرغبات إلى فضله المخطوب ، إلاَّ شَقِيٌّ قَيَّضه الله لسعادته ، غيرُ معروف ولا مَنْسوب ، [وخبيث لم يكن بمعتبر ولا محسوب][1] تخلَّل الصفوف المعقودة ، وتجاوز الأبواب المسدودة ، وخاض الجموع المشهودة ، والأُمم المحشودة [إلى طاعة الله المحمودة][2] لا تدل العين عليه شارة ولابزَّة ، ولا تحمل على الحذر من مثله أَنفةٌ ولاعِزَّة ، وإنما هو خبيث ممرور ، وكَلْبٌ عقور ، وحيّة سمها وحىٌّ محذور ، وآلة منصوبة[3] لينفذ بها قدر مَقْدور . فلما طعنه وأثبته ، وأعلق به شرك الحين ، فما أفلته ، قبض عليه من الأولياءِ الخلصان من خبر ضميره ، وأحكم تقديره ، ولم يجب عن الاستفهام جواباً يعقل ، ولا عثر منه على شىءٍ ينقل ، لُطفاً من الله أفاد براءة الذمم ، وطهَّر من دنس الظِّنة من حضر من الأُمم ، وتعاورته للحين أيدى التمزيق ، وأُتْبع شِلْوُه بالتحريق . واحتُمل مولانا الوالد رحمه الله إلى القصر ، وبه ذِماءٌ لم يلبث بعد الفتكة العمرية إلا أيسر من التيسير ، وتخلف الملك ، ينظر عن الطرف الحسير ، وينهض بالجناح الكسير ، وقد عاد جمع السَّلامة إلى صيغة التَّكْسِير ، إلاَّ أن الله تدارك هذا القطر الغريب ، بأن أقامنا مقامه لوقته وحينه ، ورفع بنا عماد مُلْكه ، ولَمِّ شَعَثِ[4] دينه ، وكان جمع من حضر المشهد من شريف الناس[5] ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم ، قد جمعهم ذلك الميقات ، وحضر الأولياءُ الثِّقات ، فلم تختلف علينا كلمة ، ولا شذت منهم عن بَيْعتنا نَسَمة مُسْلِمة ، [ولا أُخِيف برى ، ولا حذرجرى ، ولا فرمن فرى ، ولا وقع ليس][6]

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانة ، وساقط فى الملكية .
(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (مصرفة) .
(٤) واردة بالملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .
(٥) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانة ، وساقط فى الإسكوريال .

ولا استوحشت نفس ، ولا نبض للفتنة عرق ، ولا أُغفل للدين حق ، فاستند الثِّقْل إلى نصه ، ولم نعدم من فقيدنا غير شَخْصه . وبادرنا إلى مخاطبة البلاد ، نمهِّدُها ونسكِّنها ، ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكِّنها ، وأمرنا الناس بها بكفِّ الأيدى ، ورفع التَّعدى ، والعمل من حفظ الشروط المسالمة المعقودة بما يجدى . ومن شره منهم بالعوار[1] عاجلناه بالإنكار ، وصرفنا عن النَّصرى[2] ما أوصلوه[3] مصحباً بالاعتذار ، وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى صلة السَّلم ، إلى أمدها من الأخبار ، واتصلت البيعات بنا من جميع الأقطار ، وعفَّى على حزن المسلمين بوالدنا ، ما ظهر عليهم بولايَتِنا من الاسْتِبشار ، واسْتَبَمُوا تطير بهم أجنحة الابتدار ، جعلنا الله ممن قابل الحوادث بالاعتبار ، وكان على حذر من تصاريف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، وأعاننا على إقامة دينه فى هذا الوطن الغريب ، المنقطع بين العدو الطاغى[4] والبحر الزَّخار ، وألهمنا من شكره لما يتكفل بالمزيد من نعمه ، ولا قطع عنا عوائِد كَرَمِه ، وإن فَقَدنا والدنا ، فأنتم بعده الوالد ، والذُّخر الذى تكرم منه العوائِد ، والحبُّ يُتَوارث ، كما ورد فى الأخبار التى وضحت منها الشواهد . ومن أُعِدَّ مثلُكم لبنيه ، فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه ، وتأنَّست[5] قواعد ملكه ، وتشيدت مبانيه ، فالاعتقاد الجميل موصول ، وللفروع فى التشيُّع إليكم أُصول ، وفى تقرير فخركم محصول ، وأنتم رِدْءُ المسلمين بهذه البلاد المسلمة ، الذى يعينهم بإرفاده ، وينصرهم بإنجاده ، ويعامل الله فيهم بصدق جهاده ، وعندما استقرَّ

---

(١) فى الملكية والفاتيكانة (للغوار) .
(٢) فى الملكية والفاتيكانة (النصارى) .
(٣) فى الملكية والفاتيكانة (ما أوصله) .
(٤) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٥) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (وتأسست) .

هذا الأمر الذى تبعث[1] المحنة فيه المنحة، وراقت من فضل الله ولُطْفِه فيه الصَّفحة ، وأخذنا البيعة من أهل حَضْرتنا بعد استدعاء خواصِّهم وأعيانهم ، وتزاحمت على رقِّها المنشور خطوط إيمانهم ، وتأصلت قواعد ألفاظها ومعانيها فى قلُوبهم وآذانهم ، وضَمَنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه ، وقد خَبرَ سَلَفُنا والحمد لله وفاء ضمانهم . بادرنا تَعْريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر ، وأَحْلَى وأَمَر ، عملاً بمقتضى الخلوص الذى ثَبَتْ واستقرَّ ، والحب الذى ما مال يوماً ، ولا ازوَرَّ ، وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الأمر المحذور . وانجلاء لَيْله عن صُبْح الصُّنع البادِى السُّفور ، وإن كُنَّا قد خاطبنا من خُدَّامكم من يبادر إعلامكم بالأُمور ، إلَّا أنه أمرٌ له ما بعده ، وحادث يأْخذ حَدَّه ، ونبعث إلى بابكم من شَاهَد الحال ، ما بين وقوعها ، إلى استقرارها رأْى الْعِيان ، وتولى تسديد الأُمور بأَعماله الكريمة ، ومقاصده الْحِسان ، ليكون أَبلغ فى البر ، وأَشْرح للصَّدر ، وأَوْعَب للبيان ، فوجهنا إليكم وزيرَ أمرنا ، وكاتبَ سرِّنا الكذا ، أبو فلان ، وألقينا إليه ، من تقرير[2] تعويلنا على ذلك المقام الأَسْنَى ، واستنادنا من التشيع إليه ، إلى الركن الوثيق المبنى ، ما نرجو أن يكون [له فيه المقام][3] الأَغْنَى ، والثمرة العذبة المجتنَى ، فاهتمامه بهذا الغرض الأَكيد ، الذى هو أساس بِنائِنا ، وقامِعُ أعدائِنا ، آثَرْنا توجيهه على توفُّر الاحتياج إليه ، ومَدارُ الحال عليه ، والمرغوب من أُبوَّتكم المؤمَّلة ، أن يتلقَّاه قبولها ، بما يليق بالملك العالى ، والخلافة السامية المعالى . والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ، ويحفظ مجدكم ، من غِيَرِ الأَيام والليالى . وهو سبحانه يَصِل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويوالى نصركم وعضدكم . والسلام الكريم يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) ساقطة فى الفاتيكانة .

(٢) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانة ، وفى الإسكوريال (فى مقام) .

ومن ذلك

المقام الذى برُّه ، الفرض الأكيد ، وقصدُه القصد الحميد ، وتأميله للإسلام وأهله[١] هو الركن الشَّديد . [فلِباس فخره هو المعلم الجديد ، وسَهْمُ سعادته السَّهم السَّديد][٢] . مقام محل والدنا ، الذى نَسْتَولى من تعظيمه على أمده ، ونُثابر على برِّه ، وتَتْميم مقصده ، ونرتاح إلى تعرُّف أحوال محلِّ الأخ الكريم ولده . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا . أبقاه الله قَرير العين بشمُول العافية فى النَّفس والولد ، مستولياً من ميدان الكمال على الأمَد ، عالى الصِّيت واليَد ، عدَّةَ الإسلام وأهله فى اليوم والغَدْ ، معظَّم مقداره ، وملتَزَم إجلاله وإكباره ، المعترف بمآثِره الكريمة وآثارِه ، والشاكر لفضله العميم فى إيرادِه وإصدارِه ، المعْتَدُّ بمضا غراره ، المثنى عليه ثناءَ [النَّسيم على][٣] الرَّوْض غِبَّ قطاره . فلان سلام كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الأعلى ، وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ الله ، واصِل أسباب الودِّ الكريم ، وموضح مناهج القصد القويم ، مُنْجد من توكل عليه باللطف العميم . المتكفل لمن شكر بالمزيد منها والتتميم ، والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الرؤوف الرَّحيم. الذى أثنى فى كتابه الحكيم على خُلُقه العظيم ، فبجاهه يتجلَّى لنا وجه السعادة فى المرأى الوَسِيم ، ونلبس أثواب العز رائِقة التَّسْهيم ، وبهَدْيه نَهْتَدى فى الليل البَهِيم . والرضا عن آله وصحبه ، [أُولى الفضل الحديث ، والمجد القديم][٤] السَّائِرين

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (أولى المجد الحديث والقديم) .

من أتباع مرضاته على الصِّراط المستقيم ، الذين ظاهَرُوه فى حياته بالعَزْم الصَّميم ، وخَلِفوه بعد وفاته فى أُمَّته بالْهَدْى الكريم ، والدعاء لمقامكم الأَسْمى بالعزِّ الخالد ، والسَّعْد المقيم ، والنَّصر الكريم الإجمال والتَّقْسيم ، والصُّنع الذى يقضى[1] ارتياده بنجح الْمُسِيم . من حمراء غَرْناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعْتِداد بمقامكم ، [أعلى الله سُلْطانه ، ورفع شأْنه][2] ومهَّد بالعِزِّ أوطانه ، إلاَّ الخير الدائم الانْسِكاب ، واليُسْر الخَضِل الجناب ، والسَّعد المقتبل الشباب ، ونحن نتمسك بالْوُدِّ المتين الأَسباب ، ونختال من حُلَل التعظيم فى آنِق الأَثواب ، ونمتُّ بالولاء الخالص والحب اللُّباب . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، وشكر غَرَضكم فى نصر الإسلام وقَصْدَكم ، فإننا لما ورد رسولنا من بابكم ، مُنشرح الصدر بما أولاه مقامكم من البِرِّ ، تعرفنا منه بأَن محل أخينا ، الأَمير الأَسعد أبا زيّان ، أَقرَّ الله عين الإسلام بكمال بَدْرِه ، ووفَّر برضاكم عنه ، أَسباب عُلُوِّ قدره ، وأَمتعه ببقاء مقامكم ، وانفساح عُمْره ، حتى يسرُّكم الله بنُجح جهاده ، فى طاعتكم ، وإعزاز نصره ، لما عاد من وُجهته التى لها عينتموه ، وحركته التى بها أَمرتموه ، وأَصابه أَلم ، تدارك الله برفعه[3] وإزالته ، وأَعاد جَسَده[4] إلى حالته ، فسأَلنا الله عز وجل اتِّصال العافية ، وتوالى الأَلْطاف الخافِية ، والمواهب الوافية ، وحَمَدْناه على ما أَتاح من النعمة الكافية ، ومع هذا فلم نقنع ، إلاَّ بمَزِيد السؤال ، واستِطْلاع الأَحوال [وتعرف أَنبائه على الكمال][5] فكتبنا هذا الكتاب نرغب أَن يشرح لنا حاله عن أَمركم الكريم شرحاً يقرُّ العُيونَ ، ويخلص من الشك والظُّنون ، فإن عافِيتَه لدينا ، أَهم ما يُلتمس ،

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، ومكانه فى الفاتيكانه ما يأتى (الذى عظم قدركم ورفع شأنه) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (بعفوه) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (فراجه) .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

والسرور براحته أبهى ما يُلبس ، وصل الله أسباب عصمته ، ووالى لديه ولديكم ، مواهب نعمته . وألقى إلينا الرسول المذكور ما أشرتم به من تَوْجِيه الطَّبيب لمباشرة إعْقَاب هذا المرض ، الذى يُرجى أن يكون قد انفصل ، وتمام الغرض من الراحة قد حَصَل . ولولا أن الطبيب الذى ذكرتم ، وإلى بَعْثِه أشرتم ، كان أصابته شِكاية التزم لها داره ، لأوجبنا للوقت والحين بدارَه ، وعلى الأثَر يصلكم كيف ما تيَسَّر ، وعلى أى حال قدَّر ، فلا شىءٌ أهم علينا من المسارعة لتتميم ، ما يعن لأبوتكم من غرض ، لاسيما ما يُرجَى به شفاء مرض . فلا تسلوا عُمَّالنا عمَّا يهم مقامكم من اهتمام بمقتضى مالنا لَدَيكم من وَسِيلة وذِمام ، أطلعنا الله من أحوالكم على ما يُرضى فى افتتاح واختتام ، وهو سبحانه يصل لكم سعادة لا تؤذن بانْصِرام ، ويحرس مقامكم فى كل مقام ، ويعين على أداء مالكم من حقوقٍ جِسام . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى بَهرَ فضله ، واشتهر عدله ، وسما فى الملوك الصالحين محلُّه ، وتظاهر فى نصر دين الله قوله وفعله ، فمجده واضحةٌ سُبُله ، وعِزُّه وارِفٌ ظله ، مقام محل أخينا ، الذى سبب اعتمادنا عليه ، بَعْد الله شديد ، الأواخى ، وأمر إشارته[1] لدينا محمولٌ على الفَرز لا على التراخى ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله رفيعاً جلالُه ، [رحيباً فى السَّعد مجالُه ، ميسَّرة من فضل الله آمالُه ، ناجحة فى سبيله أعماله][2] مكنوفة بالعصمة خِلالُه ، وارفةً بالعزِّ ظِلالُه ، معظَّمٌ قدره الذى يجب تعظيمه ، وشاكر فضله الذى اتصل بالحديث قديمه ، الأمير فلان . سلام كريم ، طيِّبٌ برٌّ عميم ، يخص جنابكم[3] الأعلى ورحمة الله وبركاته .

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (مبرته) .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (مقامكم) .

أما بَعْدَ حَمْدِ الله الذى أَوْلَى النعم وخوَّلها ، ووالى الْمِنَنَ ووصَلَها ، وتمَّم المآرب وكمَّلَها ، وعرَّفَنَا ببركة أُبوتكم عوارف العافية ، نسحب حُلَلَها ونحمد[١] حالها ومستقبلها. والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى شَرَّف ذاتَه الكريمة على الذَّوات البشرية وفَضَّلها ، وبعثه شَافياً أَدْوَاءَ النفوس وعِلَلِها ، ومدَّ به أَرْوِقَة النجاة وسَدَلها ، خاتَمُ الرُّسل والأَنبياءِ [وإن كان بالعناية أَولُها ، الذى عمّ البرية ببركة دعوته][٢] وشملها ، [وحمل على جادة الحق حملها][٣] والرضا عن آله وصحبه وعِتْرته وحِزْبه ، أَعلام الهُدى ، الذى انتخبها له وانتخلها[٤] وقواعد الملة التى مهَّدها وأَصَّلَها ، وشُهُب الاقْتِدا الذين أَوضحوا مُحرَّم الديانة ومُحَلَّلَها ، وبيَّنوا مُجْملها ، وشرحوا قولها وعملها ، والدعا لمقام أُبُوَّتكم الأَسمى بالنصر الذى يُبَلِّغ النفوس المسلمة أَملها ، ويوفِّر نعم الله قِبَلها ، والصُّنع الذى يروى غِلَلها ، ويشفى عِلَلِها ، والفتح الذى يطلع أَنوار البِشر لها . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم ، سعادةً كريمة [السِّمات ، وغرة مشرقة القَسَمات ، وعناية][٥] تتكفل بفتح الأَبواب المُبْهَمات .

من حَمْراءِ غَرْناطة ، حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيع لمقامكم ، أَعلى الله سلطانه ، ومهد باتِّصال الصُّنع الكريم أَوطانه ، إلا الخير الذى يتوالى مَدَدُه ، ويترامَى إلى المرامى القاصيه أَمدُه ، واليسر[٦] الذى يتصل سَنَدُه ، على أَساس السعادة عُمُدُهُ ، وعندنا لمثابتكم العظمى ، عقائِد

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه فى موضعها ، ووردت من قبل فى الإسكوريال ، واقتضى حذفها لورودها فى غير موضعها .

(٤) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٦) وردت فى الإسكوريال (السير) ، والتصويب من الملكية .

واخَتْ قواعد الاعتقاد ، ومذاهب ترفَّعت عن قبول الانتقاد ، وحجج[1] وثيقةُ الإسْناد ، وأبيات أمنت من الأنواء والسِّناد . وإلى هذا وصل الله لكم أسباب الإسْعَاد ، وكتب لكم مَحْتُوم العناية فى الْمُبدإ والْمُعاد. فإننا لما ورد رسولنا القريب عهدُه بمثابتكم ، مثابة العدل والإحسان ، وعنصر الشِّيم الكريمة والأَثر الحِسَان ، منبئاً عما كان ألَمَّ بأخينا الأمير الأسعد الأطهر أبى زيَّان ، إنسانُ عين عالم الإنسان ، ألبسه الله بطاعتكم المقترنة بطاعته ملابس الرِّضوان ، من الأَلم الذى تفديه من مثله الصُّدور بلبَّاتها ، والقلوب بحبَّاتها ، لا بل الْبُدُور بآيَاتِها ، ثم بما منّ الله به من معافاة المجد بمعافاته ، وإعادته من لباس الصِّحة إلى أفضل عاداته ، وأن الله أسبغ على الإسلام بسلامته لباس الْمِنَّة ، وزائِر الأَلم راعى فى التَّخفيف أعمال السنة ، أنهى إلينا الإشارة بتوجيه الطَّبيب الإسلامى الذى صَدَقَت إلى بابنا هجرتُه ، وبانت لدينا ولدى سلفنا أثَرته ، الحكيم العارف إبراهيم بن زرزار ، وصل الله بتَقْواه سعادته ، وسَنَّى له من الخير بها إرادته ، فكان من الاتفاق أن الفتى[2] المذكور ، وقد أصابته شكاية تردَّد بين لَهَواتها ، وكاد يتردَّى فى مَهْواتها ، إذ عالم الكَوْن والفَسَاد ، لابدَّ أن تعترضه العلل ، وأشراك القدر لا تُنجى منها الْحِيَل . فلما أَبلّ أو كاد ، وغلب بإذن الله الكَوْنَ والفَساد ، وجَبَ صرفه لإزالة العلة التى منعت ، وارتفاع العَوايق التى قَطَعت ، وإن كانت العافية قد أَغْنَت ، وملابسُ العصمة ، والحمد لله ، قد أجنَّت . فرأينا أن البرَّ إنما هو فى توجيهه وبعثه ، وحالُه تغنى عن تقرير الْعُذْر فى لبثه . وأَصْحَبْناه إلى محل أخينا العزيز علينا ، العظيم الحق لدينا ، على الإدلال الذى يُحمل فيه كمالُه ، ويُغْضِى عنه جلاله ، من يخدم فى مثل هذا الغرض ، الذى توجَّه إليه ، ويتصرَّف فى مثل هذه الأُمور بين يديه . وإغْضَاؤكم عن التَّقصير معتاد ، وفضلكم قد شَهِد به حىٌّ وجماد ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (وحجة) .

(٢) هكذا فى المخطوطين .

ومجدكم قد بعُدت منه آماد . نَسَلُ الله أن يؤيد الإسلام بتأْييدكم ، ويعزُّ فيه الحق بإعزاز نصرِكم ، ويوتيكم فى النَّفس والوَلَد ، ما يتكفل بقرَّة عينكم ، وانشراح صدركم ، والسلام الكريم يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى اتِّصال عافِيته نعمةٌ عميمة ، وكمال راحته منَّةٌ جسيمة ، ودوام سعادته سُقْياً للأَقطار وديمة ، وتمام صحته على العَدْوتين تميمة ، فَشِيَمُ فضله ، لا يفضلها فى الحديث والقديم شِيمة ، ومذاهب عدله واضحة مستقيمة ، ومَكارِمُه شاملة عميمة ، وآثاره فى سبيل الله حادثةٌ وقديمةٌ . مقام محل أَبينا ، الذى لنا باتصال نعم الله عليه ابتهاج ، وفى ميدان التشيُّع فيه إلْجام وإسْراج ، وفى مناظرة الثناء على مجده العالى استِدْلال واحتجاج . فقياس حُبِّنا المتوارث لا يعدم فيه إنتاج ، وعَقْد أَخلاصنا[1] لا يناظره[2] عنادٌ ولا لُجاج ، وتعويلنا عليه بعد الله فى الظهور وسلوك السُّنن المشهور سِراج وهَّاج . السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا . أَبقاه الله يلبس ثياب العافية جُدُداً ، ويتعرَّف عوارف السعادة المعادة يوماً وغَدًا ، ويفسح له فى العمر الطويل مَداً ، وأَعلى على الأَعداء الكافرين يداً ، وأَبقى ملكه للدين والدنيا مُسْتَنداً ، وللإسلام وأَهله مُعْتَمداً ، يتعرفون ما بين سلمه وحربه النَّصر عزيزاً ، والعيشَ رغَداً . معظَّمٌ قدرُه السَّامى فى الأَقدار [وموجب حقه][3] المتأَكد الوجوب المُشْرق الأَنوار ، المُثْنَى على فضله الكريم الأَعمال والأَقوال والأَخبار ، الساحب لأَنباء عصمته وراحته أَثواب الجَذَل والاستبشار ، الدَّاعى باتصال نعم الله لديه ، اتصالاً يؤذن بالدَّوام والاستِقْرار الأَمير فلان .

---

(١) فى الملكية (إصلاحنا) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يعارضه) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

أما بعد حَمْدِ الله ، وَاهِبُ النِّعم ومُدِيمُها ، ورافع قواعِد الدِّين الحنيف ومُقيمُها ، وواصل حديث الصَّنايع الإلٰهية والأَلطاف الخفيَّة بقديمها ، متمم الآلاءِ حق تَتْميمها ، ومُنَسِّق أَنفاسَ العناية ، ينشط النفوس أَريج نَسِيمها ، ومعرِّفُ العوارف الكريمة ، تظهر معانى الفضل العميم عند سَبْرها وتَقْسِيمها ، ومبدى صفحات المِنن ، تروق الأَبصار لمحات وَسِيمها ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، منقذ الخلائِق ، بتبيين مَأْخَذ الهداية وتعليمها ، ذى المعجزات ، التى تلقَّت صحيحها[1] العقول بإقرارها وتَسْلِيمها ، سَيِّد الأَنبياءِ ، بين خليلها وكَلِيمها ، خاتَم النبوَّة ، والفائِز بتقديمها ، الموصوف من الأَوصاف القدسية برءوفِها ورحِيمها ، ومن الخلق الرضية ، بعظِيمها . فبجاهه نَلْبَس أَثواب السعادة ، يروق صُبْح أَديمها ، ونتفَيَّأُ ظلال الْيُمن والأَمان ، فنستمتع بنعيمها ، والرضا عن آله وصحبه ، وشِيعته وأَحْزابه ، دُرَرَ الْمِلَّة ، التى عُنيت أَيدى العناية بتنظيمها ، ووقفت الأَلسن على تَوْقِيرها وتَعْظِيمها ، الذين دافعوا بسيوفهم الماضية عن نفوس الملَّة الرَّاضية وحَرِيمها[2] ، والدعاءِ لمقامكم الأَعلى بالعناية التى لا مَطْل لغَرِيمها ، ولا ظَعْنَ لمقيمها ، والسعادة التى تغنى كواكبها[3] عن تعديل النُّصُب وتقويمها ، والعزة التى تتناول تَخْصِيص كل عزٍّ بتعميمها . فإِنَّا كتبناه إِليكم ، كتب الله لكم عافيةً مديدة الظلال ، وصحَّة ضافية السِّرْبال ، وعصمة مُسْتَصْحبة فى الحال والمآل ، وأَبقى علينا مكان اعتقادكم الجميل ، مثابةً لنجاح الأَعمال ، وبلوغ الآمال ، حتى نتعرَّف فى هذه الجزيرة عَوارف الأَمن ، المُنْسَدل الجناح على النُّفوس والأَموال ، وَتَتَهنأَ أَيامكم الأَبوية فى صُنْع يقتضى صلاح الأَحوال ، وتمهيد الخِلال . وإِلى هذا وصل الله سَعْدَكم ، وحرس

---

(١) فى الفاتيكانه (حججها) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (وحليمها) ، والتصويب من الملكية .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية فى موضعها ، ووردت مكانها (كواكب) بعد كلمة (تعديل) ، والأولى أرجح .

مجدكم ، فإننا لما ورد علينا كتابكم الذى كفَّ وكفا ، وداوَى بخبر شفائكم وشَفَا ، وقد كانت الحال على شَفَا ، وسكَّن من الآمال ، ما كان هَفا ، ونظر فى موضوعى المَوْدُود والمكروه ، فأثبت ونَفَا ، وأخبر بذهاب البوس ، وتَنْفِيس الله عن النُّفوس ، وأضفى السرور وأسبغ اللُّبوس ، وأضحك وجه الزمان العَبُوس ، راجعنا نشكر صنع الله ، فيما تخلَّق به طيف ذلك الألم من التخفيف ، ونَسَلْه أن يعظم ، وقد فعل أجر المضيف ، ونثنى بذكر[1] مقامكم فى تعجيل التعريف ، وإطلاع صبح البشاير فى جَنَح الخطب المخيف . ثم إنَّ نفس الشفيق لا تقنع فى مثل هذا بخبر واحد ، ولا تَجتزِى بمعان مفرد أو مشاهد ، حتى يتصل التحقيق ، ويتضح الطريق ، وتقوى قوة التصوُّر والتصديق . فوجَّهنا من يباشر أحوال ذلك المقام ، الذى صلاح الأُمور بصلاح أمره مَنُوط ، والسعادة مع استقامة عافيته شرطٌ ومَشْرُوط . فإنكم العُدَّة التى تمد اليد إلى نصره ، كلما طمح العدوُّ إلى اعتدائِه ، أو جَمَحَ فى غلْوائِه ، والثِّمال المعول عليه فى ابتداءِ كل أمر وانتهائِه . ونحن أولاً وآخراً نشكر الله على ما منَّ به من عصمة ذاته ، ونَسَلْه دوام سِتْره عليه واتصال حياته ، ونعتدُّ به على ابتغاءِ ما فيه ابتغاءُ خير ما عند الله ، والتماس مرضاته ، فهذه البلاد لا تجهل ما سَلَف فيها لسَلَفِه الأَرْضى ، من أعمال أَمَّنت الخائِف ، وأَجْزَلت اللطائِف ، وأَنِسَتْ الأَملاك الماضية والخلائِف ، وطرَّزت بالبر الصحائِف ، وهو إن شاء الله يُرْبى على الماضى بمستقبله ، ويَنْسَى بآخره أَوَّلَه ، حتى يزكو فى البرِّ عمله ، ويساعده فى ابتغاءِ الفخر ، وبقاءِ الذِّكر أَمله بحول الله . واخترنا لتقرير هذا الفرض الأَكيد ، والقصد السديد ، من يقوم فيه بالمقام الحميد ، وينتقل إلى مَرْتَبة الاجتهاد عن مرتبة التَّقْليد ، ذلك القَايد الكذا ، وألقينا إليه ما يلقيه إليكم ، ويورده عليكم ، وأنتم تولُونه برًّا وإقبالا ، وتفتحون له فى الإصغاءِ إلى ما عنده مجالا بحول الله ، والله يصل سعادتكم ،

---

(١) فى الفاتيكانه (بشكر) .

ويحرس أصالتكم السلطانية ومجادتكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى لاتَشُوب معاملته فى الله الأَوْشَاب ، ولا يتطرَّق إلى يقينه الارتياب ، ولا ينقطع مع تأميله الأسباب ، مقامُ محلِّ والدنا الذى نجرى[1] فى محل[2] التَّشبُّث بوده ملء العنان ، ونجعل التشيع إليه شغل الجنان ، والثناء على معاليه هَجِير اللِّسان ، ونَسْتَنِد منه فى سبيل الله إلى المعتصم الوثيق البنيان ، ونُهيب به إلى ما هو أحرص عليه ، من ابتغاء مرضاة الرحمن ، ونعرض على جلاله من الأَنباء ما يهم المسلمين شأنه بهذه البلدان . أبقاه الله خالص العمل لوجْهِه الكريم ، مصدَّقَ ظنون من يؤمل إنجاده من أهل الإسلام بهذا الإقليم ، وجعله ممن أتاه [فى غدٍ][3] بالقلب السَّليم . معظَّمٌ قدره حق التعظيم ، المثنى على مجده السامى ، وفضله العميم [المعند بعزمه الأقصى ، وجهاده الأَرْضَى ، ومجده العظيم][4] فلان . سلام كريم طيب برٌّ عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله ، الذى تغمَّدنا جميعاً فضلُه وكرمُه ، وجادت آمالنا البعيدة دِيَمه ، وجعل اتصال اليد من أجله فى الإسلام بين أهله ، متاتاً تُرعى ذممه ، فمن عوَّل عليه ، وصَرَف القصد إليه ، علت هِمَمُه ، وكانت شيم المتقين الأبرار شِيَمه . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، الخافق بالهداية عَلَمُه ، المؤتى جوامع الحِكَمَ كلمه[5] ، الذى أطلع نور الحق ، فانجابت حَنادس الباطل

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (نجد) ، وهو تحريف .
(٢) فى الفاتيكانه (ميدان) .
(٣) هذه العبارة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الفاتيكانه .
(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .
(٥) وردت فى الإسكوريال (الكلم) ، والتصويب من الملكية .

وظُلَمُه ، ودلَّ على كنز المعرفة بالله ، فأثْرَى به (بائِس الوجود][1] ومعدمه ، فهو الملجأُ الذى يؤوينا حرمُه ، وتُنجينا من المكاره عصمتُه . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين شَفَا جهادُهم الدِّين ، وقد أعيا أَلَه ، وحمى الخلق فحفظ مالَ كلِّ مسلم ودَمَه ، والدعاءِ لمقامكم الأَسمى ، بالصُّنع الوافرة قسمه ، والتوفيق المشرقة أَنْجُمه ، والسَّعْدِ الذى تُنجده الأَقدار وتَخدمه . فإنَّا كتبناهُ إليكم ، كتب الله لكم سعداً واضحة حكمه ، وعزًّا يتبارى فى الافتخار بما فيه سعادة الأَمصار والأَعصار ، سيفه وقلمه .

من حمراءِ غَرْناطَة حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه الا بنوة شأْنها الدهر صدق اعتذار[2] وحق ابتدار ، واعتراف بما لتلك الأُبوّة [3]من حقُوقٍ كِبار ، ومَدُّ أَيدى انتصار واسْتِظهار ، ومطالعةٌ بأَنباءٍ مهمَّةٍ وأَخبار ، واقتباس رأى سديد ، يستمد الضياءُ من مِشْكاته أَنوار ، والله يجعل ذلك فى ذاته متصل السبب ، كفيلاً فى الدنيا والآخرة بنَيْل الأَرَب . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا بحسب الْوُدِّ الوثيق عقده ، الْمُورى زِنْدُه ، والتشيُّع الخافق بَنْدُه ، نود أَن لا يمر زمان ، إلا عن تجديد مخاطبة ، وترديد مكاتبة ، نودِّى منها فَرْضاً واجباً ، ونسلك سُنَناً لاحِباً ، ونقلد منها المراجعة [مسلكاً فى][4] فى التشيع ، على مَهْيع[5] السنة راغباً ، ولأَذيال الإغضاءِ والتؤدة مصاحباً ، فأَنباؤكم عندنا رُقًى يُشْفَى بها للتشوف الأَلم ، وكتبكم سحائبُ بركات لايَغُبُّ منها غمام ، وبحسب هذا الاعتقاد ، الذى هو أَصل لا يعارض ، وفصل لا يناقض ، وجهنا هذه المخاطبة ، نجدِّدُ لمقام أَبوتكم عهداً ، ونسلك من تعظيم مثابتكم قصداً ،

---

(١) وردت فى الإسكوريال (ملبس الجود) ، وفى الملكية (يابس الجود) ، والتصويب من الفاتيكانه

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (اعتبار) .

(٣) وردت فى الإسكوريال (النبوة) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٤) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (منهج) .

ونستطلع جميل نظركم صدراً ووروداً ، ونقرر من أحوال العدو المحارب والمسالم ، ما نلتمس به بركة رأيكم ، ونجاح قصدكم لله وسعيكم ، فاعلموا أنَ منها كذا ، وكذا .

ومن ذلك

المقامُ الذى إليه اللَّجأُ والجنوح ، وله الرِّفدُ الممنوح ، والصدر المشروح ، والفضل الذى تألَّق منه الوضوح ، والعَزَمات التى تؤيدها الملائِكة والروح ، مقامُ مؤمَّلى الذى إليه الاسْتِناد ، وبعزِّه الاعتداد ، وعليه بعد الله الاعتماد ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله ، يجير الكَسِير ، ويسنى الظَّهير[1] ويضم الشَّتيت ، وينظم النَّثير ، ويؤمل القاصدُ مُلْكه الكبير ، ويستدرك الفائت بعز دخيله ، من أضاع الحزم وأهمل التدبير ، مؤمَّل نصره ، ومُعْمَل أمره ، وقاصر الرجا بعد الله على قصره ، الداعى إلى الله بإعلاءِ قدره ، واتصال عمره . فلان .

أما بعد حَمْدِ الله على كل حال ، عاطِلٍ أو حال ، والتسليم لقدرته سبحانه فى كل حِلٍّ وارتحال ؛ والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الماحى ببرهان الحقِّ كل مُحال ، منقذ الناس بشفاعته ، وقد تورّطوا من الغىِّ فى أَوْحَال ، وتشبَّثوا بسوءِ انتحال . والرضا عن آله وصحبه ، خير صحب وآل . فكَتَبه إليكم من ظاهر مَرْبلَّة حرسها الله ، وقد استظل[2] فى ظل[3] إيالتكم القرار ، واطمأنت الدَّار ، وتمحض لعز خَيْلكم الانتصار ، لما خَذَلت الأَنصار . وإلى هذا أبقاكم الله ، فقد كان تقدم إيفاد المخاطبة على بابكم ، التماساً لنَظَركم الجميل ، وبابكم[4]

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (العسير) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (استقر) .
(٣) زائدة فى الفاتيكانه .
(٤) فى الفاتيكانه (ورأيكم) .

الأَصيل ، وجعل فى يدكم العليا زمام التَّأْميل ، ورُجِيت الأَيام بانتظار ما يرد من ذلك المقام الجليل ، وقد أَعيا على من تعدَّى على شِيعتكم الأَمر ، وضاق منه الصدر ، ووقع الانتصاف فى المجال ، وصَدَقَت عزائم الأَولياء من الرجال ، وأَملُ فضل الله الذى يُفرج الشدائِد ، ورحمته المتعرِّفة العوائِد ، إلى أَن وصل رسولكم الفقيه الشريف ، الميمون النقيبة السعيد[1] الإدارة ، الذى شهدت شِيمتُه بالانتماء الصادق إلى المختار وسِلالته المختارة ، أَبو القاسم ، وصل الله عزة شرفه ، ونفع بمحبته سَلَفه ، وألقى مضمَّن ما توجه فيه ، وعرض الدواءَ الذى يبرِّئُ الداءَ ويُشْفيه ، فصادف قلباً إليه مقلوباً ، وهُدًى بتأْييد الله وتوفيقه مغلوباً ، فيمَّنَ من الجنوح إلى مثابتكم أَملاً مطلوباً ، وقد كان شيعتكم بين أَمرين ، من المقام بين أَظْهُر الأَولياء من أَهل وادى آش محصِّلاً من عهدهم ، مالا يَتطرَّق النَّكْث إلى وفائه ، ولا يتصدر[2] الكدر إلى صفائه ، يفدون من النفوس بكرام النفوس ، ويَسْتَظهرون من الصبر الجميل بأَضْفَى اللُّبوس ، ويُعِينون بما ملكت أَيديهم ، وتدل على حسن الخواتم ، كرائم مباديهم ، إلى أَن يحيى من حيى عن بينة ، أَو يهلك من هلك عن بينة ، أَنفاً لبيعة موثقة ، وطاعة مُتَّسقة ، أَو اللِّحاق بأَرض الكفر ، مؤثراً والحمد لله ، على الوقاية ، من ذلك داعِيةَ الهوى ، منخرطاً فى سلك من تعدَّى وهوى ، لتحرقَ الفتنة من آثارها ، أَو تَبْلُغ النفس ثارها . فوقع بإشارتكم الدينية الاجْتزا ، ورُجى من أَهل[3] الله الخَلف وأُمِل منه الجزا ، وارتفع اللَّبس ، وطابت بالمثول ببابكم النفس ، وظهر لشيعتكم كفاءٌ لعناية مقامكم الأَسمى ، وعملاً بما يجب من طاعة جلالتكم العظمى ، أَن اسْتَحْضَر أَهل العقد والحل ، ووجوه أَهل الدِّين والفضل ، فخرج لكم عن المدينة بما اشتملت

---

(١) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٢) فى الفاتيكانه (يتوصل) .
(٣) زائدة فى الإسكوريال .

عليه من الحصون والأَقْوات[١] والبقاع ، والمُسْتَخْلصات والرِّباع ، والحقوق على اختلاف الأَنواع ، بحُكْم الهِبة التى أَوضح الشَّرحُ سبيلها ، وأَثْبَت دليلها ، وحازَها رسولُكم ، أَبقاه الله ، حيازة ، لم تبق شُبْهة مِلْك ، لغيركم فيها ، وسلمها من أَمْرِكم العزيز ، إلى من يكفلها ويكفيها ، فَيدُكم عليها ، لا يرفعها غَصْبُ غاصب ، ولا يدفع حجتها لغو مكايد للحق مُناصب ، وهى ما هى من جِباية ، يَفْضُل فيها الدَّخل على الخرج ، وبلد الزرع والضَّرع ، والظَّهر والسَّرج ، ومعقل الإِباية والمنَعَة ، أَعزها الله بعز طاعتكم ، وهنأَ أَهلها ، نَظْمُكم إياها فى سلك جماعتكم ، وانصرف عنها إلى بابكم ، وتحت خَفارة جنابكم ، بعد أَن أَقام أَهلها مأْتَماً للفراق وخَدُّوا الخدود بدموع الآفاق ، وحكَّموا الزفير فى الأَطواق ، ولم يقع الخطور على بلدة ، إلاَّ وبرَزَ أَهلها يعج عجيجُهم ، ويعلو بكاؤُهم ونَشيجُهم حسرة ، لبيعة مكفورة ، وذمَّةٍ مخفورة ، وعقد بغير الحق مَحْلُولة ، وحقوق مجهولة . وقد صُرفت الوجوه إلى الباب الذى يضم الشَّارد ، ويُعْذِب الموارد ، ويَرْوى الوارد ، ويُؤْنِس الغريب ، ويضمن النصر العزيز ، والفتح القريب ، والدُّنيا وأَهلُها ما علمتم ، رَهْن نفادٍ وزِيال . [والأَعمار تطوى بين أَيام تمر وليال][٢] ولا يبقى إلاَّ فخرٌ ، يُخَلَّد فى الأَعقاب ، ومِنَن تعقد فى الرِّقاب ، وأَجر يحسب يوم الحساب . والملك وإن تفاضل ، يقُوم بين أَهله مقام الانْتِساب ، والنَّعْرَة المرينية باقية ، والهمم اليَعْقُوبية عالية ، والحُرْمة متوالية ، وحقوق الدخيل فى ذلك القبيل جديدة غير بالية . وهذا أَمر قَدِم العهد به ، ونرجو أَن يكون الامْتِعاض له مناسباً ، والحقُّ عاصباً ، والنفوس الكريمة لهضمه مُشْفِقة ، والمساعى غير خافية ولا مُخْفِقة ، وإذا وقع الشرف بلقائكم[٣] تَسْتَوفى المشافهة مَا قَصُر عنه الكتاب ، وتوصل

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الأحواز) .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

الأَسباب ، ويُفْتح من قبول الله على يدكم الباب ، وهو سبحانه ، يقيكم عثرات الأَزمان ، ونَكْث الإِيمان ، ويفنى ذوى العدوان ، ويُلْبِس الأَرض بإِياالتكم ملابس الأَمان ، ويجعل طاعتكم عنواناً على طاعة الرحمن ، ويَصِل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

ومن ذلك

الإِمارة التى نَقِيها بالنفوس ونُفْديها ، ونلحم برود برِّها ونُسديها ، ونستطلع أَنباءَ عافيتها ونَسْتَهديها . إِمارة محل أَخينا الذى مجده صَراح ، وصبح فضله وَضَّاح ، ولنا بتعرُّف راحته ارتياح . الأَمير الأَجل الأَعز ، الأَسنى الأَطهر ، الأَظهر ، الأَسمى ، الأَسعد ، الأَرشد الأَرضَى ، المؤمَّل الأَمْضَى ، الأَفضل الأَكمل ، أَبو زيَّان ابن محل[1] والدنا ، الذى نُدين بإِجلاله ، ونعترف بأَفْضَاله ، ونستظهر بأَقواله وأَفعاله ، ونمُتُّ بالوُدِّ المتوارَث إِلى جلاله ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أَبقاه الله محفوظاً من السِّرار بَدْرُه ، رفيعاً بالعز قدره ، رحيباً بالفضل صدره ، ماضياً فى طاعة الله ، وطاعة أَبيه ، نَهْيُه وأَمْرُه ، معظِّم أُخوَّته الكريمة الأَصالة وموقِّر إِمارته الرفيعة الجلالة ، الداعى إِلى الله لها بالعافية الدَّائمة ، والنعم المُنْشالة ، كما زيَّن ببدرها مدارَ تلك الهالة ، وجعلها حِلْيا لتلك الإِيالة ، فلان سلام كريم ، طيِّبٌ برٌّ عميم ، يخص مقامكم ورحمة الله وبركاته .

أَما بعد حَمْدِ الله الذى جعل بإِزاءِ تألُّم عبده أَجراً وثواباً ، وبإِزاءِ شكره مزيداً وعطاءً حساباً ، ووصل من نعمه العميقة أَسباباً ، وأَلْبَس ذاتكم الطاهرة من العافية أَثواباً ، وسوَّغ الإِسلام من الاسْتِبشار بإِقبالها موارد عِذاباً . والصَّلاة على سيِّدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى نقتبس من سنَّته الكريمة أَخلاقاً حميدة وآداباً ، ونلبس من الاقتدا بمراسِمه الواضحة جِلْباباً ، ونصل الْوُدَّ فى مرضاته ،

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (محمد) ، وهو تحريف .

فنسعد حالاً ومثالاً ، والرضا عن آله وأصحابه الذين فضَلوا الأُمة أذهانا [١] وأَلْبَاباً ، ومكارم رغاباً ، وتصادَقُوا فى دينه ، فَحمُد منهم مآباً[٢] ؛ والدعاء لإمارتكم السامية ، التى أطلعت فى سماء الجلالة شِهاباً ، وأنشأَت فى أُفق الفضل سحاباً ، وناداها أَلْسُن التوفيق ، فكانت المبادرة منها جواباً[٣] [بالسَّعد الذى يفتح إلى مَرْضاة الله أبواباً ، ويمهد منه جناباً][٤] فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من آلائه أَجْزَل الأَقسام ، ووفَّر أَسباب عافيتكم ، التى فيها أَمل الإسلام ، ودافع عن ذاتكم الإماريّة طوارق الآلام ، وألهمكم من الشكر على العافية ما يستدعى مزيدها ، كما وعد فى كتابة الثابت الأَحكام .

من حَمْراءِ غَرْناطَة ، حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيع لمقام محل والدنا أَبيكم ، أَعلى الله سلطانه ، ومهد أَوطانه ، ثم بما يتبع ذلك من الاعتداد بوُدِّكم الذى يُوثر شأْنه ، ويجلُّ مكانه ، إلاَّ الخير الدائم ، واليُسْر الملازم ، والحمد لله . وموجبه إلى جلالكم الذى نُؤمله ونعدُّه ، ونوثِقه ونشدُّه ، فلا يبلى لدينا ودّه ، هو أَن رسولنا ، الآيب فى هذه الأَيام من أَبوابكم ، الصادر بالبر والثناء على جنابكم ، كان مما عرفنا به ، أَن ثواب الله تفقد ذاتكم الطاهرة ، وزيارته أَوجبت لكم الأُجور الفاخرة ، ثم تدارك سبحانه بالعافية التى أَطلعت الأَنوار الباهرة ، وسَحَبت البركات الطاهرة ، فلولا أَن الخَبَر اشتمل على خبر الراحة ، وأَمْن الساحة ، لعظم الأَمر ، واشتغل الفكر . لا كنا لم نقنع فى هذه القضية بخبر واحد ، ولا اجْتَزَينا بمعاين مفرد [أَو مشاهد][٥] فبعثنا هذا الكتاب لنستزيد به وضوحاً ، ونطلب الخبر مشروحاً ، ونَسْتَنْشق من جوِّ

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (أفهاماً) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (منابا) .
(٣) فى الفاتيكانه (جناباً) .
(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكانه .
(٥) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

السرور بمزيد عنايتكم روحاً ، ونهنيكم أولاً بإيابكم من السفر ، وثانياً بما منّ الله من رفع الضَّرر ، فإننا ننطوى من وُدِّكم وتعظيمكم على عقائد لا تلتبس أُصولها ، ولا تتعارض فصولها ، ونؤمل من مظاهرتكم ، فى طاعة الله ، وطاعة والدكم ، ما يعود بعزِّ الإسلام وأهله ، وقمع الكفر وذلِّه ، وإظهار دِين الله على الدِّين كله ، والله [يحقق الأمان ، ويبلِّغ الآمال][1] فمرادُنا منكم أن تتفضلوا بالتعريف بحالكم لنكون على علم برفع الالتباس ، وذهاب الباس ، وتمام السرور والإيناس ، وفضلكم يتمم المقاصد والمآرب ، ويعذب من البرِّ المشارب ، إن شاء الله .

ومن ذلك

الإمارة التى أشْرق فى سماء الملك شهابُها ، واتَّصلت بأسباب العز أسبابُها ، واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها ، وأُجيلت قِداح المفاخر فكان إلى جهة الله أشرابها . إمارة محل أخينا الذى تأسَّس على مَرْضاة الله أصل فخره ، واتَّسَم بالْمُرابط المجاهد ، على اقتبال سِنِّه ، وجدَّة عمره ، وبدا بفضل الجهاد صحيفة أجره ، وافتتح بالرِّباط والصلاح ، ديوان نهيه وأمره ، لما يسَّره من سعادة نصبته ، وحَباه من عز نصرد ، الأمير الأعز الأرفع ، الأسنى الأطهر ، الأظهر ، الأمنع ، الأصعد الأسمى ، الموفق الأرْضى ، محل أخينا العزيز علينا ، المهداة أنباءُ مأمول[2] جواره إلينا ، أبى بكر السعيد ابن محل والدنا ، الذى مقاصده للإسلام وأهله على مرضاة الله جارية ، وعَزَائِمه إلى نصر الملَّة الحنيفيَّة مُتسارية ؛ السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله سديدةً آراؤه ، ناجحةً أعماله ، مُسَيَّرة أغراضه ، من فضل الله متمة آماله . رحيباً فى السعد مجاله ، يكنفه من الله [ومحل أبينا غمام][3] وارفةُ ظِلاله ، هامٍ نواله ، حتى يرضى الله

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال ، ووردت فى الملكية والفاتيكانه كالآتى (يحقق الآمال وينجح الأعمال) .

(٢) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

مصَاعه بين يديه ومَصاله ، وتمضى فى الأعداء أمام رايته المنصورة نصاله ، أخوه المسرور بقُرْبه ، المنطوى على مُضْمر حُبِّه ، فلان . سلام كريم ، طيب برٌّ عميم ، يخص أخوتكم الفُضْلى ، وإمارتكم التى آثارها بحول الله تُتْلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله ، على ما كيَّف من ألطافه المشرقة الأنوار ، ويسَّره لهذه الأوطان بنصرته من الأوْطار ، فكلما دَجَت بها شدة ، طَلَع الفجر عليها طلوع النهار ، وكلما اضطرب منها جانب ، أعاده بفضل من أقامه لذلك واختاره ، إلى حال السكون والقَرار ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار ، الذى أكد جبريل ، صلوات الله عليهما حقَّ الجوار ، حتى كاد يُلحقه بالوسائل والقُرْب الكبار ، وَصَّانَا بالالتِئَام [واتصال اليد][1] فى نصر الإسلام ، فنحن نقابل مَرْضاته بالبِدار ، ونجرى على نَهجه الواضح الآثار ، ونرتجى باتباعه[2] الجمع بين سعادة[3] هذه الدَّار ، وتلك الدَّار . والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه ، أكرم الآلِ والأحزاب والأنصار ، الذين كانوا كما أخبر الله عنهم على لسانه الصادق الأخبار ، رُحماءَ بينهم ، أشدَّاءَ على الكفار ، والدعاء لإمارتكم السعيدة السعيدية[4] بالتوفيق الذى تجرى به الأمور على حسب الاخْتِيار ، والعز المنيع الذِّمار [والسعد القويم المدار][5] والوقاية التى تأمن بها أهلَّتُها من السِّرار ، فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم ، أسنى ما كتب للأُمراء الأرضياء الأخيار ، ومتَّعكم ، من بقا والدكم ، بالعُدَّة العظمى والسيرة الرَّحْمى ، والجلال الرفيع المقدار .

---

(١) هذه العبارة واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٢) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) وردت فى الإسكوريال (بسعادته) ، وفى الملكية (بإجماعه) ، والتصويب من الفاتيكانه .

(٤) زائدة فى الفاتيكانه .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

من حمراءِ غَرْناطَة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله سبحانه ، ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى أوضح برهانه ، إلَّا ألطافٌ باهرة ، وعنايةٌ من الله باطنة وظاهرة ، وبشارةٌ بالقبول واردة ، وبالشكر صادرة ، والله يَصِل لدينا نِعَمه ، ويوالى فضله وكرمه . وإلى هذا ، فإننا اتصل بنا فى هذه الأَيام ، ما كان من عناية والدكم محل أبينا ، أبقاه الله بهذه البلاد ، المستندة إلى تَأْمِيل مجده ، وإقطاعها الغاية التى لا فوقها من حُسْن نظره ، وجميل قصده ، وتعيينكم إلى المقام بجَبَل الفَتْح ، إبلاغاً فى اجتهاده الدينى وجدِّه ، فقلنا هذا خبر إن صدق مخبره ، وتحصل منتظره ، فهو فخر تجدّدت أثوابه [وإعشاءٌ تفتحت أبوابه وعمل برٌّ عند الله ثوابه][1] فإن الأندلس عصمها الله ، وإن أنجدتها عدده وأمواله ، ونجحت فى نصرها ، مقاصده الكريمة وأعماله ، لايذر موقع النظر لها من نفسه ، وزيادة يومها فى العناية على أَمْسِه ، حتى يسمح لها بولده ، ويخصها بقرة عينه ، وفَلْذَة كَبِدِه ، فلما ورد الخَبرَ الذى راقت منه الْخُبَر ، ووضحت من سعادته الغُرر ، بإجازتكم البحر ، واختياركم [فى حال الشبيبة][2] الفخر ، وصدق مُخَيَّلة الدين فيكم ، واستقراركم فى الثغر الشهير ، الذى افتتحه سيفُ جَدكم واستنقذه[3] سعد أبيكم ، سررنا بقرب المقام[4] ودنوٌّ الدار ، وقابلنا صنع الله بالاسْتِبشار ، ووثقنا وإن لم نزل على ثقة ، من عناية الله ، وعناية محل والدنا بهذه الأَقطار ، وحمدنا الله على هذه الآلاءِ المُشْرقة ، والنِّعم المُغْدَقة ، والصنايع المتألِّقة ، بادرنا نهنى أُخوتكم أولاً بما يسَّر الله تعالى لكم من سلامة المجاز ، ثم بما منحكم من فضل الاخْتِصاص بهذا الفرض والامتِياز ، فإمارتكم الإمارة التى أخذت بأَسباب العُلا ، وركبت إلى الجهاد فى سبيل الله ،

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (المزار) .

جياد الخيل ، وجياد الماء ، وأصبحت على حال الشبيبة شجاً فى حلوق الأعداء ، وسبقت الذى منه فى الحديث والقديم ، كان جهاد الأعداء . ونحن أحقُّ بهذا الهنا ، ولكنها عادة الْوُدِّ ، وسُنَّة الأخا ، والله عز وجل ، يجعله مَقْدَماً ميمونَ الطائِر ، متصل البشائِر ، متهلل بصنع الله بعده ، وجوه القبائِل والعشائِر ، ويجرى خبر سعادته مجرى الخَبَر السَّائِر ، وبشكر محل والدنا ، فيما كان من اختياره ، ومزيد إيثاره ، ويجازيه جزاءَ من سمح فى ذاته بمظنة ادِّخاره . ولما رأينا أن هذا الغرض لا يُجتزأُ فيه بالكتابة دون الاسْتِنابة ، وجهنا لكم من يقوم بحقِّه ، ويجرى من تقرير ما لدينا على أوضح طرقه ، وهو القائِد كذا ، ومجدكم يَصغى لما يلقيه ، ويقابل بالقبول ما من ذلك يودِّيه . والله عز وجل يصل سعادتكم ويحرس مجادتكم . والسلام .

ومن ذلك

الإمارة التى إلى مَثابتها تَهوى رِكاب الآمال ، وعلى أصالتها تُقْصَر أوصاف الكمال ، فأفعال إشارتها الكريمة معتمدة الإعمال ، ومَعْلم غرضها موصول بالإكمال. إمارة محل أخينا ، الذى سرت جلالته ، [وظهرت ظهور][1] الصبح المُبين طهارته وأصالته ، وسعدت فى سما الملك هالته. الأمير الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله بعيدَ النظير والشبيبه ، ممتعاً بأيام أبيه ، جارياً فى كل أحواله على ما يُرضى الله ويُرضيه ، حتى تصدقُ آمال الدين فيه ، وتشقى بجهاده تحت رايته المنصورة أحزاب الكُفْر وذَويه . معظِّم قدره الأسمى ، وموقِّر إمارته العظمى ، فلان . سلام كريم ، طيب برٌّ عميم ، يخص أخوتكم الكريمة ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (وتطهرت طهارة) ، والتصويب من الملكية .

أما بعد حَمْدِ الله ، واصِل الأَسباب ، ومُسْدى[١] الآراب ، الذى جعل المودة فيه كفيلة بالزُّلفى وحُسْن المآب ، والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ذى المجد الصَّراح اللُّباب ، والعزِّ الرفيع الجناب ، رسول الرحمة المفتحة الأَبواب ، وهادى الخَلْق إلى مستقَرِّ الكرامة ومثابة الثواب ، والرضا عمن له من الآل والقرابة والأَصحاب ، الذين نصروه فى حياته بإعمال السُّمر اللُّدان والبيض العِضاب ، وخَلِفوه فى أُمته ، بالْهَدْى المشرق الشِّهاب . والدعاء لمقام والدنا أَبيكم بالسَّعد الضَّافى الأَثواب ، والنصر الحميد المآب ، والصُّنع الذى تروق سِماته عنـد تجلِّيها لأَبصار أُولى الأَلباب . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من السعادة أَسْنَى ما كتبه لمثلكم من عِلْية[٢] الأُمراء ، ووفَّر حظكم من مقاسِم السَّراء ، وأَضفى عليكم ملابس الاعتناء ، وحفظ من طوارق الحَدَثان ، إمارتكم السامية البناء .

من حمراء غَرْناطَة ، حرسها الله ، ولا زايد بفضل الله ، الذى يؤمَّل بعد وصول[٣] التشيُّع فيكم اتصاله ، والسير الذى راقت بفضل الله ، ثم ببركة إمارتكم ، بُكَره وآصاله ، وحبُّنا فيكم قد تمخض زلاله ، ووقفت علينا أَمانى الدين وآماله . وإلى هذا ، وصل الله أَسباب سعدكم ، وحفِظَ علينا ، ما نستعذبه من وُدِّكم ، فإننا لو أَمكنا ، أَن تكون المراسلة والمخاطبة بيننا وبينكم ، تتردَّدُ مع الأَنفاس ، فضلاً عن الساعات ، لأَنْضَيْنا ركاب الاستطاعات ، واقتنينا من ذلك أَنْفَس البضاعات . ولكن الأَعذار تتيح التأْخير فى العِبادات والطَّاعات ، فضلاً عما للمودة من المراعات . وكنتم عندما أَصابكم التألُّم[٣] الذى توفَّر فيه الثواب ، وضَفَتْ بعد العافية الأَثواب ، وردت علينا الإشارة الكريمة بترجيه طبيب دارنا كى

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مسنى) .

(٢) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

يباشر خدمتكم ، فى جملة مَنْ ببابكم من الأطبا والحكما ، أولى الألباب . ووافق ذلك الطبيب المذكور ، وقد أصابته شِكاية تخبَّط فى أشراكها ، ونحى منحى الحارث بن همام فى وطيس عراكها ، وعجز النفوس البشرية عن الإدراك غاية إدراكها ، وبيَد باريها سبحانه أزمَّةُ سكونها وحراكها . فلما بان إبلاله ، وظهر استقلاله ، صرفنا نحو مَثَابتكم الإمارية وجْهَ ابتداره ، وأمَرْنا بحث تَسْياره ، فتَلْبِيَتُه الندا بذلك مشروعة ، ودعوتُه بكل فجٍّ عميق مسموعة ، ومن أخَّر واجباً لعُذْره ثم قضاه ، فهو كمن أوْقَعَه فى مِيقاته المختار وأمضاه . وغاية الطِّب كما تقرر غرضان ، أحدهما إزالة المرض ، ورفع السَّبب الكفيل بدفع العَرَض ، وثانيها حفظ الصِّحة بحالها ، وإيجاد الأفعال الطبيعية بكمالها . فمذ أغْنَى الله عن الأول بكمال العافية ، وانسحاب أثوابها الضَّافية ، ومنَّ على المسلمين بإتاحَةِ راحتكم بلَطَائِفه الخافِية ، فعسى أن يكون لهذا الحكيم فى الغَرض الثانى ، غناً زائِد ، ونُجحٌ بتَسَنِّى الآمال رائِد ؛ فأنتم مُقْلة الإسلام ، التى بها يُبْصر ، ومقامكم ومقام أبيكم ، هو العُدَّة التى بها يَنْتَصر ، فإن شَمَلَتكم العافية ، شملت الأقطار ومن فيها ، وإذا ألَمَّ بكم ألمٌ ، أكبَّت ليديها وفيها ، فمرضُكُم يمرضها ، وشِفاؤُكم يُشْفِيها ، وقد حملنا الإدلال ، الذى هو عنوان الوداد ، وعلامة خلوص الاعتقاد ، أن وجَّهنا إلى بابكم معه من يتصرف فيما تعين من هذه الأغراض من خِدمة ، ويتطوَّق من قبولكم عليه بأعظم نعمة ، وذلك كذا من الروميَّات وكذا من صِبْيان الرُّوم ، وكذا من البَغْلات . ولو كان قَدْرُكم بحيث تلقى هدية تناسبه ، أن توجد تُحْفة يُكافأ بها جانبه ، لذهبنا مذهب الاعْتِذار ، واعترفنا بالتَّقْصِير فى حقوقكم الكبار ، ولكنه إن عَظُم الحق الكبير ، وجلَّ أن يأْخذه التقدير ، يتساوى فيه الجَمُّ واليَسِير ، والتَّافه والخطير ، فليس إلاَّ وُدّ لا يُتَّهم بالنَّقص والتقصير جانبه ، ولا تُرمى بالالتِباس مذاهبُه ، والله تعالى يصله محفوظاً من الغير ، مكنوفاً بفضل السِّير ، حتى تجتمع اليد على جهاد العَدُو ، وتفوز [تلك

المثابة الكريمة][1] بالثناء المتْلُو ، والفخر المَجْلُو . وقد أَلقينا إلى موصِّلِه الحكيم المذكور من تقرير الوُدِّ اللُّباب ، والخلوص الوثيق الأَسباب ، بيان ما أَجملته عبارة هذا الكتاب ، وفضلكم يتكفل بالإِصغاء إلى ما مِنْ ذلك يُودِيه ، والقبول على ما يُعيده ويُبديه ، بفضل الله سبحانه ، وهو يصل سعدكم ويحرس مجدكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى تقلد نافِلة الفضل شَفْعاً ، وجوَّد سورة الكمال إفراداً[2] وجَمْعاً ، وجمع بين المَنْح ، والتهنئة بالفتح ، فأَحرز الكمال أَصلاً وفرعاً ، واستحق الشكر عقلاً وشرعاً ، وأَغرى أَيدى جوده بالمقصد الذى هو حظُّ وليه من وجوده ، فأَثار من جيش اللِّقا نفعاً ، ووسَّط به جمعاً ، مقام محل أَخينا ، الذى أَقلامُ مقاصده دَرِبة ، بحسن التوقيع ، وعُيون فضله مِذْكاة لإِحكام الصَّنيع ، وعَذَبات فضله[3] تتفق بذرْوَة العلم المنيع ، ومكارمه تتفنَّن فيها مذاهب التَّنويع . أَبقاه الله ، وأَلْسُن فضله ناطقة ، وأَقْيسَة سعده صادقة ، وأَلْوِيتُه بالنصر العزيز خافقة ، وبضائع مكارمه فى أَسواق البر نافِقَة ، وعَصَائب التوفيق لركائب أَغراضه موافقة . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . سلام كريم طيب برٌّ عميم ، يخص مقامكم الأَعلى ، وأُخوَّتكم الفُضْلى ورحمة الله وبركاته ، مُجلُّ قدرِكم ، ومُلْتَزم برِّكم ، وموجب حَمْدِكم وشكرِكم ، فلان .

أَما بعد حمد الله الذى جعل الشكر على المَكْرُمات وقفاً ، ونهج منه بإِزائِها ، سبيلاً لا تَلتبس ولا تخفى ، وعقد بينه وبين المزيد سبباً وحِلفاً ، وجعل المودة فى ذاته مما يقرِّبُ إِليه زُلفى ، مُرْبح تجارة من قصد وجهه بعمله ، حتى يرى الشَّىْءَ ضِعْفاً

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الملكية والفاتيكانه ، وساقط فى الإسكوريال .
(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (سورة) ، وهو تحريف .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (فخزه) .

وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السِّير ، بمن يوسعها فضلاً وعطفاً ، ويدنى ثمار الآمال ، فنتمتَّع بها اجتناءً وقَطْفاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، النبي العربي الكريم ، الرءوف الرحيم ، الذى مدَّ من الرحمة على الأُمة سَجَفاً ، وملأ قلوبها تعاطفاً وتعارفاً ولُطْفاً ، القائِل من أيقن بالخَلف جاد بالعطيَّة ، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السَّنِية ، وعداً لا نجد فيه خِلفاً . والرضا عن آله وأصحابه ، الذين كانوا من بعده للإسلام كهفاً ، وعلى أهله فى الهواجر ظلاًّ ملتفًّا ، غيوثُ النَّدا ، كلما شاموا سَماحاً ، وليوثُ العِدا كلما شهدوا زحفاً . والدعاء لمقام أُخوتكم الأَسْعَد بالنصر الذى يكفُّ من عدوان الكفر كفًّا ، والمجد الذى لا يغادر كتابه من المفاخر ، الذى ترك الأَول للآخِر حرفاً . وإلى هذا أَيدكم الله بنصر من عنده ، وحَكَم للكلكم الأَسْمَى باتصال سَعْده ، وأَنْجَحز فى ظهوره على من عاند أَمره سابق وَعْدِه . فإننا نقرر لدى مقامكم ، وإن كان الغِنىُّ بأَصالة عقله ، عن اختلاف الشاهد ونَقْله ، [وجلاءِ البيان وصقله][1] أَنَّ الهدايا ، وإن لم تَحْلُ العين بها كلما حَلَّت ، أَو تناوبها الاستنزار ، فما نبهت فى لَحْظ الاعْتِبار ولا جلَّت ، أَو كانت زيْفاً كلما أَغرى بها الاختيار قلَّت ، لابد أَن تترك فى النفوس ميلاً ، وأَن تستدعى من حُسْن الجزاءِ كَيْلاً ، وأَن تنال من جانب التعاطف والتراحم نَيْلاً . وأَى دليل أَوضح محجَّة ، وأَبْيَنُ حجة من قوله صلى الله عليه وسلم ، تهادُوا تحابُّوا ، من غير تبيين مقدار ، ولا إعمال اعتبار ، ولا تفرقة بين لُجَين ولا نُضار . فكيف إذا كانت الهديَّة ، فَلْذَة الكَبِد ، الذى لا يلذ العيش بعد فراقها ، ولا تضىءُ ظُلُم الجوانح إلاَّ بعد طلوع شمسها وإشراقها . وجمع الشَّمل الذى هو أَقصى آمال النفوس الأَلِفة ، والنواظر[2] المصاحبة للحنين المحالفة ، ولا سيما إذا اقتعدت مَحْمَل الهنا ، بالفتح الرائق السَّنا ، وحفَّت بها

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (البواطن) .

من خلفها وأمامها صنايع البر وقومة الاعتنا ، فهناك تفخر أَلْسُن السَّنا ، وتتطابق أعلام الشكر السَّامية البِنا ، وأننا ورد علينا كتابُكم الذى سَطَره البرُّ وأملاه ، وكنَفَه اللَّحظ وتولاه ، ووشَّحه البيان وحلاَّه ، مهنئاً بما منحه الله جل جلاله من ردِّ الحق ، وتحقيق الحق ، وتَعيُّن الجمع ورفع الفَرْق ، وتطويق الأَمان وأَمان الطوق ، وإسعاد السعد ، وباوغ القصد ، وقطع دابر من جَحَد نعمة الأَب والجدِّ ، وسلِّ سيف البغى دامى الخدِّ ، فالحمد لله حمداً يلهمه ويُتِيحُه ، [ونسله أَمداداً يُسوِّغه ويُسِيحه][1] على أَن أَحْسَن العُقْبى ، وأَعْقَب الحُسْنى ، وأَرى النعم بين فُرادى وشَتَّى ، وجمع الشمل وقد تبدَّد ، وجدَّد رسم السعادة لهذا القطر فتجدَّد ، وأُخذ الظالم ، فلم يجد من مَحِيص ، وجمع لنا الأَجر والفخر ، بين تَخْصِيص وتَمْحِيص ، وقلد برءُوس أُولئك الفَجَرة الغَدَرة شرفات الفرضة التى فَرَعُوها ، وأَطفأَ بمراق[2] دمائهم نار الضَّلالة التى شرعوها ، وكتب لقبيلكم الفضل الذى يُحمد ويشكر ، والحق الذى لا يُحْجد ولا يُنكر ، فلقد أَوَى لما تبرَّأَت الخُلصان ، وتخفَّى عند ما تنكَّر الزمان ، وسبّب الإدالة ، وطاوع الأَصالة ، والجلالة ، حتى فرَّج الله الكُرْبة ، وأَنِس الغُرْبة ، وأَقال العَثْرة ، وتقبل القُرْبة ، له الحمد على آلائِه وصِلَة نعمايه[3] ملءُ أَرضه وسمائِه ، ووصل صُحْبَته الولد مكنوفاً بجناح اللُّطف ، مُمَهَّداً له ببركتكم مِهاد العَطْف ، فبرزنا إلى تلقِّيه تنويهاً بهديتكم وإشادةً ، وإبداءً فى برِّكم وإعادة ؛ وأَركبنا الجيش الذى آثرنا لحين استقلالنا عرضه ، وقرَّرنا بموجب الاستحقاق فَرْضه ، فبرز إلى الفضاءِ الأَفْيَح ، حَسِن الترتيب ، سافراً عن المَرْأَى العجيب . ولولا الحَنِين الذى تجده النفوس للأَبناء وتَسْتَشْعره ، والتشوق للِّقاء الذى لا يجحده منصف

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٢) وردت فى الإسكوريال (بأراق) ، والتصويب من الملكية .

(٣) وردت فى الإسكوريال (آلايه) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

ولا ينكره ، لما شقَّ علينا طول مقامه فى حِجْركم ، ولا ثُواؤه لِصْقَ أَريكَة أمركم ، فجواركم محل لاستعادة رسوم الإمارة ، وتَعلُّم السياسة والإدارة ، حتى يرد علينا يُقدِّم كتِيبَة جهادكم ، ويقود إلينا طليعة نصركم إياناً وإمدادكم . فنحن الآن نشكر مَقَاصدكم التى اقتضى الكمال سِياقها ، وزيَّن المجد آفاقها ، وقدَّرها فأَحكم طِباقها ، ونقرر لديكم أن حظَّنا من وِدَادكم ، ومحلَّنا من جميل اعتقادكم ، حظٌّ بان رجحانه وفضله ، ولم يتأَت بين من سلف من السَّلف مثله ، من الصُّحبة فى المنزل الخشن ، وهى الوسيلة ، وفى رعيها تظهر الفضيلة ، والاشتراك فى لازم[1] الوصول إلى الحق ، وضَمِّ أَشتات الخَلْق ، والمودة الواضحة الطُّرق إلى ما بين السلف من الود الآمن بدره من الكلف ، المذخور إذمَّته للخَلَف ، فإذا كانت المعاملات جاريةً على حَسَبه ، وشعبها راجعة إلى مذهبه ، جَنَى الإسلام ثمرةً حافلةً ، واستكفى الدين إيالة كافلةً . فالله عز وجل يُمهد البلاد بيُمن تدبيركم ، ويُجرى على مَهْيَع السَّداد جميع أُموركم ، ويجعلكم ممن زيَّن الجهادُ عواتق أعماله ، وكان رضا الله أَقْصَى آماله ، حتى تُرْبِى مآثركم على مآثر سَلَفِكم ، الذى عرف هذا الوطن الجهادى أَمْدادَهم ، وشكر جهادهم ، وقَبِل الله فيه أَموالهم وأَولادهم ، وحسَّن من أَجله مَعَادهم . وقد حضر بين يدينا رسولكم الذى وجَّهتم الولد أَسعده الله إلى نظره ، وتخيرتموه لصحبة سفره ، فلان . وهو من الأَمانة والفضل ، والرَّجاحة والعقل بحيث طابق اختياركم ، واستحقَّ إيثاركم . فأَطنب فى تقدير مالديكم من عناية بهذه الأَوطان ، عيَّنت الرِّفد ، وضَرَبت الوعْد ، وأَخْلَصت فى سبيل الله القصد ، وغير ذلك مما يؤكِّد المودة المستقرَّة الأَركان ، على التقوى والرِّضوان . فأَجبناه بأَضعاف ذلك مما لدينا لكم ، وقابلنا بالثناء الجميل قولكم وعَمَلكم ، والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) وردت فى الإسكوريال (ضم) ، والتصويب من الملكية .

ومن ذلك

الأَبوابُ التى تُفتح لنصرها أَبواب السماء ، وتُستدرُّ من آفاقها سحاب النَّعماء ، وتجلى بأَنوار سعدها دَياجى الظَّلماء، وتعرف نكرة[1] العباد والبلاد بالانْتِساب إلى محبَّتها ، والانتماء ، على اختلاف العروض ، وتبايُن الحدود ، وتعدُّد الأَسماء ، وتجتزئ من صلاة صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالإيماء ، وتحمل لها التحية ذات الدَّسر والأَلواح، طاعنةً نَحْر الصباح على كَبِد الماء [أبواب][2] السلطان الكبير الجليل الشهير الظاهر الطاهر الأَوحد الأَسعد الأَصْعَد الأَمجد الأَعلى ، العادل العالم الفاضل الكامل ، سلطان الإسلام والمسلمين ، عمادُ الدُّنيا والدِّين ، رافع ظِلال العدل[3] على العَالمين . جمال الإسلام ، عَلَمُ الأَعلام ، فخر الليالى والأَيام ، ملك البرَّين والبَحْرين (إمام الحَرَمين)[4] ، مؤمِّل الأَمْصَار والأَقْطَار ، عاصِبُ تاج الفِخار ، هازِم الفِرَنج والترك والتَّطار[5] ، الملك المنصور ابن الأَمير الرَّفيع المجادة ، الكريم الوِلادة، الظاهر الطاهر، الكبير الشهير ، المعظم الممجد الأَسمى الموقر الأَعلى ، فخر الملَّة ، سيف الأُمَّة ، تاج الإمارة ، عز الإسلام ، مُستظل الأَنام ، قمر الميدان ، أَسد الحرب العَوان[6] المقدس ، المطهر ، الأَمير أَحمد ابن[7] والد السلاطين وملك المسلمين، وسيف خلافة الله على العَالَمين ، وولىِّ المؤمنين ، سلطان الجهاد والحج ، ومقيم رسم العجِّ والبجِّ والثجِّ[8] ، محيى

---

(١) هذه الكلمة زائدة فى الفاتيكانه .

(٢) هذه الكلمة واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٣) وردت فى الإسكوريال (الغزو) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٤) واردة فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقطة فى الملكية .

(٥) أى التتار .

(٦) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٧) ساقطة فى الفاتيكانه .

(٨) ورد فى هامش اللوحة المخطوطة ١٣٠ إسكوريال ما يأتى : فى الحديث أفضل الحج ، العج والثج . أما العج فى لغة العرب فرفع الصوت ومنه العجيج . أما الثج فهو عندها سيلان ماء الهدى .

معالم الدين ، قامع المعتدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ناصر السُّنة ، مُحيي الملَّة ، ملك البرَّين والبَحْرين ، سلطان الحَرَمين ، الملك العادل العالم العامل الطاهر الظاهر ، الأَسعد الأَصعد الأَوحد ، الأَعلى ، المنصور المؤيد المعان ، المرفَّع المعظم المبجَّل ، المجاهد المرابط الغازى ، الممجَّد المكمل المطهر ، الكبير الشهير ، المقدس الملك الناصر ، أَبو عبد الله محمد بن قلاوُن الصالحى ، جعل الله قسطاس دعوته معموداً بعمود الصبح ، وحركات عزمه مبنية على الفتح ، ومجمل سعادته غنياً عن الشرح ، وجياد أَوصافه متبارية فى ميدان المدح ، وزِناد آرابه وارِيةً عن القَدْح . موجَبٌ حقُّه وجوب الشعائِر الخمس ، المرحب لأَجل أُفقه الشرق بوفادة الشمس ، المجدد فى اليوم حكم ما تقرر بين السلف ، رحمه الله ، فى الأَمس ، أَمير المسلمين بالأَندلس ، عبد الله الغالب به ، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم طيب كما زَحَفَت راية الصباح ، تُقدمها طلائع مبشِّرات الرياح ، تُفاوِح زهر الأَدْوَاح ، وتحاسِنُ طُرَر الوجوه الملاح ، يخص أُبوتكم ، التى رتَّب العز فصولها ، [وعضدت نصوص النظر فصولها][1] ، ورحمة الله وبركاته .

أَما بعد حَمْدِ الله الذى جَعَله فاتحة القرآن ، وخاتمة دعا أَهل الجنان ، وشكره على ما أَولى من مواهب الاحسان حمداً وشكراً ، استخدما زُمَر الإِحسان[2] ، ملكَتَى القلب واللِّسان . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله ، زهرة كمامة الأَكوان ، وسيد ولد آدم ، على اختلاف اللُّغات والأَلوان ، الذى أَذلَّ بعزة الله أُنُوف الطُّغيان ، وغطى بدينه الحقِّ على الأَديان ، وزُوِيت له الأَرض ، فرأَى مُلْكَ أُمته ، يبلغ ما زُوى له ، فكان الخبر وفق العيان ، والرضا عمن له من الأَصحاب والأَحباب والأَعمام والأَخوال والإِخوان ، صلاة يجدِّدُها الجديدان ، ويمليها

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (الإنسان) .

الملوان ، وتتزاحم على تربته المقدسة مع الأحيان ، ما سَجَعت طيور البراعة فى أغماد اليراعة على الأفْنَان ، والتفتت عيون الالتفات من بين أجفان البيان . والدعاء لمقام أبوَّتكم الشريفة ، جعل الله عصمته يقيم بها وظيفتى الحجابة والاستئذان ، وضَرَب بدعوتها التى هى لدَّة الإمامة والأذان على الآذان ، واستخدم بروح الفَلَك الدوَّار فى أمرها العزيز الأنصار والأعوان ، حتى يعمل فى المدافعة عن حماها مخالب السَّرحان ، وفى الإشادة بعدلها كفتى الميزان ، ويهدى لها من الزهرة كُرَة الميدان ، ومن الهلال عِوَض الصولجان ، وأبقى فى عواملها ضَمِير الأمر والشَّان ، إلى يوم تُعْنى وجوه الملوك إلى الملك الديَّان . فإننا كتبناه إلى تلك الأبواب ، كتب الله لعَتْبها النصر الداخلة ، كما أخجل[1] بمكارمها السحاب الباخلة ، وجعل مفارق مناصِلها المُخْتَضَبة ، من نَجِيع عداها ، عين الناصلة ، وقرن بكل سبب من أضدادها فاصلة .

من دار ملك الإسلام بالأندلس ، حَمْراء غَرْناطة ، وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها ، وشد بأيدى اليقين عُرى أملها فى الله ورَجَائها حيث المصافُّ المعقود ، وثمن النفوس المَنْقُود ، ونار الحرب ذاتِ الوقود ، حيث الأُفق قد تردى بالقَتَام وتعمَّم ، والسيف قد تجرَّد وتيمَّم ، وغُبار الجهاد يقول أنا الأمان من دخان جُهنَّم ، حيث الإسلام من عدوه ، كالشَّامة من جِلْد البعير ، والتمرة من أوسُق العِير ، حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها ، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع ندائِها ، حيث الوجوه الضَّاحكة المستبشرة[2] قد زيَّنتها الكُلُوم ، وفرّ عن سِمَاتها اللوم ، ودارت بها الجوامع تواريها ، وسُلِّمت[3] منها النفوس إلى الله مشتريها ، حيث لا إلَه إلا الله قد اقتطعها عمن وراءها ، بحر يَزْخَر ، وكفر عن الإقدام

---

(١) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، وفى المخطوطين (أحجب) .
(٢) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٣) وردت فى المخطوطين (وسهلت) ، والتصويب من الفاتيكانه .

عليها لا يتأخر ، وكلمة بتَثْليث الله تفخر ، [تعالى الله عن ذلك][1] ، وأُمة لا تصون نفوسها عن الموت ولا تَذْخر . وعندنا من التعظيم لتلك الأبواب ، ما لو اعتقدته الرياح لسَكَنَت وقاراً ، أو الأفلاك ما ألفَت مداراً ، تُوسع عن أنبائكم مَطالع الصباح استِخْباراً ، ونَسْتَهدى لطائِفها أنفاس الرياح أصائِلَ وأسْحاراً ، ونقنع بالقليل قنوع المحبِّ إذا لم يجد مزاراً ، ونعد من الاستغراق بجهاد المراد المراق عن مراسلة تلك الآفاق أعْذَاراً ، لا يوسعها الحق إلاَّ قبولاً وإيثَاراً . ولما ضاق نطاق الصبر عن ذلك عما يواريه ، وأصبح بين خجل يُلقيه ، وأمل يُغريه ، وبرى[2] اليراع [إلى مكة][3] شوقٌ كاد يُفْنيه عمَّن يُبْريه ، أصدرنا هذه المخاطبة الحمرا ، قد وردَّ خَدَّها الخجل ، وقصَّر عن القيام بعُذْرها المرْوِى والمرْتَجل ، تنوب عن الكلام بالإشارة ، وتخاف الردَّ لإغفال الزيارة. واقفة بباب الإيوان ، مُتَقَاصرة بدَارَة الخِوان عن رُتَب الإخوان ، قُصَاراها تحصيل الإغضا عن قصورها ، ورفع الإهمال عن سورها ، والارتما عن غُرْبَتها ، وبُعْد رتْبَتِها ، ورَعْى وسِيلَتها وقُرْبَتها . فلتنعم الأبواب الشريفة ، بالإصغاء ، وليُلْغ عن باب الإلغا ، ولتعلم مجالسُها الممهَّدة على التقوى المؤسَّسة ، وحاومها المشرقة المقدسة ، أن هذا القطر الذى أفضت إلينا رِعايةُ رعاياه ، ومهَّدت لسياستها أكوارُ مطاياه ، وجعلت بيدنا ، والمنة لله ، عُباب عطاياه ، قطرٌ مستقل بنفسه ، مَرْبِ يومُه فى البرِّ على أمسه ، زكىُّ المنابت ، عَذْبُ المشارب ، متمِّمُ المآمل ، مكمل المآرب ، فارِه الحيوان ، مُعْتَدل السَّمَن والألوان ، وسِيطةٌ فى الأقاليم السبعة ، شاهدةٌ لله بإحكام الصَّنعة ، أما خَيْلُه ففارهة ، وإلى الرَّكض شَارهة ، وأما سيوفُه فلمواطن الغُمُود كارِهة ، وأما أُسُله فحسنُ النَّعت ، ليِّن العطف ، وأما أسنَّتُه فمتداركة الخطف ، وأما عوامله فبيِّنة الحذف ، وأما نباله فمحذُورة القَذْف ،

---

(١) واردة فى الإسكوريال والملكية ، وساقطة فى الفاتيكانه .

(٢) هكذا فى الفاتيكانه ووردت فى الإسكوريال (وراع) ، وفى الملكية (جرئ) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

إلا أن الإسلام فى سَفْط مع الحيَّات ، ودريئة للمنيَّات الوحيَّات ، وهدفاً للنِّبال ، وأكلةً للسِّبال ، تطأَهم الغارات المتعاقبة ، وتتخيَّفهم الحدود المُصاقبة ، وتجوس خلالهم العُيون المُراقبة ، وتُريب من أشكال مُخْتَطِّهم ، إلا بفضل الله العافية . فليس إلا الصَّبر ، والضرب الهَبْر والهَنَى والتِّبر والمقابلة والجَبْر . وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملَّتهم وأُسَاة عِلَّتهم ، يقومون بهذا الغرض عن أهل الأَرض ، ويقرِضون مُلْك يوم العرض أحسن القَرْض ، فلولا بُعد المدى ، وغُول الردى ، ولغط العدا ، وما عدا عمائدا ، لسَمِعْتُم تَكْبِير الحملات ، وزئير أُسود تلك الفَلات ، ودويِّ الحوافر ، وصَليل السيوف من فوق المقاصر ، وصراخَ الثَّكالَى ، والارتفاع[1] إلى الله تعالى ، ولو ارتفع قيد المكان ، وهو للأَولياءِ مثلكم ، من حَيِّز الإمكان . لمغلتم مُقَل الأَسنَّة الزرق ، حالَّة من أطراف قضب الرماح محال الورق ، وأبصرتم القَنا الخطَّار قد عاد أخلَّه ، والسيوف قد صارت فوق بُدور الخُدود أهلَّة ، وعقود الشَّهادة عند قاضى السعادة مستقلة . وكان كما تحضُرُه علومكم الشريفة ، حِذْق سورة الفتح ، وآخر دَلاءِ ذلك المَنْح ، عُرض على الفاروق فاحتاط ، وأُغرى به من بَعْده فاسْتَشاط ، واختطَّ وخاط ، وسَرَحَت خيلُ ابن أبى سرح ، فى خبر يدعو إلى الشَّرح ، حتى إذا وُلد مروان تقلَّدوا كُرْبَتها التى هوت ، وخَضَموا ما أَنْضَجَت ورثة[2] الحق وشوَّبت ، ويَدُهم على الأَمر احْتَوت ، وفازت منه بما نَوَتْ ، نَفَل ولايدَه الوليد ، وجلب له الطَّارف والتَّليد ، وطَرَقَته خيلُ طارق ، وضاقت عن أخباره المَهَارق ، وجلَّت الفائِدة ، وظهر على الذَّخِيرة التى منها المائدة . ثم استرسل المهبُّ ، ونصر الربُّ ، ويكثر الطَّير[3] حيث يَنْتَشر الحبُّ ، وصَرفت أَسرابُ[4] الشام أعفتها إلى النَّاس خيره ، وطارت

---

(١) وردت فى الإسكوريال (ارتفاع) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .
(٢) هكذا وردت فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (وزنة) .
(٣) وردت فى الإسكوريال (الطاير) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .
(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (أشراف) .

بأجنحة الغرام تيمُّنا بطَيْره ، وقصدته الطلائع صُحبة بَلْج بن بشر وغيره ، ففتحت الأَقْفال ، [ونَفَلت الأَنْفال ، ونَجَح الفال] [١] وَدُسمت الأَغفال ، وافتُتِحت البلاد الشهيرة ، وانتُقِيَت العَذارى الخيرة [واقتنيت الذخيرة] [٢] وتجاوز الإسلام الدُّرُوب وتخطَّا ، وخَضَد الأَرطىُّ وأَرْكَب وأَمْطَى ، واستَوْثَق واستَوْطَى ، وتثاءب وتمطَّى ، حتى إذا تعدَّدت مراحلُ البَريد ، وسخُنَت عين الشيطان المريد ، واستوسق الإسلام ملك ضخم السُّرادق ، مَرْهُوب البَوارق ، رفيع العُمُد ، بعيد الأَمد ، تشهد بذلك الآثار والأَخبار ، والوقائع الكِبار ، والأَوْرَاق والأَسْطَار ، وهل يَخْفَى النَّهار . ولكل هبُوب رُكود ، والدَّهر حَسُود لمن يَسُود ، فراجعت الفرنج كرَّتها ، واسْتَدْركت معَرَّتها ، فدوَّخت جوارِحَها . وحلَّقت ، وأَوْمَضَت بوارِقُها وتـأَلَّقت ، وتشبَّثت وتعلَّقت ، وأَرسلت الأَعنَّة وأَطْلَقت ، وراجعت العَقائِل التى طُلِّقت [٣] ، حتى لم يبق من الكتاب إلاَّ الحاشِية ، ولا من اللَّيل إلاَّ الناشِية ، وسقطت الغاشِية ، وأَخْلَدت ألفيَّة المُتَلاشِية ، وتقلَّصت الظِّلال الفاشِية . إلا أَن الله تدارك بقوم [٤] [رجح] من سَلَفِنا ، استثبتوا [٥] فى مُسْتنقع الحَرْب [٦] أَقدامهم ، وأَخلصوا لله بأْسَهم وأَقْدامَهم ، ووصاوا سيوفهم الباترة بخطاهم ، وأَعطاهم منشورُ العزِّ من أَعطاهم ، حتى تعين الدِّين وتحيَّز ، واشتهر بالموافقة وتميَّز ، وعادت الحُروب سجالاً ، وعَلِمَ الروم أَن لله رجالاً . وقد أَوفد جدُّنا رضى الله عنه ، على أَبواب سَلَفِكم من وقائِعه فى العدو كل مُبَشِّرة ، ووجوديَّة منتشرة ، ضحكت لها ثغور الثغور . وسَرَتْ فى الأَعطاف حُميَّا

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (أطلقت) .

(٤) هذه الكلمة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٥) وردت فى الملكية وفى الإسكوريال والفاتيكانه (أثبتوا) .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الموت) .

السرور ، وكانت المراجعة عنها شِفاً بالصدور ، وتمائمَ فى الدُّور ، وخَفَراً فى وجوه البدور . فإن ذِمام الإسلام موصُول ، وفروعه تجمعها فى الله أُصُول ، وما أقرب الحق ممن دارُه صُول ، والملَّة والمنَّة لله واحِدة ، والنفوس لا منكرةٌ للحقِّ ولا جاحِدة ، والأقدار معروفة ، والآمال إلى ما يوصل إلى الله مَصْرُوفة ، فإذا لم يكن الاسْتِدْعاء أمكن الدُّعا ، والخواطر فعَّالة ، والكل على الله عالة ، والدين غريب ، والغريب يحنُّ إلى أصله[١] ، والمرءُ كثير بأَخِيه على بُعد محله . ولما صَيَّر الله إلينا تراثَهم الْهنى ، وأَمَرهم السَّنِى ، وبناءهم العبادى [وملكهم الجهادى][٢] أَجْرَانا وله الطول على سُنَنهم ، ورفع أعلامنا فى هِضابهم المُشْرقة وقِنَنِهم ، وحملنا فهم خير حمل ، ونظم لنا بهم أَىَّ شَمْل ، وأَلْبَس أيامنا سَلْما[٣] فسيح الإثارة ، وأحكم الإدارة ، وهنَّا الإمارة ومكَّن العِمارة ، وأَمَّن فى البر والبحر السيَّارة والعبارة ، لولا ما طَرَقهم فيها من تَمْحِيص [أجلى عن تَخْصِيص ، وتمحَّض بِتْرُه بعد تَخْليص][٤] ومرام عَوِيص ، نبثكم بثَّه ، ونوالى لديكم حثَّه ، ونجمع مُنْبثَّه . فإن [فى قصٍّ][٥] الحوادث ذِكْرى ، ومعرُوف الدهر لا يومن أن يكون[٦] نُكْرا ، وشرُّ الوجود معاقبٌ بخيره ، والسَّعيد من اتَّعَظ بغيره ، والحَزْمُ أفضل ما إليه يُنْتَسب ، وعقل التجربة بالْمُران يُكتسب ، وهو أن بعضاً ممَّن ينتسب إلى بَيْتِنا بوشَايج الأَعْراق ، لا بمكارم الأَخْلاق ، ويمتُّ إلينا بالقرابة البعيدة ، لا بالنَّصْبة السَّعيدة ، ممن كَفَلْناه يتيماً ، وصُنَّاه

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (أهله) .

(٢) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٥) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية والفاتيكانه .

(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (يعود) .

ذميماً شتيماً ، وبوَّأناه مُبَوَّأً كريماً ، بعد أن نشأ حرفوشاً ذميماً ، وملعوناً لئيماً ، ونوَّهناه من خُموله بالولاية ، ونَسَخْنا حُكْم تَسَحُّبه بآية العناية ، داخل أخاً لنا ، كنا ألزمناه الاقْتِصَار على قَصْره ، ولم نجعل أداة تدل على حَصْره ، وسامحناه فى كثير من أَمْرِه ، ولم نَرْتب بزيده ولا عَمْره ، واغتررنا برَمَادِه على حَجره ، فاستدعى له من الصعاليك شيعته[1] كل دَربٍ بفك الأغلاق ، وتسَرُّب انفاق النِّفاق ، وخارق للإجماع والإصْفاق ، وخبير بمكايد الخراب ومذاهب الفُسَّاق ، وتسوَّر بهم القلعة من ثلم شُرع فى سدِّه بعد هدِّه ، ولم تكمل الأقدار المميزة فى حدِّه ، فى ليلة آثرنا مبيتها ببعض البساتين خارج قصرنا ، واستَنْبَنَا من يضَّطلع بأمورنا ، فاستتمَّ الحيلة التى شرعها ، واقتحم القلعة وافترعها ، وجدَّل حَرسَة العَوْرة وصَرعها ، وكبَس محلَّ النائِب عنا وحدّله ، ولم ينشب أن جدَّله ، واستخرج الأَخ اليايس فنصبه ، وشدَّ به تاج الولاية وعَصَبه ، وابتزَّ أَمْرَنا وغَصَبه ، وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تَمَّت ، والدَّبرة بنا قد أَلمت ، ولقد هَمَت[2] بخَذْل النَّاصر وانقطعت الأواصر ، وأقدم المُتَقاصر ، واقْتُحمت الأبهاء والمقاصر ، وتفرَّقت الأجزاء وتحلَّلت العناصر ، وفقد من عين الأعيان النور الباصِرة فأعطوه طاعةً معروفة ، وأضحت الوجوه إليه مَصْرُوفة ، وركضنا وسرعانُ الخيل تقفو أثر شجاتنا والظلام يخفيها ، وتَكْفِى علينا السماء والله يَكْفِيها ، إلى أن خلصنا إلى مدينة وادى آش خاوص القمر من السِّرار ، لا نملك إلاَّ نفساً مُسَلَّمةً لحكم الأقدار ، ملقيةً لله مقادة الاخْتِيار ، مَسْلُوبة المُلْك [والبلد والأهل][3] والْوَلد والشِّعار والأثار[4] ، لا تعرف سبباً لنكث العهد من بعد العمل بموجبه والاسْتِقْرار . وناصَحْنا أهل المدينة فعماوا على الحصار ، واسْتَبْصَروا

---

(١) هذه الكلمة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (سمت) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) زائدة فى الملكية والفاتيكانه .

فى الدفاع عنا أتم الاستبصار ، ورضوا لبيوتِهم المصحرة ، وبساتينهم المُسْتبحِرة ، بفساد الحديد وعِياث النار ، ولم يرضوا لجوارِهم بالإخْفَار ، ولا لنفوسهم بالعار . إلى أن كان الخروجُ عن الوطن بعد خطوب تَسْبَحُ فيها الأقلام سَبْحاً طويلاً ، وتوسعها الشُّجون شرحاً وتأْويلاً ، ويلقى القصص منها الأذان قولاً ثقيلاً ، وجُزْنا البحر ، وضُلُوع مَوْجه إشفاقاً علينا تَخْفَق ، وأكفُّ رياحه حَسِرةٌ تُصَفِّق ، ونزلنا من جَناب سلطان بنى مَرِين على المَثْوى الذى رحَّب بنا ذَرْعَه ، ودلَّ على كرم الأُصول فَرْعَة ، والكريم الذى وهَبَ فأُجْزَل ، ونزل لنا عن الصَّهوة وتَنَزَّل ، وخيَّر وحَكم ، وردَّ على الدهر الذى تهكَّم [1] ، واستَعْبَر وتبَسَّم ، وآلى وأقسم ، وبَسْمَل وقدَّم ، واسْتَركب لنا واستخدم . ولما بدا لما وراءَنا سَيِّئات ما اكْتَسَبوا ، وحقَّقوا ما حَسِبُوا ، وطفا الغثا ورهَبُوا ، ولم ينْشِب الشقى الجرىّ أن قتل البائس الذى مدَّه بزيفه ، وطوَّقه بسيفه ، ودلَّ رَكْبُ المخافة على خَيْفه ، إذ أَمِنَ المغصُوب [2] من كَيْده ، وجعل ضِرْغامَه بازياً لصَيْده ، واستقلَّ على أَريكته استقلال الظَّليم ، على تَريكَته ، حاسِرَ الهامَة ، مُتَنَفِّقاً بالشَّجاعة والشَّهامة ، مُسْتَظْهراً بأُولى الجهالة والجَهَامة ، وساءت فى محاولة عدوِّ الدين سيرتُه . ولما حَصْحَصَ الحق انتَكَثَتْ مَريرتُه ، وخَبُثَت سَرِيرتُه ، وارتابت [3] لحِينه المستور جيرتُه ، وفَغَر عليه طاغيةُ الرُّوم فمَه فالتَهمَه ، ومدَّ عليه الصَّليب ذراعَه فَراعَه ، وشدَّ عليه الكُفْر يده ، فما عضده الله ولا أَيَّده ، وتخرَّمت [4] ثغور الإسلام بعد انتظامها ، وشَكَتْ إلى الله باهْتِضَامها ، وغُصَّت بأَشْلاءِ [5] عباد الله وعِظَامها ظهور أَوْضَامها ، ورُكِلت السُّنة والجَمَاعة ، وانقطعت من النُّجح الطَّاعة ، واشتدَّت المجاعة ، وطلعت

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (تحكم) .
(٢) فى الفاتيكانه (المضعوف) .
(٣) واردة فى الملكية والفاتيكانه ، وساقطة فى الإسكوريال .
(٤) فى الفاتيكانه (وتخربت) .
(٥) وردت فى المخطوطات الثلاثة (بابتلاء) ، والتصويب ألزم للسياق .

شمسُ دعوتنا من المَغْرب ، فقامَتْ عليها السَّاعة ، وأَجَزْنا البحر تكادُ جِهتاه تَتَقَارب تَيْسِيراً ، ورياحُه لا تعرف فى غير وجهتنا مسيراً . وكأَنَّ ماءه ذوْبٌ لَقِى إكْسِيراً . ونَهِضْنا يتقدَّمُنا الرُّعب ، ويتبعنا الدُّعا ، وتُحاجى[1] بنا الإشارة ويَحْفِزُنا[2] الاسْتِدعا ، وأَقْصَر الطَّاغية عن البلاد ، بعد أن ترك ثغورها مَهْتُومة ، والإخافة عليها مَحْتُومة ، وطوابعها مَفْضُوضَة ، وكانت بنا مَخْتُومة . وأَخذت الخائِن الصَّيحة ، فاخْتَبل ، وظهر هَوْرُه الذى عليه جبل ، فجمع أَوْبَاشه السِّفلة وأَوْشَابَه ، وطَرَقه الذى غشَّ به المَخْضُ وشابَه ، وعمد إلى الذَّخيرة ، التى صانَتْها الأَغْلاق الحَرِيزة ، والمعاقل العَزِيزة ، فملأَ بها المناطق ، واسْتَوْعب الصَّامت والنَّاطق ، والوَشْح والغَراطق ، واحتمل عُدَد الحرب والزِّينة ، وخرج ليلاً عن المدينة ، واقْتَضَتْ آراؤه الفائِلة ، وهامتُه الشَّايلة ، ودولة بَغْيه الزَّائِلة ، أَن يقصد طاغية الروم بقضِّه وقَضِيضِه ، وأَوْجِهِ وحَضِيضِه ، وطويله وعريضه ، من غير عَقْد اقتضى وثِيقَتَه ، ولا أَمر عُرِف حقيقته ، إلاَّ ما أَمَّل اشتراطه من تَبْديل الكَلِمة ، واستئصال الأُمَّة المُسْلمة ، فلم يكن إلاَّ أَن تحصَّل فى قبضته ، ودَنا من مَضْجِع[3] رَبْضَته ، واسْتَشَار نُصحَاه فى أَمْره ، وحكَّم الحيلة فى جِنَاية غدره ، وشَهَره ببلده ، وتولَّى بعد قَتْلَه بِيَده ، وأُلحق به بَعدُ جميع من أَمدَّه فى غيِّه ، وظاهَره على سوءِ سَعْيه . ووُجِّه إلينا برءوسهم ، فنُصبت بمِشْور غَدْرها ، وقُلِّدت لبة تلك البِنْيَة بشَذَرها ، وأَصبَحت عبرةً للمُعْتبِرين ، وآيةً للمبصرين وأَحقَّ الله الحقَّ بكلماته ، وقطع دابر الكافرين . وعُدنا إلى أَرِيكَة مُلْكِنا ، كما رجع القَمَر إلى بَيْته ، بعد كَيْتة وكَيْته ، أَو العِقْدُ إلى جِيده ، بعد انتِثَار فريده ، أَو الطير إلى وَكْره ، مفلتاً من غَدْر الشِّرك ومَكْره ، ينظرُ[4] الناس

---

(١) وردت فى الإسكوريال (ويحامى) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٢) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، ووردت فى المخطوطين (ويحفظنا) ، والأولى أرجح .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مجمع) ، والأولى أرجح .

(٤) وردت فى الإسكوريال (ينطق) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

إلينا بعُيُون لم تَرَ منذ غِبْنا من مُحيًّا رحمة ، ولا طَمِثت[1] عليها بَعْدنا غمامة نِعمة ، ولا باتَتْ للسِّياسة فى ذمَّة ، ولا رَكَنَت لدينٍ ولا مِنَّة . فطَوَيْنا بساط العِتاب طىَّ الكِتاب؛ وعاجلنا سطُور المؤاخذة بالإضْراب ، وأَنِسْنا نُفُوس أُولى الافْتِراق بالاقْتِراب ، وسهَّلنا الوصول إلينا ، واستَغْفَرنا الله لنَفْسِنا ولمن جَنَى علينا ، فلا تسَلُوا عما أثار ذلك من اسْتِدراك ندم ، ورسُوخ قدم ، واستِمْتاع بوجودٍ بعد عدم . فسبحان الذى يُمَحِّص ليُثِيب ، ويأْمر بالدعاءِ فَيُجيب ، وينبِّه من الغَفْلة ويُهيب ، ويَجْتَبِى إليه من يَشَاءُ ، ويهدى إليه من يُنيب . ورأَينا أن نُطَالع علومَكم المُشَرَّفة [بهذا الواقع][2] تَسْبِيباً للفاتحة المعتمدة ، وتمهيداً للموالاة المجدَّدة ، فأَخبار الأَقطار مما تُنْفِقُه الملُوك على أَسْمارها ، وتَرْقُم ببدائِعه هالاتِ أَقمارها ، وتَسْتَفِيد منه حُسْنَ السِّير ، والأَمان من الغِيَر ، وتَسْتَعين على الدهر بالتَّجارب ، وتستَدلُّ على الشاهد بالغائِب . وبلادكم يُنْبوع الخير وأَهلِه ، ورواق الإسلام الذى يأْوى قريبُه وبعيدُه إلى ظلِّه . ومطلعُ نورِ الرِّسالة ، وأُفقُ الرَّحمة المُنثالة ، تَقُوم علينا الكواكبُ تَضْربُ آباطَ أَفْلاكها ، وتتخلَّل مَدَارِيها المُذْهَبة غَدايِرَ أَحْلاكها ، وتَسْتَدعى[3] البدُور ، ثم يدعُو بها إلى المغرب الخُدُور ، وتطلع الشُّموس مُتجرِّدَةً من كِمام ليلها ، متهادِيةً فى دُكَّان[4] ميلها ، ثم تَسْحبُ إلى الغروب فَضْل ذَيْلها . ومن تلقائِكم وَرَدَ العِلْم والعَمل ، وأُرْعِى[5] الهَمَل . فنحن نَسْتَوهب من مظانِّ الإجابة لديكم ، دعاءً يقومُ لدينا مقام المَدَدْ ، ويعدل منه الشيءَ بالمال والعُدد ، ففى دُعاءِ المؤمن ، يُظْهر الغيبُ ما فيه ، والله يعلم ما يُبديه العَبْدُ وما يُخفيه ، وإياه نَسَلُ أَن يدفع عنا وعنكم عوادِى الفِتَن ، وغَوَائِل المِحَن ،

---

(١) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (شطت) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (بهذه الموانع) .

(٣) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (تستعل) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (ليلها) ، والتصويب من الملكية والفاتيكانه .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (راعى) .

ويَحْمِلُنا على سُنن[1] السُّنَن ، ويُلبِسَنا من تقواه أَوفى الجِنَن ، وهو سبحانه يَصِل لأَبوْابكم سعداً تستقِل لدى قاضى القضاة رسومُه ، فتُكتَبُ حقوقه ، وتُكْبَتُ خصومُه ، ولا تَكلفه الأَيام ولا تسُومه ، بفضل الله وعزَّته ، وكرمه ومنَّته . والسلام الكريم ، الطَّيب المبارك ، بدءاً بعد عود ، وجوداً أَثر جَوْد ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

من الأَمير فلان أَيَّده الله ونَصَره . وأَعلى نصره وأَظهره . إلى وليِّنا فى الله الذى له القَدْرُ الرَّفيع المناصب ، والمجد السامى الذَّوائِب ، والسياسةُ التى أَخبارها سَمَرُ الْمُشاهد ، وحدوُ الرِّكائِب ، الشيخُ الجليل ، الكبير الشهير ، الهُمام الخطير ، الأَمضى الرفيع ، الأَعلى الأَمجد الأَوحد ، الأَصعد الأَسعد ، الأَرقى ، الطاهر الظاهر الفاضل الباسل ، الأَرْضَى الأَنْقَى ، المعظم الموقر المبرور ، عَلَمُ الأَعلام ، سُلالة أَكابر أَصحاب الإمام . معيدُ دولة التوحيد إلى الانتظام ، أَبو محمد عبد الله ابن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع ، الأَسعد الأَمجد ، الحسيب الأَصيل ، الطاهر الظاهر ، الأَرضى الأَمضى ، الأَفضل الأَكمل ، المعظم المقدس المرحوم أَبى العباس بن تِيفرا جين ، وصَل الله له عزَّةً تُنَاسب شهرة فضله ، وسعادة تتكفَّل له فى الدارين برفعة محلِّه . سلام كريم يخص مَجادتكم الفاضلة ، ورُتْبتكم الحافلة ، ورحمة الله وبركاته .

أَما بعد حَمْدِ الله الذى يُمحص ليثيب ، ويأْمُر بالاستقالة لِيُجيب ، ويُعْقب ليل الشدة بصبح الفَرج القَريب ، ونَجْنى من شَجَر التوكل عليه ، والتَّسليم إليه ثَمَرَ الصُّنع العجيب ، ويُظهر العِبر مَهْمى كَسَر ثم جَبَر ، لكل عبد[2] مُنيب .

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أحسن) .

(٢) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (ذى قلب) .

والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى نلجأُ إلى ظلِّ شَفاعته فى اليوم العَصِيب ، ونَسْتَظهر بجاهه على جهاد عَبَدَةِ الصَّليب ، ونَسْتكثر بمدد بركاته فى هذا الثَّغر الغَرِيب ، ونصُول منه على العدوِّ بالحَبيب . والرضا عن آله وصحبه ، نجوم الهداية من بعده ، ولأُمَّته من الأُفول والمَغِيب . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكَم عزَّة متصلة ، وعصمة بالأَمان من نوب الزمان متكفِّلة . من حمراءِ غَرْناطَة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله الذى لطف وجبر ، وأظهر فى الإقالة وحسن الإدالة الْعِبر ، وجعلنا ممَّن كُتب له الْعُقْبى لما صَبَر ، إلاَّ الخير الذى كَسا الأَلطاف الجُبر ، والصُّنع الذى صدق الْخُبْر والْخَبَر . والحمد لله كثيراً كما هو أَهله ، فلا فضل إلا فَضْلَه ، ولمكانتكم عندنا المحل الذى[1] قررت شُهرة فضلكم قواعده ، وأَعْلَت مصاعده ، وأَثْبَتَ التَّواتُر شواهَده ، إذ لا نزال نتحف [بسيركم التى هى][2] فى التدبير أَثَرٌ يُقتضى ، وعَلَمٌ يُسْترشد إذا العلم اختفى والسَّبيل عَفا ، وإن تلك الدولة بكم استقام أَوَدُها ، وقامت والحمد لله عُمُدها ، وإنكم رعيتم فى البنين حقوقَ آبَائها ، وحفِظْتم عليها ميراثَ عَلْيائها ، واو لم تتَّصل بنا أَنباؤكم الحَمِيدة ، وآراؤكم السَّديدة ، بما يفيد العلم بفَضْل ذاتكم ، ويقوى قوى الاسْتِحسان بصفاتكم ، لغَبَطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل إليكم طبْعاً وجِبلَّة ، من غير أَن نعتبر سبباً أَو علَّةً ، فالتعارف بين الأَرواح لا يُنكر ، والحديث الكريم يؤيد ما من ذلك يُنقل ويذكر ، وبحسَب ذلك نُطلعكم على غريب ما جرى به مُلْكنا القَدَر ، وحيث بلغ الْوِردُ ، وكيف كان الصَّدر ، وربما اتَّصلت بكم الحادثة التى أَكْفاها على دار مُلْكنا من لم يعرف غيرَ نِعْمَتنا غادياً ، ولا بَرِح فى جوانب إحسانها رايحاً وغادياً ، يَتيم حِجْرها

---

(١) واردة فى الملكية ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) هكذا فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (بسيركم الذى هو) ، والأولى أرجح بالنسبة للسياق.

(٣) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، وفى المخطوطين (يقوى) ، والأولى أرجح .

الكافل ، ورَضِيعَ دَرِّها الحافل ، الشَّقِي الخاسِر الخائِن ، الغادِر محمد بن إسماعيل المُسْتجير بنَا من لُوم غَدْره ، الخفيَّة عنا حِيلُ مكره ، الخمولُ قدرُه ، إذ دعاه محتوم الغَدْر [ليُهلك][1] إلى أن يهلك وسوَّلت له نفسه الأَمَّارة بالسوء أن يملِّك أخانا الخاسر ثم يَمْلُك . وسبحان الذى يقول يا نُوح إنه ليس من أَهْلك . وكيف تمَّ له ما أَبْرَمه من تسوُّر الأَسوار ،واقتحام الْبَوار ، وتملُّك الدَّار ، والاستيلاء على قُطْب المدَار . وإننا كنَفتْنا عصمةُ الله بمُتَحوِّلنا الذى كان به ليلتئذ محل ثِوائنا ، وكفَّت القُدرة الإلٰهيَّة أَكُفَّ أعدائِنا ، وخَلَصنا غِلاباً بحال انفراد إلاَّ من عنايته ونِعم الرَّفيق ، وصِدْقِ اللّجإ إلى رحمته التى ساحَتُها[2] عن مثلنا لا تَضِيق ، مهمى تنكَّر الزمان وتفرَّق الفَرِيق ، وشِرْذَمَة الغدْر تأْخذ علينا كل فجٍّ عميق ، حتى أوينا من مدينة وادى آش إلى الجبل العاصِم من الحادث القاصِم ، والحجَّةِ المرغمةِ أنف المخاصم ، ثم أَجَزْنا البحر بعد معاناة خطوب ، وتجهم من الدَّهر وقُطُوب ، وبلى[3] الله هذا الوطن بمن لا يرجِّى لله وقاراً ، ولا يأْلوا لشعائِره المعظمة احْتِقَاراً ، فأَضرمه ناراً ، وجلَّل [وجوه][4] وجوهه خِزْياً وعاراً ، ثم انتهك الباطل حِماه ، وغيَّر اسمه ومُسَمَّاه ، وبدد حامِيَتَه المتجبِّرة وشَذَّبها ، وسخَّم دواوينه التى محصها الترتيب والتجريب وهذَّبها . وأَهلك نفوسها وأَموالها ، وأَساءَ لولا تدارَكُ الله أَحوالها . ولما تأَذَّن جل جلاله فى إقالة العَثار ، ودَرْك الثَّار ، وأَنشأَت نواسم رضاه إدامة الاستِغفَار ، ورأينا أن قِلادة الإسلام قد أَذن انتِثَارُها والملَّة الحنيفيَّة كادت تذهب آثارها ، وسائِل الخلاف يتعدَّد مثارُها ، وجعلت الملَّتان نحونا تشير ، والمُلْك يأْمل أَن يوافيه بقدُومنا البَشِير ، تحرَّكنا حركة خفيفة تُشْعر أَنها حركةٌ للفتح ، ونَهضْنا نبتَدر ماكتب الله من المَنْح ، وقد

---

(١) واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (ساحلها) .

(٣) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (وجلا) ، وهو تحريف .

(٤) زائدة فى الإسكوريال .

امتعض لنا الكون بما حَمَل ، واستخدم الفَلَك نفسه بمشيئة الله واكْتَمل ، وكاد يقرب لقرى طريقنا الثَّور والحَمَل ، وظاهرنا محلُّ أخينا السلطان الكبير ، الرفيع المعظم المقدس ، أبو سالم ، الذى كان وطَنُه مأْوى الجُنوح ، ومهبُّ النصر الممنوح ، رحمة الله عليه ، من مظاهرة مثله من الملوك الأَعاظم ، وختم الجميل بالجَمِيل والأَعمال بالخَوَاتم ، وأَنِفَ حتى عدوُّ الدين لنعْمَتِنا المكْفُورة ، وحقوقنا المَسْتُورة ، فأَصبح وإن كان العدوُّ حبيباً ، وعاد بعد الإِبايةِ مُنيباً ، وسخَّر أساطيله تحضيضاً على الإِجازة وترغيباً ، واستقبلنا البلاد وبحرُ البِشر يَزْخَرُ موجُه ، وفَلَكُ الإِسلام ، قد خرَّ على الحضيض أَوجه ، والرُّوم مستولية على الثغور ، وقد ساءت ظُنون المؤمنين بالْعُقبى ، ولله عاقبةُ الأُمور ، والخبيثُ الغَادِر الذى كان يموِّه بالإِقدام ، قد ظهر كذبُ وعده ، وهان مَثْواه ، وتورَّط فى إِشراك المندَّمة تورَّط من اتبع هواه ، ومجَّد نعمة مولاه . فلولا أَن الله عز وجل تَدارك جَزيرة الأَندلس بركابِنا ، وعاجل أَوارَها بانْسِكابنا ، لكانت القاضِية ، ولم تر لها من بعد تلك الريح العقيم من بَاقِية ، لاكنا والفضل لله ، رفَعْنا وطأَة العدو ، ووَفَدْنا بكَلْكَل ، وابتَزَزْناه منها إِلى مَشْرب ومَأْكل ، واعتزَزْنا عليه بالله ، الذى يعزُّ ويُذِلُّ ، ويهدى ويُضِلُّ ، فلم نسامحه فى شرط يجرُّ غَضَاضة ، ولا يُخلف فى القلوب مَضاضة ، وخُضنا بَحْر الهَوْل ، وبَرِئنا إِلى الله ربنا من القُدرة والحَوْل ، وظهرت للمسلمين ثمرة سريرتنا [وما بذلنا فى مُصانعة العدوِّ عن الإِجهاز عليهم ، من حُسْن سيرتنا][1] فقويت فينا أَطماعهم وانعقد على التحوُّم بنا إِجماعهم ، وقصدنا مالقة ، بعد أَن انثالت الجهة الغربيه ، وأَذعنت المعاقل الأَبيَّه ، فيسَّر الله فتحها ، وهنَّأَ منحها . ثم توالت الْبَيْعات ، وصَرَخت بمآذن البلاد الْوُعَّاظ[2] واضطرب أَمر المخالف[3] وقد ذَلَفت المخاوف إِليه ، وحُسِب كل صيحة عليه ،

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (الدعات) .
(٣) هكذا وردت فى الملكية ، وفى الإسكوريال (الخلايق) ، وفى الفاتيكانه (الحائز) ، والأولى أرجح .

فاقتضت نَعامته الشَّامله ، ودولة بَغْيه الزَّائله ، وآراؤه الفائله ، أن ضَمَّ ما أمكنه من ذَخِيرة مكنُونة ، وآلة ، للملك مَصُونة ، واسْتَركب أَوْبَاشه الذين استباح الحقُّ دِمايهم ، وعَرَف الخلقُ اعتزاءَهُم للغدر وانتماءَهم ، وقصد سُلطان قَشْتالة ، عن غير عهد ولا ثقة ، ولا مُثْلى طَرِيقه ، ولا شِيمة بالرعى خليقه ، لا كن الله عز وجل حَمَله على قدمه لإراقَة دَمِه ، وزيَّن الوجود بَعَدمِه ، فلحين قدومه عليه ، راجياً أن يستفزَّه بعرض ، أو يحيل صحَّة عَقْده[1] الْمُبرم إلى مَرَض ، ومؤملاً هو وشيعته الغادرة ، كرَّة على الإسلام مجهزَّه ، ونصرة لمواعيد الشيطان مُسْتَنْجزة ، تقبَّض عليه وعلى شِيعته ، وصمَّ عن سماع خَدِيعته ، وأفحش بهم المُثلة ، وأساءَ بحسن رأيه فيهم القَتْلة ، فأراح الله بإبادتهم نفوس العباد ، وأحيا بهلاكهم أَرْمَاق البلاد[2] . وحَثَثْنَا السير إلى دار مُلْكنا ، فدخلناها فى اليوم الأغر المُحَجل ، وحصلنا منها على الفتح الهنِّ المُعَجل ، وعُدنا إلى الأريكة ، التى نَبا عنها التمحيص ، فما حَسِبْناه إلاَّ سِراراً أَعْقَبه الكمال ، ومَرَضاً عاجله الإبلال ، فثابت للدِّين الآمال ، ونجحت الأعمال . وبذلنا فى النفوس[3] من العفو ما تغمَّد الذنوب ، وجَبَر القلوب ، وأشعنا العفو فى القَرِيب والقَصِى ، وألبسنا المريبَ ثوبَ البرئ ، وتألفنا الشَّارد ، وأعْذَبْنا الموارد ، وأَجْرَينا العَوايد [واسنينا الفَوايد][4] إلا ما كان من شِرْذِمةٍ عظمت جَرايرهم[5] ، وخبُثَت فى معاملة الله سرايرُهم ، وعرف شُومُهُم ، وصدق من يلومَهم ، فأَقْصَيناهم وشرَّدناهم ، وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادى ، وأبعدناهم .

ولما تعرف سلطانُ قَشْتالة باستقلالنا ، واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا ؛

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (عزمه) .
(٢) وردت فى الإسكوريال (العباد) مرة أخرى ، والتصويب من الملكية .
(٣) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (الناس) .
(٤) هذه العبارة واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .
(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (جرايمهم) .

بادر يعرف بمن كان من عمله فيما لَحِق به من طائفة الغدر وإخوان الخديعه والمكر، وبعث إلينا برءوسهم ، مابين ريسهم الشَّقِى ومرءوسِهم ، وقد طفا على جداول السُّيوف حبابها ، وراق بحنّاءِ الدماءِ خضابُها ، وبرز الناس إلى مشاهدتها مُعْتبرين وفى قدرة الله مُسْتَبْصرين ، ولدفاع الله الناس بعضهم لبعضٍ شاكرين ، وأَحقَّ الله الحقَّ بكَلماته ،وقطع دابِر الكافرِين . فأَمرنا بنَصْب تلك الرءوس بمُتَسَوَّر الغدر التى فَرَعَتُه ، وجعلناها علماً على عاتق العمل السيىء الذى اخترعته ، وشرعنا فى معالجة الكَلِم ، وأفضنا على العِباد والبلاد حكم السَّلم ، فاجتمع الشمل كأَحسن حالِه ، وسَكَن هذا الوطن بعد زِلْزاله ، وأفاق من أهواله . ولعلمنا بفضلكم الذى قضاياه شائعه ، ومُقَدَّماته ذائعه ، أَخبرنا كم به على اختصارٍ ، واجتزاءٍ واقتصارٍ ليبسِّر دينُكم المتين بتماسك هذا الثغر الأَقصى بعد استِرساله ، وإشْرافِه على سوءِ مآله . وكنا نخاطب محلَّ أَخينا السلطان الجليل المعظم ، الأَسعد الأَوحد ، الخليفة أَمير المؤمنين أَبو إسحق ابن الخليفة الإمام المعظم المقدس أَبى يحيى أَبى بكر ابن الأَئمة المهتدين والخلفاء الراشدين ، وصل الله أَسباب سعده ، وحرس أَكناف مجده ، لو أَننا تعرَّفنا مقيماً بغير تلكم الحَضْرة التُّونسيه ، فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم السَّنيه لتنُوبوا عنا فى حفظ مُلْكه[1] وعمادة دَاره ، فبين سلَفِنا وسلَفِكم الكريم ، من الوُدِّ الراسخ البنيان ، والخاوص الأَثر والعيان ، ما يدعو إلى أَن يكون سبَبُ المخاطبة موصولاً ، وآخرة الود خيرٌ من الأُولى ، لكن الطريق جمٌّ العوائِق ، والبحر معروف البوائِق[2] وقبول العُذْر بشواغل هذا القطر بالفضل لائِق ، ومرادُنا أَن يتصل الوُدُّ ، ويتجدد العهد ، والله عز وجل ، يتولَّى أُمور المسلمين بمتعوَّد[3] إحسانه ، ويجمع قلوبهم ، حيث كانوا على طاعة الله ورِضْوانه

---

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (ماله) .

(٢) هكذا فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال ((الطوابق) .

(٣) فى الملكية (بتعدد) .

وهو سبحانه يصل سعادتكم ، ويحرس مجادتكم . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

إلى الأَمير المؤتَمن على أَمْرِ سلطان المسلمين ، المقلَّد تدبيرُه السَّديد قِلادة الدِّين ، المُثْنى على رسوم بره ، المقامة بباب الحَرَم الأَمينِ ، الآوى من مَرْضَاتِ الله ورسوله إلى الرَّبْوَة ذات القرار والمَعِين ، المستعين من الله على ما حَمَله وأَمِله بالقوىِّ المُعين ، سيفُ الدَّعوة ، رُكْن الدَّولة ، قوام الملَّة ، مؤمِّل الأُمَّة ، تاج الخواصِّ ، أَسدُ الجيوش ، كافى الكُفاة ، زينُ الأُمُرَا، عَلَم الكبرا، عينُ الأَعيان ، حَسَنةُ الزمان ، الأَجلُّ المرفَّع ، الأَسْنى الكبير الأَشهر ، الأَسمى الحافل الفاضل ، الكامل المعظم ، الموقر ، الأَمير الأَوحد يَلْبُغا[1] الخاصِكِى وصَل الله له سعادة تشرق عزَّتُها ، وصنائِعُ تِسحُّ فلا تشح دَرَّتُها ، وأَبقى تلك المثابة ، قلادة الله وهو دُرَّتُها، سلام كريم طيب برٌّ عميم، يخصُّ إمارتكم التى جعل الله السَّعد[2] على سعادتها إمارة ، واليُسْر لها شَارة، فساعدُ الفُلْك الدوّار مَهْمَى اعْمَلت بإداره، وتَمْتَثل الرسوم كلَّما أَشارَتْ إشارة .

أَما بعد حَمْدِ الله الذى هو بعِلْمه فى كل مكان من قاصٍ ودانٍ ، وإليه تُوجَّه الوُجوه ، وإن اختلفت السِّير ، وتباعدت البُلدان ، ومنه يُلتمس الإحسان ، وبذِكْره يَنْشرح الصَّدر ، ويُطَهَّر[3] القلب ، ويمرحُ اللِّسان . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله العظيم الشَّان ، ونبيِّه الصادق البيان ، الواضح البُرهان ، والرضا عن آله وأَصحابه ، وأَعمامه ، أَحْلاسِ الخيل ، ورُهبانِ اللَّيل ، وأُسودِ

---

(١) وردت فى المخطوطات الثلاثة (لفا) وهو تحريف ، والتصويب ما أثبتناه .

(٢) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (الفضل) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانة (يطمئن) .

الميدان ، والدعاء لإمارتكم السعيدة بالعزِّ الرائق الخَبَرِ والعيان ، والتوفيق الوثيق البُنيان . فإنَّا كتبناه إليكم كتب الله لكم حظًّا من فضله وافراً ، وصُنْعاً من مُحيَّا السُّرور سافراً ، [وفى جو الإعلام بالنِّعم الجسام مُسافراً][1] . من حَمْراءِ غَرْناطَة حرسها الله ، دار مُلْك[2] الأَندلس، دافع الله عن حَوْزتها كَيْد العُداة ، وأَتحف نَصْلها[3] ببواكر النَّصر المُهْداة ، ولا زائِد [بفضل الله][4] إلا تشوقٌ إلى التَّعارف بتلكم الأَبواب الشريفة التى أَنتم عُنوان كِتَابها المرْقُوم ، وبيت قَصِيدها المَنْظُوم ، والتماس بركاتها الثابتة الرُّسوم . وتقرير المثول فى سبيل زيارتها بالأَرْوَاح ، عند تعَذُّرها بالجُسوم . وإلى هذا فإننا كانت بين سلفنا ، تقبل الله جهادهم ، وقدَّس نفوسهم ، وأَمَّن مَعَادهم ، وبين تلك الأَبواب السُّلطانية ، أَبقى الله على المسلمين والإسلام ظِلالها ، كما عَرَّفهم عَدْلها وأَفْضَالها ، مراسلة ينم عُرْف الخلوص من خلالها ، وتسطعُ أَنوار السعادة من آفاق كمالها ، وتُلتمح من أَسطار طُرُوسها ، محاسنُ تلك المعاهد الزَّاكية المشاهد ، وتُعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد ، اشتقنا إلى أَن نجدِّدَها ، بحسن مَنابكم ، ونَصِلُها بمواصلة جنابكم ، ونَغْتَنم فى عَوْدها الحميد[5] مَكانكم ، ونؤمِّل لها زِمامكم ، فخاطبنا الأَبواب الشريفة فى هذا الغرض بمخاطبة خَجِلة من التقصير ، وَجِلة من النَّاقد والبَصير ، نؤمل الوصول فى خَفَارة يدكم التى لها الأَيادى البيض ، والموارد التى لا تَغيضَ . ومثلكم لاتَخِيبَ المقاصدُ فى شَمائِله ، ولا تهمل[6] المآمل[7] فى ظلِّ خَمائِله ، فقد اشتهر من جميل

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (خلافة) .

(٣) وردت فى المخطوطين (فصلها) ، والتصويب من الفاتيكانه .

(٤) زائدة فى الفاتيكانه .

(٥) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الجميل) .

(٦) فى الفاتيكانه (تضحى) .

(٧) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الآمال) .

سِيَرِكم ما طبَّق الآفاق، وصَحِب الرِّفاق، واستلزم الإِصْفاق . وهذه البلاد مباركة، ما أَسلف أَحد فيها مشاركة إلا وجدها فى نفسه[1] ودينه وماله، والله أَكرمُ من وَفَّى الأَمر بمِكْياله . والله جلَّ جلاله يجمع القلوب على طاعته، وينفع بوَسِيلة النبى صلى الله عليه وسلم، الذى نعول على شَفَاعته، ويبقّى تلك الأَبواب ملجأً للإِسلام والمسلمين، وظلاًّ لله على العَالَمين، وإقامةً لشعائِر الحَرَم الأَمِين، ويتولى إعانتكم على وظائف الدِّين، ويجعلكم ممن أَنعم عليه من المُجاهدين . والسلام الكريم يخصكم، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

من الأَمير فُلان، إلى الشيخ الكذا ابن الشيخ الكذا، وصَلَ الله له سعادة تجذبه، وعِناية إليه تقرِّبه، وقبولاً يدعوه إلى خير ما عند الله ويَنْدِبه . سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله المُرْشد المُثِيب، السَّميع المجيب، مُعَوِّد اللُّطف الخَفِى، والصُّنع العجيب، المتكفِّل بإنجاز وَعْدِ النَّصر العزيز، والفتح القريب، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله، ذى القَدْر الرفيع، والعزِّ المنيع، والجناب الرَّحِيب، الذى به نَرْجو ظهور عِباد الله على عَبَدة الصَّليب، ونستظهر به على العدو بِالحَبِيب، ونُعِده [فى الشَّدائِد][2] عُدَّتنا لليوم العَصِيب . والرضا عن آله وصحبه، الذين فازوا من مشاهدته بأَوْفَى نَصِيب، ورَمَوا إلى هدف مَرْضاته بالسَّهم المُصِيب . فإِنَّا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عملاً صالحاً، يختم الجهادُ صحائِف برِّه، ويتمخَّض لأَن تكون كلمة الله هى العُليا جَوَامع أَمره، وجعلكم ممن تهنَّا فى الأَرض التى فتح فيها أَبواب الجنة حصَّة عُمْره .

---

(١) زائدة فى الفاتيكانه .

(٢) واردة فى المخطوطين وساقطة فى الفاتيكانه .

من حمراءِ غَرْناطة حرسها الله ، ولُطف الله هامِى السَّحاب ، وصُنْعُه رائق الجناب ، والله يصل لنا ولكم ما عوَّد من صِلة لُطْفه عند انبِتات الأَسباب . وإلى هذا ، أَيها الولى فى الله ، الذى هو بركة المَغْرب المشار إليها بالبَنان ، وواحدٌ فى رفْعة الشَّان ، المؤثِرُ ما عند الله على الزُّخرف الفتَّان ، المتقلِّل من المتاع الفان ، المُسْتَشْرف إلى مقام العِرفان من دَرَج الإسلام والإيمان والإحسان . فإننا لما نُوثِره من برِّكم [الذى نعدُّه من الأَمر الأَكيد ، ونُضْمره من وُدِّكم][1] الذى نُحله محلَّ الكَنْز العَتِيد ، ونلتمِسُه من دُعائِكم النّاس العُدَّة والعَديد ، لانزال نَسَل عن أَحوالكم التى ترقَّت[2] فى أَطوار السعادة ، ووَصَلت جناب الحقِّ بمجرى[3] العادة ، وأَلْقَت يد التسليم لله ، والتوكُّل عليه بالمقادة ، فنُسَرُّ بما هيَّأَه الله لكم من القَبُول ، وبلَّغكم من المأْمُول ، وأَلْهَمكم من الكَلْف بالقُرب إليه والوصول ، والفوز بما لديه والحُصول . وعندما ردَّ الله علينا مُلْكنا الرَّد الجميل ، وأَنالَنا فضله الجزيل ، وكان لعِثارنا المُقِيل ، خاطبناكم بذلك لمكانكم من وُدادنا ، ومحلِّكم من حسن اعتقادنا ، ووجَّهنا إلى وُجهة دُعائِكم وجه اعْتِدادنا ، والله ينفع[4] بجميل الظَّن فى دِينِكم المتين ، وفضلكم الْمُبين ، ويجمع الشَّمل[5] بكم فى الجهاد عن الدِّين . وتعرَّفنا الآن ممن له بأَنْبائِكم اعتِنا ، وعلى جلالكم حَمدٌ وثَنا ، ولجانب وُدِّكم اعْتِزاز وانْما ، أَنكم يتحاوَل عزمُكم بين حج مبرور ، ترغبون من أَجره فى ازْدِياد ، وتجدِّدُون العهد منه بأَليف اعْتِياد ، وبين رباطٍ فى سبيل الله وجهاد ، وتَوْثِير مِهاد بين رُبىً أَثيرةٍ عند الله ووِهَاد ، تُحشر يوم القيامة شهداؤُها مع الذين أَنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين ، فرِحين بما آتاهُم الله من فضله ، والله أَصْدَق

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين وساقط فى الفاتيكانه .
(٢) وردت فى الإسكوريال (توقت) والتصويب من الملكية والفاتيكانه .
(٣) وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه (يهجر) والتصويب من الملكية .
(٤) فى الفاتيكانه (ينفعنا) .
(٥) واردة فى الإسكوريال والفاتيكانه وساقطة فى الملكية .

الصَّادقين ، [حيث الإغارة لعدو الإسلام تُتَّقى ، ولا ثِنيَّة إلا لابتغاء ما لدين الله تُرْتَقى][1] ، حيث رحمةُ الله قد فُتحت أبوابها ، وحُور الجِنان قد زُيِّنت أترابُها بدار[2] العَرَب الذين قارعوا باب الفتح ، وفازوا بجزيل المَنْح ، وخلَّدوا الآثار ، وأرغموا الكفَّار ، وأقالوا العِثار ، وأخذوا الثَّأْر ، وأمنوا من لَفْح جُهْم بما علا وجوهَهم فى ذلك الغُبار . فكتبنا إليكم هذا نقوِّى بصيرتكم على جِهة[2] الجهاد من العَزْمين ، ونهبُّ بكم إلى إحدى الحُسْنَيين ، والصُّبح غير خافٍ عند ذى عينين ، والفضل الجاهز لإحدى المَنْزِلَتين ، فإنكم إذا حَجَجْتم أَعَدْتُم فرضاً أَدَّيتموه ، وفَضْلاً ارتَدَيْتُموه ، فائِدَتُه عليكم مَقْصُورة ، وقضيَّته فيكم محْصُورة ، وإذا أقمتُم الجهاد ، جَلَبتم إلى حسناتكم عملاً غريباً ، واستأْنفتم سعياً من الله قريباً ، وتعدَّدت[3] المنفعة إلى أُلوف من النفوس المُسْتَشْعرة لباس البؤس ، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضلُه لأَطَلْنا ، وأعنَّة الإدلال أَرْسَلنا . هذا لو قَدِمْتُم على هذا الوطن ، وفضلكم غُفْلٌ من الاشتهار ، ومن به لا يوجب لكم تَرْفِيع المقدار ، فكيف وفضلكم أَشْهَر من مُحيَّا النهار ؛ ولقاؤكم أَشْهَى الآمال ، وآثرُ الأَوطار ، فإن قُوى عزمكم ، والله يقوِّيه ، ويُعِيننا من برِّكم على ما ننويه ؛ فالبلاد بلادُكم ، وما فيها طريفُكم وتلادُكم ، وكهولُها أخوانكم ، وأحداثُها أولادكم ، ونرجو أن تجدوا بذكركم الله فى رُباها[4] حلاوةً زائِدة ، ولا تَعْدَموا فيها من روح الله فائِدة ، وتتكيَّف نفسكم فيها تكييفات تقصر عنها خلوات السُّلوك إلى مَلِك الملوك . حتى تغتبطوا بفضل الله الذى يُوليكم ، وتروا أَثَر رحمته فيكم ، وتَخلِفوا

---

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى الإسكوريال والفاتيكانه وساقط فى الملكية .

(٢) واردة فى الإسكوريال والفاتيكان ومكانها بياض الملكية .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه وفى الملكية (تعدت) .

(٤) هكذا فى الاسكوريال وفى الملكية (رياضها) .

فخر هذا الانقطاع إلى الله فى قبيلكم وبَنِيكم ، وتختتموا العُمْر الطيب بالجهاد الذى يُحْليكم [١] ، ومن الله يُدْنيكم ، فنبيكم العربى صلوات الله عليه وسلامه ، نبىُّ الملاحم ، ومعمل الصَّوارم ، وبجهاد الفِرَنج خُتِم عملُ جهاده ، والأعمال بالخواتم . هذا على بُعد بلادهم من بلاده ، وأنتم أحق الناس باقْتِفاءِ جهاده ، والاسْتِباق إلى آماده . هذا ما عندنا حَثَثْناكم عليه ، ونَدَبْناكم إليه ، وأنتم فى إيثار هذا الجوار ، ومُقارضة [٢] ما عندنا بقدومكم على بلادنا من الاسْتِبْشار ، بحسب ما يخلق عندكم ، من بِيَده مَقادة الاخْتِبار ، وتصريف الليل والنهار ، وتَقْليب القُلوب ، وإجالَة الأفكار . وإذا تعارضت الحظوظ ، فما عند الله خيرٌ للأبرار ، والدَّار الآخرة دارُ القَرار ، وخير الأعمال عملٌ أوصل إلى الجنَّة ، وباعد من النَّار . ولتعلموا أن أهل الكَشْف والاطِّلاع بهذه الأرجاء والأصقاع ، قد اتفقت أخبارُها ، واتحدت أسرارُها على البِشارة بفتح قُربُ [٣] أوانه ، وأظلَّ زمانه ، فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه ، ويكرم فيه مسعاه ، ويَسْلُف فيه بالعمل الذى يَشْكُره الله ويَرْعاه . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله .

---

(١) هكذا فى المخطوطين . وفى الفاتيكانه (يعليكم) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (ومقاومة) .

(٣) هناه الكلمة واردة فى الملكية والفاتيكانه وساقطة فى الإسكوريال .

جمهور الأغراض السلطانيات

من ذلك ما كتبت به

المقام الذى رَمَى له الْمُلْكُ الأَصيل بأَفلاذه ، وأَوَى منه الإسلام إلى ملجإِه الأَحْمَى وملاذه ، وكَلِفت السُّعود بإمضاءِ أَمره المطاع وإنفاذه ، وشا حلْبة الكرُوم فكان وحيدَ آماده[1] ، وفذَّ أَفْذاذه [وابتدع غريب الجود فقال لسان الوجود نعم البدعة هذه][2] . مقامُ محلِّ أَخينا الذى أَركان مجده راسيةٌ راسخةٌ ، وغُرر عزِّه باديةٌ باذخةٌ ، وأَعلام فخره سامية شامخة ، وآيات سعده مُحْكمة ناسخة . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أَبقاه الله يَجْرى بسعده الفَلَك ، ويُجلى بنور هَدْيه الحَلَك ، ويسطر[3] حسنات مُلْكه المَلِك ، ويشيد بفضل بأْسِه ونداه ، النَّادى والمُعْتَرك . معظَّم حقوقه التى تأَكد فرضُها ، المُثْنَى على مكارمه التى أَعيا الأَوصاف البليغة بعضها ، الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد إسمعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب برٌّ[4] عميم يخصُّ أُخوَّتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أَما بعد حمد الله الذى هيأَ[5] لملَّة الإسلام بمظاهرة مُلْككم المنصور الأَعلام ، إظهاراً وإعزازاً ، وجعل لها العاقبة الْحُسْنى بيُمن مقامكم الأَسمى ، تصديقاً لدعوة الحق وإنجازاً ، وسهَّل لها بسعدكم كلَّ صعب المرام ، وقد سامَتْها صُروف

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الملكية (آساده) ، وفى الفاتيكانه (آحاده) .
(٢) ما بين الخاصرتين وارد فى الفاتيكانه وساقط فى المخطوطين .
(٣) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (ويستر) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (مبارك) .
(٥) هكذا فى الملكية والفاتيكانه ، وفى الإسكوريال (طا) .

الأَيَّام ليا وإعوازاً ، وأَتاح لها منكم وليًّا يَسُوم أَعْداها إسلاماً وابتزازاً . وسَكَّن آمالها ، وقد استشعرت انحِنازاً . حمداً يكون على حُلل النِّعم العميمة والآراء الكريمة طِرازاً . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله : الذى بَهَرت آياته وضوحاً[١] وإعجازاً ، واستحقَّت الكمالَ صفاتُه حقيقةً لا مجازاً ، ونبيِّه الذى بيَّن للخلق أَحكام دينه الحق امتناعاً وجوازاً ، ويسَّر لهم وقد ضلُّوا فى مفاوز الشَّك مَفازاً ، والرضا عن آله وأَصحابه المستولين على ميادين فضائل الدُّنيا والدِّين ، اختصاصاً بها واختباراً[٢] فكانوا غُيُوثاً إذا وجدوا مَحْلاً ، ولُيُوثاً إذا شهدوا برازاً ؛ والدعاءُ لمقام أُخوتكم الأَسمى بنصرٍ على أَعدائه ، تُبدى له الجياد الجُرْد ارتياحاً ، والرِّماح المُلْد اهتزازاً ، وعزٍّ بَطَأُ من أَكْناف البَسِيطة وأَرجائها المحيطة سَهْلاً وعزازاً ، ويُمْن يشمل من بلاد الإيمان أَقطاراً نازحة ويعمُّ أَحْوازاً ، وسَعْد تَجُول فى ميدان ذِكْره المطاع[٣] أَطراف أَسِنَّة[٤] اليراع إسهاباً وإيجازاً ، وفخرٍ يجوب الأَقطار جوب المثل السيَّار عراقاً وحجازاً [ولازالت كتايب سعده تنتهز فرص الدهر انتهازاً وتوسع ملكات الكفر انتهاباً واحتيازاً][٥] فإنا كتبناه إلى مقامكم كتب الله له سعداً ثابت المراكز ، وعزًّا لا تلين قناته فى يد الغامز ، وثناءً لا تثنى عِنان مداه[٦] عرض المفاوز ، وصُنْعاً رحيب الجوانب رغيب الحوايز .

من حمراء غرناطة حرسها الله ، وفَضْلُه عزَّ وجلّ ، قد أَدال العُسْر يُسْراً ، وأَحال القَبْضَ بَسْطاً ، وقرَّب نوازح الآمال بعد أَن تناءتْ ديارُها شَحَطاً ، وراض

---

(١) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (معجزة) .
(٢) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (وامتيازا) .
(٣) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (المذاع) .
(٤) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (ألسنة) .
(٥) ما بين الحاصرتين وارد فى الفاتيكانه ، وساقط فى المخطوطين .
(٦) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سراه) .

مركب الدَّهر[١] الذى كان لا يلين لمن اسْتَمطى ، وقرَّب غَريم الرَّجا فى هذه الأَرجاءِ وكان مُشْتَطاً ، والتوكُّل عليه سبحانه قد أَحكم منه اليقين ، والاسْتِبْصار المبين رَبْطاً ، ومَشْرُوط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شَرْطاً ، ومقامكم هو عُدَّة الإسلام إذا جَدَّ حِفاظه ، وظلُّه الظَّليل إذا أَلْفَح الكفر شواظُه ، وملجأُه الذى تنام فى كَنَفِ أَمْنِه إيقاظه ، ووزره الذى إلى نَصْرِه تُمدُّ أَيديه وتُشِير أَلْحاظه ، ففى أَرجاءِ ثَنائِه تَسْرح معانيه وأَلفاظه ، ولخُطَب تمجيده وتحميده يقول قسُّه عُكاظه . وتشيُّعُنا إلى ذلك الجناب طويلُ وعَريض ، ومقدماتُ وُدِّنا إياه لا يعترضها نَقِيض ، وأَفلاك تعظيمنا له ، ليس لأُوجها الرَّفيع حَضِيض ، وأَنوارُ اعتقادِنا الجميل فيه يشُفُّ سواد الحبر عن أَوجهها[٢] البِيض ، وإلى هذا أَلْبَسكم الله ثَوْب السعادة المُعادةِ فِضْفاضاً ، كما صرف بإِيالَتِكم الكريمة ، على ربوع الإسلام ، وجوه الليالى والأَيام ، وقد ازوَرَّت إعراضاً ، وبَسَطت آمالها ، وقد استشعرت انْقِباضاً . فإِننا وَرَد علينا كتابُكم الكريم الذى كَرُم أَنحاءً وأَغراضاً ، ومادَت البلاغة من طِرسه الفَسِيح المجال ، الفصيح المقال ، رياضاً ، ووردت الأَفكار من معانيه الغَرائِب ، وأَلفاظه المُزْرية بدُرَرِ النُّحور والتَّرائِب ، بحوراً صافية وحياضاً ، واجْتَلينا منه حُلَّة من حُلل الوُدِّ سابغة ، وحجَّة من حجج المجد بالغة ، وشمساً فى فَلَك السعد بازِغة ، الذى بيَّن المقاصد الكريمة[٣] وشرحها ، وجلَى الفضائِل العميمة وأَوْضحها ، فى أَكْرَم شِيَمَ ذلك الجلال وأَسْمَحِها ، [وأَفضل خلال ذلك الكمال][٣] وأَرْجَحِها ، حتَّتْم فيه على إحكام السَّلم الذى يحوط الأَنْفُس والحريمَ بسِياج ، ويُداوى القطرُ العليل منها بأَنْجَى عِلاج ، والحال ذات احتياج ، وساحةُ الجبل[٤] عصَمَهُ الله ميدانُ هِياج ، ومُتَبَوأُ

---

(١) واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .
(٢) واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .
(٣) واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الفاتيكانه .
(٤) زائدة فى الإسكوريال والفاتيكانه .

أَعْلاج ، ومظنَّة اختلاف الظنون الموحشة واخْتِلاج ، فحضر لدينا متحمِّلُه ، وزيرُكم الشيخ الأَجل ، المرفَّع المعظم الأَسمى ، الخاصَّة الأَحْظَى ، أَبو على ابن الشيخ الوزير ، الأَجل ، الحافل الفاضل ، المجاهد الكامل ، أَبى عبد الله بن مُحلَّى ، والشيخ الفقيه ، الأُستاذ [الصالح المبارك] [1] الأَعْرف الفاضل الكامل ، أَبو عبدالله ابن الشيخ الفقيه ، الأَجلِّ العارف ، الفاضل الصالح المبارك ، المبرور المرحوم أَبى عبدالله الفِشْتالى ، وصل الله سعادتهما ، وحَرَس مجادَتهما ، حَالَّين من مراتب ترفيعنا أَعلى محال الإِعْزاز وواردين على أَحْلَى القبول ، الذى لا تشاب حقيقتهُ بالمجاز ، عملاً بما يجب علينا ، لمن يَصِل إِلينا من تلك الأَنحاء الكريمة والأَحْواز ، فتلقينا ما اشتملت عليه الإِحالة السلطانية من الوُدِّ ، الذى كرُم مفهوماً ونصًّا ، والبرِّ الذى ذهب من مذاهب الفضل والكمال إِلى الأَمَد الأَقْصَى ، وقد كان سبقهما ، صُنْع الله جل جلاله ، بما أَخْلَفَ الظنون ، وشرح الصدور ، وأَقرَّ العيون ، فلم يصلا إِلينا ، إِلاَّ وقد أَهْلَك الله الطاغية ، ومزَّق أَحْزابه الباغية ، نعمةً منه سبحانه ، ومنَّةً ملأَت الصدور انشراحاً ، وعمَّت الأَرجاءَ أَفراحاً ، وعنواناً على سَعْد مقامكم ، الذى راق غرراً فى المَكْرُمات وأَوضاحاً ، ومدَّ يده إِلى سهام المواهب الإِلآهية ، فحاز أَعْلاماً قِداحاً ، فتشوَّفت نفوس المسلمين إِلى ما كانت تؤمِّله من فضل الله وترجُوه ، وبدت فى القضية التى أَشرتم بإِعْمالها الوجوه ، وانْبَعَثت الآمال بما آلت إِليه هذه الحال انْبِعاثاً ، والْتَأَثت أُمور العدوِّ قَصَمه الله الْتِياثاً ، وانْتَقَض غزلُه من بعد قُوَّته بفضل الله إِنْكاثاً ، واحتمات المسئلة التى تَفضَّلتم بعرضها ، وأَشرتم إِلى فرْضها ، مآخذَ وأَبحاثاً ، فأَلقينا فى هذه الحال إِلى رسُولَيْكم ، أَعزَّهما الله ، ما يُلقيانه إِلى مقامكم الأَعلى ، ومثابَتِكم الفُضْلى ، وبما يتزيَّد عندنا من الأُمور ، فركائِبُ التعريف بها إِليكم محثُوثة ،

---

(١) هذه العبارة زائدة فى الملكية .

وجزئياتها بين يدى مقامكم الرفيع مَبْثُوثة ، وقد اضطَّربت أحواله ، وفالت آراؤه ، واستحكم بالشَّتات داؤه ، وارتجت بزلزال الفتنة أرجاؤه ، وتيسرت آمال الإسلام بفضل الله ورجائه ، وما هو إلاَّ السَّعد ، يذَلِّل لكم صعب العُدوِّ ويروِّضه . والله يُهنى لكم فضل الجهاد حتى تقضى لكم[1] فروضه . وأما الذى لكم عندنا من الخُلوص الصافية شرائعه ، والثنا الذى هو الروض تأَرَّج ذائِعُه ، فأَوضح من فَلْق الصُّبح إذا أَشرقت طلائِعه ، جعله الله فى ذاته وسيلةً إلى مَرْضاته . ورسولاكم يشرحان الحال بجزئياته ، ويقرران ما عندنا من الوُدِّ الذى سطع نور آياته . وهو سبحانه يصل لكم سعداً سامى المراقب والمراقى ، ويجمع لكم بَعد بُعد المدا ، وتمهيد دِين الْهُدى ، بين نعيم الدُّنيا ، والنَّعيم الباقى . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

من الأَمير عبدالله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد إسمعيل بن فرج ابن نصر . إلى محل أَخينا ، الذى نُثنى على مَجادته أَكرم الثنا ونجدِّدُ ما سلف بين الأَسلاف الكرام من الولاء ، ونُتحفه من سعادة الإسلام وأَهله ، بالأَخبار السَّارة والأَنباءِ . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أَبقاه الله رفيع المقدار ، كريم المآثِر والآثار ، وعرَّفنا[2] من عَوارف فَضْله . كل مُشْرق الأَنوار . كفيلٌ بالحُسْنى وعُقْبى الدَّار . سلام كريم يخص جلالكم الأَرْفَع ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله على عَمِيم آلائِه ، وجزيل نعمائِه ، مُيَسِّر الصَّعب بعد إبائِه ، والكفيل بتقريب الفَرَج وإِدْنائِه ، له الحمد والشكر ملءَ أَرضه وسمائِه ، والصلاة

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (بكم) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (وعرفه) .

على سيدنا ومولانا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائِه ، الهادى إلى سبيل الرُّشد وسَوائِه ، مُطْلِع نور الحق يَجْلو ظُلَم الشَّك بضيائِه . والرضا عن آله وأصحابه وأصهاره وأحزابه وخُلَفائِه السائِرين فى الدُّنيا والآخرة تحت لِوائِه ، الباذِلين نفوسَهم فى إظهار دينه القويم وإعلائِه ، والدُّعا لمقامكم بتَيْسير أمله من فضل الله سبحانه ورَجائِه ، واخْتِصاصه بأَوْفر الحُظوظ من اعْتِنائِه . فإنَّا كتبناهُ إليكم ، كتَبَكم الله فيمن ارتضى قولَه وعملَه من أوليائِه ، وعرَّفكم عوارف السَّعادة المعادة فى نهاية كل أمر وابتدائه .

من حمراءِ غَرْناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه ، ثم بِبَركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح برهانَه ، وعظَّم أمره ورفع شأْنه ، ثم بما عندنا من الوُدِّ الكريم ، وتجديد العهد القديم لمقامكم ، أعلى الله سلطانه ، إلا الخير الهامى السَّحاب ، واليُسْر المبين الأَسباب ، واليُمن المفتَّح الأَبواب[1] ، والسَّعد الجديد الأَثواب ، ومقامُكم معتمد بتَرْفيع الجناب ، مُتَعَهَّد بالْوُدِّ الخالص والاعتقاد اللُّباب ، معلومٌ ماله من فضل الدين وأَصالة الأَحْساب . وإلى هذا وصل الله لكم سعداً مديد الأَطْناب ، ثاقب الشِّهاب ، وأَطْلَع عليكم وجوه البشائِر سافرة النِّقاب . فإنه قد كان بَلَغكم ما آلت الحال إليه بطاغِية قَشْتالة ، الذى كَلِب على هذه الأَقطار ، الغريبة من وراءِ البحار ، وما سامها من الإرهاق والأَضرار[2] وأنه جرى فى ميدان الإمْلاءِ والأَغْتِرار ، ومحَّص المسلمين على يديه بالوقائِع العظيمة الكِبار ، وأنه نكث العهد الذى عَقَده ، وحلَّ الميثاق الذى أَكَّدَه ، وحمله الطمع الفاضح على أن أَجْلَب على بلاد المسلمين بخَيْله ورَجْله ، ودهمها بتيار سَيْله وقَطْع ليله ، وأَمَّل أن يستولى على جَبَل الفَتْح ، الذى منه بدأ فتحها ،

---

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية مرة أخرى (الأسباب) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الاضطرار) .

وطلع للملَّة المحمدية صُبْحها ، فضَيَّقه حصاراً ، واتخذه داراً ، وعندما عظُم الإشفاق ، واظلمَّت الآفاق ، ظهر فينا بقدرة الله ، الصُّنع العجيب ، ونَزَل الفرج القريب ، وقَبِل الدُّعا السميعُ المجيب ، وطَرَق الطاغية جُنْدٌ من جنود الله ، أَخَذَه أَخْذَةً رابية ، ولم يُبق له من باقية ، فهلك على الجَبَل حَتْف أَنفه ، وغالته غوائِل حَتْفه ، فتفرَّقت جموعه وأحزابه ، وانقطعت أسبابه ، وتعجَّل لنار الله مآبُه ، وأصبحت البلاد مُسْتَبْشرة ، ورحمة الله مُنْتَشرة ، فرأينا أن هذه البشارة التى يأْخذ كل مسلم منها بالنَّصيب الموفور ، ويشارك فيما جَلَبته من السُّرور ، أَنتم أَولى من نُتْحفه بطيب ريَّاها ، ونُطْلِع عليه جميل محيَّاها ، لما تقرر عندنا من دينكم المتين ، وفضلكم المبين ، وعَمَلكم من المساهمة ، على شاكِلة صالحى السلاطين ، فما ذاك إلا بفضل نيَّتكم للمسلمين فى هذه البلاد ، وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد . وقد ورد رسولُنا عليكم ، القائِد أَبو عبد الله بن أَبى الفتح ، أَعزه الله ، مقرراً ما لديكم من الوُّد الراسخ القواعد ، والخُلوص الصَّافى الموارد الواضح الشواهد ، وأَثنى على مكارمكم الأَصيلة ، وألقى ما عندكم من المذاهب الجليلة ، فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتَّصل سببُه ، ويتَّضح مذهبه ، وسأَلنا الله بأَن يجعله وُدًّا فى ذاته ، ووسيلة إلى مَرْضاته ، وتعرَّفنا ما كان من تفضلكم بالطريرة المفتوحة الموخر[1] ، وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدَّام دار الصّنعة بالمريَّة من قُبْح محاولته وسُوءِ معاملته[2] ، فأَمرنا بقطع جرايته وثِقافه بمَطمُورة القصبة ، جزاءً لجنايته ، ولولا أَننا توقَّعنا أَن يكون عظيم عقابه مما لا يقع من مقامكم بوفقه [لمشهور عَفافه ورِفْقه][3] ، لجعلناه نكالا لأَمثاله ، وعِبْرة لأَشكاله . وقد وجهنا جَفْنًا سفرياً لإيساق الخيل التى ذكرتم ، وإيصال ما إليه

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (المدخر) .

(٢) واردة فى الفاتيكان ، وساقطة فى المخطوطين .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والفاتيكانه ، وساقط فى الملكية .

من ذلك أشرتم ، ويكمل القصد إن شاء الله تحت لحظ اعتنائِكم وفضل ولائِكم . هذا ما تزيد عندنا عرفناكم به عملاً على شاكلة الود الجميل ، والولاء الكريم ، الإجمال والتفصيل ، فعرفونا بما تزيَّد عندكم يكون من جملة أعمالكم الفاضلة ، ومكارمكم الحافلة . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقامُ الذى عِنايةُ الله به موجودة مؤمَّلة ، وأَزمِنَة سعادته إن شاء الله حاضرة مستقبلة ، وواجبات برِّه فى علن الأمر وسره مُتممة مُكمَّلة ، وقضايا التشيع فى أبوته يأْبى الحقُّ أن تُرى وهى مُهملة ، مقامُ محل أبينا الذى وُدادنا له صافى الورود إذا كَدُرت المشارب ، واضح السبل إذا التَبَست المذاهب ، وتعظيمنا له فسيح الجانب ، ووفاؤنا بعهد فضله من أَوْجَب الواجب ، وثناؤنا على مكارمه ، تَحْدُو نجائِبه الصَّبا والجنائِب[1] . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله يستقبل وجه السَّعد سافراً نقابه ، ويستأْنف العزَّ ضافياً جلبابه ، والاعتناءَ الإلآهى مفتحاً أبوابه ، موصولة أسبابه ، معظَّمٌ أبوته التى لها الحقوق المرعيَّة ، والمذاهب المَرْضِيَّة ، المُثْنَى على مكارمه التى راقت أنوارها السَّنية ، وتعاضدت منها الأعمال والنِّية ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسمعيل بن فرج بن نصر ، سلام كريم طيب برٌّ عميم يخص مقامكم الأعلى وأبوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله مُيَسِّر الألطاف ، عَذْبة الجنى دانية القِطاف ، ومُذلِّل الشَّدائِد بعد الاسْتِيساد والاسْتِشْراف[2] ، ومسكن الأهوال بعد الإرجاف ، وجامِعُ

---

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الجانب) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (الاستزاف) .

الأَهوا من بعد الاخْتِلاف ، الذى لا معوَّل إلاَّ على فضله الكاف ، ووعده الواف ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، رسوله المختار من لُباب هاشم بن عبد مناف ، الآتى بالآيات البيِّنات ، والبرهان الشَّاف ، والرضا عن آله وصحبه الكرام البررة الأَشراف ، المتَّصفين من طاعة الله وطاعته بأَحْسَن الخلال وأَكْرَم الأَوصاف ، والدعاءُ لمقامكم الأَسْمَى ، بسعدٍ يغنى عن الإيجاف[1] ، ونَصْر على أَعدائه تُفنى به الآحاد عن الآلاف . من حمراءِ غرْناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه ، ثم بنيَّة مقامكم ، أَعْلَى الله سلطانه ، ووالى لديه إنْعامه وإحسانه ، إلاَّ ما جَرَت به العوائِد من صلَة نِعَم الله بعد الافْتِقار ، وإدالة[2] اليُسْر من الإِعْسَار ، عرَّفنا الله وإياكم عوارف إحسانه المِدْرار ، وكان لنا ولكم حيث لا يكون لأَنفسنا من مواطن الشَّدائِد والاضطرار ، وجنابُكم عندنا عظيم المقدار ، كريم المآثر والآثار . نصل الدُّعاءَ له ، بالإِعْلا على دين الله والإِظْهار ، ونُلازم التشيُّع فيه على بعد الدار ، ونثنى على فضائِله التى ثَبَتَت حَسَناتها فى صحائِف الليل والنهار . من ذلك مُجْمل يضيق عنها نِطاق الأَخبار ، [ويعجز عن اسْتِيفائها إنشاءَ الرسائل وخِلال الأَسْطار ، فنَكِلُها إلى العالم بخفيَّات الأَسرار][3] ، وإلى هذا ، أَيَّد الله سلطانكم ، ونصركم على أَعدائِه وأَعانكم ، فإنَّا كتبناه إليكم مع أَرْسَالكم لنا يبين إليكم ، وصل الله كَرَامتهم ، وسنِّى سلامتهم ، بما عليه الأَحوال[4] بهذا الأَرجاءِ ، وبما نحن نُرُومُه من عَقْد المهادنة بيننا وبين الأَعداءَ ، وبما كتبنا به فى شأْن الجَفْن الذى استقر لكم فى مُلْك مَلِك قشتالة ، بحكم القدر الحَتْم والقضا ، وأَننا أَمسكنا رسولكم الشيخ الفقيه الفاضل أَبا العباس الحصَّار ، أَعزه الله ، بخلال ما يعود جواب الطَّاغية بما كتبناه فى ذلك الجَفْن إليه ، وعرضنا فى

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ؛ وفى الملكية (الإلحاف) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (وإقالة) .
(٣) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .
(٤) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، وفى المخطوطين (الإخوان) والأولى أرجح .

قضيته عليه ، ليرجع إليكم فى المسئلة بجواب يَحْصُل به الإنجاز الصَّريح ، أو اليأس المُريح ، وأخذنا فى القضية بما يوجب الحُبُّ الخالص ، والاعتقاد الصحيح ، وآب أَرْسَالُنا ، وقد عقدوا الصلح ببركة نيتكم التى هى للإسلام عُدَّة ، وملجأ الإسلام كلما نالَتْه شِدَّة ، وأحكموا شُروطَه على ما جرت به العوائِد القديمة ، [وتوخِّيها فى تَثَبُّتها الطرق القويمة] (١) وصدر من سلطانهمْ (٢) فى قضية الجَفْن المذكور كتابه الذى وجَّهنا إليكم صحبة هذا الكتاب ، بعد أن أَمرنا بشرح ما تضمنه ، ووقفنا على ما أعلنه ، وأحوال النَّصرى معروفة ، وأُمورهم فى هذا الباب موصوفة ، ولكم عند الله خَلَفٌ فى كل مفقود ، وإذا سلمتم فلا خوف بفضل الله من مكروه ولا فايت ومردود ، والله تعالى يعرفكم عوارف إحسانه الموجود ، ولطفه الذى ظَهَرت حكمتُه فى الوجود ، ويظفركم من مَرْضِى خير الدنيا والآخرة بالغَرَض المقصود . هذا ما عندنا شرحناه إليكم [وأَوضحناه لديكم] (٣) ورسولكم الشيخ الأَجل أَبو العباس الحصَّار أعزه الله ، يشرح لكم جزئيات الأُمور شرح المعاين المشاهد ، ويَسْتَوفى لكم منها كلَّ شارد . وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقامُ الذى بنيَّته الصالحة ، تَجرى الأُمور على أَفضل مُعتادها ، وبيُمن نقيبته تُسْفِر السعود عن وجوه إسعادها ، وببَركة دولته تُوضح الأَيام مذاهب صلاحها وسدادها ، وفى ميدان جُوده ، تركض جياد الأَمل إلى أَقصى آمادها . مقامُ محل أَخينا الذى له القَدْرُ الرفيع ، والمكارم التى راق منها الصَّنيع ، والفواضل التى مُقدِّماتها عند الله سبحانه لا تضيع ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن

(١) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .
(٢) وردت فى المخطوطين (سلطانكم) ، والتصويب من الفاتيكانه .
(٣) واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الملكية .

السلطان الكذا ، أبقاه الله عاليةً أعلامُه ، موسومةً باليمن والأمان أيامُه ، كريماً عَهْدُه فى الله وذِمامه ، مُيسَّراً من فضله سبحانه قصدُه البرِّ ومرامه ، جارياً بما يرضى الله ، حَرْبُه وسَلْمه ونقضه وإبرامه ، حتى يَنْتَشر فى الخافقين ثناؤه ، كالزَّهر فُضَّ كِمامه ، وتَرد الآمال مورد جوده ضافية جِمامه ، وتوسى[1] بعلاج عزمه فى هذا الدِّين ولو بعد حين كلامه ، معظَّم مقامه الذى تعظيمه فرضٌ أكيد ، وموقَّر كماله الذى ظل أفضاله مديد ، المتجمل من التشيُّع فيه بلباس إخلاص تَخْلُق ملابس الدهر وهو جَدِيد ، المُثْنَى على مكارمه التى توالت لدينا وانْثالت والمزارُ بعيد ، وسَفَرت عن وجوه الرَّجا والوقت شديد ، المعتدُّ بوده اعتداداً ما عليه مزيد . الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد إسمعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم برٌّ عميم يخصُّ مقامكم الأعلى ومثابتكم الفضلى[2] ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حَمْدِ الله مُيَسِّر المصاعب ، وموضِّح المقاصد بعد انْبِهامها والمذاهب ، ومعرِّف أهل هذا القطر الغريب عوارف الصُّنع العجيب ، بيُمن مقامكم الرَّفيع الجانب ، حتى تنام عيونه فى كَنَفِ أفضالكم الدائِم الذَّائِب ، وتصبح ظنونه آمنة من النَّوائِب ، وتجرى أمورُه من التمهيد والنظر السديد على السبيل اللاَّحب . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الحاشِرُ العاقِبُ ، المُجتَبَى من ذرِّية لؤى بن غالب ، الذى جلى بنوره الحق قِطَع الغياهب ، ووصل أسباب الوُدِّ فى الله بين الشاهد من أمته والغائِب . والرضا عن آله وصحبه أولى المفاخر والمناقب ، الذين عَمَروا فى طاعة الله وطاعته صفوف الحروب وصفوف المحارب ، وكانوا لأُمَّته من بعده كالنجوم الثواقب . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لملككم أعلى صلاح العواقب ، وأَطْلَع كواكب سعده [فى أعْلى][3] المراقى وأسعد المراقب .

(١) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (توسى) .
(٢) زائدة فى الفاتيكانه .
(٣) وردت فى الإسكوريال (صرح) ، والتصويب من الملكية .

من حمراء غَرْناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه إلاَّ الخير الذى تبنيت ببركة نيتكم أحواله ، فأنتم عُقْدة الإسلام وثِمالُه ، وفى ميدان فضائِلكم العميمة ومكارمكم الحديثة والقديمة ، تَمْرحُ آماله ، وباتصال اليد بسلطانكم الأسعد ، تنجح أعماله وترفُّ ظلاله ، وعندنا من التشيُّع الصافى ولاؤُه[1] ، المنزهة عن الريب خِلالُه ، ما لا يزال متصلاً دَوَامه ، دائِماً اتصاله ، شاهدة به بُكَر الزمان وآصاله . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم . فإنَّا بحسب الوداد الصريح ، والاعتقاد الصحيح ، نودُّ أن لا يمر لنا يوم إلاَّ عن مخاطبة نوردها عليكم ، ومراسلة نتعرَّف بها ما اسْتَقَرَّ من فضل الله لديكم ، وقد كُنَّا فى متقدَّم التاريخ عرَّفنا مقامكم بما شرعنا فيه من محاولة الْهُدْنة ، التى تأْخذ فيه العزائِم مأْخَذَ اعتدادها ، وتنامُ العيون بعد إنْضائها فى الجهاد وإجهادها ، فأُخذنا فى ذلك بمعونة الله أكمل الأَخذ وأتمه ، وأمضينا بعزِّ مظاهرتكم الكريمة حُكْمه ، فإن [جهتكم هى الْعُدَّة][2] التى تتَسنَّى بها فى العدوِّ الآراب ، وتتأَتَّى الصَّنائِع العجائِب واللطائِف الْغُراب ، وآب أرسَالُنا من إشبيليه ، أعادها الله ، وقد عَقَدْنا[3] السِّلم وعقدُوها ، وأخذوا المواثيق وأكَّدوها ، على الشروط التى تَصِلكم نسخة من عَقْدها صُحبة هذا الكتاب ، وضمنَّا عنكم [إمضاءكم][4] لما عقدناه على جهتكم العَلِيّة ، ووصول كتاب كريم منكم بما يكون فيه خلاص القضية . وهذه الهدنة من يُمن مُلْكِكم الأصيل محسُوبَة ، وإلى ديوان سعادتكم مَنْسُوبة ، والرجا فى فضل الله أن تَتَمَهَّد فيها أيامكم الفاضلة ، وتستكثر من عُدَّة الجهاد فى مدتها دولتكم العادلة ، وتكون اليد عن استكمالها بخير وعافية ، إن شاء الله مُجْتَمعة ، والعزائِم إلى ما يرضى الله من العمل الصالح مسرعة ، لتضربوا فى جهاد العدو

(١) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الملكية ، وفى الفاتيكانه (زلاله) .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الفاتيكانه ، ومكانها بياض فى المخطوطين .
(٣) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (احكموا) .
(٤) واردة فى الفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

بأَعلى الْقِداح ، وتأْخذوا بأَوفر حظ ناله لسلفكم الكريم من هذه الأَرباح . أَعانكم الله وأَيَّدكم ، وأَعْلَى على أَعدائِه بَدَكم . وجوابكم العلى مرتقب بإمضاء ما ذُكر فى الشروط ، والإذن فى إعمال تلك الرُّبوط . هذا ما زاد عندنا طَالَعنا به مقامكم الأَسْمَى ، ومثابَتكم العظمى ، عملاً بما يجب ، وإبداءً لوجوه البر التى لا تَحْتَجِب . والله يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى أُبوَّتُه مرعيَّة الحقوق ، وآثار فضله متلُوَّة مع الغُروب والشُّروق ، وقواعد وُدِّه لا تعارَض بالفروق . مقامُ محل أَبينا ، الذى نعظِّمه ونجلُّه ، ونوجب له الحق ، الذى هو أَحق به وأَهله ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أَبقاه الله يَسْتَطْلع وجوه السعادة رائِقة ، ويتلقَّى وجوه العنايات الإلآهيات مُتَسابقة ، ويجتلى ثغورَها باسمة ، وأَفنانَها باسِقَة ، ويتقلَّدُ عقودها الرائِقة مُتَناسقة ، معظِّم مقداره ، ومُلْتزَم إجلاله وإكباره ، العارف بمآثره الكريمة وآثاره ، المُثْنى على أَصالة مُلْكه وكرمَ نِجاره ، وفضله التى ثبتت صحائِح[1] أَخباره ، ثنا الروض على واكِفات أَمطاره . الأَمير عبد الله يوسف بن أَمير المسلمين أَبى الوليد إسمعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب بَرٌّ عَميم يخص مقامكم الأَعلى ، وأُبوتكم الفُضْلى ، ورحمة الله وبركاته .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله ولىِّ المحامِد على اختلافها ، ومستحقِّها على تباين أَصنافها ، مُسْنى أَسباب السعادة ومُيَسِّر استئِنافها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد المنتخب فى لُباب العرب ما بين بنى زَهْرَتها وبنى كِلابها[2] ممهِّد الأَرض بالدعوة الحنيفية ، عند اضطراب أَكنافها ، والرضا عن آله وصحبه وأَنصاره وحِزْبه ، سادةِ الأُمة

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (صحاح) .
(٢) فى الفاتيكانه (وعبدمنافها) .

وأشرافِها . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً أسبابه وثيقة مُبْرمة ، وعزًّا آياته ثابتة محكمة . من حمراءِ غَرْناطة حرسها الله . ولا زائِد بفضل الله سبحانه ، وبركة سيِّدنا ومولانا محمد [صلى الله عليه وسلم][1] الذى رفع قدره وأعلى شأْنه ، ثم بما عندنا من الاعتقاد الجميل فى مقامكم ، أسعد الله سلطانه ، إلاَّ الخَيْر المُنْهَمل السَّحاب ، والْيُسْر المُفَتَّح الأَبواب ، والصُّنع الكَفيل بنَيْل الآراب . ونحن نعتدُّ بنيتكم الصالحة فى تَكْييف الأَلطاف ، وتيَسُّر الأَسباب ، ونصل الثَّنا على مجدكم الرفيع الجَناب ، ونُمحِض لكم من الْوُدِّ الخالص والحب اللُّبابَ ، ما تُرجى عليه إثابة العزيز الوهَّاب ، ونعترف بما لكم من المكارم الجَلائِل والفواضِل الرِّغاب ، عندنا من ذلك ، ما لا تُحيله الأَيام ، ولا تُبليه الأَحقاب . وإلى هذا وصَلَ الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا وإن حالت بيننا البِحار المُتَرامية ، والمراحل القاصِية ، لو استطعنا أَن نجعل المخاطبة سبباً موصولاً ، والمكاتبة لا تنفصل آخِرتُها عن الأُولى ، لم نقدِّم عملاً على ذلك ، ولا تَوَرعنا عن سلوك هذه المسالك ، وأَننا خاطبنا مقامَكم الكريم فى هذه الأَيام القريبة مع خديمكم المكرَّم المبرور أَبى عبد الله[2] الجَزِيرى حفظه الله ، مراجعة عن كتابكم الرَّفيع المقدار ، وإلماعاً ببعض الأَخبار ، وتقريراً للوُدِّ الكريم الإعلان والإسْرار ، ولم يتزيَّد بعده ما يحمل على الإسراع بالتعريف والبدار . غير أَن الحال بصَدَد الصلاح والاستقرار ، والقلوب تَسْتَرْوح من الله سبحانه نَسِيم الاسْتِبْشار ، ونَرْتَقب ما وَعَد به الدِّين الحنيف من الإظهار ، فالفرج مُوَكَّل[3] بالشدَّة ، والْجَبْرُ موكَّل بالانكسار ، والآمال قد أَشرقت آفاقُها من بعد الاعْتِكار ، بما يُتَوقع من اتصال

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية وساقطة فى الإسكوريال ، وفى الفاتيكانه (رسوله) .

(٢) مكانها بياض فى المخطوطين .

(٣) فى الفاتيكانه (مولع) .

شَتات الكفار ، واشْتِعال الفتنة بين أهل النار ، وذلك أن العلجة[١] التى كانت خاصَّة صاحب قَشْتالة الهالك، على ما كانت عليه من الشِّقاف وأولادِها وقرابَتِها ، قد شَبُّوا نار الخلاف ، والوُحْشة بينهم وبين سلطانهم مُقْتَبِلة ، وأسباب القطيعة بينهم[٢] متَّصِلة ، وسلطانهم يجتهد فى مصالحتهم الحيل ، ويروم مصالحة ما أصاب كلمة النصرانية من الْعِلَل ، وعسى الله أن يجعل بأسهم بينهم شديداً، ويُضْفى على الإسلام ظل عنايته مديداً بفضله. ولم يمنع من لدينا من أرسالكم الجلَّة الأُثرا الفُضَلاَ المبرورين خديمكم[٣] أبى بكر بن موسى ، والفقيه أبى العباس الحصَّار، والقائِد أبى إسحق بن الحاج ، وصل الله عزتهم ووالى مَبرَّتهم من القدوم على بابكم ، واللحاق بخدمة ركابكم . إلا أن الأنواء فى هذه الأيام شديدة الإلحاح ، والآفاق غاصَّة بالأمطار الهامِيةِ والرِّياح . وأسباب السفر متعذرة مع المساء، والإصْباح. وإذا منَّ الله سبحانه بانْجِلا الأَنْواء ، واستقامة حال الهوا ، فنحن ننظر لهم ، ولمن بالمريَّة حرسها الله ، من خدامكم ما يسافرون إليكم فيه ، ويَحْملُ كلا منهم على ما يرضيه ، عملاً بما تُوجبه مبرَّة الأُبوة الكريمة وتَقْضَيه . والله المسئول أن يقضى خير ما يقضيه ، ويحرس مقامَكم الباهِرَة معاليه . هذا ما عندنا بادَرنا به أعلامكم ، وأخبرنا به مَقَامَكم ، والله سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى تكفَّل فضله بتَيْسِير الأغراض ، وضَمَن مُلْكُه للإسْلام صلاح الأحوال ، وشفاء الأمراض ، وتبرأت مذاهب مجده عن شُبَه الأعراض ، وحَسَدَت أنفاس الثنا على معاليه أنفاس الرِّياض. مقام محل أخينا الذى نَجْتَلى على الأحيان

---

(١) هكذا فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (العجلة) وهو تحريف .

(٢) فى الفاتيكانه (لديهم) .

(٣) زائدة فى الفاتيكانه .

من برِّه وجوهاً ضاحكة مُسْفِرة ، [أو نستنشق من أُفقه الأَعلى رياح النَّصر مُبَشِّرة][1] السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ، أبقاه الله يختال فى ملابس السعد ، ويُشِد أركان المجد ، ويتكفَّل للإسلام ببلوغ القَصْد ، ويخلِّد فى صفحات الأَيام سطور الحَمْد ، معظِّمٌ سلطانه الأَعلى السالك من بره وإيجاب شكره على الطريقة المُثْلى ، المتحلِّى من أَمْحاض ودِّه ، وإجلال مجده بأَنفس ما يُتَحلَّى ، المثنى على مكارمه التى أَخبارها تُتْلى ، وأَنوارها تُجلَّى ، الأَمير عبد الله يوسف ابن أَمير المسلمين أَبى الوليد إسماعيل من فرج بن نصر . سلام كريم برٌّ عميم ، يخص مثابتكم العظمى وأُخوتكم الفضلى ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أَمَّا بعد حمد الله الذى ، فى ذاته تَزْكُو ثمرات الْوِداد ، ولدى ابتغا مَرْضاتِهِ ، تُخْلَق مواردُ الاعتقاد ، مُنْجد الإسلام على مر الأَيام ، بمظاهرة مُلْككم الرَّفيع العماد[2] . والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله . هادِى العباد إلى سبيل الرشاد ، المستولى من كمال الْخِلال وخِلال الكمال ، على أَقصى الآماد ، الذى شهد بصدقه[3] لسان الحَىِّ والجماد ، وبَهَرت أَنوار معجزاته كالصَّباح الباد ، والرضا عن آله وصحبه وعترته وحزبه ، أُولى الجدال فى نصره والجِلاد ، المدافعين عنه بالبيض الرِّقاق والسُّمر الحِداد ، حتى استقرت أَنوار دعوته راسية الأَطوار . والدعا لمقام أُخوَّتِكم الْعُظْمى بتوالى الإسعاد ، وإتصال اليُسْر الخصيب المراد . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من فضله أَجزل المواهب ، وحملكم من تَوْفيقه وتسديده على أَوضح المذاهب ، وطرَّز بنصركم على أَعدائِه صحائِف الكُتُب وصَفحات الكتائِب . وبلغ الإسلام ما يؤمِّله فيكم ، ويرجوه فى معاليكم ، من تَمْهيد الأَرجاء ، وكتبت كَفَرة الأَعداء ، وتكييف الصَّنائِع العجائِب .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد بالإسكوريال والملكية ، وساقط فى الفاتيكانه .
(٢) فى الفاتيكانه (المقداما) .
(٣) فى الفاتيكانه (بفضله) .

من حمراءِ غَرْناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله سلطانه ، ومهَّد بالخير العاجل والآجل أوطانه ، إلاَّ وُدٌّ يستحكم سببه ، وتشيُّع يتضح مذهبه ، واعتقاد سما عمادُه ، وانفسحت طنَبُه ، وولاءٌ ثبت فى شجرة الخلوص نسبه . وإلى هذا أيَّد الله أمركم ، وأعز نصركم ، فإننا ورد على بابنا خديمكم الشيخ الفقيه الخطيب ، الأَفضل الأَرضى ، العابد المجاهد الأَمضى ، المبرور ، أَبو العباس بن الخطيب ، وصَل الله كرامَته ، وسنَّى سلامته ، فألْقى إلينا مشافهة من جميل اعتقادكم ، وكريم وِدادكم ، ما لو اجتهدت الأَقلام فى تَنْميقه ، وثابرت الكتب على تحصيله وتحقيقه ، لم تجد مزيداً عليه ، ولا فضلت ما لديه ، وبالغ فى تقرير ما لديكم بهذه الجهات من العناية بأَحوالها ، والتحقيق لآمالها ، والنِّيَّة الخالصة لله فى جهاد أَعدائها ، وتَمهيد رحابها . فحمدنا الله ما وهبنا من وُدِّكم ، وعلمنا أَن نيَّة الجهاد كفيلة لكم فى الدارين ببلوغ قصدكم ، وما أَعمالكم ، والحمد لله ، منذ أَقامكم الله ذلك المقام ، إلَّا مُتَسابقة ، فى النظر لها متوالية ، ولا همَّتكم فى العناية بها إلَّا عالية ، أَعانكم الله على ما يُعظِّم لكم الأَجر ، ويُخلِّد الفخر . وقد أَلقينا إليه من شكر أَفضالكم ، والثناءِ على جلالكم ، ما نرجو أَن يقوم فيه أَحْسَن القيام ، ويعمل فيه عمل مثله من سُراة الخدَّام ، وإن كان ما أَلقيناه إليه تعجز عنه فصول الكلام ، وألسنة الأَقلام . وتلاحق بنا أَيام مقامه لدينا رسولُكم ، والقائد الأَجل خديمنا أَبو عبد الله بن غَرُّون ، أَعزه الله ، وأَوصل إلينا كتابكم متضمناً ما سناه الله لكم من مساعدة الأَيام ، وتَيْسِير المرام ، واستصحب أَيضاً ما عقدنا على مَقامكم فى صُلْح الْعَدُو من الأَحكام ، فحصل الغرض المطلوب ، واستَبْشَرت بتمام الصلح القُلوب ، وما زال مُلْكُكم ، حفظ الله معاليه ، وشكر مكارمه المتوالية ، يتمم لهذه البلاد المصالح ويُوفيها ، ويَسْلُك بها سُبَل الخير ويَقْتَفيها ، ويثابر على الأَعمال التى يرضى الله فيها ، فَيَلى فضائلكم المترادفة ، فضلُ الشكر ، وتوجب

البر، أبِمَلْفُوظها أم بمكتوبها ، أعاننا الله على القيام بوجوبها ، وما عندنا ما نعرفكم به إلاَّ الخير الذى يُرجى بمظاهرتكم اتِّصاله ، واليُسر الممتدة ظلاله . وعندنا من القيام بحقكم الواجب ، والثناء على محلكم الرَّفيع الجانب ، مالا يزال متصل الدوام، باقياً على الأيام . والله تعالى يقضى على يديكم بعز الإسلام ، ويصل لكم من عنايته كل وافر الأقسام بفضله ، وهو سبحانه وتعالى يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن ذلك

المقامُ الذى حقوق برِّه موفاةٌ مؤداة ، وواجبات شكره مُقدَّمات مبداة ، وأخبار عصمته تحفُّ هُداه . مقام محل والدنا الذى نعظِّمه ونكبِّره ، ونجلُّه ونوقِّره ، ونعترف بماله من المجد الزاكى عنصره، والفضل الكريم أثرهُ[1] السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا . أبقاه الله ، ومساعيه فى الله ناصحة ، ومعاليه باقية صالحة ، وغُرَر مآثره مشرقةٌ واضحة ، وآيات سَعادته لمعانى العناية الإلَهية شارحة[2] . معظَّم سلطانه الرفيع الجلالة ، والْمُثْنى على فضائِله الْمُنْثَالة ، ومكارمه التى يقصر عنها لسان الإطالة ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم ، طيب بر عميم يخص مقامكم الأسمى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مُيَسِّر الألطاف الخافِية ، ومحوِّل المواهب الوافرة الوافية ، ومانح العِصم الكافلة الكافية ، وجاعلُ العاقبة للتَّقوى ، إسباغاً للنِّعم الضَّافية ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، ذى الدعوة الهادية ، والمعجزات الظاهرة البادية [والدرجة الرَّفيعة العالية ، والبَرَكة المترادفة المتوالية][3] والرضا

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (أمره) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (سارحة) .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى الإسكوريال ، وساقط فى الملكية .

عن آله وصحبه ، أُولى الآثار[1] الصالحة الباقِية ، والْهِمَمَ السَّامية الراقية ، والدُّعاء لمقامكم الأَسْمَى بنُجْح الأَعمال الرَّاضية ، ونَصْر العزائم الصادقة ، فى جهاد العدو الماضية ، والصَّنائع التى تُسْفِر عن وجود الْيُسْر والعافية . فإنَّا كتبناهُ إليكم ، كتَبَ الله لكم سعداً واضح السِّمات ، وصُنْعاً يتكفل بدَرْءِ الشدائِد ورفع الأَزمات .

من حمراء غَرْناطة حرسَها الله ، ولا زائِد بفضل الله جل وتعالى ، وآلائِه التى لم تزل تَتَرادف وتَتَوالى إلاَّ الخير الكامل ، والْيُسْر الشَّامل ، والفضل الذى تُقْضى به الحاج ، وتُنال المآمِلْ[2] ، والحمد لله كثيراً كما هو أَهله ، فلا فَضْل إلاَّ فَضْله . وعندنا لمقامكم الأَسْمَى تشيُّع ثابتةٌ أَركانُه ، ووُدٌّ جديد على بِلَى الجديدين رَيْعَانه ، وخلوصٌ لا تغيره حوادث الدهر وإيوانه . وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، فإننا فى هذه الأَيام ، أَجَبْنا مقامكم الكريم عن فصول الكتابَيْن الواردين علينا ، الْمُهْدِيَيْن تَحُف أَنبائِكم السَّارة إلينا ، المتأَدِيَيْن على يدى خديميكم الشيخ الأَجل المكرم المبرور أَبى بكر بن موسى وأَبى عبد الله الجَزيرى ، أَعزهما الله فى خطاب آب به أَبو عبد الله الجزيرى المذكور إلى بابكم ، وتوجه إلى ، جنابكم ، إلَّا ما كان من مُضْمن المدرَجْ فى شأْن الغَرْقُورة ، فإننا أَرجَأْنا جوابه خلال ما يتجه لنا فى ذلك نَظَرٌ يعمل أَو وجه لا يُهمل . وظهر لنا الآن[3] أَن وجَّهْنا إلى سلطان قَشْتَالة قريبنا الريس الأَجل أَبا جعفر بن نصر ، وصاحب ترجمتنا ، وصل الله كرامتهما ، ويسَّر سلامتهما . لِيُلْقيا إليه فى شأْن ما جرا على أَبيه من هلاكه ، وما تصَيَّر إليه من ميراث ملكه ، مالا ينكر بين الملوك تردُّدُه ، ولا يُجْهل فى أَبواب التدبير مَقْصِده ، وجعلنا قضِيَّة الغَرْقُورة

---

(١) وردت فى المخطوطين (الأثر) والتصويب أنسب للسياق .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المنال) .
(٣) زائدة فى الإسكوريال .

الغرض المقدَّم ، والسبيل المتمِّم ، وكتبنا إلى صاحب قشتالة فى هذه القضية كتاباً يصلكم نسختُه طَىَّ كتابنا هذا ، لتكونوا على علم من فصوله ، واطلاع على فروع هذا الحال وأصوله ، وأَذِنَّا للشيخين الأَجلَّين رسُوليكم الوافدين علينا ، والواصلين إلينا ، الخديم الأَجل أَبى بكر بن موسى ، والقائد أَبى سالم بن الحاج أَعزَّهما الله فى اللحاق بمقامكم الأَسْنَى ، والقدوم على أَبوتكم العظمى ، لكونهما ممن لهما فى الحركة بين يديكم غِنًا ، ومذاهب سبيلهما فى الخدمة سوا ، وأَمسكنا ثالثهما الفقيه أَبا العبَّاس الحصَّار حفظه الله لا يعدمه بحول الله مبرَّة ولا اعْتِنا ، حتى يقف من جواب الطاغية على ما يكون فيه إعلام لكم وإنبا ، أَطلَع الله تعالى من الأَمر كله ، على ما يكون فيه لاعْتِلال الأَيام شفاً ، ولدِين الله ظهوراً واعْتِلا ، ولعوائِده سبحانه اتِّصال وولا . هذا ما عندنا خاطبنا به مقامكم العِلِىِّ ، وصل الله أَسباب سعده ، وحرس أَكْنَاف مجده . وهو سبحانه يصل لديكم مواهب آلائِه ، ويشملكم بمواهب نَعْمائِه ، ويوفِّر حظَّكم من اعتنائِه . والسلام الكريم يخص مقامكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى شَأْوُ مجده فسيح المدا ، وتتراكض فيه جياد البَاس والنَّدا ، وأَخبار فَخْره ، يَرْوِى صحائِفَها كلُّ من راح وغَدا . ونيَّته فى نَصْر الإسلام يعرِّفه عوارف النِّعم الجسام يوماً وغدا . مقام محل أَخينا الذى مقاصـــد وُدِّه سافرة الغُرَر ، وآيات مجده خالدة الأَثر ، ومكارمه هامِيَة الدُّرر ، ومواعيد نصره على أَعداءِ الإسلام ، يتشوف الدِّين إلى مِيقاتها المُنْتَظر[1] ، ورايات جلالته لا تُوَنى[2] من ضعف الخبر ، وصنايعه فى سبيل الله ، يرفل الإسلام منها فى رايق الحبر .

---

(١) واردة فى المخطوطين . وساقطة فى الفاتيكانه .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (توتى) .

السلطان الكذا بن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله عالى المجد ، كريم القصد ، رافلا فى حُلَل الفخر والسعد ، معظَّم مقامه السَّامى المصـــاعد ، المثنى على مجده الأَثِيل[1] القواعد ، ووُدُّه العذب الموارد ، وفضله الواضح الشواهد ، الأَمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أَبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم بَرٌّ عميم ، يخص أُخوتكم الفاضلة ، ومملكتكم الحافلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله ، ولىِّ الحمد وأهله ، الذى تخلص المودات الصـــادقة من أَجله ، ويُسْتعان بحوله وقوته فى الأَمر كله ، فلا يخيب من اعتمد على كرمه ، أَو عوَّل على فضله ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، خيرة أَنبيائه ، وخاتم رسله ، الذى نَـأْوِى عند الفَزَع الأَكبر إلى ظلِّه ، ونَرْتَجى النجاة فى التمسك بحبله ، ونستجير بجاهه على شدائد الدهر وأَزَلِه ، ونتوسَّل إلى الله بعزَّة قَدْره لديه ورفْعة محله ، فنَسْلُك من الإِسْعاد على أَوضح سُبُله ، والرضا عن آله وصحبه وعِتْرَته وأَهله ، المقتدين به فى قَوْله الكريم وفِعْله . فإِنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من عنايته أَوْفَى الحظوظ والأَقسام ، وعرَّفكم عوارف الآلاء الجسام ، وأَنْجَح [فى نصركم][2] عَلى أَعدائه الكافرين ، أَمَلَ أَهل الإِسلام ، حتى ترتسم [حسنات جهادكم][3] فى صحف الأَيام .

من حمراء غَرْناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضـــل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من الاعْتِداد بمقامكم الأَسمى ، مَهَّدَ الله سلطانه ، إلاَّ الخير المديد الرِّواق ، والصُّنع الباهر الإِشراق ، والأَمْن المُنْسَحب على الآفاق ، وتشيُّعُنا إلى مَثابتكم العليَّة محكم الميثاق ، ومَوْرد ثنائِنا على مكارمكم السَّنية عَذْبُ المذاق ، ولا نزال نجتلى

---

(١) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (الأصيل) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانه (قصدكم) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال والفاتيكانه ، ومكانها فى الملكية (حسناتكم) .

من مخاطباتكم البرَّة أزهار البيان ، من فوق الأوراق ، ونقْتَنى من أنفاسها إثْمِد الأحداق ، ونثنى بما خولكم الله تعالى من المجد الذى أحرزتموه بالاستحقاق ، وجَرَيْتم فيه جَرْى الجياد على الأعراق . وإلى هذا أيَّدكم الله بالنصر على أعدائه ، وعرَّفكم عوارف العناية الإلهية[1] فى مختتم كل أمر وابتدائه[2] . فإننا ورد علينا كتابكم السَّافرة عن مُحيَّا الدِّين فصوله ، القائمة على كريم العهد أُصوله ، الناطق بلسان الفضل المبين محصوله ، اجْتَنَينا منه روضةً نمت صَوادح البرِّ بأفنانها ، وحُلَّة نَمَّ طيب الخُلوص من أرْدانها ، تعرِّفون بما كان من وجهتكم التى اتخذتم فيها الحَزْمَ طريقاً ، والعزم مُصاحباً ورفيقاً ، والتوكل على الله سبحانه قبيلاً وفريقاً[3] ، وإنَّ ركابَكم لم يلو على من تَلوَّم ، وطَرْق عزمكم ما اغْضَى ولا هوَّم . فلم تقفكم الأطْواد ، وقد سَمَتْ صَياصِيها [وشابت بالثَّلج نواصِيها ، حتى ألحقتم أدَانِيها بأقَاصِيها[4] ، وحَلَلْتُم بسِجِلْماسة ، حلول الإصْراخ والبدار ، والمعاجلة[5] المُسْقِطة للأعذار ، وطَلَعتم بآفاقها طُلُوع النهار ، وأعدتموها إلى ما كانت عليه من التَّمهيد والقرار ، ووَفَد بها عليكم من سَمَّيتم من الأشياخ الكبار ، ووُجُوه القبائِل الأحرار ، على اختلاف الصِّفات ، وتبايُن الأقدار ، وأنهم وردُوا من قبولكم على أعْذَب المشارب ، وشملهم صفح مقامكم الرفيع الجانب ، وانتظموا فيمن حفَّ بكم من الجيوش والكَتَائِب ، وأنتم صرفتم إلى الأحْواز المَرَّاكُشية صُدور الرَّكائب ، وشرعتم فى صلة العزم الدَّائِب . واستوفينا ما قرره مقامُكم الأعلى بمقتضى الْوُدِّ الكريم الواضح المذاهب ، ورأينا أن الذى يحمل أُخوتكم

---

(١) زائدة فى الفاتيكانه .

(٢) هكذا فى المخطوطين ، وفى الفاتيكانة (وانتهائه) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والفاتيكانه ، وفى الملكية (رفيقاً) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد فى المخطوطين ، وساقط فى الفاتيكانه .

(٥) هكذا وردت فى الفاتيكانه ، وفى المخطوطين (المعاملة) والأولى أرجح .

الكريمة على تعريفنا بجزئيات أحوالها فى مُقامها الرفيع وارتحالها ، على انْتِزاح[١] حلالها ، [وشواغل جلالها][٢] إنما هو الود الذى زَكَتْ شهُوده ، وثَبَتَتْ عقوده ، وعَذُب فى الله ورُوده ، فأطلقنا فى الثناء على مقامكم أَعِنَّة اللِّسان ، وأطْنبْنا فى ذكر فواضلكم العميمة ، ومقاصدكم الحِسان ، وقلنا نعم الوُدِّ الذى أصبح على مَرْضاة الله قائم البُنْيان ، فلو استعرنا لسان بديع الزَّمان ، وغيره من فرسان البيان ، لما وفَّيْنا بعض شكركم الفَسِيح الميدان ، الكريم الأثر والعِيان . واعلموا أن ذلك القطر ، وصَلَ الله له ، عوائِد التَّمهيد ، وعرَّفه عارفَة اليُمن المديد ، إذا سكن زلْزاله ، وحسُنت عواقبه . وكرُم مالُه ، وصلُحت باجتماع الكلمة أحواله ، عادت على بلادنا عوائِد الأمان ، وأغْضَى عن هذا القطر جَفْنُ الزمان ، وعلم العدوُّ أن ناصر الإسلام ، يمكنه الدِّفاع عن أرجائِه ، والتفرغ إلى تَيْسِير رجائِه ، مع الأحيان ، فمن الله سبحانه ، نسل أن يعرِّفنا من تلك الجهات العليَّة المؤمَّلة ، ما يكون فيه سُكون الأقطار ، وتمهيد الدِّيار ، والصُّنع الْكَفيل بعز الإسلام ، وتَبار الكفار . وأمّا ما لدينا من الاعْتِداد بمقامكم العلىِّ المقدار ، والثناء على فضلكم[٣] المتألِّق الأنوار ، فشىءٌ تضيق عنه ألسنة الأقلام ، وبُطُون الأسفار ، فواصلوا تعريفَنا بما يتزيَّد لديكم ، ويتجدَّد من الأُمور عليكم ، يكون ذلك صِلَةً لما عودتم من مكارمكم الفائِقة[٤] وفواضلكم السابقة[٥] . والله تعالى يشكر مجدكم ، ويبلِّغكم من نصر الإسلام والمسلمين قصدكم بمنه ، والسلام الكريم يخصكم ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقامُ الذى وسع [الأُمَّتين][٦] عدلُه وإحسانُه ، وتكفَّل بجَبْر القلوب

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (امتزاج) .
(٢) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الفاتيكانه ، ومكانها بياض فى الملكية .
(٣) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية والفاتيكانه (أفضالكم) .
(٤) فى الفاتيكانه (البالغة) .
(٥) فى الفاتيكانه (السابغة) .
(٦) مكانها بياض فى المخطوطين ، والتكملة من « كناسة الدكان » .

وتَيْسير الأَمل المطلوب عمله ولسانه ، واشتمل على المكارم المتعدِّدة شأْنه ، وقام على الفضل المُبين ، والمآثر الرَّائقةِ الجبين برهانه ، مقام محل أَخينا الذى حُكْمه عدل ، وشيمتُه مجد وفضل ، ومُلْكه لنصر الله إياه أَهَّل ، وحقوقه على أَهل[1] الإسلام لا يصْدَعُها جهل، وسَيْل مكارمه لا حبٌّ سهل . السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، أَبقاه الله ، مخوَّلاً من التوفيق أَسْنَى المواهب ، سالِكاً نظره فى السَّداد أَوضح المذاهب ، متعمِّداً جوانب الإسلام بأَلْطَافه العجائِب ، ذاخراً من نصره إياه جيوش عزم ، تَسِير أَمام الكتائِب ، صارفاً إليه من وجوه سياسته ، ما يقضى بحفظ الشَّاهد منه والغائِب ، معظَّمٌ مقداره الذى فاق الأَقْدار ، ووضُح فضله فأَشْبَه النهار ، وموقَّر ملكه الذى حاز الفخار ، وعَمَّ فضله الأَقطار فلان . .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله الذى آلاؤه العميمة لا يقلع مِدْرارها ، وألطافُه الخفيَّة لا تَلْتَبس آثارها ، وعناياته بمن وقف عليه رجاؤه تُشْرق أَنوارها ، الذى أَقامكم لنصر كلمة الإسلام ، ليحمى ذِمارها ، ويَعْلُو مَنارها ، فآراؤكم له تتعدى السَّداد أَنظارُها ، وعزائمكم تنتظر مقطع الوفا شِفارُها ، ومكارمكم تعبٌّ فى سبيل الله بحارُها . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، وسيلتُنا الذى عَظُم عند الله مقدارُها ، وعُمْدتنا التى فى التَّعويل على شفاعته من هذه الأُمة استِبْصارُها ، وملجأُها الذى تمدُّ إليه أَيديَها وأَبصَارَها . والرضا عن آله وصحبه ، شموسِ سماءِ الدَّعوة الحنيفيَّة وأَقمارها ، الذين كانوا غُيوثاً تُسْتَسْقى أَمطارُها ، وليوثاً يُرْهَب زأْرها ، وأَعلاماً تمهِّد سنن الاقتداءِ أَخبارُها . والدعاءِ لإِيالتِكم العُليا بالعزِّ الذى تَعْمُر به أَقطارُها ، والسَّعد الذى يتسنَّى به أَوطارُها . فإِنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عناية تُكَرَّم أَسرارها ، وسعادة تُجنى فى سبيل الله ثمارُها .

---

(١) زائدة فى الفاتيكانه .

من حمراء غَرْناطة ، حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله سبحانه . إلاَّ الخير المُنْسحب البرود ، واليُسر المنتظم العُقود . والحمد لله . ونحن نعتمد من مقامكم على الظلِّ الممدود ، والمَوْرد المقصود . وإلى هذا وَصَل الله لكم أسباب السعود وإنجاز الوعود ، فإننا وصلنا كتابكم يسطع أَرَجُه نَشْراً ، وتزفُّ عزتُه بِشراً ، تعرِّفون بما كان من لحاق الشيخ أبي زكريا يحيى بن رحُّو ، بمثابتكم العليَّة وشرحِه ما انتَهى إليه عمله فى تلك القضيَّة ، ووقوفه عند مذاهب العَـدْل المرضيَّة ، وما ظهر لكم من شمائِل الأُمة النَّصرانية ، من دَغَل الطويَّة ، والحيدة عن المذاهب الجليَّة ، وإنكم آثرتم الحق طريقاً ، وارتضيتم العدل فى جَنْب العدوَّ صديقاً ، وأُمرتم بخلاصهم من الشِّكايات التى تَقْتَضى عليها إيمانهم ، وطلبتم بما يثبت للمُسْلمين بمثل ذلك مما يقتضيه ضمانهم ، وتَوْجيه من يُباشر هذا الغرض ، الذى تفضلتم بإبرام عَقْده ، وإتمام قصده ، فقابلنا هذه المقاصد الكريمة ، التى لم تدَعْ سبيلا فى الوفا إلَّا نهجَته ، ولا مطلوباً إلا انْتَجته بالشكر الطويل المديد ، والثناء الغضِّ الجديد ، والدعاء لمقامكم بصِلَة التَّوفيق والتَّسديد ، واعلموا أيَّدكم الله ، أن النَّصرى[1] كما تقدم ، أُمَّةٌ تجادل فى الحقِّ بعد بيانه ، وتتمسَّك بالحبال الرَّثِيثَة[2] بعد وضوح بُرْهانه ، ولو كانوا على آثاره من إنصاف ، واتصفوا من الانقياد للواجب ببعض اتِّصاف ، لم يكونوا أَهْلَ باطل مُعْتَقد ، وزَيْغٍ مُنْتقد ، ولكن أَبْلَغ عدْلكم الأُمورَ مُنْتهاها ، وتمم أسباب النَّصفة ووفَّاها ، ونحن ناظرون فى تَعْيين من يباشر ما ذكرتم ، حَسْبما به أَشَرْتُم ، وعندنا من الشكر الجزيل ما يُقْصُر عنه اللسان ، ومن الثَّنا على هذه الأَغراض الكريمة مالا يُدْركه الاسْتِحْسان ، فما زالت أعمالكم فى سبيل الله كريمةُ الخَواتم والفَواتح[3] شاهدةً بما لكم عند الله

---

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الملكية والفاتيكانه (النصارى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (الدنيئة) .

(٣) هنا ينتهى مخطوط الفاتيكانه .

من التَّجر الرابح ، كافلاً الله قَصْدَكم المتكفِّل برَعْى المصالح . وإن تَشوَّقتم إلى أحوال النَّصرى ، فهى على حَسَب ما عرَّفناكم به فى كتابٍ أصدرناه إلى مقامكم قبله ، نُؤكِّد الْوُدَّ وتقرِّره ، ونَشْرَحُ من ذكر ونُفَسِّره ، وبحسَبِ ما يتزيَّد عندنا نعجِّل أعلامكم ، ونُطالع بمتزيَّده مقامكم . والله تعالى يعْمُر بالعز أيامكم ، ويبشِّر بالنصر على أعدائِه أعْلامَكم . وهو يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم . والسلام يعتمد أُخوتكم الفاضلة ، ومجادتكم الحافلة ، ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقامُ الذى يَكِل لصلاح الأُمُور نَظَره الجميل ، ويَعْدِلُها كلما همَّت أن تميل ، وتبلغ هذه . . . .[1] المُسْتَمسكة بأَسبابه القَصْد والتَّأْميل ، ويُلاحِظ من مصلحها الكثير والقليل ، ويذهب عن مَذْهب أمانها التَّأْويل والتَّعليل ، ويؤويها من جَناب رَعْيه الظلَّ الظليل ، مقام محل أَخينا الذى على وُداده الاعتماد ، وإلى جميل نَظَره الاسْتِناد ، وبه الانتصار إذا وَقَع العِناد ، ومن جهته التمهيد إذا قَلِق المهاد ، ومن تِلْقاءِ تدبيره العلاج ، إذا تطرق إلى كَوْن الهُدْنة الفَساد . فمكارمه قد وَضُحَت منها الأَشهاد ، ومفاخره يعرفها الحسام العَضْبُ والقَنا المِيَّاد ، وعزماته [يدخرها الجهاد ، وفضائله يعرفها العِباد والبلاد ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله مؤمَّل النظر ، كريم الخُبْر والخَبَرَ كفيلا][2] عدله يرعى المصلحة ودَرْءِ الضرر ، ولا زالت سعوده متألِّقة الغُرر ، ومكارمه هامِيةُ الدُّرر ، مرجوًّا للنصر المنتظر ، حميد المساعى مَرْضى السير ، محروساً مقامُه من الحوادث والغِيرَ ، معظم قدره ، ومُلْتَزم بره المطنب بملءِ اللسان فى حمده وشكره ، العارف بكبير مجده ، وأَصيل فخره . فلان .

---

(١) بياض فى المخطوطين .

(٢) بياض فى المخطوطين ، وفيما بين الخاصرتين والتكملة من « كناسة الدكان » والفاتيكانه .

أَمَّا بعد حَمْد الله المتوالى حَمْدُه ، المتوالى إنعامه ورفْدُه ، الذى جعل التواصل فى ذاته سبباً لا يُفْصم عَقْده ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد الرَّفيع قدرُه ، الكريم مجدُه ، رسول الرَّحمة الذى أَشرق بدعوته غَوْرُ المعمورة ونَجْدُه ، الداعى إلى الدِّين القَويم ، ، والصراط [المستقيم الذى لا يضِلُّ قصده ، والرِّضا عن آله وأَصحابه الذين أَنجز بنْصرهم وَعْده ، ورفعت بهم أَركان ملَّته ، بعد ما ضُمَّ عليه ضريحُه الطاهر ولَحْدُه][1] والدعاء [لمقام أُخوتكم العالية][2] بالسعد الذى لا يبلغُ حدَّه ، والنَّصر الذى يمضى فى الأَعداء حدَّه ، والتَّأْييد الإلهى الذى لا يَتَقلَّص مُمْتَده . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم سعداً باهرَ الأَنوار ، ومجداً عالى المقدار ، وصُنْعاً تجرى بمصاعدته[3] أَحكام الأَقدار ، وتتصرَّف وفق إرادته ، حركة الفَلَك الدوَّار ، وأَجْرَى مجرى أُمور هذه البلاد الغَريبة والأَقطار ، من تَدْبيركم الحميد الآثار ، ونَظَركم الجميل الأَعمال والأَخْبار ، على ما يقع من الإسلام مَوْقِع الاختيار ، ويتكفل بتأْمين الحال والدِّيار .

من حمراء غَرْناطة حرسها الله ، والاعتماد عليكم بعد الله وثيقُ السَّبب ، واضحُ[4] المذهب ، والتشيُّع لكم [كفيل الدِّين بنَيْل الأَرب][5] وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحرس مجدكم ، [فإننا إن][6] عقدنا سَلْماً عقدناهُ بريحكم التى [يحْذَرُ العدوُّ وهبوبَها][7] وإن شنَنَّا حرباً استَعَنْنا بعَزَماتكم ، التى تنال بها المِلَّةُ مطلوبها ، وإن ضمنَّا عنكم أَمراً ، صَدَق الضَّمان ، وإن وثِقْنا بكم انقاد الزَّمان ، ورأَى ما يسرُّه الإيمان . فأَحوال المسلمين فى هذا القطر ، على جَميل نظركم مُعْتَمدة ،

---

(١) بياض فى المخطوطين ، وفيما بين الخاصرتين ، والتكملة من « كناسة الدكان » والفاتيكانه .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال والفاتيكانه ، ومقابلها فى الملكية (لمقاماتكم العلية) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والملكية ، وفى الفاتيكانه (بمساعدته) .

(٤) ساقطة بالمخطوطين ، وواردة فى الفاتيكان « الكناسة » .

(٥) بياض فى المخطوطين ، فيما بين الخاصرتين ، والتكملة من « الكناسة » والفاتيكانه .

(٦) هذه العبارة ساقطة فى المخطوطين ، وواردة فى الفاتيكانه « والكناسة » .

(٧) ما بين الخاصرتين وارد فى « الكناسة » والفاتيكانه ، ومكانه بياض فى المخطوطين .

وعناياتكم فى كل يوم مُتَجدِّدة ، فكلما تُوُقِّع فى أسباب هُدنتها مرض ، عُرض منكم على الأَسَى الطَّبيب ، أو حُذِر من عدوِّها مكروه ، صَرَفت الوجوه منكم إلى الوِلِّ الحبيب ، فوجُوه لَحْظِكم سافرة على حال المَغِيب ، وهى وإن كانت بعيدةً منكم ، تُوجِبُون لها بدِينكم حقَّ الغريب ، وإن هذا الصلح الذى تسنَّى فى أيامكم وانقاد [إليه العدُّو بسَبَب][1] اعْتِزامِكم ، واتصال اليد بمقامِكم [تكاثرت فيه بين الفريقين][2] شكايات وهى إذا [تكاثرت فى النُّفوس][3] نِكايات ، وإن تُغُوفل فى حَسْم عِلَلها ، وإصلاح خَلَلِهَا ، والتنزل فيها الإنصاف ، ورفع النزاع فى سببها والاخْتِلاف ، أدَّت لانطلاق الأيدى ، ومجازات التعدِّى بالتعدِّى حتى تتقلص ظلال الهُدنة والمساهمة . وينتقل الحكم من الكلام إلى المُكالمة ، والحاجة إلى الهُدْنة ، لاخفاء بها عن مقامكم الرفيع العِماد ، إذ فى اقتضا ما عين لها الآن من الآماد ، جَبْرُ الأعداد ، وإمكان الاستعداد بخلال ما يُسْتَوفى إن شاء الله ، على المَهَل أغراض الجهاد ، وأن رسول قَشْتاله ، ردَّد إلينا الإرسال بطلب خَلاص ناسِه ما به إليه ستُظْهروا ، وقد حشدوا كثيراً من الشِّكايات ، وحضروا بين يدينا ، فألقُوا ما يختص بإيَالتِنا ، منسوباً إلى المواضع والبلاد [وما يختص بما رجع][4] لإيالَتِكم الرفيعة العماد ، وطلبوا [بالإنصاف مما تَشَبَّث][5] دعواه وخلاص كل شاكٍ من شَكواه ، فبلغنا [الجَهْد][6] فيما يرجع إلينا فى دَفْع الحُجَّة التى فيها مَدْفع ، والإتيان بما فيه مُقْنِع ، وغَرْم ما لزمنا ، واتَّجَه علينا حكمه بحسب التسديد الذى تتمشَّى به الأحوال ، ويحمد فيه بفضل الله المآل ، وقيَّدوا

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى « الكناسة » والفاتيكانه ، ومكانه بياض بالمخطوطين .
(٢) بياض فى المخطوطين فيما بين الحاصرتين والتكملة من « الكناسة » والفاتيكانه .
(٣) بياض فى المخطوطين فيما بين الحاصرتين ، والتكملة من « الكناسة » والفاتيكانه .
(٤) هذه العبارة واردة فى « الكناسة » والفاتيكانه ، ومكانها بياض بالمخطوطين .
(٥) واردة فى « الكناسة » والفاتيكانه ، ومكانها بياض فى المخطوطين .
(٦) واردة فى الكناسة والفاتيكانه ، وساقطة فى المخطوطين .

بتلك الجهة التى لجميل نظركم قضايا مقرَّرة ، ودعاوى مُفَسَّرة ، ذكرنا لكم منها فى مَدْرج كتابنا ، أشهرها عند الاعْتِبار ، وأوْلاها بالإيثار ، وسايرها كثير يقع الكلام فيه بين مُنْتحلى الْجِوَارَ من المسلمين والكُفَّار ، وتبنى الأحكام فيه على ثبوت الآثار ، ولم تجد فيها حِيلةً إلاَّ مخاطبة مقامكم الرفيع المقدار ، إذ وُجُوه خدَّامكم بهذه البلاد ، أعزَّهم الله قد تنزَّلوا من هذه [الدعاوى منزلة الخصوم][1] وطال الكلام فى المَنْطُوق [منها والمفْهُوم][2] . فنحن الآن نرغب من مقامكم الأعلى ، ومَثَابَتكم الفُضْلى ، أن يتعيَّن من بابكم ، من يَصِل لخلاص ما يجب خَلاصُه ، واستخلاص ما يحق اسْتِخْلاصه ، ممن يمضى بأمركم العلى الحقُّ حيث تعين ، ويفصل بالواجب فيما ظهر وتبيَّن ، ونعين نحن من يقوم فيما يختص بجهتنا هذا المقام ، ويعيِّن سلطان قَشْتالة من جهته من يَرُوم هذا المرام ، حتى يَرْتَفع النزاع ، ويظهر الحق الشُّعاع ، وتُسْتَأْنف الهدنة والأمان الأصقاع . فما زال مقامكم يلتَمِس لها أسباب الرِّفق ، ويُدِرُّ لها سحائب الرِّزق ، ويلتمس فى التماس صلاحها أوضح الطُّرق . وبهذا النظر الذى سألناه من علاكم تَتَمشَّى الأُمور ، وتُشْرح بالحقِّ الصدور ، ويُطلب بجميع ما للمسلمين من الشِّكايات على ما تضمنه العَهْد المنشور[2] ، والعَقْد المسْطُور ، وملك الرُّوم فى الوقت قريب الدَّار ، دانِى الجوار ، يُغْتَنم دنوُّه لخلاص هذه الأُمور ، التى يعوق عنها المطال إذا بَعُد مكانُه ، وشطَّت داره ، ونَزَحت أوطانُه ، عرضنا عليكم هذا الأمر المُهم قبل أن يختل ما عُقد ، ويَهِى ما سدد ، وأنتم أكْفَى وأكْفَل . وجميل نظركم المؤمَّل ، وعلى مقاصدكم الكريمة المعوَّل . وقد وجهنا إلى بابكم فى هذا الغرض من يشرح الأُمور فيها ، ويقرِّر المقاصد ويَسْتَوفيها ، وله بذلك دِرْبة وخِبْرة ومعرفة مستقرة ، ذلك القائِد الكذا ، ومقامكم يتفضل بالإصْغا لما يُلْقيه ، والقبول

---

(١) واردة بالفاتيكانه ، ومكانها بياض فى المخطوطين والتكملة من « الكناسة » .

(٢) فى الفاتيكانه (المأثور) .

لما يُؤديه . والله تعالى يبقى مقامكم ساميةً معاليه ، عائداً بجميل نظره بالخير على من يواليه . والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقامُ الذى تبادر بالمتزيِّدات أعلامه ، ويتأكَّد على مَرّ الزمان إكباره وإعظامه ، ويقابل جانبه بالتشيُّع الثابتة أحكامه ، الواضحة أعلامه . مقامُ محل أخينا ، الذى سعده كفيلٌ بحسن العواقب ، ومجده كَلِف بإحراز المناقب ، وسما فخره قد زُيِّنت من نجوم الفخر بالشُّهب الثَّواقب ، مُكَابده مَسْدود المذاهب ، ومنازعُه مُغالب ، ونيته الصالحة ضمينة لنيل المطالب ، وإدراك الرَّغائِب . السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا ، ابن السلطان الكذا . أبقاه الله عزيز الجلال ، كريم الخلال ، قريب النَّوال ، بعيد[1] المنال ، كفيلاً توكله على الله بحُسْن المآل[2] منشرحاً صدرُه فى جميع الأحوال ، تشهد بمجده ظهور الجياد ، وأَلْسِنة البيض الحِداد ، ومواقفُ النزال ، معظِّم مقامه الذى تعظيمه الفَرْضُ المحتوم ، وإجلاله تطابَق[3] منه المَنْطُوق والمَفْهُوم ، والمنقول والمعلوم ، المُثْنى على مكارمه التى خَجلت[4] منها الغُيوم ، ومَناقِبه التى اقْتَبَست منها النجوم . فلان . . سلام كريم برٍّ عميم يخص مقامكم الأعلى وأُخوَّتكم الفُضْلى ، ورحمة الله وبركاته .

أمَّا بعد حَمْدِ الله عالم خفيَّاتِ الصدور ، الذى أحاط علمه بما خفى من جُزْئِيات الأُمور ، الكفيل لمن توكل عليه ، وفوَّض الأُمور إليه بالعُلى والظُّهُور ، جاعل العاقبة للتقوى ، كما وَعَد فى كتابه الحكيم المَسْطور ، الذى فى ذاته تُعقد أسبابُ المودَّة الخالصة على مرِّ الدهور ، ولابتغاءِ مَرْضاته ، نَصِل اليد على جهاد

---

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الملكية (بديد) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (الحال) .

(٣) وردت فى المخطوطين (تطار) ، والتصويب من « الكناسة » .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى الملكية (حجبت) . والأولى أرجح .

العدوِّ الكفور . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد المُبْتَعث[1] بالهُدى والنُّور ، الهادى إلى السبيل الواضح والسُّنَن المأثور ، الذى بجاهه نَرد موارد السرور ، وببركته نَسْتَقبل وجوه الخير بادية السُّفور . [وبالاعتماد على ركنه الأقوى نتعرف عوارف السعد فى الدنيا ويوم النشور][2] والرِّضا عن آله وصَحْبه الذين كانوا فى سماء الملَّة الحنيفيَّة أمثال البدُور ، وفى لَبَّتها كاللآلى والشُّذور ، الذين دافعوا عنا فى حياته بالحُسام المَطْرُور ، وخَلِفوه بعد مماته بالسَّعى المبرور ، والدُّعا لمقامكم الأَعلى بصِلَة النصر المشهور ، والصُّنع الكفيل[3] للإسلام وأهله بالسُّرور . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم أَسْنَى مواهب الخير الموفور ، وجعل العاقبة الحميدة للكِكُم المنصور .

من حَمْراء غَرْناطة حرسها الله ، وعندنا من التشيُّع فى مقامكم الأَعلى ، ما هو أَوضح من النهار ، وأَجلى من شروق الأَنوار ، فبِحَسَبه نبادر إلى مقامكم بأَنباء الأَخبار ، ونحرس على بَسْط الأَعذار ، ونبذل من إمْحَاض النيَّة لكم ما يعلمه العالم بخفيَّات الأَسرار . وإلى هذا أَيَّد الله أَمركم ، وأَعز نصركم ، فإن الإنسان وإن توصل إلى معرفة الظَّواهر والبَوَاطن عنه محجوبة ، والخفيَّات إلى علم الله ، لا إلى غيره منسوبة ، وله فى كل شىء أَحكامٌ مكتوبة . وكنا عرَّفنا مقامكم الأَعلى بما عندنا من صَرْف نَظَر الملاحظة إلى من لدينا من إخوانكم وقرابتكم ، بحيث لا يبرح رقيبها ولا يختل تَرْتِيبُها ، وإننا نصل التفقد إلى أَحوالهم ، ونُدْلى العيون إلى أَقوالهم وأَعمالهم ، فجرينا من ذلك على السُّنن اللاَّحب وقمنا منه بالواجب ، ولم ندع جهداً إلاَّ سَلَكنا منه أَوضح المذاهب . ومن أَضمر المكيدة يرتقب أَوانها ، ويلتمس مكانها ، والخواطر لا يعلم إلاَّ الله شأْنها ، وبظاهر

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (المبعث) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى الملكية وساقط فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الإسكوريال ، ومكانها بياض فى الملكية .

حَضْرتنا أماكن مباركة مشهورة . وزواياها مباركةٌ مقصودة ، يَنْفُر إليها الجمهور فى الليالى التى يقومون بها لِلْبرِّ سوق ، وتوفَّى من تعظيمها حُقوق ، وخصوصاً ليلة ميلاد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ابتغاء البركة لديه ، فهى بحيث ذكر من المواسم التى يَنْتَدب إليها الناس ، وتَتَسابق منهم الأنواع والأَجْناس ، وإن أخاكم أبا الفضل ، لما كان قد اسْتَبْطن عقيدةَ المَكيدة ، وأثر اتباع الآراء غير السَّديدة ، جعل قصد ذلك لَيْلَتَئذ سبباً لأَرَبه ، وورى بها عن مذهبه . ومن الغد تفقَّدنا ففقدناه ، ووصلنا عادتنا فى طلبه ، فتعرَّفنا ما كان من هربه ، فبادرنا إلى توجيه الفرسان فى أثره ، وطيَّرنا من أنجاد الخُدَّام من يعوقه عن وطَره ، والمرحلة التى بيننا وبين بلد النَّصرى[1] قريبة على من يركض الخيل ، ويقطع بحث ركابه الليل ، فألفوه قد لحق بأَرض النَّصرى[1] ، راكباً فى قصدها الخطر ، ومُقْتَحماً فى تأْميلها الغُرر ، فى حميلة تنتمى إلى ثلاثة عشر ليس فيهم مَنْ به عِبْرة ، ولا مَنْ تُمَيِّزه شهرة ، إلاَّ من كان من يعقوب بن أَبى عياد شيطانه الذى أغواه ، وجَذَبه من شَطَن هواه ، وأَرْدَاه فى ورطة ، يتعذَّر منها مَنْجاه ، فإن من خاطر بنفسه فى قصد بلاد النَّصرى للغرض الذى قصده ، والمذهب الذى اعتمده ، قلَّ ما نجح له عمل ، ولا تأَتَّى له منها أمل ، ولا يساعده حاضر من الزمان ولا مُسْتَقبل ، فهى مثابة وجودها عَدَم ، ومفازة ، ليس على الطريق بها علم ، قطعت بمن قصدها على القدم ، وقَضَتْ بتمزيق الشَّمل ، ومذلة النَّدم . فامتعضنا لهذا الواقع عندما تعرَّفناه ، ووجَّهنا إليه وجه العزم وصرفناه ، ورجعنا على أخيه وأبناء عمِّه باللائمة التى لم نقبل فيها عُذْراً ، ولا أثرنا فيها صَبْراً ، إذ كنا قد أغرينا بينهم ، فجعلنا بعضهم على بعض عيوناً ساهرة ، ورُقْباً تبحث عن كل خافية وظاهرة ، فاتهمناهم بكتمانهم ما استوثقنا منهم فيه ، والمُداهنة فى هذا الأَمر الذى لا تَرْتَضيه ، فكَبَسْنا منازلَهم بالرجال مرة واحدة ، لم نوسعهم

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (النصارى) .

فيها إمهالاً ، ولا فسحنا لهم فى الإقالة مجالا ، وَقَبْضنا على جميعهم ، مع تباين أمورهم ، وتباعُد منازلهم ودُورهم قبضاً هائِلاً، لم يفلت معه منهم أحد ، ولا انخرم من جملتهم عدد ، وثقَّفناهم بحمرائِنا فى أماكن لهم أعددناها ، ورتَّبنا عليهم الحراسة وجدَّدناها ، نكالاً لما وقع من الأمر الذى حَرِصْنا على سدِّ بابه ، وجهدنا فى قطع أسبابه ،وبادَرْنا إلى تعريف مقامكم الذى نعتدُّ بجنابه ، ونُمحض له من الْوُدِّ صفو لُبابه ، ليكون على علم من هذا الواقع الذى اتفق ، والأمر الذى غَلَب الحزمَ عليه قدر سبق ، بمقتضى الود الذى تقرَّر وتحقَّق ، والخلوص الذى فرع وانْبثَق ، ونحن على علم بأَنَّ أخاكم ركب بحراً لا نجاة لراكبه ، وامْتَطى صعباً يقطع به عن مآربه ، إذ لابد للنَّصرى من أصحابه إلى سلطانهم ، وهو فى الوقت بداخل سلطان قَشْتَالة ، بحيث تتعدَّد المراحل، وتطول الأيام ، ويتعذَّرُ على قاصده المرام ، وأحوال النَّصرى فى فُتُور هذه الأمور لديهم لا تتخيَّلها الأوهام ، ولم يزل يتَّصل بهم أهلُ البسالة من كبار البأْس والإقدام ، وأولو المضا المشهور والاعْتِزام ، فيستولى على أمورهم الاختلال ، وتَشْملُهم الحاجة ، وتضِيق منهم الأحوال ، فمنهم من يرجع أدراجَه ، بعد أن يكون الصفح والإقالة أقصى أُمْنِيَته . ومنهم من يرتجيه مما تورط فيه حلولُ مَنِيَّته ، وسعادتكم تتكفل بجريان الأمور أفضل مجاريها ، واستقامة الأحوال على أَوْثق مبانيها ، وقد وجهنا إليكم بكتابنا هذا القائد الكذا لكونه ممن اتفق لمشاهدة هذا الأمر حضوره ، وحَدَثت بمرأى منه أمورُه ، فهو يُلقى إليكم ما قررنا مما يقتضيه الحبُّ ، ويشرح منة ماأجمله الكَتْب . ومقامكم يُصغى إلى ما يُلقيه ، ويُقابل بالقبول ما يُؤديه . والله سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته .

ومن ذلك

المقام الذى وُدُّه متأكد الوجوب ، ووجه فضله ليس بالمحجوب ، وعَقْد فضله مُتَقرِّر فى القلوب ، ونيته الصالحة متكفلة للإسلام وأهله بنَيْل المطلوب ، وبلوغ المرغوب ، مقامُ محلِّ أخينا الذى شأْنُنا كلُّه تشيُّع له وخلوص ، وحكم وُدِّنا فيه عموم وخُصوص ،وثَنَا اعتقادنا الجميل فيه على أساس ابْتِغا رضوان الله مَرْصوص ، [أبقاه الله][1] رَفيعَ القدر ، عَزيز الأَمر ، مُعْتَرفاً بوجوب حقِّه لسانُ الدهر ، مُعظَّم مقداره الخليق بالتَّعظيم ، الْمُثْنى على مجده العالى ، وفضله العميم ، المُعْتَدُّ منه بالذُّخر الكريم ، فلان .

أَمَّا بعد حَمْدِ الله الذى إلهامُنا إليه من أَعظم نِعمه ، وهدايَتُنا إليه من أَكرم كَرمه . مُنجح بِأَخْلَص من وسائل الْوُدِّ وذِمَمه ، ومُوَفَّق الآراءِ إلى سلوك قصده الواضح وأُمَمه ، الذى عليه نتوكل فى مبدأ كل أمر ومُخْتَتمه ، فنظفر من السَّعد بأَوفر قَسَمه ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى تَسِير الأَنبياءُ والإِرْسال تحت عَلَمه ، سيِّد الكون بين عَرَبه وعَجَمه ، ونور الله الذى أَذْهَب ما تكاثف من غَياهب الباطل وظُلَمه ، وغيثِ الرحمة الذى تُمَد يدُ السؤال إلى اسْتِقامة دِيَمه . والرضا عن آله وأَنصاره ، السَّالكين مناهج سَجَاياه الشريفة وشِيَمه ، الآوين من اتباعه إلى أَمنع حُرَمه ، المثابرين على إعلاءِ مَعْلمة المهتدين بفعله وكَلِمة . والدعاءِ لمقامكم الأَسمى بنصر عزيز تكون الفتوح الغُرُّ من خَدَمه ، وسَعْدٍ يغنى عن اختبار نُصُب الفَلَك الدوَّار وتَعْديل أَنْجُمه ، وصُنع تَكْفُل العناية الإِلهية بإيضاح مُحْكَمه . فإِنَّا كتبنا إليكم ،كتب الله لكم تأْييداً يقرُّ عَيْن الإِسلام برسوخ قدمه .

---

(١) هذه العبارة واردة فى الملكية ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

من حمراء غَرْناطة حرسها الله ، ولا زائِد بفضل الله ، إلاَّ الخير الذى يقوى باعتداد بابكم سَبَبُه ، ويبين مذهبه ، واليُسْر الذى يتأتَّى بإعانتكم أَملُ الإسلام ومطلبُه . وعندنا من البرِّ لكم عقائِد لا يدخل الشَّك أُصولها ، ولا يعترض[1] النَّقد فصولها ، ولا تفوت الأَيام محصولها ، ومن الاعتداد بجهاتكم عَزَمات يُشحذ الحقُّ نصولَها ، وآمال يرتب حسن الظن بالله صلتَها وموصولَها . وإلى هذا أَيَّد الله أَمركم ، وأَعز نصركم ، فإننا بادرنا تعرفكم بما حدث عندنا من قَضِيَّة أَخيكم أَبى الفضل الذى كنَّا وثقنا فيما كنَّا شرطنا عليه من الهدوِّ والاستقامة بحسن عهده ، ورجونا عمله فيه على شاكلة مجده ، وأَصَّلنا له أَصلا ظننَّا وقوفه عند حدِّه ، وأَنه قُيِّض له من يعقوب بن أَبى عياد مثيرُ عَجاجه ومُنْفق[2] لُجاجه ، صدع بها شَمْلَ سكونه ، وانسحاب العافية عليه ، صَدْع زجاجه ، فورَّى بقصده رُبُط العبادات ، وأَماكن القرب المودات وقد أَضْمَر الحيلة ، وأَكْذَب فيه المخَيِّلة ، ولحق بالرُّوم فى عدد نَذْر ، وطائِفة لا تَسْتَقل بأَمر ، متورِّطاً فى لُجج هائِلة ، بآراء فائِلة ، وأَننا اتَّهمنا أَخاه ، وابنى عمِّه بالإِدْمان فى قضيَّته ، والعلم بما كان فى طَويَّته ، وأَنكرنا عليهم ما كان من إخفاء هذا الغرض ، الذى أَخذنا عليهم بإعلامنا به أَشدَّ الميثاق ، وركَنَّا إلى ما تقتضيه أَصالة الأَحساب ، ومكارم الأَخلاق ، فنَضا شملُ جماعتهم واستَوْعَبها ، وراع جُملتَهم وأَرْعَبها ، وما زلنا نبحث عن أَحوالهم ، ونُواصل النَّقير عن أَقوالهم وأَعمالهم ، ونختبر ما نُطْنا بهم من الشِّيم الدَّاعية إلى اعْتِقالهم ، والرِّيبَ الحاملة على نَكالهم ، فثبت عندنا بَراءةُ جَوانبهم ، وسلامة مذاهبهم ، وحقَّقنا من بَسْط الأَحوال ، واستقَلَّ لدينا أَتمَّ الاستقلالَ أَنَّ أَبا الفضل

---

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الملكية (يعتقد) . والأولى أرجح .

(٢) واردة فى الملكية ، ومكانها بياض فى الإسكوريال .

انفرَد عنهم بتدبيره ، وطَوى عنهم ما هَجَس بضميره ، حتى رَكِب الخَطَر الذى يتعذَّر الخلاص معه ، وآثر الطمع ، الذى قلَّ ما صارع أحداً إلاَّ صَرَعه ، وانقضت مُدَّة من تَعرُّف ركوبه البحر لم يُسمع له خبر ، ولا دلَّت منه عينٌ على أثر ، حتى أنَّ حالة التلف أقرب إليه ، بحسَب ما تدلُّ العوائِد عليه . وما كان الله ليظهر لمُلْكِكم من العجائِب ما أظْهَره ، وأيَّد سلطانه فى كل مَوْطن ونَصَره إلاَّ لخبيئَة عنايةٍ لا يضُرُّ معها كيدُ من كادَه ، ولا ينجح بسوءٍ أراده .

تم المجـــلد الأول

من كتاب « الريحانة »

بيان عن رسائل الريحانة

المترجمة إلى اللغة الإسبانية

وأمكنة نشرها فى مجلة « مركز الدراسات التاريخية الغرناطية ومملكتها »

أشرنا فى المقدمة بصفة عامة إلى رسائل الريحانة المترجمة إلى اللغة الإسبانية فى المجلة المشار إليها .

ونقدم هنا البيانات الخاصة بمواضع نشرها فى المجلة المذكورة :

١ — ظهرت ترجمة الرسالة الأولى ، وهى تتعلق بفرار الأمير أبى الفضل المرينى أخى السلطان أبى عنان من غرناطة ، حيث كان يقيم تحت حراسة سلطان الأندلس ، وثورته ضد أخيه ، يتقدمها تمهيد للأستاذ جسبار رميرو فى مجلد سنة ١٩١٢ من المجلة المذكورة (ص ١٥١ — ١٩٥) .

٢ — وظهرت ترجمة الرسالة الثانية ، وهى تتعلق بتبادل الهدايا بين أبى الحجاج يوسف سلطان غرناطة ، وأبى عنان سلطان المغرب ، فى نفس السنة والمجلد (ص ٢٥٣ — ٢٦٥) .

٣ — وظهرت ترجمة الرسالة الثالثة ، وهى خاصة بتهنئة السلطان أبى الحجاج للسلطان أبى عنان بنجاحه فى فتح تلمسان ، فى المجلد الثالث من نفس المجلة سنة ١٩١٣ (ص ٥ — ٢٣) .

٤ — وظهرت ترجمة الرسالة الرابعة ، وهى خاصة بهدية بعث بها السلطان أبو الحجاج إلى السلطان أبى عنان ، فى نفس المجلد (ص ٧٧ — ٩٥) .

٥ — وظهرت ترجمة الرسالة الخامسة ، وهى خاصة بتهنئة السلطان أبى الحجاج إلى السلطان أبى عنان بفوزه بسحق مقاومة بنى عبد الواد بتلمسان والقبض على زعيمهم أبى ثابت ، كذلك فى المجلد الثالث (ص ٨٦ — ١٩٦) .

٦ — وظهرت ترجمة الرسالة السادسة ، وهى مرسلة من السلطان أبى الحجاج إلى السلطان أبى عنان بتهنئة جديدة لانتصاره على بنى عبد الواد ، فى نفس المجلد الثالث (ص ١٧٠ — ١٨٦) .

٧ — وظهرت ترجمة الرسالة السابعة ، وهى مرسلة من السلطان أبى الحجاج إلى السلطان أبى عنان يهنئه فيها بالاستيلاء على ثغر بجاية ، فى نفس المجلد (ص ١٨٧ — ٢٠٠) .

٨ — وظهرت ترجمة الرسالة الثامنة ، وهى مرسلة من السلطان محمد الخامس (الغنى بالله) ملك غرناطة إلى السلطان أبى عنان فى موضوع ثورة عيسى بن أبى الحسن بن على بجبل طارق (جبل الفتح) ، فى المجلد الرابع من المجلة المذكورة سنة ١٩١٣ (ص ٢٤٧ — ٢٥٧) .

٩ — وظهرت ترجمة الرسالة التاسعة ، وهى تتضمن نص خطابين مرسلين من السلطان أبى الحجاج إلى عيسى بن أبى الحسن بتهنئته على نجاته من أسطوله الغارق ووصوله سالماً إلى الجزائر ، فى المجلد الرابع المتقدم ذكره (ص ٢٥٨ — ٢٧٤) .

١٠ — وظهرت ترجمة الرسالة العاشرة ، وهى مرسلة من السلطان أبى الحجاج إلى السلطان أبى عنان بتهنئته فى تدعيم سلطانه بفاس بما قام به من أعمال التحصين فى جبل طارق .

والرسالة الحادية عشرة ، وهى مرسلة من السلطان أبى الحجاج إلى السلطان أبى عنان خاصاً بما ارتكبه حاكم مربلة أبو زكريا يحيى الفرقاشى ، وخطابات كتبها ابن الخطيب بأمر أبى الحجاج ، ثم محمد الغنى بالله يطلبان فيها من السلطان أبى عنان العون ضد ملك قشتالة . وذلك فى المجلد الرابع من المجلة المذكورة سنة ١٩١٤ (ص ١ — ٣١) .

١١ — الحلقة الثامنة ، وهى عبارة عن رسالة من أبى الحجاج إلى أبى عنان يطلب فيها إرسال قوات عاجلة للدفاع عن جبل طارق ، ثم مختارات من خطابات أخرى إلى أبى عنان بطلب الإمداد ضد النصارى . وخطابات أخرى إلى سلطان تلمسان أبى سعيد عثمان يشرح له عدوان قشتالة ، ثم خطابين آخرين من أبى الحجاج إلى ابن عنان يشرح فيهما عدوان قشتالة . وقد نشر ذلك كله بالمجلد الرابع سنة ١٩١٤ (ص ١٠٥ — ١٣٥) .

١٢ — الحلقة التاسعة ، وتشمل خطابات من أبى الحجاج إلى السلطان أبى عنان يخبره فيها بما قامت به القوات الغرناطية من الغارات الموفقة فى الكرس وإستجه وقيجاطة . ثم خطابات أخرى إلى أبى عنان يخبره فيه بالحادث السعيد المنقذ وهو موت ألفونسو الحادى عشر تحت أسوار جبل طارق ، وانسحاب الجيش القشتالى ، وخطابات أخرى عن مفاوضات الصلح مع قشتالة ، وخطابات منه إلى سكان الجبل يخبرهم فيها بنعمة وفاة ملك قشتالة وارتحال الجيش النصرانى ، وقد كان الجبل على وشك السقوط فى أيدى النصارى ، وقد نشرت ترجمة ذلك فى المجلد الرابع سنة ١٩١٤ (ص ٢٠٥ — ٢٥٢) .

١٣ — الحلقة العاشرة ، وهى تشمل رسالة من سلطان غرناطة محمد الغنى بالله إلى السلطان أبى عنان فارس يخبره فيها بأحوال قشتالة الداخلية المترتبة على الخلاف القائم بين الملك بيدرو القاسى وإخوته ، وعن معاهدات الصلح التى عقدت بين غرناطة وقشتالة (سنة ١٣٥٤ — ١٣٥٧) . وخطابات من محمد الغنى بالله إلى أمير مكة وسلاطين إفريقية ، يروى فيها قصة الغزوات الهامة والغارات التى قام بها ضد مواقع الحدود القشتالية . وخطابات منه إلى سلطان فاس أبى فارس عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن فى نفس الموضوع يروى فيها الغنى بالله قصة غزواته لأطريرة وما حولها . ورسالة لابن الخطيب بصفته نائباً عن السلطان الغائب مع جيوش الغزو إلى الشعب الغرناطى ينبئه بالاستيلاء على أطريرة ، ورسالة من محمد الغنى بالله إلى السلطان عبد العزيز يصف فيها غزو جيان واقتحامها ، وتخريب سائر أنحائها ، ثم الاستيلاء على أبدة وتخريبها ، ثم الإغارة على قرطبة ، وما أوقعه بها من الخراب . وأخيراً رسالة من محمد الغنى بالله إلى عاهل تونس الخليفة أبى إسحق يخبره فيها بكل ما تقدم . وقد نشر ذلك كله فى المجلد الرابع سنة ١٩١٤ (ص ٢٨٥ — ٣٦٥) .

فهرست الشعر

أبو الطيب المتنبى :

ضروب الناس عشاق ضروباً ٣٤

على بن العباس (ابن الرومى) :

وحبب أوطان الرجال إليهم

لسان الدين بن الخطيب :

أحبك يا مغنى الجمال بواجب ٣٥

. . . . . .

مررت بالعشاق قد كبروا ٣٩

لسان الدين بن الخطيب :

سلمت لمصر فى الهوى من بلد ٣٩

جزى الله عنى زاجر الشيب خيرما ٤٢

دعتنى عيناك نحو الصبا ٤٢

أهلا بطيفك زائراً أو عائداً ٤٣

وبدا له بعد ما اندمل الهوى ٤٣

يا من أدار من الصبابة بيتاً ٤٣

بلانى الحب فيك بما بلانى ٤٤

أليس قليل نظرة أن نظرتها ٤٤

صدنى عن حلاوة التشيع ٤٨

على وجه مى مسحة من ملاحة ٤٩

منغص العيش لا يأوى إلى دعة ٤٩

يا قلب كم هذا الجوى والخفوت ٤٩

أعشاق غير الواحد الصمد الباقى ٥٠

إذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه ٥٥

دعاك بأقصى المغربين غريب ٦٢

فهرست الكتب والرسائل

الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ .
استنزال اللطف الموجود فى أسرار الوجود ؛ ٤ ، ٥٢ .
الإشارة إلى أدب الوزارة ؛ ٤ .
الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ؛ ٤ ، ٣٦ ، ٣٧ .
بستان الدول ؛ ٤ ، ٢١ .
التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى ؛ ٥ ، ٣٥
تاريخ غرناطة ؛ ٣١ ، وراجع الإحاطة فى تاريخ غرناطة .
تخليص الذهب ؛ ٤ ، ٢٢ .
جيش التوشيح ؛ ٤ ، ٢٣ .
خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف ؛ ٤ .
ديوان الصبابة ؛ ٣٩ .
رسالة السياسة ؛ ٤ ، ٦
رقم الحلل فى نظم الدول ؛ ٢٦ .
روضة التعريف بالحب الشريف ؛ ٤ ، ٣٨ ، ٤٧ .
ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ٢٠ .
السحر والشعر ؛ ٢٦ .
عمل من طب لمن حب أو كتاب الطب ؛ ٣٧ .
كليلة ودمنة ؛ ٢٨ .
كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ٥ ، ١٨ .
مجلة مركز الدراسات التاريخية الغرناطية ؛ ٩
المراسلات الدبلوماسية بين غرناطة وفاس ؛ ٩
اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ؛ ٢٤ .
معيار الاختيار ؛ ٤ .
مفاخرة بين مالقة وسلا ؛ ٤ .
الوصول لحفظ الصحة فى الفصول ؛ ٥٣ .

فهرست البلدان والأماكن

— أ —

أبدة ؛ ٦ ، ٧٦ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٦ ، ٢١١ .
إستجة ؛ ١٣٢ .
الإسكندرية ؛ ٢٨ ، ٧٦ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ .
إشبيلية ؛ ٧٣ ، ٧٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ .
إطرابلس ؛ ٣٢٤ .
أطريرة ؛ ٥ ، ٦ ، ٧٣ ، ١٩١ ، ٢٨٠
الأقطار الغربية ؛ ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٦٢ .
ألمرية ؛ ٢٨٨ ، ٣٢٩ ، ٤٣٧ .
الأندلس ؛ ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٣٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣٥ ، ٢٨٥ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٨٢ ، ٤٩١ .
الإيالة الفارسية ؛ ٣٩٠ .
الإيالة النصرية ؛ ٨٧ ، ٩٧ .

ب — ت

باغة ؛ ١٦٩ .
بجاية ؛ ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ .
برجلونة ؛ ٤٣٥ .
برغة ، وحصن ؛ ٥ ، ٧١ ، ١٩١ ، ٢١٠ .
بغداد ؛ ٣٢٤ .
البلاد الأندلسية ؛ انظر الأندلس
البلاد النصرية ؛ ٩٨ .
ألبنية ؛ ٢٠٤ .
التربة المقدسة ؛ انظر الضريح النبوى .
تلمسان ؛ ٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ .
تونس ، ٦ ، ٩ ، ١٧٩ .

ج — خ

الجامع الأعظم ؛ ٥ .
جبل الثلج ؛ ١٤٠ ، ١٤٤ ، ٥١٩ .
جبل الفتح ؛ ١٤٠ ، ١٤٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٤٥ ، ٣٥٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ .
الجزائر ؛ ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ .
الجزيرة الخضراء ؛ ٣ ، ٥ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٧٩ .
جيان ؛ ٦ ، ٥٠ ، ٧٤ .
الحرمين الشريفين ؛ ٢٩٦ .
حصن إستبونه ؛ ١٤٤ .
حصن أشر ؛ ٥ ، ٦ ، ٧٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ .
حصن الحوار ؛ ٢١١ .
حصن روط ؛ ٢١١ .
حصن قنبيل ؛ ١٣٦ ، ٢١١ .
حصن قنيط ؛ ١٣٤ ، ٤١٨ .
حضرة غرناطة ؛ ٣٤ .
حراء غرناطة (الحمراء) ؛ ٣٥ ، ٦٨ ، ١٦١ ، ١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٧٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٦ ، ٤٣٥ ، ٤٥٣ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٤ .
حمص ؛ انظر إشبيلية .
الخزائن المغربية ؛ ٣٠ .
الخزانة الملكية المغربية ؛ ٣ ، ٧ ، ٨ .
الخلافة ؛ ٢٠٢ .
الخلافة النصرية ؛ ٨٥ .

د — ز

دار الصنعة ؛ ٥١٩ .
دار الكتب المصرية ؛ ٨

الدولة الإسماعيلية ؛ ١٩٩ .
الدولة المرينية ؛ ٩٦ .
الدولة النصرية ؛ ١٨ ، ١٩ ، ٨٤ ، ٩٦ .
الرصافة ؛ ١٩٨ .
رندة ؛ ٧١ ، ١٩١ ، ٣٥٩ .
رومة ؛ ٧ ، ٢٧٣ .

س — ض

سبتة ؛ ٤٢٧ .
سجلماسة ؛ ٢٨٠ .
سلا ؛ ٤ ، ٥ ، ٤٩ .
السوس ؛ ٩ .
الشرق ؛ ٣٣٦ .
شقورة ؛ ٤٠٠ .
صنعاء ؛ ٣٢٤ .
الضريح النبوى ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ .

ط — غ

الطوتين ؛ ٢٠٣ .
الغرب ؛ ٣٣٦ ، ٣٧٥ .
غرناطة ؛ ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢٤

ف — ك

فارس ؛ ١١٩ .
فاس ؛ ٤ ، ١٢ ، ١٠٨ ، ٢٢٣ .
الفسطاط ؛ ٣٠٢ .
قبرس ؛ ٢٩٥ .
قرطبة ؛ ٥ ، ٧٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ، ٢١١ .
قشتالة ؛ ٩ ، ١٦ ، ٣٨٠ ، ٤١٥ ، ٤٤٤ ، ٤٦٣ ، ٥٠٥ ، ٥٢٧ .
القطر الغريب ؛ ٥٢٣ .
قنسرين (كورة) ؛ ١٦٢ .
قنطرة السيف ؛ ٤٠٠
قيجاطة ؛ ١٣٢ .
القيروان ؛ ٢٠٢ .
الكرس ، مدينة ؛ ١٣١ .

ل — م — ن

لوشة ؛ ٤ .
مالقة ؛ ٤ ، ٧١ ، ١٩١ ، ٤٠٢ .
المدينة المقدسة (المدينة المنورة) ؛ ٢١٣ .
مراكش ؛ ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٨٢ .
مربلة ؛ ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
مرسى الجزائر ؛ ٤٢٧ .
مصر ؛ ٢٣٩ ، ٣٩٥ .
المغرب ؛ ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٢٣ ، ٣٨٢ .
مكتبة الإسكوريال ؛ ٣ ، ٨ .
مكتبة أوبسالة ؛ ٨ .
مكتبة الجزائر الوطنية ؛ ٨ .
مكتبة الفاتيكان الرسولية ؛ ٣ ، ٨ .
مكتبة القرويين الكبرى ؛ ٨ .
مكة ؛ ٢٠٦ ، ٤٩٣ .
مملكة غرناطة ؛ ٩ ، ١٠ ، ١١ .

هـ — ى

الوادى الكبير ؛ ١٧٤ .
اليمامة ؛ ١٢٢ .

فهرست الأعلام

— ا —

ابن أبي السرح ؛ ١٨٢ .
ابن تيفراجين ، أبو محمد عبد الله ؛ ٥٠١ .
ابن الرومى ، على بن العباس ؛ ٣٥ .
أبو إسحق الحفصى ، الخليفة ، ١٨٠ .
أبو إسحق بن أبي يحيى أبو بكر ، الخليفة ؛ ٥٠٦ .
أبو إسحق بن الحاج ؛ ٥٢٧ .
أبو بكر بن موسى ؛ ٥٢٧ .
أبو ثابت الأمير ؛ ٢٢٥ .
أبو جعفر بن أبي الحسن بن نصر ؛ ٣٤٠ .
أبو الحجاج ، يوسف ، السلطان ؛ ٥ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٥ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥٢٣ ، ٥٢٨ .
أبو الحسن البنا ؛ ١٧٩ .
أبو الحسن بن الحسن ؛ ٣١٣ .
أبو الحسن عجلان ؛ ٢٠٦ .
أبو الحسن المرينى السلطان ؛ ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٦٠ ، ٣٨٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ .
أبو الحسن بن نصر ، ٥ .
أبو حمو ، موسى بن عبد الرحمن ؛ ٢٦٩ .
أبو زكريا البرقاجى ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
أبو زيان ، السلطان ؛ ٣٠٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ .
أبو سالم المرينى ، السلطان ؛ ١٠ ، ٣٧ ، ١٠١ ، ٢٨٩ .
أبو سرحان مسعود ؛ ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ .
أبو سعيد عثمان ؛ ٩٩ .
أبو سعيد بن نصر ؛ ١٢٣ .
أبو سعيد ، السلطان ؛ ٩٧ ، ٢٨٠ ، ٣١٨
أبو الطيب المتنبى ؛ ٣٤ .
أبو العباس بن الحصار ؛ ٥٢١ ، ٥٢٧ .
أبو عبد الله الجزيرى ؛ ٥٢٦ .
أبو عبد الله بن عمران ؛ ١٠١ ، ١١٥ .
أبو عبد الله الفشالى ؛ ٥١٦ .
أبو عبد الله المقرى ؛ ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧
أبو عثمان بن أبي زيد بن زيان ، ٢٦٥ ، ٤١٢ ، ٤١٦ .
أبو على منصور ؛ ٩١ ، ٩٧ .
أبو عنان فارس السلطان ؛ ٥ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢٧ ، ١٧٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ .
أبو فارس عبد العزيز ، السلطان ؛ ١٧١ ، ٣٠٨ ، ٣٧٥ .
أبو الفتوح شعبان ، السلطان ؛ ٢٩٥ .
أبو الفضل المرينى ، محمد ؛ ١٠ ، ٥٤٤ .
أبو محمد بن عبد الواحد ؛ ٤٢٣ .
أبو النعيم رضوان ؛ ١٣٦ .
أبو الوليد ، السلطان ؛ ٨٦ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ٥٢٠ ،
أبو يحيى بن أبي مدين ؛ ٤٢٤ .
أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ؛ ٩٧ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٠ ، ٣٦٠ .

أحمد بن عبد الله البقنى ؛ ٧
الأدارسة ؛ ١٠٨ .
إدريس بن عبد الحق ؛ ٩٥ .
إدريس بن عبد الله بن الحسن ؛ ١١٣ .
الإسلام ؛ ٧٧ ، ٨١ ، ٨٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٢٦ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ .
آل عباس ؛ ١٠٨ .
امرأة العزيز ؛ ٣٩ .
الأمين ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .
الإنجيل ؛ ٩٣ .
الأبصار ؛ ٩٨ .

ب — ث

بنو زيان ؛ ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ .
بنو العباس ؛ ٣٣٣ .
بنو مرين ؛ ٩ ، ١١ ، ٩٦ ، ٩٩ .
بنو نصر ؛ ١١ .
بيدرو الثانى ؛ ١٠٠
تبع ؛ ٣٣٣ .
الترك ؛ ٢٩٥ .
التطار ؛ ٢٩٥ .
التوراة ؛ ٩٣ .

ج — د

جرجير ؛ ١٨٢ .
جسبار ريميرو ، ماريانو ؛ ٩ ، ١٠ .
الحسن ؛ ١١٣ .
الحسين ؛ ١١٣ .
خوان منوال ؛ ٤٤٤ .
دارا ؛ ١٩٧ .

ر — ص

رسول الله ؛ ٩٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ وراجع النبى صلى الله عليه وسلم .
الرشيد : ٣٣٣ .
الروم ؛ ٤٩٥ ، ٤٩٩ .
سعد بن عبادة ؛ ٤٠ ، ٨٥ .
السفاح ؛ ٣٣٣ .
سليمان بن عبد الملك ؛ ٣٣٣ .
سيف بن ذى يزن ؛ ٣٣٣ .
الصحابة ؛ ١٧ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٤٤٣

ع — ك

عامر بن محمد الهنتاتى ؛ ٣٠٤ .
العرب ؛ ٢٨ ، ٣٢ ، ٥٢٢ .
العرب الشاميون ؛ ٢٦٦ .
العرب العاربة ؛ ١١٩ .
على بن أبى طالب ؛ ١١٣ .
على بن نصر ؛ ٨١ .
عيسى بن الحسن بن أبى منديل ؛ ٢٣٥ .
الغنى بالله (محمد بن يوسف ، السلطان) ؛ ٦٠ ، ٦٢ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٧١ ، ٢٠٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٥٣ ، ٤١٩ ، ٤٦٠ ، ٤٩١ .
الفاروق ؛ ٢٠٢ .
فاطمة الزهراء ؛ ١٠٨ .
فرج بن إسماعيل بن نصر ، أبو سعيد ؛ ٨٦ ، ٢٨٠ .
الفرس ؛ ٢٨ .
قبائل بنى مرين ؛ ٢١٩ .
القند ؛ ٤٤٤ .
قيصر ؛ ١١٩ ، ٣٣٣ .
كسرى ؛ ١١٩ ، ٣٣٣ .
كوديرا ، فرانشيسكو ؛ ٩ .

ل — م — ن

لؤى بن غالب ؛ ١٠٨ ، ٥٢٣ .
مالك ، الإمام ؛ ٢٠٢ .
المأمون ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .
محمد بن عمران ؛ ١١٣ .
محمد بن قلاوون الصالحى ، السلطان ؛ ٢٩٦ ، ٤٩١ .
محمد بن مرزوق أبو عبد الله ؛ ١١١ ، ٣٤٢
مروان بن عبد الملك ؛ ٣٣٣ .
المستنصر بالله الحفصى ؛ ١٨٠ ، ١٨٨ .
مسعودة ؛ ٩٩ .
المسلمون ؛ ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢٤١ ، ٢٧٢ ، ٣٠٢ ، ٣٦٩ ، ٥١٨ .
المعتصم ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .
المنصور ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .
المنصور ، الملك ؛ ٤٩٠ .
المهدى ، الخليفة ؛ ٣٣٣ .
المهلب بن أبى صفرة ؛ ١٨٦ .
موسى بن نصير ؛ ١٢٢ .
موقعة الأرك ؛ ٣٠٦ .
موقعة الزلاقة ؛ ٣٠٦ .
النبى (صلى الله عليه وسلم) ؛ ١٧ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ .

هـ — ى

الهادى ؛ ٣٣٣ .
هشام بن عبد الملك ؛ ٣٧٣ .
الوليد بن عبد الملك ؛ ٣٣٣ .
يعقوب بن أبى عياد ؛ ٤٥٣ .
يوسف أبو الحجاج ؛ راجع أبو الحجاج .

استدراك

حدث مع الأسف فى صفحة عنوان الكتاب الأولى
خطأ فى العبارة الآتية المذكورة فوق اسم محقق الكتاب
« حققه ووضع مقدمته وشواهده » وصحتها :
« حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه »

RIHANAT - UL - KUTTAB
WA NUGAAT UL - MONTAB

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - UL - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades. End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana Y Portugal. Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.

Vol. I

Publisher : Al – Khanghi Bookshop, Cairo

Modern Arabic Press

Cairo – 1981